

حَدِيثُ الزُّوَائِدِ فِي سِيَرَةِ الْوُزَرَاءِ

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السويدي التقي

سنة ١٢٩٠ هـ

الطبعة الأولى

مكتبة المطبعات العلمية



حَدِيثُ الزُّوْرَاءِ فِي سِيَرَةِ الزُّوْرَاءِ



عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي

حققه وقدم له وعلق عليه

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

تعدادی اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۱۶۳۴

شماره ال:

منشورات المجمع العلمي

مطبعة المجمع العلمي

۱۴۲۳ هـ - ۲۰۰۳ م

کتابخانه	
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی	
شماره ثبت:	۳۲۹۴۰
تاریخ ثبت:	



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سيرة الشيخ عبد الرحمن السويدي

مقدمة

في يوم من أيام سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م استقبل رجل في أواسط العقد الرابع من عمره، من أسرة علمية نبيلة، في بيته الواقع قرب رباط قديم في كرخ بغداد، عند شاطئ دجلة، مبعوثاً خاصاً أوفدته إليه سيدة مثقفة من سيدات مدينته، ينقل إليه رغبتها في أن يؤلف كتاباً مستقلاً في سيرة واليها بغداد، جدها الوزير حسن باشا وخالها الوزير أحمد باشا، وكانت هذه السيرة قد شغلت نحو نصف قرن كامل من تاريخ العراق. فما كان إلا أن وجدت هذه الرغبة ميلاً في نفسه، وتحقيقاً لذاته في أن يكتب تاريخ مدينته التي أحبها، وعاش مختلف ظروفها، حلوها ومرها. فأما الرجل، فهو الشيخ الأديب عبد الرحمن السويدي، النجل الأكبر للعلامة الشيخ عبد الله السويدي، ذائع الصيت، وأما السيدة فهي خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا، العربي أرومة^(١)، وابنة أخت والي بغداد الوزير أحمد باشا، وأمها هي صفية خانم بنت حسن باشا، والي بغداد السابق، وأما من كتب من أجلهما هذا الكتاب، فهما واليان المذكوران.

وفي الواقع فإن اختيار خديجة خانم للشيخ عبد الرحمن السويدي^(٢) لم يكن اختياراً سريعاً يفتقر إلى مبرراته، فهذا الرجل كان سليل أسرة

(١) حديقة الزوراء، الورقة ١٦٨.

(٢) ترجمنا له بتفصيل، ونوهنا بمؤلفاته، في مقدمتنا لكتابه الذي حققناه بعنوان (تاريخ حوادث بغداد والبصرة)، بغداد ط ١، ١٩٧٨، وط ١٩٨٧، ص ١٦-٣٤، وفي مقدمتنا لديوانه (ديوان عبد الرحمن السويدي) بغداد ٢٠٠٠ ص ٣-٢٩، فتحيل القارئ إلى هذين الكتابين.

عباسية النسب^(٢)، تشعر بانتماء خاص لمدينة بغداد التي بناها أسلافه منذ قرون عديدة، وهي وإن نزلت من بلدة الدور إليها، إلا أن هذا النزوح جرى منذ قرنين قبل ولادة عبد الرحمن في سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م، وهي مدة كافية لتغدو أسرته إحدى الأسر العريقة في بغداد، أو في الأقل في الكرخ منها، حيث أقامت الأسرة في محلة خضر إلياس، من محلاتها القديمة، ونشأت بينها وبين الأسر الأخرى، ممن تشترك معها في عنايتها بعلوم العصر وآدابه، مثل آلوسيين والشاويين والعشاريين، صلات واسعة، وصدقات حميمة.

(٢) إن الشيخ عبد الرحمن هو ابن الشيخ عبد الله الذي عرف بالسويدي فعرفت أسرته بهذا اللقب من بعد، وهذا ابن حسين بن مرعي بن ناصر الدين، وهو أول من نزح إلى بغداد من بلدته الدور، فوثق نسبه في محضر رسمي صادق عليه قاضي بغداد آنذاك، ابن الحسين بن علي بن حمد بن محمد المدلل، الجد الجامع لعشيرة أبو مدلل العباسية، بن الحسين بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن الفضل [المسترشد] بن أحمد [المستظهر] بن عبد الله [المقتدي] بن محمد [نخسيرة الدين] بن عبد الله [القائم] بن أحمد بن إسحاق بن جعفر بن أحمد [المعتضد] بن [الأمير] الموفق طلحة بن جعفر [المتوكل] بن محمد [المعتصم] بن [هارون الرشيد] بن محمد [المهدي] بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. ذكر كاظم الدجيلي (مجلة لغة العرب المجلد ٢ [١٩١٢] ص ٢١٩) أنه رأى النسخة الأصل من هذا النسب عند يوسف أفندي السويدي وتاريخها سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م وهي موقعة بتواقيع جماعة من العلماء المشهورين. وتوجد نسخة قديمة أحدث منها لدي السيد المحامي علي بن بدري السويدي ببغداد اطلعنا عليها.

وكانت منزلة أبيه عبد الله قد ذاع صيتها بسبب نبوغه في العلم من جهة^(٤)، وللمكانة التي احتلها لدى والي بغداد أحمد باشا، فكان طبيعياً أن يتأثر الولد بأبيه، كما تأثر أخوة له أيضاً، فكان أن اتقن علوم عصره التقليدية، مما عرف بالعلوم العقلية والنقلية وهو لما يزل شاباً يافعاً، وأبدى ميلاً إلى علم الحديث الشريف، فحصل على أول إجازة بكتب الحديث الستة، وروايات متسلسلة أخرى، ولبس الخرقة، وهي إحدى شعائر الطرق الصوفية التقليدية، من عالم حجازي كبير، كان قد قدم بغداد في ذلك العهد، هو الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بعقيلة الحنفي المكي (المتوفى سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م). ثم واصل دراسته، فانتظم طالباً في المدرسة الأحسانية بالجانب الشرقي من المدينة، ليدرس النحو على يد شيخ جليل سبق لوالده نفسه أن تتلمذ على يديه، هو الشيخ ياسين السهيتي، ثم ليدرس علوماً أخرى على أيدي كبار علماء بغداد، منهم والده، والشيخ فصيح الدين الهندي وغيرهم. وبعد تخرجه على أيديهم، وإتمامه مراحل

(٤) ولد عبد الله سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م، وتوفي أبوه هو لما يزل طفلاً فكفله خاله أحمد بن سويد، وأخذ العلم على كبار مشايخ بغداد والموصل، ثم تصدر للتدريس في داره، وفي مدرسة جامع الإمام أبي حنيفة، وفي مدرسة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي المدرسة المرجانية، واشتهر بتمثيله الجانب العثماني في مؤتمر النجف بحضور نادرشاه سنة ١٧٤٣هـ/١٧٦٠م. وبتأليفه كتباً ورسائل عديدة في الرحلات والأدب والنحو والتصوف، وله ديوان شعر. وتوفي في سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م كتب سيرته الذاتية في مقدمة كتابه (النفحة المكية في الرحلة المكية) وقد حققناه، وهو تحت الطبع. وفصلنا القول في سيرته في كتابنا: عبد الله السويدي، سيرته ورحلته، بغداد ١٩٨٦.

دراسته، عين مدرساً في بعض مدارس بغداد، وصار له، مع مرور الوقت، تلامذة كثر عددهم، بما ناله من صيت حسن بين معاصريه.

ولاشك في أن الشيخ عبد الرحمن طفق، بعد أن فوجئ بطلب السيدة خديجة خانم، يستعيد ذكرياته، ويرتب أفكاره، فلاحظ أن معلوماته عن السنين التي سبقت ولادته، أو التي لم يكن فيها يعي الأحداث لصغر سنه، مستمدة في أغلبها مما رواه له أبوه الشيخ عبد الله، ذلك أن هذا الشيخ كلن قريباً من الأحداث، يرقبها بكل عناية، بحكم ثقافته الواسعة، ومشاركته بما عاصره من أفراح مدينته وأتراحها معاً. بل شرع عبد الرحمن يستذكر روايات كان قد سمعها من آخرين ممن قيض لهم أن يكونوا شهود عيان على ذلك العصر، من علماء وموظفين وقادة عسكريين.

وتتضمن تلك الذكريات أحاديث مهمة عن حركات عسكرية عديدة كانت تقوم بها عشائر عراقية بعضها كان حديث القدوم إلى العراق، ويهدد وضعها القلق استقرار الحياة الاجتماعية في ريف العراق عهد ذاك. كما تضم أيضاً أحاديث أخرى، مفعمة بصور البسالة، عن الحملة العسكرية التي قادها خمسن باشا، وشارك بها عراقيون كثيرون، فضلاً عن ضباط حسن باشا من مماليكه، إلى إيران، دفعاً لخطر التدايعات الداخلية والخارجية التي أخذت تهدد أقاليمها المحاذية للعراق بعد انهيار السلطة الصفوية. وكان فتح كرمينشاه على يد هذا الوالي، وفتح همدان على يد ابنه أحمد باشا، من أكثر اللحظات التي هزت وجدانه، بوصفها تمثل بداية عهد جديد من القوة والنهوض.

وإذ بدأت ذكريات أبيه تتفصل عن ذكرياته هو أيام كان طفلاً، فإنه تذكر ذلك الفيل العجيب الذي خرج إليه ليشاهده عن قرب، وهو الذي لم يكن قد غادر الثانية عشرة من عمره الغض، وكان ذلك الفيل هدية من أشرف خان الأفغاني حاكم إيران الذي وصل إلى السلطة بعد انهيار الصفويين.

ومن جهة أخرى فإنه لم ينس مشاعر الخوف والهلع التي عاشها يوم أخذت مدينته تتعرض بين حين وآخر إلى حصار إيراني قاس، يضربه عليها نادرشاه، ذلك المغامر الذي قُدِّر له أن يرث العرش الصفوي، والظروف الصعبة التي أضطُرَّ أهل بغداد، ومنهم أهله ومعارفه، إلى عيشها في ظل ظروف الحصار. كما لم ينس مجريات محاولة الإيرانيين اقتحام السور الذي كان الكرخيون قد شادوه على عجل للدفاع عن جانبهم، ومشهد جموع أهل حبه وهم يخرجون بأسلحتهم لمواجهة جيش نادرشاه، ومنهم أبوه وأقاربه وأهلوه، الذين رووا له فيما بعد تفاصيل تلك الأحداث بدقة وتفصيل. وكان هو يشاهد، من على سطح داره، المعركة الدائرة بين مواطنيه والقوات المعادية. وهل يمكن لصبي وهو في تلك السن الغضة أن ينسى مثل ذلك المشهد الرهيب، حينما امتلأت الأرض الفضاء القريبة من سور الكرخ بالمتحاربين، من الفرسلان والمشاة، فارتفع الغبار ليملأ السماء، واختلطت قعقة السلاح بأصوات الهاجمين والمدافعين، مؤلفة هديرأ صاخباً يثير الهلع.

لقد علّمت تلك الأحداث عبد الرحمن أن لا يُحجّم عن أداء دوره الوطني كلما دعت الظروف إلى ذلك^(٥)، وكان ذلك واحداً من ثمار الوعي الجديد الذي وجد طريقه إلى أذهان الجيل الذي قُبِضَ له أن يعيش كل تلك المتغيرات السريعة التي مرت على البلاد.

ولا شك في أن عبد الرحمن، خرج من بعد تصفّحه سجل ذكرياته المُفعّم بالأحداث المهمة، والأحاسيس العميقة، بميل حقيقي إلى أن يجعل من رغبة خديجة خانم سبباً في أن يخرج على الناس بكتاب يؤرخ فيه، على السنين، تفاصيل ما سمعه، وما شاهده، وما اطلع عليه من وثائق، عن عصرٍ وجد من المهم أن يطلّع على مجرياته أهل الجيل الجديد الذي لم يكن قد عاش كل هذا أو رآه. ومع أنه كان مؤلفاً في أكثر من علم واحد، فإنه لم تكن له تجربة في كتابة التاريخ، فجميع مؤلفاته تبحث في الفقه، وفي الحكمة والعقائد والتصوف، وفي النحو والبلاغة، بل وفي علم الفلك أيضاً^(٦)، بيد أنه لم يكن بعيداً عن دائرة الأدب، فقد ولسع - كسائر

(٥) من ذلك أنه تزعم أهل الجانب الغربي من مدينته في أثناء الفتنة التي ثارت في بغداد حينما حاول أحد الإيرانيين أن يصل إلى السلطة معتمداً على رشوة المسؤولين العثمانيين، وكان له دور في تزويد المقاتلين باطلاقات المدافع التي كلن الثوار يطلقونها على السراي حيث يتخذ الوالي العثماني مقر قيادته. بحثنا (مواقف سياسية وعسكرية لعلماء بغداد في العصر العثماني، مجلة الرواد، العدد الفصلي الأول، بغداد ١٩٩٧، ص ٤٢-٥١).

(٦) فصلنا القول في هذه المؤلفات ومواطن وجودها في دراستنا عن سيرته التي نوهنا بها آنفاً.

أثرابه- بقرض الشعر، وقرأ من أجله الكثير من دواوين السابقين، وكتب الأدب، ولم تكن قراءاته تلك ببعيدة عن مجال الكتابة التاريخية، فالصياغة الأدبية كانت الطريق لإتقان الصياغة التاريخية على أية حال.

لقد كان عبد الرحمن أديباً بكل ما تعنيه هذه الكلمة في ذلك الزمن، وإذا لم تكن الفوارق تبدو كبيرة بين الأدب والتاريخ عهد ذاك، فقد شعر بأنه لا يقف بعيداً عما دعت إليه تلك السيدة النبيلة، وأنه قادر على أن يلبي رغبتها ويحقق ذاته مؤرخاً في الوقت نفسه. فلم يكن منه إلا أن يستجيب موافقاً على كتابة الكتاب المنشود.

ويمكننا الآن أن نتصور مقدار السرور الذي تملك خديجة خانم بعد أن تسلمت موافقة الشيخ، فهذه السيدة هي الأخرى كانت تملكك، بحكم ثقافتها الواسعة وموقعها الاجتماعي، خزيناً ثراً من الذكريات التي تتجاوز حياتها الخاصة، أو حياة أسرتها الصغيرة، إلى أن يشمل تاريخ الحياة العامة في بغداد، بل وفي العراق أحياناً، على مدى نصف قرن تقريباً.

ولعلها مدت بنظرها، من خلال نافذة قصرها، المطل على دجلة، قرب سراي الحكم، إلى جانب من المدينة، فتذكرت أحاديث جدها الوزير حسن باشا عن أسرته، ونشأته، ومناصبه السابقة في الدولة، قبل أن يتولى منصبه والياً على بغداد في ١٢ صفر سنة ١١١٦هـ/ ١٥ حزيران سنة ١٧٠٤م، وكيف بدأ هذا الوالي الذي تمتع بقدرات عسكرية وإدارية كبيرة، بإعادة النظام إلى بلد ابتلي بكل مظاهر الضعف والفوضى منذ قرون، فينشئ أول جيش محلي مدرب يرتبط به، بصفته رأس السلطة في بغداد، لا بالإدارة المركزية في الدولة العثمانية، وكيف استطاع أن يقنع هذه

الإدارة بمبدأ أن تكون الولايات العراقية المختلفة، والإمارات شبه المستقلة، تحت إشرافه المباشر، فيضع من ثم الأسس الأولى لتوحيد العراق الحديث.

ولاشك أنها تذكرت أيضاً تلك المدة الطويلة التي كان جدها يغيب بها عن بيته ليخرج على رأس جيشه لقمع الحركات المناوئة، أو للقضاء على الحروب القبلية، أو لضرب قطاع الطرق، أو عصابات الأرياف، الذين كان نشاطهم يهدد الطرق التجارية، والنشاط الزراعي على حد سواء، وهو الدور الذي توجّج بتقليده القيادة العامة للقوات العثمانية وقد أنيطت بها مسؤولية السيطرة على الأقاليم الغربية من الدولة الصفوية السابقة، وكيف استقبلت بغداد نبأ فتحه مدينة كرمنشاہ بالفرح، وما تملكها هي من شعور بالفخر والاعتزاز بذلك الجد الشجاع.

وإذ كان شريط الذكريات السارة يبدو حياً أمام ناظرها، فإن ثمة أحزاناً كثيرة لم تكن لتمحى من ذلك الشريط أيضاً، فقد تداعت في ذاكرتها صورة الحزن العميق الذي ران على أسرته، وعلى قصر جدها، ثم على بغداد كلها، يوم وصل النبأ المذهل بوفاة حسن باشا، بين جنوده، وهو يحاصر همدان، ثم بصورة موكب نعشه يحيط به قادة الجيش، وتتقدمه أفواج المماليك، ليشق طريقه وسط حشود البغداديين المذهولين على الجانبين، ليوارى الثرى في مقبرة الإمام أبي حنيفة. في تلك الساعة الحزينة افتقدت خالها أحمد باشا، الذي كان يتولى البصرة نائباً عن أبيه، فلما سألت عن سبب غيابه، قيل لها أن فرماناً صدر بتوليده قيادة الجبهة مكان أبيه.

وإذن، فإن تاريخ الأسرة لم ينته بعد، فهي هو الوزير أحمد باشا، يسير على خطى والده، فيفتح همدان في واحدة من أشد الحروب ضراوة، ويمضي على رأس جيشه ليضم مناطق عديدة حولها إلى سلطته، وبدأت الأسرة تتلقى أنباء عميدها الجديد في كل حين، سلسلة من الانتصارات المتوالية، التي باتت حديث القصر والشارع على حد سواء. وحينما عاد أحمد باشا إلى بغداد منصوراً كانت المدينة ترى فيه قائداً من طراز جديد لم تألفه من قبل، حتى أن أحد شعراء بغداد وصفه في قصيدة له بأنه (روح بغداد)^(٧).

وبدأت سيدات القصر يتناقلن هذه المرة أخباراً ذات طبيعة مختلفة عما يدور في جبهة القتال، فهامي خديجة خانم قد بلغت السادسة عشرة، أو السابعة عشرة، من عمرها، فلا بد للفتاة من زوج يليق بمكانة أسرتها، وكونها ابنة أخت والي بغداد نفسه. وسرعان ما تناهت إليها جليلة الخبر، لقد اختار لها خالها زوجاً من كبار قادته، هو محمد باشا، وهامي تتذكر تلك الاحتفالات البهيجة التي عمّت القصر، بمناسبة زواجها، وما جرى في بغداد من مظاهر الفرح والزينة. ولم تمض سنتان، حتى زوج خالها ابنته الكبرى عادلة خانم من أحد أبرز قادته من المماليك الذين أحسن تدريبهم، وهو الزواج الذي سيكون سبباً في انتقال السلطة إلى هذا الصهر، ليبدأ عهد جديد من حكم المماليك في العراق.

(٧) حديقة الزوراء، الورقة ١٩٠.

وفجأة تغير كل شيء، وانقلبت موازين القوى، فقد نقل عيون أحمد باشا الذين في داخل إيران، نبأ صعود رجل يدعى (نادر) من قادة الشاه الصفوي طهماسب، على غير توقع أحد، من بين الأحداث، ليتولى قيادة سفينة الصفويين الغارقة، فيحقق أولى انتصاراته على العثمانيين، ثم ليقتضي على الأسرة الصفوية نفسها، بالقضاء على آخر شاهاتها، وليعين نفسه شاهاً على إيران. وتدافعت الصور في وجدان هذه السيدة وهي تتأمل الماضي القريب، ولاحت من بينها صورة خالها الشاب أحمد باشا وهو يتولى قيادة مدينته في مواجهة حصار إيراني خائق لمدة سبعة شهور عجاف، وتذكرت ما كان يصل إلى أسماع من حولها من صمود المسدن العراقية الأخرى أمام حصارات مشابهة، وفي الواقع فإنها كانت أياماً شاقة كئيبة، لكنها كانت في الوقت نفسه امتحاناً لأهل بغداد في صبرهم وتحملهم ومقاومتهم وقوة إيمانهم بقضاء الله.

وتذكرت كيف جمع بينها وبين نساء أسرتها في زورق واحد استعداداً لمغادرة المدينة المحاصرة إلى البصرة، وما كانت تسمعه عن صور مدهشة من صمود الناس العاديين.

بيد أن شريط الذكريات لم يكن ليتوقف، فها هو نادرشاه يحاصر المدينة ثانية، وهاهو خالها يبرز من جديد ليؤدي دوره في التصدي للمعتدين. وما كاد الحصار الثاني أن ينتهي حتى فوجئت بخالها يُخبرها بنقله من بغداد ليصبح والياً على حلب، وهنا تضطرب، وأسررتها، إلى مغادرة القصر الذي اعتاد ولاية بغداد اتخاذه مقراً لسكناهم، والمطل على دجلة، لتخرج في حملة مسلحة إلى مقر المنصب الجديد، ولم تكن هذه

الرحلة تخلو من مخاطر، فقد تعرضت إلى مهاجمة بعض القبائل في منطقة الجزيرة، ولكن شجاعة أحمد باشا، وقوة جنده، مكن الموكب من الوصول إلى حلب بسلام.

ولم تطل الأيام في حلب، فسرعان ما وصلت أنباء مقلقة عن اضطراب الأوضاع العامة في العراق، وعودة الفوضى من جديد إلى بغداد، وإعلان أفواج الإنكجارية (= الإنكشارية) عصيانهم الوالي الضعيف الذي عينته الدولة، وهو أمر كان ينظر إليه بعين القلق على أساس أن أي ضعف من هذا النوع من شأنه أن يغري بتداع جديد في الجبهة، وهو ما كان ينتظره نادرشاه بكل تأكيد، فكان أن صدر فرمان بنقله والياً على بغداد من جديد، ليتولى إدارة المدينة في ظل ظروف بالغة الصعوبة. وهكذا قدر لخديجة خانم، وأسرتها الانتقال مرة أخرى إلى بغداد، حيث استقر مقامهم في قصر الولاية على دجلة، ومن هناك شرع أحمد باشا بتوطيد الأمن في ربوع العراق، وضرب التحركات التسي بدأت تُذَر بعواقب وخيمة في تلك الظروف المدهمة.

ولم تمض إلا سنوات حتى قدر للمدينة أن تواجه هجوماً إيرانياً جديداً، ذلك أن نادرشاه لم يكن لينسى مطامعه القديمة في أرض العراق، فدخلها بجيوشه الضخمة التي لم تُعرف البلاد مثلها عدداً وعدة من قبل، وضربت قواته حصاراً خانقاً على بغداد، وعلى البصرة، بينما توجه هو على رأس جيشه الرئيس إلى الموصل بهدف اقتحامها، لكن صمود المدينة الأسطوري، جعله يخفق في تحقيق هدفه هذا، ومن ثم الانسحاب منها، ومن المدن الأخرى، إلى داخل الأراضي الإيرانية.

وجاء اغتيال نادرشاه المفاجئ لينهي عهداً كاملاً من التوتر والقلق في المنطقة، وشهد العراق بعده نوعاً من الاستقرار، وظهرت ملامح الاستقرار في أسرة أحمد باشا نفسها، ففي ذلك العام جرى تزويج عائشة خانم، ابنة أحمد باشا الصغرى، من أحد مماليك أبيها البارزين، فعمّت الأفراح القصر، بعد عهد طويل من الحياة الجافة، بيد أن عمر الفرح لم يدم إلا لأشهر قليلة، فقد شاءت الأقدار أن يتوفى أحمد باشا نفسه، وهو على رأس حملة عسكرية له في نواحي دبالى، فينقل جثمانه إلى بغداد في موكب حزين، ليوارى الثرى قرب أبيه في مقبرة الإمام أبي حنيفة.

ولقد أدركت خديجة خاتون، وقد وصلت في ذكرياتها إلى هذه اللحظة الحاسمة، أن عهد الأسرة قد ولى، فأحمد باشا لم يكن له عقب من الذكور يمكن أن يتولى منصبه من بعده، ومن ثم كان طبيعياً أن يأتي زمان يجري فيه إسدال الستار على ذلك العهد بما فيه من جلائل الأعمال، وجميل الذكريات، وما قد صحت توقعاتها بسرعة، فقد تولى ولاية بغداد من بعده وال لم يثبت من الكفاءة ما يطمئن إليه أحد، وسرعان ما بدا للجميع، أن البناء الذي رفع قواعده حسن باشا وابنه أحمد باشا قد أمسى معرضاً للانحيار.

وفي هذه اللحظة، أدركت السيدة المثقفة، أن لا شيء يبقى الذكرى ماثلة في أذهان الأجيال، غير كتاب يؤلفه مؤرخ، فيحفظ فيه ما يمكن أن يكون نصيبه النسيان، ويسجل فيه من الوقائع ما يستحق أن يعيه الإنسان، وبهذا ولدت فكرة تكليف الشيخ عبد الرحمن السويدي، العالم المعروف،

والذي لم يكن غريباً عن أوساط قصر خالها، بتأليف (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء).

وعلى الرغم مما حفل به الكتاب من مآثر هذين الواليتين وما قيل من أماديح بشأنهما، فإن الكتاب نفسه لم يكن مما يأمر به الولاة والحكام لتخليد أعمالهم، وسبب ذلك واضح تماماً، فهو لم يكتب إلا بعد وفاة آخرهما، بل أنه كتب - في الحقيقة - في عهد اضطربت فيه الأحوال بعد استقرارها، ولم يكن أول مماليكهما^(٨) قد وصل السلطة بعد، وقد نوه عبد الرحمن بتلك الظروف المضطربة فيما سماه (استطراداً) أضافه إلى بعض صفحات الكتاب. ويمكن أن نفهم من هذا الاستطراد أنه لم يكن راضياً عما يجري من أحداث في أثناء عكوفه على أداء عمله. بل أن مجرد تأليفه الكتاب، وإطرائه سيرة الواليتين اللتين حكما نصف قرن من تاريخ بغداد وتوابعها، يمكن أن يحمل معنى النقد الحقيقي للعهد الجديد، المتسم بالضعف والارتباك في مواجهة التحديات.

ولنا أن نلاحظ أنه ألف، بعد نحو ربع قرن من تأليفه هذا الكتاب، كتاباً آخر في تاريخ بغداد في أثناء محنة سياسية تعرضت لها هذه المدينة، فكانت دوافعه إلى تأليفه فضح تقاعس المسؤولين عن ضياع البصرة حينما احتلها الإيرانيون سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وفيه نقد لاذع لوالي بغداد آنذاك عبد الله باشا، والمنسوب العثماني المرسل لإنقاذ الموقف، سليم أفندي، حتى أنه سماه (لثيم أفندي) و (الكلب الرومي) فدلّ

(٨) هو سليمان باشا المعروف بأبي ليلة، زوج عائلة خانم ابنة أحمد باشا الكبرى.

ذلك على ما كان يتوخاه من كتابة التاريخ، وهو نقد شخصه، أو تقويم مواقفهم في أدنى تقدير^(٩).

ومن المؤكد أن مهمة السويدي لم تكن ميسرة في ظل الظروف التي واكبت تأليفه (حديقة الزوراء)، فأبواب السراي لم تعد مفتوحة أمامه، كما كان يجري في عهد الوالي السابق، وكثيراً من قادة المماليك أبعادوا عن مناصبهم، ومن ثم لم يعد ممكناً أن يطلع على الوثائق التي صانعيها مباشرة، كما لم يكن ميسراً له الآن الاطلاع على الوثائق اللازمة لكتابة تاريخه، مما كان يحفظ عادة في أرشيف ديوان الإنشاء في سراي بغداد. ومما زاد الأمر صعوبة ما جرت به العادة من مغادرة أسرة الوالي السابق قصر الولاية الرسمي، ليحل به الوالي التالي، وفي الغالب فإن خديجة خاتون انتقلت مع أسرتها إلى قصر آخر قريب، في موقع نزه مطل على دجلة أيضاً^(١٠)، إلا أنها في موقعها الجديد لم تعد قادرة على تزويد

(٩) عثرنا على هذا الكتاب في خزانة مخطوطات المكتبة القادرية ببغداد، في أثناء اشتغالنا بفهرستها، وحققناه وعلقنا عليه وعنوانه بـ (تاريخ حراث بغداد والبصرة) إذ خلت النسخة من عنوان له، ووصفناه في الفهرس الذي أعدناه لمحتويات هذه الخزانة (الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج ٤ [بغداد ١٩٨٠] ص ١٢٧).

(١٠) كان كبار قادة أحمد باشا، ثم مماليكه من بعده، قد اتخذوا قصورهم في الأرض الشاطئية المجاورة للقصر المخصص لإقامة ولاية بغداد (مبنى وزارة التربية فيما بعد، فجلس شعب محافظة بغداد اليوم) ومبنى سراي بغداد الملاصق له (مبنى مديرية الشرطة العامة فيما بعد) وهذه القصور هي التي تحولت بعد انقضاء عهد المماليك إلى ثكنات لإقامة الجند، ثم شيد عليها في منتصف القرن الثالث عشر مبنى القسلة، الذي شغلته دوائر الدولة منذ عهد مدحت باشا وحتى اختلاله نهائياً في أواسط الثمانينات من القرن العشرين.

المؤرخ الذي كلفته بما يحتاجه من أوراق رسمية محفوظة فسي أرشيف القصر.

بدأ عبد الرحمن السويدي عمله إذن وهو لا يملك إلا مصادره هو، ولم تكن هذه المصادر تتجاوز في الغالب حدود ذكريات أبيه، ومدونات، وشهادته هو على العصر الذي يكتب تاريخه، وسرعان ما اكتشف أن مثلي هذه المصادر، وإن كانت تسد فراغاً لا بأس به من تاريخ بغداد، إلا أنها غير كافية لمعرفة جوانب أخرى لا تقل أهمية، مثل السيرة الإدارية والعسكرية لحسن باشا وابنه أحمد باشا قبل توليهما حكم بغداد، وأصل الأسرة، وتفاصيل ضرورية لفهم تاريخ إيران بعد انهيار السلطنة الصفوية، وتعرض البلاد إلى غزو أفغاني كاسح، وما جرى في أثناء ذلك من اتفاقات ومعاهدات ومراسلات رسمية، وطبيعة العلاقات المتقلبة بين نادرشاه وبين الدولة العثمانية. ومن هنا أخذ يسعى لسد حاجته إلى مثل هذه المعلومات من مصادر شتى.

ولعل أول تلك المصادر كانت ذاكرة خديجة خانم نفسها، ففي الكتاب معلومات عن أصل حسن باشا، ووظائفه الأولى، وسيرته المبكرة في خدمة الدولة، مما لم يكن يعرفه إلا الخاصة من أسرته، والراجح أن خديجة خانم لم تبخل بمثل هذه المعلومات عن جدها بأية حال. ومما دل على أنها كانت تعتمد على ذاكرتها المستمدة من أقوال خالها وأبيها مباشرة، أن هذه المعلومات، على أهميتها وجديتها، جاءت خلواً من التواريخ التي تضبط أزمنة ما تحكي عنه من أحداث. ويصح ذلك أيضاً على الحقة الأولى من حكم حسن باشا في بغداد، فإنه اعتمد فيها على

روايات أبيه، وشيوخ محلته ومدينته، فوجدناه يروي تفاصيل سبقت عهد حسن باشا معتمداً على ما سمعه من (الكهول).

ومع أنه لم يسجل لنا أسماء هؤلاء الذين أخذ عنهم، فإن من الواضح أنه كان يختارهم ممن لهم مشاركة في حدث، أو شهادة عليه في أدنى تقدير، ودليلنا على ذلك أنه استطاع أن يسجل من خلال رواياتهم تفاصيل ما كان في وسعه أن يسجلها لو لم يحسن اختيار شهوده. ففي أثناء حديثه عن حروب حسن باشا وأحمد باشا في إيران، سجل لقرائه صورة مفعمة بالحياة لحصار همدان، وقصفها، واقتحامها، وما جرى في أثناء ذلك من شؤون، وإذا ما علمنا أن السويدي لم يصاحب الجيش، بل لم يغادر بغداد أصلاً حتى ذلك الوقت، تأكد لنا أن مثل هذه المعلومات كان يستمدّها من ضباط كانوا برفقة حسن باشا، شاركوا في الأحداث، وعاشوها بكل تفاصيلها، ومن ثم جاءت رواياتهم عنها دقيقة إلى حد كبير. فمن تلك الروايات ما نقله عن "بعض الإثبات" (١١) و"من أثنى به" (١٢) و"من شاهده" (١٣) و"من شاهد الواقعة" (١٤) و"غير واحد من الكماة الذين كانوا أول الحملة" (١٥) و"بعض الجند" (١٦). وهو لم يكن يثبت مما كان يتحصل عنده

(١١) الأصل، الورقة ١١٤.

(١٢) الأصل، الورقة ١٥١.

(١٣) الأصل، الورقة ١٧٦.

(١٤) الأصل، الورقة ١٠٩.

(١٥) الأصل، الورقة ١٠٩ ب.

(١٦) الأصل، الورقتان ١١١ ب و ٢٥٤ ب.

من روايات إلا بعد مقابلة وتدقيق، فقد صرح ان "ما ثبت في هذا الكتاب هو رواية الأكثر"^(١٧).

وفي الكتاب متابعات مهمة لما كان يجري في إيران من تداعيات سياسية وعسكرية، في أعقاب انهيار الحكم الصفوي، وتعرض البلاد إلى الغزو الأفغاني، بل أن فيه معلومات جديدة عن أسباب هذا الغزو كما بدت جلية في بلاد الأفغان ذاتها، وبالطبع فإن مثل هذه المعلومات كان يستند فيه إلى مصادر جيدة المتابعة والفهم لما جرى من أحداث.

ولما كان الأدباء والشعراء هم متقفي ذلك العهد، وكان السويدي نفسه معدوداً منهم، فإنه رجع إلى المجموعات الشعرية التي ضمت قصائدهم مما قالوه في مناسبات تاريخية مختلفة، مثل وصف حصار، أو حملة، أو تعمیر جامع، أو القضاء على عدو ما، ومعظم هؤلاء الشعراء كان يميل إلى تسجيل تاريخ المناسبة التي يصفها بحساب الجمل، وهكذا حصل عبد الرحمن على معلومات تاريخية لا يستهان بها من خلال تلك القصائد، ومن تلك المعلومات ما هو فريد في بابه، غزير في تفاصيله.

ولم يكتف مؤرخنا بهذا وحسب، وإنما سعى، بكل جد، إلى الحصول على ما يلزمه من وثائق تتضمن مراسلات رسمية جرت بين الجانبين الإيراني والعثماني، فحصل على نص رسالة أهل همدان إلى والي بغداد حسن باشا من أحد علماء بغداد، كانت تربطه بأبيه صلة الزمالة في الدرس، وقد أعطي إياها ليرد عليها. ولا ندري كيف استطاع أن يحصل

(١٧) الأصل، الورقة ١٥٤ ب.

على نصوص الوثائق السرية، ومنها نص رسالة أشرف خان الأفغاني إلى السلطان العثماني، حول مسائل تتعلق بأحقية كل منهما بالخلافة، وأمور أخرى. وبحكم صلاته بأدباء المدن العراقية الأخرى فإنه حصل، من خلال رسائله إليهم، على معلومات مكملة لما يعرفه، مما تعرضت له تلك المدن، في أثناء حصار نادرشاه لها.

والمهم أنه استطاع أن يقدم من كل هذا الشتات من المعلومات صوراً تاريخية متتابعة، متكاملة من حيث مقدماتها ونتائجها، فأثبت بذلك أنه كان يمتلك قدرة فطرية، مما يتميز بها المؤرخون عن غيرهم، في (رؤية) الحدث الماضي، و (روايته) معاً.

وعلى الرغم من أن اختيار السويدي لعنوان كتابه، يوحي بأنه أراد أن يكتب سيرة واليبن تعاقبا على حكم وطنه، فهذا هو ما طلبته منه خديجة خانم بالتحديد، إلا أن منهج الكتابة نفسه كان يلتزم ما تعارف عليه المؤرخون المسلمون عامة، وخلاصة هذا المنهج أن ترتب الأحداث على وفق تعاقب السنين، والأشهر أحياناً، ومن ثم يكفل المنهج توضيح الصلة بين سبب الحدث ونتائجه بوصفه يحاكي ما جرى في الواقع فعلاً.

وبحكم ميول السويدي الأدبية، والذوق الأدبي السائد في ذلك العهد، فإنه فضل أن يكتب تاريخه بأسلوب أدبي مسجوع، لم يشذ عن التزامه إلا نادراً، ولا شك في أن هذا الأسلوب استلزم من مؤرخنا جهداً إضافياً شاقاً، إلا أن علينا القول بأن التزامه إياه لم يؤد إلى غموض في معنى، أو غمط لفكرة، أو أقال القارئ بعبء فهم ما اختاره من ألفاظ، إلا قليلاً، وواضح أنه ما كتب ما كتب إلا لقارئ متقف، يحسن فهم الألفاظ وإن كانت تخرج

عما هو مألوف أو متداول من لفظ، ويقدر الصياغة الأدبية وأساليب التعبير حق التقدير، وهنا لابد من القول بأن ثقة السويدي بحسن ثقافة من سيهدي إليها كتابه هي التي شجعتة على بذل هذا المجهود، فهذه السيدة كانت بخلاف أكثر سيدات القصر، عربية الأرومة، كثيرة الاطلاع، وافرة العقل، كما يصفها هو في بعض تضاعيف كتابه.

ولنا بعد هذا أن نتساءل: هل قدّم السويدي صورة قريبة من الواقع فيما كتبه من سيرة هذين الواليين؟ أو أنه أخفى من هذه السيرة شيئاً رآه يخل بتلك الصورة لدى قارئها؟ وللإجابة على هذا التساؤل فإننا لم نقابل كتابه على الكتب التي كتبها مؤرخون متأخرون، مثل كتاب (دوحة الوزراء في سيرة بغداد الزوراء)، الذي وضعه بالتركية الأديب رسول حاوي الكركوكلي^(١٨)، أو (حروب الإيرانيين في العراق) الذي ألفه بالتركية أيضاً سليمان فائق^(١٩)، مؤرخ المماليك، ذلك أن مؤلفي هذه الكتب نقلوا، بصفة مباشرة كما فعل أولهما، أو غير مباشرة كما كتب ثانيهما، من كتاب (حديقة الزوراء) نفسه، والتزموا مادته بصفة مطلقة تقريباً، ومن ثم فلا تصلح كتبهم لمقابلته عليها لهذا الغرض، وإنما قابلنا معلوماته على ذلك الكم من الوثائق العثمانية الرسمية التي لا تزال تحتفظ بها دائرة الوثائق الملحقة بمجلس الوزراء التركي، وهي ما تتضمنه الدفاتر المعروفة باسم (دفاتر مهمة) وتحوي نسخاً من الأوامر الرسمية التي كانت الدولة العثمانية تبعث بها إلى ولايتها، ومنهم - بالطبع - حسن باشا

(١٨) توفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م.

(١٩) توفي سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م.

وأحمد باشا، وعند قراءتنا لهذه الأوامر الصادرة في عهديهما لم نجد ثمة أمراً يناقض ما رواه السويدي، أو يقدم صورة مخالفة لما سجله، إلا نادراً، حينما يتعذر عليه اكتشاف سبب قرار ما لعدم اطلاعه على ما يخصه من وثائق.

ولا ندري ما إذا كان السويدي قد أهدى كتابه، بعد أن فرغ منه، إلى خديجة خانم أم لا، وسبب شكنا هو أن النسخة الأصل، التي كتبت بأمر منه، وقابلها هو بنفسه، ضمت تعليقات كثيرة، وإضافات متأخرة بخطه، ومنها ما يغير العبارة تماماً، أو يزيد تفاصيل جديدة، فلو كان الكتاب قد وصل إلى تلك السيدة، فمن أين له الفرصة في أن يغير ما يغير، وأن يشطب ويضيف من المعلومات كلما شاء ذلك؟ ألا يدعونا هذا إلى تصور أن هذه النسخة ظلت في خزانة كتبه يجري فيها قلمه كلما استجد عنده ما يدعو إلى ذلك؟ ولا يبعد أن تكون ثمة نسخة من الأصل، قبل إجراء هذه التعديلات، قد أهداها إلى خديجة خانم، لكنها فُقدت فيما بعد فلم يُعثر منها على أثر.

وعلى أية حال، فإن نسخة السويدي هذه، وهي الأم بحكم أنه نظر فيها وصححها بقلمه، قد وجدت طريقها إلى مكتبة المتحف البريطاني، حيث استقرت فيه تحت العدد ADD. 18507 وحينما حصلنا على نسخة مصورة منها تبين لنا أنها كتبت بخط نسخ مجود، مشكول الحروف، وهي تقع في ٢٢٥ ورقة مُجدولة، في كل منها ٢١ سطراً، قد كتبت على الورقة الأولى من المخطوط عبارة (تاريخ بغداد لابن السويدي)، وفوقها تمليكات

كتبت بعد وفاة المؤلف^(٢٠)، أحدها نصه (آل إلى نوبة الفقير إلى الله السرمدي أبو الخير الحاج عبد الرحيم بن الشيخ محمد المعروف بالسويدي عفي عنهما) والآخر (انتقل إلى الفقير سليمان السويدي)، وثمة تملك ثالث ضرب عليه بالحبر على نحو طمسه تقريباً لكننا استطعنا أن نقرأ منه بعد التأمل العبارة الآتية (دخل في [نوبة؟] الفقير إلى ربه الغني، محمد بن المرحوم.. عبد.. في ذو الحجة سنة ١٢١٢ والحمد لله..)، فلقد لنا من خلال هذه التمليكات أن النسخة لم تخرج من خزانة مؤلفها، لأنها انتقلت من بعده إلى ورثته الشرعيين^(٢١). وتزين الورقة الأولى من

(٢٠) اتسمت حياة عبد الرحمن السويدي بعد وفاة أحمد باشا، بالدعة والاستقرار، وكان له دور في إطفاء فتنة كانت أن تتحول إلى شر وبيل بسبب تنافس مسبعة من الكتدائية (مساعد الوالي) على تولي الحكم بعد وفاة سليمان باشا الكبير، ثم اضطر، وهو في الثالثة والخمسين من عمره إلى أن يطلب النجاة من طاعون جارف كان قد داهم العراق سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م، والانتقال إلى البصرة فالكويت حيث مكث مدة يدرس العلوم الدينية وبخاصة الحديث الشريف، ثم أنه اختير قاضياً للبصرة، فلبث يتولى هذا المنصب نحو سنة أو أكثر، عاد بعدها إلى بغداد حيث تزعم إذ ذاك أهل الجانب الغربي في أثناء الفتنة المعروفة بفتنة عجم محمد، وقد أثير إليها من قبل، ثم انضم إلى زعامة آل الشاوي أمراء قبيلة العبيد العربية، التي تولت قيادة ثورة البغداديين من أهل الجانبين الشرقي والغربي، وكان له دور بارز فيها، وبعد انتهاء هذه الأحداث لبث في بيته مدة، قبل أن يتوفى - رحمه الله - في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٠٠هـ/١ شباط سنة ١٧٨٦م.

(٢١) أعقب ولداً ذكراً واحداً هو محمد وكان للأخير ولدان هما عبد الرحيم، وسليمان (سليمان). تنظر شجرة آل السويدي، وثقها وحققها السيد علي بن بدري السويدي، سنة ١٤٢١هـ.

النسخة (رأس لوحة) تتضمن زخارف نباتية ملونة. ويظهر أن أحد مالكيها عهد بها إلى مجلد ليجلدها، فلم يُحسن هذا المجلد عمله، لأننا وجدنا بعض الأوراق في غير مواضعها، مما استدعى منا أن نعيد ترتيبها على نحو ما أراد لها المؤلف.

ومن المؤكد أن السويدي قد بذل جهداً فائقاً في مقابلة النسخة على أخرى كانت لديه، وربما كانت مسودة الكتاب نفسه، فإننا وجدناه يكتب في مواضع من هوامشها عبارة اعتاد المؤلفون وضعها عند مقابلتهم ما ينسخه النساخ من مؤلفاتهم على أصولها، وهي (بلغ نظراً)، كما أن على هذه الهوامش كلمات، وعبارات، بل وفقرات كاملة، سقطت من النسخة، فأضافها بخطه هناك، مما دل على النسخ وإن كان خطأً مجوداً كما سيظهر من جمال خطه وإتقانه، إلا أنه لم يكن حريصاً على سلامة ما ينقل من السقط، ولو لم يتعهد مؤلف الكتاب بمقابلتها على النحو الدقيق الذي فعل، لبقيت هذه النسخة على ما هي عليه من سقط ونقص. ومما زاد في قيمة النسخة متابعة المؤلف لما أورده فيها من معلومات تاريخية، فإننا وجدنا يضرب على مواضع، وفقرات، وعدة صفحات أحياناً، ويكتب على هامشها نصاً بديلاً آخر.

وحينما انتوينا تحقيق الكتاب منذ نحو ربع قرن، بحثنا عن نسخ أخرى منه، فوقفنا على نسخة تحتفظ بها خزانة المخطوطات في مكتبة المتحف العراقي، ومنها نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي ببغداد تحت العدد ٢٥٥، تفضل المجمع الموقر بإهدائنا نسخة منها، فإذا بها تقع في ١٧٥ ورقة، في كل منها ٣١ أو ٣٢ سطراً، كتب في الورقة الأولى

منها ما يأتي "حديقة الزوراء في سيرة الوزراء للعلامة أبي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير بالسويدي رحمه الله تعالى" وهي بخط معتاد، دقيق الحرف، غير مشكول، وقد كتب في آخرها العبارة الآتية "وكان إتمام نسخه في اليوم السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ من كتبخانة شيخ الإسلام بمدينة خير الأنام صلى الله عليه وسلم"، وحينما قابلنا هذه النسخة على نسخة المتحف البريطاني تأكد أنها منقولة عنها نقلاً حرفياً.

وكان الدكتور صفاء خلوصي، الأستاذ في جامعة بغداد، رحمه الله، قد نهد إلى نشر الكتاب، فأصدر منه جزءاً صغيراً يتضمن القسم الأول، وهو الخاص بسيرة حسن باشا، معتمداً على نسخة المتحف البريطاني أصلاً له، فقابلنا نشرته على هذا الأصل، ففتين لنا أن المنشور يبلغ ٦٦ ورقة، أي نحو ربع الكتاب تقريباً، وأنه اكتفى في نشرته بشرح بعض الألفاظ شرحاً لغوياً مجرداً، فلم يوضح مصطلحاً، أو يعرف بأعلام الرجال أو المواقع، على كثرة من يحفل بهم الكتاب. وفي النشرة أخطاء غير قليلة في قراءة النص، وكلمات، وفقرات، سقطت بسبب قفز النظر من سطر إلى آخر، ومن ذلك ما يُخل بالمعنى ويربكه^(٢٢).

(٢٢) انتقد المؤرخ عباس العزاوي هذه الطبعة فقال 'وطبع الجزء الأول منها (أي من مخطوطة الحديقة) ببغداد بمطبعة الزعيم، نشره الدكتور صفاء خلوصي، الأستاذ بجامعة بغداد، وهو خال من التحقيق العلمي، وغالب مراجعه غير معتمدة، ولم يرجع إلى نصوص معاصرة موثوقة. طبع طبعة سقيمة مشحونة بالأغلاط مما يدل على أن الدكتور الناشر لم يبذل العناية الدقيقة للمقابلة مع النسخة الأصلية، وليس =

ثم أن الشيخ محمد بهجة الأثري - رحمه الله - نشر مقتبسات انتقاها من القسم الثاني من الكتاب، في فصل عنوانه (حملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان) من كتاب أصدره بعنوان (ذرائع العصيانات العنصرية في إثارة الحروب)^(١٢)، وأطلق على هذه المقتبسات، وهي تمثل فقرات، وصفحات متفرقة، من الكتاب، اسم (وثائق)، واعتمد في اقتباسه على مخطوطة المتحف البريطاني نفسها، مقابل إياها على نسخة المتحف العراقي، ولكنه لم يخرج من هذه المقابلة إلا بآثبات العديد من الأخطاء الإملائية التي وقع فيها ناسخ الأخيرة، وهو أمر منطقي لأن هذه النسخة غير أصيلة، وهي منقولة من النسخة الأولى كما ذكرنا من قبل، على أن من المهم قوله أن الشيخ الأثري رحمه الله شرح الألفاظ الغريبة، أو غير المألوفة، التي وردت في تلك المقتبسات المختارة، شرحاً لغوياً، وأطنب في التعليق على مثل هذه الألفاظ، مع أن موضوع الكتاب هو التاريخ، لا اللغة.

ونظراً لأهمية الكتاب، وكونه يتضمن معلومات جمّة عن جوانب من علاقات العراق بجيرانه، وأنه يلقي ضوءاً على تاريخ العلاقات الإيرانية الأفغانية، وتاريخ العلاقات الإيرانية - العثمانية، فضلاً عما يضمه من معلومات مفصلة عن حروب العثمانيين في إيران، وحروب

سفيها قائمة تصحيح، فلا يعول عليها في نصوصها ولا في ضبط تواريخها" (تاريخ الأدب العربي في العراق، الطبعة الثانية بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠٢، ص ١٨٨).

(١٢) مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨١ م.

الإيرانيين في العراق، ومن صور شائعة عن ثبات العراقيين وما أبدوه من
بسالة نادرة في الدفاع عن مدنها إزاء الحصارات الإيرانية المتكررة في
عهد نادرشاه، ولما يلقيه من ضوء على علاقة السلطة المركزية بالقبائل،
وتسجيله لأسماء عدد من القبائل العراقية ومواطنها في أرياف العراق
وبواديها في ذلك العهد، ولما يتضمنه أيضاً من معلومات خطية
وجغرافية وحضارية متنوعة، فقد قمنا بتحقيقه كاملاً، على وفق قواعد
تحقيق المخطوطات المتبعة في هذا الشأن، متبعين الخطوات الآتية:

١- اعتمدنا نسخة المتحف البريطاني أصلاً في التحقيق، وأشرنا إليها
بلفظ (الأصل)، أما نسخة المتحف العراقي، فهي منقولة عنها، وقد
التزم ناسخ الأخيرة التزاماً كاملاً بنقل ما ورد فيها من تغييرات أحدثها
المؤلف، إلا أنه وقع في أثناء نسخه فيما يقع فيه النساخ عادة من
أخطاء متنوعة، وأكثرها أخطاء في قراءة الكلم، أو أخطاء إملائية
بحثة، وسقط لكلمة هنا، وعبارة هناك، فلم نجد أدنى فائدة في إتقال
الهوامش بمئات من الأخطاء التي ارتكبها هذا الناسخ عن غير قصد.
على أننا أقدنا من هذه النسخة في مرات نادرة، كان ناسخها قد صوب
ما رآه من خطأ وقع في الأصل، فأثبتنا ذلك في مواضعه، ورمزنا لها
بالحرف (ب).

٢- ضبطنا النص المَحَقَّق، وصححنا ما وقع به ناسخ الأصل من أخطاء
إملائية، وبخاصة طريقة رسم الهمزة، والخلط بين الألف الممدودة
والمقصورة، ونحو ذلك مما يكثر لدى الكتاب والناسخين المتأخرين.

٣- شرحنا معظم ما رأيناه مهماً من غامض اللفظ، شرحاً لغوياً مناسباً لمعناه في سياقه.

٤- عرّفنا بالمثلثات من أعلام الأشخاص الذين حفل الكتاب بأسمائهم، وأحلنا القارئ إلى مصادر ذلك التعريف. كما علّقنا على أسماء المدن والنواحي والمباني بتعليقات توضح مبهمها، وأثبتنا ذلك كله في مواضعه من الكتاب.

٥- أثبتنا في المتن جميع ما ورد في هامش الأصل من إضافات وتغييرات بوصفها تمثل آخر ما انتهى إليه المؤلف، بينما نقلنا ما ضرب عليه في المتن إلى الهامش .

٦- تابعنا المؤلف فيما ساقه من أخبار، وما رواه من حوادث وشاهده من آثار، فقابلنا ذلك كله بالمصادر التاريخية المعاصرة، مخطوطة ومطبوعة، كلما اقتضى الأمر التحقق من روايات المؤلف وأخباره، وأقدنا بوجه خاص من مكنونات الأرشيف العثماني الذي يضم نسخاً من الأوامر الموجهة إلى ولاية بغداد لتوضيح ما أراده المؤلف، أو فاته أن يذكره لنقص في مصادر معلوماته.

٧- أثبتنا التاريخ الميلادي مقابلًا للتاريخ الهجري حيثما ورد ذلك في الكتاب، ووجه الفائدة في هذا التيسير على القارئ في متابعة الأحداث في المصادر والدراسات التي تلتزم التاريخ الميلادي وحده.

٨- علّقنا على ما ورد في تضاعيف النص من كلمات ومصطلحات غير عربية، أو التي لها مدلولها التاريخي الخاص، بشروح تستوفي معانيها.

٩- قسّم المؤلف كتابه إلى فصول لكنه لم يضع لها عنوانات، فوضعنا لها ما يناسبها من عنوانات موضحة لمضامينها، وحصرناها بعضادات، كما أضفنا عنوانات أخرى، للغرض نفسه، وحصرناها بعضادات أيضاً.

ويطيبُ لي هنا، أن أتقدم بالشكر الوافر إلى أخي الأستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي الذي كان له الفضل في تشجيعي على إنجاز الكتاب، وإلى الأخ الحاج وليد عبد الكريم الاعظمي الذي تفضل بقراءة النص المحقق وإبداء الملاحظات المفيدة بشأنه، جزاهما الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

وأخيراً، فهذا هو كتاب آخر من أصول تاريخ العراق في القرون المتأخرة، نخرجه للباحثين والقراء أملاً في أن يجدوا فيه ما يفيدهم في دراساتهم عن هذه الحقبة المهمة من تاريخنا الحديث. والله من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

١١ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

١٦ تموز ٢٠٠٢م



تمليكات في أول الأصل المحفوظ في مكتبة المتحف البريطاني



الورقة (11) من نسخة المتحف البريطاني

قَدَرْتُمْ نِعْمَةً لَّوْهِي ۝ وَالْمُسْلِمُ إِيمَانُهُ لَقَدْ لَوْفَ
 انْتِخَادُ كُلِّ قَرْفَةٍ رَبِّكَ اسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ وَيَكُونُ
 أَمْرُهُمْ فِي الْحُكُومَاتِ عَلَيْهِ ۝ حَرِّصْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ
 وَسَمَّيْنَا الْإِيمَانَ بِمَدِّ الدُّعْوَى وَالْإِيمَانِ ۝ وَلَمْ نَزَلْ
 شَيْئًا مِنْهُمْ ۝ وَعَلَيْهَا عَقِيدَةٌ وَمِنْهُمْ ۝ أَلَا أَرْسَلُ
 اللَّهُ الرُّسُلَ مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ۝ وَنُحَذِّرُكَ مِنْ غَدْرٍ
 أَجْلَعِ هَذَا الدِّينَ ۝ فَتَرَعُوا الشَّرْعَ بِبَيِّنَاتٍ لِّإِيمَانِهِ
 وَسَمَّيْنَا الدِّينَ ۝ وَرَفَعُوا أَمَانَةَ الْإِسْلَامِ ۝ وَمَنْ نَزَلَ
 مَلَكُوتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ هَذِهِ سَيِّدَتُهُمْ وَعَلَيْهَا
 طَوْنُ سَيِّدَتِهِمْ ۝ وَلَا سَيِّدَ أَحَدٍ يَحْضُرُ الرُّسُلَ
 وَتَقْدِيرُ الْخَلَاءِ وَالْبَاءِ ۝ مُحَمَّدٌ الشَّرِيفُ مِنَ الْبَرَّةِ
 حَسَنُ الشَّرِيفِ سَلِيمُ الْعِلَّةِ ۝ يَا لَيْلَى كَانَ سَيِّدُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَقِّهَا عَلَى الْإِسْلَامِ الْأَمِيرِ وَمُؤَمِّلًا
 عَلَى هَذِهِ الْأَمْرِ الْمُسْتَوْدَعِ حَتَّى بَانَ فِي هَذَا الْمَعَامِ
 فَتَأْتِيهِ الرُّسُلُ ۝ وَأَنَّا لَإِسْلَامُ ۝ وَزَلَّيْ خَلَّتْ
 الْمَشْرِيقُ الْأَيْسُ ۝ وَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو الْبَاقِلُ ۝ أَلَا
 الدُّعْوَى فِي سَبِيلِ دَعْوِيهِ ۝ وَأَمَّا الْحَاقِقُ فِي الْحَقِّ
 بِالْإِيمَانِ فِي سَبِيلِ بَلِيَّةٍ ۝ فَكَلَّ مَعَهُ بَيِّنَاتٍ وَاجِبُ
 وَمَشْتَبِهٌ مِمَّا يَأْتِيهَا الرُّسُلُ يُلَاقِي مَا أَرْسَلَتْ
 بِهِ ۝ حَتَّى لَقِيَ اللَّهُ رُوحَهُ الشَّرِيفَةَ وَرَفَعَ إِلَيْهِ
 رُوحَانِيَّتَهُ الْفَلْطِيَّةَ ۝ أَرَادَهُ لَمْ يَنْزِلْ رُسُلًا لِّلْمَسَائِلِ

الورقة اب من نسخة المتحف البريطاني

وَاللَّهِ أَشَقُّ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ سِرًّا سَمِيًّا أَيْهَا السَّائِلُونَ مَا ذَكَرْتُمْ
 هُوَ عَشْرُ عَشْرِ أَلْفٍ مِنْ شَيْءٍ هَذَيْنِ الْوَزِيرَيْنِ وَحَقَّائِلِ
 عَدِيدٍ أَهَامِيْنِ الْكَبِيرَيْنِ وَإِلَّا لَوُجِعَتْ قُرَابُسُ شَيْئَانِ لَمْ
 يَلْقُ الْعَوْرَةَ نَفْسٌ شَمَائِلِيهَا وَلَئِنْ لَكَ حَقَائِلِيهَا وَإِلَّا كَلَّ
 عَزْدَانِيهَا وَإِجْلُ سِدِّيَاتِيهَا وَلَكِنْ مَا ذَكَرْتُمْ هُوَ كَأَنَّهُ مُضَدُّ
 وَنَفْسُهُ مَقْهُورٌ حَيْثُ شَأْنُ هَذَا الْعِرَاقِ بَعْدَهَا ذَمِيَّتْ أَمَانَةُ
 وَأَنْدَرِيَّتْ مِنَ الْهَنَاءِ دُبُرُهُ وَأَوْطَانُهُ وَتَقْنِيَّتْ عَيْنِ الْإِسْتِغْنَاءِ
 مَا قَوْمَتَاهُ فِي الْإِسْطِطَارِ فَحَمْدُهَا اللَّهُ وَتَحْمِيَّتُهَا لَهَا
 وَمَا لَقِيتُ بِهَا صُلْحًا أَمِيْنٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَتَحِيَّهِ أَجْمَعِينَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ

الْقَائِمِ

الورقة الأخيرة من نسخة المتحف البريطاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنْ أَحْسَنَ مَا تَخْلَى بِهِ عَرَانِي طَرِيقَ مَنْ وَأَشْرِي مَا تَرْتَلِجُ أَيْدِي مَنْ
 تَفَاسِي لِفُتُوسِ وَأَجْمَلُ مَا يُؤَدُّ بِهِ صَوَاتُ الدُّعَا وَأَكْمَلُ مَا تَحْلُو بِهِ مَرْجِي
 الصَّبْرَ حَيْثُ مِنْ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ
 فَأَتَمَّهُ وَوَدَّعَتْهُ حَقَقَةً عَلَى اسْمِ شَيْءٍ وَأَحْكَمَ تَكْوِينَهُ فَبَسَّطَ الْكِبْرِيَاءَ
 عَلَى قِيَامِ الْمَاءِ وَوَدَّ عَلَيْهِ رَوَاقَ الْخَضِرَاءِ فَوَقَّعَتْهُ الرُّوحُ فَكَلَّمَتْهُ نَوْعًا
 فِي الْأَوَّلِ وَطَبَّرَتْهُ الرُّوحُ حَتَّى رَأَتْهُ النَّارَ حَتَّى كَلَّمَهُ فِي الْأَوَّلِ
 وَطَبَّرَتْهُ بِأَيْدِيهِمْ بِالْأَوَّلِ فَتَعَالَى فَتَعَالَى الْعَالَمِ الْوَحِيدِ وَالْأَوَّلِ
 الْقَلْبِي الرَّبِّي بِاتِّخَاذِ كُلِّ فِرْقَةٍ وَيَسِيَّاسَتِنْدُونَ إِلَيْهِ وَيَكُونُونَ بِهِمْ فِي
 الْحُلُومِ مَا عَلَيْهِمْ حُجُومًا عَلَى الْأَتَقِيْمِ وَطَعْمًا بِالْأَتَقِيْمِ مَدِيحًا لِدَهْوِ الْوَقْتِ
 وَلَمْ تَزَلْ مَدَى شَاسْتَنَامِ وَعَلَيْهَا عَقِيدَتُهُمْ وَمَلَتُهُمْ إِلَى أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ
 بِشَيْئٍ وَمَذْمُومٍ وَمُحْدَرِيْنٍ مِنْ قَدَمِ أَتْبَاعِ مَذَاكِرِيْنٍ فَشَرَّحُوا الشَّرْحَ
 بَيْنَ الْإِتْمَامِ وَبَسْطِ الْكَفْرِ وَرَفَعُوا مَنَارَ السَّادَمِ وَلَمْ تَزَلْ مَلَأَ اللَّهُ

عَلَيْهِ

الورقة الأولى من نسخة المتحف العراقي المرموز إليها بنسخة (ب)

وانقيادهم ان شئتم فاعلموا حسنان مسائرا الى وادي الموسيان وخطا
 انقارا في المصنوعات وجمعا عليها اصل الحقيقة حيث الجاهلية فلما
 منها ان الوزير كانا كبرا ووجها منهما ان فعلنا حتى تقدم دعوا لنا ورس
 افعالي واحوالنا فمنازلا اقبل الفناء بيت بيت وتحدثنا باخيار
 الحراسيكيت وكيت وصارنا اشد من سنان واما عترياها التمر والبنار
 اما الخبز في الشوم فقلد جو على لسه خرقا الجاشنة خوقاسي النوار
 انما تتد وتوك القصدى للحايتة صرنا من النيازك الحارقة واماها
 فلما لم يشاهدنا حربي اضر فام عيانا ثم يلويها الى الانشار والاستسليم فلما
 وطعننا من مدها يفرهون القوافل ويقطعون عن السبل الربيعل ويأخذون
 اموال القرى ويستخذمون كالامراء كاسي البوري ودمروا من بقرهم من
 الفقير تدبير حيث عدوا صبر وصبرهم وظهرنا وعلوهم بالبحر
 وبواخذهم عند الهفوة فصرنا اشد كبري اجوالهم على النهر المظفر
 وشكا اصل القوافل لذي الليث الضيق فسال الهم الوزير لصورنا
 بالخير المظفر الجبور وسلك كفاة واربك راية وقرنا احياء ونحاة
 اطواد وكيتنا مسكندرية وعصيانا مستقيمة ولما عين بهم خسرنا
 وناب سحرة الحقيقة المراكبي قهر والمزير صيد وانهم قدامنا
 ابدوس وغانوا مملكتهم فصرنا فخرنا جانيه وتسللوا عثمانيين
 ان الوزير جلس باغت للاستراحة واخترنا ففوق للواحدة
 واصل العدا ربح طريق وسار كل الى جهة بالاعداء لاصق فصاروا
 على شاطئ النهر كل اخذ ناحية مفتش في الجهات عن تلك القرية
 البانيت فلما سار الوزير نحو اصبه لفرسان كان سيره الى ناحية
 المنارة فاسار كل من تلك الفرق المجهمة ومقصده دما اشرف بحمد
 ارضك افسان شامد حيام الاعداء قتلوا في الكارها لنيروان
 والبرية المروية احي كمين قد استت حيامهم بذلك المكان الخائفي
 ونعم ارضهم لذلك وشامدوا سواد حية الخائف فاصول المذوق
 وامرناهم بالاسواق وعبوا كتابهم خيلا وسهلا وصدا وروب
 سارهم بتارنا وسبلا فجاوبت جود الله المنازلة ورايت المائدة
 والطجينة اولئك الحاة استعانت والفرات الفرسان البادون عند
 لقاء العدو الاستبشار المبرح من جالهم نعل بشاير
 ولما اوردت لعدو سربها ورايتها في كمينها كمينها المجرم المذوق
 وجيشهم كليل يرفعها وباشكركم في حرا تملبذ قدونا له وشي خذرتنا وظالما

٢٥٠
 ختمت ما مدونا العراق بمصا دصا اقامت واندعشت من الزناد برهوسا وارطاند
 ويمنيك عن الاستشهاد فمما قد ضاه في لا سطر اذ حجبها الله رحمتك فلتقت حيا
 وتامنت رايضا ابي ومكي فلم يمسحوا على الكرم وحبها جميعا في كرمه ربه
 وكان اتمام نسخ في كرم اسب مع وكشفي في مبريغ كان
 الشكر من كتمانها شمس الاسلام جديت حير
 الزمان على عليه وسلم

نسخة المتحف العراقي الورقة الأخيرة



مركز تحقيقات كويتية علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أحسن ما تحلى به عرائس الطُّرُوس، وأشهى ما ترتاح إليه نفائس النفوس، وأجمل ما يردُّ به صَوَلة الدهر، وأكمل ما تحلو به مَرارة الصَّبْر، حمْدٌ من أحسن كلِّ شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طينٍ فأتمَّ ماهيته وحققه، على أتمِّ شكلٍ وحكم تكوين، فبسطَ له الغبراء على تيار الماء، ومدَّ عليه رواق الخضراء، فوق مُحَدَّبِ الهواء، فكثُرَ نوعه في الأقطار، وظَهَرَ ظهور الشمس في رابعة النهار، حتى كثر اللَّدد^(١) في أمور المعاش، وظَهَرَ الخِصام بينهم بالانتعاش <٣ب>.

فعلَّمهم العِلْمَ الوَهبي، وألهمهم الإلهام القلبي الرَّبي، باتخاذ كلِّ فرقةٍ رئيساً يستبدون إليه، ويكلِّون أمرهم في الحكوماتِ عليه، حِرصاً على الانتظام، وطمعاً بالانتلاف مَدَى الدُّهور والأعوام. ولم تزل هذه شَنَشَنَتُهُمْ^(٢)، وعليها عقيدتهم ومِلَّتُهُمْ، إلى أن أُرسل الله الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، ومُحَذِّرِينَ من عَدَمِ اتباع هذا الدين، فَشَرَّعُوا الشَّرَائِعَ بين الأنام، وسَدُّوا الذَّرَائِعَ، ورفَعُوا مَنَارَ الإسلام.

ولم تزل - صلوات الله عليهم وسلامه - هذه سيرتهم، وعليها طُوِّيت سَرِيرَتُهُمْ، ولا سيَّما خاتِمُ فَصْلِ الرِّسَالَةِ، ومَعْدَنُ الْجَلَالَةِ وَالْبَسَالَةِ، محمود^(٣) السيرة بين البرية، حَسَنَ السَّيرَةِ سَلِيمَ الطَّوِيَّةِ، فإنه كان - صلى

(١) اللدد: الخصومة العديدة.

(٢) الشَّنَشَنَةُ: الخلق والطبيعة والعادة.

(٣) في الهامش عبارة (خبر مقدم).

الله عليه وسلم - محافظاً على انتظام الأمور، مواظباً على الهداية إلى نفع الجمهور، حتى أبان في هذا المقام قبساً عن قابس، وأثار الإسلام، وأزال حلك الشرك الدامس.

ولم يزل يدعو القبائل إلى الدخول في سلك دعوته، ويأمر الجحافل بالانتظام في سبط ملته، فكان معهم بين واضح ومشتبه، متمثلاً لها أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك^(١) حتى قبض الله روحه الشريفة، ورفع إليه روحانيته اللطيفة، إراحة له من وعناء الرسالة <أ> وإراحة عنه غوغاء البسالة في طلب العدالة، اللهم فصل عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعدائه وأحزابه الذين ساروا بسيرته وأناروا منار دعوته، فعدلوا بين أمتيه، ورفعوا عماد الدين بإعلام كلمته، واقتفوا آثاره، وتتبعوا أخباره. اللهم قارض عنهم رضاء الأخيار، واعل درجته في تلك الدار، إنك الفاعل المختار.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

وبعد، فيقول العبد الفقير، إلى مولاه الغني القدير، أبو الخير عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير بالسويدي:

لما كان حسن السيرة الأمر المحبوب، وكمالها مما تروح له القلوب. وكان من المقرّر المعلوم، والمحرّر المقهوم، أن في الدولة

(١) المائدة، آية ٦٧.

الخاقانية^(١)، ورجال الصوِّلة الإيلخانية^(٢) العثمانية، لم يأتِ مثل الوزيرين العاديين، والهمامين الكاملين، الوزير حسن باشا، وولده أحمد باشا، من حسنِ طريقتيهما، وملاحة سيرتهما، فأصبحتُ أن أذكر أحوالهما مُفصَّلة مجموعة مُكمَّلة، لتكون تذكُّرة لكلِّ كامل، وقُدوة لكلِّ ماجدٍ فاضل، وسمَّيتها "حديقة الزُّوراء في سيرة الوزراء".

إعِلم^(٣) أن المرحوم حسن باشا هو الوزير الكبير، والنخريز الشهير، ذو الآراء الثاقبة، والأفكار الصائبة، والفراسة والسياسة، والحماسة والحِراسة، والعدل <ب> والإنصاف، والحُكم الفَصل على أهل الخلاف، الضَّرغام الجاسير، والنسر المقدام الكاسير، ذو الشُّجاعة العنثريّة^(٤)، والصناعة الرُسميّة^(٥)، ساق شوكية آل عثمان، نظام^(٦) صولتها على مرِّ الزمان.

مركزية كوتور علوم رسيدي

(١) خاقان لقب تركي قديم، عرف استعماله في العصر الساساني، وهو في الأصل لقب حكام الصين، ثم استعاره حكام المغول والتتار والترك. وأردفه السلاطين العثمانيون بلقب (سلطان) الإسلامي، الذي أخذوه من التراث السلجوقي، فعرف أحدهم بسلطان البرين وخاقان البحرين.

(٢) الإيلخانية، من إيلخان، لقب تركي قديم، تلقب به حكام الدولة المغولية في إيران والعراق، في القرنين السابع والثامن للهجرة (١٣ و ١٤م) وانتهى استخدامه سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، ولم يجر استخدامه في عصر الدولة العثمانية.

(٣) هذه اللفظة اضيفت في الهامش.

(٤) نسبة إلى عنتر بن شداد العبسي، أحد فرسان الجاهلية وشعرائها، وقد ضرب به المثل في الشجاعة والإقدام. وفي ب: العنبرية.

(٥) نسبة إلى رستم بن دستان أحد أبطال الشاهنامه الأسطوريين.

(٦) في الأصل (نضام) وفي المطبوع: نضار.

بيت لمؤلفه [من البسيط] (١):

من آل عثمان أضحى ساق شوتكتها لولاه ما فضلها العالي بمشهر

الذاب عن بيتضة الإسلام بخيله ورجله، هيأب أعدائه الطغام بسيفه
ونبله، قاصم أهل الفساد، قاصم عرى البغي والفساد، حامي الذمار،
محامي الديار، عز الجار إذا الدهر جار. شعر لمؤلفه [من بحر البسيط]:
حامي الذمار خسام مصلت ذمر (٢) في جحفل حين تلقاه وفي نفر

فكم له من غزوة منصور، وسرية مخبورة مجبورة، أراح بها
القلوب، وقضى حاجة في نفس يعقوب، ولاسيما الأعراب العراقية؛ ...
حين تجرأوا على الأخذ والإنتهاب، ودخلوا إلى الفساد من كل باب،
فقطعوا الطرقات، وسدوا الجهات، فعجز عن خذلانهم أكثر العمال،
وأقروا بالخسران والإذلال.

فلما ولي هذا الجهنم بغداد، شمر عن ساعد الجد والاجتهاد،
وقصدتهم وهم إذ ذاك أكثر من رمل عالج (٣)، بكل شهم فارس وخضم
محاجج، فمزق جمعهم، وفرق أجمعهم، وأخذ أنفاسهم، وأطفأ نبراسهم،

(١) ديوان عبد الرحمن السويدي، ص ٥٨.

(٢) الذمر: الشجاع، وقيل: هو الظريف اللبيب المعوان.

(٣) عالج: موضع بالبادية بها رمل، أو هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

فَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سِبا، وَغَدَوْا شَذَرَ <أه> مَذَرَ، وَتَمَزَّقُوا عَلَى الْوِهادِ وَالرُّبَى،
وَسَكَنَ أَكْثَرُهُمُ الْحَقَرَ. بَيْت [من بحر الطويل]:
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

فهو البالغ في الفِرَاسَة حَدُّ الإعْجاز، والسَّالِك إلى السِّيَاسة على
الحَقِيقَة لا المَجاز. وسَتَأْتِي مَنَاقِبُه على التَّفصِيل، وسَتَتَّبِع مَآدِبُه على
الإيضاح والتَّكْميل. شعراً لمؤلفه [من بحر البسيط]:
ما قَلَّتْهُ صَاحِ عَشْرٌ مِنْ فِضَائِلِهِ وَلَيْسَ مَذْحِي عَنْ لَغْوٍ وَعَنْ هَذَرٍ

فرحمه الله رحمة تَذَفَّتْ حِيَاضُهَا، وتَأَنَّقَتْ رِيَاضُهَا، آمين.

مركز تحقيق كتاب علوم راسدي

في ذكر ولادته^(١) وسبب سعادته^(٢)

مولده قَتْرِين^(٣)، وذلك أن والده - رحمه الله - مصطفى بيك^(٤) كان

(١) في الهامش: مطلب في ذكر الولادة.

(٢) في المطبوع: وسبب سعادة مولده. وما أثبتناه في النسختين.

(٣) قَتْرِين Katerini قرية كانت، بحسب التَّخْلِيصَات الإدارية العثمانية، مركزاً لقضاء
باسمها في ولاية سلانيك، من ولايات الروملي (القسم العثماني من أوربة)، على
الساحل الغربي لخليج سلانيك. سامي: قاموس الأعلام ص ٣٦٠٢.

(٤) في المطبوع: بك.

من أهل سنجق قُربَ ناحية دبره^(١). وكان ثمة مكان إقامته، ودار سُكناه وولادته، فظهر ما رُسم من قَدَم، وجَرى به القَلَم، أن صارَ في قُرب قَتْرين ذا مَزْرَعَة هَنِيئة، من جُمْلَة الإِسْبَاهِيَّة^(٢)، وهم عسكِر الخَنكَار^(٣) الأعظم، والسُلطان الأفخم، جَعَلَ لهم بعض الضِّياع، فيَكُونُ لهم منها الإِنْتِفَاع، على شَرَطٍ أن يَذْهَبُوا مع العساكر المنصورة، والجنود المَحْبُورَة، حيثما كانت الأعداء، يَسْتَكُون دُون بَيْضَةِ الإِسْلَام الدِّمَاء.

ولما اقْتَضَى أن يَكُون قُرب قَتْرين مَقِيماً في أَكْثَر المُسْنين، أراد أن يَتَرَوَّجَ فيها، وَيَحْطَ رَحْلَه بِنَادِيهَا، فَقَضَى بَارئ النَسَمَات، بِأَخْذ بعض

(١) دبره Dibra بلدة كانت تعد مركزاً لسنجق (لواء) باسمها تابع لولاية مناستر، من ولايات الروميلي، تبعد عن مدينة مناستر بنحو ٩٠ كم. قاموس الأعلام ص ٢١١٨.

(٢) سباهي كلمة فارسية الأصل، تعني حرفياً: فارس، واستخدمها العثمانيون للدلالة على الفرسان الإقطاعيين الذين كانوا يشكلون أولى القوات المنظمة في دولتهم، ويتقاضى السباهي راتبه على شكل ضرائب من إقطاعه، مقابل أن يخرج بنفسه، أو مع أتباع له، في أثناء استدعائه للخدمة العسكرية، وهو يتولى مسؤوليات إدارية في أثناء السلم بصفته أميراً لمنطقته، وحينذاك يعرف بلقب بك، وقد تناط به مسؤولية الإشراف على عدة وحدات إقطاعية - عسكرية، فيعرف حينذاك باسم بكسر بكي، أي بك البكوات، وتنقسم إقطاعات السباهية، بحسب ما تدره من دخول، إلى ثلاث فئات، النيمار، وهو أدناها، ثم الزعامت، فالخاص، ويخصص الأخير للسلطان بصفته قائداً عسكرياً أعلى ولكبار القادة في الدولة. ينظر جودت باشا: تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدفا، بيروت ج ١ ص ٩٩ وجب ويوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة ج ١ ص ٧٢.

(٣) الخنكار: كلمة من التركية الأويغورية Unkar بمعنى الموفق، وأصبحت لقباً للملاطين العثمانيين.

البنات المخدرات. وكان طالع السعديين، واجتماع سعد <هـ> النيرين، أن
بني بالذرة المصونة، والجوهرة المكنونة، فاطمة قاتون^(١)، ذات الحسب
الظاهر، والنسب الفاخر، من الحور المقصورات، والخود الخدجيات^(٢).
شعراً [من بحر الكامل]:

بِكْرٌ تَقُومُ تَحْتَ خُمْرٍ ثِيَابِهَا^(٣) عَرَضُ الْجَمَالِ لِحَوْهٍ سَيَّالٍ
رِيَانَةٌ وَهَبَ الشَّبَابُ أَدِيمَهَا لُطْفُ النَّسِيمِ وَرِقَّةُ الْجَرِيَالِ^(٤)

فَبَرَزَ أَوَائِلَ مَا قَدَّرَهُ الْحَكِيمُ، وَظَهَرَ لِلْوُجُودِ، وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ، أَنْ جَاءَتْ بِهَذَا الْوَزِيرِ الْكَبِيرِ، وَالْعَلَمِ الشَّهِيرِ. وَقَدْ صَدَّقَ فِي أَبِيهِ
قَوْلُ الْقَائِلِ، فَكَأَنَّهُ عَنْ حَالِهِ نَاقِلٌ. شعراً [من بحر الطويل]:
تَخِيرُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ وَقَدْ أَنْجَبَتْ وَالْمُنْجِبَاتِ الْغَرَائِبِ

مركز تحقيق كتب التراث

وقول الآخر [من بحر الطويل]:

تَخِيرُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ^(٥) فَجَاءَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ حُسْنًا مَعْمَمَا

(١) قاتون، وخاتون: هي لفظة تركية تعني: السيدة عريضة الأصل، أو السيدة مطلقاً.

وفاطمة هذه هي ابنة مصطفى باشا، وستأتي ترجمته.

(٢) الخدلجة: الرِّبَاء الممتلئة الذراعين والساقين، والممكورة.

(٣) في المطبوع: حمر، وما أثبتناه من النسختين.

(٤) الجريال: الخمر.

(٥) في المطبوع: تتجبتها. وما أثبتناه من النسختين.

وقد بهر القمر بجماله، وظهّرت على الأثر طليعة كماله، تلوح عليه
العلامات من السعادة، وتتلأأ فيه أنوار الكمال على الزيادة، مع ضخم
بنية، ومثانة ساعد بلا مرية^(١). شعراً [من بحر الطويل]:
فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضنوى ولا يضنوى وليد الغرائب

فشبّ في حُسن مربّيه على لبان أمه، ونشأ في حصن أبيه بين
خاله وعمّه.

فصل

في بيان قصبة قترين

حدّث جواب الأقطار، وأصحاب الأسفار: أن قترين هذه، قصبة من
قصبات الروم إيلي، وهي <١٦> وإن كانت مؤسومة باسم القرى، مشهورة
بذلك معلومة بين الورى، إلا أنها ذات السواد الأعظم، وفي حُسن
الأسلوب على طرّف أفخم، مع طيب هواء، واعتدال أمزجة وأنواء،
مشحونة بالبساتين العامرة، والمزارع الفاخرة الغامرة، تُزري بأبلّة
البصرة وسغد^(٢) سمرقند، وتتوفّ قصورها على الخورنق في هذا الحد،
فهي جنة المأوى، وزينة الدنيا، فلم يتفق مثلاً في الأقطار، حيث تجري

(١) المرية: الشك والجدل.

(٢) في الأصل والمطبوع: سعد، والصحيح ما أثبتناه، وهي ناحية كثيرة المياه نضرة
الأشجار، قصبته سمرقند. ياقوت، معجم البلدان، مادة السغد.

من تحتيها الأنهار، وتَسْرَحُ الظُّبَا في نواحيها على الشَّيْح والرُّند^(١)،
وتَسْرِي الصُّبَا في أراجيحها^(٢) فَيَرِقُّ لِرَقَّتِهَا القلب الصِّلْد، وتَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ
نَسَمَاتُ أَسْحَارِهَا، وتَأْتِي بِالْعُجَابِ الْمُسْتَطَابِ نَعَمَاتُ أَطْيَارِهَا، فَكُلُّ أَوْقَاتِهَا
رَبِيعٌ، وَكُلُّ أَزْمَانِهَا أَزْمَنَةُ تَرْبِيعٍ، قَدْ كُسِيتْ أَرْضُهَا - على الدوام - الْأَثْوَابِ
السُّنْدُسِيَّةِ، وَجُلِبَّتْ - على مَرِّ الْأَيَّامِ - الْجَلَابِيبُ الْخُسْرَوِيَّةِ، مُتَأَنِّسَةً
الرِّيَاضِ، مُتَدَفِّقَةً الْحِيَاضِ، قَدْ أَبْدَى الشَّقِيقُ لِأَلْحَانِ أَطْيَارِهَا حَبَّةَ قَلْبِهِ،
وَمَزَّقَ الْوَرْدُ الْأَنْيَقُ كَسَائِرَ أَزْهَارِهَا حُلَّةَ ثَوْبِهِ، فَغَدَّتْ رِيَاضُهَا - كما قال
النَّبُوخِي - شعراً [من الخفيف]:

ورِيَاضٌ حَاكَتْ لَهْنَ الشَّرِيَا حَلًّا كَانَ غَزَلُهَا لِلرَّعُودِ
نَثَرَ الْغَيْثُ دُرًّا دَمَعٍ عَلَيْهَا فَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ الْعَقُودِ
أَقْحُوانٍ مُعَانِقٍ لَشَّقِيقٍ كَثُغُورٍ تَعَضُّ وَرْدَ الْخُودِ
وَعَيُونٍَ مِنْ نَرَجِسٍ تَتَرَاءَى كَعَيُونٍ مُؤَصُولَةِ التَّسْهِيدِ
فَكَانَ الشَّقِيقُ حِينَ تَبَدَّى ظِلْمَةُ الصَّدْغِ فِي خُودِ الْغِيدِ
وَكَانَ النَّدَى عَلَيْهَا دَمُوعٌ فِي جَفُونٍ مَقْجُوعَةٍ بِفَقْدِ

<٦ب> هذا وأما أهلها فهم أصحاب الشجاعة، وأرباب اليراعة،
ذوو عقلٍ قويمٍ وخلقٍ مُستقيمٍ، مشهورون بالصدق والديانة، والعفة

(١) الشَّيْح: نبات أنواعه كثيرة، كله طيب الرائحة والرُّند: نبات من شجر البادية طيب

الرائحة يشبه الأس.

(٢) يريد: أرجاءها.

والأمانة، والندبة إلى الجهاد، والأهبة إلى الإسعاف والإسعاد، والإقدام على الأمور الشاقة، وعدم الإحجام في الحروب الحادة.

ومن خاصيتهم عدم الخيانة لمن يكونون بخدمة^(١) حتى إن الوزير المذكور، لما كان - كما يأتي - برسم السلطان رئيس البوابين^(٢)، وكان بيده عروض أحوال الرعية، فيعرضها على ذي الشوكة القوية.

فبينما هو ذات يوم جالس لأخذ العروض، حابس نفسه على أداء هذا المقروض، إذ جاء في يده عرض حال، وكانت الشكاية عليه من بعض الأحوال، فبلغه مع سائر الدساكر^(٣) إلى رئيس الإكابر الأكابر، فلما نظر فيه وتأمل معناه، وعلم ما الغرض فيه من فضواء، قال: هذه شكاية عليك تربت يدك! فكيف غفلت، ولم لم تنتظر إليه هناك؟ فقال:

مرزوقية كوتور علمي

(١) في الأصل: يكونوا.

(٢) هذه هي الترجمة العربية للمصطلح التركي (قبوجيلر باشي) أو (قبوجيلسر كهيه مي) وهو اسم وظيفة في البلاط العثماني، وبعض الولايات العثمانية، يقابل كلمة (الحاجب) العربية، ويكون مسؤولاً عن تنظيم دخول أصحاب المناصب من الإداريين إلى الديوان الهمايوني، حيث مقر السلطان، والدوائر التابعة له، ويفهم من هذا النص أنه كان يتولى رفع مظالم الناس إلى السلطان أيضاً.

(٣) الدساكر هنا تحريف تركي للفظ (التذاكر)، جمع (تذكرة) العربية، ويقصد بها اصطلاحاً الأوراق الرسمية المتداولة بين الدوائر في الدولة العثمانية، وهي تقابل كلمة (مذكرة) في الإدارة العراقية اليوم، وكان ثمة موظف خاص بمتابعة ما يصدر بسببها من قرارات، يسمى (تذكره جي). ينظر د. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، القاهرة ١٩٨٩، ص ٥٤.

أطالَ الله بقاء أمير المؤمنين! إني أعرفه شِكَايَةً، وأدريه أتم دراية، إلا أن الأمانة أدَّتني، ومَطيَّة الصدق وعَدَم الخيانة حَمَلَتني إلى أن أتيتك^(١) به لتجري بيننا الأحكام، وتَحْكُم على أحدينا بالإنْتقام. فلما سَمِعَ الخُفَّار كَلَامه، عَلِمَ صِدْقَه بلا سامة، فأنعم عليه واجزل، وعفا عما جنى وفعل <١٧>، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الجنة دار القرار، آمين.

فصل

[شجاعته وارتقاؤه المناصب]

ثم أنه لم يزل مُتَضَلِّعاً بِالْكَمَالِ، مُتَخَلِّقاً بِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَفْضَالِ، إِلَى نَوْبَةِ^(٢) السُّلْطَانِ ابْنِ السُّلْطَانِ، وَالْخَاقَانِ ابْنِ الْخَاقَانِ، السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ خَانَ^(٣) - طَيِّبَ اللهُ ثَرَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَرْقَدَهُ وَمَأْوَاهُ - فَاسْتَخْلَصَهُ وَزِيرَ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ، وَدُسْتُورِهِ الْأَقْصَمِ، مُصْطَفَى بَاشَا^(٤)، وَأَدْخَلَهُ فِي سِيْلِكَ

(١) في المطبوع: أنبك.

(٢) النوبة هنا بمعنى العهد، أو الحكم.

(٣) هو السلطان محمد الرابع بن السلطان إبراهيم الأول، تولى العرش في ٧ جمادى الأولى ١٠٥٩هـ/ وعزل في ٢ محرم ١٠٩٩هـ/ ٨ تشرين الثاني ١٦٨٧م، وتوفي معزولاً في ٨ ربيع الآخر ١١٠٤هـ/ ١٧ كانون الأول ١٦٩٢م.

(٤) تولى الصدارة العظمى في عهد السلطان محمد الرابع اثنان اسم كل منهما (مصطفى باشا)، أولهما إيشير مصطفى (نو الحجة ١٠٦٤ - ٤ رجب ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م) والآخر قره مصطفى مرزونلي (شعبان ١٠٨٧ - ٦ محرم ١٠٩٥/ ١٦٧٦ - ١٦٨٣م)، والمقصود هنا هو الأخير، فقد كان قائداً محنكاً حقق انتصارات باهرة على النمسا، وحاصر عاصمتها فيينا سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣، ولكنه اضطر إلى الانسحاب منها بعد معارك ضروس شنها عليه ملك بولنده.

أقواته^(١) الخاصة، لما فيه من حُمنٍ الخاصة، فذهب معه إلى السَّقر، وسار في جُملة العسكر.

ولما تَقَابَلَتِ الجنود، وخَفَقَتِ البُنود، وطَارَتِ الكُبود، فعَدِمَ القَرار والهُجود، والشجاع حار، والجبان جَنَحَ إلى الفِرار، والدُمَاءُ سالت، والرايات مالت، والخيلُ هَمَهَمَت، والإفرنج دَمَدَمَت، والسيوف أبرَقَت، والختوف أزهَقَت. شعراً لمؤلفه [من الوافر]:

بِیَوْمٍ حَارَتِ الْأَبْصَارُ فِيهِ لِمَا قَدْ جَازَ مِنْ كُرْبٍ شِدَادُ

تَوَفَّى اللهُ الْوَزِيرَ بِرَحْمَتِهِ، وَأَسْكَنَهُ بِخُبُوحَةِ جَنَّتِهِ^(٢). فضاق الخِنَاق، والتفت الساق بالساق، وفرَّ الأكثرُ مُذْبِرًا، وغدا الرُّعبُ والخوفُ مُسْفِرًا. بيت [من الرجز]:

الْلَّيْلُ دَاجٍ وَالْكَبَاشُ تَنْتَطَيِّحُ فَمَنْ نَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ رُبِحَ

وبمثل هذا الوقت الحقيق، والنفس المتخنيق، وقَعَ السَّنْجَقُ^(٣) وَسَطَ اللُّجَّةِ، وعَدِمَ الوصول إليه بكلِّ مَحَجَّةٍ، فنَزَلَ أمام الوزير المذكور محمود

سموبيسكي، فكان أن أمر السلطان محمد الرابع باعدامه. ينظر محمد فريد بك:

تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ١٩٧٧، ص ١٣٧.

(١) في المطبوع: أقراته.

(٢) من الواضح أن هذا القائد لم يتوف في أثناء المعركة، وإنما أعدم بسببها كما قدمنا.

(٣) المنجق، وترد في المصادر العربية صنجق: لفظة تركية قديمة بمعنى الراية واللواء والعلم.

أفندي عن حصانه، وذهب إلى إنقاذه بقوة جنانه، فقبل أن يصل، أدركه
<٧ب> الأجل، فركل الوزير المُشار إليه فرسه، وذهب إليه فافتَرَسَه. ولم
يُنزل عن الحصان بل استخَلَصه بإعانة الجُركان^(١)، وأخرجَه إلى السلامة،
وأبقى العدو في ندامة. شعراً [من الكامل]:

وإذا السَّعادةُ لاحظَّتْكَ عيونُها نَمَ فالمَخاوفُ كُلُّهنَّ أمانُ
واصنطذَ بها العنقاءُ فهي حَبائِلُ واقتذَ بها الجوزاءُ فهي عِنانُ

ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.
ولما صَدَرَت منه هذه الحَرَكَةُ البَهيَّةُ، وصارت معلومةً لدى الدَّولة
العَلِيَّةِ، أمرَ له بالجوائز، ومُنِحَ بِعَطاءٍ نَاجِزٍ. مصراع [من المتقارب]:
أَتَاكَ الرَّبِيعُ فَنَسِمَ واسنَعَدَ

مركز تحقيق المخطوطات والعلوم الإسلامية

فأخَذَه السلطان إلى قُربِه، وأدخَلَه في سِلَكِ أعوانه وحزبه، وقَبِضَ
له من يَسُوسَه من أهل الكمال، ويُعَلِّمُه كلُّ ما يَدُلُّ على أفضال، إلى أن
ظَهَرَت عليه آثار الشجاعة، وقَصُرَت عليه أخبار هذه الصَّناعة، وتَأَهَّلَ
لكُلِّ مَنَقِبَةٍ، وتَنَزَّهَ عن كُلِّ مَنَقِبَةٍ، أُفْرِزَت له مَقْصُورَةٌ في دار السلطان،
ولا حَتَّ عليه مَخائِلُ العِرْقان، وذلك في سنة خمسٍ وتسعين بعد الألف^(٢).

(١) الجركان كلمة فارسية الأصل، بمعنى: صولجان.

(٢) أولها ٢٠ كانون الأول ١٦٨٣م.

فصل

[مناصبه في دار السلطنة]

ولما أراد الله إظهار ما قدره أولاً، دفعة دفعة، مكملاً مقصلاً، كان في السابع والعشرين من ربيع الآخر من سنة تسع وتسعين بعد الألف^(١)، جلس على نَسْتِ الأحكام، وتردَّى برداء الخلافة في هذا العام، السلطان ابن السلطان، عديم النظر في هذا الشأن، السلطان سليمان خان بن السلطان إبراهيم^(٢) <١٨> خان - برَّد الله مَضْجَعَه، وجعل إلى الرحمة مَرَجَعَه - فأنعم على الوزير المذكور، حيث جعله جيفرجي باشي^(٣)، فبقي في هذا المنصب ست سنين مخصوصاً به إذ هو به قمين، ثم ضمَّ إليه مع هذا المنصب المنصب الأعظم، والجاه الأفخم، ألا وهو إمارة العلم، فبقي فيه سنة كاملة، من غير مُخَاصَمة ولا مُجَادَلَة. مصراع [من البسيط]:

لَمَّا تَخَلَّقَ بِالْأَعْلَى مِنَ الشُّبُومِ

(١) في الأصل: سني تسعة، ويوافق هذا التاريخ يوم ٢٩ شباط ١٦٨٨ م.

(٢) هو السلطان سليمان الثاني، تولى العرش بعد أخيه محمد الرابع، ولبث حتى وفاته في ٢٦ رمضان ١١٠٢ هـ / ٢٣ حزيران ١٦٩١ م.

(٣) لم يتوضح لنا معنى هذه الوظيفة، ربما كانت محرفة من الكلمة التركية (جافرجي باشي) أي كبير المشرفين على البزاة، وكانت هذه الوظيفة قد غدت في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، مجرد وظيفة تشريفية من أنواع الخدمة الخارجية. جب ويون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج ٢، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٢٤-٢٢٥.

ثم أنه لم يزل في أوقات مسرة، خالياً من آفات عسرة، ملحوظاً
بالنظر السلطاني، مزفوقاً بالجلال الرباني. شعراً لمؤلفه [من الكامل]:
في عيشة نَعَشُوا الأنام لِضَوْنِهَا وَمَمَرَّة الأوقات والأيام

إلى سنة ست ومائة وألف، [إذ] بَزَغَتْ شمسُ السلطنة من آفاق
الإقبال، وطلعت أقمار الخلافة من بُرج الكمال، ألا وهو جلوس السلطان
ابن السلطان، مصطفى خان بن السلطان محمد خان^(١)، على بساط العدل
والإنصاف، وتصدّر في صدر الديوان على سرير الائتلاف، ثم أن الوزير
المذكور - ضوعفت له الأجور - لما كان في دار السلطنة كما أسلفناه،
وفي خدمة أهل الميمنة كما قرّرناه، كان له مع حضرة هذا السلطان
المشار إليه نوع عرفان، وله حقوق سابقة عليه في هذا الشأن، فأنشد لسان
إقبال الوزير المذكور، ذات حال الخاقان المشهور. شعراً [من البسيط]:
إن الملوك إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألّفهم في المنزل الخشين

<ب> فبناءً على هذا، جعله رئيس البوابين، وخصّه بهذا الفضل
المكين، فبقي في هذا المنصب ثلاثة أعوام، محبوراً بخدمة السلطان

(١) هو مصطفى الثاني بن محمد الرابع، تولى العرش بعد سلفه السلطان أحمد الثاني
في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٦هـ/ ٦ شباط ١٦٩٥م وعزل، إثر تمرد
عسكري، في ٢ ربيع الآخر ١١١٥هـ/ ١٥ آب ١٧٠٣م، وتوفي في ٢٢ شعبان
من ذلك العام/ ٣١ كانون الأول ١٧٠٣م.

الإمام، يَخْدِمُهُ الدهر مُنْقَاداً، وَيَقْدُمُهُ النصر إِسْعَافاً وَإِسْعَاداً، ذَا كَلِمَةٍ
مَسْمُوعَةٍ، وَمَنْصَّةٍ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَرْفُوعَةٍ. شعراً لمؤلفه [من البسيط]:
فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَعْقُودٌ مَنْصَّتُهُ النُّجْمُ يَخْدِمُهُ وَالسَّبْعَةُ الشُّهُبُ

فصل

[توليه ولاية قونية]

ولما لم تَزَلْ تَوَافِقُهُ مَطَالَعُ الْكَمَالِ، وَتُرَافِقُهُ طَوَالِيعُ الْإِقْبَالِ، إِلَى
[السنة التاسعة بعد المائة والألف^(١)]، قَدَّرَ رَبُّ الْعِيَادِ، أَنْ يُظْهِرَ فِي عِلْمِ
الْكُونِ وَالْفَسَادِ، شَمْسَ سَعْدِهِ، وَيُبْهِرَ نَيْزَ مَجْدِهِ، وَيَنْقُشَ عَلَى جَبْهَتِهِ كَوَاكِبَ
السَّعْدِ، وَيُحَلِّيَ بِذُرَّةِ أَهْلِهِ تَاجَ الْمَجْدِ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَلَطَّفَ بِهِ
بِكُلِّ إِحْسَانٍ، حَيْثُ حَلَّاهُ بِرِدَاءِ السُّوْزَارَةِ، وَرَدَّاهُ بِكَسَاءِ الْإِمَارَةِ، وَوَلَّاهُ
مَنْصِبَ قُونِيَّةِ^(٢)، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ أَهْلٌ لِهَذِهِ النَّيَّةِ. شعراً [من البسيط]:

جَاءَ الْخِلَافَةُ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عُلَى قَدَرٍ

(١) أولها ٢٠ تموز ١٦٩٧م.

(٢) ولاية في وسط الأناضول، مركزها مدينة قونية التاريخية (ايكونيوم Iconium البيزنطية) ضمها السلاجقة إلى دولتهم سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م فأصبحت عاصمة لهم منذ ذلك الحين، ثم انتقلت إلى إمارة قره مان التركية، حتى استولى عليها العثمانيون حرباً، وأصبحت واحدة من أهم الولايات في دولتهم. تبعد عن استانبول بنحو ٤٥٠ كم. ينظر ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤، ص ١٨١ وقاموس الأعلام ص ٣٧٨٢.

فَدَخَلَهَا وَهِيَ إِذْ ذَاكَ خَالِيَةٌ عَنِ الْأَمَانِ، مُتَدَاعِيَةُ الْجُذُرَانِ، مِنَ الظُّلَمِ
وَالطُّغْيَانِ، فَجَلَسَ فِي دَارِ الْحُكْمِ، وَتَصَدَّى لِرَفْعِ الظُّلَمِ، وَإِعَانَةِ الْمَظْلُومِ
عَلَى الظَّالِمِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَرَدَّ الْمَظَالِمِ. مصراع [من الكامل]:
مَا الْمَجْدُ إِلَّا أَنْ تَعْفَ وَتَقْدِرَا

فَرَّتْ أَهْلُهَا فِي وِديَانِ الْهَنَاءِ، وَلَعِبُوا فِي مِيدَانِ الْأَمَانِ زَمَنًا، وَحَسُنَ
الْحَالُ بِأَيَّامِهِ، وَأَحْسَنَ الدَّهْرُ الْمَقَالَ لِمَنْ هُوَ تَحْتَ نِظَامِهِ <١٩>. شعراً [من
الكامل]:

فَالْوَرَقُ تَصْدَحُ بِهَجَّةٍ وَتَطْرُبُ أَوَّالًا وَالدُّوْحُ فِي وَرَقِ الْغُصُونِ يُصَفِّقُ

وفي هذه السنة، عُنِيتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَالْجَوَاسِرُ الْكَوَاسِرُ
الْخَاقَانِيَّةُ، وَعُيِّنَ مَعَهُمْ، فَحَشْنٌ ^(١) أَجْمَعُهُمْ عَلَى مَنْ كَانَ ^(٢) قُرْبَ نَاحِيَّتِهِ،
وَتَجَاهَ حَمِيَّتِهِ مِمَّنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَالْجَمَاعَةِ،
فَسَقَوْهُمْ كَأْسَ الرَّدَى، حَيْثُ فَسَقُوا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى، وَحَكَّمُوا الْمَنَاصِلَ فِي
النَّهَامِ، وَأَحَكَّمُوا فِي الْمَقَاصِلِ كُلِّ حُسَامٍ غَيْرِ كَهَامٍ ^(٣). شعراً لمؤلفه [من
الوافر]:

وَقَامُوا كَالْأَسُودِ لَدَى شَرَاهَا بِكُلِّ مَقْدَفٍ مَاضِي الْفَوَادِ

(١) كذا في الأصل، ولعله أراد: فحشس لهم.

(٢) في الأصل: كانت، وضرب على التاء بخط مما دل على تصحيحها، وفي
المطبوع: كانت.

(٣) الكهام: الثقل المسن الذي لا غناء عنده، وسيف كهام: لا يقطع..

وَعَنَى الْمُهَنْدُ عَلَى كُورِهِمْ^(١)، وَصَقَّ الْعَسَّالُ^(٢) فِي ظُهُورِهِمْ. شِعْراً
لِمُؤَلِّفِهِ [مَنْ الْكَامِلُ]:

هَذَا يُصَقُّ فِي الظُّهُورِ وَذَا لَسَهُ أَيْدِئاً عَلَى الْهَامَاتِ نَغْمَةً مُنْشِدِ

وَشَدَّ الْبُنْدُقُ^(٣) فِي أَدْبَارِهِمْ، وَأَنْشَدَ السَّعْدُ الْمُفْلَقُ بِأَدْبَارِهِمْ^(٤)،
وَتَدَارَكْتَهُمُ الضَّرَاغِمُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَتَبَادَرَتْهُمْ الضِّيَاغِمُ الْإِسْلَامُولِيَّةُ^(٥)،
فَقَرَّكَوَهُمْ فَرَائِسُ الْعُقْبَانِ وَالرَّخَمِ^(٦)، وَرَفَضُوهُمْ لِحْماً عَلَى وَضْمٍ^(٧)، وَقَلَّ

(١) الكور: القطيع الضخم من الإبل، وقيل من البقر.

(٢) الرمح العسَّال: مضطرب لذن.

(٣) في المطبوع: البندق. أصله ما كان يقذف من كرات من الرصاص أو الطين ونحوه مما يشبه في حجمه واستدارته ثمرة البندق، بواسطة نوع من السلاح شاع استعماله في العصور الوسطى، ويعتمد في دفعه على قوس مشدود، وبعد استعمال البارود، تطور هذا السلاح ليقتذف البندق من خلال أنبوبة بواسطة انفجار البارود، وإليه نسب السلاح المذكور، فعرف بالبندقية. ينظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، ج ١، بغداد ١٩٧٨، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٤) لعل إولاهما جمع دبر، وهي العقب والمؤخرة، والأخرى إدبارهم من أدبر، بمعنى ولى.

(٥) مخففة من اسلامبولية، واسلامبول هو اسم لاسطنبول شاع استخدامه في عهد الدولة العثمانية، بمعنى مدينة الإسلام.

(٦) الرخم: طائر أبقع على شكل النسر إلا أنه مبقع بسواد وبياض.

(٧) الوضم: ما يوضع عليه الطعام فيؤكل، ويقال تركهم لِحْماً على وضم أي أوقع بهم وذللهم وأوجعهم.

من نجا برأسه، ونذر من ربح منهم بإبقاء أنفاسه ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِيرِينَ﴾^(١)، فَرَجَعَتْ جُنُودُ اللَّهِ رَابِحِينَ، مَحْفُوفِينَ بِالظَّفَرِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ.

ثم بعد أن رَجَعَ كُلُّ إِلَى مَكَانِهِ، ودار مُلْكُهُ وَمَكَانَ إِسْكَانِهِ، عَيَّنَ هَذَا الْوَزِيرَ الْمُظَفَّرَ، وَالْهَمَامَ الشَّهِيرَ الْغُضَنَفَرَّ، رَئِيساً عَلَى الْعَسْكَرِ الظَّاعِينَ، وَالْجُنْدِ الْأَمَنَ، إِلَى قِتَالِ كُلِّ بَاغٍ وَطَاغٍ <٩ب>، وَلَا سِيَّما أَهْلَ بَابِ دَاغٍ^(٢).
بيت لمؤلفه [من البسيط]:

فَقَادَهُمْ جَحَقُلاً سَأَلَتْ بِمَدْيَنِهِ أَبَاطِحُ الرُّومِ ذَاتُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

وَذَهَبَ بِأَوْلَئِكَ الرِّجَالِ، وَأَمْتُهُمْ كَمَا يُؤْمِ اللَّيْلُ الْأَشْبَالِ، وَخَفَّقَتْ
الْأَعْلَامُ يَمِينَهُ وَيُسْرَاهُ، وَأَزْهَرَتْ الْأَكَامُ فَرَحاً بِمَا تَرَاهُ، وَسَارَ^(٣) بِخَمِيسٍ
كَأَنَّهُ فَلَّكَ الثَّوَابِتَ فِي إِبْرَاقِ الْأَسِنَّةِ، وَمَشَى بِكُلِّ طَوْدٍ ثَابِتٍ لَدَى تَقَابُلِ
الْأَعِنَّةِ. شعراً [من الكامل]:

(١) الزمر، آية ٥٦.

(٢) هو جبل (بابا داغي) في منجق كزلي في ولاية أيدين، من الولايات العثمانية في الأناضول، وهو جبل عظيم منفرد يجري في واديه نهر (مندرس). قاموس الأعلام ص ٥١٣. وفي المطبوع: بابا داغ، بالياء.

(٣) في المطبوع: أوسار

أَسَدٌ تُحِيْثُهُمُ الصُّوَارِمُ وَالْقَنَا قَطَعُوا بِأَنَّ النَّقْعَ لَيْسَ وَصَالٍ
قَبْلَ الْبُلُوغِ لَقُوا الْعِدَا وَتَقَمَّصُوا بِالزَّغْفِ^(١) وَهِيَ طَوِيلَةُ الْأَذْيَالِ

فَقَابَلَ بِهِمُ الْفَنَاتِ الطَّاغِيَةَ، وَقَاتَلَ بِهِمُ الْمِثَاتِ الْبَاغِيَةَ، وَغَنَّى عِنْدَ لَيْبِ
النَّصْرِ عَلَى رَايَاتِهِ، وَغَرَّدَ بِلَبْلِ الظَّفَرِ بِأَبْلَغِ نَعْمَاتِهِ، وَتَلَّى السَّعْدُ مَتَرْنَمًا:
«لَوْ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»^(٢) فَرَجَعَ مَنْصُورًا، وَعَادَ بِالْمَسْرَاتِ
مَحْبُورًا.

ثُمَّ أَنَّهُ بَعْدَ قَضَاءِ وَطَرِهِ مِنْ ذِهَابِهِ، وَصَارَ سَقَرَهُ إِلَى إِيَابِهِ. وَدَخَلَ
قَوْنِيَّةَ دَارِ عَدْلِهِ، وَقَرَّارَ أَبْهَتِهِ وَنُبْلِهِ، تَصَدَّى لِبِنَاءِ قُبَّةِ الْوَلِيِّ بِلَا نِزَاعٍ،
وَالسَّرِيِّ بِلَا دِفَاعٍ، صَاحِبَ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْكَمَالَاتِ الْبَاهِرَةِ،
وَالْمَنَاقِبِ الزَّاهِرَةِ، وَالْمَائِثِ الْفَاخِرَةِ. شِعْرًا، [مِنْ الْبَسِيطِ]:
نَفْسٌ مِنَ الْقُدْسِ فِي ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بِالْعَرَفِ جَازَ عَلَيْهَا يَصْدُقُ الرَّجُلُ

الصَّالِحِ الْعَابِدِ، النَّاسِكِ الزَّاهِدِ، الْكَارِعِ مِنْ عَيْنِ الْجَمْعِ نَهْلًا،
وَالشَّارِبِ بِكَاسِ الْقَوْمِ وَالرَّيْنِ عَلَا، مَنْ ظَهَرَتْ لَهُ الْخَفِيَّاتِ، وَأُسْقَرَتْ لَدَيْهِ
الْخَبِيَّاتِ، مِنْ غَوَامِضِ التَّوْحِيدِ < ١١ >، وَعَوِيصَاتِ التَّجْرِيدِ، فِي مَقَامِ
التَّفْرِيدِ^(٣)، فَظَهَرَ لَهُ كُلُّ تَحْقِيقٍ مَعْنَوِيٍّ، وَأَبْدَى كُلُّ تَدْقِيقٍ عُلْوِيٍّ، مَوْلَانَا

(١) بفتح الزاي وتسكين الغين المعجمة: الدروع الواسعة الطويلة والمحكمة الحسنة
السلاسل.

(٢) الأنفال، من الآية ١٧.

(٣) في المطبوع: التفريد، والتفريد: من مقامات التوحيد عند الصوفية.

جلال الدين محمد الرومي المولوي^(١) - قدس الله أسرارَه، ونفعنا به وزاد أنوارَه - فَبَنَاهَا الدُّسْتُورَ فِي غَايَةِ الإِحْكَامِ، وَجَعَلَهَا مَثَلًا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ، وَشَيَّدَ أَرْكَانَهَا وَأَعْلَى جُذُرَاتِهَا، وَرَفَعَ سَمَكَهَا^(٢) وَسَوَّاهَا، وَحَكَّمَ عَمَدَهَا وَأَرْسَاهَا، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَمَنَحَهُ الْمِنْحَةَ الْحَسَنَاءَ. آمِينَ.

فصل

فِي تَوَلِيَّتِهِ حَلَبَ الشَّهْبَاءِ

وَقَدْ قَضَى بَارِئُ النَّيِّمِ، وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ، وَحَكَّمَ قَاضِي الْكَوْنِ بِإِظْهَارِ الْأَفْرَاحِ، وَإِبْرَازِ مَا فِي الْأَلْوَاحِ إِلَى الْأَشْبَاحِ، أَلَا وَهُوَ أَنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ، فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(٣)، أَلْبَسَ حُلَّةَ الرِّضَاءِ، وَوَلَّى حَلَبَ

(١) هو الفقيه الصوفي الشاعر مولانا جلال الدين محمد بن محمد البلخي القونوي الرومي، صاحب الطريقة المولوية المتشوية إلى لقبه (مولانا) الذي اشتهر به في عهده وفيما بعده، ولد في بلخ سنة ٦٠٤هـ/٦٧٢، وعاش بعض سني عمره في بغداد، حيث نزل أبوه في المدرسة المستنصرية، ثم استقر في قونية سنة ٦٢٣هـ، وفيها تولى التدريس وعرف بعلمه وفقهه، ولكنه فضل فيما بعد التصوف واعتزال الدنيا، وله أشعار رقيقة بالفارسية، سماها (المنثوي). وكانت لطريقته تكية في بغداد عرفت بالمولابخانة، أو المولويخانة، وقد أعاد داود باشا والي بغداد بناءها لتغدو جامعاً سمي الأصفية، سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. وينظر القرشي: الجواهر المضية ج ٢ ص ١٢٣ ودائرة المعارف الإسلامية، مادة جلال الدين الرومي، بقلم كارا دي فو.

(٢) السمك: السقف، وقيل هو من أعلى البيت إلى أسفله.

(٣) أولها ١٠ تموز ١٦٩٨م.

الشهباء، فذَهَبَ إليها مَحْتَبُوراً بِالْهَنَاءِ، مَحْفُوقاً بِالْمَسَارِ^(١) من هُنَا وَمِنْ هُنَا. وَلَمَّا دَخَلَهَا، وَجَلَسَ عَلَى بَسَاطِ الْعَدْلِ، وَتَصَدَّى لِلْحُكْمِ وَالْفَصْلِ، عَدَلَ وَمَا جَارَ، وَحَمَى الذُّمَارَ وَالذِّيَارَ. وَنَامَتِ الرَّعِيَّةُ رَغداً بِأَيَّامِهِ، وَأَمِنَتِ الْبَرِيَّةُ نَكْداً بِمَقَامِهِ.

وفي هذه^(٢) الأثناء دارُ الحكومة تَدَافَعَتِ أركانها، وَأَوْشَكَ أَنْ تَدَّاعِيَ جُدرانها، وكادَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهَا آيَةُ السُّجُودِ، وَقَارَبَ أَنْ تَظْهَرَ فِيهِ صَاعِقَةٌ عَادٍ وَثُمُودٌ، قَدْ أَخْلَقَ الذَّهْرَ أركانها، وَأَضْعَفَ بُنيانها. مصراع [من البسيط]:

أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لِبْدِ^(٣)

فَجَدَّدَ هَذَا الدِّسْتُورَ بِنَاءَهَا، وَمَهَّدَ أَرْضَهَا وَرَفَعَ سَمَاءَهَا، وَأَحْكَمَ أركانها وجُدرانها، وَزَخَرَفَ أَرَجِيَهَا^(٤) وَزَيَّنَ بُنْيَانَهَا، وَوَشَّحَهَا بِالشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ^(٥)، فَصَارَتْ تَحْكِي^(٦) إِرَمَ >، اب < ذات العِمَادِ، وَنَافَتِ عَلَى

(١) المسار: جمع مسرة.

(٢) في الاصل: هذا.

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني، وصدره (امتت خلاء وامسى اهلها احتملوا..).

(٤) يريد: أرجاءها، وقد تكررت. وفي المطبوع: أراضيتها.

(٥) من عجز بيت للأسود بن يعفر هو (والقصر ذي الشرفات من سنداد) يريد به

قصراً تحج العرب إليه بين الحيرة والأبلة. ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٦.

(٦) في المتن 'ققاق' وقد شطبت هذه اللفظة وعوض عنها في الهامش بـ'قصار يحكي'.

الخَوَرَنَقَ وَغَمَدَان، وَأَرَبْتَ عَلَى مُتَنَزَّهَاتِ طَبَرِستان. شعراً لمؤلفه، [من البسيط]:

أَضْحَى كَمُدْخِرٍ فِي الْخُلْدِ مِنْ قَدَمٍ لِمَنْ يُنْزَهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ مَثَلِ

فحكم فيها سنتين متواصلتين، وحوالين كاملين.

فصل

في توليته منصب الرُهي

ثم أنه في السنة الثانية عشرة^(١) بعد المائة والألف، ولي منصب الرُهي^(٢)، وحصل على ما رام واشتهى، وخرج من حلب، وأم الرُهي وطلب، فدخلها بزينه بهية، وشوكة رستمية، وعسكر جرار، وجحفل زخار. فلما حل فناها، وتسّم أعلاها، وباشر سياستها فأحسن حمايتها وحراستها، رأى أن قصر الحكومة غير واقع في محلّه، ولا أهل لأن يسكن فيه من هو كمثله، لضيق رحابه، وبخر فنائه، وشؤم أعتابه، وقدم بنائه، وتهدّم أرجائه، فبنى القصر الراسيخ ذا الشرفات، والسراي الشامخ

(١) أولها ١٨ حزيران ١٧٠٠م.

(٢) كذا يكتبها المؤلف هنا بالألف المقصورة، وميكثها فيما بعد بالممدودة، والمشهور أنها تكتب بالأخيرة. وهي أديا القديمة، سماها العرب الرها تحريفاً للإسم اليوناني كلر هو Callirhoe وتقع على أحد روافد البليخ، وقد عرفها العثمانيون باسم أورفه، وهو اسم محرف من الرها أيضاً، وعد بحسب التنظيمات العثمانية مركزاً للواء (سنجق) تابع لولاية حلب. قاموس الأعلام ص ١٠٧٤.

من جميع الجهات، يَعْجَزُ المُهَنْدِسُونَ عن تفصيله، وتَعْنِي المُنْجَمُونَ عن بيان طالعه في تفضيله، فحُلِيَ بِقَاعَه، وَزَيَّنَ قِيَابَه وَقَاعَه، وأجرى فيه جداول الزُّلال، وأسأل فيه أنهار الجريال، فتدققت حياضه، وتأنقت رياضه، وأغدقت أشجاره، وأينعت أثماره، وترنمت بلابله، وتتغمت عنادله، وأضاء مصباحه، وحسن مساؤه وصباحه. يذهب عن الداخل فيه ألم الرجاء، ويتبعد عن الناظر إليه وساوس المؤداء، لما جمع من أنواع الصفا ما يلذ < ١١١ > الأبصار. وحوى من أصناف الهناء ما ينهر الأنظار لدى الإبصار. شعراً [من الكامل]:

مَغْنَى بِهِ تَهْوَى الْقُلُوبُ كَأَنَّمَا بِالطَّبْعِ تَجْذِبُهَا حَصَى مَغْرَائِهِ (١)
أَرْجَ حَكَى نَفْسَ الْحَبِيبِ نَسِيمَةً يَذْكِي الْهَوَى فِي الصَّبِّ بَرْدُ هَوَائِهِ
نَفَحَاتُهُ تُبْرِئُ الضَّرِيرَ كَأَنَّمَا رِيحَ الْقَمِيصِ (٢) تَهْبُ مِنْ يَلْقَائِهِ

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

فصار حسرةً للأكابر، إذ كل عن الإتيان بمثله قاصير، فهو آية المجد المنزّهة عن التحدّي، وبيت الحمد لكل شامي ونجدي.

ثم أنه في هذه الأثناء، أتاه الأمر السلطاني بالخروج من الرُّها إلى كَسْرِ شَوْكَةِ رؤوساء الأعراب الموالسي، حين تجرأوا على الفساد والخراب، إذ غرّتهم كثرتهم، وعاضدتهم شوكتهم، ودلّهم إبليس على المكائد، وجرأهم على المقاسد، (يُريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم،

(١) المغرة: طين أحمر يصبغ به.

(٢) إشارة إلى إيصار يعقوب حين وضع قميص ابنه يوسف على وجهه.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون^(١)، فسار إليهم وزير
الوزراء، وأمير الأمراء، بجنود ملأت الوعر والسهل، والوهاد والجبل.
شعراً [من بحر الطويل]:

وسار ينصر، والخميس كأنه من الحزم بحر بالعجاجة مزبد

قد أثبتت الدلاص^(٢) قلبه، وصفقت جناحاه إلى كل همّة ندبة^(٣)،
وسدت^(٤) ساقته، وأرهبت وأوهنت طبيعته، فترأت الفئتان، وبرز من
الجانبين الكماة الشجعان، وأبرقت الصوارم، وأزهقت اللهازم^(٥)، وبادر
المصادم بكل بتار صارم، وخفقت الأعلام، وعلا القتام، وغنت الصقال^(٦)
> ١١ب<، ورئمت النبال. شعراً [من الوافر]:

كان ترئم الأوتار فيه أنين مشوقة ذكرت فحنت

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

(١) التوبة، آية ١٠.

(٢) الدليص للبريق، والدلاص: اللين البراق الأملس، يراد به نوع من الدروع.

(٣) الندب: الخطر

(٤) سدت الناقة: تدرعها في المشي، واتسع خطوها. وفي المطبوع: سدت وفي هامشه
أنه غير واضح في الأصل.

(٥) اللهزم: كل شيء من سنان أو سيف قاطع، وسيف لهزم: حاد.

(٦) جمع: صقيل، وهو السيف.

وسار الأسمر بين الأبيض والأحمر^(١)، وسالت الدماء كَسِيلِ
 السماء، وطارَت الرؤوس، وحارت النفوس، وغرِفَ الكَمِيُّ الشجاع،
 وأنكر الجبان المرواح. هذا والوزير مُشَمَّرٌ عن ساعد الشجاعة، كاشِفٌ
 عن ساقِ الجسارة في هذه الساعة، يَجُولُ بين الصُّفوف، ويَصُولُ تحت
 بوارِقِ السيوف. شعراً [من بحر الكامل]:

صَرَعتُ ثَعَالِيَه^(٢) الأسودَ فلُصِبَحَتِ مَحْشُورَةٌ بِخَوَاصِلِ الْغَرِيبَانِ
 بَطْلٌ يُرِيكَ إِذَا تَجَلَّلَ بِرُغَاهُ أَسَدُ الْعَرِينِ بِحُلَّةِ الثُّعْبَانِ
 رَشَفُ النَّجِيعِ مِنَ الْأَسِنَّةِ عِنْدَهُ رَشَفَاتِ خَمَرِ بَوَارِقِ الْأَسْنَانِ
 يَرْتَاحُ مِنْ وَقَعِ السِّيُوفِ عَلَى الطَّلَا حَتَّى كَانَ صَلِيلُنْ أَغْثَانِي
 وَيَرَى كُعُوبَ السُّمْرِ سُمَرَ كَوَاعِبِ وَذُكُورَ بَيْضِ الْهِنْدِ بَيْضَ غَوَانِي
 لَمْ يَسْتَطِعْ وَتَرَا يَلْذُ لَهُ سِيَوَى أَوْتَارِ كُلِّ حَنْثِيَةٍ مِرْنَانِ

مركز تحقيق كتب التراث

ولما شَاهَدَتِ الْأَعْرَابُ حَرْبَ الْبَسُوسِ، وَعَلِمَ أَوْلُئِكَ الْأَحْزَابُ
 بِسَعْدِهِمُ الْمُنْحُوسِ، حَقَّقُوا أَنَّ مَا أَبْرَمُوهُ أَصْبَحَ مَنْقُوضاً، وَمَا رَأَوْهُ كَانَ
 رَأياً مَرْفُوضاً، وَإِنْ مَا تَمَسَّكُوا بِهِ كَانَ مِنْ حِبَائِلِ الشَّيْطَانِ، وَإِنْ مَا اسْتَدَّوْا
 إِلَيْهِ كَانَ مَالَهُ إِلَى حِرْمَانٍ وَخِذْلَانٍ، فَتَدِمُوا عَلَى مَا عَوَّلُوا عَلَيْهِ، وَرَامُوا
 الْخَلَاصَ وَاللَّهْرَبَ مَالُوا وَعَدَلُوا إِلَيْهِ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. فَمَا انْقَشَعَتْ
 سَحَابَةُ الْعَجَاجِ، وَمَا أَسْفَرَ <١٢> صُبْحَ ذَلِكَ اللَّيْلِ الدَّاجِ، حَتَّى تَحْكَمَتِ

(١) الأسمر الرمح، والأبيض السيف، والأحمر الدم.

(٢) في الأصل بالرفع وهو عكس المقصود.

المناصيل في المفاصل، وتسنمت رؤوسهم اللدان الذوابل، وغدوا طغمة
للسرحان^(١)، وعيزة لكل إنسان، ونذر من نجا، وقل من إلى الهرب إلتجا.
ثم رجع الوزير إلى البلد المذكورة، بالعساكر المنصورة، فجاءه من
الخنكار الإنعام، وناله منه غاية الإكرام، أن أرسل إليه خلعة سراسوية^(٢)،
مبطنة بالفرزة السمورية^(٣)، ومعها سيف صقيل، عليه من أصناف
الجواهر إكليل. وكان حكمه في الرؤى سنتين أيضاً.



(١) الذئب.

(٢) سراسر: لفظة فارسية، تعني: تمام، جميع، كل، فيكون معنى الاسم: خلعة تامة، أو
كاملة.

(٣) السمور: حيوان بري يشبه ابن عرس لونه احمر مائل إلى العواد يتخذ من جلده
فراء غالية الأثمان، وقد جرت رسوم الدولة العثمانية أن يهدي السلطان إلى ولاته،
عند تعيينهم أول مرة، أو تجديد مدد حكمهم، فرى من هذا النوع.

فصل

في توكليه آميد^(١)

وفي رأس السنة الرابعة عشرة بعد المائة والألف^(٢)، ولَّى آميد، المعبر عنها بديار بكر، قسداً رحل المسير، ولم يلبث في الرها بعد إلا الزمن اليسير^(٣)، فدخلها في أحسن آن، وأبرك طالع وأهنا زمان، وافقه السعد والإقبال، فترأس على الرجال الإقبال^(٤)، وجلس لرفع المظالم إليه، وإعانة المظلوم على الظالم لديه. وساسها احسن سياسة، وحرسها أتم حراسة، وحفظ باطنها، وحافظ ظاهرها، وعمّر خرابها، ورّمم وأبدى للرعية عدله، وأمر على الظلم على البرية بالرحلة.



(١) أميد، هي آميدا Amida الرومانية، مدينة في غربي دجلة الأعلى، اشتهرت بحصانتها وبحجارتها السود، حتى عرفت بآمد السوداء، وازدهرت ازدهاراً كبيراً في العهود الإسلامية فعدت قاعدة إقليم ديار بكر، وقد حرف العثمانيون اسمها إلى قره حميد، فقره تعني: الأسود، ثم شاع تسميتها باسم إقليمها فعرفت باسم ديار بكر مطلقاً، وأصبحت مركزاً لولاية باسمها. ليسترنج ص ١٤٢. وهي ليست أورفه كما ورد في المطبوع.

(٢) أولها ٢٨ أيار سنة ١٧٠٢م.

(٣) في المتن: إلا زمناً يسير قد شطب على اللفظتين الأخيرتين وذكر في الهامش التصحيح الذي أوردناه في أعلاه.

(٤) جمع قيل، وهو في الأصل لقب لملوك اليمن من حمير دون الملك الأعظم، ثم سمي به كل ملك ناقد القول والأمر. يريد قادة جيشه.

وأطاعوه الأكراد الميلئية^(١)، وسائر أهل الفساد أصحاب الحميئة،
 حميئة الجاهلية، طوعاً وقهراً، وانقياداً وقسراً، فغدا مسموع الكلمة، مُهاباً
 بين الأمة، فأنشد لذلك، وللإقبال فيما هنالك. شعراً <١٢ب> [من الرجز]:
 إِنَّ عَلَيَّ اللَّهَ أَنْ تُبَايِعَا تُؤْخَذَ كُرْهًا أَوْ تَجِيءَ طَائِعَا

ولم يزل في هذا الحال الحسن، وعلى هذا الميثال المستحسن، بين
 عدل وإنصاف، وحكم فصل على أهل الخلاف، تجني الرعية بأيامه ثمار
 الأمان، وترتع بمقامه في وديان العدل والإحسان، وتجر أنيال الثروة
 مراحاً، وتفتخر على غيرها سروراً وفرحاً، ومدة حكمه سنتان أيضاً.



مرتبطة ببغداد

ثم إنه على رأس السنة السابعة عشرة [بعد المائة والألف^(٢)]، جاء
 إليه المقرر بتولية بغداد، برسم حفظها عن أهل البغي والفساد، إذ هي قبل

(١) كذا في الأصل، والمشهور: المليية، بكسر أوله وتشديد اللام: قبيلة كردية كبيرة
 كانت تسكن مناطق ماردين وطور عابدين وقره جه داغ، فتفرض سيطرتها على
 الطرق المؤدية إلى ديار بكر وحلب والموصل. ينظر محمد أمين زكي: خلاصة
 تاريخ الكرد وكردستان ص ٢٢٠-٢٢١ وأحمد عثمان أبو بكر: أكراد الملي
 وإبراهيم باشا، بغداد ١٩٧٣، ص ٢٠-٢٦.

(٢) أولها ٢٣ آذار ١٧٠٨م. وقد تولى حسن باشا بغداد في ١٣ صفر سنة ١١١٦ كما
 في مرتضى نظمى زاده: كلثن خلفاء، ترجمة موسى كاظم نورس، ص ٣١٧.

هذا التاريخ بعشرين سنة خراب خالية، وأهلها عظام رفات بالية، لكثرة فساد الأعراب في نواحيها، وإطالتهم أيدي الخراب في أراجيها. وقد عجز أكثر العمال عن كسر شوكتهم، وجبنت الرجال الأبطال عن حل عرى حميتهم، بل دائماً يجهزون عليهم العساكر، فيرجع الكل منهم خاسراً، وعن أثواب الوقار حاسراً، فيأكلون الزروع، ويخربون الربوع، ويقطعون الجادة، ويصلون الفساد بالفساد على العادة. وأما الرعية فلا تسلم من شرهم، ولم تأمن من مكرهم وغدرهم، حتى يؤاخوا أكثرهم، ويسلموا إليهم عجزهم وبجزهم، فيغطون الجزية عن يديهم صاغرون، فيأكلون من تحت أيديهم مما يسمحون <١٣> بإسدائه إليهم، فكأنهم - لعنهم الله - أرباب المال، وكان أصحابه خدام في أشرف حال.

ولم تزل هذه عادتهم، وعليها طرقت جادتهم، إلى أن أم هذا الوزير بغداد، وقصدها برجال شجعان، وفرسان أطواد، فدخلها وهي إلى العدل والأمان صادية، ودفع عنها كل مظلمة طارية، فتصددت على دسنة^(١) الإمارة، وجلس على بساط الوزارة.

ففي أثناء هذه السنة، قدم من الموصيل الطوف الكثير المعبر عنه بالكلك، ومعهم خبز غزير، من مأكول ومشروب وملبوس وغير ذلك من كل محبوب. فبينما هو سائر في دجلة وسط الطريق، إذ خرجوا على أهله آل شهوان وآل غزير^(٢) من فرق الأعراب العراقية، وجملته الأحزاب

(١) فارسية معربة، تعني هنا: قاعدة، مجلس، مسند.

(٢) هذه أول إشارة إلى وجود هاتين العشيرتين في العراق. وأورد الخبر نفسه مرتضى آل نظامي: كلثوم خلفا ص ٣١٨ وقد وصف المؤرخ الموصلي يامين بن خير الله العموي هذه الحادثة في كتابيه غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ١١٧، =

الْمُنَافِقِيَّةَ، فَنَهَبُوا أَكْثَرَ الْأَمْوَالِ، وَقَتَلُوا غَالِبَ الرُّجَالِ. وَجَاءَ الْبَاقُونَ إِلَى
بَغْدَادٍ يُنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ، وَيَبْتَثُونَ لِلْوَزِيرِ هَاتِيكَ الْأُمُورَ.
وَفِي أَثْنَاءِ هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضاً، قَطَعَ أُولَئِكَ الْأَعْرَابُ طَرِيقَ كَرْكُوكَ،
وَنَهَبُوا قُرَاهَا، وَقَتَلُوا وَصَلَبُوا رُوحَ مَنْ تَصَدَّى لِحِمَاهَا، فَجَاءَتِ السُّعَاءُ
بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَبِكَثْرَةِ الْأَرَاخِيفِ فِي هَاتِيكَ الدِّيَارِ، فَجَهَّزَ الْوَزِيرُ عَسَاكِرَ^(١)
يَضِيقُ عَنْهَا الْبَيَانُ، كَمَا أَخْبَرَ مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ بِالْعِيَانِ. وَسَارَ تَخَفُّقٌ عَلَى
رَأْسِهِ أَلْوِيَّةَ النَّصْرِ، مُتَرَدِّباً بِأَرْدِيَةِ الْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ، بِخَمِيسٍ عَرْمَزَمَ، وَجَيْشٍ
كَبِيرٍ مَقْعَمٍ، وَسَارَ بِخَيُْولِ سَوَاقٍ، وَلَتَوَتْ^(٢) سَوَاقٍ، وَسَيُوفَ بَوَارِقِ
<٣١ب> مَوَاقٍ، وَلِذَاكَ سَمَّيْتُهُ خَوَارِقَ. فَسَارَ بِالْخَيُْولِ وَخَفَّقَتِ الْأَعْلَامُ
وَالْبُنُودُ، وَأَمَّهُمْ لَيْثُ الْعَرِينِ، عَدِيمُ الْمِثْلِ وَالْقَرِينِ، وَلِتَسَاوِيَهُمْ فِي لُبُوسِ
الْحَرْبِ، وَاسْتَبَارَ الْمَلِكُ بِمَوَكِبِ الْقَلْبِ، حَقَّ لِلْمَتَّامِلِ فِيهِمْ أَنْ يُنَشِّدَهُمْ
وَيُنَادِيَهُمْ. شِعْراً [مِنْ بَحْرِ الْكَامِلِ]:

مَرْزُوقِيَّةٌ كُتِبَتْ بِحَسْبِ

حرمدة البيان في تصارييف للزمان، مخطوط، كما وصفها في كتابه الآثار الجلية،
لكنه عدها فيه من حوادث سنة ١١١٥ (زبدة الآثار الجلية بتحقيقنا، النجف ١٩٧٣،
ص ٧٩)، ويلاحظ أنه سمى العشيرتين ألبو حمدان، إذ قال في الآثار الجلية "أظهر
العصيان عرب بني حمدان، وجعلوا يقطعون الأكلاك المارة في نجلة إلى بغداد،
فتجهز بالعساكر والي بغداد الوزير حسن باشا.. الخ" ومثله في كتبه الأخرى. وفي
(روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار) لمؤلف موصلی غير معروف، الورقة ٤١.

(١) في الأصل: عساكراً.

(٢) أقران.

ابني السيوف المشرفية والسر ماح السّمهرية والعديد الأكثر
مَنْ فيكم المَلِك المَطَاع كأنّسه تحت السّوابغ تُبّع^(١) في حَمِيرٍ

فجَدُّ بهم بالمسير، وطوى المَراحِل بلا فتور ولا تقصير، فقبَّل أن
يَصِل إليهم سَمِعُوا بِمَسِيرِهِ، وكثرة عدده ونفيره، فأرسلوا إليه لِيفْتَرَوْهُ،
ولِيُغَرِّوهُ، بِلِين الجانب ويؤخِّروهُ، مانتِي فارس من دُهايتهم وأكابرهم
وساداتهم، لجأوا^(٢) بالهدايا والتَّحَف، وتردَّى كل منهم بالإذلال والنَّحْف،
وقالوا: ما سَمِعْتَهُ كان افتراءً، ولم نكن نحنُ أعداء، بل نحنُ نَتَكفَّل بِحِفْظِ
هذه الجادة، ونَسَلِّك فيها أحسن العادة. هَبْنَا أساناً، وما قيل فينا سلَّماً،
ولكن قد تُبْنَا، فنسألك^(٣) الأمان بخُرْمَةٍ من شقِّ له الإيوان^(٤). فعَلِمَ اللَّيِّب
بِمَكْرِهم، ولم تَخَف عليه سيرة غدرهم، وما قصدهم ألاً تَقْيِير نِيَّتِهِ، وتلخير
عزيمته، حتَّى يَخْرُجُوا إلى السَّلامَةِ، إذ ظَهَرَتْ فيهم النَّدامة، لِعِلْمِهِمْ أن ما
تَحَصَّنُوا فيه لا يَقِيهِمْ، ولا تَحْرَس فيه نساؤهم^(٥) وذُراريهم، فجَعَلَ عليهم
عِيوناً وحُرَّاساً، وقَطَعَ منهم الرُّعب أنفاساً.

(١) الأصل: تَبَعاً.

(٢) في الأصل: لجأوا.

(٣) في الأصل: فنسئلك.

(٤) المقصود الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تصدع إيوان كسرى
إيذاناً بمولده.

(٥) الأصل: نساءهم.

وأما أهلهم فقد تَحَصَّنُوا بالخائوقَة^(١)، وبُنِيس الحِصْنِ إذ <١٤> كانت هي الخائوقَة، وهي وَهْدَة^(٢) على شاطئ دجلة أمامها الماء وسِكْر^(٣) عظيم من السكور القديمة، بحيث لا يُسْتَطَاع العبور إليها من شِدَّة جَرِيَانِه، كما لا يُمكن المرور عليه، بل يَقْضِي على المار بالغرق من آتِه. وغَرْبِيهَا غِيل^(٤) مُلْتَف، وشَجَر مُحْتَف، وخَلْفَهَا وشرقيها جِبَالٌ باذِخَة، وكُهوفٌ شامِخَة. وهذه تَقْرِب من الموصل بِثَلَاثِ مَرَاجِل.

فلما جاء الوزير إلى هذا المكان، وشاهدَ هذا الشَّانَ، أَرْسَلَ مَنْ خَلْفَ هذه الأسوار، ثَلَاثَةَ آلَافٍ تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْفِرَارِ. ولما لم يُمكن العبور إليهم لِحِيلُولَةِ دِجْلَة، ولم يُمكن الوصول إليهم والِرَّحْطَة، سَوَى طَرِيقٍ حَرَسُوهَا بِالْبَنَادِقِ، وَقَطَعُوهَا بِكُلِّ حُسَامٍ قَالِقٍ، صَعَدَ^(٥) الوزير المذكور إلى مُرْتَفَعٍ مِنَ الْكُهُوفِ، فَصَارُوا مَطْمَحَ نَظَرِهِ، وَلِقَاءَ بَصَرِهِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

(١) في المطبوع: الخافوقَة.

(٢) الوهدة هي المطنن من الأرض، والمكان المنخفض كأنه حفرة، بينما وصفها العمري في غاية المرام ص ١٧٧ بأنها قلعة خربة، وفي الآثار الجلية (زبدة ص ٨٠) بأنها "جبل على شاطئ نهر دجلة بين الموصل وبغداد"، ومثله في (روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار) مخطوط، الورقة ٤١، وفي كلشن خلفا ص ٣١٨ أنها قلاع حصينة. وسينوه المؤلف فيما يأتي بوجود أسوار لها، وما يزال هذا الموضع معروفاً باسمه هذا حتى اليوم ويقع في شمال قلعة الشرايط الأثرية.

(٣) السكر: سد الشق ومنفجر المياه، وقيل المسناة، وجمعه سكور.

(٤) الغيل: الشجر الكثير الملتف، وقيل: مما ليس بشوك، وقيل: الغيل جماعة القصب والحلفاء، والأجمة.

(٥) في الأصل: فصعد.

هناك يأخذ الإنتقام، ويكسر شوكة الأعراب الطغام، فركب عليهم
الأطواب^(١) الرعنية، وأدخل عليهم العذاب والبليّة، فتراكموا وتدافعوا،
وكادوا أن يتهازموا ولا يدافعوا.

ولم يزل بنادق الأطواب^(٢) تتوشهم، وتصلّيهم وتحوشهم^(٣)، فصعدوا
من طريق من الجبل، لم تتلهم من تلك القل^(٤)، يريدون الغيل ليتحصّثوا
فيه كما قيل. فلما صاروا أسفل، أتاها الصرصر^(٥) الأول. وقد نقل بعض
الأثبات ممّن شاهد هذه الوقعات أن عدد العدو كان حينئذ ثلاثة آلاف
فارس، وسبعة آلاف راجل بنار البنادق حارس، <٤١ب> وإن الحقّ الذي
نعرفه أن الواحد منهم يقابل خمسين فارساً لما مارسوه من الشجاعة،
وتعلموه من غريب هذه الصناعة، انتهى.

ثم إنهم لما شاهدوا هذه الأطواب، وأبصروا منها كل أمر عجاب،
وإن أكثرهم قضى نحبّه، وفارق أهله وصحبّه، قالوا: إذا نخرج من هذا
الغيل، ونقتل قتال من لا يريد الإنقيال والرحيل. فوقفوا صفوفاً،

(١) جمع طوب، وهو المدفع. ينظر دوزي: تكملة ج ٧ ص ٨٦.

(٢) مما يلتفت النظر استخدام المؤلف كلمة بندق للدلالة على اطلاق المدافع من
الكرات، على اختلاف موادها، وهو استخدام جديد، لأن كرات البندق المستخدمة
عادة هي ما شابه حجم البندق، الثمر المعروف، وقد تقدّم التعريف بها.

(٣) حشاه بسهم: رماه به فأصاب جوفه.

(٤) القل، جمع قلة، وهو هنا أعلى الجبل.

(٥) الريح الصرصر هنا: شديدة الصوت، يريد الإطلاقة الأولى للمدفعية.

واصطفُوا وقُوفاً، وركَبُوا العِراب^(١) المَسُومة^(٢)، وامْتَطُوا الجِباد
 المُلأمة^(٣). وأرادوا قِتال من يُدافع عن نَفْسِهِ وعِرْضِهِ، وأثاثه في أرضه،
 وإنهم تحالفُوا وتَقاسَمُوا^(٤) أن لا يَتَخالفُوا ولا يَتَهَازَمُوا. فَنَبَتُوا على هذه
 النِّيَّة. واحمرُّ في عيونهم جَمْرُ الحَمِيَّة. شعراً [من الطويل]:
 فَرَاغِنَا هَمَّتْ بِهِ فَتَلَقَّتْ عَصَا عَزْمِهِ مَا يَأْفِكُونَ مِنَ الْمَكْرِ

لكن إقبال الوزير غالب، وتدبيره صائب، ونجم طالعه ثاقب،
 والدَّهر على خدمته مواظب، فلم يَنْبِت الأعداء إلا زهاء^(٥) ثلاث ساعات،
 وتأهبوا للفرار في الأقطار والفلوات، وطريق فرارهم عليه الرُّصْد - كما
 أسلفناه - وفيه العُدَّة والعَدَد - كما حرَّناه - فصار أكثرهم طُعْمَةً للسيوف،
 وغالبهم نُهْبَةً للحتوف. وسَلَبَت الدَّجَلَةُ أكثر نساءهم وأطفالهم، وغرقت
 غالب خيولهم وجمالهم، ومُسِكَ على شيخهم قَعْدَان^(٦) أسيراً، وأذاقوه هواناً
 عسيراً، وطلَّب الباقون الأمان، حين أبصروا فعال الفرسان.

ثم أن الوزير - رحمه الله - مع شجاعته وجَوْدَةِ ساعده <١٥> في
 صناعته، عَفُوٌّ غَفُور لدى اشتباك الأمور، فَحَقَّن دماءهم، وأرجع إليهم

(١) الخيل العراب: العربية المعالمة من الهجنة.

(٢) الخيل المرسل: المطلقة.

(٣) الملائم: المدرع.

(٤) تَبَايَلُوا القِسم.

(٥) في الأصل: إلّا زهى، وفي المطبوع: الآن هي.

(٦) كذا هي مجودة الخط والشكل، وقعدان هو اسم علم لشيخهم، وورد في المطبوع: اللفظة
 غير واضحة (وهي فقدان).

نساءهم، إلا أن مالهَم ذهب شَذَر مَذَر، وتَلَفَ في أيدي العسكر، ورضُوا بِصِيَانَةِ عِرْضِهِمْ، وَحِمَايَةِ نِسَائِهِمْ، فهو جُلُّ غَرَضِهِمْ، ولم يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ مِنْ عَسْكَرِهِ لَوَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِهِمْ، ولم يَتَجَرَّأْ أَحَدٌ لِأَخْذِ أَطْفَالِهِمْ وَإِمَائِهِمْ، بَلْ جَمَعَهُمُ الْغُيُورُ الْجَسُورُ، وَمَدَّ عَلَيْهِمُ الرُّوَّاقُ كَالسُّورِ، ثُمَّ بَعْدَ إِخْطَادِ نَارِ الْحَرْبِ، وَزَوَالِ الْعَنَاءِ وَالْكَرْبِ، أَطْلَقَهُمْ وَأَطْلَقَ مِنْ مَعَهُمُ مِنَ الرُّجَالِ، وَالْفُرْسَانِ الْأَبْطَالِ، لِمَا حَوَاهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالشَّيَمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَوْصَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، وَقَدْ صَنَقَ فِيهِ قَوْلَ الْقَائِلِ، شعراً [من الكامل]:

سَمَحَ أَيَّامِهِ لَنَا كَمْ أَوْضَحَتْ مِنْ غُرَّةٍ لِحَبِيبٍ خَطَبَ أَدُهُمَا
حَسَنَ أَزِيدَ بِهِ الزَّمَانُ مَلَا حَسَةً فَخَلَّتْ مَلَا حَتَهُ وَكَانَتْ عَلَقُهَا
تَلْقَاهُ فِي الْأَيَّامِ أَمَّا ضَارِبُهَا^(١) أَوْ طَاعِنُهَا^(٢) أَوْ مُعْطِيَا أَوْ مُطْعِمُهَا
طَوَّزاً تَرَاهُ لَجْجَةً مَوْرُودَةً عَذِيبَتْ وَأَوْنَةً شِهَاباً مُضْرمَا
لِبَسِ الْعُلَى بَعْدَ الْقِمَاطِ وَقَبْلَمَا خَلَعَ التَّمَائِمَ بِالسَّامِحِ^(٣) تَخْتُمَا

فَأَمَرُ عَلَيْهِمْ شَيْخاً جَدِيداً، وَصَارَ كُلُّهُمْ أَرْقَاءَ عِبِيداً، لِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ حِفْظِ حَرَمِهِمْ، وَعَدَمِ انْتِهَاكِ حُرْمِهِمْ. وَمِنْ هَذَا التَّارِيخِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هُمْ أَرْقَاءُ نَعْمِهِ، وَعَبِيدُ كَرَمِهِ، وَخَدَمُ شَيْمِهِ <٥١ب> مُلَازِمِينَ

(١) فِي الْمَتْنِ: أَوْ طَانِعاً وَقَدْ صَحَّحَ فِي الْهَامِشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أوردناه.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ أَنَّهَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ السَّمَاكِ، وَصَحَّحَهَا فِي الْمَتْنِ بِالسَّامِحِ، مَعَ أَنَّهَا هَكَذَا مَجْرُودَةٌ الْخَطِّ فِي الْأَصْلِ.

بابه، خادمين سُدَّتْهُ^(١) واعتابه، لم يَظْهَرِ منهم فساد، ولم يَصْدِرْ أنْكَاد على قُصَادٍ وورَاد.

ولما سَمِعَ سائر الأعراب، فيما فَعَلَهُ من الجميل لهؤلاء الأحزاب، لَأَنْتَ عَرِيكَةٌ أَكْثَرُهُمْ، وجاؤا إلى الطَّاعَةِ بِعَجْرِهِمْ وَبَجْرِهِمْ^(٢)، إِذْ مَا^(٣) تَقَدَّمَ هذا الوزير من الوزراء الأكاسير، والأمراء الأكابر، كانوا إِذَا ظَفَرُوا بِهِمْ، وَقَدَرُوا عَلَى هَتِكِ حَرَمِهِمْ يَأْسِرُونَ النِّسَاءَ وَالشُّبَّانَ، وَالْإِمَاءَ وَالصَّبِيَّانَ، وَيَبِيعُونَهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَسُومُونَهُمُ الْخَسْفَ وَالْمَحَاقَ. لكن هذا الوزير الكبير لم يَرِ رَأْيَهُمْ، وَلَمْ يَجْزِ جَرِيَّتَهُمْ، فَكَانَ رَأْيُهُ هُوَ الصَّائِبُ، وَفِكْرُهُ فِي الْعَوَاقِبِ هُوَ الثَّاقِبُ، إِذْ مَا رَأَاهُ^(٤) أَوْلَتْكَ الْأَكَابِرُ، هُوَ السَّبَبُ لِلْفِتَنِ وَالْمُلْجِئِ لِلثَّائِرِ عَلَى سَيْرِهِ فِي هَذَا السَّنَنِ. وَلَمْ تَزَلْ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذِهِ سِيرَتُهُ، إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، وَرَحِمَهُ وَاسِعَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

مركز تحقيق كتب علوم اسلامی

فصل

في مراسلته الأعراب

بعد قَوْلِهِ عَنْ أَوْلَيْكَ الْأَحْزَابِ، بِأَمْرِهِمْ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَقِّ عَصَا الْجَمَاعَةِ، وَصُورَةِ الْكِتَابِ:

(١) السدة: الظلة تكون أمام باب الدار أو الصفة أو السقيفة.

(٢) المعجر والبجر: الأمر العظيم.

(٣) لعله (من).

(٤) في المطبوع: إِذَا

بَعْدَ حَمْدٍ مِنْ خَلْقِ الْعِبَادِ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ،
عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ، مُحَمَّدٍ الْمُرْسَلِ لِقَمْعِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْعِنَادِ، وَالتَّمَادِي فِي
الْفَسَادِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَهِدُوا الْأَحْكَامَ، وَسَدُّوا أُمُورَ الْأَنَامِ.

فَهَذَا كِتَابِي وَإِرْدَ عَلَيْكُمْ مَعَاشِيرَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، لِكُلِّ عَشِيرَةٍ مُسْلِمَةٍ وَفِيَّةٍ
بَاغِيَةٍ طَاغِيَةٍ، قَدْ أَمِرْتُمْ بِطَاعَةِ <١٦> السُّلْطَانِ مِنْذُ أَزْمَانٍ، وَنُهِيتُمْ عَنْ
الْفَسَادِ وَالطُّغْيَانِ، فَفَرَّطْتُمْ فِي الْفَسَادِ، وَنَصَرْتُمْ جَيْشَ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْإِفْسَادِ،
وَاشْتَكَيْتُمُ النَّاسَ مِنْ ضَرْكِكُمْ، حَيْثُ أَضْرَمْتُمْ نَارَ بَغْيِكُمْ وَشَرْكِكُمْ، فَكَأَنَّمَا
أَمِرْتُمْ بِالْعَكْسِ حَتَّى نُهَيْتُمْ الْأَمْوَالَ، وَأَبْحَثْتُمْ قَتْلَ النَّفْسِ، وَلَمْ تَرَعُوا شُعَائِرَ
الْإِسْلَامِ، حَيْثُ هَتَكْتُمْ حُرْمَاتِ الْحُكَّامِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْدُنَا خَيْرُ بَغْيِكُمْ، وَتَبَسَّتْ
لَدَيْنَا نَبَأُ فَسَادِكُمْ فِي سَعْيِكُمْ، فَالْبِدَارُ ^(١) إِلَى الدَّخُولِ فِي الطَّاعَةِ،
وَالْحَذَارِ الْحَذَارِ مِنْ عَدَمِ الْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ دَعْوَتِنَا
تَمَادَيْتُمْ، وَلِمَنْ فِي سِلْكِنَا أَضْرَرْتُمْ وَأَذَيْتُمْ: [مِنْ الْبَسِيطِ]:

فَالسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَذِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ ^(٢)

وَإِنْ انْقَدْتُمْ لِدَعْوَتِنَا، وَأَطَعْتُمْ وَأَجَبْتُمْ لِكَلِمَتِنَا، فَابْشِرُوا بِالسَّلَامَةِ،
وَبخَلْعِ الرِّضَى وَالْكَرَامَةِ، وَإِلَّا فَمَنْ أُنْذِرَ حَذْرًا، وَمَنْ حَذَرَ فَمَا قَصَّرَ، وَلَا
تَغُرُّكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَسَيْفُنَا صَقِيلٌ، وَلَا يَأْمَنُكُمْ شُطُوطُكُمْ وَنَبُوتُكُمْ ^(٣) فَرَمَحْنَا

(١) أَيِ اسْرِعُوا.

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي تَمَامٍ.

(٣) الشُّطُوطُ، جَمْعُ شَطٍّ: جَانِبِ النَّهْرِ وَالْوَادِي، وَالنَّبُوتَةُ: الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ.

طويل، وقد صَحَّ في الكتاب وتَوَضَّحَ إن من كان ظالماً فما أفلح، وقد أفتى العلماء بهَذَرِ دِمَائِكُمْ، وسبِي نَسَائِكُمْ وإِمَائِكُمْ.

وإن عَزَمْتُمْ على الْقِتَالِ، فاعْلَمُوا أن قد دَنَّتْ مِنْكُمْ الْأَجَالُ، فلا تَعْتَقِدُوا أن خِيُولَكُمْ سُبُقٌ، فإنَّ بِالْحَقِّ وإِعَانَةِ اللَّهِ نُجِبْنَا أَسْبَقُ، فإن هَرَبْتُمْ إلى الْأَقْطَارِ الْقَاصِيَةِ، وَذَهَبْتُمْ إلى الْأَمْصَارِ النَّائِيَةِ^(١) فالْوَصُولُ <٦١ب> إِلَيْكُمْ غير بعيد، وَحَصْدُ رُؤُوسِكُمْ ليس علينا بِأَمْرٍ جَدِيدٍ، فإذا ظَهَرَ أَضْوَارُ جَهْلِكُمْ، وبدا إِصْرَارُكُمْ على فِعْلِكُمْ، فاعلموا أن قد ابْتَدَرْتُمْ الْجُنُودَ الْمُجَنَّدَةَ وَالْعُدَّةَ^(٢) الْمُعَدَّةَ، وسيف سلطاننا صَقِيلٌ، وَسُمْهَرِي خَاقَانَا طَوِيلٌ، ولم يَزْعَنَا كَثْرَةُ عَدَدِكُمْ، ولم نَهَبْ مَلَاةَ عُدَدِكُمْ، فإِنْصِفُوا وَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣) وَلَا تَخَوْضُوا كُلَّ مَخَاضَةٍ مُهْلِكَةٍ، وَبَادِرُوا إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِلَّا فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْكُمُ السَّاعَةُ، ﴿وَمَا كُنَّا مَعْذِبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٤) ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٥).

فلما بَلَغَهُمُ الرِّسُولُ، وَتَلَّوْا مَا هُوَ مَرْسُولٌ، مِنْهُمْ مَنْ تَذَكَّرَ فِعْلَهُ مِنْ آلِ غُرَيْرٍ وَشَهْوَانَ، فَانْقَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالزُّجْرِ عَنِ الْعِصْيَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) في الهامش الشامعة.

(٢) في الأصل والعديد المعددة.

(٣) البقرة، من الآية ١٩٥.

(٤) الإمراء، الآية ١٥.

(٥) الإمراء، الآية ١٦.

ظَلَّ عَلَى فْسَادِهِ، وَدَامَ عَلَى بَغْيِهِ وَعِنَادِهِ، وَكَانَ الْكِتَابُ عِنْدَهُ كَصَرِيرِ بَابٍ،
أَوْ طَنْيْنِ نَبَابٍ، فَعَنْ قَرِيبٍ قَضَى نَحْبَهُ، وَفَارَقَ مِنْ أَحِبِّهِ.

فصل

في بيان زياراته

مشاهد الصلحاء ومراقد الشهداء الأولياء

فبعد ذلك، تَوَجَّهَ إِلَى زِيَارَةِ أَفْضَلِ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى الْإِطْلَاقِ^(١)،
وَأَكْمَلَهَا الصَّادِقَ الْمِصْنَدَاقَ، مَنْ أَحَقَّه النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِآلِهِ،
وَشَرَّفَهُ بِمَقَالِهِ، فَقَالَ السَّعَادَةُ وَتَهَنَّى، حَيْثُ قَالَ فِي حَقِّهِ (سَلْمَانُ مِنَّا)، فَبَقِيَ
هُنَاكَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ <١١٧> مَلْتَجِنًا إِلَيْهِ بِحُطِّ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ، وَأَنْعَمَ عَلَى
خُدَامِهِ بِأَصْنَافِ التُّخَفِ، وَمَنْحَهُمُ الطَّرْفَ وَالظَّرْفَ.

وَبَقِيَ فِي مَدَّتِهِ هَذِهِ عَلَى اصْطِيَادِ أَطْيَارٍ، وَحُصُولِ أَوْطَارٍ، وَاقْتِنَاصِ
الظُّبَا، وَاسْتِثْقَاقِ أَرْوَاحِ الصُّبَا، حَيْثُ تَهَبُّ عَلَى الْخَزَامِيِّ^(٢) وَالرُّنْدِ،
وَتَجْزِي حَيْثُ تَسْرِي عَلَى أَصْنَافِ الْأَزْهَارِ وَأَنْوَاعِ الْوَرْدِ، إِذْ مِنْ الْمَقَرَّرِ
الْمَشْهُورِ، وَالْمُحَرَّرِ الْمَذْكُورِ، أَنَّ وِدْيَانَ هَاتِيكَ الْأَرْضِ، مَغْمُورَةٌ بِالرَّبِيعِ
الْغَضِّ، فَكَأَنَّ الرَّبِيعَ هُنَاكَ دَارَ إِقَامَتِهِ، وَمَكَانَ سُكْنَاهُ، وَمَدَارَ اسْتِقَامَتِهِ، لَمَّا
خَوَتْ مِنْ رِحَابِ طَيِّبَةِ الْهَوَاءِ، شَهِيَّةُ الْأَرْجَاءِ، بِنَمِيرِ الْمَاءِ، جَدَاوِلُهَا

(١) يريد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، المتوفى سنة ٣٤هـ، والمدفون في المدائن،
إلى الجنوب من بغداد بنحو ٣٥ كم.

(٢) عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح.

جارية، وأنهارها سائرة سارية، فكساها الربيع أثواباً من الوشي وجلباباً
من الكلأ الأخضر، فهي كما قال ابن لنكك البصري^(١). [من الوافر]:
وروض عبقرى الوشي غرض يشاكل حين زخرف بالشقيق
سما زبرجد خضراء فيها نجوم طالعات من عقيق

وفتحت فيها الصبا أزرار ورودها بجرياتها، وأغنت بها الضبا
لانشراحها بصنورها وورودها لغدوبة مكانها، فمن أبصر تلك الرياض
قال: هذه هي الجنة! ومن نظر إلى هاتيك الغياض قال: إنها عن الأكسدار
والأنكاد هي الجنة، فانشراح صدر الوزير برؤيتها، وود أن يقيم برحبها،
لكن الإشتغال <١٧ب> بأعباء الوزارة أرجعه، والإمتهال لأمر الخلافة
نفي قراره فأقلعه، فقل راجعاً إلى الزوراء، بعد اغتنامه طيب ذلك
الهواء.

وفي سؤال هذه السنة، رفع اللواء بالمسير إلى كربلاء، لزيارة سيّد
الشهداء، وإمام الصلحاء، قرّة عين أهل السنة، وسيّد شباب أهل الجنة،
أبي عبد الله الحسين، رضي الله عنه. وإلى زيارة اللّيسّ الجسور،

(١) اللبتان في يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣٥٥، طبعة دار الفكر ببيروت، وابن لنكك
هو محمد بن محمد بن جعفر البصري النحوي الشاعر الأديب، المتوفى سنة
٣٦٠هـ/٩٧٠م، هجا المتنبي وأكثر شعره في شكوى الزمان، وتوفي سنة
٣٦٠هـ. الثعالبي، يتيمة الدهر، الموضع أعلاه، ويساقوت، معجم الأدباء ج ٧
ص ٧٧-٨١.

والشُّجَاعُ الْغَيُورُ، قَاطِعُ الْأَنْفَاسِ، مَنْ كُلِّ ضَالٍّ كَالْخَنَاسِ، أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ.

فَدَخَلَ كَرِيْلَاءَ، وَزَارَ أَصْحَابَ الْعَبَاءِ، وَأُطْلِقَتِ الْمَبَاخِرُ، وَظَهَرَتِ الْمَقَاخِرُ، فَأَجْزَلَ عَلَى خُدَامِهَا، وَأَجْمَلَ فِي فَقَرَانِهَا، وَدَعَا بِخُصُولِ الْمُرَادِ، وَزَوَالَ الْأَنْكَادِ، وَدُعِيَ لَهُ بِمَا يَرُومُ، وَأُنْجِحَ سَعْيُهُ بِالْقُدُومِ، وَبَقِيَ يَوْمًا وَاحِدًا لِضِيقِ الْقَصْبَةِ بِأَحْزَابِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ قَاصِدًا أَرْضَ الْغُرَيِّ وَالنَّجَفِ، رَائِمًا زِيَارَةَ الْوَلِيِّ الْهَمَامِ، الْمُعْتَرِفِ سَيْفِ اللَّهِ الْقَاطِعِ، وَحُسَامِ دِينَ اللَّهِ الرَّادِعِ النَّافِعِ، ابْنِ عَمِّ الرَّسُولِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، زَوْجِ ابْنَتِهِ الْبَتُولِ، صَاحِبِ الشَّرَفِ الْمُبِينِ ذَا الْمَأْثَرِ، وَالْمَنَاقِبِ وَالْمَقَاخِرِ، الشُّهَابِ الثَّاقِبِ، سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَزَارَ وَاسْتَجَارَ، بِرَبِّ الدَّارِ، مَنْ كَيْدِ الْفُجَّارِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ بِالْإِنَابَةِ، وَفُتِحَتْ لَدَيْهِ أَبْوَابُ الْإِجَابَةِ، مَعَ إِخْلَاصِ نِيَّةٍ، وَصَفَاءِ سَرِيرَةٍ وَطِيَّةٍ. وَبَقِيَ <١٨> ثَلَاثَ سَاعَاتٍ وَأَقْدَامًا مَجَامِرِ الْعُودِ وَالْعَنْبَرِ، وَمَبَاخِرِ النَّذْرِ^(١) وَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ^(٢)، حَتَّى قُرِئَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ وَيَاسِينَ، وَأَهْدَى شَرَفَهُمَا لِصَاحِبِ الْمَجْدِ الْمَكِينِ.

ثُمَّ بَعْدَهُ، خَرَجَ مِنَ الْحَضْرَةِ، مَسْمُولًا بِأَنْوَاعِ الْمَسْرَةِ. وَكَسَا خُدَامُهُ الْخُلَّ الْبَهِيَّةَ، وَوَصَلَهُمُ بِالْعَطِيَّةِ الْحَاطِمِيَّةِ، وَجَبَّرَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ، وَسَارَ صُبْحَ الْيَوْمِ الثَّانِي مُشِيْعًا بِالْذُّعَاءِ وَالنَّشَاءِ.

(١) ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ يَدْخُنُ بِهِ.

(٢) الْأَذْفَرُ: الطَّيِّبُ الرَّائِحَةُ.

وأقام يوماً بنهر الشاه^(١)، متفرجاً على رياضيه وتدفق المياه، بعد أن مرَّ على مسجد الكوفة، فصلَّى فيه ركعتين، وزار سيدنا ذا الكفل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -.

ثم أنه قفل لابساً حلة الشتاء، ودخل حلة الفتحاء، وجلس فيها يوماً للإستراحة. ثم رَقَعَ في اليوم الثاني لواء المجيد والسَّمَاحَة، وقصَد دار السلام، وسارَ بِسَلام، فلما وَصَلَ إلى المَرَحَلَة الوسطى المَعْبُر عنها^(٢) ببئر^(٣) النصف^(٤)، رآها خالية، وأبصرَ جُدرانها هاوِيَة خاويَة، قد انهزَمَ

(١) هو النهر الذي حفره الشاه صفي سنة ١٠٤٢هـ / ١٦٣٢م، وكان يأخذ مياهه من حوالي الحلة إلى مسجد الكوفة ومنه إلى النجف حيث يدور في شوارعها حتى ينتهي إلى المشهد العلوي، وقد ارتفع مستوى الطمي في مجرى هذا النهر فتوقف عن أداء مهمته منذ زمن بعيد. ينظر: جعفر آل محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، النجف ١٩٥٨، ج ١ ص ١٩٤.

(٢) في المطبوع: منها.

(٣) في المطبوع: بئر.

(٤) بئر النصف: بئر مشهورة كان عندها خان ينزله المسافرين. أشار إليها الرحالة بيدرو تكسيرا في أثناء مروره بهذا الطريق سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م (مشاهدات تكسيرا ترجمة جعفر خياط، مجلة الأقلام ج ٤ ص ١٩٦٤) ونوه بها الشاعر حسين بن علي العشاري سنة ١١٨٥هـ / (ديوان العشاري، بتحقيقنا ووليد الأعظمي، ص ٢٤٢) ويذكر بكنكهام، وقد مر بالخان الذي عندها سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م، أن الأكراك يسمون هذا الخان بخان أورطه (أي الخان المغطى) وتسميه العرب خان يونس، لتصورهم أن النبي يونس (ع) كان يستقي من البئر التي عند الخان أثناء سفرائته من نينوى وإليها (رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، ج ١ ص ٢٣٧). كما نكرها المنشي البغدادي في رحلته (ترجمة عباس العزاوي ص ٩٧) وقال أنها تبعد عن بغداد بسنة فراسخ، وكانت هذه البئر على ما يصفها الآثاري بسج سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ذات غور عميق ينزل إلى مائها على درجات وتبدو جد قديمة.

حُرَّاسُهَا مِنَ الْأَعْرَابِ، وَذَهَبَتْ نَاسُهَا وَسَوَاسُهَا وَاعْتَرَاها الْخَرَابُ، فَأَمَرَ^(١) بِتَجْدِيدِ بِنَاهَا، وَإِرْجَاعِ حُرَّاسِهَا إِلَى فِنَاهَا.

ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهَا، وَنَزَلَ الدَّوْرَةَ^(٢) بِالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ مَرَحَلَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ سِتْرَ سَاعَةٍ، فَخَرَجَ لِاسْتِقْبَالِهِ النَّحَارِيرُ، مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْجَمَاهِيرِ، مِنْ الْأُمَرَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، فَدَخَلَهَا بِسَكِينَةٍ، وَوَقَّارٍ وَزِينَةٍ. <١٨ب>

فصل

في بيان غزوة بني لام

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ، غَزَا بَنِي لَامَ^(٣)، وَهُؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، شَرْقِي دِجْلَةٍ، ذَوُو صَوْتَةٍ، وَأَصْحَابُ حَمِيَّةٍ وَحَمَلَةٍ، عَصَاةٌ عَتَاةٌ، وَبُغَاةٌ طُغَاةٌ، دَائِمًا

وشكلها يوحي أنها من آثار القرن العاشر أو الحادي عشر للميلاد (٤ و ٥ للهجرة). (واليس بج: رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل ج ١ ص ١٢١). قلنا: وتقع هذه البئر في موقع مخفر الشرطة الحالي الذي لم يزل يسمى بهذا الاسم نفسه بين بغداد والحلة.

(١) سقطت (فأمر) من المطبوع.

(٢) ربما كانت هذه أول مرة يرد فيها اسم (الدورة)، تلك المنطقة التي يحيطها دجلة من جهاتها الثلاث، في جنوبي بغداد، وتعد اليوم واحدة من ضواحيها الوسيعة.

(٣) بنو لام قبيلة طائية المحتد، يمنية الأصل، نزحت من مواطنها حوالي المدينة المنورة وفي أنحاء نجد إلى أطراف العراق الجنوبية في نهايات القرن التاسع للهجرة (١٥م) حيث دخلوا في جملة من التحالفات القبلية، ثم ما لبثوا أن أعلنوا استقلالهم عنهم، وفي مطلع القرن الثاني عشر (١٨م) اتخذوا منطقة الكوت (حيث بنيت مدينة الكوت فيما بعد) قاعدة لحكمهم القبلي، وامتد نفوذهم من جنوب دجلة الشرقي اعتباراً من مصب نهر ديالى إلى منتهى حدود محافظة العمارة من هذا الجانب. ينظر كتابنا: الأسر الحاكمة، بغداد ١٩٩١، ص ٤٣٥-٤٣٨.

يَنْهَبُونَ قَوَائِلَ الْعَجَمِيَّةِ، وَيَأْخُذُونَ الرُّوَاهِلَ الرُّومِيَّةَ^(١)، حَتَّى أَنْ قُرَى
شَرْقِي بَغْدَادَ لَمْ تَسْلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ، وَلَمْ تَأْمَنْ مَدَى الزَّمَانِ مِنْ ضَرِّهِمْ، بَلْ
دَائِمًا يَشْنُونُ الْإِغَارَةَ، مِنَ الْمَنْدَلِيِّ^(٢) إِلَى جَصَّانَ^(٣)، وَيُعَامِلُونَ الرُّعِيَّةَ
بِالْخُسْرَانِ وَالْهَوَانِ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى نَوَاحِي الْجَوَازِرِ^(٤) وَالْبَصْرَةِ، وَكَذَلِكَ
الْحَوِيزَةُ^(٥) فَهِيَ مِنْهُمْ فِي ضَيْقٍ وَوَقْتُ عُسْرَةٍ، لَمْ يَخْلَوْا مِنَ الْفِتَنِ سَاعَةً،

(١) يريد بالرومية: التركية.

(٢) هي بندنيجين كما عرفتھا البلدانیات العربية في العصور الإسلامية، وقد تحرف اسمها
إلى بندنيجين، ومنديلجين، فمندلي. عدت في التنظيمات العثمانية الأولى في العراق
ناحية تابعة إلى (لواء قزانية) أحد الألوية الجنوبية لولاية بغداد. وهي بلدة قديمة تبعد
عن بعقوبة، مركز محافظة ديالى، بنحو ٩٢ كم شرقاً، وتعد اليوم مركز قضاء باسمها
في محافظة ديالى. ينظر: ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٩ وليسترنج: بلدان الخلافة
الشرقية ص ٨٨.

(٣) جصان بلدة تألف منها، ومن بلدة بدر (بادرايا العباسية) في القرن الثالث عشر للهجرة
(١٩م) لواء بدر وجصان، ثم ألغي هذا اللواء في عهد مدحت باشا، واستحدثت ناحية
بدر سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م لتكون إحدى نواحي قضاء كوت الإمارة، وربطت بها
بلدة جصان.

(٤) في المطبوع: الجوانر، والجوازر، وهي البطائح كما عرفتھا المصادر البلدانية
الإسلامية، وعرفت في مصادر القرن التاسع للهجرة (١٥م) بالجزائر، ولبثت تعرف
باسمها هذا حتى العصر العثماني، ثم سميت بالجبايش، جمع: جبشة، وهي الجزيرة،
وهي أرض تحيط بها الأنهار للترع من كل الجهات، ونهرها الرئيس الفرات، وقد
سكنتها القبائل العربية القوية، وشكلت خطراً يهدد طرق المواصلات بين بغداد
وبصرة.

(٥) الحويزة مدينة في بلاد الأحواز، في إيران اليوم، قريبة من الحدود الإيرانية العراقية،
وقد عدت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) مركز الإمارة المشعشعية.

ولم يزلوا في شَقِّ عَصَا الْجَمَاعَةِ، بل من وقت الفَتْح^(١) إلى هذا الوقت لم يتَّبِعُوا أَحَدًا من الْعَمَالِ، ولم يَطِيعُوا الْكُفَاةَ الرَّجَالَ. وفي بعض الأوقات يُوَافِقُونَ الْمُتَنَفِّقَ^(٢)، وَيُسَالِمُونَهُمْ وَيُؤَاخُونَهُمْ، وَلَا يُحَارِبُونَهُمْ، فتزداد أَسْرَارُهُمْ، وَيَكْثُرُ رَمَادُ الْفِتَنِ وتعلو نَارُهُمْ، لِكَثْرَةِ عَدَدِ الْمُتَنَفِّقِ وَعُدْدِهِمْ، وَمُنَاصَرَتِهِمْ وَمُعَاضَدَتِهِمْ فِي مَدَدِهِمْ.

فسار الوزير المذكور، بالجند المنصور، وتَبَعَ آثارَهُمْ، واستتَبَعَ أخبارَهُمْ^(٣)، وَطَفِقَ يَوْمَ الْجَحَافِلِ، ويقصد الأعداء بكل بَطْلٍ مُقَاتِلٍ، فلما بَلَغَ دِيَارَهُمْ، لم يجد إِلَّا آثارَهُمْ، ولم يَرَ غَيْرَ أَثَرٍ بَعْدَ عَيْنٍ، قَدْ حَدَا بِهِمْ حَادِي الْبَيْنِ، إِذْ لَمَّا سَمِعَ أُولَئِكَ الْحِزْبِ الْمَحِيلِ^(٤) بِقُدُومِ هَذَا اللَّيْثِ تَأَهَّبُوا لِلرَّحِيلِ، وساروا هَارِبِينَ فِي الْبَيْدَاءِ، قَانِطِينَ سَنَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَغْصِمُنَا مِنَ الْمَاءِ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى مُحَارَبَتِهِ <١١٩>

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

(١) لا نعلم ما إذا اراد الفتح الإسلامي، أو الفتح العثماني للعراق.

(٢) بنو المنتفق قبيلة عدنانية قديمة كان لها شأن سياسي في منطقة البصرة والكوفة منذ القرن الرابع للهجرة (١٠م) وحتى القرن التاسع للهجرة (١٥م)، ثم أطلق اسمها على اتحاد قبلي كان يتألف من عدة قبائل عربية، سيطر على منطقة الفرات الأوسط وبادية البصرة منذ القرن العاشر للهجرة (١٦م) وحتى القرن الثالث عشر (١٩م). تزعمته أسرة شبيب التي عرفت في القرن الثاني عشر للهجرة بأل سعدون، بينما كان لكل قبيلة في الاتحاد زعامتها الوراثية الذاتية. يعقوب سركيس: مباحث عراقية ج ١ ص ٧٢-٩٠ وكتابنا الأسر الحاكمة ٤٢٠-٤٢٨، وحמיד حمد السعدون: إمارة المنتفق، عمان ١٩٩٩.

(٣) عبارة (وتبع آثارهم وتتبع أخبارهم) مضافة في الهامش.

(٤) المتغير.

وَمُصَادِمَتِهِ، لِمَا حَوَى مِنَ الْقُوَّةِ وَلُطْفِ التَّدْبِيرِ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى الْأَمْرِ
الْخَطِيرِ، وَالْهَيْبَةِ الَّتِي مَلَأَتْ أَكْبَادَ أَعَادِيهِ رُعباً، وَأَحْلَتْ فِي فُؤَادِ مَنَاقِبِهِ
وَمُجَارِيهِ^(١) حَزْناً وَكَرْباً، مَعَ صُحْبَتِهِ الْأَطْوَادِ الطَّائِيَةِ، وَالْفُرْسَانِ الْأَسَادِ
الْعَادِيَةِ. شعراً [من البسيط]:

بُشْرَاكَ، بُشْرَاكَ إِنَّ الرُّعْبَ مُهْلِكُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ وَلَوْ قَرُّوا إِلَى عَدَنَ

فَذَهَبُوا إِلَى جَبَلِ شَامِيخٍ، وَطَوْدِ بَاذِيخِ رَاسِيخٍ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنَفَذٌ إِلَّا
طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يُمْكِنِ الصُّعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ تِلْكَ الْعَسَاكِرِ الْوَارِدَةِ، وَقَالُوا:
إِذَا قَرُبَ مَجِيءُ هَذَا الْأَسَدِ، جَعَلْنَا عَلَى فَمِ هَذَا الطَّرِيقِ الرُّصْدَ، وَحَرَسْنَاهُ
بِالنَّفَكِ^(٢) وَالنَّبَالِ^(٣)، وَعَبَّيْنَاهُ بِالرُّمَاهِ الْأَبْطَالِ.

وَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ بِمَكْرِهُمْ، وَتَخَصُّصِهِمْ فِي جُحْرِهُمْ، عَقَّبَ الرَّجَالَ وَرَاءَهُ،
وَشَنَّ الْإِغَارَةَ بِالْفُرْسَانِ وَعَقَدَ لَوَاءَهُ، وَدَهَمَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ، وَفَاجَأَهُمْ عَلَى
وَهْلَةٍ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَالْعَسْكَرُ دَخَلَ الطَّرِيقَ، فَنَادَى بَيْنَهُمْ مُنَادِي التَّفْرِيقِ،
وَرَمَوْا بِالنَّبَالِ وَالصَّوَاعِقِ، وَحَرَمُوا النِّجَاةَ عَنْ وَقْعِ اللَّتَوْتِ^(٤) وَالْبَوَارِقِ،
وَلَمْ يَلْبَثُوا فِي الْقِتَالِ إِلَّا رِيثَمَا نَفَسَ الْإِعْيَاءُ، أَوْ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءُ. وَاغْتَنَمَ
الْعَسْكَرُ جُلَّ أَمْوَالِهِمْ، وَذَهَبَ فِي هَذَا الْأَزْدَحَامِ غَالِبُ نِسَائِهِمْ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: مُحَارِبُهُ.

(٢) النَّفَكُ: لَفْظَةٌ تَرْكِيَّةٌ بِمَعْنَى الْبَنْدَقِيَّةِ، وَقَدْ تَلَفَّظَ بِزِيَادَةِ النُّونِ بَعْدَ الْفَاءِ، فَتَكُونُ تَنْفَكَ،
وَالْوَاحِدَةُ تَنْفَكَةٌ وَتَنْفَكَةٌ.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: النَّفَكُ النَّبَالُ، بِاسْقَاطِ وَאו الْعَطْفِ.

(٤) اللَّتَوْتُ، جَمْعُ اللَّتِ: وَهِيَ الرَّمِيَّةُ.

وأطفالهم، وأخذَ طريقهم وتلّيدهم، ونَبَذَ في العراءَ كهْلهم ووليدهم، وهَرَبَ من كان بَقِيَّةَ السيوف إلى أرض العجم، والتَّجَوَّأ إليها مما حلَّ بهم وهَجَمَ، فبوصولهم إلى تلك الديار، وحُصولهم فيها على استِقْرار، هَجَمَت عليهم جموع الأعاجم، < ٩١ب > ونَهَبَت بَقِيَّةَ السَّالِمِ، وقَتَلُوا غَالِبَ رجالهم، واستأصلوا جُلَّ أطفالهم، لِمَا كَلَمُوا أَفْنَدَتَهُمْ بِنَهْبِ الأمتعة، وأخذوا مائدتهم برسم المَنعة، وغَصَبُوا أموال قوافلهم، وقَتَلُوا رجال رِوَاحِلهم، فَجَوَّزُوا الصَّاع بالصَّاع، والرَّجَال بالرجال، والمَتَاع بالمَتَاع، فَأَمِنَت الطَّرِقاتُ الشَّرْقِيَّة من جميع الجَہات عن كلِّ بَلِيَّة، ولم يبقَ فيها خَطَر، ولم يَنَلِ التُّجَّار في مَسِيرهم الضَّرَر، وَرَجَعَ الوالي قَرِير العَيْن، مَحْبُوراً بِغَنِيمَةِ اللُّجَيْن، وصَافِي العَيْن^(١).



مرکز تحقیق و ثبت اسناد و کتابخانه ملی

[في العثور على ماسة ثمينة]^(٢)

وفي السنة السابعة عشرة بعد المائة والألف^(٣)، رأى في الجِلَّة المِزْيَدِيَّة رجلٌ من الجَسَّارِين^(٤)، شَيْئاً ذا سَنَاءٍ مُبِينٍ، فابْتاعه لِبَعْضِ النُّلَسِ، بِثَمَنٍ بَخْسٍ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ مِنَ الزُّجَاجِ النُّخَسِ. ثم أن ذلك الرجل عَرَضَهُ عَلَى

(١) اللجين: الفضة، والعين: الذهب.

(٢) أورد هذا الخبر مرتضى آل نظامي: كلثن خلفا ص ٣٢٠.

(٣) أولها ٢٥ نيسان ١٧٠٥م

(٤) الجسار: من يعنى بالجسر ويشرف على شؤونه، من شد حبال زواريقه، أو إرختها، وصيانتها، وما إلى ذلك.

بعض اليهود، ليعلم حاله من أي العقود، فلما أبصره اليهودي أخذه بزيادة على ثمنه، وغشه وعامله بغشبه.

ثم لما كان كل سرٌّ جاوزَ الإثنين شاع، وكل ما أحسَّ بالعين ذاع، وملاً الأسماع، فانتشر هذا الخبر في الحلة، حتى إن السَّمْعَ أمله، فسمع به ضابط القصبَة، فأخذه وقلَّبه، وعرضه على أهل العرفان، فقالوا: إن هذا العقد الماس من غالي الأثمان، وإنه لم يوجد إلا في خزائن الملوك، وإن ثمنه من الدراهم اللُّكوك^(١). فعرض بواقعة الحال إلى الوزير المُشار إليه، وأرسله صُحبة العَرَضِ هديةً صادرةً <١٢٠> عليه. فلما نظر إليه الوزير صاحب الفكر الغزير، رأى جُرمه بقدر الباقلاء، في غاية الصفاء والبهاء، فإذا هو خمسة عشر قيراطاً، أو أربعة عشر تقريباً واحتياطاً^(٢). ثم أن الوزير أرسله هديةً إلى الدولة العثمانية مع البريد، حيث رأى قيمته على الألوف تتوف وتزيد.

[زيارته سامراء]

ثم أن الجناب المُستطاب ركبَ مطيَّة الحَرم، وتدرَّع بدرع الجَرم، وسار بمن قُرب ونأى، يُريد ناحية سرٍّ من رأى، قاصداً زيارة الهمامين، والسُّنَّين السُّيِّدين الإمامين، فرعى دوحة الرُّسالة، وغصني شجرة الجلالة والعدالة، صاحب المناقب الفاخرة، والمآثر الزاهرة، سيدي الإمام علي

(١) جمع لك، بضم اللام، وهي لفظة هندية شاع استخدامها في العراق وتعني مائة ألف.

(٢) في كلشن ص ٣٢٠: ووزنه خمسة وعشرون قيراطاً ونصف.

الهادي، وسيدي الإمام الحسن العسكري، صاحبي الشرف البادي، الفائزين على كل سري. فعقر بترابيهما^(١) الخد والوجين^(٢)، ومسح بأعتابيهما^(٣) شريف الجبين، وتوسل بهما لحصول المُرَاد، وابتهل بالدعاء على استعداد، فأمنت لدعائه الملائكة المقربون، ورددت بالتأمين أعوانه المسلمون، حيث كان قصده النصرة لإعلاء كلمة الدين، ومُراد النجدة لنفع المسلمين، فأنعم على خداميهما بالحلل الضافية، وبث في ساحتيهما النقود النقرة^(٤) الصافية. وخرج إلى صحراء تلك الناحية، يصطاد الظبأ >٢٠ب< القاطنة في تلك البادية، فبعد قضاء وطره رجع عن سفره.

فصل

في ذكر سلمان الخزعلي

وفي أثناء هذه السنة، كان صاحب المشورة على البغي والعصيان، والمحرّض الأعراب على الفساد والطغيان، والمحرّز الأحزاب الخزعلي سلمان^(٥)، كان وحي الوجه، بادي السقاهة، وكان في أحوال الإفساد على

(١) في المطبوع: بترابيهما

(٢) كذا في الأصل، لعلها: الوجهين.

(٣) في المطبوع: بأعتابيهما

(٤) النقرة من الذهب والفضة: القطعة المذابة، والنقرة: السبيكة.

(٥) هو سلمان بن عباس الخزعلي، رئيس عشيرة الخزاعل والعشائر المتحالفة معها في عصره، ابتدأت رئاسته في عهد أبيه عباس، واستمر كذلك حتى ما بعد سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م، ولا نعلم تاريخ وفاته. ينظر حمود الساعدي: دراسات عن عشائر العراق، الخزاعل، النجف ١٩٧٤، ص ١٢-٢٧.

نَبَاهِهِ، أَفْسَقَ مِنْ فَارٍ وَأَفْسَدَ، وَأَسْلَطَ مِنَ الْعِيَارِ وَأَشَدَّ، ذَا حِيلَةٍ وَدِهَاءٍ،
وَدِيمَةٍ^(١) ذَمِيمَةٍ فِي الْمَكْرِ وَطَفَاءٍ. شعراً [من الخفيف]:
كَلِمَا طَالَ عُمُرُهُ زَادَ شَرُّهُ فَهُوَ كَالصِّلِ مِنْ بَنَاتِ الْأَفَاعِي

وسبب بَغْيِهِ وَعِنَادِهِ، وَشَقَائِهِ فِي إِفْسَادِهِ، أَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ
بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ، حُبِسَ فِي الْقَلْعَةِ عَلَى أَدَاءِ الْخَانَةِ، وَرُهِنَ فِيهَا خَوْقاً مِنْ
الْمَكْرِ وَالْخِيَانَةِ. فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ فِي الْحَبْسِ يَوْمٌ، شَرَعَ مَعَ نَفْسِهِ بِاللُّؤْمِ،
مَفَكِّراً فِي انْقِيَادِهِ، وَعَدِمَ إِنْقَاذَهُ وَإِسْعَادِهِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْفِرَارِ وَالسَّهْرِ،
قَبْلَ حَصُولِهِ فِي دَارِ الْبَوَارِ^(٢) وَالْعَطَبِ. وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَتِجِ الْأَفْكَارَ، وَيَسْتَمْنِحِ
الْأَقْدَارَ، وَيُبْذِي لِنَفْسِهِ الْأَعْذَارَ حَتَّى وَلَّى النَّهَارَ، فَظَهَرَ لَهُ سَبَبُ الْخَلَاصِ،
وَبَدَأَ لَهُ الْمَنَاصِ، عَنْ ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ، فَصَبَرَ حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، وَنَامَ
الْحُرَّاسَ، فَحَنَّ إِلَى <١٢١> أَمْتِطَاءِ الْخَيْلِ بَعْدَ هِدْوِ الْأَنْفَاسِ، وَفَتَحَ بَابَ
سِجْنِهِ عَلَى غَفْلَةٍ، وَصَعَدَ الشَّرَفَاتِ مِنْ نَاحِيَةِ دِجْلَةٍ، وَفَكَ حَدِيدَهُ الْحَدِيدَ،
وَنَزَعَ عَنْهُ كُلَّ ثَوْبٍ خَلَقَ وَجَدِيداً^(٣)، وَعَبَّرَ دِجْلَةَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ
سَاحِجاً، وَصَارَ إِلَى أَعْوَانِهِ وَأَحْزَابِهِ غَادِياً وَرَاحِجاً، فَبَادَرَ إِلَى الْعِصْيَانِ،
وَشَرَعَ فِي الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَمَتَنَّتِ الْخَزَاعِلُ بَعْدَ ضَعْفِهَا، وَكَثُرَتْ بَعْدَ
قِلَّتِهَا فِي صِنْفِهَا، لَمَّا عَاشَرَتْهُمْ الْعَشَائِرُ الْخَائِنَةُ، وَنَاصَرَتْهُمْ الْقَبَائِلُ الْعَاصِيَةُ
غَيْرَ الْأَمِينَةِ، فَاسْتَهَرَّ هَذَا الْمَنْكُوبُ بِالصُّوْلَةِ اسْتِذْراجاً، وَأَعْطَى اللَّهُ خَيْلَهُ

(١) الديمة: المطر الدائم في مكان، يريد العادة الدائمة.

(٢) في الأصل البواري ومعنى البوار: الهلاك والكساد، ودار البوار: جهنم.

(٣) في المطبوع: وحديد، بالحاء.

ورَجَلُهُ رَوَاجًا، وحاول الارتقاء على سِلْمِ المَوَالِي، ورام الجلوس في فِئَاءِ
 الأمراء على بِساطِ المَعَالِي، وأدعى بِبَغْيِهِ وطُغْيَانَهُ عَدَمَ النُّظِيرِ فِي حَدِّهِ
 وشأنِهِ، واستَعْمَلَ الحِشْمَةَ والتَّوْقِيرَ، وسار سيرة الملوك، فجلس على
 سَرِيرٍ، وصار ذلك الفقير الصُّعْلُوكَ، ذا دَوْلَةٍ عَلِيَّةٍ كالمُلُوكِ، وسار الدهرُ
 بِرِكَابِهِ، ودَخَلَ فِي جُمْلَةِ أَحْزَابِهِ، ومَلَكَ غَالِبَ ضِيَاعِ بَغْدَادَ، وعَدِمَ أَهْلُهَا
 الانْتِفَاعَ بِوُجُودِ هَذَا الفَسَادِ، قائلًا: إِنِّهَا مُلْكِي جَزْمًا، مَلَكَتْهَا قُوَّةٌ وَحَزْمًا!.
 جامعًا عَشَائِرَ كَثِيرَةً، لِمُصَاهَرَتِهِ لَهُمْ، وأخذَهُ نِسَاءُ غَزِيرَةٍ، حتَّى قِيلَ أَنَّ
 نِسَاءَ المُنْكَوْحَاتِ عَشْرُونَ امْرَأَةً مِنَ الخَوْدِ^(١) الخَدَلْجَاتِ، لِمَا حَوَى مِنْ
 فسادِ الإعتقادِ، وخُبِثُ <٢١ب> سَرِيرَةِ الفُؤَادِ، أَلَا وَهُوَ اتَّخَذَ تُرَاهُتَ قَوْمِ
 مَذْهَبًا، وجَعَلَهُ أَبَاطِيلَهُمْ إِلَى النِّجَاةِ سَبَبًا، فأَحْلَوْا لَهُ تِسْعَةَ، وَلَمْ يَرَوْا مَنَعَهُ
 وَرَدَّعَهُ، فَعَدَلَ عَنْ كَلَامِ قَهَّائِهِ، وجَعَلَ عَشْرِينَ مِنْ نِسَائِهِ، وَمُنَّتْ سَاقَتُهُ،
 وَخَفَقَتْ رَايَتُهُ، وتَجَمُّعَتْ عَلَيْهِ الأَحْزَابُ الطَّاغِيَّةُ، والأَعْرَابُ البَاغِيَّةُ، حتَّى
 أَنَّ غَزِيَّةً وَشَمَّرٌ عِنْدَهُ بَرَسَمَ العَبِيدِ، فاعلِينَ مُنْقَادِينَ لِمَا يُرِيدُ.

ولما نَظَرَ إِلَى قَوْمِهِ، وَشِدَّةَ صَوْلَتِهِ وَحَزْمِهِ، سَوَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ
 يَأْخُذُ بَغْدَادَ، وَيَحْكُمُ فِي العِيَادِ والبِلَادِ. وَرَكِبَ فِي رِكَابِهِ عَشْرَةَ آلَافٍ،
 مُكْمَلُونَ^(٢) السِّلَاحَ ذَوُو ائْتِلَافٍ، مَعَ بَقِيَّةٍ مِنْ يَمَشِي خَلْفَهُ مِنَ الجُنُودِ، وَبَقِيَ
 أَيُّنَمَا سَارَ تَخْفِقُ عَلَى رَأْسِهِ البُنُودُ، وَرَسَمَ لَهُمُ العُلُوفَةَ، وجَعَلَهَا لَهُمْ
 مَعْرُوفَةً، وَقَطَعَ النَّظَرَ عَنْ سَائِرِ الأَعْرَابِ، وَاكْتَفَى بِمَنْ ائْتَخَبَهُ مِنْ ذَوِي
 الأَحْسَابِ والأَنْسَابِ، واجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمَعَ لَدَيْهِ جَمٌّ غَفِيرٌ. وَجَاءَ

(١) المرأة الشابة.

(٢) في الأصل مكملون السلاح.

إلى الحسكة، وهي أحسن ضياع العراق، وأنفع القُرى على الإتفاق،
فأظهر ظلمه، وجعل على أهلها غمّه.

فلما سَمِعَ صاحب الغيرة بفعاله، ورُوِيَتْ له جميع أحواله، وخُذْتُ
بِكثرة عُدّه، وتقوّيه في عُدّه. ولما وقّف على صِحّة هذا الخبر، وقوّيه
بذلك العسكر، لم يتلبّث حتى عَزَمَ على حربِه، وحلّ عُرَى <١٢٢> قوَّيه
في حزبِه، وسار إليه بِجَمْعِ آساد، وقَصَدَه رِجالٌ غِلَظٌ شِدَاد، وطوى إليه
المَراحِل، فقَصَّرت لذلك الرّواحِل. وشنّ الإغارة من بغداد، أربعة أيام
بثلاث لَيال.

فوصل إلى الحسكة بهذا الحال، فلم يرَ للملّعون أثراً، ولم يذُرْ له
خبراً، فحكى له أنه انهزَمَ بجنوده إلى السماوة^(١)، وخَلَّى بين نفسه وهذه
العداوة. ثم إن ذلك المفسد، والزنديق المُلجّد، حينَ وُصُوله إلى السماوة،
جَمَعَ أعوانه، ونادى أحزابَه، لأجل المُشاوَرَةِ والتدبير، في المُعاضدة
والمُناصرة، حيثُ سَمِعَ أن الطُّلبَ واصل، وعَلِمَ به أنه في الحسكة نازل.

(١) السماوة: بلدة تقع على عمود الفرات بين الكوفة والبصرة، نشأت بعد سنة
٩٠٠هـ/١٤٩٤م واتخذها العثمانيون سنة ٩٤١هـ/١٥٢٤م مركزاً لأحد ألوية
آيالة بغداد وقاعدة لقوة عسكرية محدودة، وازدهرت البلدة بعد سنة
١١١٢هـ/١٧٠٠م حينما تحول إليها مجرى الفرات، فنزحت إليها جماعات من
القرى المجاورة، وأمسّت محطة للقوافل القادمة من الجنوب إلى الرماحية ومنها
إلى النجف والحلة، ثم أنها أصبحت مركزاً لجباية الرسوم، وفي سنة
١٢٧٠هـ/١٨٥٣م عدت السماوة قائممقامية ملحقة بلواء الحلة، وهي اليوم مركز
محافظة المثنى. ينظر حمود الساعدي: بحوث عن العراق وعشائره، النجف
١٩٩٠، ص ١٧٨-١٩٣.

فلما استشار أعوانه، وأصحابه وإخوانه، وهم إذ ذاك في قلوب خافقة، وعيون شاخصة، وألسنة غير ناطقة، لما علموا من قتلك هذا الضرغام، ولاسيما فعله في بني لام، قالوا له: إن الدين النصيحة، والحدار الحذار من هذه الفضيحة، نحن لا قدرة لنا على مقابلتك، ولا طاقة لنا بمبارزته ومقاتلته، لما تلج في صدورنا، وتبلج تبلج هذه النفس بين دورنا، إن شوكتك قوية، وقوته رستمية، فنخشى أن يفعل بنا ما فعل ببني لام في الأمس، ويجعل في هذا العام أجمعنا في رمس، ونحن مهما كنا ذوي عَدَد وقوة وعُدَد، فنحن مغلوبون، وقومنا هم المتكوبون، إذ ذلك الرجل الخير دعانا قبل إلى طاعته، والدخول في زمرة جماعته، ورأسلنا بالمُسالمة، <٢٢ب> وأمن علينا مراسلة ومكالمة، فأبينا غاية الإباءة^(١)، ورفض كل منا صحيفته وراءه، وتسنمنا غارب الفساد، واستندنا إلى البغي والعناد، فعلى كل حال الباغي مكسور، والوالي عليه منصور، ثم إننا في مقابلتنا معك، ما يصيبنا فائدة، أو منفعة إلينا عائدة، كلا! فلم ننل غير الجراح، ونُعذم الأرباح والنجاح، فهذا أنت وهذا من عصيتك، فتول قتال من لم تطع أمره وأبيته.

فسارت جميع البدو من بين يديه، وتفرقوا في الدو^(٢) فنديم على ما عول عليه، ولم يبق معه أحد^(٣) إلا أتباعه، ولم يلبث بعد تفرق العشائر إلا ساعة، وترك الولد والمال، والأهل والعيال، وهرب بأنفاسه، ونجا بأمر

(١) كذا كتبها المؤلف مراعاة للسجعة، والأصح: الإباء.

(٢) البيداء.

(٣) لفظة أحد أضيفت إلى هامش الأصل.

رأسه. فاغتنم الوزير أمواله، وأسرَ عياله وأطفاله، إلا أنه - يرحمه الله - لكثرة شفقتة، وازدياد رافته وغيثته، أطلق الأسارى من النساء والولدان، فظلوا حيارى في بطون الصحارى والوديان.

وأرسل إلى من أطاع الخبيث خوفاً وقهراً، وكتب إلى من كان تابعه طوعاً أو قسراً، أن يرجعوا إلى أوطانهم، ويعودوا إلى مكان إسكانهم، وأمتهم على أموالهم وعيالهم وأطفالهم ورجالهم، فعادوا آمنين، وانقادوا طائعين، قائلين: لا نعود لِمِثْلِهِ أبداً، ولن نبدي^(١) ما دُمنّا ضرراً ولا نكدًا. فآلبس شيوخهم خلل الرضاء، وأمتهم في سكنى تلك البيداء، وأمر <٢٣> بنقل الطوب إلى سور الحسكة لأجل حمايته، وأمر من يحافظ السور خشية هجوم الخبيث وصولته.

ثم بعد تفحصه بسؤاله، وكشفه عن أحواله، جاءه الخبر أنه مقيم في أرض السماوة، (باقٍ على تلك العداوة، يتسمع الأخبار، ويحزب الأحزاب، ليخرّب الديار، جامع عليه أهل البغي)^(٢)، متخذاً معه سبيل الغي، وإنه كالأول^(٣) استولى على مقاطعاتها.

فجمع ذلك الصنديد، كل محيل عنيد، وكالحالة الأولى، شنَّ عليه الإغارة، بخلص أعوانه، وأم السماوة ولم يلبث في مكانه.

فلما بلغ ذلك الشيطان خبر هذا الطلب، أيقن بالتلاف والعطب، وتفرق ذلك الائتلاف، وتلافي الهرب، ودخل ذلك الخنزير الغيل

(١) في الأصل: ولا نبدي

(٢) ما بين قوسين سقط من المطبوع.

(٣) أي كالمسابق.

واحتجب، وسراب جنوده اضمحل، وشداد بُتوده انحل. ثم أنه لما لم يمكنه البقاء في الغيل، لكثرة المياه وضيق السبيل، أرسل ولده وبعض رجاله، يعلم الوزير بجملة حاله، ويطلب منه الأمان، والإبقاء في مكان، وأنه لم يعد^(١) إلى مكره، ولم يرجع إلى حيلته وغدره. فقال الوزير: أما يجيء إلي بنفسه، وأمنه على أم رأسه وأهله وعياله وسائر رجاله وأطفاله، وأما يخرج للحرب والنزال، ويلقى الكماة الأبطال، وإلا فانا لا أقره في مكانه، ولا أنفك عن خذلانه وهوانه.

ولما كان الخائن خائفاً، والغادر لم يكن موالياً موالفاً، خرج من تلك الأهوار <٢٣ب> متخفياً على نجب سبق، وهرب إلى البصرة، وبمنايع شيخ المنتوق التحق، وطلب منه الإجارة، فأواه وأجاره. ثم أن الوزير بعده مهّد تلك القرى، وجدّد ولاتها لنفع الوري، وجعل فيها بعض الأعوان، تخميتها عن موجبات الهوان، وسار إلى بغداد راجعاً، ولأصناف الهنا جامعاً، وقرّت عيون أهل العراق، حيث اضمحل أهل البغي والنفاق، وازداد سرورهم، وزالت عنهم شرورهم، إذ لم يؤملوا هذا النصر العظيم، والسعد القويم العميم، ولم يخطر بالبال أنه يمرق ذلك الجمع بأربعين ألف خيال، لكن الله إذا أراد سعادة رجل حقّه بظفره، وقرن به نصره، في إقامته وسفّره. وإن الوزير لما كان ذا نية صادقة، وطويّة عن الصقواء لا الرياء ناطقة، كان منصوراً على الأعداء، مساعدة له الأنواء.

(١) كان الأفضل ان يقول المؤلف: انه لن يعود إلى مكره، ولن يرجع إلى حيلته، وهو ما يقتضيه سياق الكلام.

وكان رجوعه في أواخر جمادى الآخرة^(١)، وكانت نيته أن يبقى بعد مدة في تلك الأطراف، يتفحص عن أهل البغي والخلاف، إلا أن الوزير خليل باشا ولي البصرة على رسم الحراسة، والحفظ عن صولة الأعراب والسياسة.

ولما وصل في طريقه إلى بغداد، جلس للإستراحة وأهبة المتاع لنفود الزاد. ثم أن واليها القديم رجع عن البصرة الفتحاء، ذا قلب سليم، فلما قرب من بغداد ثلاث مراحل، صار إلى رحمة الله راجل، ونقل إلى قرب الإمام النعمان بن ثابت، وقبر هناك وطمست نجومه الثوابت.

فلما سمع الوزير <١٢٤> بموته، ومضي وقته، رجع إلى بغداد وضبط أمواله، وحاسب رجاله وعماله، وابتاع أميعة، وقوم بين أهل الذرية لأجل الشراء لنفسه أسلحته، وعرض بذلك إلى السلطان، فقبلت منه هذه الأثمان، وحمد على هذا العرفان، وشكر^(٢) على فعل الإحسان، فأرسلها صخبة رجاله، وحملها على خيله وجماله.

فصل

[ولادة محمد بن السلطان أحمد الثالث]

وفي رجب هذه السنة^(٣)، ظهر للوجود من صلب سلطان السلطنة ولده النجيب، ونجيبه الحبيب النسيب، ألا وهو السلطان الشاه زاده محمد

(١) من سنة ١١١٧ هـ ويوافق أواسط تشرين الأول سنة ١٧٠٥ م.

(٢) أمام هذه العبارة في هامش الأصل عبارة: بلغ نظراً من مؤلفه، وهي بخط المؤلف.

(٣) أوله ٥ تشرين الثاني سنة ١٧٠٥ م.

خان، واستلقى على مهد الوجود، فاسترَّت به الكُبود، وأنارَ الكونُ لِقُدومه،
فأزهرت الأيام بهجومه. والله درُ شهاب، حيث يقول في نظير هذا الباب.
شعراً [من الكامل]:

في بيته المغمور منذ ولادِهِ نشأ السُرور به وكلُّ هناءٍ
نجم أتى من نيرين كِلاهما وهبأه أي سعادة وضياءٍ
خلع القمَاطَ ففاز في خلع العلى وسعى فأدرك غاية العقلاءِ
له طينته أكانت نقطة وقعت بيسم الله تحت الباءِ

وفي سلخ رمضان هذه السنة، جاءت للوزير الكبير من الدولة العلية
فروة سمورية، وخلعة سنّية بهيّة، وخسام مكلّل^(١) باليواقيت الباهرة،
والجواهر الفاخرة الزاهرة، مصحوبة بالبشارة بمولد ذلك الخير، وبزوغ
ذلك البذر النير، وخلوله في أفق الكمال، وإشراقه على ذروة تدوير
الإفضال. فلما حلت البشارة دار السلام، حصل الهناء والخبور للخاص
<٢٤ب> والعام، وأمر الوزير بزيّنة الأسواق، ومدّ على الجدران
والأراجي من المفاخر رواق، وتلّت العيدان^(٢)، واستوى الجديدان، في
الإشراق والضياء، والبهاء والسناء. شعراً [من البسيط]:

قد زينَ الكونَ فازدادَ الورى فرحاً وعممَ البشرُ منه جملة البشرِ

وبقيت الزينة عشرة أيام، لازدياد سرور الأنام.

(١) في الأصل: وخساماً مكللاً.

(٢) أي عيد الفطر وعيد الأضحى.

فصل

[حصول البرد والتلج في بغداد]

وفي اليوم الثامن من رمضان هذه السنة^(١)، ظهرَ في قطر العراق
البردُ العظيم، والشتاء الذي لم يتفوق في الآفاق مثله في إقليم، هذا مع
حرارة قطر العراق، وقرب شمسهِ من دائرة السماوات بالاتفاق، فكان
مدير الشمس قارب الأفق الحقيقي في الدور، أو كرة الزمهرير نزلت فلك
القمر، حتى تكاثف البخار وازداد هتون الأمطار في الليل والنهار،
وساوى الليل النهار في الظلام، وصار السيل إلى الربى والآكام، وجاءت
السماة بمطر كأفواه القرب، وجاءت الأنواء فنال الأكثر العطب، هذا مع
أرياح شديدة، وبرد أخذ أرواحاً عديدة، فوكفت^(٢) السقوف، وأيقن أهل
العراق بالهلاك والحنوف، وتلا عليهم الرعد الهتون^(٣)، وخر عليهم
السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، فلم يزالوا بين
سحاب هامع^(٤)، وبرد قاطع، وسيل قانع، وبرق لامع. شعراً [من المديد]:
فكان البرق مصحف قار فأنطياقاً مرةً وانفتاحاً
لم يزل يلمع بالليل حتى خلته نبة فيه صباحاً
وكان الرعد فخل لقاح كلما بعجه البرق صاحبا

(١) الموافق ٢٣ كانون الأول سنة ١٧٠٥م.

(٢) وكف السقف: تقاطر الماء منه.

(٣) الهتون صفة المطر إذا ما انهمر متراراً، لا البرق.

(٤) همع الماء: سال وهطل.

<٢٥> وما أحسن قول الآخر [من الرمل]:

عارضٌ أقبلَ في جنحِ الدُجَى يَهْدِي كَتَّهَادِي ذِي الْوَجَا^(١)
أَتَلَقْتُ رِيحَ الصَّبَا لَوْلَاهُ فَانْبَرَى يُوقِذُ عَنْهَا سُرُجَا
وَكأنَّ الرُّعْدَ حَادِي مُصْعَبٍ كَمَا صَالَ عَلَيْهِ وَسَجَا^(٢)
وَكأنَّ الْبَرْقَ كَاسٌ سُكَيْتٌ فِي لَهَاةِ الْمُزْنِ حَتَّى لَهَجَا
وَكأنَّ الْجَوَّ مِيدَانٌ وَغَيٌّ رَفَعَتْ فِيهِ الْمَذَاكِي^(٣) رَهَجَا

ثُمَّ عَقَبَهُ التَّلَجُ وَالْجَمَدُ، وَرَسَخَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَمَدَ، وَكُسِيتِ الْأَرْضُ
الْحَلَّةُ الْبَيْضَاءُ، وَكَانَتْ أَنْ تَكُونَ السَّاهِرَةَ^(٤) تِلْكَ الْغَبْرَاءُ، لِلتَّوْخِي [مِنْ
الْبَسِيطِ]:

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسْكَرُ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا
فَالْأَرْضُ تَحْتَ ضَرْبِ التَّلَجِ تَحْسَبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حُبْكَأً أَوْ غَشَّيَتْ وَرِقَا
فَانْهَضَ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظَلَمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا^(٥) بَرْدًا فَصَبْرُنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا

(١) الوجا: أن يشتكي البعير باطن خفه والفرس باطن حافره.

(٢) سجا أي سكن.

(٣) المذاكي من الخيل ما تم منها وكملت قوتها.

(٤) الساهرة: القمر.

(٥) الأصل: سلى.

ولم يَزَلْ يَهْتِنُ التَّلْجُ كَالْعَيْنِ الْمَفْشُوشِ، وَيَتَجَمَّدُ فَوْقَ الْأَرْضِ
كَالصِّقَاءِ^(١) الْمَقْرُوشِ، حَتَّى بَلَغَ ارْتِفَاعُهُ عَلَيْهَا ذِرَاعَيْنِ، كَمَا سُوهِيَ ذَلِكَ
بِالْعَيْنِ، وَبَقِيَ جَمَدُهُ خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ انْحَلَّ إِلَى الْمَاءِ، وَسَالَ
عَلَى الْغَبَرَاءِ، وَمَلَأَ بُطُونِ الْأَوْبِيَةِ وَالْوَهَادِ. وَكَأَدَ لَوْلَا جَرِي دَجَلَةَ أَنْ
يُغْرِقَ بَغْدَادَ، وَمَاتَ بَعْدَهُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ الْأَزْمَانُ^(٢)، لِعَدَمِ اعْتِيَادِهِمْ عَلَيْهِ فِي
تِلْكَ الْأَزْمَانِ. وَحَدَّثَتْ الْأَمْرَاضُ النَّوَازِلَ، وَسَائِرُ الْأَعْرَاضِ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ
نَازِلٍ. وَمَاتَ - لِتَكَثُّفِ التَّلْجِ وَانْجِمَادِهِ، وَشِدَّةِ بُرُودِهِ، وَزَمَنِهِ يَرِيئَةَ رِذَاذِهِ -
أَكْثَرُ الْأَصُولِ، مِنَ النَّخْلِ وَالكَرْمِ وَالنَّبَقِ وَالتُّوتِ وَالْأْتَرُجِ وَالنَّارَنْجِ
<٢٥ب> وَاللَّيْمُونِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَشْجَارِ الْفَوَاكِهِ وَنَالِهَا الْعَطَبِ،
وَصَارَتْ مِنْ جُمْلَةِ الْحَطَبِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَلَامَةِ الْبِلَادِ مِنَ الْعَذَابِ، فَكَادَ
أَنْ يَنَالَ الْعِيَادُ مِنْ ذَلِكَ خِذْلَانِ الْأَحْرَابِ.

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية
فصل

[فِي قَمْعِ قَبِيلَةِ شَمَر]

وَبَعْدَ قَضَاءِ الْأَوْطَارِ، مِنْ سَفَرِ الْخَزْعَلِيِّ الْغَدَّارِ، شَرَعَ فِى تَمْهِيدِ
الزُّورَاءِ، وَتَشْيِيدِ سُورِ حِرَاسَتِهَا عَنِ الْأَعْدَاءِ^(٣).

(١) الصفاء هنا: الحجارة.

(٢) ذُو الْأَمْرَاضِ الْمَزْمَنَةِ.

(٣) مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَرِيدُ تَشْيِيدَ سُورِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، أَمَّا الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ فَلَهُ مَسُورَةٌ
الْحَصِينِ الَّتِي شَيَّدهَا الْخُلَفَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ الْمُتَأَخِّرُونَ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالْمُسَابِعِ
لِلْهَجْرَةِ.

وفي السنة الثامنة عشرة بعد المائة والألف^(١)، نَجَمَ شَرُّ أَشَرِّ الأعراب، أهل الفساد وأصحاب الخراب، ألا وهم قبيلة شَمَر، وهؤلاء قبيلة شَرُّ قبيلة! يأخذون الأمان من الولاة، وعلى هذا مَكْرٌ وحيلة، ثم يأخذون إليهم سائر العشائر، بعضهم ترغيباً، وبعضهم تخويفاً وترهيباً، ويثيرون نار الفتن، ويتقنون على الفساد مدى الزمن. وسببُ نجوم فسادهم، وعَدَم طاعتهم وانقيادهم، أن شيخَهم غانماً وحَسَناً^(٢) صار إلى وادي^(٣) العَصِيان، وخطأ اتقاليهما في أرضِ الشَّامِية^(٤)، وجمعا عليهما أهل الحَمِيَّة، حَمِيَّة الجاهلية، ظنَّا منهما أن الوزير كأمثاله، وزَعَمَّا منهما أن فعله بمن تقدم هو النادر من أفعاله وأحواله، فنازلا أهل الفساد بينت يَنت، وتحدثنا بأخبار الخراب كَنت وكَنت، وصارا أفسد من سلمان، واعتراهما الغرور والطُغيان.



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

(١) أولها ١٥ نيسان ١٧٠٦م.

(٢) ذكر عباس العزاوي أن في هذا النص خطأً صحيحه (شيخهم غانم الحسان)، وقال: وهذا أصل نسبهم المحفوظ. تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٦٩ وعشائر العراق ج ١ ص ٢٠٧.

(٣) الأصل: واد.

(٤) الشامية أرض على الشاطئ الأيمن للفرات، بين الخناق والرميثة والكوفة والكفل، كانت جزءاً من (ديرة الخراجل)، وعند ضعف هذه الزعامة، انتزعتها الحكومة العثمانية سنة ١٢٦٠هـ عادة إياها قضاءً من أقضية لواء الحلة - الديوانية. العطية: تاريخ الديوانية ص ١٥٣ وكتابتنا: الأسر الحاكمة ص ٣١٤.

أما الخَزَعْلَى المشُوم، فقد جَزَّ على رأسه خِرْقَة الجبانة، خوفاً من
 البوارق الفالقة، وترك التَّصَدَّى للخيانة هَرَباً من النِّيازِك الحارقة^(١).
 وأما هما فلَمَّا لم يُشَاهِدا حرب الضَّرغام عَياناً، لم يَلُويَا إلى الانقياد
 والاستسلام عِياناً. وطَفِقَا بِمَنْ معهما يَنْتَهَبُونَ القَوَائِل، وَيَقْطَعُونَ عن السُّبُل
 الرُّوَاهِل، <٢٦> وَيَأْخُذُونَ أموال القرى، وَيَسْتَخْدِمُونَ كالأمرء أكابر
 الورى. وَدَمَرُوا من بِقَرَبِهِم من الفقراء تدميراً، حَيْثُ عَدِمُوا عن رَدِّ
 صَوْلَتِهِمْ نصيراً وظهيراً، وعاملوهم بالَجَفْوَة، ومُؤَاخَذَتِهِمْ عند الهَفْوَة.
 فَعَرَضَ أهل القرى أحوالهم على الشُّهْم المَظْفَر، وشكوا أهل القَوَائِل
 لدى اللَّيْثِ الغَضَنَفَر، فسارَ إليهم الوزير المنصور، بالخَمِيس المَظْفَر
 المَخْبُور، ورجال كُماة، وأبطال رُماة، وفُرسان أجساد، ونَجَابَة أطواد،
 وَكُتَيْبَة إسْكَندَرِيَّة^(٢)، وعِصَابَة رُسْتَمِيَّة. ولَمَّا عَبَّرَ بِهِم جِسْرَ الرُّضْوَانِيَّة^(٣)،
 وَقَارَبَ مَحَلَّ الجَمْعِيَّة. مصراع [من الطويل]:
 رأى الدَّار قَفَرًا والمزار بَعِيدًا

(١) في المطبوع: الخارقة.

(٢) نمبة إلى الاسكندر المقدوني.

(٣) سماء عباس العزاوي: الجسر الرضواني، والرضوانية أرض في الجانب الغربي
 من بغداد لما تزل معروفة، ولكن ليس واضحاً موقع هذا الجسر، والظاهر أنه كان
 منصوباً على نهر الفرات، بدلالة ما ذكره مرتضى آل نظامي (كلشن ص ٣٢٢) من
 أن الوالي المذكور "عبر نهر الفرات واتجه نحو تجمعاتهم وتجمعاتهم تلك كانت
 تقع غربي نهر الفرات.

وإنهم قد أنذروا بِقُدومه، وخافوا صَوْلَةَ هُجومه، فَهَرَبُوا خائفين،
وَتَسَلَّلُوا مَتَخافَتين.

ثم إن الوَزيز جَلَسَ هُنيأةً للاستراحة، واختَلَسَ غَفوةً للراحة، وجَعَلَ
العَسكر أربَع طرائق، سار كُلُّ إلى جِهَةٍ بالأعداءِ لاحقٍ، فساروا على
شاطئِ الفُرات، كُلٌّ أخذ ناحية، مُفَتِّشِينَ الجُهات عن تلك الفِرَقَةِ الباغِيَةِ.
فلما سار الوَزيز بِخَواصيه الفُرسان، كان ^(١) سَيَرُهُ إلى ناحية المَشْهَد ^(٢)، كما
سارَ كُلٌّ من تلك الفِرَقِ إلى جِهَةٍ ومَقْصد.

ولما أَشْرَفَ بِجَمْعِهِ على ذلك المكان، شَاهَدَ خيامَ الأعداءِ تَعْلُو فِي
أُكنافِها النُّيرانَ، وَأَبْصَرَهُمْ نَزُولاً رَأْيَ العَيْنِ، قد سَتَّتْ خيامَهُم بِذلك المكان
الخافَتين، وهم أَبْصَرُوهُ كذلك، وشَاهَدُوا سَوادَ خَميسِهِ الحالِكِ، فَتَأَهُبُوا
لِلتَّلَافِ، وامتطوا خيولَ السِياقِ وَغَيَّبُوا كَتائبَهُم خَيْلاً وَرَجَلاً، وَرَصَدُوا دُونَ
منازلِهِم بَنادِقَ ^(٣) وَنَبْلاً. فَحَاوَلَتْ جُنُودُ اللَّهِ المُنازِلَةَ، وَرَامَتْ <٢٦ب>
المُقَاتَلَةَ والمُجَادِلَةَ، أُولَئِكَ الكَماةُ الشَّجْعانُ، والغَزاةُ الفُرسانُ، المُبَدُونُ عِنْدَ
لِقَاءِ العَدُوِّ الاسْتِيشارِ، المُفْصِحُ عن حالِهِم قَوْلُ بَشَّارٍ. شِعْراً [من الطويل]:

(١) في المطبوع: وكان.

(٢) لم يذكر أي مشهد يعني، والراجح أنه مشهد علي (ع)، في مدينة النجف، ولكن
عباس العزاوي يذكر أنه وُصِلَ إلى منزل مشيهد فحط ركابه، فهو هنا بالتصغير،
وعلى وفق سياق عبارته يكون مجرد منزل، أو محطة، على الطريق.

(٣) الأصل بنادقاً.

وكننا إذا دب العدو لسخطنا وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكل متقف وأبيض تستنقى الدماء مضاربته
وجيش كجئح الليل يزحف بالخصى^(١) وبالشوك والخطى حمراً نغالبه^(٢)
غدونا له والشمس في خدر أمها^(٣) نطالعها^(٤) والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتذكر من نجى الفرار مثالبه^(٥)
كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسافنا ليل تهاوى كواكبته
بعثنا لهم موت الفجاءة^(٦) إننا بنو الموت خفاق^(٧) علينا سبائبه^(٨)

فلم يأن الدستور لأحدهم، ولم يعش بعدد الأعداء وعددهم، بل
تردى بديره، وعدا دون ربه، أخذاً بغمده اللين السنان، متججداً سيقه
الصقيل اليمان. وبرز كالطود الطاوي، وخرج من بين الصفوف كالضئغم
العادي، وصار في الميدان جؤل، ويكر على الأعداء ويصول، ينظم

(١) الأصل: الحصا وهو كناية عن وفرة عددهم.

(٢) في رواية أخرى: حمر ثعالبه.

(٣) الأصل: خدراتها.

(٤) في رواية أخرى تطالعنا.

(٥) الأصل: وتذكر من نجى الفرار مثالبه.

(٦) الأصل: الفجاءة.

(٧) في رواية أخرى: خفاقاً.

(٨) أي بنوده.

الأبطال بأسْمَرِهِ، وَيَنْشُرُ هَامَ الرِّجَالِ بِأَبْيَضِهِ^(١)، وَيَقْضِي عَلَى الْعَدُوِّ بِقَطْعِ
أَنْهَرِهِ. شعراً [من الكامل]:

قَالُوا: وَيَنْظِمُ فَارِسَيْنِ بِطَعْنَةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَلَا أَرَاهُ قَلِيلاً
لَوْ كَانَ فِي الْهَيْجَاءِ طُولَ قَنَاتِهِ مَيْلاً إِذَا نَظَّمَ الْفَوَارِسَ مَيْلاً

ثُمَّ تَنَافَسَتْهُمْ^(٢) الضَّرَاجِمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَرَاجَعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَبْطَالُ
مِنْ كُلِّ مُبَارِزٍ مُحَارِبٍ، فَرُويَ الْأَسْمَرُ بَعْدَ ظَمَاهُ <أ٢٧>، وَشَبَعَ الْأَبْيَضُ
بَعْدَ السَّغَبِ مِنْ هَامِ أَعْدَاءِهِ، وَنَثَرَتِ الرُّؤُوسُ، وَأَزْهَقَتِ النُّفُوسُ، وَقَامَتِ
الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ، وَظَهَرَ فِي الْأَعْدَاءِ الْإِتْمِحَاقُ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا عَوَّلُوا،
وَعَاتَبُوا نَفْسَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَهَرَبُوا مِنْ بَيْنِ النَّابِ وَالظُّفْرِ، وَخَفَّ اللَّهُ
الْأَحْزَابَ بِالنَّصْرِ، وَرَمَى أَهْلَ الْخَرَابِ بِالذِّلِّ وَالْقَهْرِ، وَكَثَّرَ لَهُمُ الشُّومَ عَنْ
نَابٍ مُكْفَهَرٍ، وَتَرَكَوا الْخَيْلَ وَالْأَطْفَالَ، وَصَارَتِ الْجِمَالُ وَالْأَغْنَامُ، وَسَاءَتْ
الْتَّرْوَةُ بَيْدِ الْإِسْتِغْنَامِ^(٣)، وَلَجُّوا إِذْ وَلَجُوا فِي غِيْلِ صَنْعِ الدِّخُولِ، لَا يُمَكِّنُ
إِلَيْهِمُ الْوَصُولَ، طَوْلُهُ مِقْدَارُ أَرْبَعَةِ فَرَاسِيخَ، وَعَرْضُهُ مِقْدَارُ فَرَسِيخَ، وَتَرَكَوا
نِسَاءَهُمْ فَرَانِسَ الْأَشْبَالِ، وَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِيَالِ وَالْمَالِ.

ثُمَّ لَمَّا عَزَمَ الْمُظْفَرُ عَلَى الرَّحِيلِ، وَالرَّجْعَةُ بَعْدَ قَضَاءِ الْوَطْرِ عَلَى
التَّكْمِيلِ، لَطَفَ بِالْأَطْفَالِ وَالْبَنَاتِ، وَالنِّسَاءِ الثَّيِّبَاتِ، وَأَطْلَقَهُمْ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى
نَاحِيَةِ أَهَالِيهِمْ، وَبِمَنْ نَجَا الْحَقَّهِمْ. فَيَا لِهَذَا مِنْ رَجُلٍ سَعِيدٍ ذِي سُعُودٍ!

(١) الأسمر: الرمح، والأبيض: السيف.

(٢) في المطبوع: تنافسهم.

(٣) يريد أنها صارت غنيمة للجند.

ويا حبذا مُتَخَلِّقٌ بأخلاقِ المكارِمِ والجُودِ! ولم يَنْفِقْ مثلَ هذا الظَّفَرِ، مُنْذُ
فَتَحَ بَغْدَادَ إِلَى هَذَا السَّنَةِ، وَأَقْرَأَ أَعْدَاؤُهُ اللَّئَامَ الْأَبْطَالَ، بِأَنَّهُمْ مَا شَاهَدُوا قَطُّ
هَذِهِ الْأَهْوَالَ، مِنْ غَيْرِهِ فِي صَفِّ الْقِتَالِ. عَلَى أَنَّهُمْ قَاتَلُوهُ قِتَالاً مُشْتَدّاً،
وَصَالُوا عَلَيْهِ صَوْتَةً مُحْتَدّاً، خَوْفاً عَلَى عِيَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ. وَإِنْ
أَسْرَأَهُ الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ وَالنِّسَاءُ الثَّيِّبَاتُ وَالْأَبْكَارُ، حِينَ أَرْجَعَهُمْ يَخْمِدُونَ
شَيْمَهُ (١) أَجْمَعَهُمْ.

ثُمَّ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ، وَخَرَجَ لِاسْتِقْبَالِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ، وَالْأَكْبَارُ
وَالرُّؤَسَاءُ وَلَمَّا <٢٧ب> صَارَ دَاخِلَ السُّورِ، اشْتَغَلَ بِأُمُورِ صَلَاحِ
الْجُمْهُورِ، وَأَلْبَسَ الرُّؤَسَاءَ مِنَ الْجُنُودِ الْحُلَّ الْفَاخِرَةَ، وَكَسَا الْأُمَرَاءَ مِنَ
الْعُمَلِ الْمَلَابِيسَ الْبَاهِرَةَ الزَّاهِرَةَ، وَصَرَفَ وَقْتَهُ فِي تَدْبِيرِ الْبَلَدِ، وَنَامَ إِذَا
الرَّعِيَّةُ عَلَى فِرَاشِ الرُّغْدِ، إِلَى أَنْ انْقَضَتْ شُعْبَةُ الْخِلَافِ، وَانْصَدَعَتْ
صَخْرَةُ الْإِتْتِلَافِ، وَأَتَى لِشِكَايَتِهِ (٢) الْحَالُ شَيْخَ الْقَشْعَمِ (٣) شَيْبِيبَ، وَسَائِرَ
الْأَعْرَابِ، مِنْ فِعْلِ آلِ غَزِيَّةٍ ...، وَإِنْ آلُ حُمَيْدٍ وَآلُ سَاعِدَةٍ وَآلُ رُفَيْعٍ

(١) الْأَصْلُ: شَيْمُهُمْ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: لِشِكَايَتِهِ.

(٣) الْقَشْعَمُ: اتِّحَادُ قَبْلِي قَوِي اتَّخَذَ اسْمَهُ مِنَ الْقَبِيلَةِ الَّتِي كَوْنَتْهُ بَعْدَ نَزْوَحِهَا إِلَى الْعِرَاقِ
فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ ١٤ م، وَفَرَضَ هَذَا الْإِتِّحَادُ سَيِّطَرَتَهُ الْكَامِلَةَ إِبَانِ الْقَرْنَيْنِ
الْعَاشِرِ وَالْحَادِي عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ (١٦ وَ ١٧ م) عَلَى مَنَاطِقٍ تَمْتَدُّ مِنْ نَوَاحِي الْحِلَّةِ
شِمَالاً إِلَى الْمَسَاوِءِ جَنُوباً، وَقَدْ اصْطَلَمَتْ بِالْقَوَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ غَيْرَ مَرَّةٍ، إِلَّا أَنَّ قَوَاهَا
أَخَذَتْ تَضَعُفٌ مِنْذُ مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ (١٨ م).

أغاروا على أموالهم ومَواشيهم، ووضعوا كل ربيع، وإنهم خرجوا عن
خِطَّة الانقياد، وأفسدوا في البلاد.

فلما بَلَغَ الوزير هذه الشكاية، ونكاية الأعراب هذه النكاية، بقي بين
مُصدِّق ومُكذِّب، ومُسْتَفْه رأي شبيب ومُصَوَّب، إلى أن أتاه من ضابط
الحِلة رُقعة، تتضمن أخبار أولئك المُفسدين في تلك البقعة، وأن خَبْرَهُ طَبَقَ
خَبْرَ شبيب، وأن ما نُصَحَ الوزير به نُصَحَ حبيب قريب. فلما حَقَّقَ المُظَفَّرُ
الخبر، وتوضَّحَ عنده الأثر، أرسل إلى عُرَبان الشاميَّة من كل مُسالم،
وأمرهم بالرحيل إلى الحلة لِكُلِّ مُقاوم، فامتلأوا ما أمر، وقصَّدوا الحلة
على الأثر.

ثم أن الوزير رَكِبَ جَواد العزم، واحتَرَمَ بِمَنَدِيل الحزم، وسار
بِعَسَاكره وجنوده، ووافق رُكوبه طالع سَعُوده، ووَصَلَ إلى قُرب الحلة،
وحَطَّ هناك رَحْله، ريثما سَقُوا الخيل الماء، وأكلوا بعض الغِذاء. وعَبَّرَ
الفرات على جِسْرِ الفِتحاء، وقصد تلك الجهات الأعداء، وطَفِقَ يَطْوِي شِقَّةَ
البوادي، سائلاً عنهم كل ظاهرٍ وبادي. ثم لما عَلِمَ بِقُربه من مكان غَزِيَّه
الأشرار، سارَعَ قبل أن يَصِلَهم <١٢٨> الإنذار، وانتخب من تلك
العساكر، مِقْدَار ألف فارس جاسر. ثم إنه انتخب من أَقْوَاتِه^(١) الرُجال،
وخَوَّاص خُدَامِه الأبطال، رجلاً رأسه على مِقْدَارٍ من جنوده، وعَقَدَ له
لواءً من بُنوده، وأرسله على ساعِدة، ودعا الله أن يكون ناصِرُهُ ومُساعدُهُ.

(١) في المطبوع: أغواته.

ثم أن الوزير سارَ بما انتخب، واشتدَّ عليه الحَزْمُ فُلِحَ في الطَّلَبِ،
فلما أشرف على ديارهم، رآهم ذاعنين^(١) لإتذارهم، وأن رحيلهم كان
صَبَحَ ذلك اليوم. فَعَلِمَ أنه يُذْرِكُ القَوْمَ، إذ سَيَّرَهم بالأنقال غير بعيد، وأن
سَيَّرَهم على خمس عشرة ساعة لا يزيد، فشنَّ الإغارة عليهم كل الليل،
إلى أن كادت أن تُقْصِر الخيل. فلما بدا الفجر كذَّبت السُّرْحان، وظَهَرَت
حُمْرة الغَسَقِ كالأرجوان، أبصر جموعهم، وشاهدَ ربوعهم. فلما أُيقِنَ
الأعداء بالهلاك، وقَفُوا لِلْقِتَالِ نادمين على تلك الأفعال، وكان قَصْدُهم [أن]
يُسْغِلُوهُم بِالْهَيْجَاءِ، حَتَّى يُبْعِدَ ظَعْنُهم فِي الْبَيْدَاءِ، وَتَسْلَمَ أَمْوَالُهم، ثُمَّ تَهْرَبَ
رِجَالُهم، لكنهم لم يَسْتَقِرُّوا إِلَّا نَهَى جَذْبُ الْمُهَنْدِ عَنْ جَفْنِهِ، وَفَتْحُ الْمُسَاهِدِ
جَفْنَهُ عَنْ جَفْنِهِ، وَغَدَاوا طُعْمَةً لِلسُّيُوفِ، وَأَكَلَةُ اللَّحْتُوفِ. وَغَرَّقَ أَكْثَرُهم فِي
الْفِرَاتِ، وَصَارَ أَكَلَةُ لِلْأَفَاتِ، وَاعْتَمَتِ الْعَسَاكِرُ الْخَيْلَ وَالْأَغْنَامَ، وَالْجِمَالَ
وَالْخِيَامَ، وَالْغَيْدَ الْحِسَانَ وَالْبَنَاتِ وَالصَّبِيَّانَ، وَجُمِعَتِ أَمَامَ الْغَيْثِ الْجَسُورُ،
وَالْأَسَدُ الْغَيُورُ، فَأُطْلِقَ النِّسَاءُ كَمَا هُوَ السَّابِقُ مِنْ عَادَاتِهِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ فِي
جَمِيعِ غَزَوَاتِهِ.

ثم قَدِمَ عَلَيْهِ الْعَسْكَرُ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى سَاعِدَةِ الْخِذْلَانِ، وَأَبَ مِنْ سَقَرِهِ
الْجَنْدَ الْمُرْسُولَ إِلَى تِلْكَ الْعُرْبَانِ، مَنْصُورًا مَجْبُورًا، مَسْرُورًا بِالْغَنَائِمِ
<٢٨ب> مَحْبُورًا. ثم أن الوزير أَرْسَلَ الْفَيَّاءَ وَالْغَنِيمَةَ بَعْدَ إِطْلَاقِ النِّسَاءِ
إِلَى قَصَبَةِ الْحِلَّةِ الْفَيْحَاءِ، ثُمَّ عَطَفَ عَيْنَانَ الرَّجُوعِ، وَسَارَ بِتِلْكَ الْجُمُوعِ،

(١) الأصل: ضاغنين.

فلما وصل الرَّمَّاحِيَّة^(١)، ظفر بشيخ بني حُمَيْدٍ رأس هذه القُضِيَّة، ولم يكن في البال، ولم يدر له حال، ولكن السَّعد والإقبال ظَفَرَه بأولئك الأندال، وبشيوخهم أبي لَهَب.. فكم خَرُبَ معموراً، وكم هَنَك سُبُوراً، في زمان استناده إلى سلمان، واعتماده عليه في زمان. فلما كُسِرَت سَوْرَةُ حَمِيَّة ذلك الفاجر، بِهِنْدُوَانِيَّة^(٢) المَلِكِ الناصر، طَلَبَ هذا الكلب أماناً، وحَلَفَ أن لا يعود وغَلَطَ أَيْمَاناً، ولكنه كما قال الشاعر. [من السريع]:
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

فعادت جُمَلَتَه، واقتضت جِبَلَتَه، أن خَرَجَ عن رِبْقَةِ الإنقياد، وشَرَعَ في العصيان والفساد، وتغلب على القرى والضياح، ومنع الزراع عن الإنتفاع، فلم يشعر الخسيس الملعون، إلا والخميس أحرق بالحصون، وأغارَت عِيَادُ الله بكل بَنَارٍ عَضِيب^(٣)، وقَبَضُوا على الشيخ السَّعِل^(٤)

(١) الرماحية بلدة قديمة ورد ذكرها في القرن التاسع للهجرة (تاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، بغداد ١٩٧٥، ص ٣٩٤) وازدهرت في أول العصر العثماني، لكنها هجرت بعد سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م بسبب تحول مجرى نهر الفرات عنها إلى جهة نهر ذياب، وهو مجرى نهر الديوانية الحالي، فورثتها بلدة الحسكة القريبة، ولا تزال خرائبها ماثلة على بعد نحو ثلاثين كيلو متراً من غربي الديوانية، وأهم تلك الخرائب سورها. ينظر حمود الساعدي: مدينة الرماحية، مجلة البلاغ، العددان ١ و٢، بغداد ١٩٧٦.

(٢) الهندواني: السيف.

(٣) العضب: السيف القاطع.

(٤) في الأصل: السعد، والسعل: الشيص اليابس.

الصَّعْب، وَأَغْلُوا إِلَى عُنُقِهِ يَدَيْهِ، وَقُتِلَتْ رِجَالُهُ، وَأُسِيرَتْ عِيَالُهُ، وَنُهِبَتْ أَمْوَالُهُ، وَبُؤْسَتْ أَحْوَالُهُ.

ثم أن الشَّهْمَ الْبَاسِلَ أَمَرَ شَيْخَ الْقَشْعَمِ شَيْبَ عَلَى الْفِي فَارِسَ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى هَوَزٍ نَجْمٍ بِكَلِّ بَطَلٍ حَارَمٍ، لِتَأْدِيبِ آلِ مَعْدَانَ، حِينَ نَجَمَ مِنْهُمْ الْعِصْيَانُ، فَأَغَارُوا مِنْ مَحَلِّهِمْ، وَدَخَلُوا الْهَوَزَ بِكُلِّهِمْ، وَهَجَمُوا عَلَى أَوْلَئِكَ الْعِصَاةِ، وَاحْتَقُوا بِخِيَامِ الطُّغَاةِ الْبُغَاةِ، وَدَارَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ قَدْرَ سَاعَةٍ، ثُمَّ اقْتَرَسَتْهُمْ تِلْكَ الْجَمَاعَةُ، وَاعْتَمَمُوا الْأَمْوَالَ، وَقَتَلُوا الرُّجَالَ، وَلَحِقُوا بِالْوَزِيرِ^(١) فِي أَهْنَا حَالٍ <١٢٩> فَلِلَّهِ دَرُهُ مِنْ بَطَلٍ طَاطَا رُؤُوسَ أَوْلَئِكَ الْفُجَّارِ، وَلَا يَبْعُدُ لَوْ قِيلَ: كُفَّارٌ، لِاسْتِحْلَالِهِمُ السَّقَّاحَ، وَتَرَكُوا غَالِبَهُمُ النِّكَاحَ، يَقْتُلُونَ مَنْ يَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ! مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَاحٍ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَاتِ، وَيَشْنُونَ الْإِغَارَةَ فِي سَائِرِ الْجِهَاتِ، سَالِينَ سَيْفَ الْإِغْتَامِ، الصَّادِقِ عَلَيْهِمْ حَدِيثٌ: مِنْ شَهَرٍ حُسَامًا بَيْنَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ مَلَأَتْ أَخْبَارُ فِسَادِهِمُ الدَّفَائِرَ، وَجَلَّتْ لِعَدُوِّهِمْ مَفَاسِدُهُمُ الْأَقْلَامَ، وَبَيَّسَتْ الْمَحَابِرَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى إِطْلَاقِ عِزَانِ الْأَقْلَامِ، مَعَ أَنَّ الْمَقْصُودَ ذَكَرُ^(٢) سِيرَةِ هَذَا الْقَمَقَامِ^(٣). ثُمَّ أَنَّ دَلِيلَ الْوَزِيرِ قَدْ ضَلَّ وَنَجْمَ سَعْدِ الْخَرِيتِ^(٤) كَادَ أَنْ يَأْقَلَ، فَاضْلُوا الطَّرِيقَ، وَخَبَطُوا فِي الْبَيْدَاءِ خَبَطَ رَاكِبٌ عَمِيَاءَ، فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ. فَلَمَّا نَشَرَ الصَّبَاحَ أَعْلَامَهُ،

(١) الْأَصْلُ فِي الْوَزِيرِ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: ذَكَرَهُ.

(٣) الْقَمَقَامُ: الْعَسِيدُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ، الْوَاسِعُ الْفَضْلُ.

(٤) الْخَرِيتُ الدَّلِيلُ الْحَازِقُ الَّذِي يَهْتَدَى إِلَى أَخْرَاطِ الْمَفَاوِزِ، وَهِيَ مَضَائِقُهَا وَطَرَفُهَا الْخَفِيَّةُ.

وشاهدوا وهاد ذلك البرّ وأكامه، بأن لهم شيء كالفلك الأطلس، ألا وهو^(١) قبة ذي الشرف الأنفس، ليث بني غالب^(٢)، مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فازداد حُبور الوزير، لاغتنامه زيارة ذلك الهمام الكبير، وعفا عن جرم الدليل، وقصد زيارة ذلك الفضيل. ولما قضى من الزيارة ما ربه وأوطاره، نهض إلى حلة دبّيس بن مزيد^(٣)، وشدّ إليها رحله، واعدّ وبات فيها ليلة للاستراحة، ثم قام وصير إلى جهة بغداد رَواحَه، وأشرف على الدّورة وقت الضّحى، ثم دخل دار السلام، واسترّ لِقْدومه الخاص والعام.

فصل

في بيان غزوة زبيد، وأذلال كل ذي قوة عنيد

وهذه الغزوة تحتاج في البيان إلى بسط مقدّمة، وفي الإيضاح والبيان إلى ذكر مُتمّمه، وهو أن هؤلاء الأشقياء <٢٩ب> ومن والاهم من أهل الفساد في تلك البيداء، كآل جَحِيش وآل سَعِيد وآل عامِر وآل خَالِدِ

(١) الاصل إلا وهي.

(٢) في المطبوع: طالب.

(٣) الصحيح أن الذي مصر الحلة هو سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبّيس بن علي بن مزيد الأمدي، المتوفى سنة ٥٠١هـ، وكانت قبله أجاماً، سنة ٤٩٥هـ — وكان بنو أمّد قد أسسوا إمارة مستقلة هناك، وامتد نفوذها إلى مناطق واسعة من جنوبي العراق ووسطه.

وَأَلْ دَلِيمَ وَأَلْ نَوَقْلَ^(١)، أَظْهَرُوا الْإِعْتِزَالَ، وَخَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ الْعُمَالِ، وَاجْتَمَعُوا فِي مَكَانٍ، وَصَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً، لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا اثْنَانِ، وَأَبَانُوا شَرًّا، وَأَبْدَوْا نَكَدًا وَضَرَرًا. فَاعْتَرَى الزُّورَاءُ كُلَّ عَنَاءٍ وَلَأَوَاءٍ، وَقَهَرُوا الْعُمَّالَ بِشَوْكَتِهِمْ، وَقَصَمُوا الْأَبْطَالَ بِسَيُوفِ صَوْلَتِهِمْ، فَكَمْ سَارَتْ إِلَيْهِمُ الْجَحَافِلُ، وَقَطَعَتْ لَدَى طَلِبِهِمُ الْمَرَاحِلُ، فَرَجَعُوا خَائِبِينَ، وَأَبَوْا عَلَى مَا فَعَلُوا نَادِمِينَ.

فَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(٢)، حَصَلَ لَهُمْ مَعَ شَمَّرِ الْمُقَاتِلَةِ الْهَائِلَةِ، وَالْمُجَادِلَةِ الْقَابِلَةِ، فَقَهَرُوا شَمَّرَ بَعْدَهُمْ، وَكَسَرُوا صَوْلَتَهُمْ بِكَثْرَةِ عُنْدِهِمْ. وَلَمَّا غَلَبُوا عَلَى شَمَّرَ، وَأَنَّ الْبَيْنَ عَنْ سَاعِدِ تَفْرِيقِهِمْ شَمَّرَ، وَطَلَبُوا النُّجْدَةَ مِنْ وَالِي بَغْدَادَ، وَالتَّجَّأُوا إِلَيْهِ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ الْإِسْتَادَ، فَجَهَّزَ لَهُمْ مِنَ الْجُنُودِ الْخَلْقَ الْكَثِيرَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمُ الْجَمْعَ الْغَفِيرَ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ، فَهَزَّوْا إِلَيْهِمْ، وَبَالَغُوا فِي عِدَائِهِمْ. <١٣٠>

(١) تحدد وثيقة عثمانية رسمية مواطن هذه العشائر في ذلك الوقت على النحو الآتي "عشائر دليم وعقيدان (عقيدات) وجبائين (جنابيين) القاطنة على جانبي نهر الفرات، بين العنة (عانة) و (الدير)" وتنتميمهم بأنهم كانوا يهددون سلامة السفن النهرية التي كانت تنقل الأخشاب إلى البصرة. دفتر مهمة ١٢٩، ص ٢٦٠-٢٦٢، أواخر ذي الحجة ١١٣٢هـ.

(٢) أولها في ٢٢ آب ١٦٩٤م.

ولما سمعت بهذا الحال زبيد^(١)، جمَعوا كل طارِفٍ وتَلِيدٍ، وذَهَبُوا إلى الأمير عبَّاس^(٢)، يَسْتَمِدُّونَه في بعض الخُمَاءِ الحُرَّاسِ، فَجَهَّزَ مَعَهُمُ الفَنَاتِ، واعطاهم من الجنودِ المَنَاتِ، فَحَصَلَ لَهُمُ القُوَّةُ القَاهِرَةُ، والنَّجْدَةُ الغَالِبَةُ الناصِرَةُ، فالتَقَى الفَتَاتَانِ، وتَأَهَّبُوا للحربِ والطَّعَانِ، وَطَلَّبَتِ الفُرْسَانُ الفُرْسَانِ، وقامت الحربُ على ساقٍ، وبدا من الجانبين صليلُ اليَمَانِ، وطارت الأرواحُ، وغَدِمَ المساءُ والصباحُ، بكثرةِ العَثِيرِ^(٣) لدى الكِفَاحِ، وعَثَرَتِ الخيلُ بالأعْنَةِ، وبرَقَتِ للويلِ أطرافُ الأسِنَّةِ، وسالت الدماءُ جداولَ، وصالت الأعداءُ ونادت: هل مِن مُنَازِلٍ؟ وشدا المُهَنَّدُ في الجُمَاجِمِ، ورَنَمَ النِّبْلُ المُسَدَّدُ من كل بَطَلٍ مُقَاوِمٍ، وثَبَّتَ آلُ زَيْدٍ ثَبَاتَ أطوادِ، ورَسَخَ منهم كل بَطَلٍ صَنِيدٍ تَامَ الإِسْتِعْدَادِ، وأحسَّ آلُ شَمَّرٍ البَوَارَ، وصَوَّبُوا رأيَ الفِرَارِ، فَنَجَا مِن نَجَا، وعلى الهَرَبِ صارَ الإِلْتِجَاءُ، وغَدَتِ عساكرُ الوالي طُعْمَةً لِلصَّوَارِمِ، وَأَكَلَتِ اللَّتَوَاتُ اللِّهَازِمَ.

ولما أبصرت زبيد أن فيهم هذه الشَّدَّةُ، عَلِمُوا أن في سيوفهم حِدَّةً، وصالوا على ضَبَاطِ القُرَى، فَهَرَبُوا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمُ هَرَبَ الفِرَى^(٤) واستولوا على الرُّعِيَّةِ، وآذَوْا جميعَ البَرِّيَّةِ؛ هذا وأما شَمَّرُ فَمِنْهُمْ مِنَ التَّجَا

(١) كذا يكتبها المؤلف بفتح الزاي في كل موضع وردت فيه في كتابه، والمشهور أنها بضمها.

(٢) لم تتوضح هوية هذا الأمير، وطبيعة إمارته.

(٣) التراب والعجاج.

(٤) فرى: قطع وشق للافساد.

إلى الخَزَعْلِي سلمان، ومنهم من تَدَارَكَ العِمْرَان، ومنهم من سار إلى
البصرة قَالِعاً على شَتَاتِ شَمْلِهِ حَسْرَةً.

ثم إنهم في السنة العاشرة بعد المائة والألف^(١)، أصرُّوا على بَغْيِهِمْ
وغدرهم، وأضرُّوا العِيَادَ بِغْيِهِمْ ومَكْرِهِمْ، وعَجَزَ والي بغداد عن
مُصَادِمَتِهِمْ ومُحَارَبَتِهِمْ ومَقَاوِمَتِهِمْ، قَالَ الأمرُ أنْ عَرَضَ جَمِيعُ وِلَاةِ دارِ
السلام، إلى السلطان صاحب المَمَالِكِ ورئيس الحُكَّام، يَطْلُبُونَ منه النُّجْدَةَ
والخَلَاصَ، لتَضْيِيقِ هَؤُلَاءِ اللُّثَامِ^(٢) عَلَيْهِمُ الْأَفْحَاصِ^(٣)، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وزيراً
جَلِيلَ الشَّانِ، ثَابِتَ الْجِنَانِ، صُنْحَبَةَ الْأَكْرَادِ، وسَائِرَ أَتْبَاعِ^(٤) بَغْدَادَ، وحَاصِلَ
عَدَدِ الْعَسْكَرِ خَمْسُونَ أَلْفاً أو أَكْثَرَ، كُلُّهُمْ فَوَارِسَ وَأَبْطَالُ، وَرِجَالُ أَقْيَالٍ،
ذَوُو اسْتِعْدَادٍ لِلْقِتَالِ، وَأَهْبَةُ لِلنِّزَالِ، فَلَمَّا تَقَابَلُوا صَفَّيْنِ، وصَارُوا مع
>٣٠ب< العدو جَمْعَيْنِ، واشتَعَلَتْ بَيْنَهُم نيرانُ الْهَيْجَاءِ، وَرَجَّتْ من صوتِ
الطُّونِبِ والتَّفَكِّ الْبَيْدَاءِ. شعراً [من الوافر]:
كَانَ الْبُنْدُوقُ الزُّعْجَاجَ عَيْسُ سَرَتٍ، وَالطُّونِبُ فِي الْهَيْجَاءِ حَلَايَ

وَحَنَّتِ الصِّقَالُ فِي نُحُورِ الْأَبْطَالِ، وَصَالَتِ الْكُمَاةُ وَحَالَتِ دُونَ
الْأَجَالِ، وَنُبِرَتِ الرُّؤُوسُ، وَدَارَتِ عَلَى الْبَيْتِ مِنَ الْمَيْيَةِ الْكُؤُوسُ، وَكَبِسَتْ
الْخَيْلُ بِفَرَسَانِهَا، وَطَفِقَتْ تَعْتُرُ فِي عِنَانِهَا، وَالْقَتَامُ عَلَاهُمْ، وَالْعَجَاجُ

(١) أولها ١٠ تموز ١٦٩٨ م.

(٢) الأصل اللام.

(٣) المواضع التي تسكن.

(٤) في المطبوع: أبناء.

واراهم، وسالت الدماء، ومالت الأعداء، وتلا البُنْدُق الهتوف، ﴿أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. فَطَلَبْتَ أَعْدَاءَ الدِّينِ الْخَلَاصِ، وَرَامُوا الْفِرَارَ
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، لَكُونِ أَمَامَهُمْ أَتَهَاراً جَارِيَةً، وَجَدَاوِلَ تَتَدَفَّقُ فِي تِلْكَ
النَّاحِيَةِ، وَأَهْوَاراً هَائِلَةً، وَمِيَاهاً حَائِلَةً، فَصَارَ أَكْثَرُهُمْ فَرَائِسَ أَوْلَئِكَ
النُّسُورِ، وَقَرَى لِلْوَحُوشِ وَالطَّيُورِ، وَرَجَعَتْ جُنُودُ اللَّهِ غَالِبَةً، وَأَبَتْ عِبَادُ
اللَّهِ رَابِحَةً كَاسِيَةً، وَاعْتَرَى أَوْلَئِكَ الْأَعْرَابُ الذُّلَّ وَالسَّهْوَانَ، وَتَلَّيَسُوا مِمَّنْ
هَاتِكَ الْأَحْزَابِ الْأَمَانَ، فَبَقُوا يُظْهِرُونَ الذُّلَّةَ، وَيُبْذُونَ الْقِلَّةَ، وَيُؤَدُّونَ
الْجُزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ، وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِمْ عِصْيَانٌ، وَلَمْ يَنْدُ مِنْهُمْ
الطُّغْيَانُ.

ثم لما ولي هذا الباسل بغداد، واستمرت شجاعته وفراسته في كل
وادي وناد، ولما كان كل من الفِرَاقِ الْأَعْرَابِيَّةِ قَصْدَ صِرَاعِهِ، وَخَيْلَ
جَحْدَرَتِهِ^(١) عَلَى حِمِيَّةٍ، لِيَفُوقَ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَيَكُونَ رَأْساً لِلْأَعْرَابِ،
وَمُظْهِراً لِلْفَسَادِ وَالْخَرَابِ، تَذَكَّرْتُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ شَجَاعَتَهَا الْمَاضِيَةَ،
وَفِرَاسَتَهَا^(٢) بِأَسْوَدِهَا الْعَادِيَةِ، وَأَنَّهُمْ أَقْدَرُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ <١٣١> وَأَبْلَغُ فِي
الْفِرَاسَةِ مِمَّنْ نَادَاهُمْ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَتَلُّوا عِزَّهُ، وَقَلُّوا حَزْمَهُ، مَلَكَوْا الْعِرَاقَ
بِحَذَافِيرِهَا، وَتَحَكَّمُوا فِي الْأَفَاقِ عَلَى صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَسَوَّلَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ، وَزَخَرَفَ لَهُمْ هَذِهِ الْأَبَاطِيلَ فِي هَذَا الشَّانِ.

(١) جحدره: صرعه.

(٢) الفِرَاسَةُ وَالْفَرُوسَةُ وَالْفَرُوسِيَّةُ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَالْفِرَاسَةُ بِالْفَتْحِ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ رَمَلَ
فَارِسٌ عَلَى الْخَيْلِ، وَإِذَا كَانَ فَارِساً بِعَيْنِهِ وَنَظَرَهُ، فَكُسِرَ الْقَاءُ.

وكان في السنة التاسعة عشرة بعد المائة والألف^(١)، طَفَقُوا
يَسْتَعِدُّونَ، وعلى كل فساد يَسْتَعِدُّونَ، وأحالوا على الزُّراع، وصالوا على
كل مُسَالِمٍ في تلك البِقَاعِ^(٢)، وبلغ الوزير بخيال مفاييدهم، وخَبَرَ بِحِيَالِ
مصاندهم، فأرسل إليهم يُبْدي لهم النصيحة، ويَحْذَرُهم من الفضيحة، إذ
رُبَّمَا تَصْطَلِحُ بعض أحوالهم، وتُحَقِّنُ دماء رِجالهم، فأبوا إِلَّا العَصِيانَ،
والانقياد لأوامر الطُّغَيانِ، وكأنما في أذانهم عن استماع إرساله صَنَمٌ،
وعلى أذهانهم لدى تَفْهَمِ مَقَالِهِ بِكَمٍّ، وحال بينهم وبين خَشْيَتِهِ، وزادهم
شُمُوساً عن الإنقياد إلى دَعْوَتِهِمْ. فلما حَقَّقَ منهم عدم الطاعة، وتَيَقَّنَ
تَرْكُهُم الدخول في جُمْلَةِ الجماعة، جَمَعَ عساكره، وأرسل إلى الأطراف
دَسَاكِرَهُ، فأتاه من كل فَجٍّ عميق، كلُّ بطل في الحروب صديق، ووافتهُ
الأكراد بِفُرسانها، والعُمَلُ للإمداد من بلدانها وأوطانها، فسار إليهم
بِخَمِيسٍ مَلانٍ بكلِّ ثَابِتٍ جَاشٍ وَقَوِيٍّ جِتَانٍ.

فلما بَلَغَ بهم إلى المَحَاوِيلِ^(٣)، أتاه الرسول من أولئك المَخَاذِيلِ
المَحَاوِيلِ^(٤)، وعَقَبَتَهُ رؤساؤهم، وذوو آرائهم وأمرأؤهم، وطلبوا الأمان،

(١) أولها في ٤ نيسان سنة ١٧٠٧م.

(٢) في كُنْشَن ص ٣٢٢ أسماء البقاع التي تغلبوا عليها، وهي: الباشية، والمسيب، والأهوار.

(٣) بلدة بين بغداد والحلة، نشأت عند خان قديم شيد على نمط خان الإسكندرية، مر به الرحالة بكنكهام سنة ١٨١٦م. تنتظر رحلته، ترجمة سليم طه التكريتي، ج ١، ١٩٦٨، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٤) جمع مُحَوَّل، من حال لونه أي تغير واسود.

وَأَنْ يَلْوِي عَنْ قَصْدِهِمُ الْعِيَانُ. وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَتَضَرَّعُوا وَعَلَى
هَذَا مَكْرٌ وَحِيلَةٌ! إِذْ قَصَدَهُمْ تَغْيِيرُهُ عَنْ نِيَّتِهِ، وَقَلَّ عُسْكَرُهُ وَأَهْلُ حَمِيَّتِهِ،
فَقَالُوا لَهُ: بَعْدَ الْيَوْمِ إِنْ عُدْنَا فَعَلَيْنَا اللَّوْمَ فِي أَوْسَعِ الْحُلِّ <٣١ب> مِنْ سَفْكَ
دِمَائِنَا، وَنَهَبِ وَهْلِكَ أَطْفَالِنَا وَنِسَائِنَا، وَحَقًّا كُنَّا قَبْلُ عُنَاةَ بُغَاةِ طُغَاةٍ، وَالْآنَ
قَدْ رَجَعْنَا إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ، وَتَرَكْنَا طَرِيقَ الْفَسَادِ، وَجَمِيعَ أَمْرِكَ مُطَاعٍ،
وَنَحْنُ عِبِيدُكَ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ، وَمِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ لَنْ^(١) يَتَعَرَّضَ مِنَّا أَحَدٌ
لِقَطْعِ طَرِيقٍ، وَلَنْ^(٢) نَشِينُ^(٣) الْإِغَارَةَ عَلَى عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ هَذَا الْمَقَالَ، عَلِمَ أَنَّهُ عَيْنُ الْمُحَالِ، لَكِنَّهُ قَالَ: رُبَّمَا
يَصْدُقُ الْكَذُوبُ، وَرُبَّمَا كَانَ قَصْدُهُمُ الرَّاحَةَ مِنْ هَذِهِ اللَّغُوبِ^(٤). فَقَالَ: قَدْ
عَقَوْتُ عَمَّا مَضَى، وَلَكِنْ قَصَدَ اخْتِيَارَهُمْ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَشْرَارَهُمْ، وَقَالَ: إِنْ
كُنْتُمْ فِيمَا ادَّعَيْتُمْ صَادِقِينَ، فَأَتُونِي بِأُولَئِكَ الْخَائِنِينَ. فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَطَاعْنَا!
نَحْنُ نَأْتِيكَ بِهِمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ. فَرَجَعُوا إِلَى أَخْبِيَّتِهِمْ، وَصَارُوا فِي
أَنْدِيَّتِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ الْوَزِيرَ قَدْ رَجَعَ بِجَنُودِهِ، وَانْقَشَعَ سَحَابُ بُنُودِهِ، وَقَالُوا:
إِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِقَضَائِنَا، وَعَدَمَ مَجِيئِنَا بِمَا أَرَادَ وَإِتْيَانِنَا إِلَّا وَقَدْ تَفَرَّقَتْ
عَسَاكِرُهُ، وَذَهَبَ مُنَاصِرُهُ، وَنَبَعْدُ^(٥) أَهَالِينَا فِي الْبَيْدِ، وَنَبْقَى الرِّجَالُ عَنْ
الْعِمْرَانِ غَيْرِ بَعِيدٍ، فَإِنْ قَاتَلْنَا كَانَ لَنَا الْخِيَارُ، فِي الثَّبَاتِ وَالْفِرَارِ. وَإِنْ
غَلَبْنَا كُنَّا أَعْلَى كَلِمَةٍ وَأَكْثَرُ الْعُرْبَانِ أَمَةً.

(١) فِي الْأَصْلِ لَمْ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: نَشِينُ.

(٤) التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ.

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ: وَنَبَعْدُ.

لكن الوزير حَدَسَ هذا الرأي، فلم يُبالغِ عنهم في النَّأي، ولم يَرْجِعْ إلى مكانه، ولم يذهب عنه غَالِبُ أَنْصاره وأَعوانه، بَلْ بَقِيَ فِي تِلْكَ الصَّحَارَى مُتَنَفِّلاً، وَدَامَ فِي هَاتِيكَ الْبَرَارِي مُتَعَلِّلاً، حَتَّى أَتَاهُ الْخَبَرُ الْيَقِينُ، بِنَقْضِ عَهْدِ أَوْلَيْكَ الْمَسَاكِينِ، فَركبَ بِجُنُودِهِ، وَمَارَ بِضِيَاغِمِهِ وَأَسُودِهِ، وَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْإِغَارَةَ، وَمِنْ جِدَّةِ السَّيْرِ أَبْدَتْ حَوَافِرَ الْخَيْلِ كُلَّ شَرَارِهِ <١٣٢>، فَوَافَاهُمْ نَصْفُ النَّهَارِ، عَلَى خِيُولٍ تَسْبِقُ الظِّلِيمَ وَالنَّهَارَ، وَبَادَرَتْ - كَمَا قَالَ الْعَمِيدِي^(١) - جُنُودُ اللَّهِ إِلَى اقْتِصَابِهِمْ، وَمِنْ يُرْسِي الْجِبَالِ إِذَا تَرَعَزَعَتْ رِعَانُهَا^(٢) وَمَنَاكِبُهَا، وَيُمْنِيكَ السَّمَاءُ إِذَا تَهَاوَتْ نُجُومُهَا وَكَوَاكِبُهَا، وَيَرُدُّ عَوَاصِفَ الرِّيَّاحِ (إِذَا اسْتَقَرَّ سُلْطَانُهَا، وَيَتَعَرَّضُ لِصُدُورِ الرَّمَاحِ)^(٣) إِذَا اسْتَمَرَّ مِرَانُهَا^(٤). فَلَمَّا رَأَى الْمَدَائِثِرُ^(٥) رِجَالَ الدَّوْلَةِ مُسْتَظْلِينَ بِظِلَالِ الْأَلْوِيَةِ الْخَافِقَةِ بِالنَّصْرِ وَالْإِظْهَارِ، وَالرَّايَاتِ النَّاطِقَةِ بِالْغَلْبَةِ وَالْإِقْدَارِ، وَالْبُنُودِ الْهَاتِكَةِ لِأَسْتَارِ أُولَى الْغَدْرِ وَالْخَتَرِ^(٦)، وَالْجُنُودِ الْمَالِكَةِ لِرِقَابِ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ، وَأَبْصَرُوا مَعَهُمْ فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ كُلَّ سَامٍ مِنْ بَنِي حَامِ حُمَاةِ الدِّينِ، وَالذَّائِدِينَ

(١) هو محمد بن أحمد العميدي، أديب منشئ، تولى ديوان الإنشاء في مصر، ولم
مؤلفات جملة في الأدب والبلاغة وتوفي سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤٢م. - ياقوت: معجم
الأدباء، ج ٧، ص ٣١٢.

(٢) جمع رعن وهو أنف يتقدم الجبل..

(٣) ما بين قومين ساقط من المطبوع.

(٤) الرماح اللدنة في صلابة.

(٥) جمع دائر، وهو الهالك.

(٦) الختر شبيه بالغدر والخديعة، وقيل هو أسوء الغدر وأقبحه.

عن حريمه، وأنصار الحق المجردين لتشييده وتعظيمه؛ تحققوا أن النافذين في عقدهم، والمستكثرين لقليل عددهم، خدعوههم بالمحال والباطل، وغرّوهم في الرأي الفاتل^(١)، وأنهم شهدوا مشهداً للثبات فيه غرر، ووردوا مورداً ما عنه صدر، فاستقتلوا وقد انقضت^(٢) آجال أولئك الأعمار، وهلكوا وقد انقضت أعمار أولئك الأغمار، حيث اظلم النهار، وزاغت الأبصار، وعزّ الثبات، وخشعت الأصوات، وطارت العقول، وحارت الخيول، وضاق الخناق، ومالت الأعناق، وسالت الأحداق من المحاجر، وبلغت القلوب لدى الحناجر، وتقاطرت عليهم السهام، رسل الجمام، مقصده وقاصده، ونابت السيوف عن نوب الأيام، راصدة وحاصدة، واكتست السماء من القمام ملابس جداد، وثبتت أنصار الدين وأشياعه ثبات أطواد، وطفقت سوابق الخيل تعثر في حبالها، وتكر وتفر بين الرؤوس بأبطالها، وصنمت الأسماع^(٣) من صليل المناصيل، وذبلت النفوس من السمر الذوابل، فلم يك إلا بمقدار ما رعت أسنة الرماح من أحشائهم، واختضبت ظبا الصقاح بدمائهم، حتى تزلزلت أقدامهم، وتكست أعلامهم، فولّى الأرجاس هرباً، ولم يقضوا غير فقد الأنفاس أرباً، ورجع عنهم رابحاً، وآب وقد قرّن بهم سعدا ذابحاً، وسماكاً رامحاً^(٣)، مغتيماً جل أموالهم، مرجعاً إليهم - كالعادة - كل عيالهم، وعمر

(١) الرأي الفاتل هو المخطئ والضعيف

(٢) في المطبوع: تعرضت.

(٣) سعد الذابح: نجم صغير ومنزل من منازل القمر، والسماك الرامح: أحد السماكين، وهو معروف من الكواكب قدام الفكة وليس من منازل القمر.

ما خَرَّبَهُ الأَشْرَارُ، وَمَهَّدَ النُّوَاحِي، وَجَنَّدَ حَقَرَ الأَنْهَارِ، وَأَرْجَعَ مَنْ هَرَبَ
خَوْفًا مِنْ أَوْلَئِكَ الأَرْجَاسِ، كُلًّا إِلَى مَكَانِهِ، وَأَعَادَ الْقَاصِي خَوْفًا مِنْ ضَرَرِ
أَوْلَئِكَ الأَنْحَاسِ إِلَى أَوْطَانِهِ.

وَقَصَدَ دَارَ حُكْمِهِ، وَمَكَانَ حِلْمِهِ، وَحَسَّنَ الْحَالَ، وَابْتَسَهَجَتِ الأَيَّامُ
وَأُنَارَتِ اللَّيَالِ، وَاسْتَوَى الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَسَاوَى ذُو الْقَلِيلِ ذَا الْكَثِيرِ،
بِالْإِنْشِرَاحِ وَالْهِنَاءِ، وَالْأَفْرَاحِ لِرُزْوَالِ الْعَنَاءِ. وَبَقِيَتِ النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ،
مُسْتَظْلِلِينَ بِذِي الْبَسَالَةِ وَالْعَدَالَةِ، إِلَى سَنَةِ عَشْرِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(١).

فصل

في بيان وقائع البصرة

وَنَحْنُ نَقْصِرُ عَلَى ذِكْرِ الْغَزْوِ الَّذِي بَاشَرَهُ، وَالْحَرْبِ الَّذِي كَانَ هُوَ
ثَائِرُهُ وَنَاصِرُهُ^(٢)، وَنَدَّعِ غَوْقَاءَ مَا نَعِ مَعَ السُّوْلَةِ، وَعِصْيَانَهُ فِي تِلْكَ
الْجِهَاتِ، إِذْ شَرَحَهَا يَطُولُ، وَنَمِلُ الْأَسْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ فُضُولُ، وَمَنْ أَرَادَ
الْإِطْلَاعَ عَلَى تِلْكَ الْقِصَّةِ، وَقَصَدَ الْخَبَرَ الْجَلِيَّ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى السَّيْرَةِ
الْحَسَنِيَّةِ لِلنَّاطِمِ الْمَوْلَوِيِّ^(٣)، فَنَقُولُ:

(١) أولها ٢٣ آذار سنة ١٧٠٨م.

(٢) هكذا وردت في النص والصحيح ثائرها وناصرها لأن الحرب مؤنثة.

(٣) هو كتاب قويم الفرج بعد الشدة، في سيرة الوزير حسن باشا، ألفه يومسف عزيز
المولوي المتوفى سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م وأهداه إلى الوزير المذكور سنة
١١٢١هـ/١٧٠٩م. كتابنا: التاريخ والمؤرخون في العصر العثماني، بغداد
١٩٨٣، ص ١٠٢-١٠٣.

بَيْنَا النَّاسَ فِي أَحْسَنِ عَشْرَةٍ، إِذْ نَجَمَ الْفَسَادُ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ، وَهُوَ أَنَّ شَيْخَ الْمُتَنَفِّقِ مُغَامِسَ بْنِ مَانِعٍ، مَدَّ يَدَ الْبَغْيِ <١٣٣> وَالْغَضَبِ مِنْ غَيْرِ مَانِعٍ، وَتَرَكَ الْإِطَاعَةَ لَوْزِيرِهَا خَلِيلَ بَاشَا^(١)، وَحَاكَى فِرْعَوْنَ فِي الضَّلَالَةِ وَمَاشَى. وَتَغَلَّبَ عَلَى نَوَاحِي الْجَوَازِرِ، وَأَظْهَرَ الْفَسَادَ بِكُلِّ عَاصٍ مَاسِكٍ، وَكَلَّمَا عَيَّنَتْ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ مِنْ طَرَفِ ذَلِكَ الْوَزِيرِ يَرْجِعُونَ بِزِيٍّ خَاسِرٍ، وَيُؤْوِبُونَ بِالتَّدْمِيرِ. وَكَثُرَتْ^(٢) الْأَرَاخِيفُ فِي الْفَيْحَاءِ، وَصَارَتْ ذَاتُ [قَحَطٍ] وَلَأَوَاءٍ. وَلَمْ يَزَلْ كُلُّ مَنْ أَعْوَانَهُ مُتَقَلِّدًا لِلْفَسَادِ عَضْبًا، وَلَمْ يَبْرَحُوا يَأْخُذُونَ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا.

فَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ - ضَوْعَفَتْ لَهُ الْأَجُورُ - بِفِعْلِ أَوْلَائِكَ الطُّغَاةِ، وَسَدَّاهُمْ عَلَى الْبَصْرَةِ السُّبُلَ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، خَافَ أَنْ تَمَكَّنَ شَوْكَتُهُمْ، وَتَقْوَى حَمِيَّتُهُمْ فَيَأْخُذُونَ الْبَصْرَةَ فِي الزَّمَنِ الْأَقْسَلِ، وَيُخْرِجُونَ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَ، فَأَمَدَّهُمْ بِعَسَاكِرِ رِجَالٍ^(٣)، وَأَرْسَلَ لَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ الْأَحْمَالَ. فَلَمَّا بَلَغُوا إِلَى الْبَصْرَةِ بِمَا مَعَهُمْ، وَحَلَّ فِيهَا أُولُو النَّجْدَةِ وَالنُّصْرَةِ أَجْمَعِهِمْ، قَوِيَتْ قُلُوبُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَزَالَ عَنْهُمْ زَمَنُ الْعُسْرَةِ، وَاسْتَرْوَحُوا رَبِيعَ الْأَمَانِ، وَاسْتَيْقَنُوا السَّلَامَةَ مِنْ تِلْكَ الْغُرْبَانِ.

ثُمَّ أَنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَتَبَ إِلَى الدَّوْلَةِ بِخُصُوصِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى قُلِّ عِصَابَةِ الْمَانِعِيَّةِ الرَّادِعَةِ الْمَانِعَةِ^(٤). فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْكِتَابُ،

(١) تقدمت الإشارة إليه.

(٢) كذا في الأصل، فعل ماض متصل بقاء تأنيث من كثر، وفي المطبوع: كثرة.

(٣) في المطبوع: رجال.

(٤) في المطبوع: المالعة.

أمروا والي بغداد المذكور أن يكون رئيس الجنود الواردة إلى تلك الأرض للمقاتلة والمُعاضدة.

ثم بعد الزمن القصير، والأمد اليسير، قَدِم والي^(١) كُتَاهِيَّة الوزير حسن باشا، ومُحافظ ديار بكر الوزير رجب باشا، ووالي كَرْكُوك الوزير يوسف باشا^(٢)، بجميع عسكرهم، وقَدِموا بغداد بِعَجْرِهِمْ وَبَجْرِهِمْ. ثم <٣٣ب> قَدِم والي الموصل^(٣) على استعداد، وقَدِمَتْ بِغَدَه عِصَابَةُ الأكراد، وصار في الجانب الغربي مُعسكرهم. وحلَّ على شاطئ نهر مَسْعُود^(٤) ثَقْلَهُمْ وعسكرهم.



(١) في المطبوع: إلى

(٢) تولى يوسف باشا ولاية شهرزور (مركزها كركوك) مرتين، أولهما من ١١١٧ إلى ١١٢٠هـ/ ١٧٠٥-١٧٠٨م ثم عاد إليها بعد فُكَّان فيها والياً سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م. الأمر الحاكم ٢٣٩.

(٣) هو محمد باشا الشهباز، تولى الموصل من ١١١٩ إلى ١١٢١هـ/ ١٧٠٧-١٧٠٩م.

(٤) هو نهر المسعودي، شقّه الخواجه مسعود بن سديد الدولة منصور بن أبي هارون الشافعي، وكان من أكابر بغداد في القرن الثامن للهجرة (تاريخ الغياثي ص ٩٤)، وقد لبث هذا النهر جارياً في بغداد الغربية، حتى أوائل القرن العشرين، ثم اندرس، وكان يأخذ مياهه من نهر الخر الأخذ مياهه من هور الصقلاوية، ويمضي جنوباً، في القضاء المحيط بسور محلات الكرخ، ليصب في دجلة، ويحتل جانباً من أرض مجراه اليوم شارع مطار المتى سابقاً.

وجَهَّزَ الوزير الكبير والي بغداد العساكر الغزيرة، والجموع الكثيرة، وأخذ صُحبة أولئك العسكر من مُحافِظي بغداد أهل الغيرة والحمية، ألا وهم أولو النجدة والأمداد الكَتِيبَةُ الْيُنْكَجَرِيَّة^(١).

(١) ذكر في كلشن أن الدولة أصدرت أوامرها إلى القوات الينكجيرية في بغداد بأنفاذ خمسمائة جندي من المتصفين بالبسالة والإقدام، والينكجيرية (وتعني: الجنود الجدد)، وتلفظ ينجيرية (وحرفها الأوربيون إلى الانكشارية مع أن الكاف بالتركية لا تلفظ) جيش أنشاء لعثمانيون في عهد السلطان أورخان (٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ويتألف في أساسه من ١٠١ أورطه (- فوج) مع أفواج أخرى ملحقة به، وعدد منتسبي كل فوج يقدر بنحو خمسمائة جندي، وهم موزعون في أرجاء الدولة المختلفة، ويتبعون بصفة مباشرة (أغا الينكجيرية) الذي يحضر الديوان السهاميوني (السلطاني) بصفته قائداً عاماً للجيش. وكان منتسبو هذا النظام يؤخذون في الأصل من بين أطفال القرى المسيحية في أوربة الشرقية، حيث يعتنقون الإسلام صفاراً، وينالون تدريباً عالياً، وينتمون إلى الطريقة البكتائية التي أسسها الحاج بكتاش أحد صوفية عصره، بيد أن ضعف المركزية في إدارة هذا الجيش، أدى إلى توقف امداده بالجنود، ومن ثم فتح المجال لتسرب فئات اجتماعية مختلفة إليه، حتى بلغت أفواجه تمثل السكان المحليين، مع فقدان تام لروح الضبط العسكري، فكثرت حوادث التمرد التي كان يقوم بها قادة هذه الأفواج، في الوقت الذي زادت فيه خسائرهم في المعارك ضد الجيوش الأجنبية، وأصبحوا حجر عثرة أمام كل محاولة لإصلاح المؤسسة العسكرية، حتى اضطر السلطان محمود الثاني إلى إلغاء الينكجيرية بالقوة المسلحة، فيما عرف بالتاريخ العثماني بـ (وقعة خيرية) سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م. وأنشأ بدلها جيش جديد أخذ بالنظم العسكرية الحديثة. ينظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة انكشارية، بقلم كليمان إيوار.

ثم سار بهم في أوائل رَجَب من سني عشرين بعد المائة والالف^(١)،
ورحل بهم الجَمع يتلو الجَمع، والصَّف يَقفو الصف، ونَزَلَ بهم قَصَبَة
الحِلة، وكانت سبعة أيام الإقامة والحملة. ثم سار متوجهاً إلى مقصوده،
تَخَفِق على رأسه ألوية جنوده، وتُخَدِقُ به الوزراء، وتَحِفُّه الأكابر
الأمراء، يَقْطَع الروابي والوهاد، والأغوار والأنجاد. فكلما قَطَعَ علماً بدا
علم، وكلما بلغ أكماً تراءى أكم، حتى بلغ بجيشه العظيم، وجأشه الثابت
القويم، قلعة العَرْجَة^(٢)، وأقام فيها طلباً للراحة، لكونها ذات بهجة.

ثم رَحَلَ عنها يَقْطَع المَهايم والقفار، وسار شاتاً للإغارة فيمن سار،
فَدَخَلَ أرض البصرة، وامتطى الصحارى بتلك الكثرة. ثم لِكثرة مياه
هاتيك السَّبَاح حَصَلَ للجنود النَّصَب، إذ كل قَدَم هناك ساخ، فأشرف على
البلدة المذكورة، بتلك الجحافل المنصورة، وابتغى مكاناً للمعسكر، ونَزَلَ
الجُند والعسكر، وخرج لاستقباله الوالي وسائر الأعيان، للفرح المتوالي
وابتهاج الزَّمان.

ثم إنه تَجَسَّس أخبار <١٣٤> ذلك الكلب، فأخبر أنه بمكان الوصول
إليه صَعَب، لِحِيلولة المياه والأنهار، وكثرة الغيل والأشجار يَبْنِيهِ وبين
العسكر، ولاسيما الكبير المسمى بنهر عَنَر، ولكنه هناك مُتَأَهَّب لِلْقِتَالِ،
مُتَصَلِّب بالرجال الأبطال، جامع مع عشيرته أكثر الأعراب، من أهل

(١) ويوافق منتصف أيلول من سنة ١٧٠٨م.

(٢) بلدة كانت تبعد عن مدينة الناصرية شمالاً بنحو ثلاثة كيلومترات، على الضفة
اليمنى لنهر الفرات. وهي اليوم من المدن المندمرة وإن كانت خرائبها لما تزل
مرنية حتى الآن. ينظر يعقوب مركيس: مباحث عراقية ج ١ ص ٣٩.

نُجِدَتْهُ وَنُصِرَتْهُ، زاعِماً أَنَّهُ إِن عَبَّرَ عَلَيْهِ الْعَسْكَرَ، وَنَصَبَ هُنَاكَ الْمُعَسْكَرَ، يَتْرُكُهُمْ طُعْمَةً لِلسُّيُوفِ، وَنَهْبَةً لِلخُتُوفِ، وَإِنَّهُ إِن قَطَعَ عَلَيْهِمُ الْعُقَبَاتِ وَصَارَ مَعَهُمْ فِي أَوْسَعِ الْجُهَاتِ، رَبِّمَا يَنْجُو الْبَعْضُ بِأَنْفَاسِهِ، وَيَسْلَمُ بِسَامِ رَأْسِهِ. هَكَذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِهِ، وَغَرَّهُ بِكَثْرَةِ جُمُوعِهِ، وَلَمْ يَنْزِرْ أَنَّ حِزْبَ اللَّهِ غَالِبٌ، وَأَنَّ أَسَدَ اللَّهِ لَهُ طَالِبٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ الْهَمَامَ، مِنَ الْمُتَجَسِّسِ هَذَا الْكَلَامَ، أَزْدَادَتْ شَجَاعَتُهُ، وَهَاجَتْ لِلْقِتَالِ جَمَاعَتُهُ، حَيْثُ أَنَّ ذَلِكَ الْخَمِيسَ، لَمْ يَعْشَنَ بِهَذَا الْخَمِيسِ، وَأَنَّهُ مُحَقَّقٌ خِذْلَانَهُمْ، وَأَنَّهُ نَزَلَ هُنَاكَ كَيْ لَا يُسَلِّمُوا أَبْدَانَهُمْ.

ثُمَّ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبْقَى وَالِي الْبَصْرَةَ فِي مَكَانِهِ، وَقَصَدَ هَذَا الْخَبِيثَ بِأَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَرَفَعَ لُؤَاءَ النُّصْرَةِ وَالظُّفْرِ، حَتَّى بَلَغَ بِسَيْرِهِ نَهْرَ عُنْتَرٍ، وَإِذَا^(١) هُوَ^(٢) صَعَبٌ عُبُورُهُ عَلَى الْجُنُودِ، وَلَا يُمَكِّنُ قَطْعُهُ بِأُولَئِكَ الْبُنُودِ. ثُمَّ أَنَّهُ لِشِدَّةِ الْعَزْمِ وَالْحَزْمِ، عَوَّلَ عَلَى السُّدِّ وَالرُّدْمِ، فَأَتَى بِالْحِيَالِ الْغِلَظِ، وَالْحَطَبِ الْكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الْغِيَاضِ، فَعَمَلَ لَهُ الْبَطَخَاتِ، وَهِيَ حَطَبٌ مَنْسُوجٌ بِقُوَّةٍ وَمَتَانَةٍ، وَيَقْلُ وَرَزَانَةٌ، حَتَّى إِنْ الْوَاحِدَةُ لَا يَحْمِلُهَا إِلَّا نَحْوُ الْخَمْسِينَ رَجُلًا، وَلَا يَقْلُهَا إِلَّا نَحْوُ الْأَرْبَعِينَ بَطَلًا، <٣٤ب> فَأَمَرَ بِإِلْقَائِهَا فِي النَّهْرِ، وَشَدَّهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ بِالْحِيَالِ، وَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ، مِنَ الْحَطَبِ وَالسُّرَابِ وَالرَّمَالِ، وَسَدَّهُ سَدًّا مُحْكَمًا فِي يَوْمَيْنِ، وَجَعَلَهُ فِي الْأَتْقَالِ كَسَدِّ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: إِذْ هُوَ

(٢) فِي الْأَصْلِ: هُوَ مِنْ صَعَبٍ.

وعَبَرَتْ عَلَيْهِ جُنُودُ اللَّهِ، وَصَارَتْ حَيْثُ سَارَتْ بَيْنَ الْعَدُوِّينَ،
 الْأَعْرَابِ وَالْمِيَاهِ. فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِمُ الْجُمُوعُ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَقَصَصَتْهُمْ بِالنَّبْلِ
 الْهَمُوعِ وَالزُّرُقِ الْحِرَابِ، فَعَدَّلَ اللَّيْثُ جُمُوعَهُ، وَأَبْرَزَ كُلَّ كَتِيبَةٍ مَجْمُوعَهُ،
 وَقَاتَلَهُمْ زَحَقًا، وَنَازَلَهُمُ أَلْفَا أَلْفًا، وَحَمَى الْوَطِيسُ، وَاتَّقَدَ عَزَمُ ذَلِكَ الْخَمِيسِ،
 وَجَالَتْ خِيُولُ اللَّهِ بَيْنَ الصَّفِّينِ، وَحَالَتْ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَجَلِهِ بِقُرْبِ الْحَيْنِ.
 وَكَشُرَتْ الْمَنِيَّةُ عَنْ نَابِهَا، وَأَسْرَعَتْ أَسَدُ الْحَمِيَّةِ عَنْ غَايِبِهَا، وَحَنَّ الصَّقِيلُ
 مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَتَعَبَ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ غُرَابُ الْبَيْنِ، وَتَصَارَعَتِ الضَّرَاغِمُ،
 وَتَمَارَعَتِ عَلَى الْغَبْرَاءِ الضَّيَّاعِمُ، وَذَرَفَ الْعَسَالُ بِدَمْعِ قَسَانٍ، وَضَحِكَتْ
 الصَّغَالُ فِي وَجْهِهِ الْعَرَبَانِ، وَصَالَ الْوَزِيرُ غَارِقًا فِي بَحَارِ الدَّلَاصِ^(١)،
 فَضَيَّقَ عَلَى الْعَدُوِّ وَاسِعَ الْأَفْحَاصِ، وَكَرَّ وَحَمَلَ، وَقَصَمَ كُلَّ بَطَلٍ، وَنَظَّمَ
 الْفَوَارِسَ بِطَعَنَاتِهِ، وَنَثَرَ الْهَامَ تَحْتَ الْقَتَامِ بِضَرْبَاتِهِ، وَسَجَدَتْ الرُّؤُوسُ -
 وَإِنْ عَزَّتْ- لِحُسامِهِ، وَطَارَتِ النَّفُوسُ وَاسْتَفَزَّتْ هَرَبًا مِنْ نَسْرِ إِقْدَامِهِ.
 شعراً [من الخفيف]:

سَيْفٌ حَتَفَ إِلَى نَفُوسِ الْأَعَادِي حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ التَّايِيدِ

وَكَرَّتْ تَقْفُوهُ عِصَابَتُهُ الضَّرَاغِمُ، مِنْ كُلِّ بَطَلٍ مُرَاغِمٍ، وَطَلَبُوا
 الْأَعْدَاءَ طَلَبَ الْمُصْطَادِ لِلطَّبَا، وَبَارَزُوا الْأَشْقِيَاءَ فَمَحَقُوهُمْ <١٣٥> بِأَشْفَارِ
 الضُّبَا^(٢).

(١) البراق اللين كناية عن الدرع.

(٢) الضبا، جمع ضبة: حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك.

ولما شاهدت الأعراب هذا الرَّهْجَ، تَمَزَّقَتْ مِنْهُمُ الْمُهْجُ، وزاغت
منهم الأبصار، وحَقَّقُوا أَنْ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالْفِرَارِ، فَلَوَّوا أَعْنَتَهُمْ وَأَمُّوا خِيَامَهُمْ
وَأَخْبَيْتَهُمْ، وَهَرَبُوا عَلَى تَجَلُّدٍ، وَأَبْدَوْا الْحَزْمَ الْمُتَّصِلَ. ثُمَّ لَمْ تَزَلْ جُنُودُ اللَّهِ
مَعَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ، وَقِتَالٍ وَاصْطِدَامٍ كَثِيرٍ، وَالْوَزِيرُ يَمْشِي
عَلَيْهِمْ زَحَقًا، وَيَسُومُهُمْ وَبَالًا وَخَسَفًا^(١)، وَيَغْصِبُ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مَكَانًا،
وَيَسْتَوْطِنُ مِنْهُمْ كُلَّ سَاعَةٍ أَوْطَانًا، حَتَّى بَانَتْ الْخِيَامُ، مِنْ خِلَالِ الْقَتَامِ،
بَحِثُ الثَّقَلِ الْكَبِيرِ وَالطُّوبِ تَصِلُ أَخْبِيَّتَهُمْ، فَتَزْعِرُ مِنْ أَهْلِهَا الْقُلُوبَ.

ولما أَبْصَرَ لِهْدَاءِ اللَّهِ هَذَا الْإِنْكَسَارَ، وَأَحْسَوْا بِالْخُسْرَانِ وَالْبَوَارِ،
وَأَنَّهُمْ إِنْ هَرَبُوا وَقَتَ الْإِصْطِدَامِ، وَفَرُّوا فِي مَقَامِ الْإِعْتِرَاكِ وَالْإِزْدِحَامِ،
تَوَسَّرَ الثَّيِّبَاتُ وَالْبَنَاتُ، وَتَبَقَّى أَنْفُسُهُمْ عَلَيْهِنَّ حَسَرَاتٌ، عَزَمُوا عَلَى أَنْ
يَبْدُلُوا فِي الْقِتَالِ جُهْدَهُمْ، وَيَتَجَاوَزُوا فِي مُصَارَعَةِ الْأَبْطَالِ حَدَّهُمْ، فَإِنْ
نُصِرُوا فِيهَا وَنِعِمَّتْ، وَإِلَّا شَغَلُوهُمْ بِالطَّرَادِ، وَالْهُوْمِ بِالْمُنَازَلَةِ أَحَادٍ، حَتَّى
يَجْرُ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ الْأَسْتَارَ، فَيَهْرَبُوا بِالْعِيَالِ وَيَعْتَبِرُوا لُجَّ الْأَبْحَارِ.

فلما أَسْفَرَ الْفَجْرُ عَنْ صَبَاحِهِ، وَأَبْدَى الصَّبَاحُ سَنَاءَ مِصْبَاحِهِ، وَامْتَطَّطُوا
الْخِيُولَ الْعَادِيَاتِ، وَرَكَبُوا الْجِيَادَ الْغَادِيَاتِ، وَذَهَبُوا لِلنِّزَالِ، وَقَصَدُوا
مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ، فَقَامَتِ جُنُودُ اللَّهِ قِيَامَ الْأَسَدِ مِنَ الشَّرَى، وَتَلَاقِيَا عَلَى
وَعَسَاءِ^(٢) الثَّرَى، فَكَانَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ لَمْ يَشْهَدُوا نَصَبًا، وَلَمْ يَلْقُوا مِنْ حَرْبِهِمْ
بِالْأَمْسِ <٣٥ب> تَعَبًا، بَلْ عَبُّوا جُمُوعَهُمْ، وَاصْطَدَمُوا فِي تِلْكَ الْوَعَسَاءِ،
وَسَالَتْ مِنَ الْجَانِبَيْنِ الدَّمَاءُ، وَجَالَتْ الْفُرْسَانُ، وَحَمَلَتِ الْكُمَاةُ

(١) الْأَصْلُ: مَخْفَأً.

(٢) الْوَعَسُ: الرَّمْلُ الَّذِي تَغِيْبُ فِيهِ الْأَرْجُلُ.

بِاللُّثُونِ وَالْيَمَانِ، وَعَلَا الْقَتَامَ، وَكَثُرَ الْأَزْدِيحَامُ، وَنَزَلَتْ الْأَقْدَامُ، وَصَغَبَ
 عَلَى نَارِ الْهَيْجَاءِ الْإِقْدَامَ، وَالْعُقُولَ حَارَتَ، وَالْعُيُوسَ زَاغَتَ، وَالْأَمَاقَ
 غَارَتَ، وَالْخَيْلَ تَعَثَّرَ بِالرُّجَالِ، وَتَكَبَّرَ بِالرُّؤُوسِ تَحْتَ الْأَبْطَالِ، وَتَبَيَّنَتْ
 جُنُودُ اللَّهِ ثَبَاتَ الْجِبَالِ الرَّاسِخَةِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ غَلَاءَ الْأَطْوَادِ الشَّامِخَةِ،
 وَحَنَّتِ الصَّقَالُ الْبَارِقَةِ، وَرَنَّمَتِ النَّبَالُ الْمَارِقَةَ، وَصَفَّقَ الْعَسَالُ عَلَى ظُهُورِ
 الْفِرْقَةِ الْمُنَافِقَةِ، وَالْأَطْوَابُ ابْرَقَتِ، وَالْبِنَادِقُ أَخْرَقَتِ. فَيَالَهُ مِنْ يَوْمِ عَبُوسٍ،
 جُرْعَتِ فِيهِ لِلْمَنِيَّةِ كُؤُوسٌ، وَدَارَتْ رَحَى حَرْبِهِ عَلَى أَبْطَالِ، وَفَوَارِسِ
 أَقْيَالِ.

هذا، وَالْوَزِيرُ يُحَرِّضُ جُنْدَهُ عَلَى الْقِتَالِ، وَيَحْتُ حَرْبَهُ عَلَى تَكَرُّرِ
 النَّزَالِ، وَيَعْدُو عَلَى أَعْدَائِهِ، فَيَغْدُو بَيْنَ أَرْضِ الْقَتَامِ وَسَمَائِهِ، وَيَصُولُ
 وَيَجُولُ، وَيَرْوِمُ فِي جُمُوعِ الْأَعْدَاءِ الدَّخُولِ، فَكَمْ نَثَرَ هَامًا، وَنَظَّمَ أَبْطَالًا
 لِنَامًا، وَهُوَ فِي سَمَاعٍ مُطْرِبٍ، وَغَنَاءٍ مُعْجِبٍ، إِلَّا وَهُوَ تَرَنَّمُ الْأَوْتَارِ،
 وَغَنَاءُ صَلِيلِ الْبَتَّارِ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ. شعراً [من الكامل]:

رِيحَانُهُ سُمُرُ الرَّمَاكِ وَوَرْدُهُ حُمُرُ الصُّوَارِمِ وَالْبُنُودُ الزُّنْبُقُ
 وَغِنَاهُ صَلَافَةُ الْحُسَامِ وَغُودُهُ الْـ سَهْمُ الْمَقُوقِ وَالصَّقِيلُ الْمَقْلَقُ

وَلَمْ تَزَلْ جُنُودُ اللَّهِ تَحْتَ الْقَتَامِ، بَيْنَ كَرٍّ وَفَرٍّ إِلَى أَنْ أَقْبَلَ الظُّلَامَ،
 وَجَيْشُ النَّهَارِ أَدْبَرَ، فَعَدَلَ كُلُّ إِلَى مَكَانِهِ، وَأَبَى كُلُّ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَبَاتَتْ

خيل الله تراقب الصباح، وتَسْتَبْشِرُ بالنجاح <١٣٦> في الغداة والأرباح،
لَمَّا حَقَّقُوا^(١) مما حلَّ بأعدائهم أمس، وتيقَّنوا أن أكثرهم حلَّ في الرَّمْس.

فلما أصبح الصباح، وجيوش الظلام غارت على أداهم^(٢) وأشرق
الفجر ولاح، والكواكب فكت عنها الأداهم^(٣)، قامت أسود العرين، محفوفة
بالظفر المبين، وتأهبوا للمبارزة، واعتدوا للمجادلة والملازمة^(٤)، فلم
يجدوا للقوم أثراً، ولم يعرفوا لهم خبراً، ولم يبق في السدار إلا الأتقال،
وهرب خوف الأسر والعار، الرجال بالعيال، وخاضوا المياه في جنح
الليل، وهربوا ونساؤهم على القتلَى تتدب بالويل^(٥) وحق للملك أن ينشد
لدى الإياب، ويخاطب بقول شهاب [من الطويل]:

بقيت بقاء الدهر يا بهجة الدهر وهنى فيك العنصر يا زينة العنصر
ولا برحت ريم الوعى لك في اللقا تفتح أزهار الفتوح مع البشر
ولا برح الجيش الذي أنبت قلبه يضم جناحاه^(٦) على بيضة النصر
أتى الله بالفتح المبين نبيك ونصرك هذا أنجز الوعد بالأمر
لقد سرت الدنيا بنصرك والعلى وأصبحت نسنت الملك منشراح الصدر
نشأت ونفس الجود في قبضة الردى فأنقذتها في بسط أنملك العشر
وأخذت في وجه الزمان طلاقه وورد خد المجد في بيضك الحمر

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع تحققوا.

(٢) جمع أدهم: وهو الفرس.

(٣) القيود، سميت به لسوادها.

(٤) شدة الخصومة.

(٥) في المطبوع: الويل.

(٦) في المطبوع: جناحاه، والصواب: جناحيه.

وَرَدَّحَتْ أَعْطَافَ الرِّمَاحِ كَأَنَّمَا
قُدُودُ الْمَعَالِي مَا هَزَزَتْ مِنَ الْقَنَاصِ
عَضُّنَتْ بِحُسْنِ الرَّأْيِ غَضْبًا مُهَنْدًا
شَفَعَتْ بِمَاضِي الْعَزَمِ مِنْكَ غِرَارَهُ
وَفَلَقَتْ فِيهِ هَامَةً طَالَمَا غَدَّتْ
مَرَجَّتْ نَمًا سَقَيْتَهَا مِنْهُ بِالْخَيْرِ
وَأَحْدَقَهَا مَا قَدْ هَزَزَتْ مِنَ الْبَشْرِ
فَاعْرَبَ عِنْدَ الضَّرْبِ عَنْ مُعْجَمِ السَّرِّ
فَأَنْرَكَتْ وَتَرَ الْمَجْدَ بِالضَّرْبَةِ الْوَتْرِ
مَتَوَّجَةً فِي غُرَّةِ الْغَيِّ وَالْكَبْرِ

<٣٦ب>

وَأَهْزَمْتَ أَحْزَابَ الضَّلَالِ وَلَوْ نَنَوَا
وَأَخْرَجْتَهُمْ فِي رَغَمِهِمْ عَنْ بِيَارِهِمْ
هُمْ عَزَمُوا أَنْ يَمْكُرُوا بِكَ بِكَيْدِهِمْ
وَأَلْقُوا حِيَالَ الْمُنْكَرَاتِ وَخَبَلُوا
كَفَى اللَّهُ فِيكَ الْمُؤْمِنِينَ لَسَدَى الْوَعْيِ
وَلَوْ لَمْ يَكُفْ الْعَفْوُ بِأَسْكَ عَنْهُمْ
وَمَا لِبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا فَكَمْ تَجَرَى
تَوَلَّوْا مَعَ الْخَفَائِصِ فِي غَسَقِ النُّجَى
إِذَا لَهُمْ عَقَبَانُ رَايَايَكَ انْجَلَّتْ
رَمِيَتْهُمْ فِي فَيْلَقٍ قَدْ تَفَرَّدَتْ
بِهِ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ سُلَالَةِ هَاشِمٍ
إِذَا وَلَّجُوا فِي مَعْرَكٍ كَادَ نَفْعُهُ
أَسْوَدُ كِفَاحٍ بِأَسْهُمٍ فِي رِمَاحِهِمْ
وَكَمْ قَبْلَهُمْ صَبَّحَتْ قَوْمًا بِغَارَةِ
لَا لِحَقَّتْهُمْ فِي لُتْرِ مَنْ كَانَ ذَا غَدْرِ
وَمَا اعْتَقَلُوا هَذَا إِلْسَى أَوَّلَ الْحَشْرِ
فَحَاقَ بِأَهْلِ الْمَكْرِ عَاقِبَةُ الْمَكْرِ
فَعَارَضَتْهُمْ فِي آيَةِ السُّيُفِ لِلْسَحْرِ
قَتَلَ الْعِدَى حَتَّى سَلِمْتَ مِنَ الْأَزْرِ^(١)
لَعِذْتَ وَقَدْ عَادَ الْحَدِيدُ مِنَ التَّسْبْرِ
بِهِمْ مِنْ ظَلِيمٍ فَرَّ عَنْ بَيْضَةِ الْخِزْرِ
وَخَافُوا طِلَابَ الشَّمْسِ فِي عَقَبِ الْفَجْرِ
أُعِيرُوا مِنَ الْغُرَبَانِ أَجْحَةَ الْغَرِّ
بِهِ طَائِرَاتُ النُّجَحِ فِي عَذَبِ السُّمْرِ
مِنَ الْخَيْتَرِيِّينَ الْغَطَارِفَةَ الْغُرِّ
لِطَيْبِهِمْ يُرَيِّى عَلَى طَيْبِ الْعِطْرِ
كَسَمَّ الْأَقَاعِي فِي أَنْابِهَا يَجْرِي
فَلَمْ يَحْتَمُوا مِنْهَا بِبِرٍّ وَلَا بَخْرِ

(١) الأزر: الالتفات ولعنها هنا الأسر.

فرَجَعَ إلى البصرة بعد عِمارة ما خَرَّبَهُ أَوْلئك الفُجَّار، وإرجاع
سُكَّان تلك النواحي إلى الديار. ثم أنه بعد رُجوعه بعساكره، ورُجوعه
جُموعه،^(١) أتى الأمر السلطاني والإنعام الخاقاني، بِتَوَلِّيَةِ البصرة لعامل
كُوتاهيِّه الوزير حسن باشا^(٢).

ثم أن الخليفة المنصور، والأسد الجسور، بعد إلقائه أعباء النَّصَب،
وحصول الراحة وزوال التَّعب، سار بِخَميسه المذكور، يَوْمُ مدينة
المنصور. وسار بهم من وَسَط ناحية الجَزائر، في طريق <١٣٧> وغيرِ لا
يُمْكِن فيه السَّير لِكُلِّ سائر، لِما فيه من الأنهار المَتَدَقَّة، والمياه المَتَرَقِّقَة،
والشَّجَر المُحْتَف، والغيل المُلتَف، لكنه شَقَّ بِجماعته، وعَبَّر فيسه بِكَمال
صِناعته، إذ كل يوم يَعمَلُ في طريقه من القناطر ما لا يَحُد، وَيُسَوِّي
الجسور للعبور لِكُلِّ أحد، فصار طريقاً، المُرورُ فيه سَهْلٌ بلا نَصَب،
والعبور على قناطيره وجسوره مُمَكِّنٌ من غير تَعَب، وفي ذلك إرهابٌ
لأعدائه، وتخويفٌ وترويعٌ لخصمائه، إذ في مثل هذه الأهوار، وعلى هذه
المياه والأنهار، يَمُنُّ طريقاً جادَةً، وَيُشرِّع سبيلاً خارِجاً للعبادة، فَإِنَّ لا
يُمْكِن من بأسه لدى الفرار التَّحَصُّن، ولا يَقْدِر من خافه في^(٣) بَطُون
الأهوار أن يَأْمَنَ فيمُكِن، بل اعتَقَد عَدُوُّه أنه لو عَزَم على سَدِّ شَطِّ العَرَب
لَسَدَّهُ من غير كُلفة ولا نَصَب.

(١) لعلها إرجاعه جموعه.

(٢) تولاهما من ١١٢٠ إلى ١١٢١ هـ/١٧٠٨-١٧٠٩ م كما في كلشن ص ٢٢٥، وفي

محمد ثريا: سجل عثماني ج ٢ ص ١٤٦ أنه تولاهما سنة ١١٢١ هـ.

(٣) في المطبوع: من.

ثم أنه لم يزل يطوي الصحاح^(١)، ويستهل الضحاح^(٢)، حتى بلغ قلعة العرجاء، فنزل هناك وقطع التعب عنهم عجا، فلما استوفى بعسكره الراحة، رحل بهم يقطع كل ميل من الأرض ومساحة، ودخل دار السلام، وزادت بقدمه بهجة الأيام، وازداد حُبور الأنام، وحصلت المسرة للخاص والعام.

فصل

[غارات مغامس]

وفي السنة الحادية والعشرين بعد المائة والألف^(٣)، ظهر مغامس المذكور، من خلف السُور، وتجلد الخصومة، وجلب إليه كل قبيلة وجرتومة، ووافقته غزوة الأشرار، إذ في قلب كل - كما تقدم - من مضض الإنديمار نار، فأغاروا على قري بغداد، وحرقوا الزروع وقد قاربت الحصاد، ونهبوا القرية الرماحية^(٤)، وأودعوا في قلوب أهلها كل حية، حيث <٣٧ب> غصبوا أثاثهم ومواشيهم، وفرقوا أصولهم وحواشيهم، وحرقوا جميع زروعهم، وخرّبوا غالب ربوعهم. فبلغ الوزير المذكور هذا الخبر، فبادر الغضنفر الغيور على الأثر، أن يبعث بعض

(١) جمع الصحاح وهو الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار.

(٢) جمع الضحاح وهو الماء الضحل.

(٣) أولها ١٣ آذار ١٧٠٩م وفي الأصل: السنة الحادي والعشرين بعد المائة والألف.

(٤) تقدم التعريف بها.

الجنود إلى الحلة لتَحْفَظ مزارعها، وتَحْرُس مَواشيها، وتَحْمِي مَرَاتِعها.
 وأرسل إلى نهر الشاه^(١) أمثالهم، وأمرهم أن يفعلوا في الحراسة أفعالهم.
 فلما وَرَّنت العساكر إلى هذين المكانين، كَادَ أَنْ يَنْعَب بِأُولَئِكَ
 الأعداء غِرابَ الْبَيْنِ، ورفعوا أَثْقَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَحَالَقُوا مِنَ
 الأعراب مَنْ هُوَ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَبُغْدَادَ^(٢)، وَدَخَلُوا الْجَوَازِرَ، وَقَطَعُوا السُّبُلَ
 وَنَهَبُوا الْأَقْوَاتِ وَالذِّخَائِرَ. ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا وَنَزَلُوا بَيْنَ الْعَرِجَةِ وَالْأَهْوَارِ،
 وَأَوْقَدُوا لِلْفَسَادِ كُلَّ نَارٍ.

ثُمَّ أَنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ أَرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ، يُخْبِرُهُ بِخُصُوصِ هَذَا
 الشَّأْنِ، بِأَنَّهُمْ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَرَجَعُوا إِلَى مَا اسْتَتَدُّوا إِلَيْهِ،
 فَكَانَتْ طَالِبُوا نَارٍ مِنْذُ سِمَتِهِمْ الْخُسْفَ^(٣) وَالْبَوَارِ، فَعَيَّنَتْ مَعَهُ تِلْكَ الْعَسَاكِرَ
 الْمَاضِيَةَ، وَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ هَاتِيكَ الضَّرَاعِمَ الْعَامِيَةَ.

وَفِي سَلَخِ رَجَبِ هَذِهِ السَّنَةِ، رَفَعَ اللَّوَاءَ لِلرَّحِيلِ، وَقَصَدَ الْأَعْدَاءُ
 بِكُلِّ بَاسِلٍ قِيلَ. وَلَمَّا وَصَلَ السَّمَاءُ، بَلَغَ الْأَعْدَاءُ قَصْدَهُ، وَتَعَجَّلَ سَيْرُهُ
 وَقَصْدُهُ، فَعَزَمُوا عَلَى الْفِرَارِ، إِلَى تَاحِيَةِ الْجَوَازِرِ وَرَاءَ الْأَهْوَارِ، لِعِلْمِهِمْ
 بِعَدَمِ مَقَابِلَتِهِ، وَاعْتَرَفَهُمْ حِينَئِذٍ بِعَجْزِهِمْ عَنْ مُجَادَلَتِهِ. فَلَمَّا أَحَسَّ الْوَزِيرُ
 الْمَذْكُورَ بِفِرَارِهِمْ، وَتَحَصُّيهِمْ بِأَهْوَارِهِمْ، أَرْمَغَلَتْ^(٤) جُنُودَهُ فِي الطَّلَبِ، وَلَمْ

(١) تقدم التعريف به.

(٢) يريد: بغداد.

(٣) في الأصل: المسخف.

(٤) ارمغل: تتابع.

يَمْنَعُهُم الْمَاءَ عَنْ حُصُولِ الْأَرْبِ. وَعَبَّرُوا إِلَيْهِمْ أَنْهَارَهُمْ، وَخَاضُوا عَلَيْهِمْ
<١٣٨> أَهْوَارَهُمْ.

وَفَرَّقَ الْوَزِيرُ عَسَاكِرَهُ عَلَى كُلِّ فِرْقَةٍ، وَسَارَ بِكَتَيْبَتِهِ عَلَى حِلَّةٍ ذَلِكَ
الْمَاكِرَ لِيُعْجَلَ حَنْقَهُ وَخَنْقَهُ، فَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ، وَنَالَ الْبَاقِيَ مِنَ الْأَعْرَابِ
الْعَطَبِ، وَتَشَتَّتَ أَمْوَالُهُمْ عَلَى الْأَكَامِ، وَضَاعَتِ عِيَالُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ فِي
الْأَجَامِ، إِلَّا أَنْ مُغَامِسَ الشَّقِيِّ فَرَّ مِمَّا لَقِيَ، وَتَغَيَّبَ تَغَيَّبَ الْمَارِدِ، بَعْدَ أَنْ
كَانَ بِصِفَةِ كَفٍّ مُضَادِّدٍ، فَرَجَعَ عَنْهُمْ لِلضَّرْغَامِ، وَقَدْ تَرَكَهُمْ كَالْأَنْعَامِ، لَا
يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَلَا يَعْرِفُونَ عَدُوًّا وَلَا يُمَيِّزُونَ خَلِيلًا.

[حركات الجوازير]

وَفِي أَوَائِلِ رَمَضَانَ هَذِهِ السَّنَةِ (١)، جَاءَ الْإِنْعَامُ مِنَ السُّلْطَانِ بِإِضَافَةِ
تَوَلِّيَةِ الْبَصْرَةِ إِلَيْهِ، لِاعْتِمَادِ الْخُنُكَارِ فِي مُهِمَّاتِهَا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بَعْضَ
النُّوَابِ (٢)، وَعَيَّنَ لِسِيَاسَتِهَا بَعْضَ الْأَصْحَابِ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ
السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ (٣). فَلَمَّا بَلَغَ النَّائِبُ دَارَ الْحُكُومَةِ،
وَرَفِيعَتِ إِلَيْهِ كُلَّ دَعْوَى وَخُصُومَةٍ، وَكَانَ حِينَئِذٍ بَعْضَ طَوَائِفِ الْأَعْرَابِ

(١) أَي ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م.

(٢) هُوَ صَبْرُهُ مُصْطَفَى آغَا، وَكَانَ وَاحِدًا مِنْ (كَتَّخْدَانِيَّتِهِ) أَيِ نَوَابِهِ وَمُسَاعِدِيهِ. يُنْظَرُ
كُلُّشْنَ ٣٢٧، وَفِي سَالِنَامَةِ الْبَصْرَةِ ص ٦٣ أَنَّهُ تَوَلَّاهَا سَنَةَ ١١٢٠ وَلَا يَصِحُّ هَذَا،
لِأَنَّ إِتِنَاطَةَ الدَّوْلَةِ تَعْيِينَ الْمُسْلِمِينَ بِحَسَنٍ بَاقِيًا جَرَى بَعْدَ انْتِقَاثِهِ عَلَى مُغَامِسٍ لَا
بَعْدَهُ.

(٣) أَيِ سَنَةِ ١٧١٠ لِلْمِيلَادِ.

من طَرَفِ الجَوَازِرِ مَدَّ يَدَ الخَرَابِ، وَرَفَعَ لواءَ العِصْيَانِ، فَارْسَلَ النَّائِبُ
إِلَى الوَظِيرِ بِهَذَا الشَّأْنِ، فَرَكَّبَ أَيْضاً عَلَيْهِمُ بِنُجْدَتَهُ، وَلَمْ يَتَكَاسَلْ لِفَسْرِطِ
هِمَّتِهِ، فَذَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا، وَأَفْنَى مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَغَرَّقَ الْأَكْثَرَ فِي الْمَاءِ،
وَأَسِيرَ غَالِبُ النِّسَاءِ، وَتَرَكَ فِي الْبَصْرَةِ بَعْضَ الْعَسْكَرِ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ.

فصل

[تعيين والي البصرة]

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(١)، عَيَّنَ الْوُظِيرُ
عُثْمَانَ بَاشَا وَالِيًا عَلَى الْبَصْرَةِ^(٢)، بَعْدَ أَنْ أزالَ هَذَا الْوُظِيرُ عَنْهَا كُلَّ
مَضَرَّةٍ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهَا رَأَاهَا^(٣) مُنْقَادَةً بَعْدَ الْجُمُوحِ، وَأَعْرَابِهَا <٣٨ب>
مِنْ كَثْرَةِ فَتْكِ الْوُظِيرِ الْمَذْكُورِ بِهِمْ جَسَدًا بِلا رُوحٍ، فَغَنَّاهُ طَائِرُ السَّعْدِ
وَعَرَّدَ^(٤). مَصْرَاعَ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]:

(١) أولها ٩ شباط سنة ١٧١٢م.

(٢) وكان حسن باشا قد عين متمسلاً قبله هو قوجه حسن باشا، حكمها من ١١٢٢ إلى
١١٢٤هـ/١٧١٠-١٧١٢م، كما ورد ذلك في سجل عثماني ج ٢ ص ١٤٨، أما
عثمان باشا، فهو آخر من تولى البصرة بصفته والياً، كما يذكر المؤلف. ينظر
كلشن ٣٢٨.

(٣) لفظة رآها في الهامش.

(٤) جاء في الأمر الصادر من الدولة إلى عثمان باشا (نفسر مهمة ١٢٠ ص ١٤٧-
١٤٨، أواخر صفر ١١٢٦هـ) "أن بعضاً من مقاطعات البصرة كان قديماً في يد
شيوخ العربان، ولا سيما مقاطعة الجزائر (الجوازر) التي هي أحسن مقاطعة في
البصرة، كانت في يد مغامس بن مانع، وعندما حصل شيوخ العربان على القوة"

أتاك الربيع فقم واسعد

فصل

[حركات البلباس]

وفي السنة السادسة والعشرين بعد المائة والالف^(١)، ظهر - كما قيل - من عشائر البلباس بعض العناد والفساد، والإباء عن الانقياد، وتعنّوا على الرعايا التي قربهم تعدياً ظاهراً، وتجرّأوا على الفساد وصار بعضهم لبعض ناصيراً، فركب الوزير عليهم بكتائبه، وأولي نصرته وأقاربه، فأباد شملهم، وأكثر قتلهم، وفرّق جمعهم، ومزّق ربّعهم، وعاد بالغنائم، ورجع وفي قلوبهم الأحقاد والسخائم^(٢).



مركز تحيية تكمية علوم إسلامي

والغنى من ريع هذه المقاطعات، جمعوا حولهم طائفة الغربان، واستولوا على نواحي البصرة، وأوقعوا فيها خسائر فادحة، وأثاروا الفتن والقلق، مما أدى إلى تسيير الجيوش عليهم لاطفاء فتنهم وثورتهم.. حتى تفرق جمعهم وتشتت شملهم، ثم دخلت عربان منتفق في دائرة الطاعة والانقياد للدولة العلية، كما قطع مغاسم بن مائع عهداً على نفسه بأن لا يدخل في مقاطعات الجزائر فيما بعد، وتم تعيين مرتب له يتقاضاه من الدولة، وبذلك تقرر الأمن والنظام في المقاطعات.

(١) أولها ١٧ كانون الثاني ١٧١٤م.

(٢) السخائم ج سخيمة وهي الضغينة.

فصل

[حركات أكراد النّبيّه]

وفي أثناء هذه السنة، عصى بكر بيك^(١) من سَنَاجِقِ أكراد النّبيّه^(٢)،
التّابعة لِشَهْرَ زُور، حيثُ أظهر الخِلاف، وتَغَلَّب على الأطراف والأكناف،
ولم يَنْقَد لِوِلاة شَهْرَ زُور، ولم يَتَّبِع كلمة الجُمهور، فكم قَتَلَ رِجالاً، وهَتَكَ
حيث سَبى عِيالاً، وأزْهَقَ تحت سَنابك خيله الأطفال، فَسَقَى إِذْ فَسَقَ أَهْلُ
الْقَرْى كُؤُوسَ الزَّوَالِ. فَقَصَدَ الوَزيز عَالي الهِمَّة، الكَشَفَ عن المُسلمين



^(١) هو بكر بك بن النقيه أحمد بن كاكه شيخ بن بير بوداق بن أمير بك بن الشيخ حيدر
المكري، تولى زعامة إمارته (مركزها في عهده دارشمانه، وهي قرية في منطقة
بشدر) سنة ١١١٥هـ كما في كلشن ٣٢٨ ورحلة ريج ص ٢١٥. وكان أمر قد وجه
إلى والي بغداد حسن باشا بتاريخ أواخر رجب ١١٢٦ (بفتر مهمة ١٣٣ ص ١٣١)
يتعلق 'بالنشاطات التخريبية التي يقوم بها الشقي بكر بن ببه في قرى كوي من
مضائق شهرزور'، والتأكيد على وجوب 'القضاء عليه وتخليص البلاد والعباد من
شروره بالمسير عليه بقوة عسكرية ومقاتلته إذا اقتضى الأمر ذلك'.

^(٢) يريد الأسرة البابانية الثالثة والأخيرة التي حكمت منطقة قلا جولان وتوابعها، وكانت
أسرتان حملتا الاسم نفسه قد حكمتاها في القرن العاشر، وقد أخذ اسمها من لقب (بابا)
الذي يعني شيخ، أو أب، الذي كان يطلق على زعماء هذه الأسر في المرحلة الأولى
من تاريخها، دلالة على غلبة العلاقات القبلية عهد ذلك. وقد عرفت هذه الأسر
بـ(البينية) نسبة للقب (بابا) وبابان جمعاً له. ينظر البيليمسي: شرفنامه، ترجمة جميل
بندي الروزياني، بغداد ١٩٥٣، ص ٢٧٦-٢٧٧، والأسر الحاكمة ٢٤٨-٢٦٢.

لهذه الغمة، وعطف عنان عزمته عن مكان إقامته، وطلب ذلك الجبار رأس الجبابرة والفجار، ولكن الخبيث الفاسق متحصن بكل جبل شليق، لا يمكن الوصول إليه، ولا يقدر أحد الهجوم عليه، متصلاً باتباع جعلهم له جنة، ومتجلاً بعساكر لا تخلو من ضررهم الإنس والجنة، عددهم ريث^(١) الرمال، وعددهم تزعر بضربها الجبال، لكن الوزير مذ شاهد <١٣٩> اعتقاله بتلك المعاول، واعتضاده بأولئك الجحافل، لم ير الخمول ولا الفتور، وقصد إليهم العبور، بكل بطل غيور، ولم يهب الجبال وجاراتها، ولم يخف صولة الرجال وجسارتها. فلما أشرف عليهم بصعوده، أبصرهم أضعاف جنوده، ودارت عليهم راحة الحرب، حيث برز إلى قتالهم كل بطل نذب، فلم يلبث العدو زهاء^(٢) ساعة، إلا وقد تفرقت الجماعة، واختلقت القتل فيهم، واغتممت الجنود جل أرايهم ومواسيهم.

وأما بكر بيك، الفاجر الخائن الخاسر، فقد نجا هرباً، واتخذ اللئداء للنجاة سبباً، لكن الله أعمى بصيرته، وقبض له خذلانه وحيرته، فعذل بعد هزيمته إلى نواحي بغداد، وجعل عليها للنجاة الاعتماد، فأحسن به بعض الجنود، وقبض عليه وأوثقه بالقيود، وذهب به إلى الوزير المذكور، فأمر بعض الجنود أن يخمد أنفاسه، ويعطل حواسه، فكفى المسلمين شره، ورفع عنهم نكده^(٣) وضره.

(١) الريث: الإبطاء، ولم تقف على وجه استعماله لها هنا.

(٢) في الأصل: زهى.

(٣) في المطبوع: نكره.

وفي السنة السابعة والعشرين بعد المائة والالف^(١)، جَمَعَ عبد الله خان^(٢) أمير الخُويزَة الخَوائين^(٣) الكثيرة، والجنود الغزيرة، وقَصَدَ بأولئك الأعجام قَبِيلَةَ بني لام. فلما سَمِعُوا بِمَجِيئِهِ تَحَصَّنُوا مِنْهُ بِجَزِيرَةِ الْجُوزَرِ، وخَافُوا دَهْمَةَ ذَلِكَ الْغَايِرِ الْمَاكِرِ، وَقَدْ حَصَلَ مِنْهُ التَّعَدِّيُّ عَلَى بَعْضِ الرُّعْيَةِ، فَأَرْسَلَ الْأَمْرَاءَ وَالْعُمَلَاءَ إِلَى ذِي النُّجْدَةِ وَالْحَمِيَّةِ، بِخُصُوصِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ تَخْلِيصَ بَنِي لَامٍ مِنْ صَوْلَةِ أَوْلَئِكَ اللَّئَامِ، وَتَأْمِينَ الْقَرْىَ مِنْ حَالِ الْوَرَى.

فأمر الوزير المذكور <٣٩ب> عساكره التي في تلك الناحية، أَنْ يَمْدُّوا بَنِي لَامٍ وَيُعَاضِدُوهُمْ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْبَاغِيَّةِ، إِذْ [أَنْ] إِهْمَالُ أَمْرِهِمْ، وَتَرْكُ الْأَعْدَاءِ بِغَزَرِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، خَلَّ فِي الْحُكُومَةِ، وَمَطْمَعَةٌ لِلْأَعْدَاءِ فِي الْخُصُومَةِ، وَكَيْفَ لَا؟ وَبَنُو لَامٍ مَتَحَصَّنُونَ بِحِصْنِهِ، مُعْتَقِلُونَ بِمَعَاوِلِ أَمْنِهِ، وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهُمْ بَعْضُ التَّعَدِّيِّ لَقَصَمَ هُوَ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ هُوَ لِلْفَسَادِ مَتَّصِدِّي، كَمَا فَعَلَ بِهِمْ زَمَانًا، وَأَعَدَمَهُمْ مَكَانًا وَإِسْكَانًا، لَكِنْ لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ مَا يُوْجِبُ الْخِذْلَانَ وَالْحِرْمَانَ.

(١) أولها في ٧ كانون الثاني ١٧١٥م.

(٢) هو المولى عبد الله خان بن فرج الله بن علي خان بن عبد الله المشعشعي، أمير الإمارة المشعشعية في الأحواز (عاصمتها عهد ذاك بلدة الخويزة)، تولى الإمارة من ١١١٤-١١٢٥هـ. ينظر على نعمة الطسوة: الأحواز ج٢، بغداد ١٩٦٩، ص ٢٣١.

(٣) جمع خان، فارسية بمعنى أمير أو حاكم. ويذكر كلشن ص ٣٢٩ أن ممن حالف عبد الله خان المذكور حاكم كرديستان، ولم يذكر من هو وربما كان أحد أمراء أردلان، وعدد من حكام العجم.

فلما بلغ أمر الوزير تلك الجنود، خَفَّتْ على رؤوسهم البُود،
وساروا يقصِدون بني لام، بكل سام من بني حام. فلما بلغوا الدِّيار، حَصَلَى
لبني لام الفرج والاستيْشار، وقَوَّى عزمُهم، واشتَدَّ على مقاومة العَجَم
حزمُهم. وبَقْدوم الفُرس للنِزال والمبارزة للأبطال، لم يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا،
وَهَرَبُوا قِيلَ يَقْو قِيلًا، فَكَثُرَ فِيهِم القتل، ولم يَسْلَمْ الأَكْثَرُ مِنْ وَخْزِ البُنْدُقِ
وبَقْرِ النَّبْلِ، وَتَرَكَوا الخيام، وَهَرَبُوا مِنْ تَحْتِ القَّامِ، فَاغْتَنَمَتِ الجنود
أموالهم وأَقْتَابَهُمْ^(١) وأَحْمَأَهُمْ، وَرَجَعُوا مَحْفُوفِينَ بِالظَّفَرِ مُشِيعِينَ بِالغَلْبَةِ
على مَنْ خَدَعَ وَمَكَّرَ.

وفي السنة المذكورة، ظَهَرَ عَصِيان أَهْلِ سِنْجَارٍ، وَنَجَمَ طُغْيَانُهُمْ فِي
الليل والنهار، وهؤلاء قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ الْيَزِيدِيَّةُ، يُحْيُونَ زَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ^(٢)،
وَيُعْظَمُونَ الشَّيْطَانَ وَيَعْضُدُونَهُ، وَيَنْهَوْنَ النَّازِلِينَ بِهِمْ عَنْ أَنْ يَشْتِمُوهُ أَوْ
يَمَيِّئُوهُ <١٤٠> وَحَتَّى أَنْ الْمُنْلا حَيْدَرَ^(٣)، رَجُلًا^(٤) مِنْ عُلَمَاءِ الْأَكْرَادِ، كَانَ

(١) أي رحالهم.

(٢) لا صحة لما ذكره المؤلف، وإنما هم يحبون يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إلى
حد الغلو والتأليه. ينظر مثلاً: صديق النملوجي: اليزيدية، الموصول ١٩٤٩، ص ٧
ومعبد الديوب جي: اليزيدية، الموصول ١٩٧٣، ص ١٣٢.

(٣) لعنه أحد علماء الأسرة الحيدرية التي توارثت العلم والتدريس والتأليف في قرية
ماوران، من أعمال أربيل، عدة قرون، ويترجح أنه الملا حيدر بن محمد بن حيدر
ببر الدين ولي الله، من معاصري العلامة ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ /
١٥٦٦م)، أو حفيده حيدر بن أحمد بن حيدر (١٠٣٦ - ١١٢٩هـ / ١٧١٦م)،
وكلاهما كان له تلامذة كثيرون. ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية،
بتحقيقنا، بغداد ١٩٩٧، ص ١٣٠ و ١٣٤.

(٤) الأصح وهو رجل من.

يَغْزُوهُمْ بِتَلَامِيذِهِ وَأَهْلِ صُنَيْعَتِهِ^(١) وَقَرَيْبِهِ، وَهُمْ مُتَحَصِّنُونَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ الشَّامِخِ، مُعْتَقِلُونَ بِمَعْقِلِهِ الْبَاذِخَ، وَلَمْ يَجْرَ عَلَيْهِمْ حُكْمُ حَاكِمٍ، وَلَا يَتَّبِعُونَ قَوْلَ عَالِمٍ، يُنْكِرُونَ الشَّرِيعَةَ الْغُرَاءَ، وَيَعْتَقِدُونَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُمْ الْعُمَالُ، وَذَلَّتْ دُونَ صَوْلَتِهِمُ الرِّجَالُ.

فَلَمَّا كَثُرَ إِضْرَارُهُمْ، وَزَادَ عَلَى نَهْبِ الْقُرَى إِصْرَارُهُمْ، غَزَاهُمْ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُّ، وَالْأَسَدُ الْغَضَنَفَرُّ، بِعَسَاكِرِ كَالْمَسِيلِ، وَجَحَافِلِ رِجَالٍ وَخَيْلٍ. فَلَمَّا قَارَبَ جَبَلَهُمْ، وَكَادَ أَنْ يَصْرِمَ مِنْ احْتِضَانِهِمْ بِهِ حَبْلَهُمْ، ابْتَدَرُوهُ بِالنِّزَالِ، وَقَابَلُوهُ بِالْحِرَابِ وَالنَّبَالِ، وَقَاتَلُوهُ بِالْأَحْزَابِ وَالْأَبْطَالِ، فَاشْتَعَلَتْ بَيْنَهُمْ نِيرَانُ الْحَرْبِ، وَكَثُرَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الطُّغْنُ وَالضَّرْبُ، لَكِنْ «حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(٢)، وَ «أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(٣). فَفَرَّتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، وَوَلَّتْ هَرَبًا تَارِكِينَ تَلِيدَ أَمْوَالِهِمْ وَطَرِيفَ ذُرَا رِيهِمْ، وَصَعَدَ الدُّسْتُورُ بِنَفْسِهِ عَلَى الْجَبَلِ بِخُمَاتِهِ، وَكَثُرَ الرَّهْجُ وَالْقَتْلُ فِي أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعُصَايَتِهِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُمْ بِعِيَالِهِ وَخَيْلِهِ وَرِجَالِهِ ذَهَبَ إِلَى قَلْعَةٍ صَغِيرَةٍ هُنَاكَ يُقَالُ لَهَا الْخَاتُونِيَّةُ، أَهْلُهَا مُسْلِمُونَ، وَفِيهَا الْمَسَاجِدُ الْعَامِرَةُ، عَلَى مَا يَنْقَلُونَ، لَكِنَّا لَمَّا كَانَتْ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ، كَانَتْ تَحْتَ تَصَرُّفِ فِتْنَةٍ بَاغِيَةٍ^(٤). فَتَحَصَّنَ مِنْ نَجَا فِيهَا، وَحَاصِرَ بِنَادِيهَا، فَقَابَلَهَا

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: صُنَيْعَتِهِ.

(٢) الْبَقَرَةُ مِنَ الْآيَةِ ٥٦.

(٣) الْأَنْعَامُ، الْآيَةُ ٤٨.

(٤) الْأَصْلُ: الْبَاغِيَةُ.

الوزير من جميع جهاتها، وأرى العطب لمن كان في حماها^(١)، بالطوبى
<٤٠ب> المزعج، والتفك المزيج. فخرج أهلها المسلمون بأطفالهم،
ودخلوا^(٢) على الدستور بعيالهم وأموالهم، فأمنهم وآواهم إليه، وعذرهم
عما عولوا عليه.

ثم أن أولئك الأنحاس البغاة هلك أكثر خيلهم والرجال، من بنذق
التفك ورشق النبال، فدخل القرية عنوة ومحققهم بسيف الانتقام، وحصل
بذلك للمسلمين الإنتظام، وأمر النساء والأطفال، واغتتم الجند الأموال،
وابتاعوا نساءهم وامتنطوا بناتهم وإماءهم، وعاد الوزير منصوراً، مؤيداً
محبوراً مستنداً^(٣).

[تولية أحمد باشا ولاية شهرزور]

وفي السنة المذكورة، ولي شهرزور ولده النجيب، ونجيبه الأديب
الأريب، أحمد باشا، وهي أول منصب تولاه، ومن حينئذ خرج من عشه
وفارق أباه.

(١) الأصل: حماها.

(٢) أي طلبوا (الدخالة) منه، بمعنى (الحماية) التي يتطلبها العرف القبلي.

(٣) أضاف كلثوم ص ٣٢٩ هنا أن حسن باشا عين عليهم شيخاً جديداً عنهم من قبيلة
طي المقيمة في تلك الجهات.

[استرجاع جزيرة مورة]

وفي هذه السنة^(١)، قِيمَ البشير بِفَكَ عساكر الإسلام جزيرة مورة^(٢) واستخلصها من أيدي الكفار، فزَيَّنَتْ أسواق بغداد، وزُخِرَتْ طُرُقُهَا، واستَرَّ أهلها لنصرة المسلمين، شاكرين على ذلك ربَّ العالمين.

وفي السنة الثامنة والعشرين^(٣)، قَصَدَ الكفار^(٤) هذه الجزيرة، ونَقَضُوا عهودهم، فجهَّزَ عليهم الخنكار الجند الوافِر، والعسكر المتكاثِر، ورُئِسَ عليهم علي باشا^(٥)، فماتَ في الطريق، فرجَمه الله، وعادت الجنود بلا فائدة، ولا منفعة وعائدة.



(١) ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م.

(٢) هي شبه جزيرة Moree في القسم الجنوبي من اليونان، ضمها العثمانيون إلى دولتهم في عهد السلطان محمد الفاتح. واحتلها البنادقة، ضمن ما احتلوه من ساحل دالماسيا، في آخريات القرن السابع عشر، واضطر العثمانيون إلى التخلي عنها في معاهدة كارلوفج سنة ١٦٩٩، ولكنهم سرعان ما استردوها حرباً، على نحو ما بصر به البشير فيما ذكره المؤلف. ينظر: قاموس الأعلام ص ٤٤٦٧ وعبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عليّة عثمانية ج ٢ ص ١٤٦.

(٣) أولها ١٥ نيسان ١٢٠٦ م.

(٤) يريد البنادقة.

(٥) هو علي باشا الداماد، الصدر الأعظم، وقد استشهد في معركة بسترودين سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م، فدفن في بلغراد. محمد فريد: تاريخ الدولة العليّة العثمانية ص ١٤٥ وفي قاموس الأعلام ص ٣١٨٧ أنه دفن في جامع السلطان سليمان في بلغراد.

وفي هذه السنة، جُهِّزَت عليهم العساكر مرةً أخرى، ورُئِسَ عليهم
الوزير خليل باشا^(١). وأرسل السلطان إلى بغداد وغيرها من البلاد
يَظْلِيون^(٢) من العمال الإمداد، فأمدَّهم الوزير المذكور بالرجال <٤١>
الأبطال، وفرسان الطراد والفرجال، ورأسَ عليهم كَتَّخْداه^(٣) عبد الرحمن
آغا^(٤). ثم أن هذا الرجل - بعد أداء خِدمَتِه - وُلِّيَ مَنْصَبَ شَهْرزُور، فَرَجَعَ
إلى مَقَرِّ حُكْمِه بالعسكر المنصور.

(١) هو خليل باشا الألباني، ترجمته في قاموس الأعلام ص ٢٠٥٨.

(٢) الاصح يطلب.

(٣) كَتَّخْدَا (وتكتب في المصادر العثمانية كاخيا، وكخية، وكهية، وكاهية، بقلب الخاء
هاء بحسب اللفظ التركي) لفظ تركي محرف عن الفارسية: كد خدَا، وتعني
صاحب البيت (كد: بيت، خدَا: صاحب) وتطلق بوجه عام على من بيده تصريح
الأمور، كالمختار، والعمدة، والحاكم، والزوج. وفي النظم العثمانية تطوّر هذا
اللفظ ليطلق على مساعد الوالي ونائبه، فهو بمثابة الوزير للوالي، والمرشح لتولي
الحكم بعده.

(٤) في الأمر الموجه إلى حسن باشا (دقتر مهمة ١٢٥ ص ١٣١-١٣٢، أوائل محرم
١١٢٩) أن عليه مد الجيش الهمايوني بخمسمائة فارس من خيرة فرسانه، على أن
يلتحقوا به في صحراء أدرنه في أوائل الربيع. كما جاء في الأمر نفسه أن أمير
لواء كوي (كوي سنجق) قد كلف أيضاً بالاسهام في الجيش بخمسمائة فارس من
فرسانه. هذا بينما يذكر كلشن ص ٣٣٠ أن والي بغداد أرسل استجابة لطلب
السلطان نحو خمسمائة جندي من منطقة كرستان وسفرهم بعسده تجهيزهم بما
يحتاجون من عتاد وسلاح، وجعل الكتخدا عبد الرحمن آغا قائداً عليهم. ومما دل
على أن حسن باشا اكتفى بإرسال الفرسان الكرد دون أن يرسل ما عليه إرساله
من بغداد، ما جاء في الأمر الموجه إليه في أواخر ربيع الأول من السنة نفسها
(دقتر مهمة ١٢٥ ص ١٩٨)، حيث نص على أن فصل الربيع قد حل، وأن القوة

وفي السنة التاسعة والعشرين بعد المائة والألف^(١)، هَجَمَ عَلَى بَيْتِكَ
بَاجِلَانِ عَثْمَانِ بَيْتِكَ^(٢) كُرْدُ الْعَجَمِ^(٣) عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُ فَقَتَلُوهُ، وَقَتَلُوا اثْنَيْنِ مِنْ
أَتْبَاعِهِ^(٤)، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، وَاسْتَفْزَرُوا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ. فَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ

-العسكرية المطلوبة من بغداد لم تصل حتى الآن إلى صحراء أذربيجان، وأنه قد
حصل عتاب على والي بغداد لتراخيه وتكاسله في تنفيذ المهمة التي كلف بها.
وعبد الرحمن هذا (باشا فيما بعد) هو زوج فاطمة خاتون بنت حسن باشا، وقد
تولى ولاية شهرزور من محرم ١١٤٣ إلى ١١٤٥ هـ، وعين محافظاً لهمدان في
مدة السيطرة العثمانية على غربي إيران (دقتر مهمة ١٣٦، ص ١٥٤، أوائل محرم
١١٤٣ هـ)، وهو الجد الأعلى لآل المميز، الأسرة المعروفة ببغداد، وابنه محمد
صالح بك هو الذي عينته عائلة خاتون، بنت أحمد باشا، متولياً على وظيفتها على
جامعيها ببغداد، وهي المؤرخة في سنة ١١٧١ هـ ينظر نص الوقفية في كتابنا:
عائلة خاتون، صفحة من تاريخ العراق، بغداد ١٩٩٧، ص ٥٢-٥٥.

(١) أولها ١٦ كانون الأول سنة ١٧١٦ م.

(٢) كان عثمان بك أميراً لقصر شيرين من مضافات بغداد عهد ذلك.

(٣) يحدد في كلشن ص ٣٣٠ هوية هؤلاء الكرد بأنهم من أكراد الجاف التابعين لقوات
القرلباش (الصفويين)، ولكن وثيقة عثمانية رسمية تشير إلى أن هذه العشيرة، يعني
الجاف، هي من عشائر بغداد في الأصل ولكنها بسبب مشاغلها نزحت إلى إيران
وتوطنت هناك منذ سنين وتشير هذه الوثيقة إلى أن هذا الاعتداء حصل بتحريض
خان (سند) الإيراني، في السادس والعشرين من شعبان سنة ١١٢٩ هـ (دقتر مهمة
١٢٦، ص ١٦٥-١٦٦).

(٤) في كلشن أنهم قتلوا حاكم باجلان كما قتلوا عثمان بك وبعض رجاله. وفي الوثيقة
المشار إليها أن عدد القتلى جاوز المائتين، نصفهم من النساء والأطفال، قتلوا ظلماً
وعدواناً، وإن عدد الأسرى زاد على مائتي أسرة، وأنهم ذهبوا بهم، وبسائرأس
المقطوع لعثمان بك إلى خان سنة الإيراني مع الأموال التي نهبوها.

بذلك، ركب عليهم، فلما أحسوا به، هربوا وتفرقوا في الجبال الشاهقة، ولم ينل شيئاً لصنوعة المرتقى ونبو الملتقى، فعاد عنهم، وأرسل إلى شاه العجم^(١) يخبره بهذه القضية، فعزل الشاه الخانات التي في قرب أرض دار السلام، وعاتبهم وعزّرهم على تمكينهم الأكراد من دخولهم حمى بغداد.

[في اصلاحات وتعميرات شتى]

ولم يزل الوزير مؤيداً في جميع أموره، ومُسَدِّداً بانتظام أمور جمهوره، وما عدا شجاعته وفراسته وحمايته وحراسته، له توفيق لفعل الخيرات، وبناء المساجد والرباطات، فقد عمر قنطرة ألّتون صوبي^(٢) بعد خرابها. وهذا الماء جار بحدّه بين الموصل وكركوك، فعسر العبور

(١) وكان عند ذلك الشاه حسين الأول بن صفى سليمان بن عباس الثاني الصفوي (١١٠٥-١١٣٥ هـ/ ١٦٩٣-١٧٢٢ م).

(٢) في المطبوع: صوبي، بالياء الموحدة. وألّتون صوبي تعني الماء الذهبي، والمقصود به نهر الزاب. ويذكر عباس العزاوي: والزاب يظهر أن أصله الذهب، فلحقه التصرف باللفظ، وسمي نهر الذهب وقنطرتة عرفت به (تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٩٤)، ومما يدل على أهمية تعمير هذه القنطرة أن الدولة أموت حسن باشا بتعيين شخص من أهل الكفاءة ليكون مسؤولاً عن جسر ألّتون صوبي (الماء الذهبي) برتبة مير لواء، وأن يقوم باسكان بعض العشائر الواقعة بين كركوك وأربيل لحراسة القنطرة، فضلاً عن الاستغلال بالفلاحة والمساهمة في عمران المنطقة وازدهارها. (دفتر مهمة ١١٩، ص ٢٧٠، أواسط صفر ١١٢٥ ودفتر مهمة ١٢٢ ص ١٥٩ أواسط شعبان ١١٢٦ هـ)، وقد عرفت هذه القنطرة بألتون كوبري (القنطرة الذهبية) هي اليوم بلدة عامرة.

على المسافرين، وصنعت المُرور على المسارين، فأرسل إلى الدولة بخصوص هذا الأمر، فأتاه الرضى من الخنكار ابتغاء للأجر، وأن تكون مصارف العِمارة من بيت المال، وأن يُحكم بناءها بِجَزِيل النّوال، فباشَرَ عِمارتها، وأحكم حِجارتها في الطُّول والعَرْض، ووَصَلَ الأرض بالأرض. وجعلَ هناك مأوى لأبناء السَّيل، وعيَّن <٤١ب> للنزول ثَمَّة من الرّعية الجَمع غير القليل.

ثم أنه أيضاً جَدَّد قناطير الأنهار، الواقعة بين الموصل وكركوك، من ماله، فأحكم بُنيانها، وشيَّد أركانها.

وبنى أيضاً المُسناة التي يُرْسَى عليها الجسر في بغداد^(١)، حين رآها قليلة العَرْض، تُسَامِت الأرض في الخَفْض، مُتَهَمَّة الأكناف، مُتَدَاعِيَة الأطراف، فأحكم بناءها من ماله، وأتقن أركانها وسَوَّاهَا بِقُوَّةٍ حاله^(٢). ورفَّع أيضاً المَظْلَمَين القَبِيحَين، والخَصَلَتَين الشَّنِيعَتَين، إحداهما المُسمَّاة بالباج^(٣)، وهو أن يُجعل في كُلِّ بابٍ من أبواب سور بغداد، رجلٌ

(١) هو جسر بغداد الوحيد طيلة العصر العثماني، وأول إشارة إليه هناك وردت في أثناء فتح السلطان سليمان القانوني بغداد سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م (كلشن ص ١٩٩). وكانت هذه المسناة تحت جامع الأصفية الحالي (دار القرآن المستنصرية في العصر العباسي) وهي امتداد للمسناة الضخمة التي كانت تحت المدرسة المستنصرية.

(٢) ينظر كلشن ص ٣٣١.

(٣) الباج، لفظة عثمانية مأخوذة من الفارسية (بخشیدن) ومعناها العطاء والهبة والأجرة، فيكون معناها العطاء عن العبور. وهي ضريبة كانت تفرض على السلع التي تباع في المدن، وتختلف هذه السلع بحسب طبيعة انتاج كل مدينة وما استقر عليه العرف الضريبي.

يأخذ من كلِّ مارٍ بيده شيء^(١) شيئاً من الدراهم، حتَّى أن الفلاحيات^(٢) يَدْخُلْنَ البَلَدَ لِيَبِيعَ بَعْضُ الْبَيْضَاتِ، فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَيْضَةً. وَالثَّانِيَةُ الْمُسَمَّاةُ بِالطَّمْغَةِ^(٣)، وَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ رَئِيسُ الْقَلْعَةِ مِنَ الْكِلَالِكِ الْآتِيَةِ بِالسَّحْطِ إِلَى بَغْدَادٍ، مِقْدَاراً مِنَ الْحَطَبِ مِنْ كُلِّ كَلَّكٍ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمَظَالِمِ كَرَفَعَ الدَّيَّةَ عَنِ الْمَحَلَّةِ إِذَا قِيلَ فِيهَا قَتِيلٌ جُهْلٌ قَاتِلُهُ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مَشْرُوعَةً، إِلَّا أَنَّ الْعُمَالَ يَأْخُذُونَ الدَّرَاهِمَ الْكَثِيرَةَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ عَلَى طَرِيقِ الْجَبْرِ وَالْعُدْوَانِ.

وله أيضاً من تعمير الجوامع والمساجد، وإجراء المياه إلى الأماكن البعيدة عن دجلة في جانبي بغداد، ما لا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى.

وتَجَدِيدُ بِنَاءِ قُبَّةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَخَذَتْ هُنَاكَ مُسَقِّقاً لَطِيفاً، مَرْتَعاً مُنِيفاً^(٤).

وأيضاً جَدَّدَ مُسَقِّقِي الْإِمَامِ الشَّهِيدِ الْحُسَيْنِ، وَالْإِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ حِينَ أَبْصَرَهُمَا مُشْرِفَيْنِ عَلَى الْوُقُوعِ، <٤٢> لَيْلَاءِ الْأَخْشَابِ، وَخَوَى

(١) عبارة (بيده شيء) في الهامش.

(٢) يقصد الفلاحات.

(٣) الطمغة والتمغاء، كلمة تركية الأصل، تعني العلامة والسمة، ويراد بها الختم والضريرة، وتقرض على أصناف معينة من البضائع والمصنوعات المحلية. ينظر عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية ص ٤٦-٥٣.

(٤) في المطبوع: منيعاً. وفي كلشن ص ٣٣١ أنه جدد الصندوق الموضوع على ضريحه الشريف.

الجذوع^(١). وله في جانبي بغداد الشرقي والغربي من الخانات في الطُرقات، والمُساقر خانة^(٢) في تلك الجهات، وسائر الخيرات، ما شاع وذاع، وملأ الأسماع، فلا حاجة إلى بيانه^(٣).

وفي هذه السنة وقع في أراضي العجم الاختلال والقحط وغلاء الأسعار، فالتجأ^(٤) أكثر أهلها إلى بغداد، وصار فيها منهم ما لا يعد ولا يحصى، فحسن حالهم، واعتدلت أحوالهم.

وفي هذه السنة، كثر في بغداد البناء والهناء من الجانبين، وازداد السرور والخبور في العراقيين.

فصل

[حوادث بني لام]

وفي السنة الثلاثين بعد المائة والألف^(٥)، أرسل سرية على أعراب الحويزة. وسبب ذلك أن شيخ بني لام السابق عبد العال قد ظهر فساده، وعرف عياده، فقبض عليه، وأتى به إلى الوزير المذكور، فسجنه، ثم بعد

(١) في كلشن أنه رمم الأولوين في صحن الإمام الحسين والإمام موسى الكاظم رضي الله عنهما.

(٢) كلمة مركبة من العربية والتركية، تعني منزل المسافرين، وتقابل كلمة فندق.

(٣) أضاف في كلشن أنه شيد خاناً ما بين النجف وكربلا وعين له بعض الحراس لمحافظته، وجدد صدر الحسينية ووسعه وسهل بذلك مرور نهر الفرات منه.

(٤) في الأصل: فالتجوا.

(٥) أولها ٥ كانون الأول ١٧١٧م.

إبقائه في السّجن، بُرْهَةً من الزمن، عفا الوزير عن جُرميه، وألحقه بِقَوْمِهِ، لكن لِبِنَاءِ جِبِلَّتِهِ على الفساد، وانعجان طينته بماء الخيانة والأحقاد، حَالَفَ^(١) أعراب الحُوَيْزَةِ، وأغار على شيخ بني لام الجديد، وذلك قُربَ قرية جَصَّان عنها غيرَ بعيد، فَهَبَ التَّجَارُ القَادِمِينَ من ناحية البصرة، وعَنَّا في بعض القرى وتَرَكَ أَهْلَهَا في كل مَضْرَّةٍ، ثم التَّجَأَ إلى الحُوَيْزَةِ.

فأما الوزير فحين سَمِعَ بِمَكْرِهِ وخِدَاعِهِ وغَدْرِهِ، جَهَّزَ رِجَالَهُ، وأرسل عليه أَشْبَالَهُ، ورَأْسَ^(٢) عَلَيْهِم - لعدم اعتدال مزاجه - كَتَّخْدَاهُ، ووجههم إلى جهة أعداءه، وقال لهم: إن انتصر لهم أمير الحُوَيْزَةِ فجدُّوا في قتاله، وإلا فأتركوه في حاله.

فلما بَلَغُوا <٤٢ب> أرض الحُوَيْزَةِ، نَزَلُوا على شاطئ ماء الكَرَّخِ^(٣)، وقد نَدِمَ عبد الله خان أمير الحُوَيْزَةِ على إيوانه شيخ بنى لام، حين أبصر عساكر الإسلام، قَدِمَاتِ الرُّوَابِيِّ والوَهَّادِ والأغوار والأنجاد، فأرسل إلى الوزير المذكور، يَسْتَعْقِيهِ عن جُرم شيخ بنى لام. وأضافَ ذلك العسكر كَمْ يوم، وأمدَّهم بالأرزاق وختلَّى بينهم وبين القَسُومِ، والأعداء حينئذٍ في الجانب الآخر من الكَرَّخِ، بمسافة ثلاث ساعات.

(١) في المطبوع: خَالَفَ، وبه ينقلب المعنى.

(٢) في الأصل: رنم.

(٣) يريد: نهر الكرخا في بلاد الأحواز، وعليه تقع مدينة الحويزة، عاصمة الإمارة المُنْعَشِيَّة.

فَعَبَّرَ السَّرْدَارُ^(١) بِالْجُنُودِ ذَلِكَ الْمَاءَ، وَقَصَدَ بِحِزْبِ اللَّهِ دِيَارَ الْأَعْدَاءِ، فَحِينَ أَشْرَفُوا عَلَى الْأَخْبِيَّةِ، وَقَارَبُوا تِلْكَ الْأَنْدِيَّةَ، أَسْرَعَتِ الْأَعْرَابُ إِلَى الْقِتَالِ، وَصَارَتِ صُفُوفًا لِلْأَبْطَالِ، فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا الْيَسِيرَ، حَتَّى عَزَمُوا عَلَى الْهَرَبِ، وَقُبِلَتْ أَبْطَالُهُمْ، وَنُهِبَتِ أَمْوَالُهُمْ، وَغَرِقَ الْأَكْثَرُ فِي الْمِيَاهِ، وَفُلُ عَزْمُهُمْ، وَانْحَلَّ حَزْمُهُمْ، وَتَفَرَّقُوا تَفَرَّقَ بَنَاتُ نَعَشٍ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا كَالْثُرَيَّا، وَتَمَزَّجُوا تَمَزَّجَ نَافِرَاتِ الْوَحْشِ عِنْدَ مُشَاهَدَتِهِمْ حِيَالًا وَعِصِيًّا. وَلَمَّا رَجَعَ السَّرْدَارُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ، بِأَنْ أَلْبَسَهُ خِلْعَةً سَمُورَ وَأَعْلَى^(٢) قَدْرَهُ، وَشَهَرَ بَيْنَ الْأَنَامِ فَخْرَهُ.

فِي بَيَانِ اخْتِلَافِ بَنِي لَامَ^(٣)

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(٤)، وَقَعَ بَيْنَ بَنِي لَامِ الْإِخْتِلَافَ وَعَدَمَ الْإِلْتِمَامِ، وَقَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَبْدَى كُلُّ لَعْنِهِ نَقْضًا. فَكَرَّبَ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ عَلَيْهِمْ، لِإِلْفَةِ جَمْعِيَّتِهِمْ، وَانْتِظَامِ كُلِّيَّتِهِمْ، فَرَأَى شَيْخَهُمُ الشَّيْخَ فَارِسَ لَا يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِهِمْ، وَلَا يَطْرِيقُ عَلَى انْتِظَامِهِمْ وَرَبْطِهِمْ، فَعَزَلَهُ مِنْ مَنْصِبِهِ، وَشَيَّخَ عَلَيْهِمُ الشَّيْخَ عَبْدِ السَّيْدِيِّ^(٥)، مِنْ سُلَالَةِ

(١) السردار، لفظة فارسية، تعني: قائد الجيش.

(٢) الأصل اعلا.

(٣) هذه العبارة في هامش الأصل.

(٤) وأولها ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧١٨م.

(٥) هو عبد السيد بن بلاسم بن فرج بن نصير بن حافظ بن براك، وتعمل بعض الروايات المحفوظة مدة حكمه سابقة على هذا التاريخ، بينما تجعل ابنه مشعل (أو مشعل بن جساس) هو الشيخ في المدة من ١١٠٥ إلى ١١٤١هـ/١٥٩٦-.

المشايخ الأكابر، ورؤساء <٤٣> الأفاخير، وأنب من كان يعتب للفساد،
وينتبع للعناد والإفساد، ورجع^(١) إلى دار السلام.

وفي أثناء الطريق أمر والي كركوك المار ذكره على بعض
الجنود، وعقد له الرايات والبُنود، وأرسله إلى تأديب البلباس، حين تجرؤا
على بعض الناس. فلما ذهب العسكر إليهم، جازاهم الصئاع بالصئاع،
وأخذوا بالميتاع المتاع، وشتتوا شمل البلباس، وأبادوا وعادوا، مظفرين بما
أرادوا.

في عصيان بكر بيك^(٢)

وفي هذه السنة، تغلب بكر بيك، من أكراد منجق البيه^(٣)، على
بعض الأراضي، ولم يكن ينغمته بالراضي، وصارت له الشوكة
والصولة والجولة والحملة، فركب إليه الوزير بعساكره، وسار بجميع
أمرائه وأكابره، فأباد جمعه، وخرّب ريعه.

= ١٦٣١م. ينظر محمد باقر الجلاي: موجز تاريخ عشائر العمارة، بغداد ١٩٤٧،
ص ١١ وعبد الكريم الندواني: تاريخ العمارة وعشائرها، بغداد ١٩٦١، ص ٣٦-
٤٣، والأمر الحاكمة ٤٣٧.

(١) في المطبوع: رجع.

(٢) هذا عنوان أورده المؤلف في الهامش.

(٣) تقدم التعريف به.

في غزوة الوزير الصَّاجِلِيَّة^(١)

وفي هذه السنة، قَصَدَ الجهاد في سبيل الله، وغزا الصَّاجِلِيَّة، وهم
فرقة من اليزيدية، فَقَتَلَ الرُّجَال، وَأَسَرَ الْعِيَال، وَاعْتَمَّ الْأَمْوَال، وَرَجَعَ
عنهم بأهناً حال.

في وفود سلمان الخزعلي بعد هزيمته

وفي هذه السنة، كان الطَّريد الشَّريد سلمان الخزعلي في بلاد العجم
هاريّاً، ولأهلها مُسَالِماً ومُصَاحِباً، فضاقت به العَطَن^(٢)، وَحَنَّ إِلَى الْوَطَنِ،
فخرج من تلك البلاد، وَخَلَّ خَفِيَّةً بِغَدَاد، قَائِلاً: كُلُّ مَا^(٣) قَثَرَهُ الرَّحْمَنُ
مَفْعُول، وَلَسْتُ إِنْ قَرُبَ الْأَجَلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِأَوَّلِ مَقْتُول! فَهَجَمَ عَلَى
الوزير، مُبْنِياً الْعُذْرَ بِالْإِقْرَارِ بِالتَّقْصِيرِ، وَطَلَّبَ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبَهُ، وَأَنْ تُفْتَحَ لَهُ
بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَبِلَ الْوَزِيرُ إِنَابَتَهُ^(٤)، وَعَفَا عَنْهُ وَقَبِلَ مَتَابَتَهُ، فَبَقِيَ فِي أَحْسَنِ
حَالٍ، وَأُسْلِمَ بِالِ.

(١) هذا العنوان في الهامش، وفي المطبوع: الصاحلية، بالحاء المهملة. وضبطها
العزاوي بجيم مثناة، وهو يذكر أن هذه الواقعة هي التي أدت إلى انقراض فرقة
الصاجلية بعد أن حفلت المصادر السابقة بذكر الشيء الكثير عنهم. تاريخ العسراق
بين احتلالين ج ٥ ص ١٩٧.

(٢) العطن هنا: البروك والربض.

(٣) في الأصل: كلما.

(٤) في المطبوع: أنا.

في وفود شيخ بني لام بعد هربه

وفي هذه السنة أيضاً، قَدِمَ الشَّقِي الجُبَّار، والغادر المَكَار، ذو العَهْدِ البالي <٤٣ب> شيخ بني لام عبد العال، حين رأى من العصيان العَطَس، ونالَ من السَّيَاحَةِ في نَوَاحِي^(١) البَوَادِي النَّصَب، وفَكَرَ في نَفْسِهِ: أَنِّي أَقْدَمُ عَلَى هَذَا الْكَرِيم، فَأَمَّا قَتْلَةُ مَرْيَحَةٍ، أَوْ تَوْبَةُ مَرْيَحَةٍ^(٢)، فَصَمَّمْتُ عَلَى هَذِهِ النَّيَةِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَوَاجَهَ صَاحِبَ الْحَمِيَّةِ، فَعَفَا عَنْ جُرْمِهِ، وَتَجَاوَزَ عَنْ إِثْمِهِ. لَكِنْ لَكثَرَةُ نَقْضِهِ لِلْعُهُودِ، لَمْ يُرِثْهُ^(٣) عَلَى عَشِيرَتِهِ، بَلْ رَأْسُ أَخِيهِ عَبْدِ الْقَادِرِ، لِعَدَمِ سَيَرِهِ عَلَى سِيرَتِهِ، فَعَسَادَ مَسْرُوراً، مُجْبِورَ الْخَاطِرِ مُحْبُوراً.

وبناءً عَلَى هَذِهِ التَّمْهِيدَاتِ بَادَرَ الْأَعْرَابُ إِلَى الزَّرَاعَةِ، وَالدَّخُولِ فِي سَبَاكِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجَمَاعَةِ، وَاسْتَعْلَوْا بِأُمُورِ مَعَاشِهِمْ، وَجَرُّوا عَلَى رَأْسِهِمْ خِرْقَةَ الْجُبَانَةِ، وَأَبْدَوْا الصَّلَاحَ وَالذِّيَانَةَ حَتَّى

في التجاء والي الحويزة بالوزير

في هذه السنة، قَدِمَ والي الحَوِيزَةِ عَبْدُ اللَّهِ خَانَ عَلَى بَغْدَادَ، مُلْتَجِئاً بِالْوَزِيرِ جَاعِلاً إِلَيْهِ الْإِسْتِيَادَ، لَجْنَابَةِ جَنَاهَا اسْتَوْجَبَتْ عَقُوبَةَ الشَّاهِ، وَاسْتَحَقَّتْ تَمْزِيْقَ أَحْشَاءِ. فَاتَى بَعِيَالَهُ، وَرِجَالَهُ وَأَثَانَهُ وَمَالَهُ، فَأَوَاهُ الْوَزِيرُ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدَ لَهُ بِرَدِّ الْحَوِيزَةِ عَلَيْهِ، وَبِتَخْلِيصِهِ مِنْ عَقُوبَةِ الشَّاهِ بِالشُّفَاعَةِ،

(١) في المطبوع: فَوَاحِي.

(٢) أي مَرْيَحَةُ لِلنَّصَب، وفي المطبوع: مَرْبِحة.

(٣) الْأَصْلُ: يَرِثُهُ.

وأن يُدْخِلَهُ فِي سِلْكِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ، وَلَمْ يُعَاتِيَهُ عَلَى خِيَانَتِهِ الْمَارِ ذِكْرَهَا، فَكَأَنَّهُ صَدِيقٌ حَمِيمٌ، أَوْ صَاحِبٌ قَدِيمٌ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَصَفَاءِ الْخَاطِرِ وَطَيِّبِ الْأَعْرَاقِ.

أقول: هذا الخان هو من كيار مُنْصِيفِي علماء الشيعة، له مع الوالد^(١) المناظرات العظيمة، والمُحَاضَرَاتُ العَمِيْمَةُ، فِي بَحْثِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ. وَكَثُرَ <٤٤> بَيْنَهُمَا نَشْرُ الْأَدِلَّةِ وَطَيَّ مَسْأَلَةً؛ لَكِنَّهُ كَثِيرُ الْإِنْصَافِ، بَعِيدُ الْجُورِ وَالْإِعْتِصَافِ، فَحَمَّهُ^(٢) الْوَالِدُ فَانْفَحَمَ، وَأَلْزَمَهُ بِالْدَّلَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ فَانْلَزَمَ، عَرَبِي الْأَصْلِ يَحْفَظُ دَوَاوِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَيَأْتِي مِنْهَا بِالسُّحْرِ الْحَلَالِ الْمُبِينِ، ذُو شِعْرِ مَطْبُوعٍ، وَعِلْمٍ مَعْقُولٍ وَمَسْمُوعٍ، أَدِيبٌ أَرِيبٌ، كَامِلٌ لَبِيبٌ. مِنْ شِعْرِهِ [مِنْ الْكَامِلِ]:

ظَهِيَ بَيْنِي عَلَى الْأَسْوَدِ بِقَتْلِهِ وَزَيْلِكَ بَذَرَ النَّمَّ عِنْدَ شُرُوقِهِ
ثَمَلَانِ مِنْ خَمْرِ الدَّلَالِ كَأَنَّمَا كَأْسُ الْخَمِيٍّ رُكِبَتْ بِعُرُوقِهِ
يَخْتَالُ فِي حَلْلِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ قَوْسُ السَّحَابِ بَدَا خِلَالِ شُرُوقِهِ
لَا وَالَّذِي أَوْلَاهُ صَغَبٌ مَقَانَتِي وَأَذَاعَ عِلْمَ السُّحْرِ مِنْ مَنْطُوقِهِ
مَا جِلْتُ عَنْ سُنَنِ الْوِدَادِ وَلَمْ تَكُنْ نَفْسِي مُهْمِلَةً لِبَغْضِ حَقُوقِهِ

وَمِنْ شِعْرِهِ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ]:

ذَكَرَ الْعَهْدَ فَهَامَ وَجَعَا الْجَفْنَ الْمَنَامَ

(١) يَقْصِدُ أَبَاهُ الشَّيْخَ عَبْدِ اللَّهِ السَّوَيْدِي (١١٠٤-١١٧٤هـ/١٦٩٢-١٧٦٠م)، وَقَدْ تَقَدَّمَ

التعريف به فِي مَقْدَمَتِنَا لِهَذَا الْكِتَابِ.

(٢) الْأَصَحُّ أَفْحَمُهُ.

وفؤاد ضاع منِّي بين هاتيك الخيام
لست أنسى عهد ظبي ناعم حللوا الكلام
بين لخطيبه سقام ومفاء للسقام
فعلينه وعلى لخم ظنيه ما عشت السلام

ومن شعره [من الطويل]:

ولست ملولاً للأخلاء جافياً ولا مخصياً منهم ذنوباً أعدّها
سريع إلى دعواتهم إن همو دعوا وإن بكت العوزاء منهم أسدّها

وقد دخل عليه والدي، وصاحبه الشيخ حسين الراوي^(١)، وهو ينظم
قصيدة هائية عند قوله منها: شعراً <٤٤ب> [من البسيط]:
إن كنت أزمعت هجراً أو وليعت به من يغدر ود فإنا حسنينا الله

فقال لهما: أترويان الشعر؟ قال: نعم، وتنظمه، فانشده الشيخ حسين
الراوي قصيدة^(٢) ارتجالاً على بحر قصيدته ورويتها. مطلعها شعراً [من
البسيط]:

(١) هو الشيخ حسين بن عمر الراوي، من العلماء والشعراء ببغداد، سمّاه عبد الله
السويدي "العالم الفاضل والمحقق الكامل"، وأخذ عنه بعض أثبات علماء الحديث.
وهو الذي نحت اسم (السويدي) لقباً لعبد الله المذكور فعرفت أسرته به. كتابنا: عبد الله
السويدي ص ٣٩.

(٢) عبارة (الراوي قصيدة) في الهامش وتختلف قصيدة الراوي عن قصيدة عبد الله حسان
بكونها ضربها مقطوع "فاعل" في الأولى، بينما هو مخبون في الثانية.

عَجَّ بِالْمَطِيِّ فَإِن السَّعْدَ وَافَاهُ وَالْمَجْدُ يَغْرِفُ مَغْنَاهُ وَمَأْوَاهُ

فَاسْتَحْسَنَهَا الْخَانُ، وَحَصَلَ لَهُم الْأُنْسُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

في بيان كلام الشيخ عبد الله السويدي في شرح الدلائل^(١)
قال الوالد في شرح الدلائل^(٢): اجتمعت مع هذا الخان في دار
الأكرم الأمد علي جلبي هزيم زاده حين دعاه للضيافة، ودعاني معه،
دون صاحبي الشيخ حسين الراوي، فتفاوَضْنَا الحديث وانجرَّ إلى مسائل
تَتَعَلَّقُ بِأَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، حَتَّى جَرَى بَيْنَنَا التَّفْضِيلُ بَيْنَ أَبِي
الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ وَأَبِي تَمَّامِ الطَّائِي، ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى بَحْثِ الرَّوْيَةِ^(٣)، فَذَكَرَ أَنَّ
الشَّيْعَةَ كَالْمُعْتَرِلةِ فِي عَدَمِ اثْبَاتِهِمْ إِيَّاهَا.
وَتَسَلَّسَلَ الْكَلَامُ إِلَى الْمُنَازَرَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ^(٤)، وَلَمْ نَزَلْ مَعَهُ فِي مُحَلُورَةٍ
وَمُعَارَضَةٍ وَمُبَاحَثَةٍ وَمُنَاقَضَةٍ، إِلَى أَنْ أَلَ أَمْرُهُ إِلَى الْإِفْصَامِ،

(١) هذه العبارة في الهامش.

(٢) هو الكتاب الذي عنوانه (أنفع الوسائل في شرح الدلائل) شرح فيه كتاب (دلائل
الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار) للشيخ محمد بن
سليمان الجزولي المتوفى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م. منه نقول في مجموعة خطية في
مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد برقم ٣٧٩٧.

(٣) في المطبوع: الرواية، وفي هامشه: الكلمة غير واضحة فقد تكون الرواية أو
الرواية والارجح الثانية. قلت: الصواب ما أثبتناه، والمقصود مسألة رؤية الله
تعالى في الجنة.

(٤) الأصل المسئلة.

وسلم^(١) ما أثبتته بالدلائل العظام، وأظهرَ صريحاً أنه في رِبْقَةِ الإلْتِزَامِ، وإنما لم أذكر تفاصيل هذه المناظرة وأبين جزئيات هذه المباحثة والمذاكرة مما قال وقلتُ وجلَّ وجلتُ، لأنها ليست خارجة عن كُتُب الكلام، ولا زائدة على الدلائل التي نصَّبها العلماء الأعلام، لأن الشُّبُهَة التي أوردتها مذكورة في الكُتُب عن المُعْتَرِلة، فأجبتُ عنها بعين ما أجاب عنها أهل الكلام في هذه المسألة <١٤٥>.

ثم بعد مُدَّة أيضاً اجتمعت به مع جماعة من أهل السُّنَّة والجماعة، وكان في ذلك المجلس رجلٌ عليه علامة بني هاشم، فكلَّمه الخان، وأشار إليَّ قائلاً: هذا فلان الذي ذكرته لك! فنظر إليَّ وحيَّاني، وقال: أثبت عندكم هذا الحديث، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - لعلي أنست مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي قلت: نعم: هو حديث صحيح.

مركز تحقيق كتب علوم إسلامي

فقال: إذا ثبتت الخلافة لعلي بهذا الحديث، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يمتنن إلا النبوة فبقي ما عداها.

فقلت: هذا الحديث لا عموم له في المنازل، بل المراد ما دلَّ عليه سياق الحديث، أن علياً خليفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مُدَّة غَيْبَتِهِ بِبَنِيكَ، كما كان هرون خليفة عن موسى في قومه مُدَّة غَيْبَتِهِ عَنْهُمْ لِلْمُنَاجَاةِ، كما حكاها الله عنه بقوله: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾^(٢)، فلي حمل عليه دون غيره.

(١) في المطبوع: وتسلم.

(٢) الأعراف، من الآية ١٤٢.

فقال: ذَكَرَ الأصوليون أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
قلت: نعم! إلا أن هذا عام مخصوص، إذ من منازل هرون كونه
أخاً نبياً، والعام المخصوص غير حُجَّة في الباقي، أو حُجَّة ضعيفة على
الخلاف بين اهل الأصول، على أن هذا الحديث خبر أحاد، وأنتم لا ترونه
حُجَّة في الإمامة كما نقل عنكم، سلمنا أنه حُجَّة، لكنه لا يقاوم الإجماع،
لأن مقاده ظني ومقاد الإجماع قطعي، فثبت أن ليس المراد من الحديث إلا
إثبات بعض المنازل الكائنة لهرون وموسى، وسياق <٤٥ب> الحديث
وسببه يبينان ذلك، ويقول البعض لما مرَّ أنه إنما قال ذلك لعلي حين
استخلفه. فقال علي: أتخلفني في النساء والصبيان؟ كأنه استتقص لتركه
وراءه، فقال له: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى، يعني
حيث استخلفه عند توجيهه إلى الطور، قال له: اخلفني في قومي.
ثم لما عرّف أنه أفخم، وتحقّق أنه يلجام الإلزام الجِسم، أخذ في
المكابرة والنزاع، وقال: لا أقول بحُجَّة الإجماع، فلا بد من جواب نتفّق
عليه ونرجع لدى المعارضة إليه.

فقلت: كُنيت! بل أن الإجماع حُجَّة عندنا وعندكم.

فقال المولى: نعم! الإجماع حُجَّة بالإجماع، وقال لصاحبه: هذا منك
مكابرة يجب اجتتابها في المناظرة.

فقال: سلمت أن الإجماع حُجَّة، لكن كيف أمكن اجتماع من هم في
البلاد الشاسعة، كالهند واليمن في سقيفة بني ساعدة، حتى أنهم اجتمعوا
على الخلافة.

فقلت: هذا الكلام إن لم يكن منك مغالطة فهو من أعظم الأمارات على جهلك بالأصول، لأن الإجماع هو اتفاق مجتهدِي العَصْرِ على حكمِهِ دون غيرهم من العوام، فإنه لا يُعْتَدُ بخلافهم في مثل هذا المقام. كيف! وقد كان في هذا الإجماع أَجَلَةُ الصَّحَابَةِ وأفاضِلُها، بل العشرة المبشَّرون بالجنة، ومنهم الإمام علي فإنه بايع واعتذر عن تخلفه، وهذا معلومٌ عندنا وعندكم.

ثم قال: آية المَبَاهَلَةِ صريحة في أن الإمامة لعلي، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا > ٤٦﴾ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةً اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ^(١)، فقد جعل نفسه - صلى الله عليه وسلم - عبارة عن نفس أصحاب الكساء، ومنهم الإمام علي. فقلت: هذا كلام يُنادي على قائله بالعجب، ويدعو الناس إلى جهله المركب، فقد صرح أهل الأصول: أن مَقَابِلَةَ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ تَقْتَضِي انْقِسَامَ الْأَحَادِ عَلَى الْأَحَادِ، فَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ نَفْسٌ عَلَى حِدَةٍ، على أنك لم خصصت الإمام علياً بما قلت دون سائر أصحاب الكساء، وهم فاطمة والحسنان، فليت شعري أهم شركاء في الإمامة في زمن واحد أم على التعاقب، وإذا كان على التعاقب فهل تصبحُ إمامة النساء مع فطمهن عن الولايات، فإن قلت فاطمة مُسْتَثْنَاةٌ فَلَنَا صَارَ إِذَا الْعَامُ مَخْصُوصاً، وقد قدّمنا أن العام المَخْصُوص لا يكون حُجَّةً في الباقي، بل الآية نزلت على عادة العرب في المَبَاهَلَةِ، بأن يذكروا فيها

(١) آل عمران، الآية ٦١.

المُباهل وأقاربهُ دون غيرهم، فلا يقتضي ذلك إلا يكون غيرهم أفضل منهم، أو بأن الدُّعاء بحضرة الأقارب يقتضي الخُشوع المُوجب للإجابة، لما فيهم من المحبة الطَّبيعية، وهذا لا يقتضي أن لا يكون غيرهم أفضل وأحبَّ إليه - صلى الله عليه وسلم - محبة اختيارية، وهي المحبة الدِّينية المطلوبة، محبته تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ألا تسرى إن الإنسان يحبُّ نفسه وولده محبةً طَبَعية مع اعتقاد أن غيره أفضل وأولى، وهذا ظاهر البيان لا يخفى على من له عَيْنان.

ثم قال: أَتِ أَنْتَ <٤٦ب> بدليلٍ دون الإجماع يَدُلُّ على أحقية أبي بكر بالخِلافة.

قلتُ: قوله - صلى الله عليه وسلم - كما ورد من طرق: ما طَلَعَت الشَّمْسُ ولا غَرَبَت على أحدٍ بعد النَّبِيِّينَ والمرسلين أفضل من أبي بكر.

فقال: لا أقول بِصِحَّةِ هذا الحديث، فأتِ بغيره!

قلتُ: أمره - صلى الله عليه وسلم - بتَقْدِيمِ أبي بكر للصلاة أيام مَرَضِيهِ - صلى الله عليه وسلم - فصلى بالناس إماماً ثمانية أيام والوحي يَنْزِلُ أوضح دليل على أن الصَّدِيقَ أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقَّهم بالخِلافة وأولاهم بالإمامة، حتَّى قال الإمام علي بن أبي طالب: لقد أَمَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر^(١) أن يُصَلِّيَ بالناس وإني لَشَاهدٌ ما أنا بغائب، وما بي مَرَضٌ، فَرَضِينَا لَدُنْيَانَا ما رَضِيَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لَدِينَنَا.

(١) لفظة (أبا بكر) في الهامش.

فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَلَكِنَّهُ عَزَلَهُ.

قُلْتُ: الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا مُصَرَّحَةٌ بِبَقَائِهِ إِمَاماً يُصَلِّي إِلَى أَنْ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَنْ إِمَامَتَهُ بِالنَّاسِ بِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِاتِّفَاقٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ، فَمَنْ ادَّعَى الْعَزْلَ فَعَلَيْهِ الْبَيَانُ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ الْمُحَقَّقِ، وَأَنْتَ بِذَلِكَ، فَهُوَ أَعَزُّ مِنْ بَيِّضِ الْأُنُوقِ^(١).

وَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الدَّلِيلِ، قَالَ لِي بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، مِمَّنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرٍ: دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ.

وَقُلْتُ: كَيْفَ أَتْرُكُهُ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الْمُعَارَضَةِ، فَوَ اللَّهِ لَا أَدْعُهُ حَتَّى أُلْزِمَهُ الْإِزَامَ صَرِيحاً يَتَبَيَّنُ لِأَهْلِ الْمَجْلِسِ الْإِزَامَةُ.

ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ: الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ الَّذِي لَا يَقْتَضِي التَّأْوِيلَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا سَبَى بَنِي حَنْفِيَّةَ، أَخَذَ الْإِمَامَ عَلِيَّ جَارِيَةً مِّنَ السَّبْيِ قَوْطِنَهَا وَاسْتَوَلَدَهَا مُحَمَّدٌ <١٤٧> ^{بْنُ الْحَنْفِيَّةِ}، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّدِيقُ إِمَاماً حَقّاً، لَمَّا سَاعَ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ وَطْءُ^(٢) الْحَنْفِيَّةِ، لِعَدَمِ صِحَّةِ السَّبْيِ حِينَئِذٍ.

فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، وَلَا أَعْلَمُ أُمُّ مُحَمَّدٍ مِّنَ سَبْيِ بَنِي حَنْفِيَّةَ، بَلْ لَا أَعْلَمُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَبَى بَنِي حَنْفِيَّةَ.

فَقُلْتُ: كَذِبْتَ! فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَدْرِي ذَلِكَ وَتَعَلَّمَهُ عِلْماً يَقِيناً، لِأَنَّهُ بَلَغَ مِنَ الشُّهْرَةِ حَدَّ التَّوَاتُرِ، فَإِنْكَارُ مِثْلِ ذَلِكَ إِنْكَارٌ لِلضَّرُورِيَّاتِ الْأَوَّلِيَّاتِ.

فَقَالَ الْخَانَ أَمِيرُ الْخَوَازِمَةِ: لِمَ لَمْ تَنْصِفْ، وَقَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا أَنَّ أُمَّ مُحَمَّدٍ مِّنَ سَبْيِ بَنِي حَنْفِيَّةَ، وَأَنَّ السَّبْيَ كَانَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَامْسُكْتُ فَقَدْ

(١) مِثْلُ يَضْرِبُ لِلنَّدْرَةِ. رَاجِعْ كِتَابَ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: وَطْءٌ.

أُلْزِمْتَ فلا جوابَ لك عن هذا الدليل. فَسَكَتَ على مثل الجَمَسْرِ، يَبُودُ أن تَسُوخَ به الأرض.

فَقَالَ له بعضُ أهل العلم من العَجَم، مُعَنِّفًا له: إذا أَنْتَ لم تَقْدِرَ على المناظرة فلا ينبغي أن تُعْرِضَ نَفْسَكَ لها فَإِنَّكَ قد أُلْزِمْتَ في هذا البحثِ مراراً عديدة ولا جوابَ لك سوى المُكَابَرَةِ والمُغَالَطَةِ.

ثم قال الخان: إذا كان أبو بكر سبى بني حنيفة فَلِمَ رَدَّ السَّبْيَ عمر في خلافته؟ وهل هذا إلا تناقض؟ فقلت: كل منهما مُجْتَهِدٌ رأى المصلحة، فما أدى إليه اجتهاده فَعَمِلَ به لأن المُجْتَهِدَ لا يَقْلُدُ لِمُجْتَهِدٍ.

فقال الخان: صَدَقْتَ والله! إن هذا السؤال والجواب لَمَسْطُوران عندنا في الكتب، وإن السائل شيعي من كيار الشيعة، والمُجِيب سُنِّي من كيار السنة. ثم تفرَّق المجلس والحمد لله على أن جَعَلْنَا من الغالبين ونَصَرْنَا.

مركز تحقيق كتب التراث

في بيان مناظرة الشيخ المذكور

ومما مَنَّ الله به عليّ أني لما قصدتُ زيارة رِيحانة النبي - صلى الله عليه وسلم - أبي عبد الله الحسين <٤٧ب> بن علي مع جماعة من طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وذلك سَلَخَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَأَلْفَ^(١)، رأينا حِذَاءَ باب القبر المُنَوَّرِ شيخاً أعور، فجاء سائل يسأله عن تَرْكِ مَسْنَحَةِ الرَّجُلَيْنِ.

(١) أولها ١٤ تشرين الثاني ١٧١٩م.

فقال له :اعمل بالنُّقْيَةِ واغسل رِجْلَيْكَ. وهو مع ذلك لم يَشْعُر بنسا، فنَظَرَ إِلَيَّ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَسْقَطَ فِي يَدِهِ، وقال: قَدْ وَرَدَتِ النُّقْيَةُ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(١).

فَقُلْتُ: هَذَا يَعْنِي مَا قُلْنَا لَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النُّقْيَةِ مِنَ الْكُفَّارِ. فلما تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى الْبَحْثِ فِي ذَلِكَ اعْتَذَرَ وَقَالَ: أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَوَلَى عَلَيَّ الْمَرَضُ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُنَا بِمَا رَأَاهُ فِي التَّوَارِيخِ إِلَى أَنْ إِنَجَرَ الْكَلَامَ إِلَى ذِكْرِ النُّحُو، فَقَالَ: إِنْ فِي كِتَابِ سَيَبَوِيهِ بَيْتٌ إِنْ رَكَّبْتَهُ فَأَنْتَ الْإِمَامُ فِي النُّحُو، وَامْهَلْكَ حَوْلًا كَامِلًا وَمِيعَادُنَا مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ.

وَالْبَيْتُ قَوْلُ الرَّاجِزِ، شِعْرًا:
قَدْ سَأَلَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَ الْأَفْعَوَانَ وَالشُّجَاعَ الشُّجَعَا

وَقَالَ: ذَكَرَهُ سَيَبَوِيهِ فِي الْكِتَابِ، وَرَوَيْنَا بِرَفْعِ الْحَيَّاتِ.

فَقُلْتُ: فَأَيْنَ الْإِشْكَالُ إِذْ ذَاكَ؟

قَالَ: فِي ابْدَالِ الْأَفْعَوَانَ الْمَنْصُوبِ مِنَ الْحَيَّاتِ الْمَرْقُوعِ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ الرِّوَايَةُ الَّتِي تَلَقَّيْنَاهَا عَنْ الْمَشَايِخِ إِنَّمَا هِيَ نَصَبُ الْحَيَّاتِ وَعَلَيْهَا يُسْتَشْكَلُ نَصَبُ (الْقَدَمِ) مَعَ كَوْنِهِ فَاعِلًا، وَأَجِيبَ عَنْهُ

(١) آل عمران، من الآية ٢٨.

بوجوه، منها أن القَدَمَا مُتْنَى حَذَفَتْ نُونَهُ لِلضَّرُورَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ (١). [من الكامل]:

انسي كلَّ نَسَبٍ إِنْ عَمَّيَ اللَّدَا قَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ

وقوله: <أ٤٨> [من الرجز]:

هَمَا اللَّتَالُو وَلِئِنْتُ تَمِيمٌ لَقِيلَ فَخَرٌ لَهُمْ صَمِيمٌ

ومنها أن للعرب في إعراب الفاعل والمفعول أربع استعمالات، أحدها وهو الفصيح رَفَعَ الفاعِلَ ونَصَبَ المفعول، وثانيها بالعكس، وثالثها رَفَعَ الاثنين، ورابعها نَصَبَهُمَا، وهذا منه، صرَّحَ بذلك ابن هشام في مُغْنِيهِ (٢) وغيره، ولم نَحْظَ برواية الرُّفْعِ، فقال: قد قَدِّمْتُ لك أن سَيِّبَوِيَّةَ قال: "وروايتنا بالرُّفْعِ" انتهى. وأما رواية النُّصْبِ فلم أحفظها. ثم فارقْتُ ذلك المجلس لِاتِّبَاعِ الْبَيْتِ، وكان اليوم يوم جُمُعَةٍ.

فبينما أنا أجري قواعد النحو على خاطري، واتفكر بذلك، إذ وردَ في خاطري القاعدة في فاعل من أنه يقتضي اسمين، أحدهما فاعِلٌ صريحاً مفعولٌ ضيماً، وثانيهما بالعكس، وذلك قبل أن أصلي الجمعة. فكتبتُ الجواب له في رُقْعَةٍ وحاصِلُهُ إن الحَيَّاتِ وإن كان فاعِلاً صريحاً، لكنه

(١) البيت للأخطل.

(٢) هو كتاب (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب) تأليف عبد الله بن يوسف ابن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦٢هـ.

مفعول ضيماً، فجاز إبدال المنصوب منه باعتبار أنه مفعول ضيماً والله أعلم.

ولما وقف على الرقعة استحسن سرعة الجواب في مثل هذا الزمن اليسير. وقال: والله كم سألت من يدعي علم الأدب عن هذا البيت، فما أجاب ولا أعرب، والحمد لله على ذلك.

في مباحثة الشيخ المذكور بعض أمور النحو

ومما من الله به عليّ أني اجتمعتُ برجل من النجف يدعي بابن طريح^(١)، في رحلة إلى حلة ابن دُبَيْس، وذلك في عام التاسع والثلاثين بعد المائة والألف^(٢)، فجرى الحديث فني معنى المَلَأ، فادّعى أنهم الأشراف، وأن المفسرين فسّروه بذلك <٤٨ب> في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾^(٣).

فقلت: ذكّر علماء اللغة: أن المَلَأ هم الخلق، ولا منافاة بين هذا وبين ما قاله المفسرون، لأنه في الآية عامٌ مخصوصٌ بالأشراف بقريظة

(١) هو عبد الرسول الطريحي النجفي الأصل، الحلبي المولد والمسكن. ترجم له المرادي فقال "الأديب الفاضل الشاعر النحوي الكاتب، كان بارعاً بالأدب والمعاني والبيان والمروض والنحو والشعر ويتعاني الكتابة مع خط حسن ونظم بديع ونثر حسن عجيب، وكان معروفاً بالخلاعة والمجون والمداعبة.. وله شعر كثير، وكانت وفاته مطعوناً في الطاعون الكبير الواقع في بغداد سنة ١١٨٦ وأخذ للنجف ودفن بها عفا الله عنه" (سلك الدرر ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥)

(٢) أوله ٢٩ آب سنة ١٧٢٦م.

(٣) المؤمنون، من الآية ٣٣.

العهديّة، فلا يقتضي كلام المفسّرين أن هذا معناه في كل موطن، بل أنه في هذه الآية فقط بهذا المعنى الخاص. فسكت بعد أن سلّم ما قلّته^(١).

ثم سألته: ماذا يستعمل عندكم من الفنون والكتب؟

فأخذ يعدّد الفنون المستعملة عندهم، وكتبها، إلى أن قال: ويستعمل عندنا في النحو (شرح ابن الناطم على الخلاصة)^(٢).

فقلت: أتى ابن الناطم في شرحه بقول الشاعر:

طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَاتِ أَوَانٍ

شاهداً على حذف المرفوع من جزئي لات، فكيف يؤخذ الشاهد من هذا البيت؟ فقال: أصله وَلَاتِ صَلَاحِ أَوَانٍ، فحذف صلح، وبقي أوان على حاله. فقلت: هذا مع كونه غلطاً يقتضي حذف الجزئين، فتنبّه لذلك! واشتدّ غيظه حيث غلط، فأراد أن يجيب، فوقع من شدة الحصر بأعظم من الأول، وقال: بل أصله أوان صلح، فحذف صلح، وجرّ أوان بإضافة لات إليه.

فقلت له على الفور: تأمل! فإن الحرف لا يضاف.

(١) الاصح: سلّم بما قلّته.

(٢) يريد: الخلاصة في النحو، وهي منظومة في ألف بيت لمحمد بن عبد الله ابن ملك الطائي النحوي (ت ٦٧٢هـ)، وتعرف بالألفية، والشرح لابنه محمد (ت ٦٨٦هـ).

فلما تَنَبَّه ورأى أنه غَلَطَ هذه الغَلْطَةُ التي لا تخفى على الأولاد في
المكاييب، اخْمَرُ وَجْهَهُ وعرَقَ جبينه، وتمنى أنه لم يُخْلَق، فتأمل كثيراً،
وقال: حَذَفَ صَلَاحَ وَأَكِيمَ الْمُضَافِ مَقَامَهُ، فَأَخَذَ حُكْمَهُ مِنَ الْجَرِّ.

فَقُلْتُ: الذي ذَكَرَهُ علماء العربية أن المُضَافَ يُحَذَفُ، وَيَقَامُ المُضَافُ

<١٤٩> إِلَيْهِ مَقَامَهُ، فَيَأْخُذُ حُكْمَهُ، لَا الْعَكْسَ كَمَا ذَكَرْتُ!

فَقَالَ: وَلَيْكُنْ هَذَا الْبَيْتُ شَاهِداً عَلَى مَا قُلْتُ.

فَقُلْتُ: مع كَوْنِهَا مُصَادِرَةٌ عَلَى الْمَطْلُوبِ دَعْوَى عَظِيمَةٍ لَمْ يَدَّعِهَا

سَيِّبَوْنَهُ وَأَضْرَابِهِ، فَهَلْ يُعَقَّلُ أَنْ تُخْتَرَعَ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ النُّحُو لَمْ يَقُلْ بِسُوءِ

إِمَامٍ مِنْ أَيْمَةِ النُّحُو، بَلْ يَقْتَضِي أَنْ كُلُّ مَا وَرَدَ مُخَالَفاً لِظَوَاهِرِ الْقَوَاعِدِ،

نَخْتَرِعَ لَهُ قَاعِدَةً، وَنَقُولُ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَيْهِ، وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى أَنْ نُجِيبَ أَوْ نُؤَوِّلَ

أَوْ نَقُولُ: هَذَا ضَرُورَةٌ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُجَابُ بِهِ.

ثُمَّ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَخْضُرْتَنِي الْجَوَابُ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

فَقُلْتُ: الْآنَ أَنْصَفْتُ، وَاتَّبَعْتُ طَرِيقَةَ الْعُلَمَاءِ وَسَأَلْتُ. وَفِي هَذَا

الْمِقْدَارِ كِفَايَةٌ لِمَنْ لَهُ أَدْنَى دِرَايَةٍ، وَإِلَّا فَالْمُبَاحَثَةُ مَعَ أَوْلَئِكَ كَثِيرَةٌ مُشْتَهَرَةٌ.

انتهى كلام الوالد - حفظه الله تعالى - في شرح الدلائل.

[فصل]

في بيان تعمیر الوزير طريق الحاج

رجع: وفي هذه السنة، عَمَّرَ طريق الحاج السَّيِّدِ سَنَتَهُ زَيْبِدَةُ^(١)،
فَذَهَبَ الْحُجَّاجُ فِيهِ، وَجَهَّزَ مَعَهُمُ الْعَسْكَرَ الْكَثِيرَ، وَالنَّفَرَ الْعَمِيمَ الْغَزِيرَ،
وَأَرْسَلَ إِلَى الدَّوْلَةِ بِوَقْفِ (عَشْرِينَ)^(٢) سَقَاءَ^(٣) يَسْقُونَ الْحُجَّاجَ الْمَاءَ،
وَيَحْمِلُونَهُ فِي الْقُلَلِ عَلَى الْجِمَالِ، يَتَفَقَّدُونَ بِهِ الْفُقَرَاءَ. وَجَعَلَ لَهُؤُلَاءِ الْمُسْقَاةَ
مَرْسُومًا يَأْخُذُونَهُ مِنْ وَالِي بَغْدَادَ، أَيْ وَالٍ كَانَ.

[وفاة عائشة خاتم زوجة الوزير حسن باشا]

وَفِي مَظَانِ لَيْلَةِ الْقَدَرِ، فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ هَذِهِ السَّنَةِ،
انْتَقَلَتْ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، الدُّرَّةُ الْمَصُونَةُ، وَالْجَوْهَرَةُ الْمَكْنُونَةُ، ذَاتُ الْحَسَبِ
الطَّاهِرِ، وَالنَّسَبِ الْفَاخِرِ، رَفِيعَةُ الْمَحْتَدِ^(٤)، إِسْلَامُولِيَّةُ الْمَوْلِدِ^(٥)، ابْنَةُ

(١) السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد، وأم الخليفة الأمين (توفيت سنة ٢١٦هـ/٨٣١م)، ومن مآثرها الجليلة تعميرها طريق الحاج. قال ابن جبير في رحلته (ص ٢٠٨ طبعة ليدن) "وهذه المصانع والبرك والآبار التي من بغداد إلى مكة، هي من آثار زبيدة ابنة جعفر، انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وقد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق".

(٢) سقطت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: سقاة.

(٤) المحتد: الأصل.

(٥) أي مولودة في استانبول التي كانت تعرف في عهد الدولة العثمانية بإسلامبول.

المولى القمقام، والشجاع الهمام، مُصاحب السلطان، أحمد خان، تاج أهل الكمال والعرفان، الوزير الشهير مصطفى باشا، وزوجة الأسد المقدام حسن باشا، ووالدة الشُّبل <٤٩ب> الضَّرغام أحمد باشا، فهي في كَيْفِيَّة زَبْدَة في النَّسَب، والرَّفعة والحَسَب، وفي عِفَّة مَرِيَم، وسيرة سارة، ومَنْقَبَة رابعة، عائشة خانم.

كانت رَحُومَةً للمساكين، شَفِيقَةً على الفقراء العاجزين، فدُفِنَتْ في الجانب الغربي، في مقبرة^(١) الشيخ معروف الكرخي، بِخِذَاء صاحبة الخيرات، كثيرة البركات، زوجة هارون الرشيد، السيدة زَبْدَة، رَحِمَها الله^(٢)، فَبَنَى لها الوزير العادل، والهمام الكامل، في تلك البقعة التي دُفِنَتْ فيها، مَدْرَسَةً لطيفة، ذات حُجَرٍ مُنِيفَةٍ^(٣)، وأجرى بها الماء لأبناء السبيل،



مركز توثيق كتب وعلوم اسلامی

(١) في المطبوع: مقربة

(٢) دفنت السيدة زبيدة في مقابر قريش، إلى جانب ابنها الخليفة الأمين، فلا صلة لها إذن بالضريح الفخم ذي القبة المخروطية المائل في مقبرة الشيخ معروف الكرخي، والقرائن العديدة تشير إلى أنه ضريح السيدة المحسنة زمرد خاتون، زوجة المستضيئ بأمر الله وأم الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ. ينظر مصطفى جواد: العمارات الإسلامية العتيقة، مجلة سومر، ج ١ (كانون الثاني ١٩٤٧).

(٣) يوافق موقع هذه المدرسة مدرسة الأصحاب التي أنشأتها السيدة زمرد خاتون وافتتحها سنة ٥٨٩هـ، فقد كانت مجاورة لتربتها قرب قبر معروف الكرخي، وقد نوه المؤرخون بذكر هذه المدرسة وضخامة بنائها وسعة الإنفاق عليها، واستمر بناؤها مائلاً حتى القرون المتأخرة (كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي، بغداد ١٩٦٦، ص ١٢٣-١٣١) وقد أشار السيد محمود شكري الألووسي إلى مدرسة كبيرة في هذا الموقع كانت موجودة إلى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، ثم نقضها والي بغداد سليمان باشا الكبير (١١٩٤-١٢١٧هـ/١٨٠٢-١٨٠٢هـ).

فَعَدَّتْ جَنَّةَ الدُّنْيَا بِلاَ نَظِيرٍ وَلَا مِثِيلٍ، وَعَيَّنَ فِيهَا الْمُدْرُسِينَ، وَرَسَّمَ لَهُمْ مُوظِّفًا يَأْخُذُونَهُ^(١) فِي كُلِّ السَّنِينَ. وَوُظِّفَ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ السَّاكِنِينَ هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَطْبُوحًا يُطْبَخُ لَهُمْ غُدُوَّةٌ وَعَشِيَّةٌ، وَعَيَّنَ لَهُمْ بَعْضُ الدَّرَاهِمِ الْجُزْئِيَّةَ. وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ فِي بَغْدَادٍ مَشْهُورَةٌ بِاللِّطَافَةِ، مَعْرُوفَةٌ بِالْحُسْنِ أَيْضًا عِرَافَةً، لَطِيبِ هَوَاهَا، وَحُسْنِ مَأْوَاهَا، حَيْثُ كَانَتْ فِي الْبَرِّ الْمَطْلَقِ، وَبِكَنَفِهَا نَهْرٌ مَسْنُودٌ يَنْدَفِقُ.

فصل

في بيان وقوع الطاعون في بغداد

وَفِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَعَ فِي بَغْدَادِ الطَّاعُونِ، فَكَثُرَ الْهَلَاكُ، وَازْدَادَ الْإِهْلَاكُ، حَتَّى عُدَّ الْمَوْتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَخَرَجَ الْعَدَدُ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُ، وَهَرَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ بَغْدَادٍ إِلَى الصُّحَاوِصِ الشَّاسِعَةِ، وَالْمَهَامِيهِ الْوَاسِعَةِ، وَالتَّجَا أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْقُرَى، وَحَصَلَ الْاضْطِرَابُ، وَزُلْزِلَتْ عَقَائِدُ الْوَرَى، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ خَشِيَّةً أَنْ يَنْفَرَّقَ عَسَاكِرُهُ، وَصَارَ مَا بَيْنَ سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ وَبَغْدَادٍ مُعَسَاكِرُهُ.

= ١٨٠٧م) لضرورات اقتضتها أعمال بناء سور بغداد الغربية آنذاك (مساجد بغداد وآثارها، بغداد ١٣٤١هـ، ص ١٢٥) فنرجح أن يكون ما قام به حسن باشا هو تجديد، أو إحياء، لهذه المدرسة بعد أن توقف التدريس فيها في عهد سابق.
(١) الأصل: يأخذه.

ومات في بغداد من العلماء النُصارير، ومِن <١٥٠> الأمراء
المشاهير ما تَضيقُ عِندَ عَدَّهِم صَحاري الدفاتر، وَتَجِفُّ لَدَى سَرْدِهِم
جداول المَحابِر.

ثم في أثناء السنة الثانية والثلاثين^(١)، ذَهَبَ عن أهل بغداد الوَخَزُ
والطُّعْن، فَتَرَاجَعَ الهاريون بعد الطُّعْن^(٢).

فصل

في بيان حفر الوزير خندق بغداد

وفي السنة الثالثة^(٣) والرابعة والثلاثين بعد المائة والألف^(٤)، أَمَرَ
بتجديد حفرِ خَنْدَقِ دار السلام، خَشْيَةَ هُجُومِ الأعداء الطُّغَام^(٥)، وذلك حين

مركزية كويت علوم

(١) أولها ١٤ تشرين الثاني ١٧١٩م.

(٢) الطعن: التحول من بلد إلى بلد.

(٣) أولها ٢ تشرين الثاني ١٧٢٠م.

(٤) أولها ٢٢ تشرين الأول ١٧٢١م.

(٥) يشير الأمر الصادر من الدولة إلى حسن باشا (دفتر مهمة ١٣١ ص ٤١ في أواسط ربيع الآخر ١١٣٥هـ) إلى وجوب تعمير وترميم الجوانب المشرفة على الخواب من قلعة بغداد، ويأمره بالكشف عنها، وتثبيت المصاريف اللازمة لتعميرها دون تبذير أو تقتير، وقد خصص مبلغ ٥٠ ألف قرش لهذا الغرض. وفي الأمر الصادر بتاريخ أواسط رمضان ١١٣٥ (دفتر مهمة ١٣١ ص ١٧٤) ما يشير إلى أن أعمال التعمير أوشكت على الانتهاء في أوائل رمضان، وأن تنظيف الخنادق من الأتربة والأحجار المتراكمة فيها يتطلب مصاريف كبيرة، ولذا فقد نص الأمر على تكليف الناس بتنظيف هذه الخنادق كما جرت العادة من قبل، صيانة للأموال الأميرية.

تَغْلِبَ ابن أمير أُويس^(١) على أرض فارس، وَغَصَبَ أَصْبَهَانَ بِكُلِّ بَطْل
فَارِسٍ، وَأَوْهَنَ قُوَى شَاهِ الْعَجَم^(٢)، وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَعَلَى هَاتِيكَ الْبِلَادِ
هَجَمَ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ آلُ عَثْمَانَ، خَشَوْا هُجُومَهُ عَلَى بُغْدَانَ، فَأَمَرُوا الْوُزَرَ
بِالتَّحَصُّنِ، وَالْإِتِّقَانِ الْمُتَمَكِّنِ، إِلَى أَنْ تَأْتِيَ جُنُودُ الرُّومِ الرَّابِحَةَ، وَعَسَاكِرُ
إِسْلَامْبُولِ الضَّابِحَةِ^(٣) الذَّابِحَةَ.

في بيان سبب انقراض دولة العجم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ دَوْلَةَ الْعَجَمِ آلَتْ إِلَى الزُّوَالِ، وَصَارَتْ إِلَى
الاضْمِحَالِ، حَيْثُ أَنَّ سَبَبَ الْأَصْحَابِ قَدْ كَثُرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، بِحَيْثُ صَارَ
لَدِيهِمْ قُرْبَةٌ بِهَا يَتَقَرَّبُونَ، وَعِبَادَةٌ بِرُغْمِهِمُ الْفَاسِدِ بِهَا يَتَعَبَّدُونَ، وَشَاعَ ذَلِكَ
فِي بِيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَخَوَانِيَتِهِمْ وَطُرُقَاتِهِمْ. بَلَّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ تَكْفِيرَ
الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَيَتَكَلَّمُونَ عَلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الْمُبْرَأَةَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، حَبِيبَةَ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ،

(١) هو الأمير محمود بن أُويس الأفغاني، من قبيلة غلزائي. وكان أبوه الأمير أُويس قد
استولى على قندهار بعد أن كانت تحت النفوذ الصفوي سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م،
واستطاع هو أن يقيم من نفسه حاكماً قوياً مستقلاً في أفغانستان حتى احتلال
نادرشاه حاكم إيران قندهار سنة ١١٥٠هـ / ١٧٣٨م. دائرة المعارف الإسلامية،
مادة أفغانستان.

(٢) هو الشاه حسين الصفوي. وقد تقدم التعريف به.

(٣) ضبحت الخيل في عدوها: اسمعت من أفواها صوتاً ليس بصهيل ولا حممة.

بكلام لا يصنير بنص القرآن، إلا من الكافرين، ولا يظهر إلا من القوم
 الخاسرين. ومع ذلك كلما ورد في حق الأصحاب من الآيات الدالة على
 شرفهم أولوه، وكلما جاء حديث صحيح في فضائلهم لم يقبلوه. واختلقوا
 أحاديث نسبوا^(١) <هـ> فيها النقص إلى الأصحاب المحمودين بالمئنة
 ونص الكتاب، وغيروا الأحكام، واستحدثوا شريعة لم تأت عن سيد الأنام،
 ولم يقل بها آله وأصحابه الكرام. بل أن الحديث من الكتب الستة إن وافق
 رأيهم قالوا بصحته، وإلا تركوه وقالوا لا نقول بحجته، وهذا دليل على
 غباوتهم^(٢)، وآية دالة على كثرة حماقتهم، فتبأ لهم ما أجهلهم، وتعسا لهم
 ما أغفلهم، فمن حماقتهم أن بعضهم كفر الإمام علياً حيث لم يأت بما
 يوافق طبعه الفاسد، وعقله السخيف الكاسد.

ومما انهمكوا فيه تغييرهم الأحكام الشرعية، وتعاطيهم الفجور
 المحرم في الملة المحمدية، وذلك أن من عادة شيا العجم أن يجمع نساء
 البلد إليه، ويلبسهم الأكبية^(٣) القصيرة الموازية للأرداف، وينثر عليهم
 الدنانير، فإذا انحسرت لالتقاطها نظر إليهن، ويعدون ذلك فيهم مكرمة
 ومفخرة يقتخرون بها، ويمثل هذه الفعلة^(٤) القبيحة كسان سبب خراب
 مملكتهم، وانقراض دولتهم.

(١) لفظة نسبوا مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل: غباوتهم.

(٣) الأكبية مفردة قباء ثوب يلبس فوق الثياب

(٤) في المطبوع: العقلية.

في بيان استيلاء أويس الأفغاني على قندهار

وقصة ذلك باختصار: أن الأمير أويساً الأفغاني دعا الكرج خلن^(١)، خان قندهار إلى بعض الولايم، وهم أهل خيام وأخبيّة في البادية، فرأى أخت الأمير أويس فأعجبته، فاحتال في الوصول إليها، بأن أظهر أنه يريد أن يختن أولاده فدعا الرجال والنساء إلى الوليمة، الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، وفيهن أخت الأمير أويس، فحجر عليها ولم يسلمها لأهلها حتى تصرف بها. فأراد <٥١> أهلها قتلها، فقالت: اتقتلوني بذنب أنتم فاعلمونه، لأنكم أمرتموني بالذهاب مع جملة النساء إلى الوليمة، ولو لا أمركم ما ذهبت! فتعللوا قولها، وعفوا عنها، علماً منهم بأنها لا ذنب لها في ذلك.

ثم أن الأمير أويساً ذهب إلى شاه العجم يشكو الخان، فلم يعبا بشكايته، ولا أخذ بيده، فذهب إلى الحجاز يريد الحج. قال صاحب الوالد، الشيخ حسين الراوي^(٢) رحمه الله، الملتجئ إلى حرم الله المكي: لما دخل الحرم المكي، سأل العلماء السادة الحنفية عن قتال العجم، وأخذ أموالهم وسبى نساءهم وأطفالهم. فأفتوه كلهم بذلك إلا الفقيه عبد الكريم السندي.

فلما قضى حجه، وأتى المدينة المنورة، استأذن أن يبيت^(٣) في الشباك النبوي، وأعطى على ذلك ما لا جزيلاً، فبات فيه على نيّة قتال العجم، فرأى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأنه قلده بسيف، فانتبّه

(١) هو كوركين خان الكرجي أمير قندهار، وكان عاملاً للدولة الصفوية.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) في الأصل: يبات

فَرِحَا مَسْرُورًا، وتَأَوَّلَ الإِذْنَ مِنَ المِصْطَفَى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قِتَالِهِمْ وَسَبِي نَرَارِيهِمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ. انتهى.

قال بعضُ مَنْ اتَّقى به: ولما وَصَلَ الأميرُ أُوَيْسٌ إلى محلِّه، احتَسَالَ فِي فَتْحِ قَنْدَهَار، فدعا الكَرَجَ خانَ إلى حِلَّتِه، ورغَّبَه في المَبِيتِ، وتَوَاطَأَ^(١) هو وعَشِيرَتُهُ على قَتْلِهِ وَقَتْلِ مَنْ مَعَهُ. فلما نَزَلَ الخانُ في الحِلَّةِ، وتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ فِي الأَخْبِيَةِ، وثَبَّوا عَلَيْهِ وعلى جَمَاعَتِهِ فَقَتَلُوهُمْ على بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ^(٢).

وَرَكَّبَ الأميرُ أُوَيْسَ وجَمَاعَتَهُ في تلكَ السَّاعَةِ، ودَخَلُوا قَنْدَهَارَ، وأَعْمَلُوا السِّيفَ فِيهِمْ، فَأَطَاعُوا، وَسَلَّمُوا المَدِينَةَ، واستولى عَلَيْهَا أُوَيْسٌ، وذلكَ في الحادي والثلاثينَ بعدَ المائَةِ والألف. وبقي <٥١ب> فِيهَا أميرًا إلى أن مات^(٣)، فَقَوَّلَى بعده ولده الأميرُ محمود، فسارَ فِيهِمْ سيرةَ أَبِيهِ^(٤).

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

(١) في الأصل: وتواطى.

(٢) الأصح: عن بكرة أبيهم.

(٣) توفي سنة ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م.

(٤) يرى لوكهارت أن محمود كان مقاتلاً شجاعاً طموحاً، لكنه ينقصه دهاء والده مير

ويس.

في بيان حصار الأمير محمود بن أويس لأصفهان

وجَهَّزَ جنوده نحو كرسي مملكة العَجَم أَصْفَهَان^(١)، وحاصَرَهَا نحوَ عامَينَ، قَطَعَ عن أهلها الميرة، وسدَّ عليهم الطُّرُقَ والثُّغُورَ، فخرَجُوا إليه مَرَّتَيْنِ في عسكرٍ كثيرٍ العَدَدِ، مُتَواصِلِ المَدَدِ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً، وَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَ أَبْطَالَهُمْ، وَأَبَادَ رِجَالَهُمْ، فَتَحَصَّنُوا بِالْبَلَدِ، وَلَمْ يَخْرُجْ بَعْدُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَقَلَّ طَعَامُهُمْ وَارْتَفَعَ سِعْرُهُ إِلَى أَنْ كَادَ أَنْ لَا يُوجَدَ، فَأَكَلُوا الذُّوَابَ، وَبَاعُوا بِالْأَثْمَانِ الغَالِيَةِ الكِلَابَ، حَتَّى قِيلَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَكَلَ بَعْضاً.

في بيان أخذ الأمير محمود أَصْفَهَان

فَلَمَّا رَأَوْا حُصُونَهُمْ غَيْرَ نَافِعَةٍ، وَأَبْطَالَهُمْ غَيْرَ دَافِعَةٍ، سَلَّمُوهُ الْبَلَدَ^(٢)، وَأَطَاعَهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَانْقَضَ عَلَى الشَّاهِ حُسَيْنٍ وَقَيْدَهُ بِالْأَدَاهِمِ وَالْأَغْلَالِ، وَسَجَنَهُ فِي مَوْضِعٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْأَهْلُ وَالْأَلْ، وَبَقِيَ فِي السِّجْنِ مُدَّةً، إِلَّا

(١) يذكر الأمر الصادر إلى والي بغداد باشا (دفتر مهمة ١٣٠ ص ٣٦٣ في أوائل رمضان ١١٣٤) أن "ابن مير أويس محمود خان، وابن عمه قاسم خان، وأمراء طاعستان، هاجم كل منهم على رأس قواته، الممالك الإيرانية لفتحها وتسخيرها، وأن القوات الإيرانية انكمرت أمامهم وتشتت شملها كرت راجعة، وتم حتى الآن فتح قندهار، وهرات، وكرمان، ويزد، وشماسي، ويهدفون إلى فتح وتسخير مقر الحكومة الإيرانية أصفهان وسائر الضياع والبقاع.

(٢) استولى على أصفهان في ١٥ محرم ١١٣٥ هـ/ ٢١ تشرين الأول ١٧٢٢م تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٠١ و Lockhart, L., Op. Cit., P., 55.

أنه يُكرِّمه بالماكل المُختلِفة الألوان. وقد نَقَلَ غيرُ واحدٍ أنه تزَوَّج ابنتَه، وربَّط بذلك نسبَه.

في بيان كتاب الوزير إلى الأمير محمود

ثم لما شاع ذلك وذاع، وملا الأسماع، أرسل له المذكور، ضوِّعَتْ له الأجور، رسولاً بكتاب يُهنِّيه بهذا الفتح المُبين، ويُنثي عليه، حيث نَصَر المِلَّةَ والدين، فَرَجَعَ الرسولُ مِنْهُ مَكْرَماً، مَبْجَلاً مُعْظِماً^(١).

في بيان كتاب وزير الأمير محمود إلى الوزير

وأرسل وزيره محمد صادق خان معه كتاباً مُفَصَّلاً إلى الوزير، وصورتَه^(٢): اسْتَفْتَحَ الرَّقِيمَ، بما أَلْقَى إلى كتابِ كريم «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٣). *مركز تحقيق كتب أمير علمي*

(١) يذكر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص ١٦، أن حسن باشا كتب إلى محمود الأفغاني كتابه هذا 'يعبر به غوره ويستوضحه نواياه وما يقصده من هذه للتحركات، وليس لمحض التهنية كما يذكر المؤلف، وفي أمر صادر إلى حسن باشا (بفتر مهمة ١٢٠ ص ٣٩٦-٣٩٧، أواخر رمضان ١١٢٤هـ)، في أثناء حصار أصفهان إلى أن الوقت لم يحن بعد للقيام بتحركات عسكرية تهدف إلى فتح وتسخير بعض الضياع والبقاع الإيرانية المجاورة لحدود الدولة العلية والقريبة منها، والتي كانت قديماً تحت تصرف الدولة العلية، ويأمره بالتريث والانتظار حتى يفتح محمود خان أصفهان ويتبين هدفه بعد فتحها.

(٢) انفرد المؤلف بآثاره نص هذه الرسالة المهمة، ونجد خلاصة لها في مصادر أخرى، منها دوحة الوزراء ص ١٦.

(٣) النمل، الآية ٣٠.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ شَرَحَ مَرَاشِدَ الدِّينِ، عَلَى مَفَارِقِ الْمُسْلِمِينَ <١٥٢>،
وَقَرَعَ قُلُوبَ الْمُبَشِّرِينَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ بِمُبَايَعَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَشَيَّدَ قُبَّةَ الْإِسْلَامِ
عَلَى قَوَائِمِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ، بِوُجُودِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ شَوَارِقُ
أَنْوَارِهِمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ
سَاطِعِينَ، وَنَصَبَهُمُ لِلْهِدَايَةِ كَالْأَعْلَامِ مَا دَامَ دَوَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ.
نَسْأَلُكَ أَنْ تُنْزِلَ رِقَابَنَا فِي طَاعَةِ أُولِي الْأَمْرِ خَاضِعِينَ، كَمَا وَفَّقْتَ بِطَاعَتِهِمْ
وَقَبُولَ إِطَاعَتِهِمْ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، مِنْ جُمْلَةِ الْمَهْدِيِّينَ الْمُكَلَّفِينَ آمِينَ.

فَالْمَعْرُوضُ إِلَى ذِرْوَةِ جَنَابِ الْمُرْتَدِّي بِرِدَاءِ الْجَلَالَةِ، الْمُتَعَالِي بِعُلُوِّ
الْمَجْدِ وَالنَّبَالَةِ، شَمْسُ فَلَكِ الدَّوْلَةِ، وَبَدْرُ سَمَاءِ الصُّوْلَةِ، مَوْزِدُ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ،
وَمَعْنٍ^(١) الْجَوْهَرِ الْجَلِيلِ، الْمُتَنَاهِي إِلَى ذِرْوَةِ حِجَابِهِ، سُمُو الْمَعَالِي،
وَالْمِقْدَارِ الْمُبَاهِي بِمَمَاسِ بَابِهِ، مَفَارِقِ الْإِعْتِبَارِ وَالْإِقْتِدَارِ، الْجَامِعِ لَجَمِيعِ
الْمَكَارِمِ فِي كُلِّ بَابٍ، الْغَنَى عَنْ تَعْرِيفِ الْأَلْقَابِ. الدَّسْتُورُ الْمُكْرَمُ، وَذُو
الْلُؤَاءِ الْمَفْخَمِ، مَنْ لَمْ يَنْلِ كَمْنَالَهُ أَحَدٌ مِنْ أَقْرَانِهِ وَأَمْثَالِهِ، الْوَزِيرُ الْمُشِيرُ،
الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ. شِعْراً [مِنْ الطَّوِيلِ]:

فَإِنْ قَمِيصاً حَيْكَ مِنْ نَسْجِ نَسْعَةٍ وَعِشْرِينَ حَرَقاً فِي عُلَاهُ قَصِيرُ

حَامِي حِمَى الْإِسْلَامِ، مِنْ دَارِ السَّلَامِ، إِلَى وَادِي السَّلَامِ، مَا زَالَتْ
الْأَيَّامُ خَادِمَةً لِحِجَابِهِ، وَأَمَالُ الْأَيَّامِ مُنَاخَهُ إِلَى تَرَابِ بَابِهِ.

إِنْ الدَّاعِي لِإِيْوَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ ارْتِحَالِ الْخَانِ الْمَهْرُورِ،

(١) أَضَافَ الْمَوْلَفُ فَوْقَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَفْظَةً (مَعَا) يَعْنِي جَوَازَ فَتْحِ الدَّالِ وَكَسْرِهَا.

والسلطان المنصور، المستور بِسِتر التَّجَرُّد من عالم الشُّهُود، المسرور من البقاء بِدوام الوجود، الرَّاقِي إلى مَدَارِج الجنان <٢٥ب>، والقاعد مع الخور والولدان. المُنَزَّه في رفيع نِروة المَلَكُوت، الواصِل إلى رحمة ذي الجود والجَبَرُوت، أعني والد الماجد، سلطاننا زَيْن الأماجد، كُنْتُ من المُنْتَظِّين فرائد تجريدِهِ، المُنْخَرِطِينَ في سِلْكِ الدَّاعِينَ لتأييده. ونحمد الله المتعال، من أول صباح عُرُوج سلطاننا المؤيَّد إلى يومنا، هذا ما دَعَوْنَا لِنُصْرِهِ إِلَّا اسْتَبْصَرْنَا أَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْإِجَابَةِ. ولم يَزَلْ سَيْفُهُ العاضِبِ عَالِيًا^(١) على مفاخر الجَبَّارِينَ، وأَعْنَاقِ المُتَمَرِّدِينَ، سافلاً بالسقوط عنده وله خاضِعِينَ. وبهذا البرهان القاطع، والدليل الساطع، عَرَفْنَا أَنَّهُ المؤيَّد من عند الله، المَتَوَكِّل على الله، المنصور بالله، فَقُلْنَا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٢). فلما شاعَ وفُور الظُّلُم والاعتِصاف، وقُصُور العدل والإنصاف، في ممالك العجم، عَلِمْنَا بِالْيَقِينِ أَنَّ المَلِكَ يَبْقَى مع الكُفْر ولا يَبْقَى مع الظُّلْم، فقام مُرْشِدُنَا بخروج السيف العاضِبِ^(٣)، على الجَّهَادِ الواجب، فَطَرَقْنَا على المُتَخَلِّفِينَ عن تحتِ لَوَائِهِ كَالشُّهَابِ الثَّاقِبِ، وَإِنَّا مَا بَرَحْنَا مَقَارِقَنَا عَنْ اسْتَظْلَالِ رَايَةِ إِجْلَالِهِ، حَتَّى تَوَجَّهَتْ وَطَلَّغَتْ شَوَارِقَ إِقْبَالِهِ مِنْ مَشْرِقِ قَنْدَهَار، إِلَى تَسْخِيرِ مَمَالِكِ الْفُجَّارِ، فَإِنَّا هَاجَرْنَا تَحْتَ لَوَائِهِ، وَإِنْ لَمْ نَعُدْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَتَلَّوْنَا عِنْدَ خُرُوجِنَا مَنَاسِيأَ لِأَحْوَالِنَا بِمَا قَالَ اللهُ

(١) في الأصل: (عال) وقد صلحتِ اللفظة في الهامش فصارت (عاليا).

(٢) الأعراف، من الآية ٤٣.

(٣) العاضِب: القاطع.

تعالى ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا﴾^(١) حتى وَرَدْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الْمَوْسُومَةِ بِالْجُلُونِ أَبَاد^(٢) <١٥٣>، وهي من حكومة أصفهان، فَصَادَفْنَا جَمَّ غَفِيرٍ، وَجَمْعَ كَثِيرٍ، مِنْ طَوَائِفِ الْقَزْلِبَاشِ^(٣)، الْمَسْرُورِينَ قُلُوبُهُمْ بِوُفُورِ الْإِنْتِعَاشِ، وَاشْتَعَلَتْ نَوَائِجِرُ^(٤) حُرُوبِهِمْ إِلَى كُرَّةِ الْإِثِيرِ، وَفَلَكَ الْأَفْلَاكُ مِنْ تَمَوُّجِ سَفَكِ الدَّمَاءِ كَادٌ يُشْرِفُ عَلَى التَّدْمِيرِ. وَنَادَى عَلَيْهِمْ مُنَادِي الْفَنَاءِ: هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(٥)، وَلَمْ نَبْقَ لَهُمْ جَاهًا وَلَا عِزًّا، فَلَا يَجِدُوا كَهْفًا وَلَا حِرْزًا. وَمِمَّنْ بَقِيَ مِنْ سَيُوفِنَا الْعَاضِيَةِ، وَرِمَاحِنَا الْغَالِبَةِ، الْمَشْهُورِينَ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغَارِبِ، انْهَزَمُوا مِنَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَوَجَّهَ إِلَيْنَا نَصْرُ اللَّهِ. وَازْدَحَمُوا بَعْدَ الْفِرَارِ، وَتَحَصَّنُوا بِحِصَارِ تِلْكَ الدِّيَارِ.



(١) البقرة، من الآية ٢٤٦. مركز تحقيق كتب علوم إسلامي

(٢) في المصادر الإيرانية: كلنآباد، بالكاف الفارسية، وهي قرية تبعد عن مدينة أصفهان بـ ١١ ميلاً.

(٣) القزلباش: لفظة تركية النجار، مكونة من (قزل = أحمر) و(باش = رأس) فيكون معناها ذوو الرؤوس الحمراء، ويقصد به أتباع الطريقة الصفوية التي نشأت في أذربيل بآيران في القرن التاسع للهجرة، وكان الشيخ حيدر بن جنيد، الذي طور هذه الطريقة الصفوية لتغدو شيعية إثنا عشرية، قد أمر أتباعه بأن ترتفع من وسط عمامتهم، ذات المكورات العديدة، قطعة مدببة على هيئة الهرم، مقسمة من قممها إلى أطرافها إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الاثني عشر* (كامل مصطفى الشبيبي: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، بغداد ١٩٦٦، ص ٤٠٥)، وبهذا أصبح اسم (القزلباش) يطلق للدلالة على الدولة الصفوية وأتباعها.

(٤) مفردها نائرة أي العداوة والشحناء.

(٥) الرکز: بكسر الراء: الصوت الخفي.

ثم توجّهت راياتُ سلطاننا مع الآيات الباهرات، إلى البُستان المُسمّى بِفَرَح آباد^(١)، وهي الرّوضة التي بناها السلطان المولع بالزّيب^(٢) والزّين^(٣) شاه سلطان حسين، في أيام خلافته، وعهد سلطنته، لأن يعيشَ فيها بِنشاط النّياط^(٤)، ويَزِين عَرِيشها ببساط الانبساط، فاعتبروا أيها الملوك! أين بانوك وأين ساكنوك؟ العمر وإن طال فما تحته طائل، وكل نعيم لا محالة زائل، سفينة تسري وما تدري، وكلُّ غائب قُفول، وكل طالع أقول.

الحاصل، غيب^(٥) ذلك العراق، تهاجموا من خارج البلدة بقاصلة اثني عشر فرسخاً، صناديد الألوار^(٦) والأكراد، ومن تبعهم من عظمائهم وأمرائهم وقبائليهم وعشائريهم حيث لا يُعد ولا يُحصى، فتصنّفوا في ذلك الصنّف^(٧) للقتال، زائدين عند الرّمال <٥٣ب>، كأنهم منذ يوم خروجنا

مكتبة كويتية

(١) بلدة من أعمال مازندران، على بحر قزوين، عرفت بقصورها الفخمة التي شادها السلطان حسين الصفوي لتكون منتجعاً له.

(٢) الزيب والازيب: الغريب والامر المنكر.

(٣) في المطبوع: والزي.

(٤) للنياط: الفؤاد.

(٥) غيب: بعد وعاقبة.

(٦) يريد: اللور (أو اللر، كما في المراجع العربية). شعب له خصائصه القومية يسكن

في إقليم لورستان بإيران وإليهم نسب الاقليم. ويرى المؤرخ الكردي محمد أمين

زكي أنهم يتألفون من عناصر شتى ليست من اللور، إلا من حيث المماكنة،

والعنصر اللوري الأصل بينهم هم الفيلية، الذين ينقسمون إلى بشتكوه وبيشكوه.

خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، القاهرة ١٩٦١، ص ٤٣٣.

(٧) الصنّف: المستوى من الأرض، قاع صنّف: مستو مطمئن

من القنذهار، شرعوا بالإجماع لمعاضدة سلطانهم، فحاصروا في ذلك اليوم بهذا المينوال، فتضرعوا الحرب نارها، (وتحط أوزارها) ^(١) وترون شرارها ^(٢)، فابتلوا منا بأعظم داهية، وما أدراك ماهية؟ نار حامية.

فبعد ذلك جاءت جيوش الفارس ^(٣)، وهو من بلاد مديدة، وله ولايات عديدة، فاجتمعوا علينا كتراكم غمائم المطر، وأحاطوا علينا ^(٤) إحاطة الهالة بالقمر، فقامت الحرب على ساقها كقيام المخسر، فاقتحموا أحزابها وانهزموا أصحابها ^(٥)، ففروا من ليونتنا كخمر مستتيرة، فرت من قسورة ^(٦). فعلى هذا المينوال من حروب الكلية العظيمة التي اتفقت في خارج البلدة في الشهور التسعة أربعة كرات ^(٧)، في تلوزايا الكلية، لم يزل أبدأ أوزار الحرب عن شغل العراك مع المحصورين في ذلك العارك ^(٨) الخالية ^(٩)، والحمد لله في كل المعارك كانوا هم المغلوبين وإننا كنا غالبين، بإعانة رب العالمين.

فلما امتدت أيام المقاتلة والمحاصرة في ذلك الفيلق مع التوفيق إلى

(١) الزيادة من الهامش.

(٢) الصحيح: فاضرمت الحرب نارها وحطت أوزارها ورأوا شرارها.

(٣) يريد جيوش فارس، أو الفرس.

(٤) الصحيح: وأحاطوا بنا.

(٥) يريد أن الأحزاب هم الذين اقتحموا، فإنه رفعها كونها فاعلاً، والصحيح: فاقتحم أحزابها وانهزم أصحابها.

(٦) القصور: الأسد.

(٧) لعله يقصد كرات أي هجمات.

(٨) المكان الاجرد من المرعى.

(٩) في المطبوع: الخالي.

تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَمْ يَغْضُ جَرَيَانُ الدَّمَاءِ كَالسَّيُولِ، مِنْ مَجَارِي السَّيْفِ
 الْمَسْلُولِ، فَجَرَى عَلَيْهِمْ مَا جَرَى؛ وَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَلِعَمْرُكَ فِي
 تِلْكَ الشُّهُورِ لَمَّا اسْتَرْحْنَا وَمَا سُدَّكَتْ ذُيُولُنَا غِيبَ التَّشْمِيرِ فِي سَاعَةٍ لَا بِاللَّيْلِ
 وَلَا بِالنَّهَارِ، إِلَّا وَقَدْ وَكَّحْنَا^(١) مَعَهُمْ فِي الْقِتَالِ فِي كُلِّ الْأَوَانِ، وَحَكَّتْنَا بِهِمْ
 بِالسَّيْنَةِ السَّيْفِ وَالسُّنَانِ. حَتَّى اتَّعَظَتْ نُفُوسُ الْمُحْصُورِينَ بِأَنْ خِيُولْنَا
 بِرَقِيَّةٍ، وَسَيُوفُنَا مِصْرِيَّةٍ، وَأَسْنَتْنَا يَمَانِيَّةٍ، وَلُيُوثُنَا شَدِيدَةَ الْمَضَارِبِ،
 وَسِيَهَامُنَا <١٥٤> كَالشُّهَابِ الثَّاقِبِ، وَفِرْسَانُنَا لُيُوثٌ إِذَا رَكِبَتْ، وَأَفْرَاسُنَا
 لَوَاحِقٌ إِذَا طَلَبَتْ، لَا يَهُولُنَا التَّخْوِيفُ، وَلَا يُزْعِجُنَا التَّرْجِيفُ، وَإِنْ
 عَصَيْنَاهُمْ فَنِعْمَ الطَّاعَةُ، وَإِنْ قَتَلْنَاهُمْ فَنِعْمَ الْبِضَاعَةُ، فَاسْتَدْعَوْا مِنْ سُلْطَانِنَا -
 أَيُّدُهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ الْجَلِيلِ - أَنْ يَكُونُوا^(٢) فِي حِصْنِ حِمَايَتِهِمْ دَخِيل^(٣)، فَقَبِلَ
 مِنْهُمْ الْإِسْتِمَانِ، وَانْشَرَحَ ظِلُّ حِمَايَتِهِ عَلَيْهِمْ لِلْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَزَيْنَ مَنْ
 عَزِيَّتِهِ الْغُرَاءَ أَرْيَكَةَ الْخِلَافَةِ الْعَظْمَى فِي قَصْرِ السُّلْطَانَةِ الْكُبْرَى. فَقُلْنَا:
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْوُصُولِ عِنْدَ عُرُوجِهِ إِلَى سَرِيرِ السُّلْطَانَةِ الْقَاهِرَةِ،
 وَجُلُوسِهِ عَلَى مَسْنَدِ الدَّوْلَةِ الْفَاخِرَةِ، حَيْثُ ظَلَّتْ أَعْنَاقُ النَّاسِ لَهَا
 خَاضِعِينَ^(٤)، وَذَلَّتْ صِعَابُ الْأُمُورِ لِحُكْمِهِ الْمَتِينِ، فَسَمِعْتُ مُتَنَادِيًا يُنَادِي
 لِلْإِيمَانِ، فَيَقُولُ: يَا مَنْ جَعَلَ خُطْبَةَ الْخُطَبَاءِ الْأَلْسِنَةَ عَلَى مَدَارِجِ الْمَخَارِجِ

(١) وكحه أي وطنه وطأ شديداً.

(٢) في الأصل: ان يكون.

(٣) جيء بالمفرد لغرض السجع.

(٤) الصواب: خاضعين.

باسم برّه، وصيّر دنانير الاثنية^(١) في دار الضرب الأفواه مسكوكة بالقباب شكره.

رَبِّ! كَمَا نَوَّرْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِشُعَاعِ سَيْفِهِ الْعَاضِبِ، وَنَشَرْتَ جَوَاهِرَ زَوَاهِرِ حَمْدِهِ فِي أَرْكَانِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، اجْعَلْ خَاطِرَهُ بِإِفَاضَةِ إِيْهِامِكَ مَحْسُوداً لِلْعُقُولِ الْعَشْرَةِ، وَوَجْهَهُ رَايَتَهُ فِي تَسْخِيرِ الْمَمَالِكِ ﴿وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ مُسْقَرَةٌ﴾^(٢).

وَحِينَ اسْتَوَاءَ شَمْسُ فَلَكِ الْخِلَافَةِ فِي سَمَاءِ الْجَلَالَةِ، وَرَدَ سَفِيرُكُمْ الْحَقِيقَ بِالتَّعْظِيمِ، وَرَسُولُكُمْ الْحَرِيَّ بِالتَّكْرِيمِ، الْمَتَحَلِّيَّ بِالْمَكَارِمِ الْمُحَسَّنَةَ، الْمُتَزَيِّنَ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، كَرِيمَ الْمُسْجَايَا وَالْخِصَالِ، وَحُسْنَ الْمَزَايَا وَالْفِعَالِ، الْمَوْصُوفَ بِتَكْرِيمِ الذَّاتِ، الْمَعْرُوفَ بِحُسْنِ الصِّفَاتِ، الْحَاجَّ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، الْحَاجَّ عَثْمَانَ، لَا زَالَ مُمْتَعاً بِالنَّعَمِ، مَذْقِوعاً عَنْهُ النَّقَمُ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ سَادَاتِ الْأُمَمِ ﴿هَبْ﴾ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَتَشَرَّفَ بِكَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ بِدُخُولِ الْمَجْلِسِ الْمُتَيْفِ الْأَعْلَى، الَّذِي لِمُعَايَنَتِهِ تَقَاعَسَ كُلُّ مُتَطَاوِلٍ إِلَى أَدْنَى مَرَاقِيهِ الْعُلْيَةِ، وَرَجَعَ بِصَرِّ الْمُحْدِقِ خَاسِئاً مِنْ سِوَا طَعِ أَنْوَارِهِ الْبَهِيَّةِ، وَامْتَدَّتْ أَطْيَابُهُ عَلَى قَمَرِ الْأَفْلَاكِ، وَتَرَفَعَتْ عَلَى الْفَرْقَدَيْنِ وَالسَّمَاءِ، وَخَرِسَتْ تُغُورُهُ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاثِهَا بِسَيَّارَاتِ الْكَوَاكِبِ، وَتَوَاقِبِ الْأَفْلَاكِ.

كيف لا؟ وهو كرسي المملكة العظمى، وسماء الخلافة التي طلعت

(١) يريد: جمع ثناء.

(٢) عبس، الآية ٣٨. وفي الأصل (مستبشرة) فإما أنه لم يقصد أن يستشهد بآية، وأما أنه أخطأ في اختيار اللفظ الصحيح من الآية:

من آفاقها كواكب المجد الأسمى، وإنه من أفق الرسالة طلع، ومن نبع
الجلالة نبع، ومن شجرة النبوة فرع، رفع الله عماد ملكه بدوام الصعود،
وقيام سموه بالإكرام على مقام محمود، أدام جواهر أيام السعد، منظومة
في سلكه، ولا زالت رماح النصر مستمرة لجاري خيوله وفلكه، وثبتت
قواعد ملكه في التخوم، ورفع مقامه وإن كان عالياً حتى تصير في خدمته
مناطق النجوم، وأمضى أحكام سيوفه في أهل العناد، ولا بريح قائماً
بحقوق الدين حتى تضمنحل بنوره ظلمات الفساد، ففي تلك المجالس
المنيفة، استتارت وجنات آمال أمير الحاج المشار إليه، باقتباس لوازم
أنوار مراحله البهية.

وإنما لما استشمننا فوائح انتلافكم، وروائح صحيفة إخلاصكم، من
رياض خلوص عقيدتكم لدولة خاقاننا المنصور المؤيد، فكأننا المستظلون
المعتكفون^(١) تحت لوائه من أرباب السيف والقلم، لا سيما من السادة
وطلاب العلم، ومعالي الشيم، من صميم القلب <١٥٥> وطيب خاطر،
صيرنا في زمرة محبيكم، والمعتدين لجنابكم، الداعين لدولة سلطاننا
وسلطانكم، وهو صاحب العدالة التي لا يذكر معها أيام حسرى، والجلالة
التي وقفت الآمال دون مبالغها حسرى، والبسالة التي لها ذلت رقاب
الصيّد، وخضعت لهيبتها جباه الصناديد، قد أجراه ربّه على ما أمر به من
العدل والإحسان، وأجمل ذكره في منازل الكرماء ومصارع الفرسان،
وحل من المعالي محل الإنسان من عين الإنسان، وألف المجد ألف

(١) في الأصل: المستظلين المعتكفين.

الطَّرْفِ لِلْوَسْنِ، وَامْتَزَجَ بِالْمُكْرَمَاتِ امْتِزَاجَ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ، وَأَصْبَحَتْ
فَضَائِلُ السَّعَادَاتِ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً، وَوُظَائِفُ الْجَلَالَةِ إِلَيْهِ مَصْنُوفَةً، أَعْنَى
السُّلْطَانِ بْنِ السُّلْطَانِ، وَالْخَاقَانِ بْنِ الْخَاقَانِ، سُلْطَانَ الْبَرِّينِ وَالْبَحْرَيْنِ،
خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَا بَرِحَتْ أَوْتَادُ سُلْطَنَتِهِ مَشْدُودَةً بِأَوْتَادِ الْخُلُودِ،
وَرَايَاتُ خِلَافَتِهِ مَنُوطَةٌ بِآيَاتِ الْأُبُودِ^(١)، فَلِمَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَكُلُّنَا فِي هَذَا
الْأَوَانِ إِخْوَانُ الدِّينِ، السَّالِكُونَ عَلَى مَنَهِجِ الْيَقِينِ، فَمَغَايِرُ الْمِلَلِ فِي تِلْكَ
الْأَيَّامِ مَنَقُوصٌ، وَمُخَالَفُ الْمَذْهَبِ عِنْدَنَا كَالْمَبْرُوصِ.

فَمِنْ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ التَّشْيِيدُ فِي مَبَانِ الْخِلَّةِ بَيْنَ الدَوْلَتَيْنِ،
وَتَأْسِيسُ أَسَاسِ الْإِتِّلَافِ، وَارْتِفَاعُ الْخِلَافِ مِنَ الْبَيْنِ، حَتَّى امْتَدَّتْ أَذْيَالُ
الْقَبَابِ^(٢) إِلَى عَرَصَةِ الْقِيَامِ، وَتَكْثُرَ تَرَابُ هَذَا الْبَابِ إِلَى مَدَى الْإَيَّامِ، وَمَا
أُثْبِتَ دِعَائِمُ هَذَا الْمَرَامِ إِلَّا بِقَوَائِمِ الْخِلَّةِ فِي الْبَيْنِ وَالْوِدَادِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

وَمِنْ الْيَقِينِ <هـ> أَنَّ الْإِتِّلَافَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا أَزِيدَ مِنْ أَيَّامِ
دَوْلَةِ الْمُخَالَفِينَ السَّالِفِينَ، فَامْتَنَعَ الْفَهْمُ أَنْ يَكُونَ أَنْقَصَ، فَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ رَبُّ
الْعَالَمِينَ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّائِبِينَ، وَأَنْ يَغْصِمَنَا مِنْ
وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ، مِنَ الْأَنْسِ وَالْجِنِّ أَجْمَعِينَ.

فَالْبَاعِثُ لِإِسَاقَةِ^(٣) هَذِهِ النَّمِيقَةِ الْوَثِيقَةِ، فَيَضَانُ الْخِلَّةُ الَّتِي بِصُدُورِ الْمَحَبَّةِ
مُلْتَزِمَةٌ، وَمَيَّعَانُ الْمَوَدَّةِ الَّتِي فِي أَنْهَارِ الْعُرُوقِ جَارِيَةٌ، وَاعْتَذِرُ فِي آدَاءِ
قُصُورِ الْعِبَارَاتِ بِوُفُورِ سَجِيَّاتِ تِلْكَ الذَّاتِ، لِأَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

(١) جَمْعُ أَبَدٍ.

(٢) الْقَبَابُ: الْأَسَدُ. وَقَرَأَهَا فِي الْمَطْبُوعِ الضُّبَابُ.

(٣) يَرِيدُ: سَوَّقَ، أَي: إِرْسَالَ.

المسینات، فاللہ تعالیٰ یبَیِّضْ بأنوار وجودکم الأيام السود، وینعید بعزکم کلّ
مفقود، ویقضي علی أعدائکم بالسقوط، وعلی دولتہم بالہبوط.
والسلام علیکم ورحمة اللہ وبرکاتہ. انتہی الکتاب.



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

في بيان غزو الوزير ديار العجم

ثم أن الرسول ذَكَرَ أن أراضي العجم سَهْلٌ فَتَحُهَا غَنِيمَةً بَارِدَةً رِبْحُهَا، فأرسله الوزير إلى الدولة العلية، والحضرة الجلييلة السَّمِيَّة، لا زالت مَرْبُوطَةً بأوتاد الأباد، مَصُونَةٌ عن الانتحال والفساد.

ففي السنة الخامسة والثلاثين بعد المائة والألف^(١)، صَدَرَ الْفَرْمَانُ السُّلْطَانِي، وَالْأَمْرُ الْمُحْتَمُّ الْخَاقَانِي، بِالْغَزْوِ لِـدِيَارِ الْعَجْم، وَفَتْحِ بَقِيَّةِ مَا دَمَّرَ اللَّهُ مِنْ مَمَالِكِ تِلْكَ الْأُمَمِ، وَالْأَيْتَعَرُّضُ لِلْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ بْنِ أُوَيْسِ الْأَفْغَانِي، وَإِنْ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ هُوَ الرَّئِيسُ عَلَى الْجُنُودِ الْمَنْصُورَةِ^(٢).

(١) أولها ١٢ تشرين الأول ١٧٢٢م.

(٢) نص هذا الفرمان في دفتر مهمة ٣١٣ ص ١٩٠ بتاريخ أوائل شوال سنة ١١٣٥هـ، ومما جاء فيه أن السلطان منح صلاحيات تامة لوالي بغداد حسن باشا في تقرير ما يجب عمله إزاء توسيع الأفغان في إيران، وأكد الفرمان على أنه لا يجوز التعرض على الأماكن الواقعة تحت تصرف محمود خان الأفغاني ولكن يجب التفكير أيضاً في ماذا سيكون موقفه من قيام الدولة العلية بفتح وتسخير بعض الممالك الإيرانية، وكذلك الأمير الإيراني طهماسب إذا اكتسب قوة واستطاع أن يجمع جيشاً كبيراً، فما هي النتائج المتوقعة من ذلك؟، وينتهي الفرمان إلى القول "على الوالي حسن باشا المبادرة في العمل من أجل فتح وتسخير بعض الممالك الإيرانية المجاورة للدولة العلية والقريبة منها قبل أن تمتد إليها يد محمود خان باحتلالها...". ويوضح الأمر الصادر بعده بأسبوعين السبب الذي دعا بالدولة العثمانية إلى التدخل العسكري بأن "إذا وقعت الأماكن والبقاع القريبة من حدود شيرزور وبغداد في يد محمود خان فقد يؤدي ذلك إلى وقوع فتن واضطرابات على حدود الممالك المحروسة العثمانية فيجب الإسراع في احتلالها قبل سقوطها في يده" (دفتر مهمة ١٣١ ص ١٩٧، أواسط شوال ١١٣٥).

في بيان فتوى شيخ الإسلام

بحل سبي العجم

ومع ذلك سَطَرُوا إليه فتاوى من شيخ الإسلام، مفتي الديار
الرُّومِيَّة، الشيخ عبد الله مفتي القَسْطَنْطِينِيَّة المَحْمِيَّة^(١)، بِقَتَالِ العجم، وأخذ
أموالهم وسبى نساءهم^(٢) وأطفالهم. وصورتها في اللغة <١٥٦> التَّرْكِيَّة
هذه^(٣):

بومسئله أئمة حنفيه قَتَدَه جواب ندر؟ شاه إسماعيل أولادك تحست
حكمنده اولان ديار عجمده متمكن اولان (خذلهم الله تعالى) أبو بكر
وعمر وعثمان خلفاء على الحق أولدقاري اقرار ايدِه من كفار ايدوب ما
عدى حضرت علي اكثر اصحاب كرام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
حضراته عائشة صديقه رضي الله عنها حضر تلرينه مرتدلردر
ومنافلردر ديو علما سب ولعني وعائشه صديقه رضي الله عنها
حضر تلرينه قذف كندولره عبادت بيلوب قرآن عظيم الشاندين نيجه آيات
كريمة، قواعد عريبدن خارج دارزناده اوزره راي فاسدلري ايله معنى لر
ويروب كفره ومنافقين حقلرنده اولان آيات قرآنيي اصحاب كرام
مذكورون حقلرنندن درديوب مسلمينك قتلرني مباح ونساء لرنندن اسير
ايتكلرينك بلا نكاح وطى لرنني حلال بيلوب مؤمنيك جنته روية الله

(١) هو عبد الله أفندي يكيثـهـرلي، له 'بهجة الفتاوى' مطبوع، توفي سنة

١١٥٦هـ/١٧٤٣م. قاموس الأعلام ص ٣٠٩٨.

(٢) في الأصل: نساءكم

(٣) نص هذه الفتوى في دفتر مهمة ١٣١ ص ١٧ بتاريخ ١١٣٥هـ.

انكار ومحال در ديوب علماء ضاله سي بو وجه اوزره فتوى لروپروب
رئيس لري اولان شاه وسائر حكام كمراهلري وسائر تابع لري بو اقوال
كاسده وافعال فاسده بي حق اعتقاد يلبسه لر بومقوله اقوال وافعال اعتراف
ايدن ملا عينك تمكن ايتكلري ديارلري دار الحرب او اوب كندولر اوزره
احكام مرتدين اجراء اولنورمي؟ الجواب: ديارلري دار الحرب در
واوزرارينه احكام مرتدين اجراء <٥٦ب> اولنور.

في بيان إرسال الوزير سرية إلى نواحي همدان

وقد بقيت فتوتان لم أذكرهما لتضمن هذه إياهما، فتأهب للترحال،
وجمع رجاله الأبطال، وسار بخميس أرهبت راياته، وأوهنت مذ أعجزت
آياته. فلما بلغ كرمان شاه^(١)، خرجت إليه أمراؤها لتتلقاه، فألقت إليه
مفاتيح البلد، حيث علمت أن لا طاقة لها بخصام ذلك الأسد^(٢).

في بيان نهب تلك السرية قافلة للعجم

ثم إنه لما حل ناضيهما، وملك دانيها وقاصيها، وجه سرية لبعض
المقاصد، ورأس رجلاً يقال له تيمور على أولئك الفرسان، فظفروا في

(١) كذا يكتبها المؤلف، وسيكتبها أيضاً كرمان شاهان، وهو أصل اسمها، ويختصر
اسمها عادة إلى كرمشاه، وعربها العرب قديماً باسم قرميسين، مدينة شهيرة في
غربي إيران، تعد مركزاً إدارياً مهماً لمنطقة تحادد الحدود العراقية، وتعد همدان
أهم توابعها.

(٢) دوحة الوزراء ص ١٧.

طريقهم بقافلة عظيمة، وراحلة عميمة، قد خرّجت من أصفهان تريد بعض العمارات من تلك الجهات، وفيها من نساء الأشراف الأكابر، وبنات الأمراء الأفاخر، من يسمو على درة الغوّاص، ويُنوف على ظئبة القنّاص، ومعها أيضاً المال الجزيل، والأثاث الجليل، فقتلوا رجال تلك القافلة، وأخذوا كل راحلة. وسبّوا النساء، واستأصلوا الإمام، لكنهم لما شاهدوا النساء مُبالغين في الاحتجاب، مُواظبين على التستر بكل حجاب، تلوّح عليهن سيماء الكمال، وتبين منهن علامات الإجلال، علّموا أنهن نساء أكابر، وصاحبات أُمّاجد أفاخر، فخشوا من الدستور الأكرم، والوزير الأقخم، إذ ربما لم يكن له ميل إلى أسرهن، ولم يَجَنَح إلى سبّيهن بأسرهن، أما لكونهن مُسالمات،^(١) وأما من أهل الحرب، لكن كانوا خوّفاً من بأسه عليه قادمين. وأما لكون عادته القديمة حفظ النساء، ولم ير سبّيهن وإن <١٥٧> كُنَّ من أشدّ الأعداء، فأخذوا الأموال، ولم يتعرّضوا للعيال، لكنهم جاءوا بهنّ إلى كرمان شاهان لدى حضرة رئيس الفرسان، فلما أبصرهن رجال دولته، وأنفقَهن صرّاف أبيهته ويسالته، علّموا أنهن نساء أمراء وخوانين وكُبراء، فسألوهنّ، فوافق جوابهنّ الفراسة، فعاملوهنّ بأحسن مُعاملة وأتمّ سياسة، ووضعوهنّ مع عيال ميرزا عبد الرحيم، حيث كان من أهل كرمان شاه، وبها مقيم، إلى أن يأتيهم الخبر اليقين، وتردّ عليهم جليّة الخبر على التعيين. فقبل أن ينوي الدستور السّفر

(١) في الأصل: مسالمين

والنَّفير من ذلك المكان، أتاه سِفْرٌ مع سَقِيرٍ من سادات هَمْدان، حين سَمِعُوا
بأسر هؤلاء النساء، وأَحْسُوا باستتصال الأموال والإماء.

في بيان مضمون كتاب أهل همدان

مضمونه: أن هؤلاء النساء أكابر السادة الفاطميين، وأبناء أهل
السيادة الحسينيين والحسينيين، وإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال:
إني تارك فيكم خلفاً لو تمسكتكم به لن تحيفوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل
بيتي. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).
فَنَتَوَسَّلُ إليكم بالرسول الكريم، والنبي الشفيق الرحيم، أن تتفضلوا على
أولاد أصحاب العباء، وأطفال من كان تحت الكساء بالإطلاق، وأن
تعاملوهم بحسن الأخلاق، وتَنَجَّرُوا الفُوزَ عند جَدِّهم الشفيع المشفع، يوم
يُشِيب الوليد مما يرى ويسمع.

في بيان كتاب الوزير إلى همدان

فحين وَرَدَ الْكِتَابُ، أَمَرَ الْجَنَابُ <٥٧ب> الْمُسْتَطَابُ، مُفْتِي
الْأُورْدِي^(٢)، الشَّيْخَ حَسِينَ الرَّائِي، أَنْ يُجِيبَهُمْ بِمَا هُوَ وَاقِعٌ، وَأَنْ لَا يُمَارِي
وَلَا يُدَافِعَ، فَأَنْشَأَ كِتَاباً لَمْ يَخْطُرْ بِالْبَالِ سِوَى مَعْنَاهُ، وَلَمْ يَبْقَ فِي ذَا الْحَالِ
غَيْرَ فُخْوَاهُ، وَهُوَ أَنَّ سَبَبَ غَزْوِنَا بِلَادَكُمْ، إِنَّمَا نَشَأُ عَنْ كُفْرِكُمْ وَعِنَادِكُمْ

(١) الثَّوْرِي، مِنْ آيَةِ ٢٣.

(٢) الْأُورْدِي، وَالْأُورْدُو: لَفْظَةٌ تَرْكِیَّةٌ بِمَعْنَى الْجَيْشِ.

وانتهاككم حرمة الصحابة، وتمسُّكم بوسمة^(١) القرابة، وسبَّكم الشُّنَّخِين بِكُلِّ مَسَبَّةٍ، وقَذَفَكُم الصَّدِيقَةَ بِمَا بَرَّأَهَا مِنْهُ رَبُّ الكَعْبَةِ، لكن حين وُسِّمْتُمْ باسم القرابة من خير المرسلين، يبقى لكم علينا الإكرام المُجَرَّد، كما إنَّا نُكْرِم الآية المنسوخة الحُكْم بأن لا نُجَوِّز قِراءتها لصاحب الحَدِّث الأكبر، ونحو ذلك مما يجب أن يُراعى في سائر الآيات دون العمل، ونحن إن شاء الله ما نُقَصِّر في ذلك مُراعاةً لهذا الاسم الشريف.

وثانياً من المعلوم المقرَّر عند أهل العلم وأرباب الدراية والرؤايسة أنه لما نَزَلَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْزِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) جَمَعَ أهل بيته، ومن جُمَلَتهم فاطمة - رضي الله عنها وأرضاها - التي هي بِضْعَةٌ منه، ومن جُملة ما قال في إنذاره لهم: يا فاطمة بنت رسول الله لستُ أغنى عنكَ من الله شيئاً، يا علي، يا فُلان، إلى آخر أهل بيته - رضي الله عنهم وأرضاهم - لا أغنى عنكم من الله شيئاً. وكذلك تأملُوا ما وَرَدَ من قوله صلى الله عليه وسلم: (من أبْطأ بِسَهْ عَمَلِهِ لم يُسْرِعْ به نَسَبُهُ) وكذلك تأملُوا في قرابة أبي لهب، وبعْدَ سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وكيف ذمَّ الله تعالى أبا لهب بقوله عزَّ من قائل: ﴿ثَبِثْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبْ﴾^(٣) إلى آخر <٥٨> الآية. وكيف قال صلى الله عليه وسلم: (سلمان مِنَّا أهل البيت). وهل هذا إلا بسبب عِناد أبي لهب، وإغماضيه الحق، وإذعان سلمان وأتباعه الصَّدِّق، وكثيرٍ من

(١) الوسمة ورق للنيل أو نبات يختضب بورقه.

(٢) الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) المَعَد، الآية ١.

هذا لو فصلناه عليكم لكَلَّتْ الأَقلام من كلام النبوة والآيات وكلام العلماء،
كقول ابن الوردي^(١) رحمه الله. شعراً [من الرمل]:

لا تَقُلْ أصلي وفصلتي^(٢) أبداً إنما أصلُ الفتى ما قد حصَل
إنما الورد من الشوك وما يَحْصَلُ^(٣) النرجس إلا من بَصَلِ

هذا كله يَدُلُّكم على فهم ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٤). ولكن يبقى لكم
علينا أن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَتُعْظَمُوا أَصْحَابَهُ، وَتَكْفُوا لِسَانَكُمْ عَمَّنْ
مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ قَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ^(٥)
رُكْعًا سَاجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٦) (الآية)، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ
وَأَقْبَلْتُمْ عَلَيْنَا بِهَذَا الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ يَكُونُ لَكُمْ مَالِنَا، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا،
وَتَطْلُبُونَ مَا طَلَبَهُ أَبُو سَفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْفَتْحِ، أَعْطَاهُ الْعَطَاءَ الْجَزِيلَ حَيْثُ أَمَّنْهُ وَأَمَّنَ جَمِيعُ
مَنْ يُؤْمِنُهُ أَبُو سَفْيَانَ، وَنَحْنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - نَقْتَدِي بِفِعْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَفْعَلُ مَعْرُوفاً بِسَبَبِ اسْتِنَادِكُمْ إِلَى اسْمِ السِّيَادَةِ، نَذْخِرُهُ عِنْدَ

(١) البيهقيان لزين الدين عمر بن الوردي في لاميته.

(٢) في الأصل: وفضلتي وقد صححت في الهامش بكلمة (فصلتي).

(٣) وفي رواية: ينبت.

(٤) الحجرات، من الآية ١٣.

(٥) في الأصل: تراهيم.

(٦) الفتح، من الآية ٢٩.

اللَّهِ وعند رسوله، نرجو خَيْرَهُ في ذُرِّيَّتِنَا وفيْنَا في الدنيا والآخرة [من الطويل]:

(وكلُّ إِنْاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ)^(١)

وإِلَّا فَأسلافُكم لم يَقْدَمُوا مع أسلافنا خيراً، لَمَّا أَقْدَرَهُمَ اللَّهُ تعالى على الاستيلاء على <٥٨ب> بلد السلام، كيفَ صَنَعُوا مع السادات الذين هم من نَسْلِ الحَسِيبِ النُّسَيبِ الشيخ عبد القادر الكِيلاني^(٢) - قَدْسَ اللَّهُ سِرَّهُ العزيز - من الأمور التي تُبكي الحَجَرَ لو كان له أذن يَسْمَعُهَا.

وإن شاء الله تعالى أحوالنا وأفعالنا ليست كأحوالكم وأفعالكم، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) وطلباً للإصلاح عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٣) (الآية) فإذا عَلِمْتُمْ هذا فاعلموا أيضاً أن رئيس العلماء الأعلام، ومفتي الأنام، وشيخ الإسلام - أَيْدَهُ اللَّهُ الْمَلِكِ الْعَلَامَ - قَدْ سَطَرَ إلينا فتاوى مُدَلِّلة مُصَرِّحة لنا بأمورٍ إلى الآن ما فَعَلْنَا معكم بعضها، إذ مِن جُمْلَتِهَا الْقَتْلُ

(١) هذا مصراع في بيت للحيص بيص.

(٢) هو السيد محيي الدين عبد القادر الجيلاني أو الجيلاني ثم البغدادي الحسني (٤٧٠هـ - ٥٦١هـ) ولد في جيلان، وقدم بغداد شاباً، فتعلم وقرأ، وجمع بين العلم والحديث، وبين الزهد والتصوف، وتولى التدريس في مدرسة القاضي المخرمي، وألف كتباً عدة، فطار صيته، وحينما توفي، دفن في هذه المدرسة، فتحولت مع مر الزمن إلى جامع كبير، وأصبح مرقد مزاراً للمعجبين به، والمفتعبيين إلى طريقته التي عرفت بالقادرية نسبة إليه.

(٣) هود، من الآية ٨٨.

استئصالاً، ووافقه على ذلك علماء الروم، وقبّله سلف أسلافه أبو السعود^(١) - رحمه الملك المعبود - نقلاً عن رواية الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - كل ذلك بتتقيصكم قوماً كراماً مدحهم الله تعالى بقوله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ الآية^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية، وكذلك قولكم بالإفك الذي عظم الله أمره بقوله عز من قائل: ﴿إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسِّبْتِ﴾ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظمكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾ الآيات^(٣) نحو الأربعة عشر آية^(٤)، أو أزيد، كلها تدل على البراءة، وأنتم تؤولونها، ما هذا إلا عناد وضلال مبين ومصادمة^(٥) للقوآن العظيم، فبهذا نفعل معكم ما نفعل. وأما قولكم ما دعوتونا قبل هذا، ليس

(١) هو الشيخ أبو السعود أحمد أفندي بن محيي الدين مصطفى العمادي، نسبة إلى موطنه مدينة العمادية في العراق، عرف بالتفسير والفقه والعقائد، وتولى منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م وله تفسير مشهور سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم) وتوفي سنة ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م قاموس الأعلام ص ٧٢٢.

(٢) التحريم، آية ٨.

(٣) النور، الآيات ١٥-١٧.

(٤) الصواب: نحو أربع عشرة آية.

(٥) في المطبوع: معرضة.

هذا أمراً بيّناً ليلاً، ولا جرّ الدّنجور عليه نَيْلاً. قد شاع وذاع، وملاً
الأسماع، ولم يأت أحدٌ من طرّقكم مع إنّا لا نُؤذي مَنْ تَوَجَّهَ إلينا نَحْقَظْهُ
من جميع ما نَحْقَظْ مِنْهُ أَنْفُسَنَا، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾^(١) <١٥٩>

الحمد لله قد ملاً الله قلوبنا شَفَقَةً ورحمةً، وبحمده تعالى نساؤكم
اللاتي ذكّرتموهن في كتابكم لم يَطْرُقَ إِلَيْهِنَّ طَارِقٌ لِلْحِفْظِ وَالْأَمَانِ، مع
عيال مُحِيكُمْ ميرزا عبد الرحيم وبقية أخبارهنّ فهو يُنْهِيهَا إِلَيْكُمْ، فأقبلوا
ولا تَخَافُوا ولا تُرَاعُوا، وإن شاء الله تعالى ما يكون إلّا ما يُرْضِيكُمْ أَنْتُمْ
ومن يَتَّبِعْكُمْ، ليسَ لكم مِنَّا إلّا الْحِمَايَةُ وَالرَّعَايَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثم جاء منهم كتابٌ يَتَضَمَّنُ رَدَّ الْجَوَابِ، مَشْحُوناً بِالنَّقِيَّةِ، مُسْتَعْمِلاً
بِالتَّوْرَةِ الظَّاهِرَةِ الْجَلِيَّةِ، وصورته:

بعد الْبَسْمَلَةِ، نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ
الْمُطَهَّرِينَ، وَخُلَفَاءَهُ الرَّاشِدِينَ، وَأَصْحَابَهُ الْمَرْضِيِّينَ، خَيْرَ أَهْلِ بَيْتٍ وَخُلَفَاءِ
وَأَصْحَابِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَنُؤْمِنُ بِمِلَّةِ اللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُسْأَلُ عَمَّا
<٥٩ب> يَفْعَلُ، وَنَحْنُ مُسْؤُولِينَ.

(١) التوبة، الآية ٦-٩.

أما بعد، فقد ألقى كتاب كريم من عزيز كريم، إلينا، معاشير الذرية المصطفوية وباقي المسلمين المسلمين المنقادين. لعمري حقيق أن يكتب بالنور على خدود الخور، وقد وضح الصبح لذوي عَيْنين، وقد أشرتم - أدام الله تعالى أياكم - بأنكم تجزون مَنْ وَجَدْتُمُوهُ محكماً على ما يجب له من العمل بِوَصِيَّةِ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وتَعْتُونَ بالمُحْكَم من بقي على شريعته وأتبع هواه وسُنَّتَه وعَظَم أصحابه وِفَرَقَتَه. فهذا نحن - بحمد الله - نَقَرُ بشريعته ونتبع سُنَّتَه ونُعَظِّم أصحابه وِفَرَقَتَه، ونَبْرَأُ إلى الله مِنْ يَتَّبِعُ غيرَ سبيل المؤمنين، ومن شَقَّ القلوب، وشَرَحَ الصدور، وأظهر المستور، حتى عِلِمَ أن قولنا قول الزور، وأن اللسان غير مُوافق لما في الصدور، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١).

ولا يخفى عليكم - حُرِّسَكُمُ اللهُ - إنا نَشَأُنا في دارِ قَوم لا نستطيع الخروج من بين أظهرهم لأجل الذراري والأموال، فنحن نُدَارِيهم ما دُمنا في دارهم، ونَرْضِيهم ما دُمنا في أرضهم، ولنا بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رضي الله عنه - أسوة حسنة، وأما الآن فقد ظَهَرَتِ الحُجَّةُ، وَوَضَحَتِ المَحَجَّةُ، فَإِنْ يَمُتِرُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الوصول إلى خِذْمَتِكُمْ، والفوز بِرُؤْيَتِكُمْ، وهو المُيَسَّرُ لكل عسير، فهو المُبْتَغَى والمطلوب، وإلَّا فلنا عليكم العَهْدُ والذِّمَامُ، وَجِبَ عَلَيْكُمْ لَنَا الإِكْرَامُ، فَإِنَّ المسلمين يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ. وعلى <أ٦٠> ما عَرَضْنَا عَلَيْكُمْ تَتَفَعَّلْنَا قَرَابَةً

(١) النساء، الآية ٩٣.

الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولَسْنَا مِنْ أَبِي لَهَبٍ، وَلَا أَبُو لَهَبٍ مِنَّا،
بل سلمانُ منا أهل البيت.

وأما أفعال الأسلاف مع السادات الذين هم من نَسْلِ الحُسَيْنِ التُّسَيْبِ
الشيخ عبد القادر الكيلاني - قُدَّسَ سِرُّهُ العَزِيزُ - فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَى، ﴿أَفْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١).

وأما قولكم - دام مجدكم - فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُمْ عَلَيْنَا بِهَذَا الأَمْرِ
المطلوب، يَكُونُ لَكُمْ مَالُنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا، وَتَطْلِيُونَ مِنَّا مَا طَلَبَهُ أَبُو
سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مِنْ رَسُولِهِ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ بِهِ صَلَوَاتُ اللهِ
عَلَيْهِ أَسْوَدَ حَسَنَةٍ، لَكُنَّا الْآنَ لَسْنَا كَأَبِي سُفْيَانَ قَبْلَ يَوْمِ الْفَتْحِ، فَنَحْنُ إِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ، وَمَوَالِيكُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وأما فُتْيَا الْفَاضِلِ الْعَلَّامِ، وَالْبَازِلِ^(٢) الْقُمَقَامِ، رَئِيسِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ،
شيخ المسلمين والإسلام - أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ - فَلَنَا لَا عَلَيْنَا، لِأَنَّا نَقُولُ
وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ نَقَصَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفَرَّقَهُ
فَهُوَ فِي النَّارِ.

وأما حَدِيثُ الْإِفْكِ فَحَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءٍ، فَمَنْ قَالَ
بِالْإِفْكِ مِنَّا أَوْ مِنْ آبَائِنَا أَوْ مِنْ أَبْنَائِنَا^(٣) أَوْ مِنْ إِخْوَانِنَا، أَوْ مِنْ عَشِيرَتِنَا،
فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ نَجْتَرِئُ عَلَى

(١) الأعراف، الآية ١٧٢.

(٢) البازل: الرجل الخبير.

(٣) عبارة: (أو من أبنائنا) في الهامش.

هذا البهتان العظيم، وقد قال الله، وهو أصدق القائلين ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

وأما قولكم قد ملأ الله قلوبنا رحمةً وشفقةً، فلا نرجو منكم إلا هذا،
فقد سبقكم الكريم بن الكريم، حيث <٦٠ب> قال لأخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢).

وأما أمر الأسراء والعيال والأطفال، وكونهم محفوظين آمنين،
فليس هذا ببذع من أهل النجدة والكرم، حفظ الله - تبارك وتعالى - ما
حفظتموه منا، وأحسنتم وأجدتم حيث قلتم:
(وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح)

وأما العبد ميرزا آقا مير فهو، والله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب
والشهادة، إنه لمريضٌ، قد ركبته الحمى بعدما دخل همدان، لا يقدر على
الركوب والحركة. وأما ميرزا محمد باقر، فصبيٌّ لا رأي عنده، ولا هو
نو حزم، ولا هو يعقل، وأخواه الكيران غائبان، وحركته موقوفة على
حركة ميرزا آقا مير، ووكّل ميرزا آقا مير قريبه الأمير^(٣) ميرزا محمد

(١) النور، من الآية ٢٦.

(٢) يوسف، الآية ٩٢.

(٣) في الأصل: الأمين، وقرأها ناسخ ب: الأمير، وهو الصحيح.

حسن، والصوفي محمد يوسف، في استخلاص الأسراء^(١)، وكذا سائر السادات والمسلمين، قد وكلوهما، فَيَذُفُهُمَا يَذُفُهُم، وقولهما قولهم، والمرجو منكم الفضل والإنعام والإكرام بالإتمام، فإن رأيتم - أدام الله ظلكم على مفارق المسلمين^(٢) أن تكتبوا عهداً وأماناً يجمع من السادة الذين يعتقدون فيكم الخير، وهما السيدان المتقيان، السيد رضى والسيد إبراهيم وإخوانهم وبنو أعمامهم وذراريهم ونسوانهم من أولاد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، بأن لا يعترض أحد من عساكركم المنصورة لهم بسوء شاخصين كانت السادات إليكم، أم مقيمين لعنر في همدان وغيرها من البلاد والقرى، وسواء كانت العساكر تحت حكم الأميرين العظيمين محمد باشا والحاج عثمان، أو تحت غيرهما، فقد تمت النعمة <٦١>، ولكم عند جدّهم صلى الله عليه وسلم يذمّه ومنه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى من انتسب إليكم وحلّ لديكم.

ما كتّب على ظهر كتاب سادن همدان

هذا كتابهم، والذي على ظهره: شرف هذا الكتاب بإحاطة إنسان العين، وعين الإنسان، الأمير الكبير، عمدة الوزراء العظام الكرام الفخام،

(١) من الواضح أن كتاباً من والي بغداد قد اشترط أن يتولى ميرزا آقا مير، وهو فيما يبدو من سراة همدان، تعلم الأمرى الإيرانيين، إلا أن الكتاب المقدم منه لم يشر إلى هذا، ويمكن أن يكون هذا الطلب قد بلغ شفاهاً.

(٢) على مفارق المسلمين: عبارة في الهامش.

باسِطِ بساطِ العدل والأمان، وحافظِ قواعد الإسلام والإيمان، زينةَ مَسْنَدِ
الإمارة بدار السلام، أيّده الله الملك العَلَام. انتهى.

مَطْلَبُ تَهْمَةِ تَيْمُور

وبسبب هذه القافلة المأخوذة، أَتَتْهُمْ تَيْمُور المذكور بمالٍ جَزِيلٍ،
فَخَشِيَ على نَفْسِهِ، وَالتَّحَقَّ بدار الأفغان، فأمر الوزير المذكور، ضُوعِفَتْ
له الأجور، مَقَّتِي العسكر الشيخ حسين الراوي، بأن يكتب للأمير محمود
كتاباً يَذْكُرُ فيه أن لا يَقْرَبَ تَيْمُور وَمَنْ مَعَهُ، ومع ذلك يُشِيرُ لهم إلى كَثْرَةِ
الجنود، وإلى فتح كَرَمَانَ شاهان وما ولاها من الحدود.

مطلب كتاب الوزير للأمير محمود

فَكَتَبَ بعد البَسْمَلَةِ: الحمد لله الذي أَطْلَعَ نجمَ الإقبال في أفق الزمان،
وأَنار مَنارَ الإيمان في سائر الآفاق والأركان، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد المبعوث بأشرف الأديان، وعلى آله وصحبه الفاتحين لأعظم
القبلاع والبلدان.

أما بعد، فسلامُ الله وتحياته الوافرة، وتوفيقُ الله وإمداداته
المتكاثرة، تُهْدِي إلى ذروة المجد الشامخ، وسنام العِزِّ الباذخ، وَقَلَّةَ عِلْمِ
السَّعْدِ الرَّاسِخِ، من حُمِدَتْ سيرته فأصبح محموداً، وطابت سريرته فكَانَ
مُؤَيِّداً مشهوداً، صاحبَ الهِمَمِ، وثابتَ القَدَمِ، لا زال سيفه قارِعاً هامَ أَهْلِ
الضُّلالِ ما طَلَعَ <٦١ب>، نجمُ السعود والإقبال.

وبعد، فالداعي إلى نَمَقِ حروف المِداد، في طرسِ المحبّة والوداد، هو أنه لما استَوَيْتُمْ على حَوْزَةِ أَصْفَهان، ونَشَرْتُمْ في أرجائها أعلام الإيمان لِكُفْرَانِهَا بنعم الله، وَخَوَضَ من فيها بما لا يُرضي الله، تَشَنَّقَتْ لذلك أَسْمَاعُنَا، وطابَتْ لذلك قُلُوبُنَا، عملاً بقوله^(١) صلى الله عليه وسلم: لا يَكْمُلُ إيمانُ أحدكم حتّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. فلذلك وجَّهنا إلى حضرتكم سفيرنا الأكرم، ورسولنا الأقدم، الحاج عثمان أغا، مُهِنِّناً مُخاطباً. فَلَعَمْرُكَ ما سَمِعْتَ أُنْذَنهُ بأحسن مما رأى بَصَرُهُ، فلم تَمُضِ الأوقات، حتّى تَوَجَّهَ قافِلاً من حضرتكم بجميل ما سَمِعْتَهُ أُنْذَنَاهُ، ووَعَاهُ قلبُهُ ورأته عَيْنَاهُ، وارتَضَاهُ لُبُّهُ، إلى أن جاء إلى هَمَدان الفاجرة، ذات الأديان الدائرة، فَمَنَعُوهُ من الوصول فوراً، وأعاقوه بِحَبَائِلِ مَكْرِهِمْ وبَغْيِهِمْ كالمَسْجُونِ في كَارِبَانَ سَرَاي^(٢)، يُرْهِبُونَهُ وَيُخَوِّفُونَهُ، حتّى يَسْتَخْلِصُوا كتابكم الكريم، وَيُهْدُونَهُ بِالْعَنَتِ الأليمة، فلم تَأْخُذْهُ في الله لَوْمَةٌ لائِمٌ، وكان كما قيل شعراً^(٣). [من الطويل]:

وَأَثْبَتَ فِي مُسْتَقْعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ لَحْمَصِكَ الْخَشَرُ

(١) في الأصل: عملاً لقوله.

(٢) كذا كتبها المؤلف، والمشهور (كروان سراي)، لفظة تركية مركبة من (كروان = قافلة) و (سراي = قصر، مقر منزل) فيكون معناها: منزل القوافل، وتطلق عبادة على الخانات التي تكون في الطرق الخارجية.

(٣) البيت لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي.

إلى أن صارت أرواح التشجيع بأخباره إلينا، فتأججت نار الغيرة والحمية، وبعثنا بواعث المجد والسجية، إلى تجهيز جيش خميس، مع لئب العريس^(١)، تحت عجاجته كل قرم^(٢) إلى لحومهم قرم^(٣).

فلما وصل الجيش حدود كرمان شاهان، وأخبرتهم عيونهم بما سيكون وما كان، لم يسعهم إلا تقطيع <٦٢> حبال مكرهم، وإطلاق المشار إليه من ورطة أسرهم سالماً لم يتلغوا منه مراداً، فلما وصل إلينا بالأخبار السارة، والأفعال البارة، حق علينا أن نقول له شعراً. [من البسيط]:

ناشدتك الله يا راوي حديثهم حدث فقد ناب سمني اليوم عن بصري

فحدث إلى أن ملأ القلوب سروراً، وأظهر نعمة وحوراً، فوجّهناه بما حمل إلينا، وبث لدينا، إلى السدة العلية، والحضرة الأحمديّة، والدولة المحميّة، مشيئة الأركان، قوّة البنيان، لازالت محفوفة من الله بالأمن والأمان، فأنهى إلى الحضرة العلية ما أنجاه، وبث ما سمعه وأبداه، ذاكراً محامد محمود، ناثيراً ثم أهل الدين المردود، بما لا يسع الطرس ذكره.

فلما علمت بالملاعين، وما هم عليه من الضلال، درت عروق الحمية غضباً عليهم، واهتماماً بقمع كيدهم، آمرين لنا بالقيام على ساق الانتيصاف، وإخماد نار أهل الاعتساف، لأن يكون البدء محموداً والعود

(١) العريس: مأوى الأسد.

(٢) القرم من الرجال: السيد المعظم.

(٣) القرم الذي اشتدت شهوته للحم.

أحمد، مُساعدةً للدين، ومُسارعةً لمُوافقة المُحقِّين، بمُوجب (المُؤمنون كالبنّيان يَشِدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً) فلما وَرَدَ علينا المُقير الخبير، شَمَرْنَا عن ساعد الجِدِّ والاجْتِهَاد، نافِرين إلى الغزو والجهاد، خوفاً من أن يَصْدُقَ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية^(١). وإن شاء الله تعالى المنعى واحد، والمقصّد واحد، وغيره الدين حاملةً لنا ولكم على ذلك إلى أن ننظر <٦٢ب> ما آخر أمر المُفسدين، ولا شك أن العاقبة للمتقين.

فلم تَزَلْ سيوفنا تعمل في رقابهم إلى أن نُدْخِلَ^(٢) في حوزتنا ما كلن تحتها قديماً من القلاع والبلدان، مما أدخلوه في حوزة إيران، من الممالك التي ألهانا عنها أولاً العمل بما هو أهم، من مُكافحة كُفْرَةِ الأصل^(٣)، حتّى وضعنا^(٤) لذلك مع شاء العجم صلح مُشاركة إلى وقته المعلوم.

فالآن أن طلوع فجر الإيمان على ظلمات ليل الضلال والطغيان، فلتعمل سيوفنا كما عملت سيوفكم من الجانب الآخر إلى أن يُطَهَّرَ الله الأرض من ملوثات الكُفر وقاذورات الضلال، وتكون كلمة الله هي العليا لأنهم طَغَوْا وَبَغَوْا وَطَعَنُوا في الدين، وحكموا بكُفر المسلمين، فأذن الآن في قتالهم بموجب قوله تعالى^(٥) ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ

(١) التوبة، من الآية ٣٨.

(٢) في المطبوع: تدخل.

(٣) يريد الحرب على الجبهة الأوربية.

(٤) في المطبوع: وصفتنا.

(٥) سقطت (تعالى) من المطبوع.

فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ^(١) فالحمد لله قد استولينا
بِنَصْرِ اللَّهِ عَلَى حَوْزَةِ كَرَمَانَ شَاهَانَ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ هَمَدَانَ، وَأَنْحَاءِ
صَاوِقِ بُولَاقِ^(٢)، وَبَعْضِ أَعْمَالِ لُورِ سْتَانَ، وَبَعْضِ بَقَاعِ وَبُلْدَانِ عَنُودَ فِي
بَعْضٍ، وَتَأْمِينًا فِي بَعْضٍ بِمَوْجِبِ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ﴾^(٣). وَعَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَخَذَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتِجَارَكَ
فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٤).

فَالْآنَ قَدْ دَخَلَ مَا ذَكَرَ مِنَ الْبَقَاعِ تَحْتَ بَيْعَةِ سُلْطَانِنَا الْأَعْظَمِ، وَإِمَامِنَا
الْمُقَدَّمِ، وَخَاقَانِنَا الْأَكْرَمِ، ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، سُلْطَانِ الْبَرِّينَ وَالْبَحْرَيْنِ،
خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، الْمُبَايَعِ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالْمِصْرَيْنِ، الْقَائِمِ
بَأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ الْكُبْرَى <١٦٣>، الَّذِي هُوَ بِكُلِّ مَنْقَبَةٍ أَحَقُّ وَأَحْرَى، لَا زَالَ
مُؤَيَّدًا بِنَصْرِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، مَصْنُونًا مِنْ كَيْدِ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، فَلَمَّا دَخَلُوا

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

(١) التوبة، الآية ١٢.

(٢) يفهم من الفرمان الصادر بتاريخ أوائل شوال سنة ١١٤٣ هـ أن صاوق بولاق
كانت قد أصبحت - بموجب التنظيمات العثمانية في أثناء الحرب العثمانية
الإيرانية - لواءاً أوكل إلى أمير اللواء فرهاد محمد باشا زاده (دفتر مهمة ١٢٦
ص ٤١) وورد اسمها في أرجوزة السيد فتح الله القادري (نشرها الأستاذ سعيد
الديوه جي في ملحق منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء، الموصل ١٩٥٥،
ص ٢٤٩) بلفظ (صادق بولاغ) وقال الأستاذ سعيد الديوه جي في تعليقه له: هي
مدينة صاو بولاق، أو صاوجيلاق، إحدى مدن إيران الغربية القريبة من الحدود
العراقية.

(٣) الانفال، الآية ١٢.

(٤) التوبة، الآية ٧.

تحت بِنَّة الحق، وظَهَرَت منه أمارات الصِّدْق، عُمِّرَت المساجد، وأظْهَر عِبَادَتَه العابد، وأُقيمت الجُمُع والجماعات، وحكمت فيهم العلماء والقضاة، حتى جَرَّت فيها الأحكام، وفُرِّق بين الحلال والحرام، ذلك فضلُ من اللّٰه علينا، وإن شاء اللّٰه تعالى في صَنْدِرِ الرِّبيع الأزهر، وطيب الهواء الأعطر، نُجَهِّزُ الجُحْفَلَ الأكبر، والبحر الأزخر، جيش الإيمان والإسلام المنصور من العليم العلّام إلى تسخير هَمْدان ولُورستان وما يتبعهما من الأماكن والبلدان.

نحنُ من هذا الطَّرَف المذكور، بهذا الجيش المنصور، ومن طَرَف تَقْلِس^(١) الوزير المُفخَّم، والدستور المُكرَّم، المُشار إليه بأنامل العِزِّ والإقبال، الحاج مصطفى باشا محافظ أرض رُوم^(٢). ومن طَرَف وان

(١) مدينة في إقليم جرجستان (كرجستان)، استولى عليها العثمانيون سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م، ثم تنقلت بين حكم الروس والإيرانيين، حتى استولت عليها روسيا سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م فأصبحت قاعدة لكرجستان، ومركزاً للإشراف على بلاد القفقاس. قاموس الأعلام ص ١٦٥٨.

(٢) يستفاد من الوثائق الرسمية العثمانية المعاصرة لهذه الأحداث أن مصطفى باشا كان والياً على الموصل آنذاك، وقد أمر بالانتحاق، على رأس جيشه، بقيادة والي بغداد حسن باشا. (نقتر مهمة ١٣٠ ص ٣٦٤ أوائل شعبان ١١٣٤هـ) وأن إبراهيم باشا الداماد، والي أرضروم، هو الذي كلف بقيادة الجيش الزاحف على تقليس، بعد أن تأكد للجهات العثمانية أن خان تقليس شق عصا الطاعة على الشاه الإيراني وقتل عدداً كبيراً من الرجال ونهب أموالهم، وبات يهدد سكان المنطقة، وبخاصة اللزك الذين كانوا موضع عطف الدولة. (نقتر مهمة ١٣٠ ص ٤٥٨، أوائل محرم ١١٣٥هـ). وينظر أيضاً تاريخ جليبي زاده ص ١٧ وعبد الرحمن شرف: تاريخ دولت عليّة عثمانية ص ١٦١ وسليمان فائق: حروب الإيرانيين في العراق، الورقة ٩.

الوزير الثاني، رفيع المباني، الوزير عديم النظير، عبد الله باشا محافظ
الكبرلي^(١) - رحمه الله تعالى - بجيوش وافرة، وليوث متكاثرة، فإن شاء
الله تعالى إذا تلاقينا يحق علينا أن نتأسى بقوله صلى الله عليه وسلم:
(الله أكبر! خربت خيبر). إنا إذا نزلنا بساحة قوم ساء صباح المنذرين،
وكانا إن شاء الله تعالى بوقوع ذلك لمحققون.

هذا، وقبل هذا التاريخ، قد حصل فيما بين بعض خدمننا من
المعسكر بعض منافرة، وذلك مثل رجل يقال له تيمور، والآخر حسين
ونحوهما، فخانوا الله ورسوله والإسلام، وخرجوا بلا إذن منيَا لخبث
طويبتهم، ومزارة فرعهم^(٢)، فتوجهوا <٦٣ب> إلى طرقيكم، ونحن لا
نتأسف عليهم، لأن بحمد الله تعالى ممالكنا كالبحر، لا ينقصه غرق
الدلاء، ولكن أخبرناكم خبرهم تحزناً من إلقاء الفتنة بين جيش الإسلام
من مثل هؤلاء اللئام، فالأحسن أن تتحققوا أن من نَمَّ لك نَمَّ عليك، ومن
خان أخاك في الدين سيخونك، فالأولى أن يكونوا^(٣) عندكم من المردودين،
وهذه شيمة المسلمين، إلا تنظروا إلى قصة المغيرة بن شعبه لما وقع له
قبل إسلامه، أن خان برقيقته من مضر، وفعل بهم ما فعل، وفرَّ إلى

(١) هو عبد الله بن مصطفى باشا الكوبريلي، قائد عثماني كبير، فتح تبريز، ومناطق
واسعة من شمالي إيران، وقتل سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٢م عرف بأنه كان عالماً أدبياً
وله أشعار بالعربية. عثمان عصام الدين العمري: الروض النضر، بغداد ١٩٧٥،
ص ١٧٧-١٨٦، وقاموس الأعلام ص ٣٩٠٩.

(٢) في هامش الأصل: أصلهم.

(٣) (ان يكونوا) إضافة من هامش الأصل.

النبي - صلى الله عليه وسلم - لديه، كيف قال له النبي، فإنه قال ما معناه:
(أما الإسلام فنقبله، وأما الخيانة فلا نقبلها، وقال صلى الله عليه وسلم:
(أعوذ بالله من الخيانة فإنها بثست البطانة)، وإن شاء الله سيرون وبأل ما
فعلوا، ويكونون حينئذ (من المذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى
هؤلاء)^(١).

وأما ما بيننا وبينكم، ما كان لله فهو باق، والخلوص يغلب النفاق،
والمؤمنون أخوة فكونوا عياد الله إخواناً. كيف لا؟ وما مقصدنا ومقصدكم
إلا الذب عن ساحة الخلفاء الراشدين، الذين أناموا الأنام في ظل عدلهم
وأمنهم، وأقاموا الدين بقولهم وفعلهم، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه،
فقال فيهم عز من قائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية^(٢).

فالحاصل لا يكون إلا ما يرضي الله تعالى من الطرفين، إلى أن
تخمد نار الكفر ويظهر نور الإيمان، وما ذلك على الله بعزيز. ولقد
ظهرت أمارات ذلك، وتحقق <١٦٤> مجيء النصر والفتح من الجانبين،
فحق الآن أن يتلى قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾^(٣) انتهى.

(١) النساء، الآية ١٤٢.

(٢) الفتح، الآية ٢٩.

(٣) النصر، الآية ١.

مطلب في بيان وفاة الوزير رحمه الله

ثم أن المنيّة في هذا العام اختَرَمَت الوزير الهمام، والليث الجسور المقدام، ولم يُدفن في كرمان شاهان خوقاً من أن ينبشه أهل الضلال والعدوان، بل شق صدره، وغسلت أمعاؤه غسلًا لطيفاً، (وحشيت بالمسك والعنبر والكافور الأذفر، وغسل، وصلي عليه، وكفن وأدرج في صندوق هو في الحقيقة قبره)^(١) وأتي به إلى بغداد، ودفن بحذاء سراج العلماء، وتاج الفقهاء، المجتهد الأقدم، والإمام الأعظم، سيدي ذي القدم الراسخ الثابت، أبي حنيفة نعمان بن ثابت، فدفن بقربه، وقبر في أرضه وتربيته^(٢)، قبيل صلاة الجمعة. شعراً [من الطويل]:

وغيب منه في الثرى نير الهدى فغارت ذكاء الدين وانكسف البذر
ومات الندى فلتريه السن الثا وليث الوغى فلتبكيه البيض والسمر
فحق المعالي أن تشق جيوبها عليه وتنعاه المكارم والفخر
فلا تحسبن الدهر أهلك شخصه ولكن في موته هلك الدهر

وحصل في بغداد الحزن العميم، والماتم العظيم، ونذبه الرجال والنساء، وبكاه الأطفال والإماء. وتأسقوا على ما فات من أيام عدليه، وتحسروا ولم تجد الحسرات على أعوام حكمه وفصله.

(١) الكلمات الموضوعية بين قوسين كلها من الهامش.

(٢) وكان دفنه في الممر المؤدي من رواق المسجد إلى الحضرة. وليد الأعظمي:

أعيان الزمان وجيران النعمان، بغداد ٢٠٠١، ص ٨٩.

ولما خَرَّ عَمُود سَطُوتَه، وَهَوَّتَ لِلْمَسْجُودِ مَنَسَأَهُ^(١) أَبْهَتَهُ، وَتَبَيَّنَتْ^(٢) الأعراب اللثام، على انتهاز الفرصة في هذا العام؛ وأيقنوا بتجديد الخراب، وَتَهَيَّؤُوا لَجَمْعِ الأَحْزَابِ، وَشَنُّوا الإِغَارَةَ غَوْرًا وَنَجْدًا، وَقَطَعُوا طُرُقَ المَارَةِ عَمْدًا وَقَصْدًا، وَرَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَاتِلِينَ إِنَّهُ دِينَ آبَائِهِمْ، وَعَدَلُوا إِلَى الْفَسَادِ، وَاسْتَدُوا إِلَيْهِ مُنْتَثِرِينَ^(٣) <٦٤ب> لِلْقَتْلِ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ.

وهذا وأما جنوده - رحمه الله - فقد بَقِيَتْ فِي حِرَاسَةِ كَرْمَانَ شَاهَان، مُنْتَظِرِينَ أَمْرَ السُّلْطَانِ، وَقَدْ رَتَّاهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَثِيرِ، وَمِنَ الشُّعْرَاءِ الْجَمْعُ الْغَفِيرِ، لَكِنْ لَمْ يَخْطُرْ بِالْبَالِ سِوَى مَرَثِيَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِينِ الْفَتْوَى فِي بَغْدَادِ^(٤)، مُضْمِنًا غَالِبَ أَسْمَاءِ سُورِ الْقُرْآنِ، وَمُشِيرًا إِلَى الْبَاقِي بِآيَةٍ مِنْ تِلْكَ السُّورَةِ، وَسَمَّاها:

المقامة الحسنية في رثاء ذي السجايا المرضية

(١) المنسأة: العصا.

(٢) في المطبوع: وثبت.

(٣) منتثرين: آخذين بالثار.

(٤) لم نقف على ترجمة له، ولكن علمنا أن له ولداً اسمه عبد القادر كان حياً سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م، ففي وقفية السيدة عادلة خاتون المؤرخة سنة ١١٧١هـ نقراً أن أحد شهود الوقفية هو السيد عبد القادر بن السيد عبد الله النائب (أي نائب الفتوى) سابقاً. ومن شهد عليها أيضاً الشيخ عبد الرحمن السويدي مؤلف هذا الكتاب.

وهي هذه^(١):

الحمدُ لِمَن له الإمامةُ والإحياءُ، والصلاةُ على سَيِّدِ الأمواتِ والأحياءِ، وعلى آلِهِ الذين لم يطرأ لِنُوعِهِمُ الفناءُ، ما دامت الأرضُ والسماءُ على بقاء.

وبعدُ فالمعروض بعد الرِّضاء والإنقياد، لِقضاءِ رَبِّ العباد، ما حَلَّ بالعامَّة من مَوْتٍ هذا الضَّرغام، المُنْتَقِل إلى دارِ المَقام، نورُ اللَّهِ مُضْجَعُهُ إلى يومِ القيام، فيومَ قَدِمَ بِنَعَشِهِ إلى بغداد، لَزِمَت العامَّة له الحداد، وكَثُرَ العويل والنَّحيب، وكان اليوم العصيب، وما منهم إلا وهو في فعله مُصيب، إذ يَحِقُّ لأهل دار السلام، أن ييكوه مدى الأعوام، طالما حَمَى الأنام، وقَمَعَ فسادَ اللِّثام، بسببه أُقْبِحَت الفُروض، وحَفِظَت الدراهم والعروض، وصِيْنَت الأنفس والعروض، وقَوِيَت شوكةُ الشَّرْع، وثَبَّتَ للأصل الفرع. أقام الحدودَ بِنَيْبَتِهِ الخالصة بين العوام والخواص، واستوفى بِشَوْكَتِهِ القويَّة القصاص فتَوَفَّر على كافَةِ الناس، من غير مُماراة حياتهم، لقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٢).

بمَوْتِهِ كَثُرَ الاختلال، وزال الأمان، وحلَّ الخوفُ في كلِّ مكان، حتَّى احتاجت البقرة إلى آلِ عمران، لَتَحْفَظَ من <١٦٥> النهبِ وتُصان، وكَثُرَت الاضطراب، خُصوصاً في النساءِ لِطَلَبِ الطعام، وانقطعت

(١) تتجاوز هذه المقامة أن تكون مجرد مرثية لوال قضى نحبه، إلى أن تسجل، على نحو معبر، أحوال بغداد والعراق في أثناء المدة القصيرة التي أعقبت وفاة حسن باشا، وقبل تولي ابنه أحمد باشا الحكم.

(٢) البقرة، الآية ١٧٩.

المائدة عن دار السلام، فلا سَمَنَ ولا لَحَمَ ولا أُنْعَامَ، فكأنَّ الناس في الأعراف مُتَحَيِّرون، وأما الغَيْرُ ففي الأَنْفَالِ مُتَتَّعَمُونَ، وفي أماكنهم التي هي دار العِدَى آمَنُونَ. كيف نكونُ في هذا الحال ونحنُ في دار السلام؟ وما ذلك إلا لِقَلَّةِ الرجالِ وَعَدَمِ الحُكَّامِ، ولهذا وَجَبَ عَلَى كافَّةِ الأَنَامِ المُهاجِرَةُ من بِلَدَةٍ ليس فيها إمام، كَثُرَ الهَرَجُ واختَلَّتِ الآراءُ، واستنَّتِ الفِصالُ حتَّى القَرْعاءُ، وأبدت ضيابها النافِقاءُ، فرشَحَ كُلُّ قَلْبٍ بما فيه من القروح، ولم يبقَ للتَّوْبَةِ منهم باب مفتوح.

بِمَوْتِهِ ارْتُكِبَتِ الآثَامُ والوزر، وقد كان قبل الكامن في الصُّدُورِ والمُنْحَجِرِ. أخفاء العَجَزِ، ومن العِصْمَةِ أن لا تَقْدِرَ، فَظَهَرَ من بعض القلوب غُلُّها، والعاقِلُ يتلو ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(١)، سَلَيْتِ الحِجْيَ فلا رأيَ مُصِيبٍ، وإنَّ ﴿هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ﴾^(٢). وكم من شخصٍ يترأى أَنَّهُ نبيلٌ، رَكِبَ مَتْنٌ^(٣) عَمِيَاءٌ ضئِيلٌ، وسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمْرًا فَصَبَرَ جَمِيلٌ، وكم من يزعم أَنَّهُ يفعلُ الأَصْلَحَ، وقد أَفسدَ ما أَصْلَحَ، وكم من تَأَجَّجَ نارًا ورَعَدَ وبرَقَ الأَنَامُ، وما كانت إلا كَنَارِ إِبْرَاهِيمَ - عليه السلام -، ومنهم من نالَه من الحَجَرِ ما حصلَ له به الوزر، فما هم في هذه الطريفة التي عليها إلا كالنَّحْلِ قُرْصُهَا يُوجِبُ الحَتْفَ إليها.

لحق الإسلام من الذَّلَّةِ ما لحق بني إسرائيل، بموتِ هذا الكَهْفِ الظِّلِيلِ. طالما حَقَّظَ حَوْزَةَ الإسلامِ بِهَمِّهِ العالية، وحَمَاهَا وأَحْيَاهَا مَراسِمَ

(١) يونس، من الآية ٢٧.

(٢) هود، من الآية ٧٢.

(٣) في المطبوع: من.

الدين بعد اندثاره، وشيّد أركانه وبناها <٦٥ب> فَمَحَتْ أُمَّةٌ عَيْسَى مِنْ كَنَائِسِهِمْ صُورَةَ مَرْيَمَ لِتَأْيِيدِهِ شَرِيعَةَ طَهَ بِأَيَّامِهِ السَّعِيدَةِ، سَكَنْتِ الدَّادَاءُ، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ زِيَارَةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، فَجَاءَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْحَجِّ بَاطِمَيْنَانِ، وَشَاهَدُوا النُّورَ مِنْ حُجْرَةٍ مِنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ، فَلَوْ أَنَّ الشُّعْرَاءَ فِي الرِّثَاءِ لَهُ نَسَجَتْ عِدَدَ النَّمْلِ الْيُسُوتِ، لَأَسْتَقْصَاءَ الْقَصَصِ الْحَمِيدَةِ، لَكَانَتْ فِي الْوَهْنِ كَيِّتِ الْعَنْكَبُوتِ.

أُوتِي حِكْمَةً لُقْمَانُ فَلَحِقَ الرُّومَ بِهِ مَهَابَةٌ وَنَجْدَةٌ. وَكَمْ مِنْ أَنْفٍ أَنْوَفَ رَغْمَةٍ، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ لِلسَّجْدَةِ. قَطَعَ الْأَعْدَاءُ أَرْبَا إِرْبَاءً، وَفَرَّقَ أَحْزَابَ الْمَارِقِينَ وَسَبَى، وَأَعَانَهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ، بِمَا أَعَانَ يَاسِينَ مِنَ الْفُتُوحَاتِ، وَأَيَّدَ سَرَايَاهُ وَبُعُوثَهُ بِالصَّافَاتِ، فَصَادَ بِدَقِيقِ تَدْبِيرِهِ مِنْهُمْ الشَّارِدُ، وَأَكْرَمَ بِثَاقِبِ رَأْيِهِ مِنْهُمْ الْوَارِدَ، فَلِذَلِكَ غُمِرَتْ الْجَبَاهُتُ، وَأُحْيِيَتْ الْأَرَاضِي الْمَوَاتِ.

سَاقَ زُمَرُ الْمَلْحِدِينَ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ، فَارْتَاخَ وَانْجَلَى قَلْبُ كُلِّ مُؤْمِنٍ صَادٍ، فَيَا صَاحِ لَوْ فَصَّلْتَ أَحْوَالَ أَتْبَاعِهِ لَرَأَيْتَ كُلًّا مِنْهُمْ فِي الْحُرُوبِ بِصِيرَاءٍ، وَمِنْ غَرِيبِ اتِّفَاقِهِمْ أَنَّ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ شُورَى.

زُخْرِفَتْ بِلَادُنَا بِهِ وَبِأَتْبَاعِهِ، لِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْأَمَانِ، وَيَوْمَ فَقَدَهُ فَقَدَ الرِّخَاءَ، فَكَانَ يَوْمُهُ مِنَ الَّذِي تَأْتِي فِيهِ السَّمَاءُ بِدُخَانٍ، فَتَرَى فِي الْأَسْوَاقِ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةً لَطَلَبِ الْإِمْتِيَارِ، كَأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى كَثِيبٍ مِنَ الْأَحْقَافِ. وَبِمَوْتِهِ انْهَارَ نَصِيرُ دِينِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَحَصَلَ لَهُ مَا حَصَلَ مِنَ الْفَتْحِ، وَكَمْ مِنْ مَسْجِدٍ خَرِبَ عَمْرُهُ وَاتَّخَذَ فِيهِ الْحُجُرَاتُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ الْعَطِيَّةُ وَالْمِنْحُ.

أما صيته فطارَ إلى قاف^(١) من الربيع المعمور، ثم حملته الداريسات بلا خلاف إلى الطور، فكثُر ما بينها الخصب وزال <١٦٦> الغلاء، ونَمى النجم في الغبراء، وحصل لليالي بنور هذا القمر ضياء، فو الرحمن لواقعة موته - رحمة الله عليه - أورثت الحزن الشديد، وكلمت القلوب بحذها الحديد، وأظهرت المجادلة في المصر بعد تلك المأمنة، وسبق الناس من الأطراف فظن أنه أول الحشر، فكم من نفس مُتَحَنِّة قويت بأيامه السعيدة شوكة الدين، واستقام الصف يوم الجمعة من المسلمين، فتمزقت لذلك أكباد المنافقين.

سكنت الأعراب الأشقياء منازل السعداء، فحق أن يقال: هذا يوم التغابن! وكم من دهقان طلق بالتحرير نوعه، ونبذ بالعرء، واتخذ لأعوانه في المصر مساكن يزعم أنها الواقية له والمنجية من المهالك، تربت يداه وخسر! أنى يتأتى له ذلك؟ ما المستجير بها من القفار إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار. ما أهلها فيها إلا كذي النون، إذ نادى في الظلمات من هذه الحاقة التي خربت المعمور، وعمت الجهات.

فواها على دار السلام، أضحت بعد تلك النعم والإنعام، والأدهان والألبان السمالج،^(٢) مقيرة باستيلاء الأعراب على أطرافها، واتخاذهم رسائيقها معارج.

(١) جبل كان القدمون يتصورون أنه يمثل نهاية الربع المسكون من الأرض.

(٢) السمالج: اللبن الحلو.

بِمَوْتِهِ انفَجَرَتْ مِنْهُمْ الْقُرُوحُ، فَمَا هُمْ فِي أَذَاهُمْ إِلَّا كَقُومِ
نُوحٍ، طَالَمَا أَلْزَمَهُمُ الطَّاعَةُ وَاسْتَعْمَلَهُمُ اسْتِعْمَالُ الْقَيْنِ^(١)، فَحَرَّتُوا وَاطْمَأَنَّ
النَّاسُ، فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَيْقَاوِمُ هَؤُلَاءِ الْمَارِقِينَ مُزْمَلٍ بِالْجَبَانَةِ، أَمْ
يُصَادِمُهُمْ مُدْثِّرٌ بِالزَّمَانَةِ. هَيْهَاتَ وَهَيْهَاتَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْحَسَنِ اللُّوَيْلَاتِ^(٢)،
فَلْيَتَّبِكْهُ الْبَاكِيَاتُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَسَمِعْتَ هَلْ أَتَى طُولُ الزَّمَنِ <٦٦ب> مَنْ بِشَجَاعِيهِ، وَمَنْ بِهِيَّتِيهِ،
وَمَنْ وَمَنْ؟ فَوِ الْمُرْسِلَاتِ أَنْ لَمْ يَتَذَارَكِ الْبَارِي الْبِلَادَ بِنَجْلِهِ الْأَمَجْدِ، وَيَأْتِيَنَّ
النَّبَأَ بوزارة أحمد، وبأتباعه الذين كلُّ منهم في أمرِهِ مُسَدَّدٌ. لَتَمُوتَنَّ الْبِلَادُ
مَعَ الْأَطْرَافِ مِنَ الْحَشَرَاتِ لِأَنَّهَا الْآنَ مِنْهُمْ فِي النَّازِعَاتِ، عَبَسَ الْمُزْمِلُونَ
مِنْ قِلَّةِ النَّفَقَةِ، وَكَوَّرَ الْمَلِكُونَ عَنْهُمْ الشَّقَّةَ، وَانْفَطَرَتْ قُلُوبُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ
مِنْ أَحْوَالِ الْمُطْغَفِينَ، وَانْشَقَّتْ مَرَاتِرُ أَهْلِ الْغَيْرَةِ وَالْدِينِ أَسْفَاً عَلَى هَذَا
الْقَمَرِ، الَّذِي أَقْلَ فِي الْبُرُوجِ السُّلَى، وَالطَّارِقِ الَّذِي تَرَكَ الْأَنَامَ فِي ظُلُمَاتِ
الْأَوْهَامِ، وَعَرَجَتْ رُوحَهُ إِلَى الْأَعْلَى، مَا مَوْتُهُ يَا أَخِي إِلَّا الْغَاشِيَةُ، أَوْرَثَتْ
الْمُسْلِمِينَ الْقَهْرَ، وَحَصَلَ لِدُمْلٍ قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ الْفُجْرُ.

فَتَحَّ طُرُقُ هَذَا الْبِلَدِ بَعْدَ الْإِنْغِلَاقِ وَالطُّمَسِ، وَأُطْلِقَ أَهْلُهُ مِنْ مَضْلِقِ
الْحَبْسِ، فَظَهَرَ شِعَارُ الْإِسْلَامِ لِقُوَّتِهِ ظُهُورُ الشَّمْسِ، فَازَالَ ظُلْمَةُ لَيْلِ الْجَهْلِ
وَمَحَا، وَأَثْبَتَ الظَّلَالَ لِلْمُسْلِمِينَ كَالضُّحَى. شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ مَرَّةً، فَعَمَرَ

(١) القَيْن: العبد.

(٢) لعلها: الليالي، جمع لَيْلٍ، وهو تصغير لَيْلٍ.

ببغداد الجامعين^(١) وأجرى لهما المياه العذبة لا عن عين، وبعد موته شرح أخرى فثبت له شرح الصدر مرتين، طالت أيامه فكثرت الأمن والإنصاف، وعمر الغامر في الأطراف حتى اتخذته أربابه مزارع وبساتين، وغرست فيه من أنواع الشجر والتين، فزكا^(٢) الزرع وأثمر النخل المغروس، وكثرت الخصب وطابت النفوس، وصدق لموته المثل (لا عطر بعد عروس)^(٣).

(١) أحدهما جامع جديد حسن باشا الواقع إزاء مدخل مباني القسلة ببغداد، وقد عرف بجامع جديد حسن باشا تمييزاً عن جامع سابق شيده وال آخر هو الوزير حسن باشا على شاطئ دجلة، عرف بجامع الوزير فحسب. وذكر السيد محمود شكري الألوسي أنه كان قبل تعميره إياه معجداً صغيراً مشرفاً على الخراب (مساجد بغداد وآثارها ص ٣١) وكنا قد استرجعنا، بحسب معطيات خطية وقرائن، أنه مسجد سوق السلطان الذي أمر بإنشائه الخليفة الناصر لدين الله في آخر سوق العميد (سوق الهرج الحالي). مقالنا: تاريخ جامع السراي، جريدة البلد، بغداد في ١٩ أيلول ١٩٦٦. أما الجامع الآخر، فهو جامع الشيخ سراج الدين الواقع في المحلة المنسوبة إليه في شرقي بغداد، شيده عند ضريح أحد علماء بغداد سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، وأوصل إليه الماء بواسطة قناة تأخذ مياهها من دجلة. مساجد بغداد ص ٤١.

(٢) في الأصل: فزكى.

(٣) لا عطر بعد عروس: قالت أسماء بنت عبد الله العذرية. كان لها زوج يقال له عروس فمات وتزوجت من رجل اسمه نوفل وكان بخيلاً نميماً ابخر فحدث أن سافر بها فمرت بقبر زوجها الأول فبكته وعرضت بزوجها الجديد فلما نهضت سقطت منها قارورة العطر فقال لها زوجها: (خذي عطرك) فأجابت (لا عطر بعد عروس) فذهبت مثلاً.

بِمَوْتِهِ كَثُرَ الْقَلَقُ، وَحَلَّ فِي الْقُلُوبِ الْفَرَقُ، وَلَمْ يَصِفْ مَاءً لُوَارِدٍ عَنْ
 عَلَقٍ <١٦٧> آهًا لِيَالٍ مَضَتْ مَا كَانَتْ إِلَّا كَلِيلَةَ الْقَدَرِ فِي الْمَيْمَنَةِ، وَهَذَا مِنَ
 الْبَيِّنِ لَا يَحْتَاجُ ^(١) إِلَى الْبَيِّنَةِ، كَمْ مِنْ مَرَّةٍ بَغَتْ الْمَارِقِينَ وَدَهَمَهُمْ صُبْحًا،
 فَيَحْصُلُ لَهُمُ الزَّلْزَالُ قَبْلَ الْوُصُولِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ صُبْحًا، فَتَأْخُذُهُمُ الْقَارِعَةُ
 بِقَوَارِعِ السِّيُوفِ، فَمِنْ شَارِدٍ مِنْهُمْ وَمَذْبُوحٍ وَمَكْتُوفٍ. أَمَّا يَحِقُّ لَنَا التَّكَاثُرُ
 فِي هَذَا الْعَصْرِ بِهِ وَبِأَعْوَانِهِ الْأَبْطَالِ، وَنَعْرِضُ عَنْ أَقْوَالِ الْهَمْزَةِ الْأَنْذَالِ،
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ هُوَ وَاتَّبَاعُهُ بِأَهْلِ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ، أَكْرَمَ قُرَيْشًا وَبَجَّلَهُمْ
 وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْأَعْدَاءِ، وَرَفَعَ مَحَلَّهُمْ، وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْمَاعُونِ، وَنَزَّاهُمْ،
 فَجَازَاهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ وَالْكَوْثَرِ عَلَى كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِذَا جَاءَ يَوْمُ الدِّينِ، وَتَبَّتْ
 يَدَا ^(٢) الْمُشْرِكِينَ، وَنَجَّى أَهْلَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ.

قَدِمَ بَغْدَادَ فَبَدَّلَ فِيهَا الْجُهْدَ الْجَهِيدَ، وَأَبَادَ كُلَّ مُتَمَرِّدٍ مُكَابِرٍ عَنِيدٍ، ثُمَّ
 صَرَفَ الْهِمَّةَ إِلَى إِصْلَاحِ الطُّرُقِ، بِرَأْيِ غَزِيرٍ، فَبَدَأَ أَوَّلًا بِغَزْوِ الْبُغَاةِ،
 فَدَبَّحَ الْأَرْضَ بِأَبْدَانِ كُلِّ شَيْخٍ مِنْهُمْ وَأَمِيرٍ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ الْمُغَايِرَةَ لِلرَّأْيِ
 الثَّاقِبِ وَالتَّدْبِيرِ، فَأَرْدَفَهُمْ بِغَزْوِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ مُرَاعَاةً لِلنَّظِيرِ، فَعَاتَبُوا
 النَّفْسَ، وَاسْتَذْرَكُوا بِالْحَوَاسِ لَهُمْ وَلَأَجْناسِهِمُ الْمُرَاجَعَةَ لَهُ وَالِاسْتِثْنَاءَ، لَمَّا
 شَاهَدُوا مِنْ شَجَاعَتِهِ أَنَّهَا لَا تَسْتَحِيلُ بِالِانْعِكَاسِ، فَاخْتَارُوا الرِّجُوعَ إِلَيْهِ،
 وَأَظْهَرُوا الْإِمْتِثَالَ وَالْمُوَافَقَةَ فَوَاحَى بَيْنَ قِبَائِلِهِمُ الْمُتَضَادَّةِ، فَانْظُرْ إِلَى حُسْنِ
 هَذِهِ الْمُطَابَقَةِ، فَهَلْ نَحَا ^(٣) هَذَا النُّحُو مِنْ <١٦٧ب> الْوَلَاةِ أَحَدٌ، أَوْ أَعْرَبَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ: لَا يَحْتَاجُوا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: يَدَى.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: نَجَا، وَرَجَحَ فِي الْهَامِشِ أَنْ يَكُونَ الْأَصَحُّ: أَنْجَبَ.

تواريخ الإسلام بمثل شجاعة أبي أحمد؟ كم رفع مخفوضاً على التراب،
 وكم نصب خطيباً وأقامه في المحراب. حلت في الضمائر محبته، ونكست
 أعلام الخارجين إشارته، فالمقطوع عن طاعته عادته نعمته، والموصول
 بها عادت إليه صيلته، فرقع محله وعلت منزلته. فكم من رجال مفكرين
 لبسوا اللأم، وقاموا بالخدمة بين يديه، فحصل لهم التعريف بالإضافة إليه.
 جوهرة الزمان! فهل له أشباه ونظائر، خلاصة الإنسان، وبذلك
 تشهد له الضرائر، دقائق فكره لا تتفد، فكانه كنز الدقائق، رسخت عنده
 حقيقة كل إنسان، فلا يحتاج إلى قيد الحقائق. كم اهتدى به كل ذي فساد
 وغواية، فكان فيه هؤلاء هداية.

اللهم انقل هذا السعد إلى ولده النبيه، واجعله سيراً أبيه، واستخدم له
 الليالي والأيام، بالتوفيقات الجسام، واحرسه بعينك التي لا تنام، من بين
 الولاة والحكام، لأنه ابن المؤيد ومستمع الأحكام، وأعدّه من شر كل عين،
 بذواتي قل المعوذتين، واجعله لرفع هذه النوازل والمعضلات فاتحه،
 وارحم أباه، وأوصل إليه سورة الفاتحة، فلا يخفى على العلماء ما
 صرحت به الفقهاء من قولهم لا بأس بالرثاء، فهاكها فريدة زفت إلى
 كفاء خالية^(١) عن التعقيدات والكلف، وإن كان الزمان في المأثم، فرحم
 الله الذي مات وأبقى الخلف^(٢).

(١) في المطبوع: حالية، بالحاء.

(٢) في المطبوع: خلف، وقال في الهامش: ضرورة السجع اقتضت عدم جعل اللفظة
 خلفاً.

خاتمة

مات - رحمه الله - عن ذكر وابنتين. أما الذكر فهو الوزير الشهير، والمولى الكبير، أحمد باشا، كان والياً حينئذٍ على البصرة. وأما البناتان فهما الدُرَّتَانِ المصُونَتَانِ، والجَوْهَرَتَانِ المَكْنُونَتَانِ، فاطمة خاتم. زوجها أبوها الهمام، من عبد الرحمن باشا، وكان إذ ذاك من جملة أقواته^(١)، وخاصة أهل نجداته، ثم لم يزل يرقى بخدمته لهذا الوزير على صهوات المناوب^(٢)، ولم يترج بانتيايه إلى هذا المولى الكريم، تُحمد منه المناقب، حتى صار وزيراً كاملاً ورئيساً فاضلاً رحمه الله^(٣).

والصالحة الزكية والعبدة النقية المتضلعة بالعلوم الجامعة بين المنثور والمنظوم المتخلقة بالأخلاق الحسنة، والمتطبعة بالطباع المستحسنة، زوجة المرحوم المبرور الساكن من الجنة في أعلى قصور، الوزير العادل، والإمام الكامل، الأخذ من الكاملات بالحظ الأوفى، الوزير الشهير قره مصطفى باشا، ذي المآدب، والمفاخر والمناقب، التي فاق بها على الأمراء والأكابر. وكيف لا؟ وهو من أولاد العرب، وكفاه فخراً هذا النسب. وسبب بلوغه مراتب الكمال، وعروجه إلى سناء الأفضال، أنه انتسب إلى الوزير المذكور حين غزويته إلى بابا داغ^(٤) - كما تقدم - وصار عنده كاتب الديوان، لطول باعه في هذا الشأن.

(١) يقصد أغواته.

(٢) لعله يريد المناوبة فالأصل غير واضح فيه حك.

(٣) وقد ولاه كركوك، وتقدمت الإشارة إليه فيما سبق.

(٤) في المطبوع: بابا داغ.

ثم في أيام توليه هذا الوزير منصب الرُهي، جعله عنده كَتُخْدَاهُ، وبقي كذلك إلى أن وُلِّيَ هذا الوزير بغداد، فرآه أهلاً لكل كمال، حرياً بكلِّ إفضال، كفواً لأن يزوجه بهذه الجوهرة المصونة، ويشفعه بهذه السُّرَّة المكنونة، صقيّة خانم، فزوجه بها في السنة الثالثة من تاريخ <٦٨ب> توليه بغداد^(١).

ثم لم يزل يرقّيه مراتب الكمال، ويعرّجه إلى ذروة الإفضال، حتّى صار وزيراً يُشار إليه بالأصابع^(٢) - رحمه الله تعالى - وله منها الآن ذرّة الغوّاص، وظبيّة^(٣) القنّاص، ذات الحسب الطاهر من الطرّقين، والنسب الباهر من غير مّين، العارِجة إلى سماء الفضل بمِعراج الفضائل، والراقيّة ذرّة المجد على سلّم الفواضل، العالمّة العاملة، والكاملة الفاضلة، والنقيّة الوقيّة، والطاهرة الزكيّة، خديجة خانم، صاحبة الخير الوافر، والعطاء المتكاثر، والشفقة على الفقراء، والصدقة في السراء والضراء. شعراً [من المنسرح]:

لا غَرَوَ إذْ فاقَتْ الأُمائلُ فضْلاً ربُّما حُرّةٌ تُفوقُ الرِّجالاً^(٤)

(١) أي في سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م

(٢) تولى ولاية انطاولي، ثم عينته الدولة قائمقاماً (نائباً) لبغداد لتسيير دفة الحكم وضبط شؤونها في أثناء صدور الأمر إلى حسن باشا بالتوجه فوراً إلى همدان بتولى قيادة القوات العسكرية في المنطقة (دفتر مهمة ١٣٦ ص ١١٠-١١١، بتاريخ أواسط ذي الحجة ١١٤٢هـ).

(٣) في الأصل: ضبية (بالضاد).

(٤) في آخر البيت سبب خفيف زائد عن الوزن المعتاد للمنسرح.

كانت^(١) - حفظها الله - هي السبب في تأليف هذا الكتاب، حرصاً منها على حفظ السيرة والأنساب، وفقها الله لطاعته، وعاملها بمرضايته، وأنبتَ ولديها الحسين بيك وعلي بيك نباتاً حسناً، ووفقهما لأن يَخلفا في السيرة حسناً، إنسانا العَيْنِ وعَيْنَا الإنسان، وأنسا الخافقين الكوكبان النيران، حفظهما الله من شرِّ العَيْنِ وموايق^(٢) الحَدَثَانِ، وأبقاهما لبذلِّ العَيْنِ ما تعاقبَ الجديدان، وسدَّدَ أمورَ والدهما الوزير محمد باشا وأعلى مقامه، وشهرَ ذكره بالجميل إلى يوم القيامة، ووفقَه لما يُحِبُّ ويختار، وعاملَه باللطف إنه الفاعِلُ المُختار، آمين آمين آمين، والحمد لله ربِّ العالمين^(٣)



(١) الحديث مستمر عن خديجة خاتم، لأنه سينكر أن زوجها هو محمد باشا، بينما زوج صفيه خانم هو قره مصطفى باشا.

(٢) جمع موبق وهو كل شيء حال بين شينين.

(٣) إلى هنا ينتهي الجزء الذي نشره الدكتور صفاء خلوصي على ما اشرنا إليه في المقدمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَاب

فِي بَيَانِ سِيرَةِ الْوَزِيرِ بْنِ الْوَزِيرِ، وَالْهُمَامِ الْبَاسِلِ الشَّهِيرِ،
أَحْمَدَ بَاشَا بْنِ الْمَرْحُومِ الْمَذْكُورِ، وَنَجْلِ الْمَاجُورِ الْمَغْفُورِ.

فَنَقُولُ:

إِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ الْعَالَمُ، وَالْهُمَامُ الَّذِي حَازَ فِي عَصِرِهِ
فَضْلَ بَنِي آدَمَ، فَهُوَ الْفَرْدُ الْكَامِلُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَالْقَدْ الْفَاضِلُ طَيِّبُ
الْأَخْلَاقِ. قَدْ حَازَ قَصَبَ الرِّهَانِ، فِي مِضْمَارِ الْمَفَاخِرَةِ وَجَنَى جَنَى قُضْبِ
الْإِحْسَانِ، حَيْثُ كَانَ فَرْعَ يَتْلُكَ الشَّجَرَةُ الطَّاهِرَةُ، فَفَاقَ كُلَّ هُمَامٍ، وَنَافَى
عَلَى كُلِّ أَمَامٍ، نُوَ الْأُبْهَةِ وَالْجَلَالَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْبِعْسَالَةِ. الْأَسَدُ الْمُظْفَرُ،
وَالشُّجَاعُ الْغَضَنَفَرُ، وَالْبَطْلُ الَّذِي أَسَاوَدَ لَدُنْهُ ^(١) وَأَفَاعِيهِ، تَذَرُ الْأَسْوَدَ فِي
الْوَعَى فَوَائِدِ السَّرْحَانِ وَمَنْ يَجَارِيهِ. ذُو الرَّاحَةِ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهَا آيَةُ الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ، وَالْعَزَمَ الَّذِي يَوْمَ الْبِقَاءِ يَقُومُ مَقَامَ الْجَحْفَلِ الْعَدِيدِ، فَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءُ
خَوْفَ صِعَادِهِ ^(٢) مَهْجِ الْأَعْدَاءِ فَتَذُوبُ بِالتَّصْعِيدِ ^(٣)، وَعَدِمَ الشُّرَيْكُ فِي
الْعَلَاءِ فَتَزِرُهُ عَنْ اضْدَادِهِ، وَاکْتَسَبَ الثَّنَاءَ حَيْثُ قَضَتْ لَهُ كُلُّ فَضِيلَةٍ بِمَزِيَّةِ
التَّوْحِيدِ.

(١) اللدن: الرماح

(٢) الصعود: جمع صعود وهي القناة المستقيمة.

(٣) التصعيد: الازابة.

قَدْ نَضَضَتْ^(١) أَسْنُهُ الْمَوَارِقَ السَّنَا، مِنْهُنَّ السَّنَةُ الرَّدَى تَبَلَّجَ،
وَتَشَحَّدَتْ بِعِزِّهِ الْبَيْضُ الْبَوَارِقَ، فَمَضَتْ وَكَادَ كَهَامُهَا يَتَسَرَّجُ. فِيهِ أُيْنَعَتْ
حَدَائِقُ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَمَنْهُ أَزْهَرَتْ شَقَائِقُ الْمَلَّةِ النُّعْمَانِيَّةِ، وَقَوَّى رُكْنَ
الدِّينِ الْمَنِيفِ، وَأَعْلَا مَنَارَهُ، وَانْتَصَرَ لِلشَّرِيعِ الشَّرِيفِ < ب >، فَجَلَا
أَنْوَارَهُ، وَذَبَّ عَنِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ بِكُلِّ صَقِيلٍ، وَحَمَى حِمَى الْإِسْلَامِ بِكُلِّ
أَسْمَرٍ أَسِيلٍ. قَدْ وَافَى بَغْدَادَ بَعْدَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَأْوُدٍ^(٢)، فَأَقَامَ مَا فِيهَا مِنْ
التَّأْوِيدِ^(٣)، وَتَعَطَّلَتْ بِثَرِّ النِّوَالِ بَعْدَ أَبِيهِ السَّامِيِّ الْمُحْتَدِ، فَظَفَرَ الْعُقَاةَ لِسَدَى
قُدُومِهِ بِالْعَذْبِ الْمُرُودِ وَالْبَحْرِ الْمَدِيدِ، فَإِذَا انْتَجَعَ الْعُقَاةُ بَنَانَهُ هَطَلَتْ
سَحَابُهَا بِغَيْرِ رُعُودٍ، وَإِذَا اسْتَمْنَحَ الْمُقِلُّ أَحْسَانَهُ جَادَ بِمَا يَشْرَحُ الصَّنَدَرُ
وَيَسْرُ الْكُبُودُ. وَلَمْ تَزَلْ يَمِينُهُ مَشْغُولَةً عَلَى كُلِّ حَالٍ، تَارَةً بِمَقَارَعَةِ أَهْطَالِ،
وَطَوْرًا بِبِذْلِ نَوَالٍ، فَلَوْ أَبْصَرَهُ حَاتِمُ طِيٍّ لَتَرَكَ دَعْوَاهُ الْكَرَمَ، وَلَوْ رَأَاهُ
حَامِي عَبَسَ^(٤) لَسَالَ حَسَدًا مِنْ أَجْفَانِ عَيْنِهِ.

قَدْ فَاقَ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ، وَحَازَ الْفَضَائِلَ وَالْمَقَاخِرَ، وَحَفِظَ دَارَ
السَّلَامِ بِحَدِّ حُسَامِهِ، وَرَدَّعَ أَعْدَاءَ الدِّينِ الطُّغَامَ فَلَجَأَ الْكُلُّ إِلَى اسْتِسْلَامِهِ،
وَلَا سِيَّما صَوْلَةَ أَهْلِ فَارِسَ، فَكَمْ كَسَرَهَا بِكُلِّ حَارِسٍ فَارِسٍ، وَكَفَّ أَذَاهُمْ
عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَخَرَّبَ حِمَاهُمْ وَمَالَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ مِنْ كُمَاتِهَا الْأَعْنَاقُ.

(١) النضضة الاظهار والحاصل.

(٢) التأود: الترتن والتمهل.

(٣) التأويد: الاعوجاج.

(٤) يريد: عنقرة العبسي.

ذو الرأي الذي يُغنيه عن جحافل، والتَّعبير الذي يقوم مقام البطل
المقاتل، أقرت عيون الدين بآيامه، واكتحلت بأحسن أئمة^(١)، حيثُ فرّت
جموعُ الباغين من ليوثِ آجامه، وذهبت إلى كلِّ مقصدٍ، فطارَ نسرُ فخره
في الآفاق، وملاً يَمُ ذكره صحاصيح الدفائر وبطون الأوراق، فقصدته
الأفاضل، وحطت بأعتابه رجال كلِّ فاضل، واتخذته الخنكار ساعداً،
واختاره <١٧٠> معضيداً ومساعداً، واختار ما يختاره ابن الحسن، وأتبّع
آراءه على مرِّ الزَّمن شعراً [من البسيط]:

خليفة ورث المعروف عن خلفٍ فحبذا خلفٌ حاز العُسلا وأب
حرّاً إذا افتخروا قوم بمرتبةٍ ففي أبيه وفيه تفخرُ الرُّسبُ

العالم العلامة، والبحرُ الفهامة، الجامع بين الفضيلتين السيف والقلم،
المؤلف بين الدولتين الروم والعجم، ولله در القائل فيه شعراً [من الكامل]:

لا يُذكرَنَّ مديحه لسنٍ ولو	نظم الكواكب في قلاندٍ شعره
لله بين بَيَانِه وبَنَانِه	كنزٌ أفاد السائلين بِبُذْرِه
لو كان للبحر الخضم سماحة	لم يخزن الدر اليتيم بقعره
سمح لو أن النيرات جواهر	قذفت بها للوفد لجة بحره
خطب العلاء فتلطفت أمواله	ومنه وزوجهُ النوال بِبِكْرِه
تأله ما سيف الردى بيد القضا	يوماً بأفتك من نداء بوفره
لو تلمس الصخر الأصم بميتة	لتفجرت بالعذب أعين صخره
فطين يكاد الليل يشرق كالضحى	لو أن فطينته تمرُّ بفخره

(١) حجر يكتحل به.

تَرَكَ الْمَوَاهِبَ كَالْكَوَاكِبِ فَسَاهَتْ دَى فِيهِنَّ مَنْ يَسْرِي لِمِشْرِقِ يُسْبِرُهُ
غَيْثٌ يَكَادُ التَّبَرُّ يُنْبِتُ بِالرَّبِيِّ كَالنُّورِ لَوْ وَسَمَتْ بِلَوْلُو قَطْرُهُ

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مِيلَادِهِ وَبَزْوُغِ طَالِعِ اسْتِعَادِهِ

فَنَقُولُ: وَلَدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقْتُ طُلُوعِ سُهَيْلٍ، فِي قَصَبَةٍ يُقَالُ لَهَا
جَفَلَكَةٌ، فَوْقَ اسْلَامْبُولِ بَرْبَعِ فَرَسَخٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهَا النَّاسُ لِلتَّنَزُّهِ، فَشَبَّ فِي
حُجُورِ الْمَرَاتِبِ <٧٠ب>، وَرَبَّى عَلَى صَهَوَاتِ الْمَنَاقِبِ، وَارْتَضَعَ ثَدْيَ
الْمَجْدِ مِنْذُ فِطَامِهِ، وَلَبَسَ ثَوْبَ الْحَمْدِ مِنْذُ بَزْوُغِ بَدْرِ تَمَامِهِ، وَتَخَلَّقَ بِكُلِّ
خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَتَأَهَّلَ لِكُلِّ إِكْرَامٍ وَتَبَجَّلَ.

وَلَمَّا طَرَّ سِيَالُهُ، وَظَهَرَ مِنْ أَفَاقِ الطُّفُولِيَّةِ كَمَالُهُ، سَرَى مَعَ وَالِدِهِ فِي
اصْطِدَامِ الْفُرْسَانِ، وَمَقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ وَالشُّجْعَانِ، وَتَعَوَّدَ كَفَّةَ نَظْمِ الْأَبْطَالِ،
وَأَعْتَادَ سَيْفَهُ نَثْرَ هَامِ الرِّجَالِ، وَمَارَسَ الْخُرُوبَ، وَتَمَرَّنَ عَلَى تَحْمُلِ
النَّصَبِ وَاللَّغُوبِ.

[تَوَلِيهِ شَهْرُ زُور]

وَلَمَّا تَأَهَّلَ لِلِاسْتِقْلَالِ، وَتَرَدَّى بِرِدَاءِ الْكَمَالِ، عَرَضَ لَهُ وَالِدُهُ إِلَى
الدَّوْلَةِ بِإِفْرَازِهِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ، فَاتَاهُ الْبَرِيدُ بِأَمَارَةٍ شَهْرُ زُور^(١)، بِشَرَطِ
الْحِرَاسَةِ عَنْ كُلِّ طَاغٍ جَسُورٍ. فَجَهَّزَ وَالِدُهُ لَهُ الْجُنُودَ، وَعَقَدَ لَهُ الْأَعْلَامَ
وَالْبَنُودَ، وَوَدَّعَهُ وَشَيْعَهُ، وَمَنْ شِدَّةَ فِرَاقِهِ بِنْتَفَيْسِ الصَّغْدَاءِ أَتْبَعَهُ.

(١) يريد ولاية شهرزور. وقد سبق أن ذكر بأنه، أي أحمد باشا، قد تولى شهرزور في
سنة ١١٢٧هـ.

فلما دَخَلَ الْبَلَدَ الْمَذْكُورَ نَشَرَ الْعَدْلَ وَأَتَقَنَ الْإِنْتِصَالَفَ، وَطَوَى شُقَّةَ
الْجورِ وَأَوْهَنَ الْأَعْتِسَافَ، وَسَهَّدَ الرِّعْيَةَ بِتَدْيِيرِهِ، وَأَرْهَبَ أَهْلَ الْبَغْيِ
وَالْحَمِيَّةَ بِزَنْيَرِهِ، وَرَعَيْتِ الرِّعْيَةَ كُلَّ الْعَيْشِ رَاطِبًا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَأْكُلُهُ
هَشِيمًا قَشِيًّا، وَأَزْهَرَتِ الْأَيَّامُ بِنَيْرِ عَدْلِهِ، وَأَغْتَنَمَتِ الْأَنَامُ فَرْصَةَ^(١) الطُّغَامِ
بِقُوَّةِ خَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، حَتَّى وَدُّوا أَنْ يَكُونَ حُكْمُهُ فِيهِمْ مُؤِيدًا، وَتَمَنَّوْا أَنْ يَبْقَى
حَاكِمًا عَلَيْهِمْ مَدَى الدَّهْرِ مُخَلَّدًا، لِحُسْنِ طِبَاعِهِ، وَجَمِيلِ اصِطِنَاعِهِ، وَوَفُورِ
حِلْمِهِ وَاعْتِدَالِ حُكْمِهِ وَقِلَّةِ ظَلَمِهِ وَكَثْرَةِ رِعَايَةِ وَعِلْمِهِ، مَعَ كَرَمِ يَجْلِبُ قُلُوبَ
<١٧١> الْأَعْدَاءِ، وَشَيْمِ تَغْبِطَةِ عَلَيْهَا الْأَقْرِبَاءِ.

[توليه قونية]

وفي هذه السنة أيضاً - كما تقدم - ألبس جلباب الوزارة، وردّي
برداء الإمارة، فولي قونية ميمياً جهة مقصده، جامعاً الجحافل ما عدا
أعدائه وحشده، وطوى إليها المفاوز، وأسرع أمثالاً للأمر في العداء
والتجاوز، حتى قدم عليها وتسور محيط أراجيها^(٢). فدخلها بزينة بهيئة،
وجلالة رسمية^(٣)، وجلس على دست الأحكام، فرفعت إليه الجنايات
والإجرام، وعدل بين الرعية وتصدى لرفع الجور عن تلك البرية،
وحمدت سيرته الحسنة، وشكر على تلك الأخلاق المستحسنة. وجاد الدهر
بكل مسرة، وذهب عن أهل البلد زمان العسرة، فاجتئوا ثمر الأمان،

(١) الفرصة: الوقت المناسب والنهضة.

(٢) تقدم شرحها.

(٣) كذا في الأصل، وهكذا نقلها ناسخ ب، ولعلها: رسمية.

واقْتطفوا زهر الإحسان، حيثُ أذلَّ بصولته أهل الخلاف، واضعف
بجلالته في بسالته شوكة أهل الجور والاعتساف.

[توليه حلب]

وفي سلخ سنة التاسعة والعشرين بعد المائة والألف^(١)، تَوَّجَ بِتَاجِ
الرضاء^(٢)، ووَلَّى حَلَبَ الشهباء، فارتحل من قُونِيَّةٍ وَقَدْ مَلَأَ رِحَابَهَا عِدْلًا
وَأَمَانًا، وسار عنها وقد محى عنها الجور وخلف فيها مآثر حسانًا، فطوى
المهاميه والقفار، والأنجاد والأغوار، حتَّى بَلَغَ حَلَبًا، وأدرك ما طَلَّبَا،
فخرج لاستقباله السادات والأمراء والقواد والرؤساء، فدخلها بوقارٍ
وسكينة وجلالة وزينة، فعمَّر دَارِسَهَا، وقَيَّضَ حَارِسَهَا، وأكْرَمَ عِلْمَاءَهَا،
وقَرَّبَ أَمْرَاءَهَا، ورفع لواء رَأْفَتِهِ، وأبدى منشور شَفَقَتِهِ، فَرَفَعَتْ <٧١ب>
إليه الأحكام، من الخاص والعام، فحكم بمقتضى الشريعة، غير جاعلٍ إلى
الجور والحيف وسيلةً ولا نريعة، بل عدلَ عدلَ عمر، وردَّعَ أعداءه
وقهر، فشكره أهل حلب، حيث نتجت بأيامه قضايا الأرب، وزال عنهم
بمقامه العطب، وعدم فيهم اللُغوبُ والنَّصب.

(١) أي أوائل سنة ١٧١٦م.

(٢) الرضاء: الاسم من رضي.

[توليه البصرة]

وعلى رأس السنة الحادية والثلاثين بَعَثَ المائنة والألف^(١)، ولَّى البصرة الفتحاء^(٢)، لإذلال ما^(٣) في أراجيها من الأعداء، وارهاب الفئات الطاغية، وترويع الأحزاب الباغية^(٤)، حيث حَقَّق الخنكار أنه أهلٌ لذلك، وإن غيرةً وغير أبيه لا يُطِيقُ حراسة تلك الممالك. فلَوَّى عِنان حزمه عن حَلَبَ وأُم البصرة وطلَّبَ، وسار بعساكر عديدة، وجنود مديدة، وأبطال ضياغم، ورجال أعظيم، قد سدَّ الخافقين جناحا خميسه، ومَلَأَ الجهتين قلباً جَحَقَله في تألفه وتجنبيه، وسالت بأعناق ساقيه^(٥) الأباطيح، وسارت كتيبةً مقدَّمته بكل أسدٍ راميح^(٦)، وكبشٍ ناطيح.

ولما بلغ بسيره العراق، نادى مُنْشِدُ الاجتماع والتَّلاق، بوالديه المظفر، وأبيه الغُضنفر، فحصل اجتماع الشَّيْل بالأسد، وزال عن الكلِّ

مكتبة كويتية علوم إسلامية

(١) أولها ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧١٨م.
(٢) يظهر مما ذكره المؤلف هنا أن هذه هي أول مرة يتولى فيها البصرة نائباً عن أبيه، بينما الذي في كلشن ص ٣٢٨ وسجل عثمانى ج ٢ ص ١٤٨ وسالنامة البصرة ص ٦٣ أنه تولاها أول مرة من سنة ١١٢٨ إلى ١١٢٩هـ، ثم نقل إلى حلب، وتولاها من بعده متسلمان، حتى أعيد إليها ثانية سنة ١١٣١.

(٣) الأصح لو قال: من.

(٤) يوضح الأمر الصادر إليه، وإلى أبيه حسن باشا (دفتر مهمة ١٢٧ ص ٣٨١ في أوائل جمادى الآخرة ١١٣١هـ)، طبيعة ما كلفا به، وهو القضاء على النشاطات التخريبية في البلاد، واستئصال جذورها، وتقرير النظام والسكون فيها، وتوفير العدل والرفاه لجميع السكان.

(٥) ساقية الجيش: مؤخره.

(٦) الرامح: ذو الرمح، أي أسد طعان.

حُرْقَةُ الكَبَدِ، وَكَحْلَا العَيْنِ بِأَثْمَدِ الاجْتِمَاعِ، وَطَوَيْتَ شَقَّةَ البَيْنِ مِنَ البَيْنِ بِيَدِ
الْمُلْقَاءِ فِي تِلْكَ البِقَاعِ.

ثم أنه بعد أن أخذ من الراحة نصيبه، وشاهد كل حبيب حبيبه،
امتطى مَنَ الحَزْمِ، وَتَقَلَّدَ حُسَامَ العَزْمِ، وَسَارَ بِتِلْكَ النُّصْرَةِ، وَأَمَّ بِلَدِ
البَصْرَةِ. وَلَمَّا دَخَلَهَا أَبْصَرَهَا مُشْرِفَةً عَلَى التَّلَافِ <١٧٢>، لِجَسُورِ أَهْلِ
الْخِلَافِ، وَعَدَمِ الْإِتِّلَافِ، وَضَعْفِ عَمَالِ البَصْرَةِ عَنْ مَقَاوِمَةِ أَعْرَابِهَا،
وَقُوَّةِ أَهْلِ الْفِتْرَةِ^(١) وَكَثْرَةِ أَعْوَانِهَا وَأَحْزَابِهَا. فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ
وَالْاجْتِهَادِ، وَرَغْبَةً فِي انْتِظَامِ أُمُورِ الْعِيَادِ، وَبَدَأَ شَمَلَ الْمَارْقِينَ، وَشَتَّتَ
جَمَعَ الْمُعَانِدِينَ، فَنَشَرَ لَوَاءَ الْعَدْلِ، وَأَكْرَمَ أَهْلَ الْفَضْلِ، فَشَكَرَتِ الرَّعِيَّةُ
طِبَاعَهُ، وَأَقْرَأَ لَهُ الْعَدُوُّ بِالْغَلَبَةِ وَالشَّجَاعَةِ.

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ^(٢)، أَتَاهُ الْكِتَابُ السُّلْطَانِي بِإِقْرَارِ مَنْصَبِ
البَصْرَةِ عَلَيْهِ هَذِهِ السَّنَةِ، فَامْتَدَحَهُ مَهْنَتًا لَهُ، الْمَلَأَ سُلْطَانُ الْبَصْرِيِّ^(٣) بِقَوْلِهِ.
[مِنَ الْكَامِلِ]:

بُشْرَى فَقَدْ وَرَدَ السُّعُودُ يُبَشِّرُ بِدَوَامِ حُكْمِ الْمَلِكِ وَيُخْبِرُ
أَنَّ الْمَقْرَّرَ لِلْحُكُومَةِ قَدْ أَتَى فِي كُلِّ عَامٍ لِلْوَزِيرِ مَقْرَّرُ
قَرَّتْ عُيُونُ الْخَلْقِ فِيهِ وَعَمَّهِمْ فَرَحٌ وَطَيْبٌ وَالْخَلَائِقُ تَشْكُرُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَنَّهُ أَبْقَى لَهُمْ حُكْمَ الْوَزِيرِ النَّيِّرِ

(١) الْفِتْرَةُ: الضَّعْفُ وَالْإِنْكَسَارُ، يَرِيدُ ضَعْفَ الْقَوَى وَقَوَى الضَّعِيفِ دَلَالَةً عَلَى انْقِلَابِ
الْأَحْوَالِ.

(٢) أَوَّلُهَا ٢٤ شَرِينِ الثَّانِي سَنَةِ ١٧١٩ م.

(٣) لَمْ تَقَفْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ.

شَمْسُ الْعَلَا قَمَرُ السَّعَادَةِ وَالنُّهَى
الْعَادِلُ الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ
بِالْحَمْدِ خُصَّ لِذَاكَ سُمِّيَ أَحْمَدًا
سَعِدَ الزَّمَانُ وَعَيْنُهُ إِنْسَانَهُ
طَابَ الزَّمَانُ بِحُكْمِهِ وَوُجُودِهِ
طَابَتْ بِهِ الْفِيحَا وَحَقَّ لَهَا الْهَنَا
أَمِنَتْ وَأَهْلُهَا بِأَمْنٍ دَائِمٍ
شَابَتْ فَلَمَّا حَلَّهَا عَادَ الصَّبَا
فَالدُّوحُ يَرْقُصُ وَالسَّحَابُ مُنْقَطٌ
وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ وَالزُّهُورُ ضَوَاجِكُ
وَتَرَى الرِّيَاضَ جَدَاوِلًا مِنْ سَيْلِهَا
وَالْبَلْبَلُ الصَّدَاحُ غَرْدٌ سَاجِعُ
وَالطَّيْرُ تَدْعُو بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا
لِدَوَامِ دَوْلَةِ أَحْمَدِ تَاجِ الْعَلَا
مَلِكٌ لَدَى يَوْمِ السَّمَاحَةِ حَاتِمٌ
كَالشَّمْسِ تَبْدُو وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ
نُورُ هِمَّةٍ حَسَنِيَّةٍ وَشَجَاعَةٍ
إِنْسَانٌ عَيْنٌ لِلزَّمَانِ وَمَاعِدُ
كَالْبَحْرِ جَوْدًا وَالسَّحَابُ مَكَارِمًا
ذُو رَاحَةٍ تَهْلُ فِي بَذْلِ النَّدَى

نُورُ الْوِزَارَةِ وَالْمُشِيرُ الْأَفْخَرُ
بَذْلُ النَّوَالِ وَهِمَّةٌ لَا تَقْصُرُ
فَلَّهُ الْمَحَامِدُ فِي الْمَحَافِلِ تَتَشَرُّ
شَخْصُ الْعَلَا وَالْقَلْبُ بِلِ الْجَوْهَرُ
لَمْ لَا وَفِيهِ عَلَى الْمَوَاضِي يَقْخَرُ
بِالْعَدْلِ حَيْثُ بِهِ الْبَصِيرَةُ تُعْمَرُ
بِوُجُودِهِ حَتَّى غَدَتْ تَتَبَخَّرُ
لِلْبَصِيرَةِ الْفِيحَا فَهَا هِيَ تَنْظُرُ
وَالرَّعْدُ طَبْلٌ وَالرِّيَاحُ تَزْمُرُ^(١)
وَالْمَزْنُ تَبْكِي وَالْبَسْمَلَةُ تَزْهَرُ
تَجْرِي وَخُلْجَانُ الْمَجْبَرَةِ كَوَثَرُ
فِي الدُّوحِ يُشْجِي وَالْأَرَاكَةُ مِنْبَرُ
قَدْ أَغْرَبَتْ بِاللَّحْنِ وَهِيَ تُكْذَرُ
وَمَحَافِظُ الْفِيحَا الْهَمَامُ الْقُسُورُ
لَكِنَّهُ عِنْدَ الزَّعَازِعِ غَنِيَرُ
تَخْفَى النُّجُومُ إِذَا تَبَدَّى النُّيُزُ
وَبِسَالَةٍ فَكَأَنَّهُ الْإِسْكَندَرُ
لِلدَّوْلَةِ الْغُرَا وَسَعْدُ الْكَبِيرُ
تَهْمِي وَرَوْضُ الْجُودِ مِنْهُ يَزْهَرُ
وَيَعْطُ مِنْهَا بِالنَّوَالِ الْعَبْهَرُ

(١) في الهامش عبارة للمؤلف هي (بلغ نظراً).

يُمْنَى بِهَا يَمْنٌ وَأَمْنٌ لِلَّذِي
 مَا قُبِّلَتْ إِلَّا وَاعْنَتَ بِالْعَطَا
 بِمَكَارِمٍ وَمَغَانِمٍ وَعَنَائِمٍ
 بِأَبِيهِ مَصْبَاحُ الْمَعَالِي وَالْعُلَا
 دَانَتْ لِسَطَوْتِهِ الْمَمَالِكُ كُلُّهَا
 الرَّافِعُ الرَايَاتِ بِالْفَتْحِ الَّذِي
 سَبَّاقُ غَايَاتِ أَلْسِي أَعْلَى الْهَدَى
 أَرْدَى الْبُغَاةَ مَعَ الطُّغَاةِ فَأَصْبَحَتْ
 فَخَرَتْ عَلَى مِصْرٍ وَشَامٍ فَاغْتَدَى
 ثُمَّ انْتَهَتْ تَلَحُّو الْبَصِيرَةِ تَزْدَهِي (١)

<١٧٣>

فَأَجَابَتْ الْفِيحَاءُ كَلَانِيًا بِالسَّوَا
 أَوْ مَا عَلِمَتْ بَانَ أَحْمَدَ حَاكِمِي
 كَالنَّيْرِينَ تَشَابَهًا وَتَشَاكَلَا
 لَمَّا الْخَوَالِدُ قَدْ تَعَوَّ أَحَدَهُم
 جَهَلُوا وَمَا فَطَنُوا بِأَنَّكَ ضَيْغَمُ
 ظَنُّوا الْمَقَامَ بِبِرِّهِمْ يَنْجِيهِمْ
 صِيحْتَهُمْ بِعَرْمَرٍ وَفَوَارِسٍ
 لَمَّا رَأَوْا رَايَاتَ جَيْشِكَ أَقْبَلَتْ
 طَلَبُوا الْفِرَارَ وَأَدْبَرُوا بِهَزِيمَةٍ
 وَالْفِرْعُ مِثْلُ الْأَصْلِ لَا يَسْتَكْرُ
 وَأَبَاهُ حَاكِمُكَ الْأَجَلُ الْأَكْبَرُ
 وَالْعَيْنُ بِالنَّجْلِ الْمَنُورِ تُبْصِرُ
 وَبَدَا خِلَافَهُمْ وَهُمْ مَا اسْتَبْصَرُوا
 يَخْشَى الْفَوَارِسُ بِأَسْفَهُ وَالْقَسُورُ
 هِرْهَاتٍ لَا بَرٌّ يَنْجِي وَابْحَرُ
 شَوْسَ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ بِاسٍ يَذْكُرُ
 تَخْفُقُ وَيَقْدِمُهَا اللَّوَاءُ الْأَخْضَرُ
 شُنْعًا غَدَاةً لَهُمْ تَبْدَى الْعَسْكَرُ

(١) لحا: قشر، يريد تجلو.

تركوا السّوام وأرخصوا أبناءهم
 فكانَ ذاكَ اليومَ يومَ قيامَةِ
 نظروا إلى بَرَقِ السُّيوفِ كأنَّها
 وكسى البسيطة من دِمَاهِم بُردة
 فغفوتَ عنهم عَفْوٌ مُقْتَدِرٌ رَأَى
 وتَلَوْتَ فِيهِ شِمْسَةً أَبْوِيَّةً
 مهما ترجمهم يحفُّ بجيشكم
 دارُ السلامِ لها الممالكُ أذعنَّتْ
 من خشيةٍ من بأسٍ والدك الذي
 دانت لهُ كُلُ الممالكِ هَيَّيَّةً
 والبصرة الفيجة فأنت ولئِها
 بالعدلِ قد قوِّمتَها فتعدّلتِ
 هذي هي الهممُ التي كبرت على
 هممُ تَدُكُ لها الجبال ودأبها
 للملّةِ السّمحاء أقمّتُم سُنَّةً
 ورفعتُم البِدعاتِ عنها بالهُدى
 وعمرتُم منها المساجد فاغتذت
 أحييتُم منها المَدارس بعدما
 فلذلك أهلُ الارض تدعو^(١) دائماً
 والله ربَّ العرش نسلة لكم
 ونساءهم والكُلُ منهم مدبرُ
 من عظم بليك والخلائق تحشرُ
 لمعُ البوارق والصّوارم تمطرُ
 حيث النجيع بها وثوبٌ أحمرُ
 نصرَ الإله فقاتل يتشكرُ
 حسنيّة فلذلك أنت مُظفّرُ
 نصرَ الآله وعزّه والعسكرُ
 حتّى الملوك عنتَ ومنها تحذرُ
 لولا الغلو لقلتُ ذا الاسكندرُ
 وبه الممالكُ بالأمان تعمّرُ
 ومليكها السّامي الأجلُ الأخرُ
 والأمن والباسُ الشّدِيدُ الأكبرُ
 كسرى ويقصّرُ عن مداها فيصّرُ
 نصرَ الشريعة للحقيقة مظهرُ
 للمصطفى الهادي وفيها المفخرُ
 والاعتدار بكم تسامي المنبرُ
 تدعو لكم فيها الجميع وتذكرُ
 دُرستَ فعاد العلمُ فيها ينشرُ
 بدوام دولتكم وعمر أوفرُ
 عزٌّ ونصرٌ ثم سعدٌ أكبرُ

(١) الأصح لو قال: يدعون.

ويدبرم دولتك ويصحبكم بها
 ويؤمن بالألطاف في أعمالكم
 واستجل يا تاج المعالي غداة
 غراء خدلجة رداحاً حرة
 زفت إليك يقودها مني الرجا
 ببديع حسن للمعاني^(١) جامع
 بفصاحة وبلاغية بنظامها
 وبقيت ما بقي الزمان برفعة
 بسعادة وسيادة ما ضوعت
 مسك الختام صلاة ربي دائماً
 والآل والأصحاب منهل الحيا
 حظاً وتوفيقاً ومجداً أفخر^(١)
 بالطول ثم الطول منها أجدر
 بكرأ عروساً كاعياً تتبخر
 حسناً برهرة إليك تسير
 تختال في حلل خلاها الأسطر
 حيث البيان للفظها متكرر
 خلو انسجام السبك فهي الجوهر
 ومكانة تسمو وحظ أنور
 نشر الرياض صباً وفاح العنبر
 تغشى الخيام بيننا وتعطر
 واخضر روض في المغاني يزهر

فعمّر من البصرة ما عفى، ونبّه فيها من أنواع المسرة ما غفا،
 واينعت الأبلّة^(٢) بعد أن اعتراها الاندراس، وزال إحاشها الطارئ

(١) الصواب كلها بالرفع، خط وتوفيق ومجد.

(٢) في الأصل: للمعاني، وما أثبتناه هو الصواب.

(٣) خبر إحياء أحمد باشا للأبلّة يلفت نظر الباحث في خطط البصرة القديمة، فالأبلّة: بلدة كانت قرب البصرة، على شاطئ دجلة الصرة العظمى (شط العرب)، ترقى إلى العصر الأكدي، واشتهرت في العصر الإسلامي بزراعتها وتجارتها، وكان يخترقها نهر باسمها، وقد باد اسمها منذ القرن الثامن للهجرة فلم يعد يذكرها البلدانون والسياح، والراجع أنها كانت تشغل الأرض التي يقوم عليها اليوم حي العشار الحديث على شط العرب (ينظر محمد طارق الكاتب: شط العرب وشط=

<١٧٤> فَغَدَّتْ كَمَا كَانَتْ ذَاتُ إِيْنَسَ، وَصَارَتْ الْبَصْرَةُ بِأَيَّامِهِ حَدَائِقَ
ذَاتِ بَهْجَةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، مُتَرْنِمَةٌ عِنَادُهَا بِأَحْسَنِ لَهْجَةٍ عَلَى
الشَّقَائِقِ وَاصُولِ الْأَزْهَارِ، كُلُّ أَوْقَاتِهَا رِبِيعٌ، وَكُلُّ زَمَانِهَا أَرْمَنَةٌ تَرْبِيعٌ.

وَلَمْ تَزَلِ الرَّعِيَّةُ بِأَيَّامِهِ بَيْنَ عَدْلِ وَانصَافٍ، وَمَسْرَةٍ تَقْضِي بِالْإِنْتِظَامِ
وَالْإِتِّلَافِ، إِلَى السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(١)، [إِذْ جَاءَهُ
الْبَرِيدُ بِخَبَرِ وَفَاةِ وَالِدِهِ وَقَوَاتِهِ^(٢)]، وَمُضِيٍّ أَرْمَانِهِ وَأَوْقَاتِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ
إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَسَارَعَ إِلَى الْجَنَّةِ رَاكِبًا مُتَوْنِ اللَّحُودِ. وَأَنْ صُحْبَةُ السَّبْرِ
مَنْشُورُ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ، وَصَلَتْهُ الْخُنْكَارُ الْأَفْخَمُ، بِتَوَلِيَّةِ بَغْدَادِ مَكَانِ أَبِيهِ،
وَأَنْ يَذْهَبَ إِلَى قِتَالِ الْعِجَمِ، وَيَحْتِ السَّيْرَ عَلَى تَلَافِيهِ، إِذْ - كَمَا تَقْدُمُ - مَاتَ
أَبُوهُ قَبْلَ أَنْجَازِ أَمْرِ الْأَعَاجِمِ، وَقَبْلَ تَتْمِيمِ مَا هُوَ عَلَيْهِ قَادِمٌ، وَأَنْ جُنْدُ أَبِيهِ
فِي الْإِنْتِظَارِ، مُحَافِظِينَ - كَمَا تَقْدُمُ - تِلْكَ الدَّارِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا هَذِهِ إِلَّا عِزَّةُ الْمَلَّةِ الْخَنَفِيَّةِ، وَنُصْرَةُ الشَّرِيعَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْحُضْرَةِ الْعَالِيَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَالسُّدَّةِ الْمُشْرِفَةِ
الْخَاقَانِيَّةِ، مِنْ وَسِيعِ التَّرْحِيبِ، وَزُلْفَى التَّقْرِيبِ، وَلَطْفِ اللَّطَائِفِ، وَانْهَمَارِ
سُحُبِ الْعَوَارِفِ، وَتَفْوِضِ مَقَالِيدِ مَمَالِكِ بَغْدَادِ إِلَيْهِ بِحَذَائِفِهَا، وَرَبْطِ
حُكُومَةِ الْعِرَاقِ فِي يَدِهِ وَجْمَعِهَا لَهُ وَتَوْفِيرِهَا، إِلَهَامَاتِ إِلَهِيَّةٍ، وَعَنَائَاتِ
سَابِقَةٍ فِي الْأَزَلِ وَأَقْضِيَّةِ سَمَاوِيَّةٍ، أُرِيدَ بِهَا نُصْرَةُ هَذَا الدِّينِ الْخَنَفِيِّ،

=البصرة والتاريخ، البصرة ١٩٧٢، (ص ٩٣)، فإشارة السويدي تدل على أن اسم
الأبلة ظل معروفاً إلى عهده.

(١) أولها ١٢ تشرين الأول ١٧٢٢م.

(٢) وكان وصول خبر وفاة أبيه في غرة شعبان ١١٣٦هـ / ٢٤ نيسان ١٧٢٤م.

واقامة مناره العالي المنيف، وايم الله ما ضل من اختصه بما اختص
<٧٤ب> به وما غوى، وما نطق كتاب تقليده له عن الهوى، وقد صدق
فيه قول من قال شعراً [من الطويل]:

بصير بتدبير الأمور وحامل من الكل ما لا يحمل الشم كاهله
ولا هو في الدنيا محل نصيبه ولا غرض الدنيا عن الدين شغلله

بل انه من حينئذ شد رحل الترحال^(١)، وسار بالفرسان الأبطال، وأم
جهة بغداد بجعل كأنه من الحزم بحر بالعجاجة مزبد. وقصد ناحية
مقصده، بخميس من العزم لدى اصطدام القوم للصريح منقذ منجد. ودخل
بغداد وقد انشرفت لقومه الصدور، وسرت به الأكباد وحصل لها
الخبور.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

(١) يذكر الكركوكلي، دوحة ص ١٩، أنه أودع إدارة البصرة إلى من يقوم مكانه وهو
صهره عبد الرحمن باشا. والأخير هو الذي دبر ترشيحه والياً بعد وفاة حسن
باشا. تاريخ كوجك جلي زاده ص ١٨٠، بينما ذكر ياسين العمري أن حسن باشا
تمرض ومات فأخفى موته كتحدا محمد كاهية، وأرسل إلى البصرة يستدعي ولده
القسور، الليث المظفر أحمد باشا، فقدم على خيل البريد، وتولى أمر قيادة الجيش،
وأظهر موت والده حسن باشا، فشيعة وأرسله إلى بغداد، ودفن في تربته، الدر
المكتون، الورقة ٢٩٠. وفي الأمر الموجه إلى عبد الرحمن باشا والي شاهرزور
المسابق المؤرخ في أواخر جمادى الآخرة ١١٣٦هـ أنه عين والياً على البصرة
خلفاً لأحمد باشا الذي تم تعيينه والياً على بغداد وسر عسكر على جانب كرمان
شاهان وهمدان خلفاً لوالده المتوفى حسن باشا (دفتر مهمة ١٣١ ص ٤١٢).

وقد هنأ الشعراء الأدبية، ومدحه أهل الأدب العربية، لكثرة شغفه بالأدب، وقلة اعتناؤه بالشعر إلا بشعر العرب^(١). فمدحتة الشعراء فرحاً به ومسرة، حيث حققوا أنه سيزول بمقامه زمن العسرة، وعلموا أنه كأييه في التمهيد، ومعاملة أهل الفساد بالتبكيك والتكيد، إلا أنه لطول العهد وتخلل الأنكاد، لم يخطر بالبال سوى دالية السيد عبد الله أمين الفتوى في بغداد، حيث يقول [من الخفيف]:

أقبل السعد والامان تجدد بسم الدهر ثغره عن منضد
ذهب الروح والأذى زال عنا ونمي عوننا اليسس وورد
وبدا طالع الزويرا ينادي^(٢) ابشروا بالنجاح أمة أحمد
إن خيراً نوى وأنبأ عنا عن قريب يعود والعود أحمد
ابشروا ابشروا بأمن ولطف ونجاح الأمور فالحال أحمد

<١٧٥>

بينما الناس يرتجون نجاة إذا أتانا رسول سلطان أحمد
طوّل الله عمره وحبانا تحيات له وحكما مؤيد
قال: إن الإمام أمر فيكم نجل مولاكم السعيد المؤيد
فوض الحكم والأمور إليه واجتباؤه من الولاة وأكد
ما رسول هذا بلي وبشير بشر الناس في ولاية أحمد
نعم فعلاً أسداه مولى البرايا لرعاياه حيث ولي وقليد
إن ظل الإله الهمة الله بأن أنقذ الأنام وسدد

(١) إن زوجة أحمد باشا هي ابنة أمير عربي. ينظر لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، الملاحق.

(٢) الزويراء: تصغير الزوراء، اسم لبغداد.

مَنْ فَضلاً عَلَى عِيَادِ تَلَا شَى
 بَعْدَ مَوْتِ الْوَزِيرِ الْحَسَنِ الْفَعْلُ
 بِشَجَاعٍ لَا شَكَّ سِرّاً أَبِيبَهُ
 إِنَّ دَارَ السَّلَامِ غَابَةِ لَيْسَتْ (١)
 غَاضَ بَحْرُ الْفَسَادِ حِينَ تَوَلَّى
 عَمَّ جَمْعَ الْوَرَى مُرُورٍ وَبُشْرٍ
 بَانَ رَأْسُ طَغَى وَبِالْقَطْعِ كُوفَى
 شَمْرُ الْجِدِّ سَاعِدِيهِ لَغَزْوٍ
 فَقَضَى نَحْبَهُ الْفَسَادُ وَوَلَّى
 قَرَأَ عَيْناً دَارَ السَّلَامِ وَفَوهِى (٢)
 جَلَبَ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ إِلَيْنَا
 فَاِبْشِرِي بِلَدَةِ السَّلَامِ بِمَنْ قَبْدِ
 حَسَنُ الْوَجْهِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ
 كَامِلٌ عَقْلُهُ سَرِيعٌ رِضَاهُ
 نَخْوُهُ مُقَرَّبٌ عَطَا فَلِهَذَا
 قَدْ حَوَى مِنْطَقاً تَحْلَى بِفَقْهِ
 حَسَنُ الْأَصْلِ قَدْ زَكَّى فَلِهَذَا
 كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفُوهُ لِسَانُ
 دَامَ فِي رَتْبَةٍ تَسَامِي الثَّرِيَا
 حَالَهُمْ وَاحْتِمَالَهُمْ قَدْ تَبَدَّدَ
 كَرِيمُ الْخِصَالِ ذِي الْحِظِّ وَالْجَدِّ
 هَكَذَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ مُسْجِدِ
 فَلَذَا تُطْرَدُ الذُّنَابُ وَتَبْعَدُ
 وَاسْتَوَى مَجْمَدُهُ عَلَيْهِ وَأَنْجَدُ
 اكْمَدَ الْحَاسِدِينَ وَالشُّرَّ أَخْمَدُ
 مَذَّ تَوَلَّى الْعِرَاقَ أَهْلاً بِمَشْهَدِ
 جَدُّ أَنْفَاءً وَفَضْلاً فَاهُماً تَرْبَدُ
 وَبَكَى آلَهُ عَلَيْهِ وَعَدَّدُ
 بِدَعَاءٍ لَظِلُّ فَرْدٍ مُوَحَّدُ
 نَعَمَ أَمْرٌ أَتَى وَنَعَمَ الْمُقَلَّدُ
 فَاقَ جَمْعَ الْوَلَاةِ بِالْأَبِّ وَالْجَدِّ
 الْخَلْقُ وَالْخَلْقُ جُودُهُ جَاوَزَ الْحَدَّ
 وَافَرَ الْحِظِّ بِاسْطِ الْكَفِّ بِالْمَدِّ
 لَا يَرَى الصَّرْفُ عِنْدَنَا وَبِهِ يُعْهَدُ
 ضَاقَ عَنْهُ التَّعْرِيفُ بِالرَّسْمِ وَالْحَدِّ
 طَابَ فِرْعَاؤُ وَفَاحَ عِرْفَاؤُ عَلَى النَّدِّ
 بِسَجَايَا لَهُ تَجَاوَزَتْ الْعُسْدُ
 وَالْعِدَى فِي حَضِيضِ الْأَسْفَلِ تَلَحَّدُ

(١) فِي الْأَصْلِ: غَابَتْ.

(٢) رُبَمَا أَرَادَ فَاهُ بِالْكَلَامِ يَفُوهُ فَوْهَا نَطَقَ وَلَفْظَ بِهِ. وَقَرَأَهَا نَاسِخُ ب: نُوهِى.

أنا عبدُ الله والقُطب جدي سينطُ ذا الغوثُ صرّتُ ادعى وأنشد
ما أتى في مديحك من قريض فهو فيه أصلٌ ومن ذلك المد
ألهم الله لي بإتمام مَذْحِي أشكر الله ذا الجلال وأحمد
إن صَفَى القلب واستتار وأبدى وارداً قال لي وحثُّ وأكَّد
نزه الفردِ وادْعَـوْنَ وأرُخ ثم بحكم تسود فيه وتُحمد

ثم أنه لم يستقرّ إلا ريثماً أخذ الراحة، وصيّر إلى جهة الفرس ذهابه ورواحه.

فلما وصل قريبَ كرمان شاه، تلقّاه في طريقه عمر باشا^(١) راجعاً، ومن عسكر أبيه كان الجمع الكثير جامعاً، حين ولّى البصرة مكسان هذا الأسد^(٢)، فجمع عنده هذا العسكر والحشد. فلما نظر إلى غالب عسكر أبيه قافلاً، وأنه مع هذا الوزير ضار راجلاً، أرجعهم معه طَوْعاً وقَسْراً، وانقياداً وقَهْراً. فلما بلغ كرمان شاهان أبصر فيها من جنود أبيه الجحافل،

(١) من ممالك والده، قائد عرف بالشجاعة والبطش والطموح، وصار (كتخدا) لسليمان باشا أبي ليلسة أول ولاية المماليك في بغداد، وتولى ولاية بغداد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، ولبث فيها حتى مصرعه سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م. وهو زوج عائشة خاتم ابنة أحمد باشا. ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، بغداد ١٩٧٨، ص ٤٣ ودوحة الوزراء ص ١٣٧-١٥٣ وتتأثرت أخباره في مصادر العصر.

(٢) يجب أن لا تفهم هذه العبارة على أن الذي تولى البصرة عمر باشا مكان أحمد باشا، لأنه عمر لم يتولها أصلاً، ويظهر أنه يريد بالأسد حسن باشا، لأنه هو الذي اختار ابنه أحمد مكانه في حكم البصرة.

من كل صِنْدِيدٍ مُقَاتِلٍ، يضيق عنها العَدُ، ولا يحصرها الحد، فضمُّوا إلى
عسكره وجُنْدَه، ودخلوا في زُمرةِ أعوانه وحَشْدِه، وسار بالجمع إلى
هَمْدان، حيث راسلهم فلم يفعلوا إلا العصيان، فقصدَها <١٧٦> مُخلصين
النِّية في الجهاد، مستعِيناً ومستَغِيثاً برَبِّ العِياد. شعراً [من البسيط]:
من استعان بغير الله في طلبٍ فان ناصره عجز وخذلانُ

فلما اشرف عليها بأبطاله، وشاهدها مع حُمَاتِه ورجالِه، أبصرها
ساجمة النجوم في الارتقاء، راسخة في التَّخوم فكانَما أُسْمِت على تيار
الماء، مُحْدِق بها سوران، أدناها نار البنادق محيط بها حارسان، أوهُنَّهما
الحُسام الفالِق، وأنَّ أهلها قد انحجروا فيها وتحصَّنوا بقوة سورها وحصانة
ناديها، وأنهم أرسلوا الرُّسل من البلد إلى الشَّاء أن يتداركهم بالمَدَد،
فأحدقت بها جنود الله إحداق الصَّيُوف بالوليمة، وأحاطت بسها الضراغم
إحاطة الملهُوف على النَّفل والغنيمة. هذا والأسدُ الغَضَنُفر، والشَّجاع
المُظفر، يُحرِّضُ العسكر، ويطوف على الجند في المعسكر. شعراً: [من
الكامل]:

مُتَكشِّفاً لِعِدائَةٍ عن سَطْوَةٍ لو حلَّ منكبها السماء لزعرعا

ولم يزل الطَّوبُ يرعدُ ويبرق من الجانبين، والبندُقُ من البين يُثْنُ
أنين، من رُوع بالبين، لكنَّ السور - كما أخبر من شاهده - عالٍ في الغاية،

عريضٌ في النهاية، يقربُ عَرْضُهُ من عشرين ذراعاً بذراع الكريباس^(١)،
وان بناءه باللبن لم يَنْلُهُ من وَقَع الأطواب باس، والوزير المذكور يُحَوِّضُ
القوم، ويدور عليهم كل يوم، لم يجد الراحة، ولم يعرف السينة ولا النوم،
بل مُتَجَلِّلٌ بدَاوُدِيَّة، مُعْتَقِلٌ بِسَمَهْرِيَّة، مُتَقَلِّدٌ بِهِنْدِيَّة. شعراً <٧٦ب> [من
الكامل]:

متعودٌ لبس الثُرُوع يخالها في البردِ خَزْأً والسهوِ اجرَ لاذا^(٢)

هذا وأما الأعداء فيبتلونون تلون الحرباء، تسارة يُخرجون منهم
العلماء في طلب الأمان وابتغاء الإحسان، وتارة يُراسِلُون في هذا المعنى
حامي شوكة آل عثمان. شعراً [من البسيط]:

تخرقوا بأكاذيب مخرقة وزوقوا زُخْرَفَ الأقوال تزويقاً

مركز تحقيق كتب علوم إسلامية

وتارة يَسْتَرْوِحُونَ رائحة المَدَد من الشاه، فيَدْعُونَ اتكالهم على الله،
ويُظهِرُونَ الشَّقَاق، ويُبْدُونَ النِّفَاق^(٣).

(١) ذراع الكريباس: مقياس للطول، كان يستعمل لذرع الخيش الأبيض، ويساوي الذراع
العامة، المعروفة بالسوداء أيضاً، وطولها ٥٤ ر. ٤ سم. فالتتر هنتس: المكابيل
والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٧٠، ص ٨٩.

(٢) اللاد: ثياب حرير تتسج بالصين.

(٣) كان ولي العهد الصفوي طهماسب ميرزا قد أرسل قوة عسكرية إلى همدان لفك
حصارها إلا أن القوة اضطرت إلى الانسحاب إثر هزيمتها أمام القوات العثمانية.
ينظر تاريخ جلبي زاده ص ٤٧.

فرأى الوزير المذكور أن يبتكر عليهم اللقوم^(١)، ويهتك عرضهم المكتوم، ويهدم سورهم، ويذهب سرورهم. واللقم عبارة عن الحفر تحت الأرض إلى أن يبلغ الحافر مكان الذي يريده، فيجوفه مربع الأركان، ويجعل في كل ركن إيوان، ثم يعبئ الجميع بالبارود والرصاص، بعد أن تدك الأرض دكاً شديداً، خشية نزوله عند احراقه في الأرض وعدم صعوده، ثم يسد المنفذ ويجعل له ثقباً ترمى منه النار، فإذا رميت فيه اشتعل. ولإفراط قوته يحمل ما فوقه من البناء إلى عنان السماء.

فأمر الوزير المذكور [بحفر] اللقام، ونصب على موضع بقره بعض الخيام، خشية أن يعلم بذلك من يخبر الأعداء فيصيب لقامهم^(٢) على موضع تأسيس هذا اللقام الماء، لكن الأعداء أيضاً بصدد حفر لقم على المعسكر، واحراق الجند والعسكر. فكلما حفر لقامنا لقماً التقى بلقامهم، ويرجع كل منهما هارباً من الآخر، ولم يزل الأمر كذلك حتى حفرت القلم كثيرة، وبقرت أراض غزيرة.

(١) جمع لقم، وقد تجمع أيضاً لقام، وهي متفجرات توضع في أنفاق، أو حفر، ويسد عليها، فيؤدي انفجارها إلى إحداث ثغرات فيما يراد نفسه، على ما وصفه المؤلف وصفاً بيناً هنا، وقد تجمع باللقام أيضاً، وقد سماها المؤلف أيضاً (اللغم) وهو ما يعرف به اليوم ضرب من المتفجرات توضع في حفر مستورة لتنفجر عند وطئها، والصحيح أنها بالقاف، فلقم الطريق وغير الطريق يلقمه لقماً سد فمه.

(٢) اللقام: من يقوم بأعداد اللقوم.

ثم حُفِرَتْ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ أَلْقَامٍ، لَمْ يَعْرِفْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبَاءِ، فَفِي الْيَوْمِ
الَّذِي يَرِيدُونَ <١٧٧> أَنْ يَوْقِدُوهُ وَيَهْجُمُوا عَلَى الْعَدُوِّ وَيَقْتُلُوهُ، أَمَرَ الْوَزِيرُ
الْعَسْكَرَ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ تَتْرَكَ ظُهُورُ الْخَيْلِ، وَأَنْ يَتَرَجَّلَ كُلُّ أَحَدٍ، وَأَنْ يَتَلَهَّبُوا
لِلْحَمَلَةِ عَلَى الْبَلَدِ، وَكُلُّ هَذَا بِتَدْبِيرِ ذَلِكَ الْإِمَامِ، وَقُوَّةِ فِكْرَةِ ذَلِكَ الْهَمَامِ.
شِعْرًا [مِنَ الطَّوِيلِ]:

إِمَامٌ عَظِيمُ الْبَاسِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ أَصَابَ ثُبِيرًا مَا اسْتَقَلَّ بِهِ قَطْرٌ^(١)

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، وَأَضَاءَ بَنُورُهُ وَلاَحَ، حُمِلَتِ السَّلَالِمُ، وَصَنَّفَتِ
الضِّيَاحُ، وَبَرَزَ الْمَصَادِمُ، بِكُلِّ بَتَّارٍ صَارِمٍ، فَجَعَلُوا ثَلَاثَةَ^(٢) جُمُوعٍ تَجَاهُ
كُلِّ لَقْمٍ جَمْعٍ، فَأَضْرَمَتِ الْأَلْقَامُ، وَعَلَا الْغَبَارُ وَالْقَتَامُ، وَطَارَ بَمِنْ فَوْقَهُ وَمِنْ
تَحْتَهُ مِنَ السُّورِ مَقْدَارُ ثَلَاثِينَ نِزَاعًا بِذِرَاعِ الْكِرْبَاسِ، مِنْ كُلِّ لَقْمٍ. فَخَمِدَتْ
مِنَ الْعَدُوِّ الْأَنْفَاسُ، لَكِنْ مَاتَ مِنَ الْإِسْلَامِ^(٣) ذَلِكَ الْيَوْمَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمْعٌ
غَزِيرٌ، لَمْ يَعْرِفُوا عَادَةَ اللَّقْمِ، بَلْ حِينَ أَبْصَرُوا الْفُرَجَ الْكُلَّ عَلَى السُّورِ
هَجَمَ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْهَدْمِ، نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْقِرَابُ الطَّائِرُ، وَعَامَلَهُمْ
بِالرَّدَمِ.

ثُمَّ أَنَّ أَسْوَدَ اللَّهِ هَلَّلُوا وَكَبَّرُوا وَأَسْرَعُوا نَحْوَ الْبَلَدِ، وَقَدَّمُوا وَمَا
تَأَخَّرُوا، وَأَمَّهُمُ الْأَسَدُ الصَّوَالُ، وَتَقَدَّمَهُمْ كَمَا يَتَقَدَّمُ اللَّيْثُ عَلَى الْأَشْبَالِ،

(١) ثُبِيرٌ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ

(٢) فِي الْأَصْلِ: ثَلَاثٌ.

(٣) يَرِيدُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

واشتد الحرب في الفَتَّاحَات، ودام فَلَقُ الْبَيْضِ^(١) في الْبَيْضَاتِ^(٢)، وضساق الخِنَاق، و ﴿التَّفَّتُ السَّاقُ بالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(٣)، ووقَّع بلُعداء الدين الانمحاق، ومالت الأعناق، وسالت الأحداق، والسُّيُوف رَعَّتْ بدماء الأعداء، والأراجي غرقت بِسَيْلِ الدماء، وشاب الوليد، وذاب من حرِّ الوطيس كل حديد، وخلق من الأبدان كل جديد، وذهب من الأرواح كل طارف وتليد <٧٧ب>، ولُطِّخت بالدم الأسوار، فابتهجت طيباً، ولو لا دماء القوم لم تطيب تلك الديار.

وحفَّ الله عسكر الإسلام بمَدَدِهِ، وأنزلَ عليهم السَّكِينَةَ ونَصَرَهم على ما هم بِصَدَدِهِ، وأذلَّ أعداء الدين الطُّغَماءَ، وأعَزَّ أنصار الإسلام، فدخلوا البلد وقد عمل في الأعداء الحُسام، ولم يبق من رؤساء الفُرس أحد، بل انقرضوا ساعة الاصطدام. ولم تزل أسود الله تفترس الرؤوس، وتبدي حرب البُلُوس، لم يلتفتوا إلى متاع، ولم يميلوا إلى ما فيه الانتفاع. شعراً [من البسيط]:

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا الْمَسْلَبِ

بل دأبهم القتل والرَّهَج، وشأنهم بتكبير الله وتهليله العَجُّ والثَّج، من صباح ذلك اليوم إلى وقت الظُّهر، فأخرجهم الوزير إلى الخيام، طلباً للراحة من تعب الاصطدام، لكن بقيت محلة فيها يقال لها مَخْسِرَان، قد

(١) جمع أبيض، وهو السيف.

(٢) البيضات جمع بيضة، وهي الخوذة.

(٣) القيامة، الآية ٣٠.

تحصَّن فيها كل ماردٍ شيطان، لم تُفتح ذلك اليوم لاشتغال الأسود عنها في بقية القوم، فخرجوا عنها، وقد توطأت هضابها وتذللت صعابها، وظهر لها من المنية ظفراً ونايها. وكان هذا اليوم ثاني عيد الأضحى، أول يوم من أيام التشريق، ولعمري إنه بهذا الاسم لحقيق، إذ شُرقت فيه لحوم الأعداء، وفصلت منهم الأعضاء. شعراً [من خفيف]:
واستراحت من السُّهادِ عيونٌ واطمأنت جوانحُ مُرتاعة

<١٧٨>

فأشُرقت بأعلامنا المنصورة جوانبها، وتحلَّت بالدين المُحمَّدي مناكبها، فأمست بقلع الإسلام المحروسة أختاً، بعد أن كانت لقرط المضرة ضرة، وأصبحت ذليلة الحال بعد أن كانت بالأمس بأعوانها ورجالها مغتررة.

ثم أنه صبيحة اليوم الثاني دخلها بجمع خميس، وليوث عريس، وعلت الرماح الخطية، وأخذت الأرواح بالسيف الهندية، والبنادق النارية، والأطواب الرعدية، والقنابر التي كالشهب المحمّية، وتَسَوَّروا محلة مختران، وأحدقت بها الشجعان، فافتضوا بُكارتها، وأزلوا عذارتها، وقُبل من كان هناك من الشياطين، وسفكت دماء العتاة الماردين. وأسیرت النواهد والكواعب، وسببت الخرائد من الملاعب، وأبرزت همذان حسانها، وأبدت الحسان من خلال جدرانها^(١).

(١) يفهم من القصيدة التالية للشيخ حسين الراوي أن أحمد باشا لم يأمر النساء وإنما تركهن دون أذى على عادته ف حروبه الأخرى.

ولم يزل السيف حاطياً، ولم يبرح الخطي على الطعن مواظباً،
والصيفاح تنهب الأرواح، والرجال تذهب درج الرياح، إلى أن وقع في
مدة ثلاثة أيام مقدار مائتي ألف فارس من فرسانها العظام، فاستغاثوا
بالوزير عديم المثل والنظير، فأغمد عنهم سيف الانتقام، وخيرهم بين
الرحيل والمقام. وكان مدة حصارها اثنين وستين يوماً^(١)، فبقي الوزير في
همدان مدة من الزمان يصلح شؤونها ويشيد حصونها. هذا وسراياه
مشغولة في فتح القلاع، وتسخير القرى والضيايع، ففتح بعضها عنوة،
وبعضها طوعاً لا دعوة، فالذي فتح عنوة: كزاز^(٢) كرهوت، وزنكاه
سلطان، وكرننت، وسنقر^(٣) وصمؤون، والذي فتح بالأمان لول كيرد،
وتوي^(٤)، وتوسركان^(٥)، ولهوند^(٦)، وخير ماوات، وسينة^(٧) <٧٨ب>

^(١) ينص الأمر الوارد إلى حسن باشا بمناسبة فتح همدان، إلى أن المدينة لم تسقط إلا
بعد محاصرة شديدة دامت ٥٨ يوماً. دفتر مهمة ١٣٢ ص ٩٢ في أوائل محرم
١١٣٧ هـ. وكان أمر قد صدر إليه في أواسط ذي الحجة من سنة ١١٣٦ هـ
(دفتر مهمة ١٣٢ ص ٧٩) يشتمل على تعليمات قاطعة بالبقاء والاستمرار على
المحاصرة وعدم التراجع إلى وراء خطوة واحدة إلى أن يتم الفتح وتسقط قلعة
همدان في يد القوات العثمانية بإذن الله تعالى وعونه ونصره حتى ولو أدى الأمر
إلى قضاء فصل الشتاء فيها.

^(٢) بلدة من أعمال همدان.

^(٣) في دوحة الوزراء ص ٢٠: سنقر.

^(٤) لعلها: نوي، بلدة قرب مريوان.

^(٥) بلدة من أعمال همدان، وهي في البلدانيات الإيرانية: تويسركان.

^(٦) هي لهون، بلدة على بعد ١٢ فرسخاً إلى الجنوب من سنندج.

^(٧) بعض هذه الأسماء لم يذكرها الكركوكلي، ولكنه أضاف: بروجرد، ونهاوند.
والصحيح ما تذكره الأوامر الرسمية، ففي الأمر الموجه إلى حسن باشا في أوائل =

وفي هذه الأيام امتدح الوزير الشيخ حسين الراوي شعراً [من
الوافر]:

أبارقة بالأبرقين تُسامُ عليك من المضئ الكئيب سلامُ
ويا هضبات الحيف هل جادك الحيد وصوب بين المازمين ركامُ
فقلوا ورير الخير ما جف مدمعي ولا طاب في ارض العراق مقامُ
فتى في غمار الطعن روى حسمة وليس له إلا القتام لعام^(١)
يقولون في تبريز جالت عساكره وأبرق بين الفرقتين حسامُ
وكم لأبي نصر بايران مشهد^(٢) مُحقق أن الأبلقين تُرام
وفي نفر كم حاز مجداً مؤثلاً وخيرت لديه تلة وسوام^(٣)
ولو شاء ما شاء الغزاة لأصبحت حلالهم للمفلسين تُسامُ
ولكن نمتة شيمة أحمدية إلي المنزل الأعلى فليس يُضامُ
له همة تآبى السماكين منزلأ ولا فخر إلا وهي فيه مِنامُ

شوال سنة ١١٣٦ (دفتر مهمة ١٣٢ ص ١٩) أن عليه بعد فتح همدان أن يسير
لفتح مدينة نهاوند، وفي الأمر الصادر إليه في أوائل ذي الحجة ١١٣٦ هـ (دفتر
مهمة ١٣٢ ص ٦٧) يطلب منه الآن العدول عن السير إليها والتوجه إلى تبريز
بجميع القوات العسكرية العاملة تحت قيادته. وفي الأمر المؤرخ في أوائل محرم
١١٣٧ (دفتر مهمة ١٣٢ ص ٩٤) أن الحفاظ على قلعة همدان لا يتم إلا بفتح
لورستان وتسخيرها للقوات العثمانية، فعلى الوالي أحمد باشا التوجه إليها على
رأس قواته قبل القيام بأي عمل آخر، وعليه أيضاً أن يدعو أهالي لورستان إلى
الطاعة

(١) اللعام: اللعاب.

(٢) أبو نصر: كنية اختارها الشاعر لأحمد باشا.

(٣) التلة: الأبل، والسوام: كل ما رعى من المال في الغلوات.

به افتخر الآباءُ الفخرُ منهم مزيدٌ عليه والجميعُ كرامُ
 فيا ماجداً قد زاد بالحلِيمِ مجدهُ قد اشتدَّ في نحو اللقاء أوامُ
 فلا انقضي عن باب وفدك إنني على طلبِي لُقيَاك لستُ ألامُ
 لسائلكم حقٌ ولو جاء قاصداً على فرسٍ هذا الحديثُ تمامُ

قالها بأمرٍ من الوزير حين وردت من عبد الله باشا قصيدة تحمُّس
 لنفسه وهو نازلٌ على تبريز على هذا البحر والروِي، ولم يبق في
 خاطري منها إلا قوله [من الطويل]:

يعانق مفتوق الغرارين مصلتا^(١) ويأبى عناق البيض وهو يُرام

<١٧٩>

فأمر الوزير الشيخ المذكور أن يعارضها، لعمرى حقٍ فيه قولُ
 القائل. مصراع:

لقد حكيتُ ولكن فاتك الشَّنْبُ

إذ هي قصيدة بليغة تعجز الشعراء عن الإتيان بمثلها، وهي
 المعجزة في تفردها بفضلها. وعبد الله باشا هذا هو المشهور بابن
 الكبرلي^(٢)، شاعر مقلِّق، وعالمٌ مُحقق، وله ديوان رأيتُ بعضه^(٣).

(١) الغرار: حد الرمح، والمفتوق: الحاد.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) وديوانه هذا بالعربية، وقد نوه به إسماعيل باشا للبغدادي في ذيله على كشف
 الظنون ص ٥١٧، وأورد عثمان عصام الدين العمري مختارات جيدة منه. ينظر
 الروض النضر ج ٣ ص ١٧٧-١٨٦.

ومن شعره قوله [من متقارب]:

عرفت الديار كرقم الكتب	قواء المغاني خلست مذ حقب
ألجت بها الريح حتى عفت	وكلي أجش ملت مـرب
لليلي إذا هي مثل المـها	منعمة في جوار لعب
حسان الوجوه لطاف الخصور	شم العرائين جم القصب
فهاج الفؤاد هوى بعدما	سلوت الصبا وقلبت اللـعب
وقد كنا أيام ريع الشباب	نصبو إلى الغواني العـرب
يصلن حيالي ولا لومة	أخاف لا خشية ارتقب
فاصبحت أعرضت عن نكرهن	وذو اللب أجدر أن يتـأب ^(١)
وعدت كان لم يكن الهوى	وعدت كان لم نكن نصطـحب

مركز تحقيق كتب التراث

وقوله:

كثرت موانع وصل درة واحتـمى ^(٢)	بلقائها قوم علي غضاب
إن يغضبوا فلقد فضبت خلجاتنا	ولقد أسأنا ظنهم وارتـابوا

وقوله:

يا سنية النفس اللجوج تخوفي	في مهجة كادت عليك تـذوب
أبدأ يزيد بنا هـواك مرارة	ولديك ثم شفاؤنا مـطلـوب

(١) يتأبى: يترفع عن الدنيا.

(٢) في الأصل: واحتما.

وقوله: <٧٩ب>

أحيئك يا درُ حتى الممات وقلبي بكم مستهَام كُتِيبُ
وما فوق حُبِّي إليك هوى وليس لذاتي سواكم طيب
ونعم المُنَى أنتِ لولا النوى ولو لم تُعَفِّنِي عنك الخطوب

وله غير ذلك مما وقفتُ عليه من نظمه الرائق، وشعره الفائق، لكن
لم أذكره خوف الإطناب، وحذر الإسهاب، بما ليس من موضوع الكتاب.

[غزوة بني جميل]

ثم أنه لم يزل يطرق سَمْعُهُ ما أحدث الأعرابُ اللثام، في أطراف
بغداد دار السلام، يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً،
ويقاتلون الناس على أموالهم ~~وعصياناً~~ وعناداً، فأخذته الغيرةُ والحميةُ،
وسار إلى بغداد المحمية، فهناه بقدومه إلى بغداد السيد عبد الله أمين
الفتوى في بغداد [من السريع]:

أهلاً وسهلاً بطويل النجاد وناصر الدين كثير الجهاد
بغداد من نُورك قد أشرقت وأورقت قضبان عود الفؤاد
حييت يا مولاي من قادم قدومه قد كان عين المراد
قد ذهب الرُوعُ وزال العنا وانقمع البغسي وأهل العناد
بغداد فيكم قد سمت رتبة وأمنها قد فاق أمن البلاد
قد مسّها الضرُّ أيا سيدي مذ شاهد الأعداء طول البعاد

فَأَنْتَ حِصْنٌ لِّجَمِيعِ الْوَرَى أَقَامَكَ اللهُ لِحِفْظِ الْعِبَادِ
 قَدْ لَازِمَ الْجُودُ بِسَاحَاتِكُمْ شَجَاعَةً تَشْهَدُ فِيهَا الْأَعَادِ
 كَتَوَّأَمِي^(١) رَقٍ لِرَاحَاتِكُمْ كَالْعَبْدِ يَتَّوِي لِمَعْشَاشٍ وَزَادِ
 الْعَرَبُ فِي غِيْبَتِكُمْ أَفْسَدُوا وَاللهُ رَبِّي لَا يُحِبُّ الْفَسَادُ

<١٨٠>

بَنُو جَمِيلٍ أَفْسَدُوا خَالِصاً^(٢) مَا رِيقُهُمْ إِلَّا كَرِيقِ الْجَرَادِ
 كَمْ مَرَّةٍ قَدْ شَمَرُوا جَمْعَهُمْ وَبَاشَرُوا تَقِيّاً يَفْتَتِ الْجَمَادِ
 بَنُو لَنَامٍ كُفْرُهُمْ ثَابِتٌ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ كُفْرُ ارْتِدَادِ
 لَا تَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْهُمْ فَهُمْ لَا دِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ لَا وَدَادِ
 فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى جَمْعِهِمْ فَمِلَّةُ الْكُفْرِ سَوَى فِي اتِّحَادِ
 فَطَهُرَ الْأَرْضَ بِأَفْنَائِهِمْ فَهُمْ مَحَلٌّ لِلْغَزَى وَالْجِهَادِ
 وَاتَّخَذَ الْأَرْضَ بِقَتْلَاهُمْ وَأَنَّهُ عَنِ الْأَسْرِ بَأْنٌ لَا تُقَادِ
 فَالْكَلَّ مِنْهُمْ يَسْتَحِقُّ الْفَنَاءَ إِلَّا صَغِيرًا لَيْسَ يَعْلُو الْجَوَادِ
 كَذَلِكَ الْحُكْمُ بِنَسْنَوَانِهِمْ مَبَاشِرَاتِ الْحَرْبِ بِالْإِنْقِيَادِ
 أَيْدِيكَ اللهُ عَلَى جَمْعِهِمْ بِنَصْرَةٍ تَشْفِي قُلُوبَ الْعِبَادِ
 فَأَنْتَ مَنْصُورٌ بِلَا رِيْبَةٍ أَدَامَكَ اللهُ لِيَوْمِ التَّنَادِ
 جُودِكَ كَالْغَيْثِ لِفَقْرِ الْوَرَى وَسَيْفِكَ الصَّمْصَامُ يَفْنِي الْأَعَادِ
 وَنَحْوِكَ الْمَعْرُبُ أَمَّنًا فَمَنْ وَاقَاهُ مَذْرُوعاً^(٣) تَرْقِي وَسَادِ

(١) التومة: اللؤلؤة.

(٢) يريد: الخالص، المنطقة المعروفة في شرقي بغداد، وكانت مأوى بني جميل.

(٣) لعلها من نزع تذريراً: وهو المقيد.

فكيف أَسْطِيعُ ثَمَّ مِنْ حَوَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ طُرّاً وَزَادَ
 أَمْ كَيْفَ لِي حَصْرُ سَجَايَا لَهُ تَجَاوَزَتْ فِي الْحَصْرِ طَوَقَ الْعِتَادِ
 لَيْسَ عَجِيباً مَا حَوَتْ ذَاتَكُمْ وَلَا غَرِيباً بَلْ لَذَا الْاِسْتِنَادِ
 شَنْشَنَةً بِالْإِرْثِ قَدْ حَزَّتْهَا مِنْ حَسَنِ تُعْرِفُ بَيْنَ الْعِبَادِ
 فَحَيْثُمَا سِرْتُ فَسِرْ آمِناً فَلَا كِبَا بِكَ فَرَسٌ يَا جَوَادِ
 قَدْ قَالَ ذَا سَيْطِ الْوَلِيِّ الشَّهِيرِ قُطِبِ الْوَرَى الْحَامِي لِدَارِ النَّشَادِ
 الْعَبْدُ لِلَّهِ سُمِّيَ بِالْأَمِينِ فِي خِدْمَةِ الْوَلِيِّ الْقَوِيِّ الْعِمَادِ

<٨٠ب>

فَدُمْ بِعِزِّ دَائِمٍ سَرْمَدًا وَنُصْرَةِ تَمَحَقُ أَهْلَ الْبَوَادِ



وَقِيلَ فِيهِ أَيْضاً [مِنْ الطَّوِيلِ]:

خَلِيلِي قَوْمًا فَالْصَّبَاحُ نَبِيْتُهُمَا وَهَذَا سَفِيرُ الْقَادِمِينَ تَقَدَّمَا
 وَاخْتَصَبَ رِبْعُ الْأَنْسِ بَعْدَ نُحُولِهِ وَهَبْ نَسِيمُ الْوَصْلِ مِنْ جَانِبِ الْجَمِي
 وَقَدْ زَارَنَا الضَّبِّي الَّذِي طَالَمَا رَنَا وَجَادَ عَلَيْنَا بِالْقَاءِ وَسَلَّمَا
 غَزَالٌ رَأَيْتُ الْبَدْرَ مِنْ وَجْهِهِ بَدَا وَشَاهَدْتُ مِنْهُ جَنَّةً وَجْهَهُمَا
 مَلِيحٌ كَانَ الْحَسَنُ كَانَ مُحِبَّةً فَحَاكَ لَهُ ثَوْبًا مِنْ الْحَسَنِ مُعَلَّمَا
 بَدَا وَعُرُوسُ الصُّبْحِ يَغْسِلُ كَحَلَّةً فَلَمْ أَرَ أَنَّ الدُّرَّ يَحْكِيهِ مَبْسَمَا
 أَدَارَ عَلَيْنَا مِنْ يَدِيهِ مُدَامَةً مُعْتَقَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَجُرْهَمَا
 سُلَافٌ إِذَا قَامَ السُّقَاةُ تَصْبِيهَا رَأَيْتُ شِعَاعَ الشَّمْسِ أَوْمَى مُسَلَّمَا
 رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا جَنَوْنَا ثَمَارَهَا فَمَا كَانَ أَبْهَاهَا وَأَحْلَى وَأَنْعَمَا
 لِيَالِي مَرَّتْ وَالزَّمَانُ مَسَاعِدُ وَسَاقَ الْحُمَيَّا بِالْحُمَيَّا تَكْرَمَا

فلا تعذلاني إن بكيت صبايةً واصبحتُ مسلوبَ الفؤاد مُثَيِّما
 خليلي قد هاج الغرام وشاقتني شذا بلبل فوق الغصون ترنما
 لعل خيام الحي منّا قريبةً فانشد أشعار السرور وانظما
 <٨١>

سقى حلباً صوب الغمام فانها بلاد بها كان الحبيب مخيما
 وحيّا رياضاً بالعراق نسيمها أذاع لنا من نشره إذ تنسما
 أحاديث ركب القادمين الألى جرت لفقدهم عيني مدامعها دما
 أقول لدهري حين صار معاندي ودان على قتلي وما كنت مجرما
 تبيح دمي من غير ذنب يحله لك الله من دهر أباح المحرما
 ألم تخش في قتلي الإله وبطشه ولم تخش في ذاك الوزير المعظما
 وزيراً أتانا بالقدوم بشيره وجدد للأفراح عيداً وموسما
 على حين ودّعنا السرور وفرقت يد الدهر شملاً كان قبل منظما
 قعدنا نصبنا حين جاء بشيرهم بمقدمه الميمون للخير ماتما
 وزيراً له في المجد أصل ومولد وعرق عريق في الفخار إذا انتمى
 ملك له فوق السماكين منزل همام إذا ما هم بالأمر أحكما
 إذا حل خطب أو تراكم حادث رأيت له عزماً من الدهر أعظما
 شجاع له عند الحروب مواقع ورأي مصيب للذي كان أقوما
 ضرّوب لهام الضاربي الهام في الوغى شديد إذا أجر الخميس العرمرما
 يكاد يصيب الشديء من قبل رميه وينفذ فيه السمهوري المقوما
 على أدهم كالريح يدرك ما مضى يسابق فيه الطير مسرج ملجما
 جسور إذا الأبطال ولت هزيمة يلاقي العدى يسوم الوغى متبسما
 له هيئة أمضى من السيف حدها يكاد بها يبرى الحسام المصمما

هَزَبَر دَمُ السَّهِيحَا حَيْضُ سَنَانِهِ إِذَا ذُكِرَ الْفَرَسَانُ فَهُوَ إِمَامُهُمْ وَمَوْضِعُهُ فِي الْعِزِّ وَالْعِزُّ بَيْتُهُ يَسِيرُ فَيَمْشِي النَّصْرُ تَحْتَ لَوَائِهِ تُقْبَلُ أَفْئِدَةُ الْمُلُوكِ بِسَاطِهِ كَانَ الْعِدَى فِي أَرْضِهِ خَلْفَاؤُهُ إِذَا جَالَ فِي السَّهِيحَاءِ فَالْأَسَدُ دُونَهُ يَجُودُ لَدَى الْأَعْيَارِ كَالْغَيْثِ فِي النَّدَى إِذَا مَا أَتَى رَاجِيَهُ يَرْجُو نَوَالَهُ يَصُولُ إِذَا مَا الْفَارَسُ الْقِرْمُ أَحْجَمَا وَإِنْ نَزَلُوا الْمِيدَانَ كَانَ الْمُقْتَدِمَا كَمَوْضِعِ شَمْسِ الظُّهْرِ فِي قُبَّةِ السَّمَاءِ وَيَسْعَى إِلَيْهِ السَّعْدُ إِيَّانَ يَمْمَا قِيَاماً لَهُ إِذَا كَانَ أَشْرَفَ تَسْنَمَا فَإِنْ شَاءَ جَازَاهَا وَإِنْ شَاءَ سَلَّمَا وَإِنْ جَادَ بِالْكَفَيْنِ فَالْبَحْرُ مِنْهُمَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ الْمَالُ بِحْيِي^(١) الْمَعْلَمَا رَأَى بَحْرَ جُودٍ بِالْمَوَاهِبِ مَفْعَمَا

<٨١ب>

وَلَوْلَا أُمُّ الْفَضْلِ وَالْمَجْدُ لَمْ تَزَلْ لَقَدْ هُمَا تَكْلَسِي تَتَوَحَّحُ عَلَيْهِمَا حَلِيمٌ فَمَا قَيْسُ لَهُ بِمَشَاهِبِهِ مَهِيْبٌ إِذَا لَمْ يَبْتَسِمْ لَنْ يَكْلَمَا تَمُوتُ لِيُوثُ الْغَابِ عَنْهُ مَهَابَةٌ وَيَخْشَاهُ بَهْرَامُ^(٢) إِذَا سَلَّ مَخْذَمًا^(٣) وَلَمَّا خَطَبْنَا فِي الْمَنَابِرِ بِاسْمِهِ غَدَا الْجَوْرُ مَقْضِي الْبِنَاءِ مَهْدَمَا يَجْلُ عَنْ التَّشْبِيهِ بِالْبَدْرِ وَجْهَهُ وَمَا الْبَحْرُ كَفِيهِ وَمَا هُوَ ضَيْغَمَا رَأَيْتُ مَلُوكَ الْعَصْرِ فِي الْفَضْلِ دُونَهُ كَمَا أَنَّ أَبَارَ الْفَلَاحِ دُونَ زَمْزَمَا فَيَا أَيُّهَا الْبَاغِي مَنْ أَلَا لَشَاؤُهُ إِلَيْكَ فَلَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا تَوَهُمًا فَمَنْ ذَا يَدَانِي مَجْدُهُ وَهُوَ شَامُخٌ وَهَلْ يَجِدُ الرَّاقِي إِلَى الْجَوْ سُلَّمَا

(١) فِي الْأَصْلِ: يَحْيَا.

(٢) يَرِيدُ بَهْرَامَ جَوْبِيْن، قَائِدُ سَاسَاتِي اشتهر بشجاعته، حارب ضد بيزنطة، وتولى العرش في إيران سنة ٥٩٠ م.

(٣) الْمَخْذَمُ: الْقَاطِعُ.

ولا عَجَبٌ إِنْ جَاءَهُ الدَّهْرُ خَاضِعاً فكم من قسوي جساء أحمد مسلماً
من القوم لولا الغيث يحكي أكفهم لما راح في كل البلاد مقسماً
لهم سودد يعلو على كل سودد وملك مطاع صار للدهر أنجماً
ومجد أثيل وارتفاع وقُدرة وحزم ورأي لا يزال مُحْكَمَا
وعزم إذا ما حلَّ خطبَ إلهو له يعود بياض الصبح أسود مظلماً
وحلم ولكن ذاك فيهم سحابة فما حلم قيس وهو كسان مُحَلِّمًا^(١)
يا ملكاً ما أن مدحت صفاته بنظم ولكن فيه نظمي تكرماً
يهنيك بالزوراء قوم وإنما أهنئ بك الزورا لكونك أعظماً
فجد لي بسبب يا فديتك أنني جعلت مديحي فيك ثوباً مرثماً
بقيت بقاء لا يزال مخلصاً وذكرك محموداً وقدرك أفخماً
عليك سلام الله جل جلاله ورحمته فرضاً علينا محتماً

ثم أنه غزا بني جميل صبيحة قدومه، وصباحهم ثالث ليلة بأبطاله
وقرومه، فحكم المناصل في المفاصل، وأعمل الذوايل <١٨٢> في ظسهر
كل صنديد مقاتل، ودهمهم بخميس ارهبت ضياغمه، وبغتهم بليوث
عريس طالما نصرت الدين وقاومت من يقاومه، فاستولى على الأموال،
وأحاطت ليونه بالعيال، وقتل أكثر الرجال، والباقون فروا إلى الروابي
والطلال، بعد قتال يشيب رأس الوليد، وغيب جدال أذهب من الأرواح كل
طريف وتليد. ولغيرته على النساء، أطلقهن وسيرهن في البئداء، خوفاً

(١) يريد قيس بن عاصم المنقري السعدي التميمي أحد أمراء العرب في الجاهلية،
اشتهر بالحلم حتى ضرب المثل به، توفي سنة ٢٠هـ.

عليهن من الفساد، ورجع قافلاً إلى بغداد^(١)، فامتدحه السيد عبد الله المذكور بقوله [من الطويل]:

تلى الكون مذ عاد المكرم أحمد من الغزو يشدو بالثناء وينشد
جهدك مقبول وسعك يحمي وفعلك محمود وحزمك أحمد
قدمت إلى بغداد بعد اختلالها لما مسها بؤس من العرب كامد
أتيت إليها مغضباً كغضنفر لتتقدها مما رماها المعانيد
فمد حل في قطر العراق وأرضه ركابك فاضت أنعم وموائد
وأشرقت الأرجاء منه وأتعت قلوب وأبدان وهت وجلائد
فمن اعظم اللطف موت جورها وكم نعمة باتت وبانت مفايد
دخلت إلى الزوراء فزال أزوارها وأضحت عروساً بالبها تتواجد
أعيدك بالرحمن من شر حاسد ومن عائن أو ساحر لك يرصد
فكيف ولم تلبث بها غير ليلة وأنت على جمر من الحرص يوقد
لما حل في الزوراء من كيد عربها نوي البغي أعراب طغوا وتقلصوا
فمن يك هذا قصده ومراده فلا شك في كل الأمور مسدد
وثبت عليهم وثبة حسنية دعت كل معلول يفر ويرعد
وفرقتهم أيدي سباً وسبيتهم فلو دام هذا السبي ما زال يحمي
ولكن حكم الله أجراه هكذا له حكمة فيه تكون وتوجد
فلا تأمن الأعراب فالخبث فيهم كمين ولو ردوا لعادوا وفسدوا
فظهر لنا قطر العراق بقتلهم فقاتلهم لا شك غاز مجاهد
بغاة وقطاع الطريق وكفرهم صريح فلا أشكال فيه مشاهد

(١) دوحة الوزراء ص ٢٠.

عليك بخير الدين فتواه فيهم^(١) تريد هذا القول منا وتعضد
فسيفك ذا الصمصام لا زال لا عيباً بأعناقهم يبرى الركاب ويحصد
أبداً جمعهم مولاي فرق جيوشهم فهم شر مخلوق عتوا وتمردوا
أقامك رب الناس للدين حامياً تذب ولولا أنت هُذت مساجد
فمد إلهي في حياتك مدة فإن قلت ألفا قال سرري أزيد
فأنت ملاذ الخلق والناس كلهم عيال لتلك الذات أتباع أعبد
لمدحك عبد الله من قدم له قصيد ومدح فهو حسان احمد
فلا زلت منصوراً وسعدك غالباً يذب عن الدين الرزايا ويطرده
دعوت بإخلاص وقلت مؤرخاً تسود بحكم فيه مد وتحمد

وامتدحه الشيخ حسين الراوي بقوله [من الكامل]:

طيب يا زمان فغصن سعدك قد طوى وندي روضك بالبشام تعطرا^(٢)
فلك الهناء بقدام ملك العلا كالبدري في فلك الحمية قد سرا
حمداً لأحمد ثم مدحاً بعده ورأيتني في الحالتين مقصراً
مذ غاب عن بلد السلام تباشرت أهل الفساد فأوقعوا ما قد جرا
بك يا وزير قد استغاثت أرضنا والأمر أشكل والخلاص تعسراً
فأجبت داعيها بهمة ماجد تأبى المكارم أن تراك مؤخراً

<١٨٣>

ونهدت من أرض العراق مشمراً وبنقر أصبحت تطلب نقر

(١) لم نقف على هوية المفتي خير الدين هذا الذي أفتى بحربهم.

(٢) البشام: شجر طيب الرائحة يعرف حبه بحب البشام.

أصبحت ساحتهم فساء صباحهم
لو عاين العبسي يوم نزالكم
والبيض تلمع والأسنة شرع
والخيل تعثر بالرووس من العبدى
ورأى جزاءه أحمد وثباته
ما قال اني كفؤ عبلة خائفا
لله درك يا وزير اغثتنا
دانوا فدينوا ثم زيدوا حسوة
فكانما سلبوه من نعائنا
والسيف منك كفيل ذلك كله
هاتيك ساحتهم وذاك محلهم
فلقد ملكست نساءهم وحریمهم
لازلت تقدر ثم تعفو ملحة
هذي بقية حد سيفك كلهم
انعم ولذ فانما هو نسازل
وأنا السذي أروي ثناك مسلسلا
وبذي الصبيحة يحمد القوم السرى
والخيل تخترق العجاج الأكررا
ودم الملاحم بل أطراف الثرى
والجون اصبح من دماهم أشقرا^(١)
وقدومه حين الجري تأخرا
من فعل أحمد عندها ان يذكررا
ورحمت قلبا كاد أن يتقطرا
وعتوا فجوزوا إلا جدال ولا ميرا
دين عليهم في الذمام تسطرا
أدى الكفالة بالتمام واكثررا
خفت به ربح الدبور فادبرا
ومنت حاشا أن تروم محقرا
ما المجد إلا أن تعف وتقدررا
وضعوا الأكف على الذقون تحيرا
ببني جميل سوف ينزل شمرا
فدعيت بالراوي على ملأ السورى

(١) الجون: الأسود.

فصل

[وقعة ذي الكفل]

وفي أوائل السنة الثامنة والثلاثين بعد المائة والألف^(١) غزا الغزوة المشهورة بوقعة ذي الكفل^(٢)، وهي غزوة عظيمة لم يتفق مثلها، وذلك أن شمر وبني لام وساعدة تقاصدوا^(٣) واجتمعوا مع من والاهم من كل القبائل والعشائر، <٨٣ب> بحيث تعجز عن ضبطهم أقلام المحابر، فأغاروا على القرى والضياع، ومنعوا الزراع من الانتفاع، وأهلكوا الحرث والنسل، وقطعوا الطرق وسدوا السبل، وهم إذ ذاك عديد معدة، وجنود مجندة، فغزاهم الغزوة الكبرى التي أذلت الأعراب، وغدت بعد ذلك حسرة، وذلك في غرة رمضان هذه السنة^(٤). وقد انشده قبل قفوله السيد عبد الله المذكور بقوله [من البسيط]:

الكون ضاء سناء منه يجور^١ والوقت رق صفاء منه مكور^٢
والبشر والأمن والأفراح قد ملكت^٣ قطر العراق فلأرواح تبشير^٤

(١) أولها ٨ أيلول ١٧٢٥ م.

(٢) بلدة على شاطئ الفرات، فيها مزار للنبي ذي الكفل على ما هو مشهور في العراق، وهو عند اليهود النبي حزقيال، وفي ذلك أقوال، ويظهر أن بناء القديم كان على جانب عظيم من الفخامة على ما وصفه بعض السياح في القرن السادس للهجرة، وقد عمره السلطان أولجايتو خان محمد خدابنده في أوائل القرن الثامن الهجري (١٤م)، وبنى فيه قبة ومئذنة فخمة ما تزال قائمة حتى اليوم. رحلة بنيامين التيطلي، ترجمة عزرا حداد، ص ١٤٢، ورحلة المنشي البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، ص ٩١.

(٣) أي قصد بعضهم بعضاً.

(٤) ويوافق ٢ أيار ١٧٢٦ م.

والدهر أبدى علامات أسر بها
 ما كان تعهد هذا الفعل من زمن
 فما وقى ورقى في صدق خدمته
 إلا لمقدم مولى الناس أجمعهم
 أبو المكارم من ذلت لهيبته
 من نخوه معرباً أمتاً لقاصده
 أحوال تميزه في كل معرفة
 ونصبه النفس في درء الفساد غسدا
 أضحى عروضا لظلم الخلق أجمعهم
 وفاصل للورى بالعدل منزله
 طويل فكر مديد الباع مقتضبه
 أهزاجه^(١) أورثت أعداءه رجزاً^(٢)
 لا يبصر الزحف في منظوم دولته
 شأنه شأنه المخبول مبتور

<١٨٤>

قد زان منطقاً فقه فليس يرى
 كنز المقلين محيي المرسلين عطا
 محمد الخلق محمود الخصال لذا
 من أصله حسن طابت محامده
 فانه أحمد قد أولاك من نعم
 للصرف عن بابه للناس ناطور
 للبود من كفه وقع وتأثير
 واحمد الله منه الفعل مبرور
 فالفرع أحمد إذ بالخسن مغمور
 منها الجهاد ومنها أنك منصور

(١) جمع هزج الفرح وصوت مطرب

(٢) الرجز ضرب من النظم جاز ان يقع فيه المشطور وهو الذي ذهب شطره والمنهوك وهو الذي قد ذهب منه أربعة اجزاء، وبقي جزآن.

يا ناصر الدين سير بالله معتمداً
من كان مصدق قول الله جل علا
فجاهد العرب الجهلاء واغزهم
وحرّض المؤمنين التابعين على
هذا الجهاد فلا تأخذك لائمة
كم اظهروا في الورى بغياً ومفسدة
هل بعد أفعالهم يرثي لهم أحد
لَعَسَكَ أَنْتَ صَرْتَ تَقْدُمُـهُ
إِنْ شِمْرَ وَبَنُو لَامٍ وَسَاعِدَةُ
قَدْ أَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ يَبْغُونَ مَفْسِدَةً
أَيَزْعُمُونَ كِلَابَ الْبِرِّ أَنْ لَهُمْ
هل يستوي من غدا الدين ينصرون
أَيُطْفِئُونَ بِأَنوَاهِ لَهُمْ نَتْنَتِ
الدين يعلو ولا يعلوه ذو سَفِهٍ
حَسْبُكَ مَدْحُكَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ قَدَمٍ
فَنُحْ سَعِيداً بِإِقْبَالٍ يَلْزَمُهُ
فَالْوَعْدُ بِالنَّصْرِ فِي التَّنْزِيلِ مَسْطُورُ
(إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ) مَسْرُورُ
وَإِغْلِظْ عَلَيْهِمْ فَمَا وَاهُمْ تَنَانِيرُ
قَتَالَهُمْ فَلَهُمْ بِالنَّصْرِ تَبَشِيرُ
فِي اللَّهِ فِيهِمْ فَفِي ذَا أَنْتَ مَا جُورُ
وَكَمْ لَهُمْ فِي الْقَرْيِ نَهْبٌ وَتَدْمِيرُ
اسْتَغْفِرُ اللَّهَ! هَذَا الْأَمْرُ مُحْظُورُ
وَالسَّرُّ فِيكَ لِذَلِكَ الْجَيْشِ مَنْصُورُ
وَمَنْ لَهُ بِطَرِيقِ الشَّرِّ تَدْبِيرُ
فَابْشُرْ فَنُو الْبَغْيِ مَقْهُورُ وَمَكْسُورُ
قَلْباً يَقَاوِمُ مِنْ بَالِهِ مَنْصُورُ
وَمَنْ يَحَارِبُهُ الْفَرَقُ مَنْظُورُ
نُورُ الْإِلَهِ؟ تَعَالَى اللَّهُ ذَا زُورُ
فَابْشُرْ لَأَنْتَ بِهَذَا الْفَتْحِ مَسْرُورُ
عَلَى مَدِيحِكَ مَجْبُولُ وَمَقْصُورُ
فَتَحْ وَنَصْرٌ وَإِقْبَالٌ وَتَدْبِيرُ

<٨٤ب>

ثم أنه قفل من دار السلام، قاصداً أولئك الطغام، بجحفل ترجع
الطرف خاسئاً من إشراق الأسنة، ويضل فيها الطرف^(١) زاهياً من فوقه،
متبختراً يلوك الأعنة، وجيش مالت بمبرته البادية، وقربت لدى طليبه

(١) الطرف، بالكسر: الحديث من الناس، الذي لا يثبت على صحبة أحد.

الأقطار النائية، دأبهم في الحرب الكر لا الفر، والثبات تحت القَتَام والمقر. فَطَوَى بهم المَهَامِه النائية، وامتطى منهم ظهر كل قَفراء بادية، فوافاهم بذلك الخميس آخر الليل وقت التَّغْرِيس، قرب مرقَد سيدنا ذي الكِفَل - عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام - فأغار على الخيام، وَبَغَتَهُم وهم نيام، فاستيقظوا لضبوح الخيل^(١)، ونادوا بالثبور والويل، وفرت خرائدهم من الملاعب، وظهرت من الأخبية النواهد والكواعب، وطفق يشجع رجالهن في يا ابن أم يا ابن عم، حيث قامت الداهية^(٢) بينهم على ساقٍ وقدم، وقامت الحرب على ساق، وضاق بأولئك الأعراب واسع البر لضيق الخناق، فابتدرتهم جنود الله كالأسود الضارية، وطلبتهم عباد الله طلب الضياغم العادية، وصاروا بين ليلين الدجى والخميس، ووقفوا بين مفترسين: بيض الضبا وحر الوطيس، ففلقت منهم الجماجم، بكل بتار صارم، وسالت الدماء على الغبراء سيل الجداول، ونادت جنود الله على الأعداء: هل من مبارزٍ أو مُنازلٍ؟.

هذا والوزير يخترق الصفوف، ويقرب للأعداء الحُتُوف، ينظم الرجال بطعناته، وينثر الأبطال بضرباته، حتى صمّت آذان الأعداء، فلم تسمع لصليل حُسامه، وعميت عيون الفرسان لكثرة ما تدمع خوفاً من جراءة إقدامه <٨٥>، وسالت الآماق، ومالت الأعناق، وغدا الكمي^(٣) بلون

(١) ضبحت الخيل: أسمعت في عدوها صوتاً ليس بصهيل ولا حممة.

(٢) الداهية: المصيبة والأمر العظيم.

(٣) الكمي: الشجاع المتدرع بالدرع والبيضة.

جَاد^(١)، مما لاقاه من البواتر الجداد، فدَهَوْا منا الليوث الكواسير، بأعظم داهية ورزية، وبلوا من الأسود العوايس الجواسير بأجل بلية، فاستتار فجر النصر على جنود الوزير، واطلم ليل الخذلان على الأعراب من غير تكير، وبرَدَ حرَّ حماسهم بعد وقوده، وخمد صوت شبيْلهم^(٢) وضير غامهم بعد زئيره ورعوده، فلو لم يحلَّ الليل لذاق كلهم الهول والويل، فقرُّوا كالخمر المُستنفرة إذا فرَّت من قسورة، وتركوا بيوتهم خاوية يُخبر حالها عن الأيام الخالية، ونجوا بالنفوس قائلين: لا عطر بعد عروس^(٣). فقتل بعضهم، وهلك الآخر من النفير، لشدة الظمأ وحرَّ ذلك الهجير.

ثم أن الوزير رجع إلى بغداد محفوفاً بالنصر والسداد، وهنئ بالقصائد البليغة الرائقة، القوافي الفصيحة الفانقة، منها قول الوالد - حفظه الله - وقد أجاد [من البسيط]:

بُشْرِ فذِي مِنَّةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنِّ لَمْ تَتَّفِقْ لَوْزِيرٍ قَطُّ فِي زَمَنِ
فَهِيَ الْمُحَامِدُ لَمْ تُدْرِكْ نَهَائَتَهَا وَهِيَ الْمُقَاخِرُ لَا ثُبَانَ مِنْ قَطَنِ
زَالَتْ بِهِمَّةُ الْعِلْيَاءِ مَا رَمِدَتْ بِهِ الْغَيْسُونَ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْمِخْسَنِ
وَطَالَمَا قَبْلَ ذَا كَانَتْ مُسَهَّدَةً تَرَعَى نَجُومَ الدُّجَى مِنْ وَخْشَةِ الْوَسَنِ
لِلَّهِ دَرْكٌ هَذَا هِمَّةٌ خُمِدَتْ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ هَذَا ضَيِّقُ الْعَطَنِ
وَزِينَتْ فَرَحاً دَارَ السَّلَامِ وَقَدْ فَاقَتْ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ
هَذِي السَّعَادَةُ قَدْ جَاعَتْكَ مَقْبَلَةٌ مَنَاقِدَةٌ أَبَدًا طَوْعاً بِلَا رَسَنِ

(١) الجاد: الزعفران.

(٢) الشبيْل، هو أحد زعماء شمر كما سيأتي.

(٣) مثل تقدم شرحه.

ورثت والدك محمود سيرته بل أنت أحمد في ذا المشهد الحسن
فيالها سنة غراء مشرقة حتى حكّت غرة في جبهة السنن

<٨٥ب>

رفعت بالأمن ما بالقلب من ألم من الهموم وما قد كان من درن
ما نال نصرتك الأمثال في زمن كلاً ولا نالها سيف بن ذي يزن
فما مكارمه إذ قال شاعره: هذي المكارم لا قعبان من لبن^(١)
ولا وقائع ذي قار وشهرتها من البريئة في شام وفي يمن
وما رواية حلاق الرووس وما حرب البسوس ولو ذاعا لدى قرن
وما كفاح نوي الغبرا وداجسها أعلى طريقاً أتى من هذه السنن
شمرت عن ساعد الإقدام فانهزمت كماء شمر أميالاً عن الوطن
أطعمت حمامهم نار الهياج وفي نار البنادق ما يغنى عن الجبن
لما تلالاً نور النصرة انمحقوا ونجمهم غاب لم يطلع ولم يبين
ولت بنو لامهم وغراً على حلق^(٢) وما رعت عهدهم فيهم ولم تبين
وجس جساسهم نيران معركة ولم يطق نجدة ولي ولم يعن
وما شيبيل سوى كلب بمزبلية يعوي على حزبه في السر والعلن
وقد كسرت جموع البدو قاطية وهي الحريئة بالتكسير من محن
ساعت تدابيرهم مما بهم فركا حتى رأوا حسناً ما ليس بالحسن
ظنوا على زعمهم أن النجاح لهم ما دلهم رأيهم إلا على غبن
جعلت قبرهم جوف الأسود مع العقبان لكنهم موتى بلا كفن

(١) من بيت للناطقة الجمدي:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فساد بعد أبوالا

(٢) الوغز: احتراق الغيظ.

خلعت أئدةً باتت على وجلٍ ظلت مُسامرةً الأحقاد والإحْنِ
تشفعُ الليلُ فيهم حيث يشبههم غدرتْ باليلُ ليلتَ الليلِ لم يكنِ^(١)
وكم لديهم له من نعمةٍ حسنت فالمانويةُ في سهوٍ عن القَدَنِ^(٢)
ما نصركم كان إلا عيد أضحيةٍ وهم ضحايا صرعى في زُبى^(٣) الدمنِ
عيد الأضاحي أتى قبلاً ومن عجبٍ أضحيته قبل عيد الفطر في الزمنِ

<١٨٦>

قرئت وحشي الفلا والطير صادحة شكراً لدعوتك العظمى على فنِ^(٤)
ليتمت أبناءهم أئمت ما نكحوا وابتنعت أرواحهم لكن بلا ثمنِ
خابت روايتهم دغوى مُصادمةٍ وهم لأكذب في الهيجاء من رتنِ^(٥)
غنى المهنّد والعشال صفق في ظهورهم فغدوا هلكى وكم زمنِ^(٦)
وكم قتيلٍ على الغبراء مُنقّخٍ يظنّه جاهلٌ شحماً من السِمنِ
باتت نوائجهم تبكي مُعرشهم يندبن من نوعةٍ الأحزانِ والشُجنِ
على بناتٍ على بغلٍ على ولدٍ على أثاثٍ على مالٍ على سَكَنِ
أحسنّت في قتلهم والله إنهم أضرّ من عابدي الطاغوت والوثنِ
بشراك بشراك إن الرعب مهلكهم على الدوام ولو فرّوا إلى عَدَنِ

(١) إشارة إلى أن أحمد باشا سار تحت جناح الظلام ووصل إلى معانقهم دون أن يشعروا به، وكانوا يظنون أن الليل سائرهم.

(٢) المانوية: قوم ماني، والقدن: البناء المشيد.

(٣) الزبى: الحفرة.

(٤) الفنن: الغصن.

(٥) الرتن: الأمطار الخفيفة.

(٦) الزمن: المبلى.

ومنها قول السيد عبد الله أمين الفتوى ايضاً: [من الخفيف]

أحمد الله والصلاة على أحمد
 ذا السجايا محمودة ليس تُحصى
 نصّر الدين فيه مولى البرايا
 فغدا الناس أمنيّن بخير
 فاق جمع الولاة بالسيف فخرأ
 لا تسل سئل جود كفيه أصلاً
 رجم الله أهل بغداد فيه
 وأزال الردى وأصلح فيه
 حين غرّب العراق أبدوا فساداً
 ضمروا الشر بينهم وتناجوا
 حيث فضلاً قد من في عود أحمد
 حمّد القول منه والفعل أحمد
 واستقامت به شريعة أحمد
 واطمأن القلوب والحال أحمد
 وكذا جوده الذي جاوز الحد
 عجباً كيف لا تمل من المد
 وزوى عنهم البلايا وابعد
 شعث الدين واحتوى ما تبدد
 وعثوا وجمّعوا من تمرّد
 واستمذوا من كل باغ إلى نجد

<١٦>

فأناهم جمع طغاة بغاء
 حشّير المجرمون من كل فج
 ما سمعنا بمثل ذا الجمع أصلاً
 شمروا ساعداً وراموا قتالاً
 أظن الكلاب أن قلوباً
 بشجاع ذلت له قوم كسرى
 أو نور الإله يطفئه أفسوا
 أو دين الإسلام يعلوه غيره
 إن دين الإسلام يعلو يقيناً
 كل فرد منهم لعين ومرئد
 ظن لا ريب أنه فتح السد
 كل جمع لهم رئيس ومسند
 واستعدوا لحرب أمة أحمد
 قاسيات لهم تقاوم أحمد
 فحاديهم وللنار أحمد
 ه من أبطن النفاق والحد
 حاش الله أن يكون ويوجد
 هكذا جاء عن رسول موجد

فالتقاهم بِصِدْقِ عَزْمٍ وَحِزْمٍ فِي جَلالِ كائنه الأسد الوَرْدُ^(١)
 فرمى الله رُعبه في قُلُوبِ قاسياتٍ لَهم تشابه جَلَمَد
 فلووا هارِبين منه حِيارى في البراري والكُلُ منهم مُشَرَد
 فمحي كلُّ مَنْ بَغى وتمادى في فسادٍ بسيفه المُرَقَفِ الحد
 وأباد البُغاة بِالقَطع فيه حَبْذا سيفه ونعم المَقْلَد
 شقَّ هاماً منهم وقطَّ رؤوساً كَتَب السيف فيه أَمناً ومَهْد
 كم طريح غدا له في البراري ثاوياً لم يَنل من الأرضِ مَلْحَد
 هَزَمَ الأحزاب منهم مَهْـزَمَ الأحزاب يوم الأحزاب في نصر أحمد
 ما سَمِعنا مثيلاً ذا النُصْرِ أصلاً منذ قَدَر النبي لم يَكُ يُعْهَد
 هذه نُصْرَةٌ كَنُصْرَةِ بدرٍ ضَمَّ فيها العدى قَلِيبَ محَدَد
 فغدا الدين في ذراها آميناً عامراً منه ما وَهَى وتَجَدَّد
 شَكَرَ الله سَعِيه في غِزاه مُذ حَبَاه بالنصر فيه وأَيَّد

لا تَخَلْ جانبَ الوزيرِ مُخْلِى أولياءَ العِراقِ نائيه بالمد
 هِمَّةُ الغَوثِ أدركته حَقِيقاً بأمثالها غدا القُطْبُ يَنْشُدُ
 الذي قال إن دُعائي مُريدي مستمداً أَجْبَه لبيك تُنْجَدُ
 كيف لا يَرْتَجى لأمثال هذا وله شُهْرَةُ التَصَرُّفِ في اللحد
 والوزير الكريم دام سَعِيداً حُبُّه واعتقاده فيه يَشْهَدُ
 وله في ضَرْيحِهِ صَدَقَاتٌ نَامِيَاتٌ مَأْثِرَ لَيْسَ تُجْخَدُ

(١) الورد صفة للأسد، حين يكون لونه بين أحمر يضرب إلى صفرة.

عُمَرَ الصُّفَّةَ الْعَظِيمَةَ فِيهِ وَأَزَالَ الْعَتِيقَ مِنْهَا وَجَدَّدَ^(١)
جُدَّدَ اللَّهُ عُمَرَهُ كُلَّ يَوْمٍ مَا شَدَا الْوَرَقُ فِي الْغُصُونِ وَغُرَّدَ^(٢)
فَبِأَسْمَانِكَ الْعِظَامَ إِلَهِي مِدَّ فِي عُمَرِهِ مَدَى الدَّهْرِ سَرْمَدَ
إِيقِهِ وَالْيَا عَلَيْنَا فَأَنَّا فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ لِسَوْلَاهُ يَا فَرْدَ
أَحْمَدَ سَيِّدِي أَحْمَدُ اللَّهِ حَمْدًا هُوَ مِنْ نَجْدِ سَائِرِ النَّاسِ أَحْمَدُ
حَيْثُ خُصِمْتَ فِي خُصَالِ عَوَالٍ كَمْ فَتُوحٍ كَمْ نَصْرَةٍ لَا تُعَدُّ
كَمْ هُجُومٍ عَلَى الْعِدَى فَتَرَاهُمْ طَعَمَ صَنْصَامِكَ الصَّقِيلِ الْمَهْدُ
عَبْدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ قَدْ نَالَ فَخْرًا فَهُوَ فِي مَدْحِكُمْ كَحُسَّانِ أَحْمَدِ^(٣)
دُمَّ بِعِزِّ وَرَفْعَةٍ وَوَقَارٍ وَيَسْعِدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُعْجَدَ



[غزو شمّر]

وبعد أن حلَّ في دار السلام، واستبشر بِحُلُولِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، أَتَاهُ
الْخَبَرُ أَنَّ عَرَبَ الْجَزِيرَةِ شَمَّرَ، بَعْدَ فِرَارِهِمْ قَدْ تَحَصَّنُوا بِالْفِيَا فِي
النَّوَارِجِ^(٤)، وَاعْتَقَلُوا بِمَتُونِ السَّوَابِحِ^(٥). وَانْهَمَ يَشْنُونَ الْإِغَارَةَ عَلَى الْقَوَى،

(١) إشارة إلى تعمير أحمد باشا لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي قام به في هذه السنة، وسيذكره المؤلف فيما يأتي.

(٢) جمع ورقاء وهي الحمامة.

(٣) يريد حسان بن ثابت شاعر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

(٤) النوازح: البعيدة.

(٥) السوابح والمسابحات: الخيل.

وينهبون أموال الوري، قائلين: إن^(١) قَصَدْنَا هذا الأسد، هربنا على مُتَسُون السابحات في الفَدَقْد^(٢)، <٨٧ب> وإلاّ فيها نحنُ على ظهور الخيل نذَعُ كُلَّ من الأنام في هَوَلٍ وَوَيْلٍ. وأما أهلنا فقد بعدوا في نو^(٣) الصَّحاصيح، وشَطَّ بهم المكان في الفيافي ربات الضحاضح، ولا سيما الشامية السَّبروت^(٤)، والقر التي من سَلَكها يموت.

فلما تحقّق الوزير منهم هذا الكلام، وجّه إليهم سرّيةً تحت الظلام، وكتيبةً كَتَبَ على بُنودها السُّعد، وسَطَّر على جباه أسودها أيّ المجد. لم يشعر بهم أحد، ولم يظفر بهم رَصَد، بل ساروا أسرع من هُبوب الريح، ومن نكاح أم خارجة^(٥) بكل بطلٍ في الحرب للهموم مُزِيج، في غُمار النَّعْ يُرهب منازلهم ومُعالجهم، فلم يشعروا إلاّ وجنود الله قد دَهَمَتهم، ولم يُبصر إلاّ عياد الله قد بَغَتَتهم، فبانَ لهم أن رأيهم كان سيفسافاً^(٦)، وأن ما فعلوه كان فاسداً خِلافاً، ولكن لم يكن لهم بُدٌّ من القتال، حيث أدركتهم الرجال، بالسُمرِ العوال، فوقفوا صفوفاً، واصطفوا مئات وألوفاً، وبَرَزَ للهيجاء من الجانيين، كل بطلٍ يَقرَّبُ لمُصادمة الأجل والحَيَن، وأضرَم

(١) في الأصل: من، وشطب عليها وكتب فوقها: إن.

(٢) وفندد: ربما أراد الفدفة وهي صوت كالحفيف، حكاية صوت الخيل السابحات.

(٣) للدو: القلاة.

(٤) السبروت: الأرض القفر.

(٥) يقال أسرع من نكاح أم خارجة، وهي امرأة من بجيله ولدت كثيراً في قبائل من العرب، كانوا يقولون لها: خطب! فقول: نكح!

(٦) السفساف: الرديء من كل شيء.

بين الفريقين الوطيس، وقامت حرب العوان^(١) من الطائفتين، هياجاً لأسود العريس، فغنى الصقيل وصفق ألا سييل، ورغت السهام، وعلاهم العثير والقتام، ونظمت الأبطال بالسينة الأسنة العوال، ونثرت هام الرجال بالبيض الصقال، وحارب الشجعان، وجالت الفرسان، وود الكمي الهرب، من ذلك الهول والعطب.

فلم تنقشع عن الأعداء سحابة القتام، ولم تدبر عنهم بظهور الفجر جيوش الظلام، إلا وقد حكمت المناصل في مفارقهم <١٨٨>، ودعت الذوابل المناضل^(٢) يقفوا إثر هاربهم ومفارقهم، وانهزمت أبطال الأعراب وقلت جموع أولئك الأحزاب، واغتنم الجند الباقي من أموالهم، وأسرا أكثر نسائهم وأطفالهم. ثم أنهم عفا عن العيال، وأخذوا الأموال تبعا لسيرة سيدهم، واقتفاء بطريقة مسددهم، ثم قدموا إلى بغداد رابحين، ولأعدائهم ذابحين.

ثم أن الشيوخ^(٣) أولئك الفجرة، ورؤساء جبابرة الكفرة، جاءوا إلى الوزير ذي المروءة الباهرة، والسجينة الظاهرة الزاهرة، واستأمنوه على أنفسهم وعيالهم، وأظهروا التوبة من سيئ أفعالهم، فأمنهم على ذلك، وعمرت الطرق والمسالك.

وقد رأيت في بعض مجاميع أهل الأدب قصيدة للشيخ حسين الراوي يمدح فيها الوزير في هذه القضية، والصحيح خلافه إذ فحوى

(١) حرب عوان: كان قبلها حرب.

(٢) المناضل: المبايق في الرمي.

(٣) ربما أراد شيوخ..

القصيدة ومنطوقها يدلّان على أنها كانت في غزوة ذي الكفّل المتقدّم ذكرها^(١). والقصيدة هذه [من البسيط]:

يا دارُ مئة بين الرُّند فلَكَادِ	من الخُجون إلى أكناف أجِدادِ
سَقاك صوبُ السَّواري وابل هطل	من شَمَل راتِح لا زَعَزَع غلادي ^(٢)
هل الطُّلول من التنعيم عامرة	وهل أريدُ بها أيام إسماعدي
وهل قواعي الربسى بالفج يانعة	بكل غصنٍ رطيب الفرع مِدادِ
وهل إذا خُز ذلك الشعب مندقة	وامشِر الطلح في مستنقع الوادي ^(٣)
وهل حجيج دمشق الشام مُنحدرٌ	من التُّثّة يحدو إثره الغادي
وهل مشاعرُ ذلك الحي عامرة	بمُحرِم حالق أو ناجِر فادي
نعم مشاعرُها لم تَخُل من سَكَن	وكسل أيامها أيام أعيادي

<٨٨٨ب>

قد كنتُ فيها قريراً العين واجيد	لم أشكُ قَلّة ملبوس ولا زادِ
حتى غَدَت عيس ترحالي تؤم بنا	أكناف دجلة من أطلال بغدادِ
فلا رعى الله حاويها ولا وُردت	مِجَنّة لا ولا فازت بأجسادِ ^(٤)

(١) ومما يؤكد أنه نظمها بمناسبة معركة ذي الكفّل، ما ذكره السيد محمد سعيد الراوي، وحسين الراوي هو أخو جده الأعلى، أنه قد نظم هذه القصيدة بمناسبة انتصاره على عرب الجزيرة الذين عاثوا فساداً يقطعهم السبل وتشتتهم الغارات عند مقدمه من البصرة إلى بغداد، وذو الكفّل موضع معروف على هذا الطريق. تلويح الأسر العلمية ص ٤٧.

(٢) السواري: المرتفع، والشمال: ريح الشمال، والنزع: الريح الشديدة.

(٣) أمشِر الطلح: اخضر الشجر.

(٤) موضع بأسفل مكة على أميال.

قَدْ خَلَقْتَنِي غَرِيباً فِي مَوَاطِنِهَا
 نَكَلْتُ فِيهَا سُرُورِي وَافْتَقَدْتُ بِهَا
 بَغْدَادَ دَارِي وَنَجَدْتُ مُنْتَهَى أَرْبِي
 عَزَّ الدَّوَاءُ لِإِسْعَافِي وَتَسْلِيَّتِي
 شَيْئٌ بَدَا ضَيِّغَماً مِنْ تَحْتِ سَابِغَةٍ
 عَائَتْ بِحَوَزَتِهِ الْأَعْرَابُ بَاغِيَةً
 فَعَافَ كُلُّ لَذِيذٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
 وَاسْتَقْدَحَ الْحَرْبُ مِنْ عُدُوِّ حَمِيَّتِهِ
 وَظَلَّ يَعْمَلُ فِي التَّدْبِيرِ هِمَّتَهُ
 حَرْبُ عَوَانٍ تَوَلَّاهَا فَاَنْتَجَبَهَا
 لَمَّا أَدَارَ رَحَاهَا قَالَ قَائِلُهُمْ
 أَبُو الْفَتْوحِ خَلِيفَ النَّصْرِ سَبَاحَتَهُ (٣)
 مَذْ حَيْعَلِ السِّيفِ لُبَّتُهُ جَمَاجِمُهُمْ (٧)
 وَصَارَ أَسْنَى افْتِخَارٍ عِنْدَهُمْ هَرَبٌ
 وَإِنْ حَقَّقْتُ بِأَحْفَادٍ وَأَوْلَادٍ
 أَنَسِي فِيهَا أَنَا فِئَا أَيْامِ إِحْدَادِي (١)
 وَبِالشَّيْبَةِ اسْعَافِي وَاسْعَادِي (٢)
 إِلَّا إِذَا عَطَفَ الْمُسْتَتَصِرُ الْهَادِي
 طَوْدٌ بَدَا شَامِخاً مِنْ فَوْقِ أَطْوَادِ
 وَشَفَعُوا الْبِغْيَ إِفْسَاداً بِإِفْسَادِ
 حَتَّى يَرَى أَمْرَهُمْ فِي قَيْدِ مَقْتَادِ
 وَيَأْشُرُ الطَّعْنَ فِيهِمْ غَيْرَ مِرْعَادِ
 تَحْتَ السَّوَابِغِ (٤) لَا يَلُوي إِلَى النَّادِ
 أَمْنَا تَعْقِبُهَا فِي غَيْرِ مِيلَادِ
 هَذَا الْمُهْلَهْلُ أَمْ هَذَا ابْنُ شَدَادِ (٥)
 مَنَاحُ عَيْسٍ لَوْرَادٍ وَقُصَّادِ (٦)
 تَسْمَى لِحَضْرَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَجْسَادِ
 لَمَّا رَأَوْا أَحْمَدَ مِنْهُمْ بِمِرْصَادِ

(١) الإحْدَادُ: الحزن وترك الزينة على ميت.

(٢) ماء أو موضع بطرق الحجاز.

(٣) فِي الْأَصْلِ: خَلِيفَ.

(٤) السَّوَابِغُ جَمْعُ سَابِغَةٍ وَهِيَ الدَّرْعُ.

(٥) الْمُهْلَهْلُ، هُوَ عَدِي بْنُ رَبِيعَةَ التَّغْلَبِيِّ، خَالَ أَمْرَاءِ الْقَيْسِ الشَّسَاعِرِ، وَأَحْمَدُ شَجْعَانِ الْعَرَبِ. وَابْنُ شَدَادٍ، عَنَتْرَةُ الْعَبَّاسِيِّ.

(٦) هَذَا الْبَيْتُ مَكَانُهُ فِي الْأَصْلِ بَعْدَ قَوْلِهِ (عَزَّ الدَّوَاءُ لِإِسْعَافِي..) وَقَدْ نَقَلْنَاهُ إِلَى هُنَا لِاتِّفَاقِهِ وَمِيقَاتِ الْقَصِيدَةِ.

(٧) حَيْعَلٌ: قَالَ حِي عَلَى..

صارت ثريّاهم في كل هاوية
واستوطنوا البيد كالاورال نافرة^(١)
أو كالنعام وصوبُ الريح مقصدها
لامت بنو لام حماماً وغانمها^(٢)
بنات نعش بلا طوق ولا هادي
تؤم قفراً بلا ماء ولا زاد
مستفرات بدداً خوف صياد
أضحى غنيمة أعراب وأكراد^(٣)

<أ٨٩>

سيوفه أفقرت شهر الصيام بهم
ما المهرجان وما النيزوز يوم غدت
هذا جزاء رغاء البهْم مذ خرجوا
أدامك الله يا من جلّ همّك
يا روح بغداد رفقا بالقطين فهم^(٤) بلا
ويا سراج ربّاهما لا تخلفها
ويا خفير جماها كيف تتركها
يا خالق الخلق مكن ركن دولته كما
واجعل مواطنة دار السلام وكن
ودع عبّئك ذا الراوي بحضرته
فكان افطارها تفطير أكباد
رؤوسهم جمعاً من غير ميعاد
وبذلوا طاعة المولى بالحداد
حماية الحق لا تبكيت حساد
خضورك أموات بالحداد
بظلمة الجور للمستتبّع العادي
فريسة الحاضر الأهلي والبادي^(٥)
تمكّنت الغبرا بأوتاد
له المعين بالطاف وأمهـاد
يروى مفاخره في خير إسناد

(١) جمع ورل دابة على خلقة الضب إلا أنه اعظم منه يكون في الرمال.

(٢) إشارة إلى بكر الحمام وغانم الحسان من شيوخ شمر، وقد وردت بعض أخبارهما في هذا الكتاب.

(٣) هذه إشارة إلى أن جيش أحمد باشا كان مؤلفاً من العرب والأكراد.

(٤) القطين: جماعة القطان الذين يقطنون موضعاً لا يبرحونه.

(٥) الحاضر: المقيم في المدن والبادي: المقيم في البادية.

وقد رأيتُ في بعض المجاميع أيضاً مدح الشيخ المذكور الوزير
بأبيات مُهملة مكتوب في صدرها: ولما مدح السردار^(١) المكرم همام
العصر أحاد المدّاح الكمل، وصار طيرسُ مذّجه مُهملاً تام الرّوع، مدّح
المادّح والممدوح مع الحصير^(٢) والكلال، والله المُمِدُّ المُمَهِّدُ للأحوال.
والأبيات هذه [من الوافر]:

حُسامُ الرّوعِ سَلَّ كما أرادا وكم طَرَدَ العدى سَرَدَا طِرَادَا^(٣)
ورامَ محامِداً ودرّاً أموراً وردّع مارداً أمرداً وكادَا
وسارَ وأمَّ أعسداءَ وساماً ملوكاً كادها كرمياً وسادا
أحاولُ مَذْحِيهَ لما أراه واعدم طيرس مدحك والمِدادَا
وهاهو صارَ ممذوحاً لكلِّ ومَهْمَلٌ مَنجِيهم صارَ المُرادَا

<٨٩ب>

ودرُّ المَذْحِ عاذِلُهُ دَوَامُنا وساعده الكلام كما أرادَا
عِداكَ اللهُ مَذاحاً لَطُودِ لكلِّ مؤصِّل الأعلام عادا
أأحمدُ كُلَّ لاسمِكَ كُلُّ مَذْحِ ولو طاعَ الكلامُ له وهادا^(٤)
وأهلُ العِلْمِ لو رامُوا كلاماً لِمَنجِيكَ ما رَوَوْا إلاَّ وحادا^(٥)

(١) رتبة عسكرية تعنى: قائد الجيش، وهي تماثل كلمة سر عسكر التي نالها أحمد باشا
هذه الرتبة بوصفه قائداً عاماً للجيش العثمانية التي توغلت في إيران آنذاك.

(٢) الحصير: المحبس.

(٣) السرد: المتتابع.

(٤) هاد الرجل: رجع إلى الحق، وربما أراد: تهود هوادة وهو اللين والترفق.

(٥) أي أفراداً.

وكم لك حاول الإطراء راو
وما وصل المراد وما دراه
وأصدر ورد منحك دعاء
ودام الله سعادك طول دهر
ومهد للمرام له مهادا
سواء ورد عوده ودا
وساعد الدعاء كما اراد
وعودك الشروز كما اراد

وقد عارضها المتلا سليمان الكردي بقوله [من الوافر]:

سعودك دام موصولا مرادا
وعمرك طول المولى مده
وسعدك سام للأطواد طولا
خسام الملك صارمه المسمى
أولى الأمر الملوك راوه أهلا
وساس الملك والأمصار طرا
هو السردار أحمد والمسمى
لواه لوى العدى كرها وأمنا
أما وعساكر الإسلام أولا
وكل مطهم طود علاه
صوارمه لها إلهام قسك
وحكمك محكما حالك مرادا
كعد العنبر أعواما عبادا
على هام الشها علا وسادا
لذا كل الملوك الكل كسادا
ولما مل صار لهم سدادا
وللإسلام مهدها مهادا
خسام الملك صارمه المرادا
له كل العدى والى ودا
سواء للعساكر والسوادا
له الكرنوس أهلكهم طرادا
له رجع العدى ودعوا رمادا

<١٩١>

وَحُمِرَ السُّمَرُ صَارَ لَهَا طَلَاءٌ دُمُ الْأَعْدَاءِ وَعَادَ لَهَا مِدَادَا
 وَكُلُّ مُطَهَّمٍ لَوْ صَارَ صَبْعًا^(١) وَامْسَى السِّدْرُ مَكْسُوا مَنَوَادَا
 وَحَسَّ الْأُسْدُ صَارَ لَهُ أَرْعَوَاءُ^(٢) رَعُودًا وَالرَّمَاحُ لَهَا رِدَادَا
 وَسَلَّ صَوَارِمًا لِلزُّرُوعِ لَمَّا عَدَا الْإِسْلَامُ أَمْلَاكًا عِدَادَا
 وَطَارَ كَرَى عَلَى مَا صَادَ رَوْعًا وَحَوَّلَ لِلْكَرَى أَمَدًا مَثَهِادَا
 لُمَاهُ كَالْمَدَامِ وَكَأَسُ رَاحٍ لَأَلِ مِصْمَطَةٍ نُرَّرَ عِيدَادَا
 أَطَالَ هَوَاهُ أَمَالَ وَهَوَّلَ لِمَسْرِدَارِ الْعَسَاكِرِ وَالْمُرَادَا
 هُوَ السَّرْدَارُ وَالْمَلِكُ الْمُسَمَّى حُسَامُ الْمَلِكِ سَغَدَ الْمَلِكِ عَادَا
 كَمَالَ الْعَصْرِ كَمَ اعْطَى لُكُوكًا وَحَمَرًا كَمَلًا مَلَأَ عِدَادَا^(٣)
 وَكَوْنًا لَا عِدَادَ لَهَا وَدَهْمًا^(٤) وَأَمْلَاكًا وَأَمْسُوَالًا مِدَادَا
 عَظَاهُ عَلَى الْمَلَا كَرَمًا مَدَامًا هُوَ الْمِهْطَالُ كَمَ أَرَوَى عِهَادَا^(٥)
 مَكَارِمَ أَحْمَدٍ حَمْدًا نَوَامٍ مُحَامِدٌ حَصْرَهَا أَحْصَاهُ عَادَا
 سَرَى سَارٍ إِلَى الْأَمْصَارِ عَادٍ لَهُ دَوْلُ الْعَسَاكِرِ مَا أَرَادَا
 حَوَى كُلَّ الْمَمَالِكِ وَهُوَ سَاعٍ لِإِدْرَاكِ الْعِلَا أَمْسَى عَسَادَا
 وَكُلَّ السُّؤْلِ أَدْرَكَهُ فَمَسَامٍ مَعَ الْمَسَامُولِ أَوْلَاهُ وَالْمُرَادَا
 لَهُ دَارُ السَّلَامِ حَكْمًا حَمَاهَا وَسَمَاهَا وَمَهْدَاهَا مَثَهِادَا

(١) الصلعل هنا: الحمار الذاهب للوبر.

(٢) أرعوى أرعواء: كيف وانزجر.

(٣) لكوك، جمع لك: وقد تقدم شرحها، والحرر الكمل: النقود المضروبة ذهباً.

(٤) الكوم: كل ذي حافر من بخل أو حمار.

(٥) العهد: مواضع التوسعي من الأرض.

ملوك العصر اسماء محلاً سمي طيراً له الاسعاد عادا
 ودار حماء حارمها أسود وأسماء الإله لها عبادا
 وطيه والدهر والطور عفا وروماً والرعد هوداً ومادا
 سوراً سواراً لأحمد كل ساع أحاطوا للحمى رصداً مهادا
 وكل السوء والمكروه ونسى بحمد الله والأسماء عادا

<٩٦ب>

فيا مولى الورى والمسؤل مهلاً هداك الله أولاك المـرادا
 لك مملوك أهدى سيمط مدح لأن كله نرر عتـادا
 هو المـلاً مرصعها لأن هو السحر الخلال خلاً وعادا
 عروس المدح ماس لها دلال وكاس الراح مهما دار دادا^(١)
 كلام علل السمار طيراً وسامعه ومـورده حدادا
 وأهل العصر والعلماء أرادوا لإدراكك ولـذ لهم إـدادا
 كما الحكماء الأولى راموه دهرأ وما وصلوا وما حصلوا مرادا
 وهاك رواح معطار لمـدح مخـررة له أهدى وعـادا
 ونم واسلم وسم واسمح لداع وصـيل آمال مملوك مـرادا
 وصلى الله مع أكرم سلام على مولى لرسل الله سادا
 محمد أحمد طه رسول رسول الله مأمول المعـادا
 وعم الآل سادات كراماً له دانوا وأولاهم سـعادا

(١) داد: صار فيه الدود.

مدى ما سحَّ هطَّال هَمُوعٌ على الأطلال أمطاراً عِدادا^(١)

فصل

[تعمير جامع الشيخ عبد القادر]

وفي السنة التاسعة والثلاثين بعد المائة والألف^(٢)، عمَّر الوزير المذكور صُفَّةَ امام المُوَحِّدين، وتاج الفاتحين، الهَيْكَل الصَّمَداني، والنور الربَّاني، سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني، قَسَسْنَا الله بأسرارِهِ، وأفاضَ علينا وعلى المسلمين أشيعةَ أنوارِهِ، فأحْكَمَ منها الجُدرانَ، وشيَّدَ منها الأركانَ، فَغَدَّتْ جَنَّةٌ مُزَيَّنَةٌ بالأصطواناتِ، مُزَخْرَفَةٌ من جميع الجهات^(٣).

وقد عَمَلَ لهذا البناء السيد عبد الله أمين الفتوى تاريخين، وهما الآن منقوشان على جدارها^(٤)، مَكْتَبَةً بَاب <٩١> الحَضْرَةِ، أحدهما قوله [من الخفيف]:

إِنْ فَحَلَ الرِّجَالُ قُطْبَ سَدِيدٍ وَعَلَيْهِ رَحَى الْأَنَامُ تَدُورُ

(١) العداد: العطاء.

(٢) أولها ٢٩ آب سنة ١٧٢٦م.

(٣) يريد بالصفة الظلة التي كانت تشغل أرض الرواق الشرقي في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان مصطفى الجراح، وكيل الخرج في ولاية حميين باشا قد اتخذها في الجامع عند تعميره إياه (الغرابي، عيون أخبار الأعيان، مخطوط)، وكانت هذه الظلة مسقوفة بجذوع النخل، فقام أحمد باشا برفع السقف على أعمدة ربما كانت نفسها التي ترى الآن.

(٤) لا أثر لهما الآن، وقد أثبت الكركوكلي بيتي التاريخ فقط من كل قصيدة. دوحه الوزراء ص ٢١.

وكراماته مدى الدهر تتلى ولإسهام العدى لها تكسير
 قد وهت صفة له وتداعت لسقوط والسقف كاد يطير^(١)
 بقيت برهة من الدهر هذا شأنها والعقول فيه تحير
 كل من جاء زائراً ليصلي خاف وارتاع واعتراه نفور
 وإذا الحق رام استعاد شخص اجتباه لكل خير يصير
 فالوزير السعيد أحمد باشا حسن الأصل والشجاع الجسور
 قد رآها مختلة تتهدى لسقوط مذ جاء يوماً يزور
 مذ رآها الضرغام قال: اعمروها فبنا الأمر للبناء ينور
 تم تعميرها وقرت عيون وقلوب سرت وزاد حبور
 فإذا قيل: هل جزاء لهذا؟ قال سبط الولي: أجر كبير
 للمكافاة أفصح التاريخ: الجزا بالجنات قصر وحرور

مركز تحقيق كتب علوم اسلامی

وثانيهما قوله رحمه الله تعالى

صفة القطب قديماً وضنعها وضنع حسن لكن الدهر دهاها ومحا منها الحسن
 وتداعت لسقوط وانحنت منها الجذوع واستمر الدهر خوفاً سالكاً تلك السنن
 كلما رام لها القوام تعميراً رآوا أمرها صعباً شديداً ليس يخلو عن مخن
 مذ أراد الله تعميراً لها حين أتى وقتها سخر سرداراً كريماً ذا منن

<٩١ب>

أحمد المحفوف بالأنطاف من رب العلا حسن الأصل كريماً ومشاراً مؤتمن
 جاء يوماً زائراً شوقاً إلى قطب الرجال فرآها في اختلال وانحناء ووهمن

(١) في الأصل: والسقط.

مذراها جاداً في تعميرها مُستبشراً وسخا بالمال بالتعمير أفضالاً ومن
تممت والحمد لله على إتمامها فغدت في حينها تحكي قصوراً في عَدَن
من رأى تعميرها يدعو ويتلوه باعتقاد إنما يعمر بيت الله من^(١)
فارفع الكفّن وادعُ قائلًا: تاريخها عَمَّرَ اللهم ربّي عُمَرَ أحمد الحسن
١١٤٠

[في إثباته النبيل]

وفي هذه السنة رمى هذا الأسد الضُرغام، والشجاع المِقْدَام، ذو
المتانة التي جاوزت الحد، والقوة التي أربّت على قوة الصخر الصلْد، نبْلَةً
نُسِبَتْ في الحديد، على أن الضرب كان من بعيد، وما ذلك إلا لقوة بنانه،
ومتانة يده دون أخذانه، بل ما ذلك إلا لوفود هَيْبَةٍ فلان لها الحديد فَرَقَاءً،
وتكاثر أُنْبَهَتْ حتى امتطى بها صهوة ما يريد ورقى، على أنه مشهورٌ
بجودة أنواع الشجاعة، معروف بين الفرسان بحسن هذه الصناعة، حتى
أنه يجعل القِرْطاس مُعَلَّقاً في الهواء^(٢) من فوق، فيضربه بالحسام مع
اضطرابه وعدم استقراره، فيقطعه نصّتين كأنه قصٌّ بِمِقْص.

ومن عجيب متانته أنه يبِل اللبد ويذُرْجُه فيضربه بالسيف فيقطعه.
وأنه يُجيد الطعن بالسّمهرية، ويُحسن اللعب فوق الخيول العرابية، حتى
إنه الغاية في هذا الشأن، والمفرد في هذا النوع ليس له ثان. وقد أبصرته

^(١) في القرآن الكريم ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة، آية ١٨).

^(٢) في الأصل: الهوى

حين خَرَجَ لاسْتِقْبَالِ بعض السرايا إلى هَوْر <٩٢> عَقْرَقُوف^(١) بِوُجُوهِه
عساكره وجنوده، وأعيان أمرائه وأعلامه وبُنوده، وحلفائه من الأعراب
ونُدُمائه والأصحاب، فأبصرته ذلك اليوم لَعِبَ مع الفرسان، وجمال مع
الكُماة والشجعان، فلم أرَ في ذلك الجُحفل من يجيد اللعب بالسنان، غير
هذا البطل. وقد أَرخَ السيد عبد الله المذكور^(٢) رَمِيَةَ النبيل بقوله [من
الطويل]:

لداود إن لَانَ الحديْدُ كرامةً فقد لَانَ فولاذُ لأمّة أحمد
وزير رمى سهماً بقوة ساعدٍ إلى نحو فولاذٍ صقيل مُمرّد
فلان له جسم الحديد مهابةً لضاربهِ السيف الصقيل المُهند
وزيرٌ أطاعت أمره كلُّ مِيلةٍ أعاجم أعرابٍ خِوَوْا كلَّ مُقْسِد
فساعد ربي ساعداً قد رمى به ليرمي دهرأ في الوري كلَّ مُعْتَدٍ
فلا شكُّ هذا الرمي منه لقوة بساعده الفتاك في كلِّ ملحد
ولكن لهذا الرمي في الكونِ حكمةً تدل على نصرٍ عزيزٍ مؤيد
وأن شديد البأس طوعاً بكلفه كما طاع ذو بأس شديد لساعد
فمن كان للتاريخ أهلاً وقوله سديداً به تقفو الرواة وتهد

(١) عقرقوف، برج عال مبني باللبن والبواري، يبعد عن بغداد شمالاً بـ ١٧ كم، يمثل
لب المعبد المدرج (الزقورة) الخاصة بمدينة دور كوريكالزو، التي شيدها الملك
الكاشي كوريكالزو الأول (١٣٨٠-١٣٧٠ ق.م)، وهذا البرج يقف على ربوة
مرتفعة يحيط بها منخفض كبير (هور) كانت تكثر فيه آجام البردي نتيجة لانسياب
نهر الفرات إليه في القرون المتأخرة.
(٢) من الواضح أنه أمين الفتوى المتقدم.

ففي مثل هذا الرُمي يشدو مؤرخاً^(١): لقد ذابَ جِسْم من حديدٍ لأحمد^(٢)

فصل

[حرب الأفغان]

وفي هذه السنة، بينما الناس في السرور الأعظم، والخُبور الأتم، والراحة عن النُصب والإزاحة للهموم والوُصب^(٣)، وإذا بالبريد السلطاني قادمً بالكتاب الخاقاني أمراً للوزير بالمسير إلى قتال البُغاة الأفغان، وبالفتح للمدينة العظمى أصفهان، وذلك أن الأمير محمود <٩٢ب> لما مات استولى الأمر من بعده من بني عمّه أشرف خان، فجلس على كرسي الامارة^(٤) ومَلَك حَوْزَةَ أصفهان، وراسلَ السلطان الأعظم، والخليفة الأقدم، يطلب منه البلاد التي استولى عليها، والقُرى والضِّياع التي حوالِها، مدَّعيّاً أنه أحقُّ بهذه البلدان، لاستيلائه على كرسي المملكة أصفهان.

(١) في الأصل: مارخاً.

(٢) حساب الشطر ١١٣٩.

(٣) الوصب: الوجع والمرض.

(٤) اختار رؤساء القوى الأفغانية التي كانت تحتل إقليم إيران الشرقية الأمير أشرف في العاصمة الصفوية السابقة أصفهان ١٥ رجب سنة ١١٢٩هـ/ ٢٢ نيسان ١٧٢٥م بعد أن قتل عمه الأمير محمود، وكبار المقربين إليه، وما أن تسلم السلطة حتى نقض ما كان سابقه من معاهدة مع الدولة العثمانية، فطالب بالقسم الأعظم من غربي إيران وأذربيجان، على ما سيذكره المؤلف. ينظر عنه تـاريخ جـلبـي زاده ص ٢٣-٨٧ و Lockhart, L., The Fall of the Safavi Dynasty, 350.

وَوَرَدَ مع البريد إفتاء شيخ الإسلام في هذا الزمان^(١)، بِقَتَالِ الْبُغَاةِ الْأَفْغَانِ^(٢)، فَسَارَ الْوَزِيرُ بِجَحَافِلٍ أَكْثَرَ مِنَ الْأُولَى عَدَدًا، وَأَوْفَرَهَا مَعُونَةً وَمَدَدًا، وَالتَقَى الْعَسْكَرَانِ بَيْنَ هَمْدَانَ وَأَصْفَهَانَ، وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَلْقٍ، وَقُطِعَتْ إِذْ ذَاكَ رِقَابٌ وَأَعْنَاقٌ، وَحُمِيَ الْوُطَيْسُ، وَرَجَفَ الْجَيْشُ الْخَمِيسُ، وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الْأَفْغَانِ، وَوَلُّوا هَارِبِينَ نَحْوَ أَصْفَهَانَ.

فَبَيْنَمَا الْعَسْكَرُ فِي أَمْنَةٍ عَظِيمَةٍ، وَبُشْرَى جَسِيمَةٍ، وَإِذَا بِقِبَائِلِ الْأَكْرَادِ وَلَّتْ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَاقْتَفَى بَعْضُ الْجُنُودِ عَلَى آثَارِهَا، مِنْ غَيْرِ مُضَايَقَةٍ لَذَلِكَ، وَلَا ضَرُورَةَ دَاعِيَةٍ لَمَّا هُنَاكَ. فَلَمَّا عَلِمَ الْوَزِيرُ هَذَا الْخَطْبَ الْخَطِيرَ، شَهَرَ سَيْفَهُ لِيَرُدَّهُمْ، وَضَرَبَهُمْ لِيَرُدَّعَهُمْ، فَلَمْ يَجِدْ لَذَلِكَ نَفْعًا، وَلَا أَوْجَبَ زَجْرًا وَلَا رَدْعًا. وَلَمْ يَزَلِ الْبَعْضُ يَتَّبِعُ الْآخَرَ إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْوَزِيرُ وَخَاصَّتُهُ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنِهِ الْمَقَامُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، رَجَعَ كَاطِمًا عَلَى جَمْرِ الْغَضَا، قَدْ ضَاقَ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِ الْفَضَاءُ، مُتَفَكِّرًا بِوُقُوعِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، مُتَحِيرًا فِي كَيْفِيَةِ اتِّفَاقِ هَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ لَيَتَمَنَّى الْمَوْتَ الْعَاجِلَ، وَلَا رَأْيَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ الْعَاطِلِ.

وَجَاءَ إِلَى كَرْمَانَ شَاهَانُ، وَالْأَفْغَانُ - كَمَا تَقَدَّمَ - <٩٤> تَرَكَوْا خِيَامَهُمْ، وَهَرَبُوا نَحْوَ أَصْفَهَانَ. هَذَا وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الدَّاعِيِ لِلتَّوَلَّى مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُو لَذَلِكَ، فَقِيلَ: أَنَّ الْأَفْغَانَ سَحَرُوهُمْ، وَقِيلَ: أَنَّ الْأَكْرَادَ أَوْشَوْا فَخَانَتَهُمْ. وَقِيلَ: أَنَّ الْوُزَرَ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ طَاعَةِ الْوَزِيرِ الْأَمْجَدِ،

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَنْدِي الْمَعْرُوفُ بِوَصَافٍ، تَوَفَّى سَنَةَ ١١٧٤ هـ. قَامُوسُ الْأَعْلَامِ ص ٣٠٩٩.

(٢) يَنْظُرُ نَصَ الْفَتْوَى فِي تَارِيخِ جَلْبِي زَادَهُ ص ٨٩.

أبي الفتح الوزير أحمد، حسدوه على هذه الرئاسة العامة، والدولة الفاخرة الثّامة، فدبروا هذا الأمر الباطل، وزينوا بالغدر والخيانة جيد حسدِهم العاطل. وقيل، وهو القريب: إنهم أصيبوا بالعين، والعين حق^(١).

قال والدي - حفظه الله -: والأقرب عندي أن عساكر^(٢) استندوا إلى قوتهم، واعتمدوا على كثرتهم، واستعانوا بشوكتهم، ولم يعباوا بالأعداء لقلّتهم، حتى أنهم يقولون: من الأفغان حتى يقابلونا؟ ومن أين لهم قلوب حتى يقاتلونا؟ فوكّلهم الله إلى أنفسهم، وهذه عادته - تعالى - مع من يستند إلى قوته، ولم يقوِّض الأمر إليه تعالى وإلى مشيئته، وإلا فالأفغان بالنسبة اليهم كالشّامة البيضاء في الثور الأسود، ومع ذلك لا معرفة لهم بأحوال الحرب وتدبيرها، بل أنهم - كما قيل - لا يعرفون الكرّ ولا الفرّ، ولا غير ذلك مما يتعلّق بأحوال الحرب، فإنّا لله وإنا إليه راجعون^(٣).

مركز تحيتة كميتر علوم سدي

(١) تشير وثيقة غير مؤرخة، صادرة في تلك الأحداث فيما يبدو (دفتر مهمة ١٣٢ ص ٨) موجهة إلى القضاة العاملين في ولايات بغداد وشهرزور والموصل وضباط الطوائف العسكرية فيها إلى "أن بعض الجنود من الذين يقومون بغارات على بعض المواقع، يغتتمون فرصة عودتهم منها لترك الخدمة العسكرية والعودة إلى أوطانهم، يدعون أن مهمتهم قد انتهت. وقد نص الحكم على عدم السماح لهم بالمرور وارجاعهم إلى وحداتهم العسكرية ما لم يكن بأيديهم رخص وتصريحات عامة بعودتهم إلى أوطانهم من والي بغداد وسر عسكر جانب همدان أحمد باشا".

(٢) هنا كلمة غير واضحة.

(٣) وسبب ذلك هو أن أشرف خان أخذ يبيث دعايته في الجيش العثماني داعين إلى عدم وجود مبرر لحرب الأفغان، وهم الذين لا يختلفون عن العثمانيين ديناً ومذهباً، ومن ثم فإن حرب كهذه غير شرعية. ينظر تاريخ جلبي زاده ص ٨٨-٨٩.

ثم لما بلغ الأمر لأمير المؤمنين - أدام الله ظلّه على المسلمين - أرسل يسأل الوزير عن هذا الأمر الخطير، ووَعَدَهُ بالعساكر الكثيرة العُدَد، المتواصلة المَدَد، والنَّفَقَة الجزيلة، والميرة الكثيرة الجليسة، وأنه العام <٩٣ب> القابل، يقاتلهم بالجيوش والجحافل، أضعاف الأول بكرات عديدة، وأزِيدهم شجاعة وقوة شديدة.

ولما قرأ هذا الفرمان المُسْتَمَل على مزيد الانعام والاحسان، التمس شيخ الإسلام، المفتي ببند السلام، العالم العلامة، الحَـبِـر الفهامة، شيخ العراق على الإطلاق، ذو التحرير المُبِين، مولانا الشيخ ياسين^(١) - رحمه الله رحمة تَنَفَّقَتْ حياضها وناقت رياضها - من والدي - حفظه الله تعالى - أن ينشئ^(٢) له كتاباً لحضرة هذا الوزير، مُشْتَمِلاً على التسليّة، وجامعاً أصناف التهنئة، فأنشأ كتاباً هو السُّجَر الحلال، تُضْرَبُ له نواقيس الأمثال، إلّا أنه - لطول العهد - لم يبق في ذكرى منه شيء يُعْهَد.

(١) ترجم له معاصره عصام الدين عثمان بن علي العمري الموصلّي (الروض النضر، ج ٣، بغداد ١٩٧٥، ص ٧٢-٧٣) ترجمة لم تتضمن إلّا أوصافاً في مدحه، وجاء فيها أنه "إمام في العربية"، ومكت عن تاريخ وفاته. وهو غير ياسين بن محمود المفتي موصل المتوفى سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م.

(٢) في الأصل: ينشأ.

فصل

[الحملة على الأفغان]

وعلى رأس الأربعين بعد المائة والألف^(١)، تكاملت العساكر والجنود، وعزّموا على ذلك الفتح المقصود، فلما وصلوا أصفهان، رأى أولئك الأفغان، أن لا قيل لهم بهذه الجحافل، وتيقنوا أن لا طاقة لهم على بعض هذه القبائل، فتوسّلوا بالخليفة أمير المؤمنين، وتضرّعوا إليه مُنقّادين (وطلبوا الصلح (والصلح خير)^(٢)، وعدلوا عن المكَافَحة والضَّير)^(٣)، فتحرّكت السَّجَايا المَرْضِيّة، والخلال الزَّكِيّة، بمُتارَكِيهم وتَرَكِ مُعارَكَتهم، (واصطلحوا وحدّوا الحدود فيما بين المملكتين، وكتبت سجلات مشتملة على شروط فيما بين الدولتين، والتزم الفريقان تلك الشروط، وكانت سبعة على ما شوهد في السجلات^(٤)، ولما تمّ الصلح)^(٥) رَجَعَ والينا - رحمه الله - إلى كرمان شاهان، بتلك الأبطال الفرسان، تَبَيَّنَ: وكانت فتوى الأفغان، الدّاعِيَا <١٩٤> لهم إلى هذا العِصْيَان، مضمونُ قولهِ صلى الله عليه وسلم (الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ)، وهما نحنُ

(١) أولها: ١٩ آب ١٧٢٧م.

(٢) النساء، من الآية ١٢٨.

(٣) لم ترد في المتن وإنما أثبتتها المؤلف في الهامش.

(٤) نص المعاهدة في معاهدات عمومية معاهدة سي، استانبول ١٢٩٤هـ، ص ٣١٢ - ٣١٥.

(٥) ما بين قوسين أثبتته في الهامش، بدلاً من عبارة شطب عليها ونصها (وعفا عما ارتكبه، وصفح عما اكتسبه، وهذا من شيم الملوك، يصدون عن عوراء الصعلوك).

قُرَشِيُّونَ، نَسَبَتَا ثَابِتَةً إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالِاتِّفَاقِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ مِنْكُمْ وَأَوْلَى، وَلَا يَجِبُ عَلَيْنَا لَتَّبَاعُكُمْ وَلَا إِطَاعَتُكُمْ، لِكُونِكُمْ جَائِرِينَ عَلَى غَيْرِ حَقٍّ فِي دَعْوَاكُمْ، إِذْ مِنْ شَرْطِ الْإِمَامِ كَوْنُهُ قُرَشِيًّا مُجْتَهِدًا، وَهَذَانِ الشَّرْطَانِ مَفْقُودَانِ فِيكُمْ. عَلَى إِنَّا نَقُولُ: لَا إِمَامَةَ وَاجِبَةً عَقْلًا وَسَمْعًا، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مَلَكًا عَضُوضًا).

وَأَمَّا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَالآن نَحْنُ بِمَقْتَضَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ لَا يَجِبُ عَلَيْنَا بَعْضُ إِطَاعَتِكُمْ، وَلَا الْإِقْرَارُ بِإِمَامَتِكُمْ، بَلْ نَقُولُ وَنَعْتَقِدُ: أَنَّ الْإِمَامَةَ لَنَا لَا لَكُمْ. وَنَفْعَلُ فِي هَذِهِ الْأُمُصَارِ وَالْبِلَادِ مَا يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

وَأَمَّا قُتَيْبَا آلِ عَثْمَانَ فَمُضْمُونُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا بُوِيعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاغْتُلُّوا الثَّانِي مِنْهُمَا). وَإِنْ سُلْطَانُنَا - دَامَ ظُلُّهُ - هُوَ الْمُبَايَعُ الْأَوَّلُ، وَإِنَّهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ هُوَ ذُو الطَّوْلِ الْأَطْوَلِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا مَعَاشِيرُ الْإِسْلَامِ^(١) أَنْ نَقَاتِلَكُمْ حَتَّى نَقْتُلَ إِمَامَكُمْ، وَنَحَارِبَكُمْ حَتَّى نَقْطَعَ عَنْ ذَلِكُمْ مِنْكُمْ، هَذَا كَلَامُكُمْ!

وَأَمَّا حَدِيثُ (الْأُئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ) فَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَنَا، لَكِنْ نَحْتَاجُ فِيهِ إِثْبَاتَ نَسَبِكُمْ إِلَى دَلِيلٍ، وَلَا يَقْنَعُنَا فِي ذَلِكَ قَالَ عَنْ قَيْلٍ <٩٤ب>
سَلَّمْنَا مَا ادْعَيْتُمُوهُ لَكِنْ نَقُولُ: إِنْ عَادَتْنَا - مَعَاشِيرُ الرُّومِ - وَقَتِ الْمُبَايَعَةِ، أَنْ نُبَايِعَ نَقِيبَ الْأَشْرَافِ، وَهُوَ يُوَكِّلُ سُلْطَانَنَا فِي الْإِمَامَةِ، فَصَدَقَ

(١) يريد أهل الإسلام.

علينا الحديث صديقاً جليلاً لا كما صدق عليكم - كما تزعمون - صديقاً خفياً، على أنه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم (اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي) فما وجه الجمع؟ وما يكون الجواب عنه لو استدللنا به؟ فسلطاننا هو ذو الصولة والأبهة، والقوة البالغة في الذب عن المسلمين، فهو أحق بالإمامة. وكيف يثبت ما ذكرتم وقد جوز أهل الشرع إمامة غير مستجمع لشروطها ولو فاسقاً أو جاهلاً إذا حصل به النظام، حتى بالغ بعض الشافعية فقال: ولو امرأة. وإن استدلت بظواهر الأحاديث فنحن نثبت لكم أشياء كثيرة فيها يابها الشرع والعقل.

وأما قولكم لا إمامة واجبة عقلاً وسمعاً إن كان مطلقاً فدليلكم لا يدل عليه، وهو مردود بأنه قد يتواتر النقل عن إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة^(١) النبي - صلى الله عليه وسلم - على امتناع خلو الوقت عن خليفة وإمام، حتى قال أبو بكر - رضي الله عنه - في خطبته المشهورة، حين وفاته عليه السلام: ألا أن محمداً قد مات، ولا بد لهذا الدين عمن يقوم به. فبادر الكل إلى قوله، ولم يقل أحد: لا حاجة إلى ذلك، بل اتفقوا عليه، وقالوا: ننظر في هذا الأمر. وبكروا إلى سقيفة بني ساعدة، وتركوا له أهم الأشياء وهو دفنه - صلى الله عليه وسلم - وأخلافهم في التعيين لا يقدح في ذلك الاتفاق، على أن في نصب الإمام دفع ضرر مظنون وإن دفع^{<١٩٥>} (الضرر المظنون واجب على العباد إذا قدروا عليه. ألا ترون أننا نعلم علماً يقارب الضرورة أن مقصود

(١) في الأصل (وفات).

الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد وغيرها إنما هو مصالح عائدة إلى الخلق معاشاً ومعاداً، وذلك المقصود لا يتم إلا بإمام يكون من قبيل الشارع، يرجعون إليه فيما تعين لهم فإنهم مع اختلاف الأهواء ونشئت الآراء قلما ينقاد بعضهم إلى بعض، فيفضي ذلك إلى التنازع والتوائب، وربما أدى إلى هلاكهم جميعاً، ويشهد لهذا التجربة.

وإن كان مرادكم ما دلّ عليه دليلكم من انقطاع دور الإمامة بعد الثلاثين، فمُجاب عنه بأن المراد الخلافة الكاملة التي لا يطرُقها جورٌ لا مطلقاً للقطع بخلافة سيدنا معاوية وغيره. والحاصل جميع ما لكم من الشبهة مُجاب عنه، فإذا لم تُقنعكم هذه المقالة فنقول شعراً [من البسيط]:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ثم أنهم لما شاهدوا كثرة عساكر الإسلام، ارتاعوا وطلبوا الصلح والصفح، وأن أميرهم يكون وكيلًا عن السلطان في تلك البلدان كأحد الولاة والعُمال^(١). <٩٥ب>

(١) ما بين قوسين ورد في الهامش، وكتب في آخره كلمة (صح، صح) مما أكد أنها إضافة من مؤلفه.

فصل

[ورود هدايا من أشرف خان]

وفي هذه السنة، أرسل أشرف خان، إلى الخنكار السلطان، رسولا أعظم ما يكون من الرسل، إذ صاحبته عساكر وافرة، وبمعيته خدام متكاثرة، مرسولا بالهدايا لتأكيد المحبة، وتقرير الصلح والصحبة. وكان من جملتها فيل عظيم، وزندبيل^(١) جسيم، فخرج إلى رؤيته جميع أهل بغداد بحيث لم يبق فيها رجل ولا امرأة إلا خرج لرؤيته، إذ لم يروا الفيل، بل يسمعون أوصافه قالاً عن قيل.

قال الفقير: خرجت مع من خرج لرؤيته قبل يوم الزينة، وبت تلك الليلة في قصبة سيدنا الإمام الأعظم، ولما قربت إليه مع صاحب لي أبصرنا شيئا عظيماً هياة البيت الكبير، وشيئا كقم القرية مدلى لم يزل يضطرب. ثم لما قدمنا عليه أبصرنا جثة عظيمة وجثماناً مهولاً، وإذا قد صدق فيه قول أبي الحسن الجوهري [من الرجز المذيل]:

يزهو بخرطوم كمئيل	الصؤلجان يرد ردا
متمدد كالأفعوان	تمده الرمضاء مدا
أو كم راقصة تشير	به إلى الندمان وجدا
وكأنه بوق يحركه	لينفخ فيه جدا
يسطو بشاربتي لجين	يحطمان الصخر هدا

(١) الزندبيل: الفيل، كما سيشرح هذه اللفظة فيما يأتي من الكتاب.

ثم خرج الوزير استقبال الرسول، وجلس على مُسْتَفٍّ باب الشجرة المُسمَّى الآن بباب المُعَظَّم^(١)، فجَلَّ الفيل بالحُلَّ الفاخرة، وغُشي بالمناديل الناظرة، ووضع على <٩٦ب> ظهره سريرٌ عظيم هَيَاة القُبَّة، وركب عليه السُّواس، وجلس منهم على رأسه ثلاثة أو أربعة، وقُدِّمَ به على الوزير. فلما أبصر الوزير وقَفَ وسَلَّمَ إيماءً بخُراطومه، ولم يرجع حتَّى أخذ الجائزة من الوزير ما يذهِش الخواطر، ويحار لديه ذوي البصائر.

ويكاد أن يكون صحيحاً زعمُ الهند أن لسانه مقلوب، ولولا ذلك لتكلَّم! لكنه لم يصل إلى السلطان، بل مات في طريقه فسي أمد بَرْدًا، لا عتياده على الأماكن الحارة، ولا سيما قُطر الهند، ولما دخل قُطر الرُّوم أضرَّه البرد فمات، ولكون مجيئه سلَّخ السنة الأربعين، جعل تاريخ مجيئه بعضُ الشعراء في الحادي والأربعين بقوله من أبيات [من الرمل]:

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

(١) هو الباب الشمالي لمدينة بغداد منذ أواسط القرن الخامس للهجرة، كان أحد أبواب السور الذي بدأ بإنشائه الخليفة العباسي المستظهر سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وأتمه المسترشد سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م وجدده الناصر سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، وسمي بباب السلطان نسبة إلى السلاطين السلجوقية الذين أقاموا دار سلطنتهم في شماله، ثم سمي في العصور التالية بباب المعظم أو باب الإمام الأعظم لأنه يفضي إلى الشارع الذي يؤدي إلى مشهد الإمام أبي حنيفة، وكان الباب يقع بين قاعة الشعب وجامع الأزبك على يمين الداخل إلى بغداد، وبين الجهة المقابلة من الشارع، وما زال جزء من السور مما كان يليه موجوداً شاخصاً بين القاعة والجامع المذكورين، وقد أزيلت بناية الباب سنة ١٩٢٣ لتوسيع مدخل بغداد. أما تسمية المؤلف له بباب الشجرة فهي نسبة لا نعرفها، ولا نعرف في أي عهد عرف الباب بها.

جاء والفئال يعلو فوقه قائل تاريخه (فيل عظيم) (١)

فصل

[تزويج خديجة خاتم بنت الوزير]

وفي هذه السنة زوج ابنة أخته (٢) خديجة خاتم، البذرة المصونة، والجوهر المكنونة، ذات الحسب والجمال، والنسب والكمال، الفريدة في المعرفة والأدب، واليتيمة في الأفضال وعلاء النسب، ذات الجمال الذي يبهر ذكاءً، ويفوق البدر في الإشراق والسناء، والورع والعفة اللتان لم يتفق مثلها في حرّة، والديانة والأمانة اللتان أورثتا قلب المستوصف مسرّة، وصاحبة الذكاء والفكرة النقادة، والذهن الصافي دون النساء والعلم على خرق العادة، من كتحذاه الليث الجسور <٩٧> والشجاع الغيور، كريم السمائل، جميل المحيّا والخصائل، ذي الشهامة والرياسة، والكرامة والحراسة، الأكرم الأمجد، والمفرد الأوحد، الأمير محمد باشا. فعمل لهما عرساً لم يوجد مثله في الأمصار، ولا عهد شبيهه في الأقطار، فرشت له الغبراء ببسط العسجد، ووشيت بأصناف الجواهر وأنواع الزبرجد، وحليت بالشموع الكافورية، وزينت بالمسارج المضيئة البهية، فكانها الخضراء لما حوت من نجوم اللآلي ما يزيد على نجوم السماء في السناء، قد أظهرت الدنيا زينتها، وأبنت الأخرى علامتها، إذ لم يتفق مثل هذا العرس في زمان، فلم يوجد نظيره في هذا الشأن، حيث ظهر فيه كل

(١) حسابه ١١٤٠.

(٢) يريد أخته صفية خاتم.

عجيبة مطربة، وبَدَتْ فيه كل ظريفة للأحزان مُذهية، فله دُرّه من قِران،
 حلت فيه الشمس برج الأسد، والله أبوه من زمان جاء بأنواع المسرة مما
 لم يعهد.

فصل

[عودة الوزير إلى بغداد]

وفي السنة الحادية والأربعين بعد المائة والألف^(١) توجه إلى دار
 السلام، واسترّ لقدمه الخاص والعام، وقد مدحه المتلا سليمان البصري
 مهنئاً له بالقدوم بقوله:

بُشِّرَى فَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِبَشَرٍ بِالسَّعْدِ وَالْإِقْبَالِ نَعْمَ الْمَخْبِرُ^(٢)
 بِقُدُومِ سَعْدِ الْعَصْرِ وَهُوَ مُظْفَرٌ يَخْتَالُ يَنْقُمُهُ اللِّوَاءُ الْأَخْضَرُ
 مَتَيْمَماً دَارَ السَّلَامِ يَوْمِيهِ نَصَرَ مِنَ الْمَوْلَى وَسَعْدَ أَكْبَرِ
 فَاهْتَزَّ مِنَ دَارِ السَّلَامِ غُصُونُهَا فَرَحاً وَطَابَتْ فِيهَا لَا تَحْسُرُ

<٩٧ب>

من حيث يوم فراقه حُتَّتْ أَسَى^(٣) شوقاً له ودموعها تتحدرُ
 فسرى بهمة ضيغم ما عاقه عما يروم هوى ولا متغيرُ
 حتى رآه الدولة الغرالها سيفاً هو الماضي به تستتصرُ
 فلذلك قلّد الأمور جميعها بوزارة سرّ دارها لا يكسرُ

(١) أولها ٧ آب سنة ١٧٢٦م.

(٢) في الأصل: الخبر.

(٣) في الأصل (أساً).

ثُمَّ النِّظَامَ بِهَا وَأَمِنْ طُرُقِهَا وَأَعَارَهَا بِالْبَاسِ لَا تَتَكَدَّرُ
 ثُمَّ انْتَهَى مُتَبَجِّحاً بِفِعَالِهِ يَتَنَبَّهُ لَهُ كُلُّ الْأَنْبَاءِ وَيَشْكُرُ
 سُمِّيَ نِظَامَ الْمَلِكِ لَوْلَا بِأَسْه لَتَضَعُضَعَتْ مِنْهُ قُصُورٌ تُعْمَرُ
 قَدْ رَامَتْ الْوُزَرَا يُكُونُ نِظَامُهَا لَهُمْ وَذَا حَسَدٌ بِهِمْ وَتَجْبَرُ
 عَجَزُوا وَبَاءُوا بِعَدِّ عَجَزِ ظَاهِرٍ إِنْ النِّظَامَ لَهُ حُسَامُ يَشْهَرُ
 فَعَتَّوْا لَهُ كُرْهًا وَسَلُّ حُسَامِهِ وَأَتَى لِتَغْمِيدِهِ إِلَى مَا يَنْصَرُ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُ مَا يَرْجُوهُ ثُمَّ حَبَاهُ حِظُّ أَوْفَرُ
 غَمُّ الْحُسُودِ بِفِعْلِهِ وَمَعَانِدِ فَضْلُ مَنْ الْمَوْلَى وَسَعْدُ أَكْبَرِ
 أَلْفِ الْمَعَالِي حَاءَ حُكْمٍ دَائِمًا مِيمِ الْمَمَالِكِ وَالسَّرَاجِ النَّسِيرُ
 لِلدُّوَلَةِ الْفَرَاءِ أَصْبَحَ دَالِهَا وَحُسَامُهَا الْمَاضِي الْهَزِيرُ الْقَسُورُ
 وَكَرِيمُهَا وَزَمِيمُهَا وَعَظِيمُهَا وَجَسِيمُهَا وَفَهِيمُهَا وَالْأَفْزَرُ
 وَالْمُدْرِكُ الْغَايَاتِ فِي حَلَبَاتِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ هُوَ الْمَقْدَمُ يَنْظُرُ
 يَا صَاحِبَ كُنْ لِي سَامِعًا وَمُسَاعِدًا أَدْرُ الزَّجَاجَةَ فَالرَّيْسَاحُ تَزْمُرُ
 وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ كَالصُّوَارِمِ فِي الْوَعْيِ وَالسُّحْبُ تَهْمِي وَالرَّعُودُ تَزْمَجُرُ
 وَالْمُزْنُ ^(١) بَيْنَ أَرْبَابِهِ مَجْلُودُ ^(٢) مَغْدُودُ مَهْرُورٍ سُبُخْخَفَرُ ^(٣)
 فَإِذَا اسْتَهْلَ رَأَيْتُ بَحْرًا زَاخِرًا وَالرَّاسِيَّاتِ الْجَارِيَّاتِ السَّيْرُ
 فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْبُؤَادِخُ سُفْنُهُ وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْهَضَابُ الْأَنْهَرُ
 تَبْكِي السَّمَاءَ بِأَنْعَمِ مُنْهَلَسَةً وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ مِنْ لَأَلٍ تُنْثَرُ

<١٩٨>

(١) فِي ب: وَالسُّحْبُ

(٢) مَجْلُودٌ: مَسْرُوعٌ فِي الْمَسِيرِ.

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَفِي ب، وَرَبَّمَا كَانَ صَوَابُهَا: سَخَفَرٌ، وَهُوَ الْمَاضِي الْمَسْرُوعُ.

فاح الخزامى والعرار ورندها
 والرعد حنّ مجلجلاً محرّجماً
 من قهوة صيرفٍ مُلّافٍ قرقفٍ
 ومديرها رشاً كأنّ بخده
 أترى جرى من خده في كأسه
 يا حبّذا من روضة أزهارها
 فاذا النسيم سرى يفوح أريجها
 فكان بهجتها ونفحة طيبها
 كرماً وجوداً لا يزال على المدى
 وبنائه تمتد خمسة أبحر
 في راحة تندى بجود فائض
 ما أمسكت من صارم إلا عنت
 ماض إذا عاينت ماءً فرنيده
 هذي هي الهمم التي كبرت على
 ما حازها الرتمان^(١) قبل وتبع
 ملك تشيعه النسور إذا غزا
 أنصاره منصورة إمّا غزا
 رفعت له الرايات بالفتح الذي
 ملك لدى يوم السماحة حاتم
 يا خادماً ما معن ما فضل وما
 أحيا المروءة بعد أن درس اسمها
 وأقاحها وشقيقها والعنبر
 إذ روضها معشوشب متعطر
 صهبها مشعشة رحيق أحمر
 من كأسه شيبها أغنّ أحور
 أو بالصفا انطبعت فذا لا ينكر
 عطت شذاً وبها النديم الجودر
 ويروق ناظرك الغزال الأعفر
 ممشى الوزير يفوح منه العنبر
 طول الزمان بها النوال موقر
 في كل أنملة خضم يزخر
 وبها الرياض الجود زاه يزهر
 قم العدى كرهاً إذا ما يشهر
 أبصرت ماءً أو شهاباً يُحدر
 كسرى ويقصر دونها الاسكندر
 كلا ولا شداد قبل وقصر
 وكذلك العقبان حتى القصور
 وله الإله بكل خطب ينصر
 حزم المعادي فالأعادي تكسر
 لكنه يوم الزعازع عنتر
 يحيى وما الأوسي السخي وجمير
 ولدى حديث المكرمات محرر

(١) هكذا في الأصل، وقرأها في ب: الريحان.

فمخَيَّرَ ومَسَيَّرَ ومُسَهَّجَرُ
فمدَانَحَ ومفَاضِلَ ومفَاخِرَ
قد حَازَهَا الملك المؤيد أحمد
تهديك أنوار المحيا إن بدا
وإذا لثمت يمينه نلت الغنى
وأنامل تنهل بالكرم الذي
في راحة طُبِعَتْ على بَذْلِ الندى
ملك إذا رَكِبَ الجواد كأنه
من أنسها نسم حينها من عائن
وكانما الشمس المنيرة أشرقت
والمزن تهمل من يديه معارف
لولا الغلو لقلت مهدي السورى
متفرد بزمانه متوحد
قد طبعت أذكاره وفخاره
من مغرب ولمشرق يحدو بها
غنى بها إنس وجن حذا
إذ كان من ساد الملوك بجوده
ما في الملوك نظيره من حاكم
فضل من الله الكريم ومنه
إن كان ساد أبوه أرباب العلا

ومنظَّم ومُرَقَّم ومُسَطَّرُ
جيد الزمان بها تحلى يفخر
تاج الملوك هو الوزير الأكبر
نور السماحة والجبين الأزهر
يمنى لها بالمكرمات تشهر
عنه العبارة والإشارة تقصر
ويفوح منها للمقل العنبر
وأعيذه بالله طسودا كبر
يرعاه رب العرش حيث يسير
من درعه والبدر منه الميقر
وعوارفاً ومكارماً لا تحصر
عمر الجوامع فاستقام المنبر
بفضائل ومفاخر لا تنكر
أقطار كل الأرض فهي النير
حادي المطايا تستعار وتسطر
منها أحاديث تسر وتجبر
وبأسه كفاه حوض أكبر
ممن مضى كلا ولا متأخر
ومواهب سبقت فلا تتغير
وسما على الأقران نهر النير

<٩٩>

فلقد سما هام السهى شأن العلى تاج الملوك هو الوزير الأفخر

سردار دولتها المؤيد أحمد
يا أيها الملك الذي من طبعه
بل يا ضيا الدنيا وبهجة أهلها
صرّح بريد الطرف أصدق رائد
إن زيف النقاد عسجد نظمها
واستجل بكر فصاحة من ماهر
تختال من حسن البها بدلالها
واسلم ودم بسعادة وسيادة
ثم الصلوة على النبي محمد
والآل والأصحاب ما انهل الحيا
سعد الزمان الفارس المتصدر
بذل الندى وله المهيمن ينصر
وسراجها الوهاج فيها الأنور
في نظم عبدك فهو درّ جوهر
إنسي إذا يا سيدي لمقصّر
خطرت تميس بها الجمال مصور
لكنها بتيابها تتعثر
ويطول عمر دام لا يتغير
خير الأنام هو البشير المنذر
واخضر روض فاح منه العنبر



فصل

[غزو الخويزة]

وفي هذه السنة، سار بعساكر متواصلة المدد، كثيرة العدة والعدد،
وجيش خميس، وليوث عريس، وكماة أبطال، ورجال أقيال، وشجعان
وفرسان، وأهل نجدة وأعوان، على خيول سوابق، ونجب لواحق، بلثوث
سواحق، ولدان موارق، وصيقل فوارق، وبنادق بوارق، قام بذلك الجيش
العرمرم، وقصد بهذا السواد الأعظم، بلد الخويزة حين بالغت في
الطغيان، وتابعت في فعلها همدان^(١).

(١) جاء في الأمر الموجه إلى والي بغداد أحمد باشا، المؤرخ في أواخر ذي القعدة سنة
١١٢٩هـ/أواسط تموز ١٧٢٧م "إن مصلحة الدولة العلية تفرض عليها ضم"

ومن غريب ما وقع له في الطريق، أنه نزل في أرض مُخصَّبة الأراجي والجهات، إلا أنها كثيرة الأفاعي والحيَّات، بحيث لم تُلْ خَيْمة من الخيام عن عديد الحيَّات العظام، فعجز العسكر <٩٩ب> عن القتل وأعيانهم إهلاكها. ولم تنزل الحيَّات تخرج من كل فج، وتسعى بين الخيام مكثرة العج، تُسالم من كل بطل القدم، وتُصافح الأخمص منها الشجاع الشجع، ولم تؤذ أحدا من العسكر، ولم تتعرض له بالضرر في ذلك المعسكر، ذلك الفضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقد قال بعض أهل النفاق: إن أفاعي ذلك المكان لم تؤذ كل حيوان فضلاً عن نوع الإنسان، وهو مردود بما شاهدته من سافر تلك الديار، ونحا تلك الأقطار، فقد قال: إن ذلك المكان لا ينام أحد من المارين، ولن يستطاع المرور به ليلاً للسالكين، لشدة لَسع تلك الأفاعي، ولو كان المار ولد السيد أحمد الرفاعي^(١)، إذ لسع تلك الحيَّات لا يُجدي معه الدواء، بل

- حويزة إلى أراضيها، فيجب انتزاع موافقة الجانب الأفغاني على ذلك" (دفتر مهمة ١٢٥ ص ١٤٧) وفي الأمر المؤرخ في أوائل ربيع الأول ١١٤٢هـ/ أواخر تموز ١٧٢٩م أن بعض المتمردين من عربان حويزة هربوا إلى الأفغانيين والتجأوا إلى أشرف خان، فعلى الوالي أحمد باشا أن يطالب بردهم إلى خان حويزة بناء على مواد وشروط الاتفاق المعقود بين الطرفين (دفتر مهمة ١٣٥ ص ٤٥٨).

(١) هو العارف بالله السيد أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (٥١٢-٥٧٨هـ/ ١١١٨-١١٨٢م)، الذي تنسب إليه الطريقة الرفاعية، إحدى أشهر الطرق الصوفية، واشتهر أتباعه بكرامات منها قدرتهم الفذة في السيطرة على الأفاعي.

في الحال يُمزَّق الأمعاء ويفرَّق الأعضاء، ولكن قد صدَّق في الوزير قول
القائل شعراً:

وإذا السعادة لاحظتْكَ عيونُها نَمَ فالمخاوفُ كُلُّهنَّ أمان

ولما أشرف على بلد الحُوَيْزَةِ، عَلِمَ أهلها أن لا طاقة لهم بِقِتالِهِ، ولا
تَثَبَّتَ رجالُهم لمقاومةِ رجاله، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ بِعَدِيدِهِمْ، وَطَارِفِهِمْ وَتَلِيدِهِمْ،
وَاسْتَقْبَلُوهُ طَائِعِينَ، وَانْقَادُوا لِهُنَيْيَتِهِ خَاضِعِينَ، فَسَلَّمُوهُ مَفَاتِيحَ الْبَلَدِ، وَسَأَلُوهُ
أَنْ يُولِّيَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الْحَشَدِ. وَغَمَرُوهُ بِالْهَدَايَا، فَجَلَّلَهُمْ بِحُلُلِ الْإِكْرَامِ
وَالْعَطَايَا، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ أَمِيرَهُمُ الْقَدِيمَ الْمَوْلَى مُحَمَّدَ خَانَ^(١)، لَوْقُورَ مَعْرِفَتِهِ
بِأُمُورِ تِلْكَ الْبُلْدَانِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ <١٠٠>، أَخَذًا مَعَهُ مِنْ
الْحُوَيْزَةِ الْأَطْوَابِ الْعِظَامِ، وَلَمَّا دَخَلَهَا أَشْرَقَتْ بَنُورُ عَدْلِهِ، وَأَضَاعَتْ بِسْئَاءِ
وَقُورِ فَضْلِهِ، وَاسْتَبَشَرَ الْأَنَامُ بِقُدُومِهِ، وَأَقْرَبَتْ أَعْيُنُ الْإِسْلَامِ بِسَلَامَةِ لُيُوثِهِ
وَقُرُومِهِ.

وفي هذه السَّنة امتدَّحه بعضُ أهلِ العصرِ مُسْتَمْتِحاً بِقَوْلِهِ [مَجْزُوءُ
الرجز]:

هَلْ مِنْ مُخْبِرٍ سُوْعَدَى مِنْ لَخْظِ ضَبِّي أَعْيَدِ

(١) هو المولى محمد بن المولى عبد الله بن المولى هيبه (أو هبة الله) بن خلف، وكانت
الدولة العثمانية قد عينته والياً على الحويزة سنة ١١٣٢هـ، العزلاوي: تاريخ
العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٢٣، ولكن عزله الإيرانيون بعد ذلك، وعينوا محمد
خان من قبيلة واخشتو خان والياً من قبلهم، فشاعت الفوضى. ينظر جاسم حسن
شبر: تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم ص ١٧٦-١٧٧.

وَمِنْ صَدُودِ غَادَةٍ	تَخْلِفُنِي فِي الْمَوْعِدِ
أَصْنَمَتْ فَوَادِي فِي الْهَوَى	وَلَسِمَ تَعَاهِدِ مَعَاهِدِي
الْحَاضِلَهَا فَتَاكِلَةً	تَرْمِي بِهَا فِي كَيْدِي
كَمْ مِنْ شَجِيٍّ قَتَلَتْ	بَصْدَهَا وَلَسِمَ تَدِ
وَلَمْ يَزَلْ مِنْ هَجْرَهَا	قَلْبِي بِجَمْعٍ مَوْقِدِ
مَكَانَهَا مِنْ مُهْجَتِي	مَكَانَهَا مِنْ جَسَدِي
وَإِنَّمَا الْأَوَّلَى بِهِ	رِقَ الْمُعْنَى الْمَكْمَدِ
أَعْنِي الْوَزِيرَ الْمُتَنَقِّسِي	لَكِنْ أَتَتْ بِسَالِدِ (١)
وَإِنَّمَا الْأَوَّلَى بِهِ	شُرْعًا وَعُرْفًا ذُو الْيَدِ
أَعْنِي الْوَزِيرَ الْمُتَنَقِّسِي	سَمِيَّ طَسَهُ أَحْمَدِ
رَبُّ الْعَطِيَاءِ وَالْبَسَا	ثَمَ الْعَلَى وَالسُّوْدِ
فَتَسَى الْكِفَاحِ وَالصَّفِيحَاتِ	حِجَ وَالرُّمُوحِ وَالْأَوْدِ
هُوَ الْهَمَامُ الْمُقْتَفِي	إِثْرَ أَبِيهِ الْأَمَجْدِ
قَسْدَ مَهْدِ الْمَلِكِ لَنَا	نَفْدِيهِ مِنْ مَمَّهْدِ
مَشْهُورُ فَضْلِ وَنَدَى	كَسْفِيهِ الْمُسَهْدِ

< ١٠٠ ب >

لَيْسَ لَهُ غِمْدٌ سَوَى	هَامَةٍ كُلُّ مُعْتَدِي
كَمْ فِرْقٍ فَرَّقَهَا	بِعِزِّهِ الْمُؤَيَّدِ
كَمْ عُصَبٍ جَمَعَهَا	بِرَأْيِهِ الْمُسَدَّدِ

(١) اللد الخصومة الشديدة.

من صارم مجرد	فياله على العدى
قمام كل مفسد	فلاق هامات العدى
إلى سناها مهتدى	مقتحم نثار الوغى
بالمكرمات مرتدى	سباق غايات الغلا
دراً لكل مجتدى ^(١)	بحر نوال قاذف
علت على كل يد	لله يد مذ خلقت
لا أجل إلى غد	عطاؤه معجل
فسي كرم ومحتد	لا غرو إن فاق السورى
ثم أبيه الأمجد	فالمجد إرث جده
غنى عن المسود	لا بل لله من نفسه
عن مجده المسود	أخلاقه منبئة
أمسحت بعيش نكد	أعداؤه من بأسه
في خفض عيش رغد	وأوليائه غدت
وهو أجل مقصدي	فرض على مدحه
فغيره لسم أخمد	وقف عليه فكرتي
مديحه في خلدي	ولم يجل يوماً سوى
غمرني بسالرفد	وكيف لا وهو الذي
أكد قلب حسدي	وجاد لي حتى لقد

<١٠١>

(١) المجتدي العائل.

نعم وأعلا رُبَّتِي	من فوقِ فَرَقِ الفَرَقَدِ
حَتَّى سَأَلْتُ عَنْهُ	أَهْلِي وَمَنْ فِي بَلَدِي
وَلَيْسَ عِنْدِي مَا بِهِ	أَجْزِي جَنَابِ سَيِّدِي
سِوَى دَعَاءِ خَالِصِ	فِي جُنْحِ لَيْلِ أَسْوَدِ
أَقُولُ يَا مَوْلَى الْوَرَى	يَا أَحَدًا لَمْ يَلِدْ
زِدْهُ عِلًّا وَكُنْ لَهُ	يَا رَبِّي خَيْرَ مُنْجِدِ
بِجَاهِ طَبِ المَصْطَفَى	شَفِيعِ يَوْمِ الْمَوْعِدِ
وَأَلِّهِ وَصَحْبَهُ	ذَوِي التَّقَى وَالرَّشَدِ

فصل

[القبض على شبيل وشبلي ودنلد]

في هذه السنة، قُبِضَ عَلَى شَبِيلٍ وَشَبْلِي وَدَنْدَلٍ^(١) رؤساء الفساد، وحلفاء البغي والعناد، فكم أضرموا لحروب الفتن نارا، وكم أفسدوا على مرّ الزمن جهاراً، وكم جهّزوا الجحافل إلى قتال المسلمين، وكم هدموا أركان المحافل بكل عصابات متين، منهمكين بسوء الأخلاق، متسرّلين بسراويل النفاق، ينتهزون الفرص، ويرتقبون دفع الغصص. فكلما حصل لهم نوع قوة شمّروا عن ذراع الفساد، وكشفوا عن ساق العناد، وقطّعوا الطرقات، وسدّوا الجهات، فلم توجد فتنة إلا وهم متارها، ولم تنفق محنة

^(١) سيرد في بعض ما يلي من قصائد: دندن، وبهذا سماه محمد سعيد الراوي (تاريخ الأسر العلمية ص ٤٦).

إلا وعلى رؤوسهم عاقِدُ غبارها. فلما لم يَفِدْ معهم الجميل، ولم يُولَفْ قلوبهم العطاء الجزيل، احتال بهم وقَبَضَهُم.

أما شَيْئِلٌ فَقَبَضَ عليه بعض الجند حين خلا به فأتى به مكتوفاً. وأما شَيْلِي فَمَسَكَه بعض الأكابر في عانة وأتى به <١٠١ب>. وأما دَنْدَلٌ فَقَبَضَ عليه في بغداد، فعانقوا الحيال بأعناقهم، وصافحوا الأخشاب، وسال للعذاب عليها ماء إحداقهم، وأذُلُّ بصلبهم عابدو الصليب، وأمنت الشاة بإهلاكهم صولة الذئب، وأسرة^(١) الأنام بحتفهم، وأنيرت الأيام بمضيهم وفوتهم إلا أن صلبهم وإن كان في عام واحد لكنه ليس على الترتيب، بل زمن كل إلى زمن الآخر قريب، فأول من صلب شَيْئِلٌ، ثم دَنْدَلٌ ثم شَيْلِي^(٢).

وللوالد - حفظه الله - مهنناً الأجل، والهمام الكهف الأظلم في صلبه

شَيْئِلٌ، حيث يقول^(٣) [من الرجز] *تكميز علوم سدي*

حمداً لِمَوْلانا المِعِز الخافِض	إذ بات ذو التقوى بعيش خافِض
لله من سادت بِهِ أبائُه	من كل قِرم بالمعالي ناهض
بشرى فهذا السَّعْدُ وافى مُقبِلاً	في خِدمة المولى الهَزْبَرِ الرابِض
راضٍ العدى واقتاد أشرار الورى	لله درّ المُستجار الرابِض
بادت لِصَلْبِ الشَّيْلِ أعراب الفلا	ذعراً فارغماً كل أنف غارِض

(١) كذا، ولعلها (وسرّت).

(٢) ذكر الكركوكلي (دوحة الوزراء ص ٢٤) أنه تمكن منهم وجاء بهم واعدهم علناً.

وسيرد في القصائد التالية أن صلبهم كان على خشبات جسر الحلة.

(٣) القصيدة في ديوان عبد الله السويدي، الورقة ٢٠-٢١.

فَتَحَّ عَظِيمٌ مَا سَمَعْنَا مِثْلَهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ بَيْنَ أَوْ غَامُضٍ
 كَمْ مَرَّةً أَعْرَضْتَ عَنْ غَدْرَاتِهِ عَفْوَاً فَأَبْدَى كُلَّ عَارٍ عَارِضٍ^(١)
 قَدْ ذَاقَ مَا قَدْ ذَاقَهُ مِنْ بَغْيِهِ وَالبَغْيُ يَقْضِي لِلْحِمَامِ الْبَاهِضِ
 أَقْرَرْتَ عَيْنَ الدِّينِ يَا عَيْنَ الْعُسْلَا أَمْنًا لَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ بَاغِضِ
 وَاللَّهِ مَا نَالَ الَّذِي قَدْ نَلَّتَهُ أَهْلُ النَّهْيِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ خَائِضِ
 قَدْ كَانَ هَذَا حَسْرَةَ الْحُكَّامِ إِذْ لَمْ يَرْتَدَّعْ مِنْ كُلِّ شَهْمٍ جَاهِضِ^(٢)
 دَانَتْ لَكَ الْأَعْرَابُ أَيْضاً كُلُّهَا مِنْ كُلِّ جَوَاضٍ جَنْطِي فَارِضِ^(٣)

<١٠٢>

أَعْظَمَ بِحَبْلِ قَدْ أَبَاهُ أَوْلاً مِنْ خُبَيْثِهِ ثُمَّ التَّوَى فِي الْعَارِضِ^(٤)
 فِعْلُ الْمَوَاضِي مَا يُحَاكِي فِعْلَهُ بَلَهُ الْقَنَا مِنْ كُلِّ رُمَحٍ دَافِضِ^(٥)
 أَجْرَى سُلَاحَ الْكَلْبِ فِي سَيْقَانِهِ بَلْ ذَا سُلَاحٍ مِنْ كُلِّيبٍ وَارِضِ^(٦)
 حَتَّى كَانَ السُّلْحُ فِي أَثْوَابِهِ حَيْضاً تَوَالِي مِنْ عَجُوزٍ حَلِضِ^(٧)

(١) العارض هنا ما يعرض للمرء من الجن أو المرض أو غيره.

(٢) الجاهض من الرجال: الحديد النفس.

(٣) الجواض: الفار من القتال أو العادل عن الحق. والجنطي: كذا في الأصل والديوان، ولعلها الجنصي: وهو الهارب من الفزع، وهو ما يمليه السيق. والعارض المسنة من الأبل.

(٤) في هامش الديوان تعلية توضح معنى هذا البيت، نصها (معنى قوله أباه الخ هو أن شبيل المذكور لما صلب أباه الحبل وانقطع به ثم صلب أخرى).

(٥) دفضه: كسره وشدخه.

(٦) الوارض من رمى بغائطه وأخرجه بمرة.

(٧) في الأصل، والديوان: حيض.

عاني اضطراباً هارباً من حنّيه هيهات ذا ثبّاً له من داحض
أملى له استدراجة فاغتاله واغترّ جهلاً بالبريق الوامض
هذا الوزير الفردُ هذا أحمد ذا فعله في كل جانٍ جائض^(١)
حاربتَ ربّ الناس يا شَيْبَلُ فلم ينفعك دفعٌ بالدليل الداحض
كم ذا نَقَضْتَ العهدَ يا كلباً عوى في جزبه هذا جزاء الناقض
وكم رفضتَ الشكرَ عمداً مُعْرِضاً عن رَفْدِ مولانا الوزير الفائض
فالشَّنَقُ بالتعليق يبقَى دائماً تاريخُهُ وهو جزاء الرافض

ولبعض أهل العصر مؤرخاً أيضاً [من الطويل]:

شدا بُلْبُلُ الأفرّاح تَوْقاً إلى الوَكْرِ سُخْرَاً و نادمه الهزار مع القُمْري
وهيَّج ما في القلبِ وداً وجرقةً بذتْ شبه موجٍ هاج بالريح في البحر
بذكر حبيب زاده الله في التورَى فخاراً وعن لُقبِ ما جاز في العشر
أنارت به الزوراء بعد ظلامها وطالت و زال البؤس عنها مع الضّر
وزيرٌ بصيرٌ بأسِطُ العَدْلِ واحدٌ مقلدٌ بالآيات والفتح والنصر
أنامله بالبذل سُخْبٌ وكم بها حياة ومنها منزل الغيث والقَطَر
وفي ذِمّام لَيْثٍ خربٍ مجرّبٍ جزيل العطايا بالسخا حاتم العصر
فتسى تخشى أسد الفلا وثباته وترهبه الأبطال مع خيلها الضمر
تقول كُماة الحرب عند اقتحامه لمعّعة السهيجاء: إنسا لفي خُمر
وإن نار سوق النّقع واشتَبَكَ القنا^(٢) له حَرْبَةٌ في الحرب تلهب كالجمر

(١) الجائض من جاد عن الحق.

(٢) النّقع: الغبار.

وفي فتحه البلدان والفرس عصبه وقد زعموا في الحرب يؤتون نصرة ومذ شاهدت يوم المهول طعانه فسل عنه لذن الحرب بالطعن كم له همام سقى الفرسان في حومة الوغى وكم ساق جيش العرب طوراً واصبحوا ويشكو الظما يوم الهياج حسامه كفى رؤساء العرب بالذل قادهم وأنقلهم قيذاً وكان جزاؤهم وفي صلبهم بالنظم قلت مؤرخاً: وسلب شيل حل بالرفع والجر

وللشيخ حسين بن عمر الراوي أيضاً قوله [من الطويل]

أرى النصر مجنوباً مع المجد والنصر يوم حمى الزوراء مذ قام أحمد يظن رعاء البسهم أن اقتناصه وما هذه إلا وسائل ماجد من الطف نادى سيفه هامة الذي قلبته كرهاً ثم أضحت طريحة حماك الذي أعطاك مجداً مؤثلاً شنت شبيلاً ثم دلئت دنناً^(١)

يقاد بفضل الله بالطوع في أسر يؤيد دين الله بالبيض والسمر بابل طسير السبر أو سمك البحر تقيد باغي البغي في ربة الفكر توطن أرض الشام في مهمه قفر بجاية الفيحاء في ذنب الجسر بياسين والأنعام والطور والقدر ومزقت شبيلاً بقاصمة العمر

(١) هكذا مجود الخط في الأصل، وسيرد الاسم باللام في القصيدة نفسها.

وطهرت أرض الله من سوء فعلهم أمذك بر الخلق بالمصطفى الطهر
<١٠٣>

وفي القلب شيء يقصر النطق بونه أداوي فؤادي منه بالشكر والصبر
فإن زدتهم في أربع قل مورخاً: شَيْئِل وشَيْلِي ودندن في جَمْر^(١)

فصل

[هدوء الأحوال]

وفي السنة الثانية والأربعين بعد المائة والالف^(٢)، تفرغ لبسط
الأحكام، وتشديد قواعد الإسلام، وإزالة المظالم، وإعانة المظلوم على
الظالم، وأمنت الأنام صولة الأعادي، واستضاءت بنور عدله البادي، وعم
البرية السرور، وشمل الرعية جملة الحبور.
واشتغل الدستور بلعب الخيل والاصطياد، مسرّحاً طرقه وطرقه
بين الرياض والغياض من أكناف بغداد، تمتدحه الشعراء، وتتمنى عليه
العلماء، وتخدمه الأكابر والأمراء، وترأسله الوزراء الفضلاء، فيعطي
الجزيل ويبيدي للوفد الجميل. ولم تزل هذه شنشنته مع الصادر والسوارد،
حتى غدت بغداد بأيامه كعبة القصاد ومدينة الوراد، بها تحط رحال
الأمجد، وإليها يهرع كل ماجد، من أقطار نائية^(٣)، وأمصار قاصية.

(١) مجموع حساب الشطر، مع زيادة أربعة، ١١٤١هـ.

(٢) أولها ٢٧ تموز ١٧٢٩م.

(٣) في الأصل (النائية).

وكان - رحمه الله - يكرم العلماء غاية الإكرام، ويحترمهم نهاية الاحترام، دائما مشحون مجلسه ببث المسائل، ومناظرة كل فاضل فاضل، فإذا ذكرت عويصة كان مفتاحها، أو عرّضت دقيقة في الحال أبدى مصباحها وأسفر صباحها، وهذه هجيرا^(١) يعرفها كل أحد، ويدّنه يدرّسها أهل كل بلد.

ومِمَّن امتدحه في هذه السنة بعض أهل العلم^(٢) بقوله [من الخفيف]:
أشرفت شمسنا فبان الضياءُ وبدا بدرنا فزال العناءُ

<٣٠١ب>

واختفت ظلمة الشّقاوة عنا فغدا للقلوب منسها هناءُ
وزهى زهرنا بروضة سَعْدٍ حلّ فيها من الجمال بهاءُ
بامتداح الوزير أحمد الو الي الذي فيه للكمال سناء
عالم عارف بليغ يتبع جار في حسن لفظه الحكماء
عادل مشفق حلیم كريم مقسط صار دونه الوزراء
نو حسام جليل قدير رزين العقل قد أذعن له العقلاء
قد حوى في الوغى شجاعة ليث إن سطا خاف بأسه الأعداء
أدهشت كل فارس وشجاع وقعة البدو إذ هي العظماء

(١) هجيرا دأبه وثأنه وعادته.

(٢) لم يسمه، وميذكر الناظم في آخر قصيدته أنه (الأعظمي)، فلعله السيد حسين بن عمر الراوي، الواردة أخباره وأشعاره في هذا الكتاب، فإن حسن باشا قد ولاء التدريس في مدرسة الإمام أبي حنيفة، المسماة في عهده بالمدرسة الأعظمية. ينظر محمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ص ٤٠.

مَذْ غَدَا صَانِلًا عَظِيمًا شَدِيدًا قَدْ شَكَتْ عِظَمَ وَطْنِهِ الصَّحْرَاءُ
 مَا رُؤِيَ مِنْ يُبَارِزِ الْأَسَدِ كَلًّا غَيْرَ مِنْ دُونِ عِزْمِهِ الزُّهْرَاءُ
 بِقَنَاءَةٍ حَكَّتْ قِوَامَ قَضِيْبٍ وَخُسَامَ ذَابِتٍ لَهُ الْأَحْشَاءُ
 لَيْسَ فِي الْفَرَسِ مِثْلُهُ مِنْ شَجَاعٍ ذِي اقْتِحَامٍ، أَيْنَ الثَّرَى وَالسَّمَاءُ!
 بَلْ هُوَ الْمُرْتَجَى الْمَرَادُ لِيَوْمٍ ضَاقَ فِي أَهْلِهِ فَضَاقَ الْفَضَاءُ
 مِنْ غَدُونِنَا بِهِ نَكْفَ عِدَانَا عَنْ حِمَانِنَا وَخَابِتِ الْأَشْقِيَاءِ
 سَادَ أَقْرَانُهُ فِيهَا هُوَ غِيْثٌ بَلْ سَحَابَ زَهَّتْ بِهِ الزُّورَاءُ
 مُقْسِطٌ فِي الْعَطَا عَظِيمَ نَوَالٍ حَارَ فِي عِظَمِ جُودِهِ الْأَسْخِيَاءُ
 وَابِلٌ كُفَّهُ جَسَادٌ وَبَحْرٌ زَاخِرٌ مِنْهُ تَشْرِبُ الْكَرْمَاءُ
 فَازَ مِنْ أُمِّهِ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ وَحَظِي بِالْكَرَامَةِ الشُّعْرَاءُ
 يَا وَزِيرًا لَهُ الْمَكَارِمُ تُهْدَى فِي الْبِرَايَا وَتُنْسَبُ الْعِلْيَاءُ
 بِامْتِدَاحِي وَافِيَتْ فَضْلَكَ أَرْجُو نَظْرَةً مِنْكَ فَهِيَ نِعْمَ الرَّجَاءُ
 فَعَسَى الْأَعْظَمِي يَحْظِي بِخَيْرٍ إِذْ حَلَى فِيكَ مَدْحُهُ وَالثَّنَاءُ

<١٠٤>

وامتدحه السيد عبد القادر^(١) ليسأله عمارة بيته بقوله [من الطويل]:
 ووالٍ له في الملك حُسن سيرةٍ وللعَدَلِ مِنْهُ آيَةٌ تَنْسُخُ الظُّلْمَا
 يَفُوقُ عَلَى كُلِّ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ أَجْلَهُمْ قَدْرًا وَأَغْزَرَهُمْ فَهْمَا
 وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَجْمَلَهُمْ قِرَى وَالطَّفْهَ خُلُقًا وَأَقْوَاهُمْ عِزْمَا

(١) لم تتأكد لنا هويته.

وأصدقهم قولاً وفِعْلاً وَهَمْسَةً
وأجودهم كفاً على المال بالعطا
وأصفاهم ورّداً وأكثرهم حياء
وإن له في الملك أعلام رُتْبَةٍ
إذا أشْرَقَتْ كالبدْرِ أنوارُ وجهه
إذا ما شياطين الأعادي تمرّدوا
ومن كان ذا جهلٍ له ومعانذ
فيا ربّ أيّده بنصرٍ موبّد
ووفّقهُ للخيرات في كلِّ موكب
وأرجوك يا نسل الكرام تسرّني
وأكملهم فضلاً وأوفرهم علماً
فأما أيّاديه فبحرٌ لمن أمّا
والنّهم قلباً وأشدّهم حَزْماً
له موزِدٌ من أمّه قط ما يظما
به يهتدى السارون في الليلة الظلم
عليه بشهب العزم يدحرهم رَجْماً
يعود شنيقاً في الحمى ثم لا يحمى
بجاه الذي لبّى وحج واخرماً
ويسرّ له البيت الشريف وزمّماً
بتعمير بيتي إنّه يشتكى هنّماً

مركز تحقيق التراث
فصل

[استرجاع الشاه طهماسب لهمدان]

وبينما الناس في مَسْرَّة تامّة، وأنس مؤنس وراحة عامّة، إذ نَجَم^(١)
الشاه طهماز^(٢) من خلال بلدان فارس، بكل بطلٍ مقاوم وشجاع مُمارس،
فاستولى على كرّمان شاهان وهمّذان، بعد اقتتال عظيم مع عُمال تلك
البلدان، فهربت العساكر التي في البلديتين، وتفرقوا أيدي سباً في الخافقين.

(١) نجم: طلع وظهر.

(٢) هو (طهماسب ميرزا) آخر سلاطين الدولة الصفوية. تولى العرش سنة
١١٤٢هـ/١٧٢٧م وقتله نادرشاه كما سيأتي سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٠ - ١٧٣٢م.

فلما بلغ الخنكار هذا الخبر، وطرق سمعه هذا النكد والضّرر، وجّه في السنة الثالثة والأربعين بعد المائة والألف^(١) بريداً <١٠٤ب> على العجلة إلى الدستور المذكور، ساق شوكة هذه الدولة، يأمره بالسفر إلى إيران، وتخليص تلك البلدان، وشنّ الإغارة إلى أصفهان، لما علّم الخنكار من نصرة دولة الدستور المكرّم، وإعلاء رايته وإسعاد المتحلّين^(٢) من الأمم بشعار دولته، وما أولاه الله من العز والإظفار والغلبة والاستظهار حيثما سار في أرضه، وما خصه به من التأييد الذي لا يهتدي الأنام إلى بعضه، حتّى أن الوزير المذكور ضوعفت له الأجور لا يفتقر مع ثقته بالله، واعتماده عليه، وتقويض أموره إليه، ومعرفته بأن دولته وصولته على تصرف الأحوال وتصرّم اللّيال، في كنف من الله تعالى محروسة محوطة، وبعين كلّائه ورعايته منوطة، إلى الاستغاثة بأحد فيما يرومه ويحاوله، والاستظهار بظهير فيما يطلبه ويحاوله.

فلما بلغه البريد ما جاءه، طفق في أهبة السفر فجاءه، وجمع جنوده من المخاليف، ودعا بكلّ مسالم وحليف، فلم تمض إلاّ أيام قلّيل، حتّى اجتمعت الجنود العظيمة، وتراجعت العساكر العديدة العميمة، فسار تخفّق بين يديه ألوية التأييد، وتحف به إمارات التسديد، بجموع ملأت بطون الصحاري، حتّى ظنّ لكثرة العدد أن المَهْمَة بهم جاري، فكان الخميس إذ ذاك سيل العَرم، بكلّ قَرم، إلى لحوم العِدا قَرم^(٣).

(١) أولها ١٧ تموز ١٧٣٠م.

(٢) في الأصل (المتحلّين).

(٣) القرم الأولى: السيد المعظم، والأخرى: الشديد الشهوة إلى اللحم.

فساروا بفلك مشرق بنجوم الأسيئة، منير بشموس الصيفاح وأطراف
الرماح اللدنة، فكانه <١٠٠٩> لفلك الأطلس حلي بكواكب الذئب، أو جـو
زهر^(١) البدر الأنفس نزلت إليه من كرة النار نيازك العطب. فلما بلغ بهم
إلى الدرة^(٢)، أتاه البريد بخبر جلوس السلطان بن السلطان، السلطان
محمود خان^(٣)، وإنه يأمره بالجلوس في مكانه حتى تنتظم له الأمور،
وتتحد كلمة الجمهور، فبقي في نواحي شهرزور قاطناً، ولم يبرح امتثالاً
من الخنكار ظاعناً، وأقام هناك ثلاثة أشهر^(٤).

وعلى رأس الأربعين^(٥) أمر بالمسير إلى الجهاد، واغتنام الأجر
الكبير وتخليص هاتيك البلاد، فسار بذلك الخميس، يفرى^(٦) الحصاص
الطامسة الأعلام، ويمتطي الوهاد الأكام. ولما أشرق بليوث العرين

(١) الجوزهر، العقدة في فلك القمر، لفظة فارسية معناها رأس التين وذنبه. منصور
جرداق: القاموس الفلكي، بيروت ١٩٥٠، ص ١٦٢.

(٢) الدرة: العوج في القناة أو العصا ونحوهما، أو هي العوج مطلقاً.

(٣) هو السلطان محمود الأول بن مصطفى الثاني، تولى العرش بعد خلع السلطان
أحمد الثالث في ١٥ ربيع الأول سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م ولبث إلى ٢٧ صفر
١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م.

(٤) دوحة الوزراء ص ٢٦.

(٥) كتبت هذه العبارة بخط مختلف عن سائر الكتاب في الأصل، ويظهر أن موضعها
ترك بياضاً ثم كتبت في موضع البياض في وقت لاحق، وسياق الخبر لا يدل على
أنه مما جرى في حوادث سنة ١١٤٠، خاصة وأن الحدث الذي يتضمنه سابق
على سلطنة محمود الأول بثلاث سنوات. وفي دوحة الوزراء ص ٢٦ جاء ضمن
أخبار سنة ١١٤٤هـ.

(٦) أي: يقطع.

الفرسان، ودخل خائفين حامي كرمان شاهان، أطاعه أهلها فرحاً وسوراً،
إذ لم يحل بهم سابقاً ضرراً وشريراً، وسلموه مفاتيح البلدة^(١)، ولم
يستحسنوا كفه وردّه، علماً منهم أن نير سغده مطالع فلك القبال، وكوكب
مجده ساجم طالع الغلبة على كل حال.

فله! دخل كرمان شاهان، جلس هنيئة^(٢) للاستراحة من وعشاء
السفر، وأمر بالنزول لجميع العسكر، ثم قفل بأهله وكماته وأبطاله، وأم
همذان إذ قد حل قريباً منها شاه أصفهان^(٣)، فلما قاربها رآها متأهبة
للحصار، متحصنة بالرجال والنار، وإن الشاه قادم من ناحية أصفهان،
وإنه لم يصل بعد إلى همذان إلا أن بينها وبينه مقدار ثلاثة أيام
<٥٠٠٠٠> .

فحينئذ جمع السطور وجوه الأمراء ورؤساء الجند العقلاء، فأحدثوا
به وقفاً، وصفوا حوله مئات وألوفاً، فقال: إني قد جمعتكم لأمر
استشيركم في تدبيره، إذ ما ندم من استشار، واستخيركم في حصوله
وتيسيره، إذ ما خاب من استخبر واستشار، هذه همذان قد ملئت رجالاً
وأبطالاً، وإنها قد تحصنت أشد من تحصنها بالأمس، وتأهبت أكثر من
تأهبها الأول بالعدة والنفس، وهذا الشاه قد أقبلت طليعته، وقربت عصابته
وكتيبته، فأي الأمرين نبادره، أحصار همذان وشن الإغارة عليها، أم قتال

(١) سياق الخبر كما أورده المؤلف يشير إلى أن دخول أحمد باشا سلماً كان لخائفين،
والصحيح أن المقصود هو كرمانشاه كما في دوحة الوزراء ص ٢٥.

(٢) كذا في الأصل: والصواب: هنيئة، وهي القلة من الزمان.

(٣) هو الشاه طهماسب الصفوي.

الشاه، فما رأيكم؟ فسكت الجميع عن الجواب، إلا شيخ منهم بادره بالخطاب فقال: الرأي أن نحارب الشاه أولاً، فإن نحن غلبنا استولينا على همذان وجميع ما في إيران من البلدان، وإن غلبنا لن نقدر على فتح قرية فضلاً عن أمصار أصفهان، وكون همذان تبقى خلفنا لا يضرنا ذلك، بل نجعلها في سيرنا يميناً، وإن كان كل من أهلها لنا كميناً، فإن غلبنا هربنا من حيث أتينا ولم يظفر بنا أهل همذان، ولم ينالوا منا شيئاً في هذا الشأن.

فقال الوزير: هذا الذي حاك في صدري، وانطوى عليه سجن سرّي، فسار بالجنود المنصورة، والعساكر المَجْبُورَة المحبورة، حتى وصل بهم إلى لؤلؤ كرد فأنزل هناك عسكره، ونصب ثمة معسكره، وكلن منزل الشاه كورجان^(١)، وبين منزل الشاه ومنزل الإسلام سائر ثلاث ساعات زمانية بالتقريب.

فلما نزل الدستور بمكانه، وجمع أصحابه وأخذانه، اقتضى الرأي أن يرحل بالجنود صباحاً، ويوردهم نجاحاً وفلاحاً، ويبقى في مكانه الانتقال والخيام، ويبادر عدوّه بالاصطدام. فلما أصبح الصباح وأسفر، نودي بالقول إلى النجاح في المعسكر، فقامت أسود الله قيام الليوث من الشرى، وطلبت جهة العدو طلب القناص الفرى، وخفقت البنود، واضطربت الكبود، حرصاً على الجزاء الموعود، من الرحيم الودود. وإذا بمكان فيه ديار بالية، وفي طول خالية، ومياه جارية، قد عتيت بالرؤماة

^(١) في البلدانات الإيرانية (كوريجان): بلدة تقع في الشمال الشرقي من همذان، وتعد من أعمالها. ينظر دكتور محمود بناهيان: فرهنگ جغرافیائی ملی ترکان ایران زمین، ج ٣ ص ٦٧٢، تهران ١٣٥١.

الباغية، منعاً لضياغم الإسلام العادية من ورود تلك الجداول الجارية السارية. فلما بادرت جنود الله إلى الورد، أبصروا الكمين خلال الطلّول، بين هاتيك الرسوم نزول، فشلت أيدي الكامنين، وخذل راميهم، وصاروا طعمة للسيوف الهندية، وأكلة للذان الخطية، حتى صار - كما أخبر من شاهد الواقعة - ذلك الماء أشكل، حيث جرى بالدماء النهر والجداول^(١).

ثم أن أسود الله سارت غير بعيد، وإذا بجموع الشاه صفوفاً في ذلك الصفصف في كثرة لم تكن قبل تعرف، وإن عسكر الوزير المذكور - كما أخبر من شاهد الواقعة - كالشامة البيضاء في الثور الأسود، وإن عتتهم حينئذ - كما أخبر الأسارى منهم - <١٠٦ ب> مائة ألف فارس، أكثرهم بالدلاص طامس، من كمة أصفهان، وشجعان لورستان.

فحين أبصر الوزير والجنود ذلك السواد الممدود أيقن الجميع بالعطب، إذ لا سبيل إلى الهرب، إذ - كما قدّمنا - إن هذان مفعمة بالأبطال والفرسان، والكمة والشجعان، وأنهم ربما يخرجون إلى طريقهم يمسونها، فأتكل الجميع على الله تعالى، وتجرّد الكل عن طمع هواه، ورغب بعضهم بعضاً بالجنة، وجعل الكل اتكالاً على الله وقاء وجنة، وتأسوا بغزوة بدر، وتحققوا أن الكثرة لا تجدي إذا عديم النصر. وكانت طليعة عسكر الوزير الأكراد، إذ كما يعهد أنهم الكمة الأجواد.

(١) يحدد المؤرخ العثماني سليمان عزي شمعداني زاده تاريخ المعركة في ١٣ ربيع الأول سنة ١١٤٤ هـ / ١٣ أيلول ١٧٣١. تاريخ شمعداني زاده، مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة، الورقة ١٤٨.

(ثم أن الوزير المُكرَّم، والدستور المُفخَّم، المرحوم قَرَه مصطفى باشا^(١))، كَمَن لهم مع جنوده في حَضِيض جَبَلٍ هُناكَ، ودارَ عليهم من خَلْفِهِمْ، فحين أبصره الأعجام ولَّت على أعقابها، فأمر الشاه برمي الأطواب^(٢) الرُّعْدِيَّة والبنادق النارية ما لو لم يكن جند الوزير في هَذِهِ من الأرض لأهلكتهم، وجعلت بعضهم على بعض.

فحنَّقت حينئذ الأسود، واستغاثت بالرب المعبود، وضربوا عليهم الأطواب والبنادق، والقناير الصُّعَاب والتُّفُك الحواريق، واجتمعوا بعدها وحَمَلُوا عليهم حَمَلَةً الرجل الواحد، وركضوا عليهم رجالاً وفرساناً، وحملوا السيوف وتركوا اللدانا، فالتقى الجَمْعَان، وتلاصقت الفئتان، وجَنَّ الأبيض في المفاصل، وحكمت في أذبارهم المناصل الفواصل، وزاغت الأبصار، وعلا الغبار، وسالت الأحداق، ومالت الأعناق <١٠، ٧> وعثرت الخيل بالرؤوس، وخاصت بالدماء وأنزقت النفوس، ومالت الرايات، وظهرت للنصر آيات.

فلم تكن إلا ريثما ساعة والعدو قد هَرَبَ، بعد مشاهدة الوَيْل والعَطَب، فاحتوشته الأسود، وتبعته الجنود، ولم يسلم حينئذ إلا الشاه مقدار

(١) هو صهره، وقد تقدم التعريف به.

(٢) العبارة بين قوسين كتبها المؤلف على هامش الورقة، بدلاً من عبارة وردت في المتن، وضرب عليها، هي (فلم تقف مع طليعة الشاه إلا ساعة، ورجعت هاربة على الجماعة، وأضربهم الشاه بالأطواب...).

عشرين فارساً^(١)، يُرون رأي العين، قد خرجوا من تحت غبار الحين. فحين شاهدَ الوزير هارباً لم يرسل عليه طالباً، شُكراً لهذه النعمة التي نذر أمثالها، وعزَّ شبيها ومثالها، بل تركه ونزل على المترس الذي يحملونه، واغتنم الجند المال الذي جلبوه، ورجع العسكر إلى همذان، فرآها خالية تشبه الأطلال البالية، قد هرب الذين تحصنوا فيها حين هرب الشاه، وأخلوا جميع نواحيها.

فصل

[خسائر الإيرانيين]

قد أخبرني غير واحد من الكُماة الذين كانوا أول الحملة إنه قال: قبل أن نصل إليهم نُشاهد رؤوسهم تقع عن أبدانهم من غير ضارب، ونُبصر قتلاهم قد ملأت المواطن والمضارب. وقد أخبر غير واحد من الأسارى أن الذي أوهنتهم وأضعفهم هو رجال شجعان شعارهم البياض، أمامهم خمس^(٢) بنود خضر، قصبتهم من يمين عسكر الإسلام، فاعملوا فيه الحسام، وإن صحَّ هذا فهي كرامة للإسلام، وعلامة للفوز في دار السلام، وآية دالة على قبول جهادهم، حيث أمر الله الملائكة بإسعافهم

(١) في دوحة الوزراء ص ٢٧ أن خسائر الجيش الإيراني بلغت في هذه المعركة نحو العشرين ألفاً بين قتل وجريح وأسير، فضلاً عن ٣٢ مدفع هاون، وعدد لا يحصى من العتاد والبنادق والخيم والذخائر. أما الجيش العثماني فبلغت خسائره ثلاثمائة شهيد وخمسمائة جريح. ويذكر صبحي، تساريخ صبحي ج ١ ص ٩٦، أن الشاه طهماسب فقد نصف جيشه ومعظم مدفعيته وذخائره.

(٢) كذا والصواب (خمسة).

<١٠٧ب> وإسعادهم، وليس هذا بعزيز، إذ قد أمد الله جيش نبينا صلى الله عليه وسلم بالملائكة مراراً، وقاتلوا مع المسلمين خفية وجهاراً، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو لأمته ما لم يرد النص على أنه من خاصته.

فصل

[الصلح بين الدولتين]

ثم أنه بعد استقراره في همدان، أتاه من الشاه الهدايا والتحف، يرجو فيه الصلح بين الدولتين، وحقن الدماء من الجانبين^(١)، فرأى الدستور الصلح خيراً، وأجابه على ما طلب، على شرط أن تكون كرمان شاهان وهمدان ومخاليفها تحت حكم الدولة العثمانية، وفي ظل الشوكة الخاقانية، كما كانتا سابقاً. وعقد الصلح من الجانبين^(٢)، ورجع إلى بغداد قرير العين، عزيز العين^(٣). وقد امتدحه الشعراء تهنئة له بالقصائد الرائقة، والقوافي الفائقة، منهم المنلا سليمان البصري حيث يقول [من البسيط]:

(١) في الأمر الموجه إلى أحمد باشا بتاريخ الأول من ربيع الآخر سنة ١١٤٣ (دفتر مهمة ١٣٦ ص ٢٢١) أن الشاه الإيراني بعث رسوله إلى استانبول برمسالة فيها عقد اتفاقية الصلح والمصالحة بين الطرفين، وقد زوده السلطان ببعض الشروط لعقد الصلح، "وحتى الآن لم يرد أي رد من الشاه الإيراني عليها".

(٢) عن نصوص هذه المعاهدة ينظر أحمد راسم: عثمانلي تاريخي ج ٢ ص ٣٨٤.

(٣) العين هنا: النفيس.

سعد السُّعُودِ بِبِشْرٍ قَدْ بَدَا وَشَدَا
هناك شمسُ العُلا بِالْعِزِّ بَارِغَةٌ
دار السلام به تهتز من طَرْبٍ
غنى الهزار وماس الغُصن من طرب
والرياح زمر حيث الرعد دقُّ بها
والسُحب نَقَطت الأغصان إذ رقصت
والأرض مخضرة والزهر مُبْتَسِمٌ
والناس في هَرَجٍ والجِنُّ في مَرَحٍ
بُشْرَى فَقَدْ أُتْجِرَ الإقبال ما وَعَدَا
وكوكبُ المجد في أفق العلى صَنَعَدَا
فيهم من نور بدر السُّعد يوم بَدَا
فالدُّوح يرقص والفخر فيه شَدَا
طبوله وحسام البرق ما غَمِدَا
حيث الصُّبا سحبت أذيالها الجَدَا
يفوح منه القُذَا قَدْ عَطَّ مِنْهُ نَدَا
والضُّدُّ في تَرَجٍ مع من له حَسَدَا

<١٠٨>

والعندليب خطيبٌ في أراكته
بكل لحن شجا للقلب نغمته
فذاك بالرقع منصوبٌ يخفضه
فشنف السُّمُعِ تغنين على قَيْنٍ
بشائر النصر والرايات خالقة
نصر من الله بالفتح القريب له
سل عنه شاه العجم وانظر لدولته
راموا الفرار فكادوا يُغَبِّطُونَ به
لما رأوا عسكر الإسلام يُقَدِّمُهُ
نحا ملك العلى أعداءه فعدوا
والبيض مشرقة والشمس لامعة
والخميس مجال في مواكبهم
وقد شدا البلبِلُ الصِّدَّاحُ مُجْتَهِدَا
قد أعرب اللحن نحو منه مطردَا
وذاك بالجزم مجرور بَدَا فَعَدَا
لها شروح لشرح الصدر ما وجدَا
أعلامها فوق رأس المجد إذ وردَا
بحسن توفيق مَنْ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدَا
لما رأوا الشهاب الأحمدي بَدَا
لكنهم ذهلوا من خشيةٍ وردى
ليث الأسود الهزبر انتابهم نكدَا
لما عدا ما ثنا للعزم يوم عدا
والأرض راجفة والشاه قد شَرَدَا
والهام في الأرض لم تَعْرِفْ له عَدَدَا

والخيل تسبح في بحر الوطيس وما س النجيع وقد صامت بما وجدا
والأرض ترتج من تحت الجياد بها من هوانٍ ذاك الوغى والضد صار فدا
والهند خاطبةً والسهم راکعةً والضد ساجدة ما عودوا أبدا
ما لبسط قرن لبازات وضیغها فالبط أعجامها والضيغم الأسدا
تاج العلا والمعالی أحمد وكذا بازاته جنده الغيم بسها عسدا
أردى الأعاجم في بأسٍ له وكذا في همةٍ لو تبنت دكدكت أخدا
تشتوا في الفلا أيدي سبا وغدوا صرعى ومنهزماً لم يدر أين غدا
خلوا الخيام وما فيها وما ملكوا من الذخائر حتى الأهل والولدا
أطوابهم مثل أجسام لهم طرحت فوق البسيطة ما راع لها نشدا
<١٠٨ب>

كذا تفاكهم طرحاً يلقطها^(١) سواس دولته لخيامهم عمدا
خلوا كریمان^(٢) كرهاً بعد ذا وكذا همدان قهراً وما عاجوا لمن فدا
وبعد ذا الشاه رام السلم حين رأى بأس الوزير الذي يوم السهياج عدا
فراجع الملك المنصور سيدنا مولى السلاطين محمود الذي سدا
ففوض الأمر أمير المؤمنين له كل الملوك له في العالمين فدا
فقيد الحد بالسطور ولا يخشى لمن رام نقض الحد نكدا
ففاز بالحمد لما اشتق منه له اسم كاسم أبيه وافق الرشدا
فذاك لا شك في أفعاله حسن وأحمد فاز بالحمد الذي حمدا
حاز المكارم عنها الناس قد قصرت ففيها طوق الحسنى بدت جندا
فأصبحا نير العلياء مبصرها مثلها في الوري طرأ فما وجدا

(١) جمع تفكة: وهي البندقية، وقد تقدم شرحها.

(٢) يريد: كرمان شاهان.

صدر الوزارة بل عين العلى شرفاً
سردار دولتها ضرغام صولتها
ما قيصر مثله في كل منقبة
ما اسكندر شبهه في لباس يوم عدا
ذو همة صيرت كسرى بكسوته
بالعدل والحكم حتى كل من ولدا
بحر هو العذب رحب الصدر حبر ذكلاً
ربح لراج ومن معروفه قصدا
قاموس فضل ومجد في محاسنه
قابوس فخر وجود بل وشمس هدى
بدر هو النير الاسمى بطلعته
تخفى الكواكب لما ان علا فبدا
لذاك نبصر ارباب التخوت له
تخشى وترهب بل والكُل مرتعدا
ان قيل فيه هو المهدي ما كذبوا
دع الغلو وقل ما شئت معتقدا
حاز السباق وللرايات رافعها
بالفتح في كسر ضد جزمه وجدا
اخباره عنيت في كل ناحية
بمئذ الصدق تحقيقاً لها سندا

١١٠٩

بذكرها سارت الركبان في طرب
والعيس حنت اذا الحادي بسهن خدا
خوفاً صفت لصوت منه حين سرى
لذلك سارت ترامي في الفلا مددا
قد طبق الأرض أخبار له وثا
بين الأنام وسل من سار او قصدا
بمدحه الجن غنت صبوة وشدت
والإنس والوحش والطير الذي عهدا
فالجن ترتع من منقوض سفرته^(١)
والأنس تجتار من إنعامه أبدا
هذي المكارم لا دار مشيدة
وتاج در بلا مجد يقبض ندا
إذا غزا فنسور الجو تابعه
كذلك عقبانها تبغي غدا وغدا

(١) في ب: منقوض، والمنقوض: ما طاح من حمل النخل متساقط من أصوله من التمر، أو لعله أراد: المنقض: وهو المنسف.

والوحش لم تخش جوعاً في مفاز به
هذا هو الفخر لا البدرات^(١) من ذهب
فضل من الله يخصص من يشاء به
مواهب سبقت في علم واهبها
عناية من إله العرش خص بها
المُرهب الأسد في الغابات صولته
والواهب الخيل والبدرات تتبعها
ما جود حاتم إن عُدَّت مكارمه
لو عاصروه لغطى جوده كرمه
لا عيب فيه سوى أن الملم به
سعد الزمان به الأيام قد طربت
يختال بها على الأعصار من قتم
والأمن عم على كل الممالك من
صمصام عز له السلطان سل فما
خلف العساكر لا يحتاج صيد يدا
ولا الغناء بمال لو نما نقدا
مواهب لأولى الأبواب ثم غدا
في عالم الذر لا تحصى لها غدا
كذلك والده المرحوم قد سعدة
عزماً وبأساً وأردى الضيغم الأسدا
ثم السهجان وسل من أم أو وقدا
وما ابن مامة أو معن بغير ردا
أذكاهم ولأضحى الكل عنه فدا
لم يذكر الأهل والأوطان والولدا
وعصره فاخر الأعصار ثم غدا
من حيث أحيا الندى من بعدما فقدا
باس الهمام الذي ساد الملوك يدا
أمضاه من صارم مذ سل ما غمدا

<١٠٩ب>

يا أيها الملك المولى الذي سبقت له العناية من رب السما وهدى
بل يا سراج المعالي وابن بجدتها ومن لغايتها القصوى أمد مدا
ويا همام الوغى يا ليت غابتها وعين أعيانها يا كاملاً عددا
لأنت غاية آمالي ومنتجعي من الأنام وسؤلي في عطاء وندا
خذها إليك من الأبكار غانية تختال في حلة من عسجد وردا
قلدتها عقد در المدح فابتسمت فرائد قد تواخى أناملها جوددا

(١) البدره: الكيس تحفظ فيه الدنانير أو الدراهم.

واسلّم ودّم آمناً من كل حادثة بطول عمرٍ مديدٍ لا ترى نكدا
 أحاطك الله بالأسماء أجمعها حفظاً ولا زلت ترضى الواحد الصمدا
 ثم الصلوة على المختار سيدنا محمد المصطفى من الأنعام هدى
 والآل والصحب ما هبت الصبا سحراً انهل قطرة وزهر الروض فراح يدا

ومنهم السيد عبد الله أمين الفتوى في بغداد حيث قال [من الخفيف]:

قد أنار الوجود نور سناكا مذ توالى الندى أتاك أتاك
 أحمد المصلح المضلين قسراً عم اصلاحه الثرى والسماكا
 فرح الناس بالقدوم إليهم ودنوا ينشقون طيب شذاكا
 مرحباً مرحباً بخير قدوم سراً أهل الصلاح والنساكا
 أنت روح البلاد أنت قوام الناس لولاك شارفوا الإهلاكا
 أنت لولاك ليس يأمن سار بل ولم تُهد سبلنا لولاكا
 أنت نغم الوالي شفوفاً علينا طول الله عمر من والاكا
 أنت للدين حيث كنت عماداً فبنصر منه الإله حباكا
 لا نقس ما مضى لنسوع قصور قد جرى للنبي أحمد ذاكا
 كل أمر ناب النبي ففيسه الصعب واللين يُحمدان هناكا

<١١٠>

ليس يسرى للتبر بالعرض في النار هوان فافهمه طال بقاكا
 انما اختير ذا التخليص غش منه فالتبر أنت لا يخفاكا
 إنما كان ما جرى فلأمر رفعت فيه عنك عين عداكا

ليس نكراً قد جاءنا العين حق
 من ربي بالصلح والصلح خير
 فئة البغي قد أطاعت لأمر
 بعد أن سیرت نحوهم بجنود
 فبفضل مننت بالعمود عنهم
 هذه خصلة فسبحان من من
 هكذا شيمة الملوك قديماً
 يا كريم الأبناء حزت خصالاً
 كرم مع شجاعة توأمان
 راحة شأنها السخا فعجيب
 قدم منك أن تحل بأرض
 أسد أنت في حروب شجاع
 يا حميد الخصال أعطاك طولاً
 كيف أقوى أعدّ بعض سجايا
 همّ أم شجاعة أم ذكاء
 حرت ماذا أقول فيك فعجزي
 أنت في هذه الخصال فريد
 أنا حسنانك القديم عبّيد
 شرها الله ذو الجلال وقاك
 وعلينا بالعمود حتى نراك
 منك واستشفعوا وراموا رضاك
 ملأ الرهج منهم الأفلاك
 وبهذا الصنيع طاب ثاك
 وأولاك فعلها وهداك
 أنت فيها حقاً ورثت أباك
 جمعت فيك لم ينلها سواك
 حسن خلق بشاشة لازماك
 كيف أن لا تملّه من عطاك
 أحبت زاد خصبها بخطاك
 ويح قوم تحيّرُوا للقـاك
 حاكم العرش منذ قد ولأك
 ك واسطيع أن أفوه بذاك
 حسن رأي أم أم وأم أسخاك
 عن أدائي لذاك عين ثاك
 قطع الله إثر من عاداك
 الله أدعى في الناس من سعداك

<١١٠ب>

نلت عزاً ورفعة بمديحي
 حسدتي لذي المناقب قوم
 لك فاسلم ودم جعلت فداك
 لا أبالي بهم وقصدي رضاك

إن مَنْ يَخْطُبُ المَدِيحَةَ يَوْمًا لَمْ يَرِ الْمَهْرَ غَالِيًا إِذْ ذَاكَ
 لَكَ حَالِي شَرَحْتُ إِنِّي بِمَدْحِي لَكَ فِي الْأَشْتغالِ لَا أَنْسَاكَ
 مَا مُرَادِي جَوَائِزًا أُبْتَغِيهَا لَا وَلَا دَرَهْمًا وَقَصْدِي بَقَاكَ
 فَإِذَا كُنْتَ لِي كِفَانِي عَزًّا وَأُنَالُ الْعُلَا بَعَزًّا غَلَاكَ
 مَدًّا فِي عَمْرِكَ الْإِلَهَ دَهْرًا عَدُّهَا يَبْلُغُ الْحَصَى وَالسُّمَّاكَ
 كُلُّ فَرْدٍ يَهْوَاكَ يَدْعُو وَلَكِنْ أَنَا وَحْدِي بِكُلِّ مَنْ يَهْوَاكَ
 دُمُ بَعَزٍّ وَرَفْعَةٍ أَنْتَ وَالْأَلْ وَكَذَا الصُّحْبُ ثُمَّ مَنْ وَالْأَكَا

ومما قيل وفي وصف المشار إليه مع تاريخ هذه الواقعة [من

الكامل]:

السَّعْدُ أَقْبَلَ وَالْإِقْبَالُ وَالنِّعَمُ كَالدَّهْرِ يَفْخَرُ وَالْإِسْلَامُ يَبْتَغِي
 أَنْسَا بَعُودَ أَبِي الْفَتْحِ الْوَزِيرِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَشَمِلَ الْمَلِكُ مَنَظْمَ
 أَقَامَ سُنَّةَ عَدَلٍ فِي الْبِلَادِ بِهَا تَرَعَىٰ مَعَ الذَّنْبِ فِي أَكْنَافِهَا الْغَنَمُ
 غَزَا الْأَعَادِي بَأْرَاءَ مُسَدَّدَةً وَعَسْكَرُ ضَاقَ عَنْهُ السَّهْلُ وَالْأَكَمُ
 حَتَّى أَذْلَ رِقَابَ الْأَعْجَمِينَ كَمَا ذَلَّتْ لَدَى صَقَرِهَا الْعُقْبَانُ وَالرَّخَمُ
 وَهَذَا مِنْهُمْ حَصُونًا مَا بَنَا أَبَدًا مِثَالَهَا فِي الْقُصْرِ عَادٌ وَلَا إِرْمُ
 حَتَّى غَدَّتْ تَبْتَغِي عَفْوًا وَمَرْحَمَةً فَمَادَ يُؤْمَلُ عَفْوُ السَّيِّدِ الْخَدَمُ
 فَمَنْ فَضَّلَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ قَدْرِيَّةٍ كَالدَّهْرِ يَصْفَحُ أَحْيَانًا وَيَنْتَقِمُ
 وَعَادَ وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ يَقْدُمُهُ وَالْعِزَّ وَالْفَخْرَ وَالْأَفْضَالَ وَالْكَرَمُ
 وَخَاطَبَهُ الْمَلَا طُرًّا مُؤَرِّخَةً حَقَّتْ بِعِزِّ قِيَاكَ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ

ويقال أن الملا سليمان الكردي أنشده في هذه < ١١١٢ > الواقعة قوله
[من الكامل]:

سعد السعود همل على الأوطان	فلذاك أشرق منه كل مكان
والنير الأعلى ضياء قد بدا	في سائر الأمصار والبلدان
فارتاحت الإسلام منه واغتدى	أهل البسيطة في هنا وأمان
والعندليب مُغرّد بلحونه	والبلبل الصداح أعرب ثنان
والورق تسجع والهزار مجاوب	بتفنن الألحان في الأغصان
وخطيبها فوق الأراكه شادياً	يدعو بتأييد بعال الشأن
والطير تدعو باختلاف لغاتها	للمالك المنصور بالرحمان
فمغرّد ومُرَجَّع ومؤمّن	ببقا الوزير ونصره في الآن
شمس المعالي والمفاخر أحمد	جَمُّ المحامد صاحب الإحسان
الفتاح الملك الوزير أبو العلا	عين العلى والنور للإنسان
ذو همّة حسنة علوية	ومكانة يعيشو لها القمران
وعزائم ومغانم ومكارم	أربت على ساسان مع قحطان
دانت لهيبته الملوك وأذعنت	للسلم كالأفغان في الإذعان
خوفاً لصطوة بأسه ولعزّه	قد قلّدوه الأمر بالإذعان
فاختار إصلاح البرية كلّها	بالصلاح توفيقاً مع المنان
مع ما له بالاعتدار على العدا	فعفا وعف رجا عظيم الشأن
سار الوزير بدولة قد حقها	عز وإقبال من الدّئان
فارتجت الأرض البسيطة هيبه	من خيله وتزايد الفرسان
والجنّ تتشد حين قام خطيبها	هذا الوزير واصف السلطان
الرافع الرايات بالفتح السذي	خفض العدى بالجزم في البلدان

والسابق الغايات في شأور العُلا
ملك تُشيعُه النُصور إذا غدا
إن عازَهْنْ مَخَالِبُ فسُيوفه
ساس الممالك فاستتمَّ نظامُها
بقدومه دار السلام تشرفتْ
والبصرة الفِحا به قد أبصرتْ
والشام مع مصر وسائر مدنها
لا بل تباشرتْ الممالك كلها
بالنصر والتأييد بالملك الذي
والملة الحنفية المُعما به
والسنة النبوية اخضرتْ به
وأما كل الابتداع فاصبحوا
وثقى العزيمة بعد ذلك بدولة
شمس لمطلع شمسها متقصِّد
دانوا لهيبته ضحى واستسلموا
فوقى لهم بأمانة وضمانة
فلئن أطاعوا ثم زيدوا خشية
نالوا السلامة واستقروا في الحمى
تحت اللُبال مع النُكال وبعد ذا
والدولة المنصورة العظمى التي

والحائز القصبات يوم رهان
حتى البُغاة وسائر العقبان
تغني لهن ومخالب الممران
من بصرة الفِحا إلى همدان
ولذلك افتخرتْ على الأوطان
وارتاح سُكَّان لها بتهان
قزوين مع تبريز مع كرمان
يَمَنَ وأرض حجازها عُمان
فتَحَ الفُتُوح بسائر البلدان
ظهرت على الأديان في الأزمان
روضاتها بأزاهر الإيمان
كل العباد بفرحة وأمان
عظماً بها يرتجُ كل مكان
سار إلى التسخير خورستان^(١)
طوعاً وشمس العز في سلمان؟
ثم اغتدى سار إلى العُربان
من بأسه ورضوا بحظ ضَمان
ولئن عتَوْا فمُخالف السلطان
قد باء بالخُسران والخذلان
سرُدارها الملك العلي الشان

(١) في الأصل (خورستان).

تحتاطهم وتحوز كل سوادهم بمظفر سام على الأقران

<١١٢>

ألف العلى حاء الحكومة سعادها ميم المعالي واحد الأزمان
للدولة العظمى العلية دالها سردارها هو صاحب العرفان
هو أصف الثاني حسبك إنه نور الزمان ومعدن الإحسان
فإذا اعتدى اسكندر وإذا عدا هو عنتر وإذا خاقان
ذو راحة وكفت ندى وكفت ردى ووفت هدى بالصديق والإيمان
يمنى تهلل بالنوال كأنسها سحب تسح بوابل هتان
يمنى تمد بخمسة من أبحر من كل أنملة بوسط سينان
لكنه عذب فترات سائغ هذا وأنى يستوي البحران
ومقبل أفواه الملوك وإنسها ليمين من لا مان بالحلفان
لولا الغلو لقلت مهدي السورى لشمائل منه وحسن معاني
هذا هو الفخر الذى ما قاله من قبل ذا كسرى أنوشىروان
كلا ولا القوم الأولى من يعرب لا ابن ذى يزن ولا الصهبان^(١)
قد أعجز البلغاء حصر مديحه من لي بحصر مديح عالي الشأن
بدر نمر في الفضائل والعلی صدر مشير معدل الإيمان
من طاف كعبة جوده من أمل إلا ونال مناه بالإحسان
يا أيها الملك الذى من طبعه بذل الندى في سائر الأزمان
خذا إليك من النظام خريدة خطرت تميس بفاضل الأردن

(١) سيف بن ذى يزن من ملوك اليمن، صاحب الشهرة المستفيضة في تاريخ العرب قبل الإسلام، وصهبان بن سعد بن مالك، جد جاهلي، من النخع.

بِكراً عروساً زفّها لك ماهرٌ بفصاحةٍ تُزري على سُحبان^(١)
أَمّةٌ إليك هديةً يفتادُها منّي الرجا ببلاغةٍ وبيان
قلدتها بجواهرٍ من مَذْجِه يا خجلةُ الأغصان والغزلان
سَفَرَتْ فأخجلت المَهات بحُسنها وبكفها أومت بحُسن بيان

<١٢٠ب>

فاسمح لهما منك القَبُول ونظرةٌ تُغني عن الإكسير للإنسان
واسلّم ودمٌ بمسيادةٍ وسعادةٍ ومكانةٍ تسمو على كيوان^(٢)
بالسعد والإقبال دُمّت مَوْفَقاً والعز ثم الحظ والإيمان
ما شَبَّت الريح الصبا سحرأ وما غنى الهزار على غصون البان
ثم الصلوة على النبي محمد خير الورى سيّد بني عدنان
والآل والأصحاب ما أهلّ الحيا واخضر روض شقائق النعمان

مركز توثيق علوم اسلامی
فصل

[تزويج عاتلة خانم بنت الوزير أحمد باشا]

ثم أنه بعد رجوعه إلى دار السلام بِجُمُوعه، رُسم في الألواح، وبدأ
للوجود ما كان خافياً من عالم الأشباح، أن زوج في السنة الخامسة
والأربعين^(٣) ابنته درّة الغوّاص، وظيفية القنّاص، صالحة وقتها وزمانها،
وزاهدة عصرها وأوانها، كريمة الشمائل، جميلة الخصائل، ذات الجمال

(١) هو سحبان بن زفر الوائلي، خطيب يضرب به المثل في البيان، توفي سنة ٥٤هـ.

(٢) كيوان: زحل.

(٣) أولها ٢٤ حزيران ١٧٣٢م.

الباهر، والكمال الظاهر، والجلم الوافر، والعقل المتكاثر، والحسب السذي
أربى على غمّدان، وناف على الخورنق وثهلان، العفيفة الدئية، ذات
الأخلاق الحسنة، عادلة خانم^(١)، من كتّخدها الشجاع الكاسر، واللّيث
الجاسر، حاتم هذا الزمان، وعدّي الكرم والاحسان، سليمان باشا^(٢). وقد
عمل لها عرساً عم الوجود السرور، وزاد كل موجود الفرح والحبور،
والله أعلم.

فصل

[الخروج إلى الصيد]

وفي هذه السنة^(٣)، خرج كما هو الأكثر من أحواله، والأشهر من
أفعاله عند أمثاله، إلى الاصطياد والقنص، ناهياً من دهره طيّبات الفوص،

مركزية تكوير علوم رسيدي

^(١) هذه السيدة قدر لها أن تحكم العراق بيد من حديد من خلال حكم زوجها سليمان
باشا الأول، المعروف بأبي ليلة، ولها مآثر جمة ومبرات، منها إنشاء جسامعين،
أحدهما ضم مدرسة وخزانة كتب، وخانات، ودار للمحكمة، وسقاية للماء، ومنشآت
أخرى في خارج بغداد. وقد فصلنا القول في سيرتها في كتابنا: عادلة خاتون،
صفحة من تاريخ العراق، بغداد ١٩٩٧، ص ٨٤.

^(٢) هو المعروف بسليمان باشا أبي ليلة، وهو أول ولاية المماليك في بغداد، تولى حكم
البصرة متمسلاً لها سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م، ثم صار والياً على بغداد والبصرة
سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٩م واستمر حكمه، الذي اتسم بالقوة والنزاهة، حتى وفاته سنة
١١٧٥هـ/١٧٦١م، وخلفه كتّخدها علي باشا.

^(٣) يتفق رسول حاوي الكرككلي مع المؤلف في أن هذه الحادثة جرت سنة
١١٤٥هـ، بينما ذكر المؤرخ عبد الله الفخري المتخلص بنشاطي (توفي سنة
١١٨٨هـ/١٧٧٤م) أن هذه الحادثة جرت سنة ١١٤٣هـ. وينقل الرحالة نيبور =

فلما وصل بعبيده وحشده وخذّامه، وبلغ هور عقرقوف^(١)، وصار بين أغباله وأجامه <١١٣> أبصر بعض من تقدّم في مسيره من الحشد عن قُربٍ وكَتَبَ، لَيْتاً مفترساً على الرصد، فانخلع له فؤاده، ووجب إذ أبصره بارز الناب في الوصيد، مجتمع الإهاب ليختلس فيصيد، مع عِظَم جُثمان، ومثانة جنان، قد طويت الشجاعة تحت لبدته، ونُشِرت بين الجماعة أخبار شِدَّتِه، وقد تعود افتراس القوارس، واعتاد اتخاذ الأبطال الفرائس. فقبّل أن يقع نظر الليث عليه، رجع القهقري، وهَرَبَ مولياً نحو الوزير ومدبراً، فأخبره بما أبصر، وأنذره وحذّر، وقال: الرجوع عن هذا الطريق أسلم، وإذ لا قِيلَ لجميعنا بهذا الأسد الغشْمَشَم^(٢). فعَدَّ الوزير كلامه هَذاراً، ونَسَبَه إلى كثرة الجُبْن وكاد أن يكون ذمّة هَذاراً، وسار نحو الأسد بمن معه، وقصده مع من تبعه. فلما أشرقوا على العرين، وشاهدوا كبر جُثمانه

مركز بحوث ودراسات إسلامية

صعن أقواه أهل بغداد أن تزويج أحمد باشا ابنته من سليمان باشا حدث بسبب إصرار الأخير إلى إنقاذ سيده من أسد حاول البطش به في أثناء ممارسته صيد الأسود في هور عقرقوف قرب بغداد، ينظر رحلة نيبور إل العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة الدكتور محمود الأمين، بغداد ١٩٦٥، ص ٥٧، بينما يضع عبد الرحمن السويدي، يؤيده الكركوكلي، دوحة الوزراء ص ٢٨، حادثة خروج أحمد باشا إلى صيد الأسود في عقرقوف تالية لحادثة تزويجه عادلة خاتم، ولا يشير إلى دور سليمان باشا في إنقاذ حياته.

^(١) تقدم التعريف به. وذكر العزاوي فيما نقله عن تاريخ نشاطي، أن الصيد كان في هور نمرود، قلنا: ومبعث هذه التسمية تصور الماضين أن برج عقرقوف من بناء الملك النمرود الواردة أخباره في الأساطير العربية القديمة.

^(٢) الغشْمَشَم: الجريء الماضي.

المتين، تأخر جميع الخدم، وهرب الجميع على ساقٍ وقَدَم، لم يَنُوقَ غير مُضارِعِه^(١) ومُبارِزه ومُصارِعِه. ولم يكن غير ليثٍ وليث في المقام الضئلك، ولم يثبت غير أسدٍ وأسد تحت القَتام بلا شك، فأغار على جِواده، وتقدَّم إليه بقوة جأشه وفِواده، ورماه بحَرْبسة ماء المنابيا يجول في إفْرِندِها^(٢).

وأرسل إليه عَنزة^(٣) تجلب الرزايا والبلايا من حدِّها، فزُلزِلَتْ قِواه إذ لم تُخطِئه، وأوهنت أحشاه حيث مُرِّقَتْ من تحت أنبِطِه، لكنه تجلَّد لمُمارسة الفوارس، وتصلَّد لتعوده على الفرائس، ورجع إليه بحدِّه، ووَثَّب عليه بشدِّه، لكن الحصان <١٣١ ب> أراد أن يكفي الوزير شرَّه، ويدفع عنه نَكَدَه وضُرَّه، فجَمَعَ وأدبر، وثَبَّت بمكانه واستقر، وأعدَّ للأسد حافِرَيْن، لو رَمَحَ بهما رَضَوَى لطحنه، أو رَفَسَ بهما ثَهلان لعَجَنَه.

فلما وثَّب الأسد على كَنَكلِه، ليختطف الوزير من أسفله، رَمَحَه على أم رأسه، وكاد أن يقضي عليه بقطع أنفاسه، ونزل الوزير من فوق حصانه، وتسجَّى بِفَرَوِيَه السُّمُوريَّة في مكانه، وبقي ساكناً، ودام قاطناً ليحتال بالأسد، وليُمِيتَه عن كَمَد. والحيلة أنه فكَر في نفسه إن صارَعه ومارَعه وقارَعه وراوَّعه يتعبه ويؤذيه بمُهارِشَتِه لنحر فيه، لكنه قال: سيظُن أني أصبْتُ وغُلِبْتُ ومِتُّ أو طُرِحْتُ فيثب عليّ، وهذا خنجري في يدي، فأفري بطنه حالة الوثوب، وتَقْضي حاجة في نفس يعقوب.

(١) المضارع: المشبه.

(٢) إفَرنَد وفَرنَد: جِوهر السيف وماؤه الذي يجري فيه.

(٣) العَنزة هنا: عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح.

فلم يزل ساكناً ينتظر وثوبه، ولم يَبْرَحْ مُفَكِّراً له بكل عقوبة، حتَّى
 أعياء الإنتظار، وتيقَّن أن الأسد فطِن لهذه الأسرار، وأنه ربَّض ينتظر
 قيامه، ليقيم على رأسه القيامة، فنهض سريعاً، وقام لحذسه وفكره مطيعاً،
 شاهراً سيفاً كلسان الحيات، ناظراً بسرعة إلى جميع الجهات، فلم ير
 للأسد أثراً، ولم يذر له خبراً، علم أن الحربة قد أوهنت عزمه، وأذلت
 حزمه، وأسالت دمه، فأرته النهار عتمة، وأنه طلب النجاة برأسه، وهرب
 في الفلاة حرصاً على أنفاسه، ولم يخطر بباله أن الحصان زيِّد إذلاله،
 وأباد عزمه وخيَّب آماله < ١١٤ >

ثم أن الوزير المذكور ركب حصانه، ونادى أعوانه، فتراجعوا عن
 خجل، يهتُّون بما فعل، فأمر أن يطوفوا الآجام، وينظروا ما شأن ذلك
 الضرغام، هل اخترمت المنية أجله، أم قطعت^(١) الحربة الجريسة أمسه؟
 فأبصر مختفياً خلال الشجر، لم يقدر على نقل أقدامه، ولم يطق الهرب
 إلى عرينه وأجامه، قد قيَّدته الطعنة بأمراس، وفلقت الرمحة منه الرأس،
 وانه لم يبق فيه غير هريره، ولم يوجد فيه سوى زئيره، فقيل وسليخ
 إهابه، وقُلع ظفره ونابه، وحُشي إهابه تيناً، وقدم به بغداد، فأبصرناه
 عظيم الخلقة كأنه طود من الأطواد، وقد امتدحه بعض أهل البادية
 بلسانهم، ذاكرأ هذه الواقعة مفصلة، فقال [من الطويل]:

يقول سليمان الفقيه مشائيل مشائيل عدلات القوافي ومورها
 أقوله وأنا في حصن بغداد جالس على اثر شيخ من مناهي صقورها
 أنا قايّد للقيّل قوداً هميمة مع العصر وإني جالس فوق كورها

(١) وردت (قطعت) في الهامش.

ونوختها عقب السر عند خير
 حمي الخيل أبو عدله إلى ما تفلوعت
 أحمد باشا صاحب الفضل والسخا
 سلطان قوم يا عزيز مشرف
 يا سلطانكم كم ديرة قد فليتتها^(١)
 حليم كريم منبسع الجود والسخا
 وكنك أبا زيد الذي يذكرونه
 عفاك قتلت المتبع يا شائع الثنا
 وقلت إن ذا امتضاك إلى تزورها
 نفاراً وعيدان القنا في نحورها
 لكنه غزير الماء يسقى نهورها
 لو تاه رأي القوم عدل أمورها
 ومن قبلك الباشات ما يقدروا لها^(٢)
 كسار عبرات العدى في صدورهما
 إذا قابلت خيل الأعادي يديرها
 ومن قبلك الباشات ما يقتلونها

< ١٤١ اب >

عفاك الذي توماسك^(٣) اليوم طائل
 عفاك الذي طلعك بعيد على الملا
 أيا شيخ إنا فارقت ما سببته
 ومن عقبها أنا سفية وجاهل
 عطايك جزلات كبار لعدهن
 أعدتك بالله والنبي محمد
 وصلوا على خير البرايا محمد
 وصيورها^(٤) الدنيا تقضي أمورها
 كما طلع قد لقي من بحورها
 وراحت نفاراً من تضايق أمورها
 سفيه لكني شارب من سكورها
 تحاكت بها حكام نجد بدورها
 ومكة مع حجاجها إلى تزورها
 عدد ما تغنى بالعشايا طيورها

هذا ما أخبرني به والدي حفظه الله.

(١) سلطانم، صيغة تركية عربيتها: سلطاننا.

(٢) الباشات: جمع باشا، يريد ولاية بغداد السابقين ممن كانوا يحملون هذه الرتبة.

(٣) هذا الذي في الأصل.

(٤) هذا الذي في الأصل.

وحدثني بعض الجند: أن الوزير كان مع خَدَمِهِ، فأرسل طَـيْرَهُ
للصيد وقد تَبِعَهُ والطير في جَوِّ السماء يَتَجَادَبُ مع قَطَاةٍ، ولم يزل يَتَبِعُهُ
حتى انفرد عن خَدَامِهِ، وقد وَقَعَ الطير بما صاد فوق بعض أشجار القَّادِ،
فَعَلَّقَ منه الجَنَاحَ، وَأَشْغَلَهُ عن الذهاب والرواح. ولما قدم الوزير إلى
إسعاده، وتخليصه وانجاده، أبصر الأسد كامناً خلف تلك الشجرة، خافياً
أثره وخبره، فكان كما قَدَّمناه، وصار ما أسلفناه.

فصل

[وفود الشيخ ابن عقيلة]

وفي أوائل هذه [السنة]، وَقَدَ عَلَيْهِ الْعَالَمُ الْعَلَامَةَ، وَالْحَبْرُ الْفَهَامَةَ، ذُو
التَّأَلِيفَاتِ الْمَفِيدَةِ، وَالتَّصْنِيفَاتِ الْعَدِيدَةِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلَةَ الْمَكِّيِّ^(١)،
فَانْتَجَحَ الْوَزِيرُ آمَالَهُ، وَحَسُنَ بِالْعَطَاءِ أَحْوَالُهُ، وَقَدْ أجازني بحديث الرُّحْمَةِ،
فهو أولُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَأجازني بِمُسْلَسَلَاتِهِ وَالْكَتَبِ السَّنَةِ وَجَمِيعِ مَا
لَهُ فِيهِ رَوَايَةً. وَأجازني بلبس الخِرْقَةِ، وَأجاز والدي بها بالفعل حيثُ أَلْبَسَهُ
<١١٥> إياها، وكانت حينئذ عَرَقِيَّةً^(٢).

(١) هو الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد المعروف والده بعقيلة، جمع بين علم الحديث
والتصوف، ونبه أمره فيهما، وقصد العراق والشام، فتلمذ عليه كثيرون، ثم درس
في بعض مدارس دمشق مدة، وعاد إلى مكة حيث توفي سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م،
وله مؤلفات أكثرها في الحديث ومسلسلات الرواة والصوفية، كما وضع كتاباً في
التاريخ. ينظر المرادي: سلك الدرر ج ٤ ص ٣٠.

(٢) قال أبوه عبد الله السويدي في كتابه النفحة المسكية في الرحلة المكية (نسخة
المتحف البريطاني، الورقة ١١٠): ولبست الخرقه، وكانت عَرَقِيَّةً، عن شيخنا=

[ظهور نادرشاه]

ثم لم تزل الناس ترتع في صحاصيح الأمان، وتمزح على بساط العدل في وديان أي وديان، قد عمهم السرور والهناء، وذهب عنهم كل الشرور والعناء، إذ قد ذلت جميع الأعداء، وجادت بما يرؤونه الأنواء، حتى غدت بغداد في الهناء والفرح والسرور، يتلو على أفنانها طائر الإسعاف والإسعاد: (بلدة طيبة ورب غفور)^(١)، إلى سلخ هذه السنة، فنجم الظالم الغشوم، والطاغى الباغي المشوم، نادرشاه^(٢)، من بطون بلدان أهلى

الشيخ محمد بن عقيلة، أيام إقامته في بغداد، عام ١١٤٥، وأخذت عنه تلقين الذكر وجميع مسلماته التي جمعها في تأليف له، وهي خمسة وأربعون مسلاً. قلنا: والعرقية: لباس للرأس يصنع من القطن أو الكتان، ويوضع على الرأس مباشرة، تحت العمامة، ينظر دوزي: المعجم المفصل لأسماء الملابس، ترجمة أكرم فاضل، ص ٢٤٤. مركز تحقيق وتوثيق علوم إسلامي

(١) سبأ، من الآية ١٥.

(٢) لم يلقب نادر نفسه شاهاً إلا في ٢٥ شوال ١١٤٨هـ / ٨ آذار ١٧٣٦م، أي بعد حوادث هذه السنة بثلاث سنوات تقريباً، وكان قد ولد في خراسان سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م من قبيلة تركية تدعى (أفشار)، وكان والده راعياً وقيل خياطاً للفراء أو جمالاً، وتزوج هو ابنة زعيم قبيلته فذاع أمره، ثم ورث الزعامة عن صهره، وألف تحالفاً قوياً من القبائل، استطاع به مقاومة ملك محمود، حاكم مشهد، وحينذاك أرسل إليه الشاه طهماسب ميرزا، الذي لفتت نظره شجاعة نادر، يطلب عونه، فالتحق الأخير به، ولم يلبث أن شق طريقه بسرعة إلى المنصب العليا في الجيش قاضياً بذلك على منافسيه، ثم عين وزيراً للتشريفات ومنح لقب (طهماسب قلي) أي عبد طهماسب، وشرع بعد ذلك باستعادة أملاك الصفويين الضائعة، ففتح مشهد، وبدأ حرباً مريرة ضد الأفغان، حتى استولى على هرات، وواصل حربه ضدهم، باسم الشاه طهماسب، فاستولى على أصفهان العاصمة الصفوية التي -

فارس، وقصد العراق بكل بطل حارس ممارس. وسبب نُجُومِه، وعِلَّة قُدُومِه على العراق وهجومه، هو أن نادر هذا كان اعتماد دولة الشاه طَهِماسِيب المتقدم ذكره، ولم يكن حين الوقعة المذكورة موجوداً، وكان مشهوراً بالشجاعة، معروفاً بطول الباع في هذه الصناعة. فبعد أن فلَّ جَمْعُ طَهِماسِيب، قال الوزير المذكور: لو كان ذلك الكلب موجوداً، لَكُنَّا خُلصْنَا المسلمين منه. فسمع ذلك الكلب هذا الكلام، وجمع جموعه ذلك العام، وأرسل إلى الوزير المذكور: أن قد ذكرت يوم كذا وكذا، فكذا، فكذا أنا قادم عليك، إثر الرسول المُرسَل إليك، فتأهب للحرب والقتال، والطَّعان في النزال^(١).

سكانت بأيديهم، ثم استدار بقواته إلى الغرب ليسترجع ما كان العثمانيون قد استولوا عليه من أقاليم كرجستان وأرمستان وقسم من داغستان وشيروان وكردستان ولورستان، وهكذا فإنه أعلن الحرب على العثمانيين، واستطاع بالفعل أن يحقق قسماً من هذا الهدف، فاستولى على مياندوب وساوجبلاغ ومكري ومراغة، ثم دخل تبريز، وبذا أصبح خطره على المناطق التي كان يسيطر عليها أحمد باشا في غربي إيران مثلاً، وبداية للتداعي الذي سيؤدي بأحمد باشا إلى الانسحاب إلى بغداد على ما سيروي المؤلف فيما يأتي من هذا الكتاب. وأخبره في التواريخ الفارسية والعثمانية كثيرة، ففي الفارسية ألف ميرزا مهدي خان، وهو مؤرخه المعاصر له، كتابين في سيرته هما (جهانكشاي نادري، تهران ١٣٣١) و (درة نادرة، تهران ١٣٤١) وألف محمد حسين قدوسي (نادرنامه، خراسان ١٣٣٩) وبالتركية وضع إبراهيم متفرقة كتاباً في سيرته عنوانه تاريخ نادرشاه (مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٥٠٣) وثمة دراسات حديثة عنه منها Lockhart في سيرته 1938 Nadir Shah London.

^(١) هذه الرواية وردت في دوحة الوزراء أيضاً. ولكن يستفاد من الأمر الموجه إلى أحمد باشا بتاريخ أوائل شوال ١١٤٢هـ (دفتر مهمة ١٣١ ص ٦١) أن الأمير-

ثم أن الوزير عرض بذلك إلى الدولة العثمانية، فأمدَّ بأسود إسلامية، وبأشأت خاقانية، لكنه لم يؤمر بقتاله، ولا بمقابلة رجاله برجاله^(١)، بل أمر بحفظ القلعة، وأن يبأشر كفه عنها ومنعه^(٢). <١١٦ب> فأرسلوا جنوداً لحفظ البلاد، لا للمكافحة والجلاد.

=طهماسب الذي استولى على أصفهان (وكان ذلك بسعي قائده نادر) يطالب الدولة العلية بالانسحاب من المدن والمواقع الإيرانية التي احتلتها منذ سنوات، وإن هي لم تنسحب منها فإن القوات الإيرانية مصممة على تحريرها واستردادها مهما كلف الثمن.

(١) قول المؤلف أن السلطان لم يأذن لأحمد باشا بمقابلة جيش نادر قلي (نادرشاه فيما بعد) تعوزه الدقة، فإن الأمر الصادر من الدولة إلى أحمد باشا بتاريخ أواخر جمادى الآخرة ١١٤٣هـ (دفتر مهمة ١٣٦ ص ٣١٣-٣١٤) يؤكد إقراره بمنصب (سرعسكر) الجيوش العثمانية، وتزويده بكل ما يحتاجه من قوات ومهمات وذخائر ليقود حملة كبيرة ضد الإيرانيين، ويسترد منهم كل المناطق التي استولوا عليها، وأن السلطان ينتظر النتائج التي ستمخض عن هذا الأمر. وأن أوامر مماثلة (دفتر ١٣٦ ص ٣١٦) قد صدرت لمتصرفي الألوية في كل من ديار بكر وشهرزور والموصل ومرعش والبصرة وغيرها. وكان ثمة اجتماع قد عقد في استانبول حضره كبار رجال الدولة تمت فيه دراسة التصريحات التي أدلى بها طهماسب قولي خان (نادرشاه) المعادية للدولة العثمانية بكل جدية، وفي ضوء نتائج الاجتماع جرى توجيه الولاة والأمراء، ومنهم أحمد باشا، بالعمل من أجل الدفاع عن البلاد بالتعاون والتعاقد.. وقتاله إذا اقتضى الأمر ذلك والوقوف بوجهه بكل شدة (دفتر مهمة ١٣٨ ص ٢٥٨ أوامط ذي الحجة ١١٤٤). ويظهر أن ما ذكره المؤلف هو إشاعة أريد بها تفسير الانهيار السريع للجبهة العثمانية فسي هي النواحي بما مكن نادر من الوصول بجيشه إلى بغداد.

(٢) في نسخة الأصل هنا عبارة ضرب عليها نصها (ومسبب ذلك برودة جرت)، فيظهر أن المؤلف أراد أن يوضح سبب عدم صدور الأمر بالحرب ثم عدل عن ذلك.

وكان إذ ذاك الصدر الأعظم، والوزير الأفخم، ذو الصدارة العظمى، والوزارة الكبرى، علي باشا المعروف بابن الحكيم^(١)، فأمده بالعسكر المذكور، ولم يأمره بالقتال لأمر ما من الأمور، وكان عِدَّتُهُ مائة ألف فارس^(٢)، وكان معه من الوزراء ثلاثة: قره مصطفى باشا^(٣)،

(١) هو علي باشا حكيم أوغلي، ولد سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م، وتدرج في المناصب الإدارية والعسكرية، فعين أولاً بوظيفة (سلحشور) ثم أنيطت به مهام عسكرية، وعهد إليه بولاية حلب سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، وكلف بفتح تبريز في أثناء الحرب العثمانية- الإيرانية التي نشبت في أعقاب انهيار الدولة الصفوية، ففتحها وسائر بلاد آذربيجان، ونال رتبة الوزارة في السنة التالية، وتولى ولاية أنطاولي، نقل بعدها إلى ولاية شهرزور، ثم تولى قيادة الجيش الزاحف على تبريز مرة أخرى سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م فاستردها، وتولى ولاية البوسنة سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م وأبلى البلاء الحسن في الحرب ضد البلغار، ثم نقل إلى ولاية مصر سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م فوطد السلطة فيها، وبرز دوره في العراق قائداً في أثناء حروب نادرشاه، وتقلد مناصب مهمة أخرى، ولكنه أعيد ليتولى قيادة الجيش العثماني الذي كلف بصد هجوم نادرشاه على قارص سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م، وتولى بعد ذلك ولايات عدة في الأناضول ومصر، وتوفي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م ينظر سامي: قاموس الأعلام ص ٣١٨٧-٣١٨٨.

(٢) هذا العدد تؤكد الوثيقة الرسمية المؤرخة في أوائل ربيع الأول ١١٤٦ (دفتر مهمة ١٣٩ ص ٢٩٠).

(٣) ترجم له المؤلف فيما سبق من هذا الكتاب.

وصاري مصطفى باشا^(١)، وحمّال أوغلي أحمد باشا^(٢).

فدخل الخارجي المذكور حمى دار السلام، وهرب أمامه أهل جميع القرى، واستأصل غالب ذراري الوري، وقابله بيك الدّرنة^(٣) بعساكر الأكراد، فقتل وسلب منه الفؤاد، وتفرقت ذراريه أيدي سبأ، وغدت شذر منر على الوهاد والرّبي.

(١) قائد، تولى منصب (قبودان) أي قائد الأسطول العثماني سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م، وأسندت إليه مناصب مهمة، ثم أعيد إلى قيادة الأسطول سنة ١١٥٧هـ، وتوفي سنة ١١٥٨هـ. قاموس الأعلام ص ٢٩١٧.

(٢) في دوحة الوزراء ص ٢٩: تحرف لقبه إلى جمال زاده، بالجيم، واسمه أحمد علي باشا.

(٣) أرض حدودية كانت تعد من أعمال بغداد، وكانت قديماً تعد جزءاً من كورة حلوان، وعدت في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) من أعمال درتلك، عند سربل زهاب، وعندما ضمت درتلك وأعمالها إلى الدولة العثمانية، ونظمت إدارة العراق، أصبحت درنة سنجقاً (لواء) من سناجق إيالة بغداد، وفي القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) أدمج هذا السنجق، بسنجق عراقي آخر، كان يتبع سابقاً إيالة الموصل، ويعرف بسنجق باجلان (باجوان)، وتولى حكم هذين السنجقين المدمجين (درنة وباجلان) متصرفون عراقيون من أسرة بابان الشهيرة، يعينهم في منصبهم والي بغداد، وفي سنة ١٨٢٠م ضمت إيران هذه المنطقة إلى أراضيها، وهي اليوم ضمن (شهرستان قصر شيرين). ينظر أوليا جليبي سياحتنامه سي، استانبول ١٣١٤، ج ٤ ص ٣٨٨ و الكركوكلي: دوحة الوزراء ص ١٥١ و ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٨٦. ورحلة المنشي البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، ص ٤٣.

ثم أن الظالم الغشوم، والفاجر الظلوم، نزل فحاصر بغداد في الخامس والعشرين من رجب هذه السنة^(١)، فعمِلَت الأَطواب من الجانبين، وحنَّت حنين التُّكلى ذات البين. وكان نزوله محاذياً لقَصْبَةِ الإمام الأعظم، بحيث تُرى خيامه من فوق السور، فضُرب بالأطواب الكبار، ورفِعَ عن تلك الدار، ونزل فوق منزله بنصف ساعة، خَشِيَّة رُماة الجماعة، لكنه بنى ليلاً في مواضع شتى قريباً من السور، بحيث تصله بنادق الزُنْبُورِ^(٢) شيئاً يقال له الكُونَكْرَه^(٣)، ووضع عليه بعض الأطواب، يروم بذلك أن يجعل له من السور بعض الأبواب. فرفع الإسلام^(٤) بعضها بالطُوب القالع، وبعضها بقي لبُعده عن السور فليس بقاؤه للعدو بنافع.



(١) ويوافق ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٢٣م.
(٢) للزنبورك، تصغير زنبور، الحشرة اللاسعة المعروفة، أريد به قديماً آلة حرب ترمي جملة من السهام دفعة واحدة، ثم أطلق في العصر العثماني على مدفع خفيف الوزن يحمل على دابة، وشاع استعماله في العراق في القرن الثامن عشر بوصفه واحداً من أهم الأسلحة النارية المستعملة في الجيوش المتحاربة، وهو يتألف من اسطوانة دقيقة نسبياً تنتهي بموضع انفجار البارود، وتستند الاسطوانة على حامل مثبت على ظهر الدابة التي تحملها، وشكل الزنبورك قريب من شكل مدفع السهاون، إلا أنه أصغر حجماً وأخف حملاً. وربما تحرف اسمه إلى الزنسبرك، والزنبلك. وسماه عبد الرحمن السويدي بالاسم الأخير في كتابه الآخر الذي عنوانه (تاريخ حوادث بغداد والبصرة).

(٣) لفظة عامية عراقية، لعل أصلها من الفصيح: كنور، وهي العمامة الجافية، ومنها العقال المكنكر، وهو المربع الذي تحليه. كرات، وقال الشيخ محمد بهجة الأثري: إن أهل بغداد كانوا يعنون بها ما يشبه النل.

(٤) يريد: أهل الإسلام، وقد تقدم هذا التعبير.

هذا، وأما بغداد <١١٦أ> فهي ذات سورٍ مَكِين، ذو بناءٍ مَتِين، راسخ في التُّخُوم، شامخ إلى النجوم، وخندق عميق جداً، وقد بنى سورها المهندسون، وفصلته منهم الممارسون، حتى غدا ذا خاصّة لا يقبلها العقل، ولا يُصحّحها النقل، حتى تُشاهد عن كَثَب، ويُنادى إذ ذاك بالغرابة والعَجَب، وهي أنه من مسير ساعة إذا نُظِر إليه لم يُر منه إلا رؤوس الشُرُفات، ولم يُبصر منه إلا بعضه من جميع الجّهات، وإذا تُقَرَّب إليه أبصر بناءً رفيعاً، وحصناً حصيناً مكيناً فاحتار العدو فيه، ولم يقدر على قلع حجر بطوبه من أعاليه، بل أن طأطأ رأس طوبه ووقع بُنْدَقه في التراب، وإن رفعه مقدار شَعيرة صار بُنْدَقه يخترق السُّحاب. ولم يزل في حيرة من ذلك، وعَجَب مما هنالك.

هذا، وأما الجانب الغربي فمعمور الجّهات، ومغمور بالخيرات، لحيلولة دجلة بينه وبين ذلك الباغي، ومنعها من الوصول لذلك الطاغى. وقد وضع هذا الوزير عساكر في الجانب الغربي تُجاه العدو، تمنعه من العبور، وتكفه وتردعه من نصب الجسور. والطوب أيضاً يتراسل بين الشاطئين، وتترامى بنادقه من الجانبين <١١٦ب>

ولم يزل الجانب الغربي سالماً عن الحصار، رخيص الأثمان والأسعار، منه يستمدُّون أهل الجانب الشرقي ما أرادوا، ويستزيدون منه كيّلهم وما استزادوا. وبسبب سلامته لم يتقطن للحصار، ولم يعرف كيف الانحصار.

ثم أن الوزير يوم نزول هذا الظالم، أرسل إلى الدولة بريداً من طريق الجانب الغربي، يُخبرهم بالحصار، ويحرّضهم على تخليص

الديار. فلما بلغ البريد إسلامبول، وسَلَّمَ العَرَض للصدر الأعظم، الوزير الكبير، المُشار إليه أولاً^(١)، فَشَرَعَ^(٢) إذ ذاك يجمع الجنود من الأطسراف والأكناف، لكن أين يلحق الذّرياق للملّسوع، ومن أين يَكْأْتِي للسليم^(٣) هُجوع؟.

فصل

[مقاومة أهل الجانب الغربي]

وفي غُرّة رمضان هذه السنة، عَبَرَت الأعاجم إلى الجانب الغربي، قريباً من تَكْرِيت، ولم يشعر بهم أحد غير الخريّت^(٤)، لكنهم رَفَعُوا أطوابهم وخيامهم اللّاتي كانت تجاه العسكر المتقدّم ذكره، فَظَنَّ العسكر أنهم ملّوا من المضاربة، وعجزوا عن هذه المُحاربة، وأخبر الوزير بما وَقَعَ من رفع قنابِره وأطوابِهم، وقلع خيامهم وقُشُوع سَحابِهم. فقال الوزير: إذا كان الأمر كذلك، فكل يوم يمضي نحو الألف فارس، يحرس الشُرائع^(٥) <١١٧> ويقطع على العدو للعبور الوسائل والذّرائع. فبَقِيَ الحال كذلك حتى عَبَرُوا من ناحية دُجَيْل في الليل الحالك.

(١) هو علي باشا حكيم أوغلي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب حذف اللّاء.

(٣) السليم: الملدوغ.

(٤) الخريّت: الدليل الحانق.

(٥) جمع شريعة، وهي عامية بغدادية، فصيحها: المشرعة، وهي الفرض التي يشرع فيها الواردة، يعنون بها الأزقة التي تنفذ إلى شاطئ نهر دجلة مباشرة، ومنها يستقي السقّامون عادة. وحراسة هذه المشارع، على ما وصفه المؤلف، الغرض =

وأما أهل الجانب الغربي، فهم أهل نجدة وشجاعة، وأصحاب همة وأحسن جماعة، قد بنوا سوراً من اللبن، عَرْضُهُ نحو الخمسة أذرع بذراع الكرناس^(١)، وطوله ضِعْفُ عَرْضِهِ. وحفروا خندقاً عميقاً، إلا أنه لم يتم بناء السور ولا حُفِرَ الخندق، لأن الوقت ضاق، والعدو قد ضَيَّقَ عليهم الخناق، فطَفِقُوا يحرسون في الليل على شرفاته، وَيَطُوفُونَ حَذَرَ هجُوم العدو على سائر جهاته، وأعدُّوا الخيل والسلاح، واستعدُّوا للقتال والكفاح، وقالوا: لا بد أن يَعْبُرَ علينا هذا الغادرِ دجلة، وَيَذْهَبَنَا على غَفْلَةٍ وَوَهْلَةٍ، فنَذَرُ الكُلَّ القتال، وعاهدوا الله على الحرب والنزال، وأصرُّوا على القتال دون عيالهم وأموالهم وأطفالهم.

قال الفقير:

كنتُ ذلك اليوم ابن اثنتي عشرة سنة، وكُنَّا من أهل الجانب الغربي، وكنتُ أنام مع والدتي في الدار، ولم أخرج مع أبي وأقاربي ليلاً إلى الأسوار. فلم نشعر في نصف^(٢) الليل الأخير من غُرَّةِ رمضان^(٣) إلا بأصوات جسيمة، وغَوْغَاء عظيمة، ينخلع لها قلب الجبان، وترعد لها

منه هو الحيلولة دون اتخاذ العدو لها (رأس جسر) له ليعبر منها إلى الجانب الغربي فيحكم من هناك تطويق محلات الكرخ.. وعبارة المؤلف هنا لا تخلو من غموض، فهو يذكر أن نادر عبر دجلة من ناحية تكريت، ثم عاد فذكر أنه عبره من ناحية دجيل، والصحيح الذي يتفق مع سياق الحركات العسكرية، إنه عبر من دجيل، وكانت الأخيرة معدودة في أعمال تكريت.

(١) تقدم شرحه.

(٢) في الأصل: النصف. وأضيفت كلمة (الليل) فوقها.

(٣) وتوافق ١٤ شباط ١٧٣٣م.

أكباد الشجعان. وسمعتُ أصوات تُفَاك متوالية، وأبصرتُ ازدحام أقدام في الطُرُقَات غادية عادية. فأيقظتُ <١٧ أب> والدتي حينئذٍ وعيوني تدمع، خوفاً مما قد أرى وسمع، فقلتُ: يا أمّاه! ما هذا الصخب الذي رَجَّ الآفاق، وما هذا التجادل والشقاق؟ فقالت: يا بُنَيَّ! الظاهر - والله أعلم - أن العَجَم قاربت الحصون، وعبروا على رجالنا من حيث لا يشعرون، فادع الله في هذا الوقت بتثبيت أقدام المسلمين، وسل الله أن يحفهم بالنصر المبين. فبعد هُنَيْئَةٍ^(١) طَرَق الباب زوج خالتي، وأسرج فرسه وودّعنا، وسار إلى الجهاد.

ثم إنا بقينا نسمع من فوق سطوح الدار، شعار المسلمين الله الله! ونسمع شعار العجم المنافقين هَيْهَوَار هَيْهَوَار!^(٢) فتارة نسمع شعار المسلمين بعيداً فنفرح، ونقول: حَصَلَت لَنَا الْغَلْبَةُ، وتارة نسمعه قريباً فنحزن ونقول: أَسِرْنَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، والله نَرَاهُمْ مِنْ رِجَالٍ، قَاتَلُوا مَعَ قَلْبِهِمْ، وكثرة عدد أعدائهم، من نصف الليل الأخير إلى قريب طلوع الفجر الثاني، وأَجَلُوا الأعداء عن مكانهم، وأبعدوهم عن أوطانهم، حتى أدركهم المَدَد من الجانب الغربي بالعساكر الكَواسِر، والليوث الجَواسِر. وبقي القتال إلى الظهر، وكان رئيس العسكر حينئذٍ، الليث الجسور، والشجاع الغيور، صاحب الصَوْلَة والحَمَلَة، والغَلْبَة في الجَوْلَة، قرأ مصطفى باشا. وأخذ أهل جانبنا ذات اليمين، وأخذ العسكر الأمام ذات الشمال.

(١) كذا في الأصل، والصواب: وقد تقدم صوابها.

(٢) كلمة فارسية - كردية، تعني الغوث الغوث.

قال الفقير:

كنتُ على عُلبة في دارنا مُشرفة على محل الوقعة، فانظرُ إلى
الخيَل تعثر في الرجال، وإلى السيوف <١١٨> تَحطِب رؤوس الأبطال،
حتى صار العدو أضعافهم، وكَثُر فناءهم، فأبصرت خيلَ عسكرنا^(١) ولَّت
على أدبارها، وجذَّت في جَرِيها لفرارها. وأبصرتُ رجالنا ثَبَتُوا ثَبَاتَ
الرجال، وقارعت الأبطال منهم الأبطال، وقاتلوا قتال من لا يريد الحياة.
وكثُر الرَّهَج من جميع الجِّهات، حتى أحاط العدو بهم إحاطة الأوعال
بالجبال، وعَلِمَ المسلمون أن لا فرار ولا مجال، فقاتلوا رغبة في الشهادة،
ورجاء لنيل الحسنَى وزيادة. فَقُتِلَ الرَّجَالُ منهم جميعاً إلا ما قَلَّ، وسَلِمَ
غالب الفرسان، وخرجوا من بين الصفوف بالسيوف واللدان.

وحدثني زوجُ خالتي أنه قال:

كنا قد أخذنا الميمنة من جهة العدو حتى أجلىناهم من أمامها،
وحكَّنا في مفاصلهم كل حُسام، فنظرنا ساعة إلى وراء، فرأينا العسكر قد
ملأ بفراره البيداء، وحال العدو بيننا وبينه، فقاتلنا قتال من يُحب الموت
وبيئته، فلما احترَّ فينا القتل، ودَمِينا^(٢) إذ رُمينا بالبندق والنبل، وأبصرنا
الرجالة هلك أكثرها، ورأينا الخيالة قد قُتل أصغرهما وأكبرها، ونحن
عائمون من الموت في بحر لا يدرك قَعْرُه، ولا ينال غوره، لم يكن لنا بُدٌّ

(١) في الأصل الروم، ثم شطب عليه وكتب في الهامش ما أثبتناه...

(٢) دمي وأدمي: ضُرب حتى خرج منه الدم.

من الفرار، وإن قيل: النار ولا العار! ولم يكن لنا طريق إلا البتداء،
فبالغنا بالهرب فوق كل نجيب عداء.

وحدثني أيضاً أنه رأى شباباً من أولاد الأكابر، كلٌ منهم عن مثنى
شجاعته حاسر، قد رجّلوا شعورهم، وترجّلوا وتركوا كورهم^(١).
<١٨ ب> قال: فقلت لهم: يا بني! أنتم من كرم الله ذو خيول سوابق،
ونجب لواحق، فلم تركتموها وسيرتم راجلين، وأمامكم حرب عوان،
وضرب يمان، ومقارعة فرسان، ونهب أرواح وأبدان؟ فإن كنتم خرجتم
للفرجة، فقفوا فوق السور كما وقف البنادقية^(٢)، وانظروا إلى هذه الداهية
الدهية^(٣). فقال أحدهم: يا عمّاه! إنما يفعل ما ذكرت من له في الحياة
طمع، ومن يتشّدق بالكذب إذا صار إلى بنات عمّه ورجع! والله إننا لقد
تركنا الدنيا خلفنا، وهذه الأخرى زخرت أمامنا، ورفضنا الوجل وراعنا،
وهذه الجنة زينت قدامنا، فوالله لنضربن بسيوفنا هذه حتى نقتل! وبلغ
أهلنا إذا رجعنا السلام. قال: فلم يرجع منهم أحد. وقد أبصرت هذا القاتل
قد فلق هامته، مُحْدِقَة به خمسة فوارس من العجم، ولسيفه رنة في
المفاصل، وحنة في الكواهل.

(١) جمع كورة: المدينة والصقع.

(٢) يريد حملة البنادق الرماة بها.

(٣) الدهية صوابها الدهي وهو الضخم.

ثم أن العدو طلب المسلمين حتى انتهى إلى مسجد بَرَاثَا^(١) المسمى
الْمَنْطَقَة، فرجع الْقَهْقَرَى، وولّى متأخراً، ولو بقي في طلبه ودخل البلد، لما
أبقى في الجانب الغربي من أحد، ولكن ألقى الله الخوف في روعهم،
وأمرهم برجوعهم، فبأى له من يوم عبوس، به أمسى الكمي بلون جاد^(٢)،
وبالها من حرب بسوس، دار قطبها على أطواد. وقد اشتهر هذا اليوم في
العراق والحيرة، ووسم بين القوم بيوم الكسيرة^(٣)، وفيه أقول من قصيدة
يأتي <١١٩> ذكرها^(٤) [من الوافر]:

(١) بَرَاثَا اسم آرامي النجار، عرفت به قرية قديمة ترقى إلى ما قبل الإسلام، كانت تقع
على نهر كرخايا الأخذ من نهر عيسى، قال ياقوت بَرَاثَا محلة كانت في طرف
بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول، وكان لها جامع مفرد يصلي فيه الشيعة،
وقد خرب عن آخره، وكذلك المحلة لم يبق لها أثر (معجم البلدان، مادة بَرَاثَا)
وحدد ابن عبد الحق استمرار إقامة الجمعة فيه إلى ما بعد سنة ٤٥٠ (مراسد
الاطلاع ص ١٧٤)، أما المنطقة فهي قرية قديمة سبق وجودها إنشاء المنصور
مدينته بمدة غير معلومة، اسمها (سونايا) وكانت تقع على مصب الصراة وتعد
مركزاً مسيحياً مهماً فقد أنشأ فيه بعض الأحبار ديراً سمي دير مارفتيون، ثم
عرف موضعه بالعتيقة، وأنشئ في هذا الموضع مسجد وردت أول إشارة إليه في
القرن الخامس للهجرة (الخطيب: تاريخ بغداد ج ١ ص ٨٨)، والمؤلف هو أول من
عد الموضعين موضعاً واحداً. ولما يزل جامع المنطقة عامراً بزواره ومصلّيه
حتى يومنا هذا، وبقربه مقبرة، وقد جدد وأقيمت له منذنتان.

(٢) الجاد والجادى اسمان للزعفران (يوسف بن عمر الغساني: المعتمد في الأدوية
المفردة ص ٢٠٢).

(٣) تصغير كسرة، وهي الهزيمة.

(٤) القصيدة في ديوانه ص ٥٦.

وفي^(١) يوم الكسيرة كم كَسَرْنَا لِحَبْرِ الدِّينِ شَوْكَةَ كُلِّ عَادِي
وفي أَحَدِ بِهِ كَانَ انْتِسَانَا فَيَا بُشْرَى لَنَا يَوْمَ الْمَعَادِ

ثم أن عياد الله تراجعت إلى الديار، وقد رَحِمَهُمُ الْوَزِيرُ الْمُسَدَّدُ،
والدستور المؤيَّد، بأن أرسل بنادقهم إلى العُور تحرسهم من هجوم
الأعداء، وأمرهم بالعبور إلى الجانب الشرقي، وأمرهم أن لا يَبْقُوا لَهُمْ
طَارِفاً وتليداً، ولا يتركوا خَلِفاً ولا جديداً.

ثم استشار الوزراء الثلاثة الذين كانوا معه يرسم المحافظة في أمر
الجانب الغربي، فقالوا له: أنت مأمورٌ بحِفْظِ القلعة، وما كان خارجاً عنها
لَسْتَ مأموراً بحِفْظِها، على أنه لا معنى لحِفْظِ الجدران، ولا حاجة داعية
إلى حماية البنيان. وأما أهلهم فهم للقلعة أجدر وأجدي نفعاً وأكثر، ففي
ظَرْفِ ثلاثة أيام عبّروا إلى القلعة العيال، وطَرَفاً من الذخيرة والمال.
(وصار ازدهامٌ عظيمٌ بحيث غرقت المخدّرات، وهَبَّكَ أَسْئَارُهُنَّ
حرصاً على العبور، وانكسر من الجسر بعض السقن لكثرة الازدهام،
وعَبَّرَ أَكْثَرُ النَّاسِ بِالسَّقْنِ، وبعضهم بالطُوفِ^(٢)، وبعضهم بالسباحة)^(٣).
وفي ظهر اليوم الثالث أخلّوا البلد، وهجم عليها العدو بكثرة العُدَّة

(١) في ديوانه: ففى.

(٢) تقدم شرحه.

(٣) هذه الفقرة لم ترد في متن الأصل، ووردت في هامشه.

والعدَد، فَقطِعَ الجسر وأغلقت بابه^(١)، ومن بقي لم يعبر فقد سلخ إهابه. ثم طفق العدو يضاربنا من جميع الجهات بالبنادق الحارقة، ونضاربه كلما ضارب، ونحاربه كما حارب.

ولم تزل جنود الوزير - رحمه الله - تخرج كل يوم خارج السور، أمثال الضراغم والنسور، فيحصل لهم مع الأعداء الاصطدام والإقتال العام، فتارة تحصل الغلبة لنا، وتارة لعدونا. ونحن، معاشر الرجال - من فوق شرفات الحصن^(٢) ننظر إلى المقاومة والمطاول - **<١١٩ب>** والمصادمة. هذا، (وقد استشهد في بعض تلك الوقائع أناس، منهم:



(١) هو الباب المسمى أيضاً بباب الشط، و (صوقابي) أي باب الماء، وسماه المؤلف في كتابه (تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص ٩٨) باسم (قره قابي) أي الباب الأسود، وهو غير الباب الشرقي المسمى بالاسم نفسه، وكانت عنده تابية (برج) راكبة على كرسيه، وفي صورة لطرز دجلة الشرقي، وردت في كتاب السائح Hubbard (القرن ١٣هـ / ١٩م) نشاهد برجاً ذا أضلاع عدة (لعله على هيئة سدس) تعلوه قبة مخروطية مستدقة، بين جامع الأصفية، والجسر، ومن المرجح أن يكون نفسه برج الماء المذكور (نشرت الصورة في كتاب بغداد، الذي أصدرته نقابة المهندسين العراقيين، بغداد ١٩٦٨، ص ٢٢٢). وهذا الباب هو الوحيد الذي ينفذ منه إلى النهر، حيث جسر بغداد الوحيد، أبان القرون المتأخرة، ذلك أن شاطئ دجلة الشرقي كان مسوراً بسور عال لحماية الجانب الشرقي من بغداد من أي هجوم يأتي عن طريق النهر.

(٢) الراجع أنه يقصد القلعة الداخلية، حيث تقوم مباني وزارة الدفاع اليوم.

خَزِينْدَار^(١) الوزير أحمد باشا، فأرسل إليه رجالاً، وحملوه من مَصْرَعِه،
ودُفِنَ عند باب بغداد المعروف بباب الإمام الأعظم^(٢).

وأما الخارجي الدُّجَال، والملعون المُحْتَال، فقد أَمَرَ بِهَدْمِ دور
الجانب الغربي ونَقَلَ أبوابه وأخشابه إلى معسكره، وبنى بها أماكن
لِعَسْكَرِه، من حوائِيت وبيوت وحمَّامات وغير ذلك من أصناف البناء،
حتى غدا معسكره كأحسن ما يكون من المُدُن، يَقُوقُ بِزَخَارِفِه وزينته
المدائن، تُجَبَّى إِلَيْهِ الميرة من جميع الجهات، وتَقْصِده الناس من الأقطار
الشامِعات. وقد أخذ مخاليف بغداد وقراها، ونَهَبَ بحزبة الفُساد من
والاها.

[مقاومة أهل الجانب الشرقي]

وأما أهل بغداد فيبدون الجَدَّ، وَيُخْفُونَ الكَمَدَ، ويخرجون إلى قِتَالِه
كل يوم مَعِيَّةَ العسكر بجأش رابط، وعقل ضابط^(٣)، والحرب ذات البَيْنِ
سِجَال، حيث كان ضيرام الوطيس من الجانبين الأبطال. هذا والطَّوْبُ من
البَيْنِ "أشغل من ذات النَحِيين"^(٤) رائح غادي، ونائح وشادي. والقَنْبَرُ بين

(١) الخزيندار، والخزنه دار: اسم وظيفة مركب من خزنه، خزينة، ودار الفارسية
وتعني: ناظر، محافظ، فيكون معناها ناظر خزينة الولاية.

(٢) هذه الفقرة وردت في هامش الأصل.

(٣) في الأصل: حنايط، وفي ب ما أثبتناه وهو الصحيح.

(٤) مثل قديم، يضرب للدلالة على شدة انشغال المرء، له قصة أوردها ابن منظور في
لسان العرب، مادة لحي، والنحي: زق السمن.

الفريقين طائر، والعثير بين الينين ثائر. ولم يزل الأمر كذلك، إلى أن نفد الزاد وقَّلت الميرة، وضالَّت العبياد ووقعت في حيرة، فأكلوا لحوم الخيل والبغال والحمير والكلاب والسنانير، وامْتَصُّوا الدم، ومَضَغُوا الإهاب، فحصل مَرَضٌ عظيم، وداءٌ عميم، ألا وهو الجُوع المَزْمِن، والوَحْم^(١) المَحْزَن، فهلك غالب أهل الزوراء لما نابهم من هذه اللأواء، وبيع الثمين بالثمن البَخْس، وقارَن أهلُ بغداد طالع النُّحس، وبيعت الأبكسار العَذارى بأَرْغِفَةِ الشعير. واستولى على الناس رديّ <١٢> الأفكار فهم حيارى بل سَكَارى لهذا الأمر الخطير.

قال الفقير:

صَلَّيْتُ الجمعة في جامع القُطُب الرباني، والهيكل الصمَداني، سيدي عبد القادر الكيلاني. فلما خرجنا من الصلاة، أشرفنا في طريقنا على خَرَبَةٍ فيها شِلُو^(٢) حمار مئتين، وحَوَّلَه امرأة بَلَغَتْ فِي الجمال الغاية، وَحَصَلَتْ من الحُسْن على النهاية، وفي يدها سِكِّين، وهي تَقْطَع من ذاك اللحم المُنْتِن، وتَضَعُه في عِلَاقَةٍ كانت حولها، فسُئِلت عن ذلك، فقالت: الجوع أداني إلى ما رأيتم، حيث صار لي خمسة أيام لم يدخل في جَوْقي غير الماء ويانع الخوص، فتركناها ومَضَيْنَا. وكانت الأكراد تصطاد الكلاب وتأكلها.

(١) وخم الطعام إذا ثقل فلم يستمرأ.

(٢) الشلو: العضو من اللحم.

ومن كَرَمَ الله إنا لم يَنْلنا في هذا الحصار سَغَبٌ ولا وَصَبٌ لا
نَصَبٌ، بل كَيْلنا وافي، واتَّكَلنا على الكافي.

حتى أن الوزير إذا جِئ بطعامه إلى مكانه في السور، تتهببه الناس
من شِدَّةِ السَّغَبِ، والوزير المذكور لم يغضب لذلك، وَيَصْبِر على الجوع.
بل أنه تَجَرَّى دموعه على خَدَّيْهِ رَحْمَةً على العباد، مما نالهم من المشاق
والأنكاد.

ومع هذا الجوع العظيم، والهلاك العميم، أهل بغداد لم يُطَاطنوا
للملعون رأساً، ولم يُظهروا له حُزناً وبأساً، بل يُظهرون الغِنَى، وَيَنْفُونَ
العنا، محافظون السور، مانعون العدو من الدخول والعبور.

هذا، وأما الوزير المظفر، والشجاع الغضنفر، فمَسَكَته شُرَفَات
السور، لم يَرِ عن المجاهدة والمحافظة بعض الفُتور، ولم يَعْرِف النُّوم ولا
السُّنة ولا الراحة في هذه السُّنة، بل يركب جَواده ويطوف على الخُماسة
والرُّماة، في جميع الأنحاء والجِّهات، ويَحْرُضهم على المقاومة، ويحثُّهم
على المجادلة والمخاصمة، (حتى إن الأعداء لما شَعَرُوا بمكانه، لم يرموا
أطوابهم ولا بنادقهم إلا على جِهَتِهِ. فكان يَمُرُّ عليه حَجَر الطُّوب الكبير
قريباً منه، فلا يتحرك ولا يتزلزل، حتى أن بعض جُلَّسائه طَاطأ رأسه عن
حجر الطوب فزجره وعَنَّفَه وأقامه من مكانه)^(١).

وكان يعلل الناس بأن يُخْرِج ليلاً خَفِيَةً رجلاً رذِيلاً، قَلَّ من يَعْرِفه
<١٢٠ب>، ويوصيه أن يَكْمُن في بعض الأماكن خارج البلد، ويعود إليها

(١) العبارة من هامش الأصل.

ضَحوةً على فرصة من الرصد، فيدخل ويُخبر بأنه قد قَدِمَ من المَدَدِ السلطاني، والجَحْقَلُ الخاقاني، وأنه صار اليوم في مكان كَذَا، فيحصل السرور للخاص والعام، وَيَسْتَرِوِحُونَ رائحةَ الخلاص من هذه الأقفاس. ثم تمضي على هذه مُدَّةٌ فيُرْسِلُ آخر، فيُخْبِرُ بخبر غير خبر الأول، أقرب مُدَّةً من الأول، فكَذَلِكَ يحصل السرور، وينتج الحبور.

ولم يَزَلِ الأمر كذلك إلى أن أَيْسَ أهل بغداد من مَدَدِ الإسلام، وأيقن بالهلاك الخاص والعام، وتأهَّبَ الرُّمَاءُ الحُمَاةَ الْيَنْكَجَرِيَّةَ^(١) وسائر أهل بغداد للخروج إلى القتال زَحَقاً، وأن موتهم تحت بوارق الضُّبَا، للعلَّةِ أَشْفَى وَأَنْفَى. فلم يَزَلِ الوزير ومن معه من الوزراء يُقْنَدُونَهُمْ، ويبدون لهم المضرة في ذلك وَيُقْتَرُونَهُمْ، حتى أن الوزير المذكور مع وفور هيئته، وعظيم أُبْهَتِهِ، يَلَيِّنُ لهم المقال عند الباب، راجلاً في ذلك الازدحام والاصطخاب، حتى رجعوا، ولقوله أطاعوا وسمعوا.

ثم أن الخارجي الخبيث أمر مُقْتِي معسكره أن يكتب لعلماء بغداد كتاباً بأن يقولوا لأحمد باشا يُسَلِّمُ البلد، لأن بغداد قُطِرَ كبير، ويحتاج إلى عسكر كثير، وقد هلك أكثر الناس من الجوع، وليس لهم حيلة سوى الإتيان بكلمتي الشهادة. فلما جاء كتاب المُقْتِي، قال الوزير: اكتبوا له إني لا أُسَلِّمُ له حجراً من أحجار بغداد حتى تتفرد سالفتي، وأُقْبِرَ في مكاني هذا وبَقَعَتِي. وأما موت الناس فلأن الوقت وقت غَيْبوبة الثُّرَيَّا، وقد جَرَت

(١) تقدم شرحها.

عادة الله في العراق أنه [في]^(١) ذلك الوقت تكثر الأمراض والأوجاع. هذا، وذخيرتنا وافية وميرتنا كافية، ومددنا كثيرة العدد، متواصلة المدد. هذا معنى ما أمر الوزير <١٢١> الموما إليه بكتابه، فصَبَّ والذي هذه المعاني، في قوالب الألفاظ والمباني.

[مفاوضات مبعوث نادرشاه]

ثم أن المحتال لما لم يَسْمَعْ كلامه في تسليم البلد، ولم يقبل مقالة كل أحد، أرسل يريد السلم والصلح ليختبر بمكره من أين تؤخذ البلد، وليعرف كيف يصنع^(٢) عليها الرصد. فأرسل بعض أكابره. فأمر الوزير المرحوم - لكثرة عقله وشدة دهائسه - أن يُباع^(٣) المأكولات بأرخص الأثمان، وهو يعطي أهلها أرش النقصان^(٤)، ليفهم العجم الذين أرسلوا إليه أن بغداد رخيصة، المأكول فيها كثير، فيبيع رغيف الخبز بأربعة أفلس، مع أن ثمنه ذلك الوقت كان في الغاية من الغلاء. وعمل الوزير لهذا الرسول ضيافة غريبة، جمع مؤونتها من جميع أهل بغداد، كل ذلك ليُعرفه أن بغداد فيها ميرة كثيرة. فأجابه الوزير إلى سؤاله، معتمداً ظاهر حاله في إرساله، فعقد من الجانبين الصلح، وظن أهل العراق نيل الربح. لكن الأبواب على حالها مغلقة، والرجال الرؤاة بشرفات السور معلقة.

(١) الزيادة من ب.

(٢) الصواب: يضع.

(٣) كذا في الأصل، وفي ب: تباع، وهو الصواب.

(٤) يريد: فرق النقصان.

ثم أنه طاف بالبلد من خارج السور، كل علق^(١) من الفرس جُـسور:
أظهروا الفرجة على المعاقِل، والتترزه على أولئك الجحافل. ويقال: إن
الخيي^(٢) كان معهم مُتدلساً^(٣)، وبلاُمتّه عن عيون الناس مُتترساً^(٤)،
والقصدُ كان اختبار السور، وأن هل يمكن منه الهجوم والعبور؟ فلما لم
يَرَوْا منه إلى العبور طريقاً، بل لما أبصروه عالي البناء من كُتب،
مُسامت الغبراء من بُعد، رأوا العجب، ورأوه مشحوناً بالأبطال الضراغم،
ملأناً بالبنادق والصوارم، وأن طوبه ترهب صورتها، فضلاً عن منالها
في مضيتها وقوتها، أيسوا من أخذ بغداد عنوة، وعلوموا أن قدومهم كان إذ
ذاك هفوة.

فلما رجعوا إلى المعسكر، أمر أن يأتي إليه من أعوان الوزير أنلس
يعقد معهم الصلح <١٢١ب> فأرسل الوزير لذلك محمد باشا، وراغب
أفندي دَفتر دار بغداد^(٥)، فحين وصلا إليه أكرمهما، وقال لهما: إن بغداد

(١) لعله يريد: علق.

(٢) يريد نادرشاه نفسه.

(٣) التدلس هنا التخفي. فكأنه أراد أنه جاء متكرراً.

(٤) التترس: التستر بالترس، وهو ما بقي به المحارب نفسه عند القتال.

(٥) الدفتردار، كلمة مركبة من (دفتر) بمعنى السجل، و (دار)، أي ناظر، مراقب،
محافظ، فيكون معناها الحرفي (محافظ السجل)، واصطلاحاً اسم موظف في بعض
الولايات الكبيرة رفيع المرتبة يكون مسؤولاً عن شؤون المال وتسلم الأموال
وصرفها، وتسمى دائرته بالدفترخانه، وهو يرتبط بالدفتردارخانه المركزية في
العاصمة العثمانية، والذي تعد المسؤولية عن مالية الدولة المركزية. ينظر جب
ويون: المجتمع الإسلامي والغرب ج ١ ص ٢١٢ وكانت بغداد مركزاً لدفتردار-

عذبة الهواء، وإني أتيت ببذر بطيخ من العجم، فزرعته، وقد أنتج، وأريد أن أرسل منه لأحمد خان، يعني بذلك الوزير.

ثم لما صار الليل بين العشائين أمر أن يأتوه براغب أفندي. قال الأمير محمد باشا حين رجع الراغب منه: أبصرته في غاية الوجل، فسألته عن ذلك، فقال: تغير الخبيث عن حاله الأول، وقال لم لا يسلم البلد أحمد خان؟ أنا أخذها عنوة، على أنها لم تكن مقصدي، بل أن قصدي قيصر الروم وديار إسلامبول. قال: فلما أصبحنا أرسل خلقنا جميعاً، فلما صيرنا بين يديه، اعتراه الغضب، وقال: قولا لأحمد خان يسلم البلد! فقلنا له خوفاً منه: يسلمها لك إذا رجعنا إليه. وتكلم معنا كثيراً بالعنف والتهديد، وأمرنا بالرجوع.

فلما رجعنا إلى بغداد، أخبرنا الوزير بذلك. فقال: لو قطعت إرباً إرباً، لم أسلمه حجراً من بغداد. ثم أمر بالأطواب فضربت، وعاد الحرب كما كان. ثم علم أن سبب نكوت صلح ذلك الغادر سماعه بقرب المذد، فضاربوه كما ضارب، وحاربوه كما حارب، ونكثوا صلحهم وفوضوا إلى الله أصلحهم. ولم يزل الأمر كذلك حتى ضاق الخناق، والتفت - للوصب والسغب - الساق بالساق، وظهرت المخثرات في الطرقات، وبدت المحصنات الغانيات، وذلك من حرارة السغب، وعدم الملجأ والهرب. وتصدق الوزير المذكور بجُلّ خيله، وتابعه على ذلك من هو كمثلته.

«خاص بها منذ أول عهد الدولة العثمانية في العراق، أما الدفترخانة فكانت تشغل الأرض الكائنة بين جامع الوزير ومباني القشلة، وهي التي شُغلتها فيما بعد المحاكم المدنية.

واقعات غالب أهل بغداد- بعد نفاذ الكلاب والمناير والبغال والحمير- بأقراص الشريس^(١) اللزيج، وحَب القطن الحليج. وكثر الموت إذ ذاك من الجوع، بحيث يوجد في الطريق الواحد اثنان أو ثلاثة رجال < ١٢ > ونساء مَوْتَى مُنْتَوْن، وكثر المرض حينئذ لكثرة الهم والحزن، والوخم والنتن، وسائر الكدورات على أجسامهم المرتاضة وأقننتهم الممرضة، فمات من الأغنياء- لا عن جوع- الجَمْع الكثير، والجم الغفير، فتمنّى الناس- لسوء هذا الحال- حلول الرّمس، ورضوا بالهلاك لقوة طالع هذا النّحس.

فبينما الناس في هذا الإحتيار، وعلى ردي الأفكار، وإذا بالمَدَد قد قرب، وقلب الخبيث لِقُرْبِهِ وَجَبَ^(٢)، ولم يكن لأهل بغداد بِقَهْرِهِ خبر، ولم يعلموا أن سيُدرِكهم ما يدفع عنهم هذا الضرر، بل أيسوا من العساكر الإسلامية، وأخلصوا في التوكل على الله النّية، وأصرّوا على أنهم إلى أن ينفذ جميع ما يمكن أن يفتات به يخرجون إلى القتال، ويقارعون أولئك الأبطال، ولا يُسلموا البلد عن إذلال، حتى ينقرض الجميع في القتال. هذا والوزير المذكور لم تزل عساكره تخرج إلى المصادمة والمقاتلة والمقاومة، والحرب ذات البين سجال، شعراً:

(١) الشريس لغة: نبت يشع الطعم، وقيل كل يشع الطعم شريس، وقوله أنه لزيج، يدل على أنه المادة اللاصقة التي تستخرج من بصل نبات يسمى عندنا بالكيلخ، أو من أصول النبات المعروف بالشريس، واسمه الحقيقي الخنثى، ويسمى البرواق أيضاً. ينظر داود الجلبى: كلمات فارسية في عامية الموصل ص ١٢١.

(٢) وجب: اضطرب.

فَيَوْمَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ لَنَا وَيَوْمَ نُسَاءُ وَيَوْمَ نُسَرُّ

ثم أنه - رحمه الله - احتال على عياله، وأظهر لهم أن يرسلهم إلى البصرة، وأوصى أن لا تأخذ كل منهن شيئاً سوى ما يسترها ويحجبها فيغمرها دوماً، وحرصاً على النفيس. وهُنَّ - لاحتجابهم بحجاب الخدور، واستتارهن في المعازل والقصور، لم يعرفن كيفية الحصار، ويزعمن أنه يمكن إلى البصرة الهرب والفرار. وكان قصد الوزير - رحمه الله - أنه أيسر من المدد، وخرج مع العسكر وأهل بغداد للخصام والدّد، فإذا حصل للعدو الاقتدار والغلبة على الإسلام والاستظهار، يأتي إلى دار الحكومة، ويضعون هؤلاء النساء في زوايق أرساها تحت الدار وخرقها، ووضع على الخرق شيئاً من القار، فيضع جميع عياله فيها، ويسيرها حتى تتوسط دجلة، فيرفع الملاح >٢٢٢< ب ذلك القار ويغرق الجميع في دجلة، ولا يبرّد بهن الخبيث غلة، ولا يقال أن حرم الوزير الأكبر، والدستور الأشهر، أسره كلب العجم حين أخذ بغداد وعليها هجم، وإنه - رحمه الله - يقاتل حتى يقتل. وله تزل هذه نيته ونية أهل بغداد، وقد أخذوا للخروج إلى القتال الأهبة والاستعداد.

ثم أن الخبيث الغادر، واللئيم الفاجر، حين سمع بقرب عساكر الإسلام وضع جملة من عسكره في المعسكر، وأمرهم أن يبقوا على

حالهم من ضرب الطَّوْب والقَنْبَر^(١)، كيلا يُنكر عليهم أهل بغداد، فيرسلوا من يجس خبرهم فيُخرجوا إليهم على استعداد، ويأخذوا العُدَد، ويقتلوا هذا العُدَد.

[حملة طوبال عثمان باشا]

ثم أنه سار بسائر عساكره، ووجوه كواسيره، وقصد ليوث الإسلام، وحُماة الإسلام، فلما وصل إلى العُظَيْم^(٢)، ختل لهم في أسرابه، واحتجب في دُخُوله^(٣) بأحزابه. ولما قدم عسكر الإسلام، وصار بين تلك الأجسام، ولم يكن إذ ذاك مُجْتَمِعاً، بل كان غير متواصل منقطعاً، إذ يعلمون أن العدو غير قريب، وأنه لم يخطر ببالهم هذا الأمر العجيب، فصاح العدو بهم على غفلة، وبغتهم من أول وهلة، فاختل لذلك النظام، ولم يمكن الائتلاف والانتظام، فمن كان متأخراً من الجنود هرب قافلاً، وصار إلى الموصل راجلاً، وأخبروا أهل الموصل بأننا قد هربنا من الأعداء، وأن

(١) القنبر جمع قنبرة، من الفارسية خمبارة، وهو مرمى كرى من حجر، ثم من حديد، كان يرمى بالمدفع القديم لذلك الحصون.

(٢) هو النهر الذي يستمد مياهه من نهر خاصة، حيث تقع مدينة كركوك، ونهر داقوق ونهر آق صو ويصب في دجلة عند سامراء.

(٣) جمع دحلة، وهو ثقب ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشي فيه، وقيل: هو مدخل تحت الجرف.

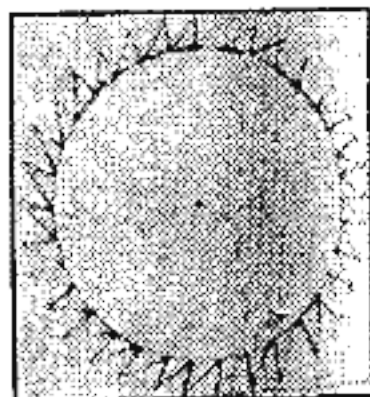
الوزير^(١) وبقية إخواننا سَفَكَتْ منهم الدماء. ولا ريب أنهم أخبروا
<١٢٦> بما أبصروا، وحَقَّقُوا ما شعروا.

وأما المَقْدَمَةُ فقد هربت غير بعيد، تنتظر فرصة الائتلاف مع
حزبها الشَّريد، حتى تقاتل لا عن قِلَّة وتَحَارِب ليس عن ذُلَّة. وأما القلب
فقد كان فيه الليث الجسور، والشجاع الغيور، والمجاهد الصالح، والشهيد
الفالح، ألا وهو طُوبال عَصمان باشا^(٢) حين أبصر ما حل بأعوانه،
وشاهد مَصَارِع إخوانه، أمر من معه من الينكجارية، وسائر أهل الحامية،
أن يأخذوا واجهة الماء، فأخذوها، ووضعوا على عجلة منهم الجَرِخ فَلَكَ^(٣)

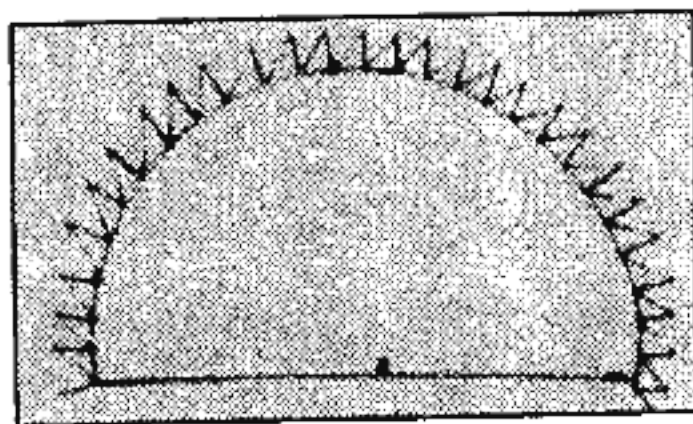
(١) يريد والي الموصل آنذاك ممش باشا، وكان قد تولاهَا أول مرة سنة ١١٤٦هـ،
ويجب أن لا تفهم عبارة (سفكت منهم الدماء) على أنه قتل، لأنه أعيد إلى ولاية
الموصل من سنة ١١٤٨ إلى ١١٤٩هـ. وكان ممش باشا قد اشتبك في ١٥
جمادى الأولى من سنة ١١٤٦هـ/ ٤٢ تشرين الأول ١٧٣٣م في معركة ضد
جيش نادرشاه عند مضيق آق درينده، قبل أن يلتحق به طوبال عثمان باشا بقواته.

(٢) كذا يكتبه المؤلف، بحسب اللفظ التركي، وهو عثمان باشا الملقب بطوبال، أي
الأعرج، من كبار القادة العثمانيين، ولد في المورة سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م وتقلب
في المناصب الإدارية، فتولى عدداً من الألوية (المناجق) في الروم إيلي (الولايات
العثمانية في أوروبا) ثم نال رتبة الوزارة، وعرف بقمعه أعمال الثورة هناك، وقد
منصب الصدارة العظمى، لكنه عزل عنها وولي تبريز، في مدة سيطرة العثمانيين
عليها، ثم لرضروم وتغليس، وولي بعد ذلك قيادة الجيش الذي أرسل لتخليص بغداد
من حصار نادرشاه، لكنه قتل في المعركة التي دارت في سهل العظيم على ما نوه
المؤلف. ويذكر لونكريك أن نادرشاه أمر بإرسال جثته إلى بغداد برفقة أحد
الأمري العثمانيين (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٧٩) بينما يذكر
شمس الدين سامي أنه دفن في شهرزور نفسها، حيث لقي مصرعه. ينظر قلموس
الأعلام ص ٣١٢٧، ومحمد ثريا: سجل عثماني، استانبول ١٣٠٨، ص ٤٢٨.

يأخذوا واجهة الماء، فأخذوها، ووضعوا على عجلة منهم الجرّخ فلّك^(١)
وهو هيئة السور من الخشب، صورة قطعة هكذا: + + + فتوضع قطعة
عند قطعة، وتغرّز طرفاها في الأرض، ويُهال التُّراب إلى نصفها،
وطرفاها الآخران برأسهما يصال جريّة^(٢)، وأسيّة مَحْمِيّة، فيكون كالدائرة
هكذا:



ويوضع خلفه الطُّوب والتُّفّك، وتحقّق به من داخل البنادقية
<٢٣ب>، وسائر أهل الحميّة الإسلامية، لكن وضع هذا الجرّخ فلّك كان
على هيئة نصف دائرة قطرهما ماء بجلة هكذا:



(١) مصطلح مركب من (جرخ) ويعني: دائري، وفلك العربية، فيكون معناه الفلك
الدائري، ويراد به ضرب من الاستمكان في أثناء الحروب على ما سيذكر
المؤلف.
(٢) تقدم شرحه.

وإنما يفعل ذلك ويتترس به عند غلبة العدو واقتداره، واستنصاه واستظهاره.

ولا شك أن عَدَدَ الإسلام وعسكره في الغاية من القلّة، إذ جناحاه ومقدّمته وساقته ذهبت شذَر مَذَر، وتفرقت بين الوهاد والحفر، ولم يبق غير القلب، ولم يكن فيه إلا حامية الرئيس، والينكجريّة ليوث العريس. وأما العدو فهو يزيدهم بأضعاف، وينوفهم في آلاف. وقد أخذ العدو جهة الهواء، وأخذت المسلمون جهة الماء.

ثم أن الإسلام^(١) لما أخذت جهة الماء، وتترسوا بالجرح فلّك، ألقى الله عليهم السكينة، وصاروا آمن ميمّن في مدينة، وشربوا الماء البارد النّمبر، والأعداء تصطلي حرّ الهجير. وكان الوقت وقت القائلة في يوم سامت فيه الشمس القدم، وقُضي على حباريه بالهلاك <١٢٤> والعدم. ثم أن عباد الله طَفَقَتْ تضارب الأعداء بالطُوب والبنادق، والخيالة تقاتلهم باللُّتوت السواحق، وقد تراجعت من المسلمين غالب من هرب من العسكر، واهتدت عباد الله الهاربون بصوت الطُوب إلى المعسكر. وقامت الحرب من الجانبين على ساق، ونَعَب على الأعداء غراب البيّن بالهلاك والانسحاق، إذ قد أوهنهم الظما وصيّرهم في عناء وعمى، بحيث مات أكثرهم من غير قاتل، وهلك الباقيون بشيفار المناصيل.

وحَفَّ الله الإسلام بنصره، وأظهر بين أعدائه الطغام غائلة قهره، وهرب الخبيث بالشرذمة القليلة، نادماً على عدم نتاج هذه الحيلة. وطلّبه

(١) يريد أهل الإسلام، وقد تكرر منه ذلك مراراً.

من الإسلام الضراغيم، ولحقه منهم كل مبارز ومقاوم، فلم يدركوه مغاره، ولم يقطعوا فراره. (ويقال أن الذي أوفنته هو سماعه بأن الوزير الغضنفر، سمع بهذا الخبر، وخرج إلى قتاله من وراء، بعساكر ملأ بها البيداء، وأنه نهب معسكره، وقتل هناك عسكره.

هذا، وقد بلغ خبر كسيرته معسكره، فهرب وجوه أعوانه، وتبعه من كان هناك من أخصائه، ففر ليلاً بعض الأسارى إلى بغداد، وأخبر الوزير بهذه الخبر المفاد، وذلك في يوم الأحد السابع من شهر صفر^(١). فما أصبح الصباح إلا وليوث العريس من غاباتها خرجت، وفوارس الخميس على وجه الغبراء درجت، وقصدوا المعسكر، فذبحوا بقية العسكر، ونهبوا المتاع والسلاح، وخلصوا من الأسرى المخدرات الملاح، وتركوا مكانه خالياً، ورفضوا^(٢) عمرانهم ظلولا بواليا.

ثم بعد ثلاثة أيام قدم عسكر المدد، ودخل< ٢٤ اب> بأجمعه البلد، ولكثرة القحط والجذب، رحل العسكر من بغداد، وقفل راجعاً بعد رفع الضرر والأنكاد، وزال عن أهل بغداد السغب، وارتفع عنهم الوصب والنصب. وكانت مدة الحصار سبعة أشهر.

ورجع أكثر أهل الجانب الغربي إلى الأوطان، وسكنوا تحت ظلال الجدران، إذ ديارهم تركها الخبيث بلاقع، ورسوماً بوالي رواقيع، لكن لحبهم الوطن، واشتياقهم إلى العطن^(٣)، سكنوا في ذلك الخراب،

(١) من سنة ١١٤٦هـ وتقابل ٢٩ تموز ١٧٢٣م.

(٢) كذا في الأصل، وفي ب: دفضوا، ورأى الشيخ الأثري أنها: وقوضوا.

(٣) العطن للأبل: كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض.

واستشفوا بذلك التراب، ولا سيما الفقير فإني كنت مريضاً نحيف الجسم من شدة المرض وليس ذلك - والحمد لله - من جوع، بل لما تقدّم كغيري من الهم والحزن والانهيار، وكثرة الشوق إلى الديار. فمذ أشرفت على رأس الجسر دبّت العافية في جسمي دبّيب الحميا في الرأس، ولما بلغت دارنا احتسّوت الشفاء احتساء السلاف من كأس. لكن لشدة الفرح غلبني دمع العين، وطفق يجري جري الجريال من عين.

وقد فضل عندنا، بعد الفتح، من كيلنا ثلاث وزنات من الحنطة، ولم يكن عندنا إذ ذاك دراهم نشترى كيلاً لو نفدت، فاحتار والدي لذلك. ثم أنه فوّض أمره إلى باري النسم^(١)، فوفق الله الوزير المذكور بأن جعله مفتياً في قضيتي المشهدين الشريفين: مشهد الإمام علي بن أبي طالب، ومشهد ولده الحسين رضي الله عنهما، فعملنا من تلك <١٢٥> الحنطة متاعاً، وأعطينا الباقي لبعض أقاربنا، وخرجنا إلى المرقدين المذكورين.

ثم إننا لم نزل هناك مسرورين بقرب أولئك الأكابر، مغبوطين بأولى الشرف الظاهر، فبينما نحن في السرور والفرح، وزوال الشرور والترح، وإذا بالخبر قد جاءنا من بغداد، بأن الخارجي الخبيث قد عاد، (وكان الوزير عصمان باشا حينئذ في كركوك، فقابلته واستشهد هناك وتفرق عسكره)^(٢) فهرب والدي مع عسكر حلة ابن ديبس، ومع متوّلّي قصبّة

(١) في الأصل عبارة هنا ضرب عليها، ونصها (وخالق العالم من الوجود إلى القدم).

(٢) ما بين قوسين من الهامش.

الحسين إلى الموصل على طريق شِفَاة^(١)، وأودعني، وأودع سائر أهلي وأقاربي عند بعض السادة، ولساداتهم شِمة حسنة، وأخلاق مُستَحسنة.. فقال له والدي: إني قد وَضَعْتُهم عِنْدَكَ سُنَّةً وأريدُهم مِنْكَ سُنَّةً، فَتَعَهَّدْ لَهُ بذلك. وَوَضَعْنَا جميعنا فِي بَيْتٍ، وَاخْتَفَيْنَا اخْتِفَاءَ الْمَيِّتِ، لَكِنِّي كُنْتُ أَخْرَجُ بعض الأحيان مُتَدَلِّسًا بِزِيِّ الْعُرْبَانِ.

وكان من خَبَرِ هذا الماكِرِ، واللَّيْمِ الفاجِرِ الغادرِ، أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ هَارِباً إِلَى هَمْدَانَ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وجوه عساكره وجنوده، وَخَفَّقَتْ عَلَى رَأْسِهِ خَوَافِقُ رَايَاتِهِ وَبُنُودِهِ، نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَمَالَ إِلَى الْغَدْرِ وَعَدَلِ، وَأَرْسَلَ مِنْ جَسٍّ أَخْبَارَ بَغْدَادَ، فَأَخْبَرَ بِأَنَّ الْعَسَاكِرَ تَفَرَّقَتْ، وَرَايَاتُ الْاجْتِمَاعِ تَمَزَّقَتْ، وَهِيَ فِي قَحْطٍ عَظِيمٍ، وَجَذْبٍ عَمِيمٍ، فَفَرَحَ لَذَلِكَ، وَسَارَ مِنْ سَاعَتِهِ^(٢).

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

(١) بلدة قديمة، نشأت في واحة نخيل، عند نقطة التقاء الطرق التجارية في البادية الجنوبية الغربية، ترددت الإشارة إليها منذ القرن السادس قبل الميلاد، وأوردت ذكرها كتب البلدان العربية برسم (شفاة). قال ياقوت: منها يجلب القصب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً. وهي اليوم بلدة عامرة، وتعد مركز ناحية تابعة لمحافظة كربلاء.

(٢) في دوحة الوزراء ص ٣٤ أن الجيوش العثمانية تفرقت وعادت إلى مقراتها المتباعدة اعتقاداً من أمرائها وقوادها بأن الجيوش الإيرانية لا يمكن أن تقوم لها قائمة بعد تلك الهزيمة النكراء لمدة طويلة، فلم يتركوا في بغداد إلا قوة قليلة تمكن العدو من معرفة مقدارها بواسطة جواسيسه، وعرف أيضاً الغلاء الفاحش الذي ساد أسواق بغداد، وسار إلى العراق مستولياً على كل ما يمر به من قرى ومدن.

ولما قاربَ حمى <٢٥٥١ب> بغداد، وسمِعَ بقُدومه الوزير المرحوم،
وَقَعَ فِي تَنَبُّهِ وَحَيْرَةٍ، لِقَلَّةِ الْجُنُودِ وَالْمِيرَةِ. فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَنْتِجُ الْأَفْكَارَ وَهِيَ
عَقِيمَةٌ، وَيَسْتَوَلِدُ طَيْبُ الْأَقْدَارِ وَهِيَ مَنْوُطَةٌ عَنِ الظُّهُورِ فِي مَشِيمَةٍ، فَأَدَّاهُ
فِكْرُهُ، وَأَلْجَأَهُ حَصْرُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقَهْرُهُ، إِلَى قِتَالِهِ، وَلَوْ كَانَ عَسْكَرُهُ
قَلِيلًا، وَلَا يَسْلُمُ الْبِلَادُ لِمَنْ طَلَّبَ، فَأَرْسَلَ عِيَالَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَبَقِيَ مُنْفَرِدًا،
وَخَرَجَ إِلَى بُسْتَانِهِ الْمَشْهُورَةِ بِبُسْتَانِ الْبَاشَا^(١)، يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ سَرِيَّةً قَدِمَتْ
مِنَ الْخَبِيثِ، فِيهَا خَانَةُ الْمَشْهُورِ بِالطُّغْيَانِ، الْمَعْرُوفُ بِبَابَا خَانَ^(٢).

ثُمَّ لَبِثَ هُنَاكَ^(٣) وَنَدِمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِمُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ كَمِثْلِهِ، إِذْ
بِالْجُنْدِ الْقَلِيلِ، لَا يُمْكِنُ مَقَابَلَةُ ذَلِكَ الْمَحِيلِ^(٤)، فَعَوَّلَ عَلَى الرَّجُوعِ، لَكِنْ قَدْ
عَصَاهُ جُلُّ حَسَدِهِ، وَأَكْثَرَ خَدَائِمَهُ وَأَرْبَابَ مَدَدِهِ، وَهَرَبُوا مِنْ يَوْمِهِمْ، وَرَجَعَ
مَعَ مَنْ رَجَعَ وَسَحَابُ الْوَهْمِ عَنِ ذِهْنِهِ وَفِكْرِهِ انْتَشَعَ. وَنَادَى فِي الْبِلَادِ مَنْ
قَدَرَ عَلَى الْحِصَارِ فَلْيَبْقَ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَخْرُجْ إِلَى الْقُرَى، فَخَرَجَ مِنْ
بَغْدَادِ جَمْعٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، لَكِنْ أَكْثَرُهُمْ ظَفَرَ بِهِ الْأَعَاجِمُ، فَقُتِلَ وَسُبِّتَ
نِسَاؤُهُ، وَاسْتَوْصِلَتْ عَبِيدُهُ وَإِمَاؤُهُ. وَغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ، وَعَادَ الْحِصَارُ بِلا
ارْتِيَابٍ، لَكِنْ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِيَادِهِ أَنَّهُ بَقِيَ أَيَّامًا قَلِيلَةً، وَأَرْسَلَ
يُرِيدُ الصَّلَاحَ مِنْ غَيْرِ حِيلَةٍ.

(١) سَمِيَمِيَّةٌ فِي كَلَامِهِ عَلَى حَوَادِثِ سَنَةِ ١١٥٣ هـ - بِبُسْتَانِ الْوَزِيرِ، وَسَيَصِفُهُ بِتَفْصِيلٍ
هُنَاكَ.

(٢) هُوَ بَابَا خَانَ جَابَشْلُو، وَكَانَ أَمِيرَ لُورِسْتَانِ. يَنْظُرُ مُحَمَّدٌ حَسِينٌ قُدُوسِي: نَادِرُ نَامَةِ
ص ٢٤٠. خَرَّاسَان ١٢٣٩ هـ.

(٣) يُرِيدُ: هُنَاكَ.

(٤) الْمَحِيلُ: الرَّجُلُ الَّذِي يَأْتِي بِالْمَحَالِّ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ.

وسبب ذلك أنه أخبر بأن البلوج خان^(١) استولى على غالب البلدان، وأنه خرج عن طاعته، وعصى مع جماعته، وأنه قد جمّع عنده من الجنود ما يعجز عن عدّها الحساب، ولا يطيق ضبطها قلم وكتاب، فأسرع على الرجوع، لتخليص بلدانه من تلك الجموع، وطلب من الوزير الصلح فأجابته سؤاله، وعقد معه الصلح على أن يرجع إليه الأطواب التي أخذت يوم فتح همدان، وصار على ذلك عقد الأيمان. <١٢٦>

ثم أنه نزل معسكره، وذهب إلى زيارة الأعتاب، ورجع على فوره بلا ارتياب، فظعن بجحافلّه، وسار بعساكره ومحامله، وقصد إيران، وخلّص الله من يده بغداد.

وأما أهل بغداد، فقد لقوا ضرراً في هذا الحصار ما لم يلقوه في الحصار الأكبر، مع أن حصارهم كان عشرين يوماً أو أقل، وذلك لقلّة الكيل إذ كان كيلهم الزبيب والتين اليابس وأمثالها ما لا يسدّ الرمق، ولا يدفع من الجوع القلق.

ثم أنه رجع والذي إلينا، فقيمت معه دار السلام، فامتدح الوزير الشهير، والأمير الكبير^(٢) [من الطويل]:

دهنتي خطوب والزمان معاندي ودهر طوى كشحاً بغذري والبع
ترامت بي الأقطار من كل جانب فيها أنا عن مغنى الأماجد شاسع

(١) هو محمد خان بلوج، وكان حاكماً لاقليم فارس. وقد قاد الثورة باسم الشاه طهماسب الصفوي، ساعياً لاعادة الحكم إلى الأسرة الصفوية. ينظر درة نادرة ص ٧٣٨.

(٢) ديوانه، الورقة ٩-١٠.

وكم أزمّة مرّت عليّ ولم يكن
ولمّا رأت أم البنين تَضَجُّري
فقلت: لعلّ القصد نحو أبي النّدى
يأثونه العافون والدّهْرُ كالع
فيلقون بحسراً بالمكارم طافحاً
هو الغوث إن عزّت إغاثة صارخ
لها كاشف بين البريّة رافع
وإني إلى تلك المعاهد نازع
مبيد العدى حيث السلامة ضارع
يحدون سنيراً والديار شواسع
بلى فافت الأبحار منه الأصابع
هو الغيث لكن بالذنانير هامع
<٢٦٦ اب>

سلّ الحرب عنه يوم ملحمة الوغى
وسلّ فتحه إيران بالسيف عنوة
وسلّ عنه لورستان ماذا تجرّعت
وسلّ فتحه الأهواز إذ قاد جحلاً
وسلّ وقعة الأحزاب عنه ونفراً
وكم غزوة يغزو العدى وسرية
هو الفاتح الصنديد ذو البأس سطورة
فمن يبلغ الخنكار عني بآنتي
بأن الوزير بن الوزير أبا العلى
فلولاه ما كانت حصون تشيكت
ولا كان في أرض العراق قرية
فجرب محصوراً وجرب حاصيراً
وحافظ بغداداً وجاد بنفسه
ولا حاد عن طرق السداد محافظاً
فهل صادفت مثل الوزير معامع
فكم ضرمت منه عليها وقائع
من الحرب هوناً والديار بلاع
من الشوس أبطال كماء زعازع
إذا البطل المغوار بالذعر ساكع
بها الموت يقضى والدماء نجائع
هو الفارس المقدام مذ هو يافع
أقول له حقاً وما هو واقع
له خدمة فيها عليك صنائع
ولولاه ما كان القلاع تمناع
بها قمر الأحكام والدين ساطع
فكان سديد الرأي ما هو هالع
فلا يخش ريباً لا ولا هو جازع
لكن لا يكيد الدين من هو خانع

ولا اكتحلت عيناه بالغَمَضِ ساعةً
وجاهدَهم في الله حَقَّ جِهَادِهِ
وعَمَّرَ نَوَاحِي السُّورِ وَاللَّيْلُ الْيَلَّ
وَحَصَّنَ حِصْنِ الْمُحَصَّنَاتِ وَطَالَمَا
وَلَوْلَاهُ كَانَتْ فِي يَدِ الْفَرَسِ أَرْمَنًا
وَلَوْلَاهُ كَانَتْ فِي الْوَحُوشِ قُبُورُنَا
وَلَوْلَاهُ كَادَ الدِّينُ تُمَحَّى رُبُوعُهُ
ولا قَامَ إِلَّا وَهُوَ فِي الْحَالِ دَارِعُ
وَحَامِي حِمَى الْإِسْلَامِ وَالْغَيْرِ هَلْجِعُ
وَهَذَا جِهَادٌ فِي الْحَقِيقَةِ رَادِعُ
يُكَافِحُ عَنْ أَعْرَاضِنَا وَيُدَافِعُ
حَلَالُنَا تَقْتَادُهُنَّ فَظَائِعُ
وَأَطْفَالُنَا عِنْدَ اللَّثَامِ بَضَائِعُ
وَتُدْرَسُ لِلْإِسْلَامِ صَاحِ شَرَائِعُ

<١٢٧>

وَلَوْلَاهُ مَا سُرَ الزُّوَيْرَاءُ مَانِعًا^(١)
وَلَوْلَاهُ مَا دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ مَسْنَةً
وَلَا كَانَ لِلصَّدِيقَةِ الْيَوْمَ ذَاكِرًا
وَلَا كَانَ لِلنُّعْمَانِ حَيٌّ نِزْوَرًا
وَلَا كَانَ لِلخُنْكَارِ دَامَ غُلُوبُهُ
لَهُ مِنَّةٌ عَظُمَى عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
أَبَا عَادِلٍ إِنِّي حَقَّقْتُ مَطِيئَتِي^(٢)
فَقُلْ لِي فَمَاذَا أَنْ أَقُولَ لَصِيْبَتِي
فَلَا زِلْتَ مَنْصُورًا وَأَمْرَكَ نَافِذًا
ولا الطُّوبَى عَنَّا لِلطَّوَائِحِ دَافِعُ
ولا ذَكَرَ الشُّيُخَيْنِ بِالْخَيْرِ خَاشِعُ
بَخِيرٍ وَلَا ذَكَرَ الصُّحَابَةَ ذَائِعُ
ولا كَانَ فِي هَذِي الْأَقَالِيمِ جَامِعُ
مِنَ النَّاسِ فِي هَذِي الدِّيَارِ مُبَايِعُ
وَذَلِكَ مَشْهُورُ الرِّوَايَةِ شَائِعُ
إِلَى رَبِّكَ السَّامِي فَمَا أَنَا صَائِعُ
إِذَا جِئْتَهُمْ وَالْكُلُّ مِنْهُمْ جَائِعُ
وَحَصْنُكَ مَخْذُولٌ وَحُكْمُكَ قَاطِعُ

(١) صيغة تصغير للزوراء.

(٢) يكنيه بأبي عادل، وعادلة خاتون ابنته الكبرى.

فصل

[تحالف عرب الجزيرة]

ولما مُهِّدَتْ أراجي بغداد، وَخُصِدَتْ شَوْكَةُ الْفَسَادِ وَالْعِنَادِ، وَكَانَ أَكْثَرُ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ حَالَفَ الْأَعَادِي، وَطَفِقَتْ تَمَرُّحُ فِي حُلَّةِ الْعِصْيَانِ فِي الْبَوَادِي، وَكَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَسَاداً، وَأَكْثَرُهُمْ ضَرَرًا وَعِنَادًا، وَقَدْ دَلَّتِ الْعُدُوُّ الْغَشُومُ، وَاطْلَعَتْ الْغَادِرُ الظُّلُومُ عَلَى أُمُورٍ لَمْ يَعْرِفْهَا غَيْرُ الْجَانِ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا إِنْسَانٌ. فَأَرَادَ الْوَزِيرُ الْقُمُقَامُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ الْإِنْتِقَامَ، فَعَقَّدَ الرَّايَاتِ وَظَهَرَتْ لِلْغَزْوِ آيَاتُ، وَوَجَّهَ نَحْوَهُمْ سَرِيَّةً وَشُحَّتْ بِالْأَسُودِ، وَكَتَبَتْ رُشْحَتَ الْبَنُودِ. وَأَمَرَ عَلَيْهَا كَتَّخْدَاهُ الْأَقْحَمَ، وَنَائِبَهُ الْأَعْظَمَ، الشُّجَاعَ الْقَسُورَ، وَالْبَطْلَ الْمُظْفَرَ، ذَا الْهَيْبَةِ الَّتِي تَقُلُّ لَهَا الْكَتَائِبُ، وَالْأَبْهَةَ الَّتِي تُرْهِبُ الْمُسَالِمَ وَالْمُحَارِبَ، جَرِيءَ الْجِنَانِ ثَابِتَ الْجَاشِ، مُجَنَّدِلَ الْفَرَسَانِ يَوْمَ النِّزَالِ وَالطَّعَانِ كَالْفَرَّاشِ <٢٧٧ب> سَاعِدَ الدُّوَلَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ، وَعَضُدَ الشُّوْكَةِ وَالصُّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ، مَقَرَّقَ شَمْلِ الْأَعَادِي، وَمُمَزَّقَ كُمَاتِهَا فِي الصَّحَاوِيحِ وَالْبَوَادِي، أَلَا وَهُوَ الْأَمِيرُ الْمُظْفَرُ مُحَمَّدُ بَاشَا^(١).

فسار بذلك الخميس، وأمَّ حِلَّةً ابْنُ دُبَيْسٍ، بَلِيْثُوثُ الْعَرِيْسِ. وَلَمَّا دَخَلَهَا بِأَوْلَئِكَ الْفَرَسَانِ، وَمَكَثَ يَوْمًا لَاسْتِرَاحَةَ الْأَبْدَانِ، وَخَرَجَ مِنْهَا وَقَدْ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْاجْتِهَادِ، وَقَصَدَ شَمْرَ بَكلِ بَطْلٍ ثَابِتِ الْفَوَادِ. وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى أَخْبِيَّتِهِمْ، وَصَارَ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّتِهِمْ فِي أَيْدِيهِمْ، أَضْرَمُوا نَارَ الْحَرْبِ

(١) تقدم التعريف به.

والأبطال ضيرامها، وتأهبوا للطعن والضرب، وعلا من السهيجاء قتامها
حتى غشيت الفريقين من الجانبين سحابة عجاج فهو يوم الغاشية.

وكثر الحين من الطائفتين، وقطعت أباهر وأوداج من الفئة الباغية،
ونازلت الأبطال الأبطال، وضارعت الرجال الرجال، ورنمت النصال في
النيضات، وغنت الصقال على الهامات، وعثرت الخيل في حبالها،
وجالت بأبطالها ورجالها، وزاغت الأبصار، وخشعت الأصوات، وإظلم
النهار، وقارب الكل أحوال الأموات، وسالت الأحداق، ومالت الأعناق.
والرايات نكست، وأعلام النجاة طمست، والكماة فزعت، والأبطال
زُعزعت، واللُيُوث احرنجت والخيول همهمت. وقد خف الله الإسلام
بالنصر، وأنزل عليهم السكينة والصبر.

فما انقشعت سحابة العثير، ولا قلت جمعيّة العسكر، حتى غنت
الصقال في هام الأعادي، وصفق العسال على ظهر كل <١٢٨> مُعادي.
وغدا أكثرهم أكلة للسرحان، وطعمة للنسور والضبّعان، ونهبت أموالهم
وسبيّت، فأطلقت عيالهم وأطفالهم.

وسار أيضا بهذه الجحافل والجند العديد، وقصد بهم آل قشعم
وزبيد، ففرق جموعهم، وأخلى ربوعهم، وأذل أبطالهم، واستأصل
أموالهم، وقبض على شَيْخِي آل قشعم وزبيد، وقيدّهما بالأداهم، وأرسلهما
مع الضراغم والضياغم، إلى الوزير المذكور - ضوعفت له الأجور - فعقل
عنهما بعد أن أخذ عليهما العهود، أن لا يرجع كل منهما إلى الفساد
ويعود.

ثم أن الكَتَّخْدَا المذكور، بعد تمهيد الجِسهات، وتأمينه السُّبُل والطُرُقَات، رجع إلى بغداد، مُنْشَرِح الصدر مسرور الفؤاد. وقد امتدحه الوالد - حفظه الله - بقوله^(١) [من الوافر]:

أَخْشَى فِي الدُّنَا الْكُرْبَ الشُّدَادَا	أَسَاءَ الذَّهْرُ فِينَا أَمْ أَجْسَادَا
فَلَا أَخْشَ الْحَوَادِثَ إِنْ دَهَشَتْنِي	وَلَا رَبَّاءَ الْمُنُونِ وَإِنْ تَمَادَى
وَلَا صَرَ النَّوَائِبَ كَالْحَاثِ ^(٢)	وَلَا عَضَّ الزَّمَانِ وَإِنْ أَبَادَا
أَخْشَى وَالْجَوَادُ النَّدْبُ كَهَقِي	وَإِنْ جَبَّتْ الْمَهَامِهُ وَالْبِلَادَا
مَغِيثُ الْمُعْتَظِينَ إِذَا أَتَوْهُ	وَيَفْرَحُ بِالنُّوَالِ إِذَا أَعَادَا
كَرِيمٌ مِنْ نَدَاهُ قَدْ عَرَفْنَا	دِنَانِيرَ الصُّلَاتِ إِذَا أَفَادَا
فَكَمْ مِنْ عَسَجٍ سَخَّتْ يَدَاهُ	فَلَا تُلْفِي الْعُقَاةَ لَهُ نَفْسَادَا
شَجَاعٌ بِاسِلٌ يُرِيدُ كُمَاةَ	فَيُرْوِي فِي الْوَعَى الْبَيْضَ الْجَدَادَا
تَرْدُ الْخَيْلِ كُلَّمَا شَارِدَاتِ	إِذَا هَزَّ الْمُتَّقَةَ ^(٣) الصُّعَادَا
يُودُ الْحَرْبَ إِنْ هَاجَتْ لَظَاهَا	وَيَهْوِي لِلْكَفَاحِ بِهَا الطُّرَادَا

<١٢٨ب>

(إِذَا صَالَ الْأَمِيرُ أَبُو حُسَيْنٍ	تَوَلَّتْ شُومُهَا هَزْمِي بَدَادَا
فَمَا الْعَبْسِيُّ فِي الْهَيْجَا إِذَا مَا	مَثَارَ النَّقْعِ قَدْ عَمَّ الْوَهَادَا
هَنَّاكَ تَقْدَمُ اللَّيْثُ الْمُقْدَى	إِذَا حَمَى الْوُطَيْسُ وَقَدْ تَمَادَى
لَهُ الْأَرَاءُ أَمْضَى مِنْ مَوَاضٍ	يَقْدُ الصُّغْبَ لَوْ رَامَ الْعِنَادَا

(١) لا وجود لهذه القصيدة في ديوانه.

(٢) صر هنا: عطش.

(٣) جمع متقف، وهو الرمح.

وأفكارٍ لِسُورِي الزُّنْدِ قَدْ حَسَا إِذَا جَالَتْ فَتَنْقِدُ أَنْقَادَا
 حَدِيدُ الذَّهْنِ نَدَسٌ أَرِيحِي^(١) إِذَا أَمُوا يَحَاوِلُهُ أَشَادَا^(٢)
 يُدَبِّرُ لِلْحَوَادِثِ وَهِيَ غَيْبٌ فَيَمْنَحُهَا الْإِصَابَةَ وَالسَّادَا
 وَلَمْ لَا تَغْظُمُ الْأَوْصَافُ فِيهِ وَمَنْ خَلَقَ الْوَزِيرَ قَدْ اسْتَفَادَا
 وَزِيرٌ كَلَّتِ الْأَقْلَامُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْبَحَارُ لَهَا مِدَادَا
 فَلَا أَسْطِيعُ أَنْ أُولِيَهُ شُكْرًا وَلَا أَحْصِي مَنَاقِبَهُ عِدَادَا
 فَكَانَ الْعَجْزُ مِنِّي فِيهِ مَدْحًا بَعْجَزِي نِلْتُ فِي مَدْحِي مُرَادَا
 فَطُوبَى لِلْوَزِيرِ بِكَتْخُدَاهُ فَقَدْ حَازَ الْإِصَابَةَ وَالرُّشَادَا
 مَحَلِّي قَدْ رَفَعْتَ أَبَا حَسَنِ وَشَيْدَتِ الْمَفَاخِرُ لِي عِمَادَا
 أَزَلْتَ الْبُؤْسَ عَلَيَّ وَهُوَ ضَرَرٌ وَأَعْدَمْتَ الْمَضِرَّةَ وَالْفَسَادَا
 وَنِلْتُ مَا رِبَا لَوْ كَانَ تَحْتِي جَوَادٌ يَسْبِقُ النُّجُبَ الْجِبَادَا
 فَلَا زَالَتُ بِكَ الْأَيَّامُ غُرَا وَتَقَادُ السُّعُودُ إِلَيْكَ انْقِيَادَا

فصل

[عزل أحمد باشا عن بغداد]

وفي هذه السنة^(٣) ورد علينا الكتاب السلطاني، والخطاب الخاقاني
 بعزله من الوزراء، وتوليته منصب حَلَبِ الشهباء، فاستسرَّ لذلك، وناله^(٤)

(١) الندس: الفطن.

(٢) كذا.

(٣) يريد سنة ١١٤٧ هـ.

(٤) ما بين قوسين ورد في هامش الأصل، ونقله ناسخ ب إلى متنه.

جملة الحبور، حيث خَلَصَ من غَوْغَاءِ العراق، ومُجَادَلَةِ أَهْلِ الْبَغْيِ والشَّقَاقِ، لكنه لم يَرْضَ بِمَنْصِبِ الشُّهْبَاءِ مَنْصِباً إِذْ لَمْ يَتَحَمَّلْ كَثْرَةَ الْجُنُودِ، ولم يَفِ بِمَا يَمْنَحُهُ لِلْوُقُودِ، لكنه سَكَتَ عَلَى ذَلِكَ امْتِثَالاً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وانقياداً لرئيس الخوارجين^(١)، فخرَجَ من بغداد إلى المعسكر، ورحل بعد أيام مع ذلك العسكر.

ولَمَّا سَمِعَتْ الْأَعْرَابُ بِعَزْلِهِ مِنَ الْعِرَاقِ، دَرَّ فِي أَبْدَانِهِمْ عِرْقُ الْبَغْيِ والشَّقَاقِ، وَأَنَّ الْغُرَيْرَ وَآلَ شَهْوَانَ^(٢) لَمْ يَكُفِّهِمْ عَزْلَهُ، حَتَّى تَأَهَّبُوا بِجُمُوعِهِمْ، وَأَخْلَوْا كُلَّ رِجَالِهِمْ مِنْ رُبُوعِهِمْ، وَجَمَعُوا مَعَهُمْ كُلَّ عَشِيرَةٍ وَفَرِيقٍ، وَرَصَدُوا لَهُ بِكَثَرَتِهِمُ الطَّرِيقَ. وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مَهْمَا عُسَزِلَ فَإِنَّهُ يَعُودُ، وَلَمْ يَزَلْ، تَارِكاً لِحِمَا عَلَى عُودِهِ، وَالرَّأْيَ أَنْ نَقْتُلَ بِهَذَا الْجَحْفَلِ رِجَالَهُ، وَنَأْخُذَ بِهَذَا الْعَسْكَرِ أَمْوَالَهُ، وَنَخْمِدَ أَنْفَاسَهُ، وَنُطْفِئَ نِيرَاسَهُ، وَنَعِيشَ كَغَيْرِنَا فِي هَذَا الْقَطْرِ رَغَدًا، وَتَبْقَى الشُّوْكَةُ لَنَا، مَا حَيَيْنَا أَبَدًا، وَمَادَامَ هَذَا فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَنْمَ مِنَّا بَدَنًا!

فَأَخْبَرَ الْوَزِيرَ بِغَدَرِهِمْ، وَخَذَرُ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَعْدُوا لَهُ عُدَّةً، وَتَبَتُّوا لَهُ بِشِدَّةٍ. فَلَمَّا التَّقَى بِعَدَدِهِمْ، وَنَظَرَ إِلَى خِيُولِهِمْ وَعُدَدِهِمْ، أَسْنَدَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَتَأَهَّبَ لِقِتَالِهِمْ بِأَعْوَانِهِ وَحِزْبِهِ، فَحَمَّى مِنَ الْجَانِيَيْنِ الْوَطَيْسِ، وَبَرَزَتْ مِنَ الطَّرَفَيْنِ لِيُوْثِ الْعَرِيسِ، وَكَشَرَتْ الْمَنِيَّةُ عَنْ نَابِهَا وَظَفَرِهَا، وَبَدَّتِ الْأَعْرَابُ فِي كَيْدِهَا وَغَدَرِهَا، وَدَامَ قَلْقُ الْبَيْضِ فِي الْجَمَاجِمِ، وَهَامَ

(١) فِي الْأَصْلِ: الْخَوَانِقِينَ، وَكَذَا فِي ب: وَلَا وَجْهَ لَهُ، وَالصَّحِيحُ مَا أَتَتْهُ: جَمْعُ خَاقَانٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ.

(٢) تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَاتَيْنِ الْعَشِيرَتَيْنِ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ١١١٧ هـ.

كُلُّ بَطْلٍ مُقَاوِمٍ. وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ عَلَى أَرْبَابِهَا <١٢٩>، وَهَاجَتْ السَّيَاحَةُ عَلَى أَصْحَابِهَا، وَقُلَّتِ الْبَيْضُ ضَرْبَ الْبَيْضَاتِ، فَأُضْحَتْ شِبَابُهَا لَمْ تَقْطَعْ، وَاعْتَلَّتِ الشُّجْعَانُ مِنَ السَّهَامِ الْمَارِقَاتِ فَأَمْسَتْ وَثَبَاتُهَا لَمْ تَنْفَعِ.

هَذَا وَأَمَّا الْأَسَدُ الْمِغْوَارُ، وَالشُّجَاعُ الْكَرَّارُ، فَإِنَّهُ يَنْظِمُ الْأَبْطَالُ فِي طَعْنَاتِهِ، وَيَقْلِقُ هَامَ الرِّجَالِ فِي ضَرْبَاتِهِ، يَجُولُ بَيْنَ الصَّفِينِ كَالْأَسَدِ الْمُفْتَرِسِ، وَيَصُولُ ثَابِتَ الْجَاشِ كَالطَّوْدِ الْمُتَغَرِّسِ، وَلَمْ يَزَلْ غُبَارُ السَّيَاحَةِ عَاقِدًا، وَشَطْنُ (١) الدَّمَاءِ هَابِطًا وَصَاعِدًا، حَتَّى ظَهَرَتْ عَلَى الْأَعْرَابِ الذَّلَّةُ، وَذَمُّ كُلِّ رَأْيَةٍ وَعَقْلَةٍ، وَهَرَبُوا هَرَبَ الْخَنَزِيرِ مِنَ الْأَسَدِ، وَتَبَعَهُمْ طَالِبًا الْجَنْدَ وَالْحَشْدَ، فَشَبَعَتِ الصَّمَاصِمُ مِنَ الْجَمَاجِمِ، وَرُوِيَتْ مِنَ الْأَوْدَاجِ اللَّهَازِمِ الْأَرَاقِمِ (٢). وَأَغَارَ الْوَزِيرُ عَلَى الْأَنْدِيَّةِ، وَنَهَبَ الْمُخَدَّرَاتِ مِنَ الْأَخْيَةِ، وَأَخَذَ خِيْلَهُمْ وَجَمَالَهُمْ، وَأَتَانَهُمْ وَمَالَهُمْ، ثُمَّ أَنَّهُ أَطْلَقَ النِّسَاءَ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ عَادَاتِهِ، وَالْمَحْمُودُ مِنْ سَجِيَّاتِهِ. شِعْرًا [مِنْ الْبَسِيطِ]:

قَدْ حَلَفَ السَّيْفُ أَيَّ دَاهِيَةٍ	كَبْرَى وَصَافَحَ يُعْنَى الْمَوْتَ خَنْجَرَهُ
كَمْ قَدْ أَغَارَ وَشُهِبَ اللَّيْلُ غَائِرَةً	وَالْفَجْرُ يَنْبِثُ بِالْكَافُورِ عَنْبَرَهُ
فَأَبَ وَالْأَسَدُ فِي الْأَغْلَالِ خَاضِعَةً	وَعَادَ بِالنَّجَجِ وَالْأَنْفَالِ عَسْكَرَهُ
وَالذُّهْمُ كُمْتُ وَسُمِرَ الْخَطُّ تَحْمَدَهُ	وَالْبَيْضُ صَفَرُ مَصُونَاتٍ تَكْبِيرَهُ
وَالْجَوُّ كَالْغَسَقِ الْمُسَوْدِ أَبْيَضَهُ	وَالسَّيْفُ كَالشَّفَقِ الْمُحْمَرِّ أَخْضَرَهُ
هَمَّ الْعِدَى بِزَهَابِ النُّورِ مِنْهُ وَمَا	يَطْفُونَ نُورًا يُرِيدُ اللَّهُ يُظَاهِرَهُ

(١) الشطن: الحبل الذي يربط به الدلو.

(٢) جمع لهزم وهو كل شيء من سنان أو سيف قاطع، والأرقام جمع أرقم، وهو الحية. شبه السيوف بالحيات التي تنهش ضحاياها.

يَبْغُونَ مَخَوَّ اسْمِهِ مِنْ صُحُفِ مَنْصِبِهِ وَاللَّهُ فِي لَوَجِهِ الْمَحْفُوظِ يَرْبُّرُهُ

<١٢٩ب>

بَغَوْا عَلَيْهِ وَمَنْ يَجْعَلُ تِجَارَتَهُ بِضَاعَةَ الْبَغْيِ يَوْمًا خَابَ مَتَجَرُّهُ
وَحَاوَلُوا الْغَدْرَ فِيهِ وَهُوَ آمَنَهُمْ وَصَاحِبُ الْبَغْيِ يَكْفِي فِيهِ مُنْكَرُهُ
وَدَبَّرُوا الْأَمْرَ سِرًّا وَهُوَ مُشْكَلٌ وَرُبُّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ يُدَبِّرُهُ
فَأَدْرَكُوا الْوَيْلَ وَالْحَرْبَ الطَّوِيلَ وَمَا رَأَوْا مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا سَرَّ مَنْظَرُهُ

ثم أنه سار إلى الموصل، فعسكر خارجها، وأرسل بريداً إلى الدولة
يرجو من صاحب الشوكة والصنولة أن يؤليه غير حلب، وأن ينجز له ما
طلب، فرجع البريد تلوح عليه سيماء البشارة، ويقوح من أردائه طيب
الأخبار السارة، فأخبر أنه قد ولّاه أمير المؤمنين أورفة^(١)، وسيقدم
رسول عليك، ويبتئ جليئة هذا الأمر أدبك.

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

[توليه أورفة]

فبعد أيام قليلة، قدم رسول أمير المؤمنين السلطان، وأخبره بما
كان، فرحل عن الموصل، وقصد أورفة دار حكمه، وسار إليها إذ قد
رسمت باسمه.

(١) سبق أن سماها المؤلف عند ذكر تولي أبيه حسن باشا حكمها للرعا، والرهى، وقد

تقدم التعريف بها هناك.

ولما بَلَغَ بحزبه المتين، وقاربَ حمى ماردين^(١)، شَكَّوْا إِلَيْهِ أَهْلُهَا
صَوْلَةَ الْجِجِيَّةِ^(٢)، وَأَنْهُمْ قَطَعُوا عَلَيْهِمِ الطَّرِيقَاتِ، وَنَهَبُوا الْقَوَافِلَ مِنْ سَائِرِ
الْجُهَاثِ، وَأَنْ إِغَارَتِهِمْ لَمْ تَزَلْ تُقَارِبُ الْبِلَادَ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى رَدِّهِمْ وَرَدِّعِهِمْ
أَحَدٌ. فَسَمِعَ الْوَزِيرُ شِكَايَتَهُمْ، وَبَاشَرَ لِرِقَّةٍ قَلْبَهُ حِمَايَتَهُمْ، وَسَارَ بِجَحْفَلِهِ
الْمَنْصُورِ، وَجِيْشِهِ الْمَحْبُورِ، نَحْوَ الْجِجِيَّةِ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ خَبَرُ قُدُومِهِ، وَأَنْذَرُوا
غَائِلَةَ هُجُومِهِ. وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، أَبْصَرَهُمْ صَقُوفاً فِي ذَلِكَ الصَّقْصَفِ،
مَتَأَهِّبِينَ لِلْقِتَالِ كَمَا هُوَ مِنْ حَالِهِمْ يُعْرِفُ، لَكِنْهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا زَهَاءَ نَبْهَةٍ
الْأَبْيَضِ مِنْ جَفْنِهِ^(٣)، وَهَزَّ الْأَسْمَرَ إِلَى طَعْنِهِ، وَغَدَّوْا طُعْمَةً لِشَبَابِ

(١) مدينة على جبل صخري عال، تقع في أطراف الروافد العليا للخابور، إلى الشمال
من نصيبين، ولها قلعة على قمة هذا الجبل. ينظر ابن حوقل: صورة الأرض
ص ٢٠٢، وقد أصبحت ماردين في عهد ولاية المماليك جزءاً من ولاية بغداد، وهم
الذين يرسلون إليها من يمثلهم في حكمها، وقد عرف حكامها عهد ذلك باسم
(متسلمين) وربما عرف أحدهم بـ(ويوده) وهي كلمة روسية الأصل أصبحت معناها
الاصطلاحي قريباً من كلمة متسلم.

(٢) بجيمين مثلثتين. وأصلها الكيكية، قبيلة كردية قديمة أشار إليها الأصطخري أول
مرة في القرن الرابع للهجرة باسم (كيكان)، أمراؤها عباسيون من ذرية الأمير
المبارك بن الخليفة العباسي الأخير المستعصم بالله، قال المؤرخ الكردي محمد
أمين زكي: جيجي أو كيكي، عشيرة كردية نصف سيارة، تسكن الآن جبل قره جه
داغ، وفي الشتاء ترحل إلى القرى التي حول نهر جاك جاك (جاغجاغ) وعلى
زعيمهم كان لهم أمير عباسي تسلسلت أمراؤهم من أحفاد هذا الأمير بعد زوال
الدولة العباسية. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني،
ص ٤٠١.

(٣) أي إبراز السيف من غمده.

الصقال، وأكلة بين أنياب الأشبال، وكفى أهل < ١٣٠ > ماردين شرهم، ورفع عنهم كيدهم وضرهم.

ولما قارب حماها، وأشرف على فناها، خرّجت إليه وجوه البلد وأعيانها، وأكابرها الذين بهم شيدت أركانها، واستقبلوه بالهدايا والتخف، وقابلوه بسائر الظرف. ولما دخل البلد، وعلى بساط العدل حل وقعد، وفدت إليه أكابر الأكراد وأمرائها وأعيانها ورؤساؤها، فأجزل العطايا، واجمل لهم الهدايا، ورجعوا يحمدون أفعاله، وآبوا يشكرون إفضاله. ثم بعد أيام وفدت عليه عشيرة طي بكهله ووليدها، وطارفيها وتليدها، فرحّب بهم واكرمهم، ووقر أمراءهم وعظم، وأنس رؤساءهم الحلل السئية، والبرد البهية، وأنزلهم في دار الضيافة أياماً، ولين لإكرامهم جانباً وكلاماً، فرحلوا عنه شاكرين، وانقلبوا إلى أوطانهم حامدين.

ثم أنه بعد ذلك، تصدر لبث الأحكام لديه، وعرض مظالم الأنعام عليه، وإغاثة الملهوف، وإعانة المظلوم وقرى الضيوف، فرعت الرعية بأيامه يانع العيش، ودامت البرية بمقامه في فرح وطمش. وعم نواحي أورفة الأمان، وقد كان الخوف ملازمها منذ أزمان.

ثم إنه بعد ذلك غزا البقارة^(١)، وهم أشر العشائر ضرراً وأكثر

(١) قبيلة أصلها من أنحاء الشام، نوه بهم محمد بن حمد البسام (المتوفى سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م) فقال لو لم يكن لهم إلا إكرام ضيفهم الطارق، لكفاهم هذا المجد الخارق، وأما فرسانهم فخمسمائة، وسقمانهم (حملة البنائق) ألف (الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، بغداد ١٩٨٩، ص ٧٧) وقال عباس العزاوي: وهم من العشائر الزبيدية.

الناس مَكْرَأً وَغَدْرَأً، وَهُمْ إِذْ ذَاكَ نَحْوُ عَانَةِ^(١) نَوَازِلٍ، يَشْنُونُ الْإِغَارَةَ إِلَى أُرْفَةِ وَيَنْهَبُونَ الْقَوَافِلَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ بِجَمْعِهِ الْمَعْهُودُ، وَقَصَدَهُمْ بِجَيْشِهِ الْمَحْمُودُ، وَعَسَاكِرُهُ الضَّرَاغِمُ، وَجُنُودُهُ الضِّيَاغِمُ، مُمْتَطِينَ النُّجُبَ السَّوَابِقَ، مُتَقَلِّدِينَ <١٣١ب> الْمُشْرِفِيَّةَ مُعْتَقِلِينَ اللَّتَوْتَ السَّوَابِقَ، فَطَوَى إِلَيْهِمُ الْفِيَّافِي وَالْقِفَارَ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمُ الْأَنْهَارَ وَالْأَهْوَارَ، وَفَاجَأَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ، فَأَوْهَنَهُمْ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَاعْتَمَ الْعَسْكَرُ الْأَمْوَالَ وَالْأَنْعَامَ، وَحَصَلَ لِلْخَلَفَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ الْإِحْسَانَ وَالْإِنْعَامَ، وَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ مَسْرُورَ الْفُؤَادِ، مَحْبُوراً بِزَوَالِ الْأَنْكَادِ.

ثم إنه - رحمه الله - بعد أيام، غزا عشيرة قُوْجَه عِزَّ الدِّينِ^(٢)، وَهُمْ قَبِيلَةٌ أَشْرُقُ قَبِيلَةٍ، طَالَمَا نَهَبُوا الْقَوَافِلَ، وَغَضَبُوا الرُّوَاحِلَ، وَرَوَّعُوا السَّلَامَ، وَهَدَمُوا سُورَ الْإِنْتِظَامِ، وَقَتَلُوا الْأَنْفُسَ عَمْدًا، وَغَضَبُوا الْأَنْفُسَ قَصْدًا، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ عَادَتُهُمْ، وَلَمْ يَنْزَحْ عَلَى الْفَسَادِ عُكُوفُهُمْ وَإِعَادَتِهِمْ، مُتَحَصِّنِينَ

(١) البلدة المعروفة على شاطئ الفرات، الواردة في البلدانيات الإسلامية باسم (عانات)، وكانت في عهد المؤلف تحت سيطرة إمارة آل فضل الطائفة، التي تمارس سلطتها منها على نواحي الفرات الأعلى، من بيرة جك شمالاً إلى هيت جنوباً، وقد اعترف العثمانيون بهذا الواقع فجعلوا عانة والحديثة سنجقاً واحداً منحوه لأمرائهم بصفة وراثية. كتابنا: الأسر الحاكمة ص ١٣١.

(٢) هي قبيلة عزيزان التي ينحدر أمراؤها من عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد، على ما يصرح بذلك المؤرخ الكردي شرفخان البديسي، وقد ألفت إمارة وراثية في جزيرة ابن عمر استمرت من القرن السادس للهجرة إلى القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد). ينظر محمد أمين زكي، المصدر السابق ص ١٤٦.

بِجَبَلٍ شَامِخٍ، وَطَوْدٍ بَاذِخٍ رَاسِخٍ، مَا بَيْنَ أُورْفَةَ وَحَلَبَ، وَيَنْهَبُونَ مِنْ جَاءِ
بِالْمِيرَةِ وَحَلَبَ. وَهَذَا الْجَبَلُ مَعْرُوفٌ بِكَاورٍ دَاغِيٍّ، مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ جَبَلُ
النَّصَارَى، قَدْ وَضَعُوا فِيهِ الطَّارِفَ وَالتَّلِيدَ، وَالْكَهْلَ وَالْوَلِيدَ.

وَلَمْ تَزَلْ خِيُولُهُمْ تَلْعَبُ فِي الطَّرَفَاتِ، وَتَغِيرُ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ، وَلَمْ
يَقْدِرْ عَلَى رَدِّعِهِمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يُطِيقْ كَفَّهُمْ وَمَنْعَهُمْ ذُو جَلْدٍ، قَدْ عَجَزَتْ
الْوُزَرَاءُ الْعِظَامُ عَنْ مَقَاوِمَتِهِمْ، وَذَلَّتِ الْأُمَرَاءُ الْفِخَامُ عَنْ مُصَادِمَتِهِمْ، فَسَلَرُ
إِلَيْهِمْ بِجُمُوعٍ عَادِيَّةٍ، وَجَحَافِلٍ غَادِيَّةٍ، مُتَوَاصِلَةِ الْمَدَدِ، مُتَكَاثِرَةِ الْعُدَّةِ
وَالْعَدَدِ، فَمَلَأَ بِهِمُ الْأَبَاطِيحَ، وَأَسَالَ بِمَكْنِيِّهِمُ الصَّحَاصِيحَ.

هَذَا وَأَمَّا أَوْلُنُكَ الْأَرْجَاسُ، فَقَدْ اسْتَرَاهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِقُدُومِهِ
<١٣٢> الْوَسْوَاسَ، وَبَقُوا فِي الْإِحْتِيَارِ، مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الثَّبَاتِ وَالْفِرَارِ، لَكِنْ
الشَّيْطَانُ نَفَثَ فِي عَقْدِهِمْ، وَكَثُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ تَفَاقُمُ عَدَدِهِمْ، وَرَغْبُهُمْ فِي الْمَقَامِ
لِلْقِتَالِ وَالْإِصْطِدَامِ، وَأَلْقَى فِي رُوعِهِمُ الْغَلْبَةَ وَالْإِقْتِدَارَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُمْ
الْإِسْتِظْهَارُ، وَإِنَّهُمْ فِي قِتَالِهِمْ هَذَا إِنْ غَلَبُوا الْحَقُّوْا بِأَهَالِيهِمْ، وَصَنَعُوا الْجَبَلُ
وَصَارُوا إِلَى ذُرَارِيهِمْ، فَعَبَّأُوا جُمُوعَهُمْ خِيَلًا وَرَجُلًا، وَمَلَأُوا رُبُوعَهُمْ
بِنَادِقٍ وَنَبْلًا، وَأَرْسَلُوا نَحْوَ الْمَائَتِي فَارِسَ عَيُونًا تَحْرُسُهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ
الْعُسْكَرِ، وَدَامُوا مِنْ هُجُومِ اللَّيُوثِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا عَلَى حَذَرٍ.

فَبَعْدَ أَيَّامِ النَّقَتِ الرَّبِيبَةِ بِالرَّبِيبَةِ^(١)، وَالْعَيْنِ بِالْعَيْنِ، وَصَادَقَتِ الطَّلِيعَةُ
الطَّلِيعَةَ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَالْفَرِيقَيْنِ، فَانْعَقَدَ فِيمَا بَيْنَهُمُ الْغُبَارُ، وَجَالَتْ مِنَ
الطَّرَفَيْنِ الْفُرْسَانُ، وَكُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ أَغَارَ، وَخَفَّ اللَّهُ طَّلِيعَةَ الْمُسْلِمِينَ

(١) الرِّبِيبَةُ: الطَّلِيعَةُ.

بالنصر، وعامل العصاة الطعام بالذل والقهر، فولوا الأدبار، وهربوا نحو الديار، وأنذروا قومهم بما شاهدوا من ثبات أولئك الضياع، وحذروا أهلهم مما أبصروا من ثبات أولئك الأبطال الأعظم. وقالوا لهم: الوأي أن نتحصن في قلة هذا الجبل، ولا يضرب بنا في الخسران المثل، ففي هذا المقام يحمّد الفرار، ويذم الثبات للقتال والقرار. ولكن قومهم لتعودهم على افتراس الوزراء وقتل رجالهم، والغلبة على الأمراء ونهب أموالهم، لم يصغوا إلى هذه النصيحة، بل عدّوا ما ذكره العيون من جملة الفضيحة. وحقّ إبليس آمالهم < ١٣٦ ب >، وزين في عيونهم أحوالهم.

ولما تراءى عسكر الوزير المعظم، وقاربهم الجند المقعم، تأهبوا للكفاح، وتقلّدوا البيض الصفاح، واعتقلوا اللوث والرماح، وكثّر بينهم الصئب والصياع، وصاروا صقوفاً متتالية، وجموعاً متواليّة، فبادرتهم جنود الله، يقدّمها الأسد الأشد، واحتوشتهم^(١) عباد الله يؤمها العلم الفرد، وأضرمت ذات البين نيران الحرب، وكثّر من الجانبين الطعن والضرب، فشاهد العدو جبلاً راسخة لا يمكنه قلعها، وأبصر أسوداً ضارية لا يطيعه كفها وردعها، فلم يثبت إلا ريثما اختار أحوالهم، وعول على الفرار من أمامهم وقيالهم، حيث عجز عن مصادمتهم وقتالهم، وكلّ عن مجادلتهم في مجالهم، فقتل الأعداء قلة الجبل هاربين، وتبعهم كل بطل شديد متين،

(١) احتوش القوم على فلان جعلوه ومسطهم.

فُقِّلْ جُلُهم، وَقُلْ بعد بَرَمِ الطُّغْيَانِ حَبْلُهم. وَرَجَعَ الوَزِيرُ المظفر إلى بِلْسَدِه
بذلك العسكر^(١).

فصل

[تهديدات نادرشاه وصلحه]

وفي غُرَّةِ السَّنة الثَّامِنة والأربعين بعد المائَةِ والألف^(٢)، حَلَّ
الخارجي الظَّلوم عَقْدَ صَلَحِه، وَأَبَّ إلى الروم بعد صَلَحِه، لكنَّه لم يرجع

^(١) يشير عبد السلام المفتي المارديني في كتابه تاريخ ماردين، إلى أن أحمد باشا قتل
متسلم ماردين تقي بك سنة ١١٤٨ هـ رداً على مؤامرة دبرها السلطان نفسه هدفها
القضاء على أحمد باشا وهو في برية ماردين. يقول "إن السلطان فوض حكومة
بغداد لتييمور باشا بأرض الروم، وعين له جملة من الوزراء ليعينوه على عزل
أحمد باشا، وكان تدبير تييمور باشا أن يأتي إلى برية ماردين، وينتظر الوزراء
حتى يقدّموا، ويتوجه بهم إلى بغداد، فاستمع بذلك (يريد: إلى ذلك) أحمد باشا
وتوجه بعسكره لاستقبال تييمور باشا، فصادفه بين أرزن الروم وديار بكر ومعه
شرزمة من الجيش، فقتله وأرسل برأسه إلى السلطان وعاد إلى بغداد، فمر على
طريقه بتقي بك وقتله وأرسل رأسه أيضاً، لأن تقي بك كان قد امتنع عن طاعته
خوفاً من السلطان لأن أحمد باشا كان في غضب السلطان لادعائه أنه من نسل
السلطان... وكان حكمه شهرين" (تاريخ ماردين، الورقة ١٤١)، وفي قصيدة لعبد
الله السويدي، سيوردها المؤلف في ما يأتي، إشارة إلى ما كان يحاك ضد أحمد
باشا من دسائس في البلاط العثماني آنذاك.

^(٢) الموافق ٢٤ أيار ١٧٣٥ م.

إليهم من ناحية العراق، لما رآهم ذوي^(١) ثَبَات أدَّاه إلسى الانمِحاق، بل
قَصَد الروم من ناحية أَرْزُوم^(٢) <١٣٢>

ولما بلغ الخنكار خَبَرَ ارْتِداده، وكُفْرانه الصُّلح وإظهار عناده،
أرسل إلى أَرْزُوم سائر باشات على طريق الحاج، لكن لما عَلِم أنه لم يكن
له مقابل، ولا مُحاجج ولا مقاتل، إلَّا الوزير المذكور، ضَوَّعَتْ له
الأجور، أرسل إليه وهو في أُرْفَة كتاباً يتضمن الإكرام والتبجيل، والثناء
العام الجزيل الجليل، أمراً له بالرياسة على العساكر الإسلامية، مرسلاً له
علامة تلك خِلْعَة سَمُورِيَّة، وإنه يسير من حين ورود الخبر إلى أَرْزُوم في
الجند والعسكر. وفَوَّضَه بين القتال والمُسَالمة، والجِدال والمُلاعَمة، وأنَّه
يُخَلِّص أَرْزُوم من يد هذا الظُّلوم على حَسَب اجتهاده، وأنَّه إن احتاج إلى
مَدَد يُمِدَّه بإسعافه وإسعاده، فعَدَّ راياته وبُتُوده، وجَهَّز عساكره وجنُوده،
وسار من أُرْفَة بأسود ضارِيَّة، وجنود غير متناهية.

هذا^(٣)، ولَمَّا بَلَغ بِجَحْفَلِه البلد المذكور، سار بِرِكَابِه أولئك الكُتَّاب
المنصورة، فَطَوَى بهم القِفَار، وَقَطَعَ إلى مقصده الأنجاد والأغوار، وفَرَى

(١) في الأصل: ذا.

(٢) أَرْزُوم، وتلفظ أيضاً: أَرْزُوم، أَرْزَن الروم، محرفة عن أرض روم، مدينة جليسة،
عرفها الروم باسم ثيوديسيوبوليس وهكذا سترد في الأبيات التي سيذكرها المؤلف
فيما يأتي، ولاية في الشمال الشرقي من الأناضول، قريبة من البحر الأسود، وفيها
نقطة التقاء الحدود العثمانية بالدولتين الإيرانية والروسية. ليسترنج: بلدان الخلافة
الشرقية ص ١٥٠.

(٣) هنا أورد المؤلف في الأصل الجملة الآتية (وقد عين له الخنكار في آمد عساكر
التتار) ثم ضرب عليها بخط.

المهامية الوغرة، وشقّ الفياقي القفيرة، فأشرف على أزروم، وهي على شرف الهلاك، قد تردّد أهلها بين إطلاق عنان التسليم للعدو أو الإمساك، إذ حصنها - كما شاهدّه من أخبر، وأخبر عنه من أبصر - لا يردّ الهاجر، ولا يمنع المقاوم. وكان بينهم وبين العدو ثلاث مراحل، يسير الأتقال والرواحل، وقد بلغهم كثرة عسكره، وأخبروا بتفأقم ضرره، وأن تسليم البلد إليه لا يتقّع ضرره، ولا يمنع غدره. وأن أخذه أماناً كأخذه عنوة، كما شاهد ذلك أهل المعرفة في هذه البلوة، فبقوا في حيرة عظيمة، واعترتهم هموم جسيمة، إذ حصنهم غير حصين، وجندهم ليس بالكثير المتين، وأن المدد <٣٢ب> لا يأتي على استعجال، لإبطائه بتداركه هذا الحال.

فبينما هم على هذا الحال الحرج، والقلب المضطرب المنزعج، إذ قدّم عليهم الغوث المنجد، والعون المسعد، فأبصروا جيوشاً تضيق بها الغبراء، وتقل لديها نجوم الخضراء، فأمنوا بها صولة أعدائهم، وحققوا سلامة أموالهم ونسائهم، فبنى العسكر خارج البلد، محيطاً بها بذلك العدد، وقال لأهل أزروم: ناموا رغداً آمين، هاأنا - بعون الله - أكفيكم صولة هذا اللعين، فتولّى الحراسة بجنوده، فأمنت الرعية، وغدا مترقباً قدوم العدو ليقاتله، ويرد كيده ويجادله.

ولما سمع اللعين أن حامي العراق حلّ في البلد، وأن معه العترة والعدد، سقط في يديه، ونديم على ما عول عليه، فأرسل إليه رسولاً معه كتاب مضمونه إنا على ما عرفت من الصُحبة، وعلى ما عهنت سابقاً من وفور المحبة، ولكن أردت أن أذهب إلى قتال الهند، وإذلال السند، فخشيت صولتكم على ملكي إذا أخليتّه، وخفت هجومكم على قطري إذا ذهب

وخلَّيْتَهُ، فَأَتَيْتُ أَجَدَّ قِيَمَةِ الصُّلْحِ، وَأَوْكَدَ الْمَسْأَلَةَ وَأَعُودَ عَلَى نَجْحِ، فَاكُونَ
مِنْكُمْ أَمِينًا، وَيَكُونُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ مُعِينًا.

فلما تلى الكتاب بين يدي ذي الفِرَاسَةِ، عَلِمَ أَنَّهُ مُبْطَنٌ بِالنَّفَاقِ،
مُزْخَرَفٌ بِالْأَبَاطِيلِ خَوْفِ الْهَلَاكِ وَالْإِنْمِحَاقِ، وَإِلَّا كَانَ يُغْنِي عَنْ مَجِيئِهِ
لَمَا طَلَبَ رَسُولًا وَكُتَابًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا قَدْ كَتَبَ، لَكِنِ الْوَزِيرُ نَظَرَ إِلَى أَنَّ
الصُّلْحَ أَجْمَلَ، وَأَنَّ حَقَّ الدِّمَاءِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَتَمُّ وَأَفْضَلُ، فَأَجَابَهُ إِلَى
سُؤَالِهِ، وَأَقْرَأَ لَهُ سَلَمَهُ الْأَوَّلَ عَلَى حَالِهِ (١).

ورجع عن أزروء <١٣٣> خائبًا، وآبَ إِلَى بِلَادِهِ مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ
هَائِبِيًّا. وَحَصَلَ لِلْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ الْفَخْرُ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَالْمَنْقَبَةُ عَلَى أُمَثَالِهِ
وَأَخْدَانِهِ، حَيْثُ كَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ، وَالْأَصْلُ فِي حَقِّ
الدِّمَاءِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَالْعِلَّةُ النَّامَةُ فِي رَجُوعِ هَذَا الْخَبِيثِ بِلا قَضَاءٍ أَوْ طَارِ،
مُصْحُوبًا بِعَدَمِ إِنْتَاجِ مَرَامِهِ بِالْأَفْكَارِ وَالْأَكْدَارِ، وَحَقُّ لِلْوَزِيرِ أَنْ يُخَاطَبَ
بِمَا قِيلَ. شعراً [من الكامل]:

وَأَبُوكَ لَوْلَا أَنْتَ لَمَّا يَفْخَرِ	بِالْفَخْرِ سَادَ أَبُوكَ سَادَاتِ الْوَرَى
وَالْعَيْنُ لَوْلَا الْم (٢) تَبْصُرُ	كَالْعَيْنِ بِالْبَصْرِ الْمُنِيرِ تَفْضَلْتُ
وَبِعَارِضٍ مِنْ مَزْنِ جُودِكَ مُمَطِّرِ	قَسَمًا بِبَارِقِ مَرْهَفٍ قُلْدَتَهُ
مِنْهَا مَشَارِعَ أَمْنِهَا الْمُتَذَكَّرِ	لَوْلَا إِيَابُكَ أَرْضُ رُومٍ مَا صَفَّتْ
شَهِدُوا الْجَحِيمَ بِهَا وَهَوَّلَ الْمَحْشَرِ	أَسْكَنْتَ أَهْلِيهَا النِّعِيمَ وَطَالَمَا

(١) يريد بهذا أنه أقر ببقاء الحدود بين الدولتين على ما كانت عليه في معاهدة زهاب
الموقعة بينهما في ١٤ محرم سنة ١٠٤٩هـ / ١٧ أيار سنة ١٦٣٩م.

(٢) في الأصل سقط خبر على ما بعد لولا فلم يظهر، فأكملناه من ب.

وَكَسَوْتَهَا خَلِّ الْأَمَانِ وَإِنِّهَا لَوْلَاكَ أَضْحَتْ عَوْرَةٌ لَمْ تُسْتَرِ

ثم أن السلطان أرسل إليه كتاباً يَمُنِّحُه فيه على فعله، ويثني عليه
لوفور عقله، وأرسل إليه صُحْبَتَه الهدايا العظام، مَنَصِبَ بغداد دار السلام،
خَشْيَةَ هجوم ذلك الغادر عليها، وقدمه إليها، إذ هي خالية عن وزير
جسور، عَرِيَّةٌ عن شَهْمِ غيور، إذ بعد الوزير المذكور ولَّى عليها الوزير
إسماعيل باشا، فلم يَقْدِر على شيء^(١)، حتى فوُضَ أمر البادية إلى رؤساء
الأعراب، وطلب منهم حفظها، وهل تُودَع الغنم عند الذئاب! .
وبعده ولَّى عليها محمد باشا^(٢) وهو رجل مُبْتَلَى بِدَاءِ الفيل،

(١) تولاها في أواسط ١١٤٧ إلى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٤-١٧٣٥م)، وكان قبل ذلك
والياً في طرابزون، وقد فوُضَ إليه السلطان نصب المتصرفين وعزلهم في الألوية
الواقعة في كل من بغداد والموصل وشهرزور، مع منحه الاستقلال في التصرف
بشؤون ولايته على وفق ما يرى فيه مصلحة (دفتر مهمة ١٤٠ ص ٢٥٤ في
أواسط ذي القعدة ١١٤٧ هـ) كما أمره بالعمل من أجل تأليف قلوب العربان من
العشائر والقبائل القاطنة بين بغداد والبصرة والأمراء الأكراد بالاتفاق والتعاون مع
والي البصرة (دفتر مهمة ١٤٠ ص ٢١٤ في أواسط جمادى الآخرة ١١٤٧ هـ) —
ومن أعماله في بغداد أنه عمر جامع الوفائية ببغداد، وكان يعرف بمسجد
الإسماعيلية. وموقعه في سوق الكبابجية في شرقي بغداد. ينظر محمود شكري
الألوسي: مساجد بغداد وآثارها ص ٧٧.

(٢) صدر أمر تعيينه والياً على بغداد في أواخر صفر ١١٤٨ هـ / ٢٠ تموز ١٧٣٤م
وتولى الصدارة العظمى قبل هذا، وبنوه الكركوكلي بمقدرته وصفاته الحميدة،
ولكنه يعود فيذكر أن أصابته بداء الفيل قد أقعدته ومنعته من إدارة هذه المنطقة -

مشغول^(١) بأمراضه عن حكوماته وسائر أغراضه، فعانت الأعراب خارج
البلد المضر^(٢)، والينكجريّة داخلها عاملت أهلها بالضّر، وكثرت الفتن،
وظهرت الميخنة، ونهبت المخدرات من الأزقة، وهككت المخصنات
وظهرت كل مشقة، فلم يمكن خروج امرأة إلى طريق، ولا ذهاب أمرّد
بلا رفيق. <١٣٣ب>

ودام هذا الحال حتى أن الفقير كنت ذلك اليوم في طلب العلم،
وكنت أقرأ على شَيْخِي الشَّيْخِ يَاسِينَ^(٣) المعروف بابن البصير^(٤)،
الأزهريّة^(٥)، في الجانب الشرقي في المدرسة الأخصانية^(٦)، وكنت ذلك

=الهامة مما جعلها بحالة من الفوضى لا تطاق (دوحة الوزراء ص ٢٨) وأول دليل
على ضعفه أنه تأخر بالالتحاق بمنصبه والياً على بغداد مما استدعى تكرار توجيه
الأمر إليه بالإمراع في الوصول إليها (دفتر مهمة ١٤١ ص ٢٥ في أواسط ربيع
الآخر ١١٤٨هـ).

(١) في الأصل: مشغولاً.

(٢) المضر: الهلاك.

(٣) في الأصل: يس.

(٤) هو الشيخ ياسين الهيتي، ينظر عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق،
الطبعة الثانية، بمراجعتنا وتعالقنا، بغداد ج ٢ ص ١١٢.

(٥) يريد كتاب (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) تأليف خالد بن عبد الله الأزهوي
النحوي (المتوفى سنة ٩٠٥هـ)، وهو في شرح كتاب (الإعراب عن قواعد
الأعراب) تأليف عبد الله بن يوسف ابن هشام النحوي (المتوفى سنة ٧٦٢هـ)،
وكان من الكتب المعتمدة في تدريس النحو عهد ذلك.

(٦) هي المدرسة المنسوبة إلى الشيخ محمد بن أحمد الأحصاني الحنفي (المتوفى سنة
١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) وفيها قبره، وقد أقام فيها الشيخ خالد النقشبندي مجدد-

اليوم أمرد، لا نبات بعارضي، فخشي عليّ والدي من الإنكجارية وقت
ذهابي إلى الدرس، فجعلني منهم في القشلة^(١) المسمّاة بأوننجي
(سكمان)^(٢)، فكل يوم يذهب من رجال قشلتني اثنان معي إلى الدرس

= الطريقة النقشبندية في العراق سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م عُرفت بالتكية الخالدية،
وقد تحولت هذه التكية إلى معبد جامع ما زال عامراً، ويقع في محلة رأس
القرية، على شاطئ دجلة. كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص ١٠٧.
(١) القشلة، من التركية قشلاق، وتعني حرفياً: الممتلئ، ويقصد بها اصطلاحاً التكنة
التي يبيت فيها الجند.

(٢) الكلمة بين قوسين وردت في الهامش. وأوننجي، لفظة تركية تعني العاشر، وسكمان
كلمة تعني اصطلاحاً في هذا العصر حملة البنادق، أفواج عسكرية كانت أدمجها
السلطان محمد الفاتح بقوات الإنكجارية، وأصبح قائدهم (سكمن باشي) أكبر
مساعد آغا الإنكجارية وأهمهم، ولكن نتيجة اختلال نظام الإنكجارية في القرنين
الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (١٧-١٨م)، انضوى بعض سكان المدن في
الولايات ممن يجيد استخدام السلاح الناري إلى أفواج السكمانية، وأسموا نوعاً من
الجند المحلي في مدنها. وقد ذكر المؤلف السكمانية في كتابه الآخر (تاريخ
حوادث بغداد والبصرة، ص ٨١) بوصفهم من النوع المذكور. ووضح مما يذكره
هنا أنهم كذلك فعلاً. ويظهر أنه كانت لهم تكنة (قشلة) خاصة بهم عرفت بقشلة
فوج السكمانية العاشر. ولا نستطيع تحديد موقع هذه القشلة إلا بأنها كانت في
نطاق محلة رأس القرية، من الجانب الشرقي. وفي الأمر السلطاني المؤرخ في
أواسط ربيع الأول سنة ١١٣١هـ الموجه إلى حسن باشا وغيره من الولاة ما
يوجب إلغاء (السكبان) لأنها أصبحت عنصر فساد وتخريب (دفتر مهمة ١٢٧
ص ٢١٠) والخبر الذي ساقه المؤلف يدل على أن الأمر لم يجد له طريقاً إلى
التنفيذ.

وَيَرْجِعُونَ مَعِيَ إِلَى دَارِنَا، فَإِذَا دَخَلْتُ الدَّارَ تَرَكُونِي وَانصَرَفُوا. إِلَى هَذِهِ
الْغَايَةِ حَصَلَ فِي بَغْدَادِ الْفَسَادِ، إِلَى أَنْ أَبَ هَذَا الْوَزِيرَ فَرَفَعَ الْأَنْكَادَ.

رَجْع

[توليه بغداد]

ولما ورد عليه خبر بغداد، حَصَلَ لَهُ السُّرُورُ، وَالْفَرَحُ وَالْحُبُورُ،
وَحَنَّ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَاشْتَقَّ إِلَى مَكَانِ إِسْكَانِهِ، وَلَوَّى عَيْنَانِ عَزَمَهُ إِلَى بَغْدَادِ
دَارِ حُكْمِهِ.

ولما بَلَغَ إِلَى مَارْدِينِ عَزَلَ الشُّهُمَ الْبَاسِلَ، وَالشُّجَاعَ الْكَامِلَ، أَمِيرَ
الْأَمْرَاءِ، وَكَبِيرَ الْكُبَرَاءِ، الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بَاشَا، كَتَّخْدَاهُ - حَفَظَهُ اللَّهُ - لِأَمْرِ أَدَاءِ
إِلَيْهِ اجْتِهَادِهِ، فَوَافَقَهُ قَصْدُهُ وَمُرَادُهُ، وَوَضَعَ مَكَانَهُ زَوْجَ ابْنَتِهِ الْمَكْرَمِ،
سُلَيْمَانَ بَاشَا الْمُحْتَرَمِ^(١).

ثُمَّ دَخَلَ بَغْدَادَ بَزِينَةً بَاهِرَةً، وَحَلَّ فَاخِرَةً، وَجُنُودَ مُتَكَاثِرَةً، وَأَسُودَ
وَافِرَةً^(٢). وَقَدْ أُنْشِدَهُ الْوَالِدُ حَفَظَهُ اللَّهُ مُهْنَتاً لَهُ بِالْقُدُومِ، مُشْطَراً وَمُعْجِزاً
أَبْيَاتَ صُرْدَرٍ^(٣) الْكَاتِبِ حَيْثُ يَقُولُ <١١٣٤> [مِنْ الرَّجْزِ]:

(١) تقدم التعريف به.

(٢) وكان دخوله بغداد في ٨ رجب سنة ١١٤٩هـ / ١١ تشرين الثاني ١٧٣٦م.

(٣) القصيدة في ديوان عبد الله السويدي، الورقة ٩، وفيه "وقلت معجراً أبيات صردر
الكاتب ومدحت بها الوزير ابن الوزير أحمد باشا ابن المرحوم حسن باشا ونلسك
لما عزل عن ولاية بغداد وأعيد إليها" ولم يذكر أنه صدرها، وصردر هذا هو علي
بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي، شاعر رقيق، مدح الخليفة القائم العباسي،
وتوفي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٩.

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ (وَفُوضَ الْأَمْرُ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ)
 (عَادَ إِلَيْكَ الْمَنْصِيبُ السَّامِي الْخَوِي)
 مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ وَأَخْتَبَرْتَ إِفْرَسِدَهُ وَمَا بِهِ
 (فَحَقَّقْتَهُ مُخْتَمِماً مَاضِي الشُّبَا)
 هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِماً ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قُرَابِهِ
 (مَنْظَرَهُ يُنْبِئُكَ عَنْ مَخْبَرِهِ)
 أَكْرَمَ بِهَا وَزَارَةً مَا سَلَّمَتْ (كَالْأَفْعَوَانِ الْحَنْفُ فِي لُعَابِهِ)
 (فِيهَا لَهَا أَمِينَةٌ مَا دَفَعَتْ)
 مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ مُذْ فَارَقَتْهَا رَوَّنَقُهُ يُغْنِيكَ عَنْ ضِرَابِهِ
 (قَلَمَ تَزَلُ مِلْتَاحَةً مُشْتَاقَةً)
 مِثْلَكَ مُحْسُودٌ وَلَكِنْ مُعْجِزٌ (زِمَامُهَا إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ)
 (هَلْ مُسْتَطَاعٌ أَوْ تَرَاهُ مُمَكِناً)
 حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هَذَا الَّذِي مَا اسْتَوْدَعْتَ إِلَّا إِلَى أَرْبَابِهِ
 (هَلْ لَابَنٍ آوَى سَطْوَةً أَوْ قُدْرَةً)
 يُخْرِجُ لَيْثاً خَائِراً مِنْ غَابِهِ^(١) (تَشْكُو جَوِي قَدْ زَادَ فِي أَوْصَابِهِ)
 شَوْقُ أَخِي الشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
 (لَيْثُ الشَّرَى يُرَامُ قَلْعُ نَابِهِ)
 (يَدْنُو إِلَى خَيْسٍ سَمَا وَبَابِهِ)
 (أَنْ يُدْرِكَ الْبَارِقَ فِي سَحَابِهِ)
 (يَدْنُو إِلَى خَيْسٍ سَمَا وَبَابِهِ)
 (يُخْرِجُ لَيْثاً خَائِراً مِنْ غَابِهِ)^(١)

وللوالد حفظه الله يهنئه أيضاً بقوله^(٢):

لَكَ الْخَيْرُ وَالْبُشْرَى وَسَعْدٌ وَسُودٌ وَمَجْدٌ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ مُوْطِدٌ
 فَلِلرَّوْضِ ثَغَرٌ بِالْبِشَارَةِ بِاسْمٍ وَلِلْغُصْنِ مِنْ قَرْطِ السَّرُورِ تَاوُدٌ
 وَلِلسُّحْبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ تَذْفُقٌ وَلِلوَرَقِ فِي زَهْرِ الْأَقْحَاحِ تَرْدُدٌ

(١) أسد خادر: مقيم في عرينه.

(٢) ديوان عبد الله السويدي الورقة ١٠-١١.

وللريح ما بين الغصون ترنم
وعمت نواحي الخافقين وسيما
وزاد بها للسيرين سناهما
وطير التهاني لا يزال يُغرّد
العراقين بشري لا تزال تابد
ونجم العلا ما انفك يرقى ويصعد

<٣٤٤ب>

وباهت بك الزوراء مخضلة الربى
وقامت بها الأفراح من كل جانب
وقرئت عيون الدّين وازداد نورها
أزلت العدى عنها بعودك واليا
وفي ظاهر الزوراء عاث بغاتها
ولا ريب سوق الشعر بعودك كاسد
ترأست إذ بالصالح كنت مقوضا
فاصلحت بين الدولتين وربما
فذي نعمة تغشى الأنام لأجلها
لك الحسب العالي على النجم شامخ
لك الهمة العلياء شامخة الذرى
لك الرأي أمضى من مواضع شباتها
ولو باسمك الداعي يتوب ضارعا
تدبر خطب الأمر قبل وقوعه
وعمرك لا تحصي صفاتك كلها
سبقت أباك الماجد الحسن الذرى
وتغشى عطاياك القريب محلة

فأين إذا مصر العزيز وثهمد
وغنت مغان إذ تعهد معهد
ومن قبل كانت لا محالة ترمد
فأنت لها دون البرية أمم
وباطنها فيه لقد عاث مقبدا
فلم يلف في سوق المدائح منشدا
لإصلاح ذات البين من حيث تحمد
إذا لم تكن شمل الورى يتبدد
ملائكة الرحمن للشكر تسجد
تحلى به الشعرى العبور وفرقد
وعزم على كيوان سام مشيد
يعد بها الصخر الأصم وجلمد
لولت كماء الشوس في البید تشرد
كأنك تدري ما يجيء به غد
رباع ومتى أو ثلاث وموخذ
فإن كان محموداً فإنك أحمد^(١)
ومن هو ناء عن ذراك وابعد

(١) في الديوان هذا البيت يسبق الذي قبله.

ولا عيب فيك العالمون يزوتنه
خرجت بحزم والخميس كانه
سراة كماء كالليوث عوايسا
يزون ظهور الخيل اطيب موطننا
سوى انه يشكو نوالك عسجد
بغزمية بحر بالعجاجة مزيد
لهم منهل حوض المنايا ومورد
لهم فيهم فيها دلاص مسرد

<١٣٥>

ويؤفون للخطية السمر حقها
فلا عيب فيهم غير ان طعينهم
فيا خير ارباب الوزارة محتدا^(١)
اطعت امير المؤمنين وحبذا
وكم ارجف الأعداء جهلاً بزعمهم^(٢)
وكم حاولوا أمراً عظيماً بان سغوا
فرد الإله الكيد قهراً بنجرهم
فدمرهم حتى اباد جميعهم
فبعض قضى نجباً فذاق وباله
ولو علموا ان سوف تبلغ رتبة
لدانوا خضوعاً صاغرين لحضرة
وكم مرة تؤذى فتصفح قادراً
إذا قل في الحرب العوان مهتدا^(١)
يروح بلا روح وفي الحال يفتد
لكل وزير أنت في المجد سيّد
انقياد به الرأي السديد مؤكداً
بانك تعصى في البلاد وتفسد
باطفاء نور الله والله ينجد
وكل رهين بالذي كان يرصد
وهذا جزاء للذي ظل يحسد
وبعض له التنكيل والخزي موعداً
منصتها فوق السماكين تعقد
هي الغاية القصوى لراج ومقصداً
وذو الصفح بالنصر العزيز مؤيد

(١) للحرب العوان: التي كان قبلها حرب.

(٢) في الديوان: محفداً.

(٣) هذه اشارة مهمة إلى ما كان يحوكة منافسو أحمد باشا وحامدوه من دسائس ضده في البلاط العثماني، ولا شك في أن هذه الدسائس كانت وراء عزله عن ولاية بغداد في تلك المدة العصبية من تاريخ العلاقات العثمانية- الإيرانية.

فَجُرِّبْتُ مَعزُولاً وَجُرِّبْتُ وَالِيَا فَرَأَيْكَ فِي الْحَالِّينَ رَأْيَ مُسَدَّدُ
عَفْوَتَ وَكَانَ الْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً وَلَا غَرُّوْا مِمَّنْ قَدْ زَكَا مِنْهُ مَحَدُ
ذَهَبْتَ وَفِيكَ الْخَسْرُ قَرْدٌ مُؤَرَّخُ وَغَدَتْ رَفِيقَ الْعِزِّ وَالْعَفْوُ أَحْمَدُ^(١)

وهنا السيد عبد الله أمين الفتوى بقوله [من الرمل]:

طَالَعَ النَّصْرُ بَدَا لِلْمُسْلِمِينَ مَذَّاتِي الزُّورَاءُ ذُو الرَّأْيِ الرَّزِينَ
الشَّجَاعَ الْقَرَمَ لَيْسَتْ فِي الْوَعْيِ مَنْ غَدَوْنَا فِي ذُرَاهِ آمَنِيْنَ
أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ مِنْ رَبِّ الْعَلَى صَاحِبِ التَّدْبِيرِ وَالْعَقْلِ الْمَتِينِ
أُورِثَ الْأَقْطَارَ أَمْنًا صَلَحَهُ يَا لَهُ صَلَاحاً لِرَاحِ الْعَالَمِينَ
أَيْدِ الْإِسْلَامِ بِالسَّيْفِ إِذَا أَصْبَحَ الْخَائِفُ فِي الدُّنْيَا آمِنِ

<١٣٥>

حَصَّنَ الْأَمْوَالَ قَهْرًا صَيَّنَهُ يَا لَهُ أَمْنٌ مِنْ بَرْعِ حَصِينِ
حَازَ فِعْلًا حَسَنًا إِذَا أَصْلَحَهُ حَسَنٌ وَالْحُسْنُ فِيهِ مُسْتَبِينِ
حَلَّ فِي كَفِيهِ وَدَلَّ بِنَسْلِ حَاتَمِ مِيعْشَارِ مَلْحَانِ الْيَمِينِ
كَمْ فَقِيرٍ مُعْدَمٍ أَغْنَتْ وَكَمْ بِالْعَطَا وَالْمَنْحِ أَحْيَتْ مُرْمَلِينَ
لَا تَسْلُ عَنْ سَيْلِ جُودٍ لَوْ جَرَى حَسْبَمَا بِالسَّطْبَعِ أَغْنَى الْمُعْدَمِينَ
مَا سَمِعْنَا مِنْ أَتَاهِ قَاصِدَا أَنَّهُ قَدْ رَدَّ فِي قَلْبِ حَزِينِ
طَوَّقَ الْأَعْنَاقَ فَضْلًا جُودُهُ يَا لَهُ طَوْقًا بِجِدِّ الْعَالَمِينَ
وَسِعَ الْعَالَمَ لُطْفًا حِلْمُهُ تَرَكَ الْأَحْنَفَ فِيهِ لَا يَبِينِ
حَلَّ فِي قَلْبِ الْأَعَادِي رُعبَهُ فَأَتَوْا مِنْ كُلِّ فَجٍّ مُذْعِنِينَ
أَظْهَرُوا الطَّاعَةَ وَانْقَادُوا لَهُ ثُمَّ وَلَّوْا عَنْ فِسَادِ قَسَالِعِينَ

(١) حساب الشطر مع الزيادة: ١١٤٨ هـ.

لكن البعض لخبث فيهم
 قد تمادوا في فساد خفية
 قد علا نجم لهم حين بغوا
 غاب نجم قد علا في بغيتهم
 عادت النجم أقولاً في السما
 حاق مكر سوء في العقبي بهم
 أدركتهم نعمة الوالي الذي
 ذا شجاع ذلت الفرس له
 حاز فعلاً كله مستحسن
 صلب الخبث شبيلاً ثم من
 فاستراح الناس من شرهما

﴿١٣٦﴾

كيف لي حصر سجالا حازها
 أولاً يدعى له من مهجة
 مد ربي مدة في عمره
 دام بالعز علينا والياً
 لست أرضى أن تكن واحدة
 قال ذا حسبانكم من قدم
 خادم العلم عبید الله قد

نافقوا والخبث في القلب كمين
 خوف أن يغتالهم لئذ العرين
 وعثوا في الأرض ظلماً مقسدين
 منذ أراد الله قلع الملحدين
 نجمهم هذا هوى في الآلین
 فغذوا بالحرر مكرى حائرين
 طالما أكرم منهم وأدين
 وكذا الأعراب ذو البغي الميين
 ثم بالتوفيق من رب معين
 بعده علّق دنن البطین
 واهتدى سبيل الوری للمسالکین

وهناك السيد حسين الرشيد النجفي^(١) بقوله [من الكامل]:

هَبَّ النَّسِيمُ مُعْطِرَ الْأُرْدَانِ سَحَرًا فَعَطَّرَ سَائِرَ الْأَكْوَانِ
وَعَدَّتْ تَغُورُ الدَّهْرِ تَنْسِيمَ فَرْحَةٍ وَالْأَرْضُ تَلْبَسُ أَفْخَرَ الْأَلْوَانِ
وَالْأَرْضُ قَدْ أَهْدَى الْأَرِيحَ إِلَى السَّمَاءِ مَنَحَتْهُ لَوْلُو طَلَّهَا الْهَتَّانِ
فَتَمَايَلَتْ فَرَحًا قُدُودُ غُصُونِهِ مَذْ أَطْرَبَتْهَا الْوَرَقُ بِالْأَلْحَانِ
وَجَرَتْ مُعْطِرَةَ الشَّدَى نَهَارَهُ مَذْ صَافَحَتْهَا رَاحَةُ الرِّيحَانِ
وَعَلَى الزَّمَانِ مَسْرَّةً وَالْبِشْرُهَا رَايَاتُهُ خَفَقَتْ بِكُلِّ مَكَانِ
وَأَخُو الْوَقَارِ غَدَا لِفَرْطِ سُرُورِهِ طَرِبًا يُرِينَا مِشْيَةَ النَّسْوَانِ
سَحَّتْ لَنَا الدُّنْيَا بَعِيدَ ثَالِثٍ لَاحَ الْخِضَابُ بِهِ بِكُلِّ بَنَانِ
وَالدَّهْرُ جَادَ بِلَيْلَةٍ يَتَنَا بِهَا يَخْلِي الدُّجَا بِالْكَأْسِ وَالنَّدْمَانِ
وَالْغَانِيَاتُ خَلَعْنَ أَرْدِيَةَ الْحَيَا طَرِبًا وَيَتَنَ بِفَرْحَةٍ وَتَهَانِ
وَاسْتَبَشَرَتْ دَارَ السَّلَامِ وَأَهْلِهَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْهَمُّ وَالْأَحْزَانِ
بَطْلُوعِ بَدْرِ السُّعْدِ غَيْبُ أَوَّلِهِ وَمَقُورِ صُبْحِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
بِقُدُومِ أَحْمَدِهَا الْوَزِيرِ الْمُقْتَدَى وَرَجُوعِ وَالِيهَا إِلَى الْأَوْطَانِ

<٣٦٦ب>

أَبَتْ الْوِزَارَةَ أَنْ يَنْوِيَ بَعْدَهَا إِلَّا أَخُو حَزْمٍ خَطِيرُ الشَّانِ
فَعَدَّتْ تَجُوبَ الْكَوْنِ تَطْلُبُ كَفْؤَهَا ثُمَّ انْتَهَتْ تَشْكُو ذَوِي الْحِرْمَانِ

(١) هو السيد حسين بن السيد مير رشيد المرتضوي، شاعر أصله من الهند، قدم إلى العراق فدرس في النجف وكربلاء، شعره فيه ضعف، وله ديوان سماه (ذخائر المال في نشر مدح المصطفى والآل)، وله أشعار في مناسبات مختلفة، وتوفي بعد سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م. ينظر عصام الدين عثمان العمري: الروض النضر ج ٣ ص ١٣٨-١٤٤، ومحمد بن مصطفى الغلامي: شماعة العنبر ص ٢١٢-٢١٥ وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، ج ٢ ص ٢٢٧.

حتى استقل بعينها طَوْدَ العَلَى
 فخرُ الملوك الصَّيْدُ دُرَّةُ تاجِهِم
 الماجدُ الشَّهْمُ الأريبُ أخو الحجى
 الفارسُ النَّذْبُ الكَمي الضَّيغمُ
 المُورِدُ الأعداءُ بالسُّمْرِ القَنَا
 والملبسُ الأبطالُ بالبَيْضِ الظُّبَا
 بطلُ إذا ما الحربُ شَبَّ ضِرَامُهَا
 تَأبَى الجفونُ لدى الكَفاحِ صِفاحه
 وإذا الأعادي حاربوه سَلَامَةً
 وإذا الكُفَاةُ رَأَوْه قَالَ كَمِثُّهُمْ
 هَرَبًا شَيَاطِينُ العَدَى مِنْ بَاسِهِ
 لم يَلْتَقِ الأبطالُ يَوْمَ كَرِيهِهِ
 فَتَكَادُ خَوْفَ الحَنَفِ لَمْ تَبْرُزْ لَهُ
 لَازَالَ يَصْحَبُ جَيْشَهُ يَوْمَ الوَغَى
 فَيَبِيتُ يَقْرِي الطَّيْرَ أَسَادَ الشُّرَى
 حَمِدَتْ قِرَاهُ الطَّيْرُ حَتَّى أَنَّهُ
 فَلَوْ اشْتَهَى فَتَحَ البِلَادِ بِأَسْرِهَا
 لَمْ يَغْزُ فِي شَرْقِ البِلَادِ قَبِيلَةً
 مَلَأَتْ مَهَابَتَهُ قُلُوبَ الإنسِ بِلِ
 نو الحزمِ أحمَدُ قُدُوةُ الأعيانِ
 إنسانُ عَيْنِ العَصْرِ والأزْمانِ
 رَبُّ القُضَارِ الشَّامِخِ الأركسانِ
 المقْدَامِ عِنْدَ تَقَاعُسِ الفُرْسَانِ
 كَأْسُ الفَنَاءِ فِي حَوْمَةِ الجَوْلَانِ
 فَوْقَ العِمَائِمِ أَحْمَرُ الشَّجْعَانِ
 بِشْبَا الصَّوَارِمِ وَالتَّقَى الجَمْعَانِ
 حَتَّى تَصَافِحَ هَامَةُ الشَّجْعَانِ
 أَبَوْا بِقَلْبِ دَائِمِ الخَفَّانِ
 وَالخَيْلُ تَسْبَحُ بِالنَّجِيعِ القَانِي
 أَوْقَى الحَرِيقُ بِأَنْجُمِ الخُرْصَانِ^(١)
 إِلَّا بِالْوَيْكَةِ مِنْ العَقْبَانِ
 فَتَكَادُ خَوْفَ الحَنَفِ لَمْ تَبْرُزْ لَهُ
 طَمَعًا بِأَسْلَاءِ العَدَى جَيْشَانِ
 وَيُعَدُّ لِلسَّرْحَانِ غَيْرَ جَبَانِ
 لَتَحُومُ فَوْقَ لَوَائِهِ النَّسْرَانِ
 مِنْ جُنْدِهِ بِالنَّسْرِ وَالسَّرْحَانِ
 إِلَّا وَبَاتَ الْغَرْبُ بِسَالِحِ الْأَحْزَانِ
 مَلَأَتْ قُلُوبَ الْجِنِّ فِي الْغَيْطَانِ

<١٣٧>

ثَبَّتَ الْجَنَانُ لَهُ غَدَاةَ الْغَرْبِ مِنْ زَبَرُ الْحَدِيدِ آرَاوَهُ سَيِّقَانِ

(١) فِي الْأَصْلِ: الْخُرْصَانِي، وَالْخُرْصَانُ جَمْعُ خُرْصٍ، وَهُوَ الدَّرْعُ.

إِنْ يَنْبُ صَارِمٌ ضَيِّعٌ لَمْ يَنْبُ مِنْ
 أَمْوَالِهِ وَعِيدَاهُ تَشْكُو فَتَكَّهُ
 هَذَا وَيَوْمَ الْبَذْلِ غِيثٌ مُسَبَّلٌ
 يَهْبِ الْأَلُوفُ لَوْفِدِهِ مُسْتَبْشِرًا
 لَمْ يَجْتَمِعْ بِالْمَالِ قَطُّ وَمَنْ رَأَى
 لَوْلَاهُ رُبْعُ الْجُودِ أَصْبَحَ دَارِسًا
 يَا مَنْ يَقِيسُ بِجُودِهِ جُودَ الْأُولَى
 مَنْ حَاتَمَ مَنْ أَحْضَفَ وَإِيَّاسَ بَلْ
 بِسَخَايَةِ وَجِلْمِهِ وَذَكَائِهِ
 يَعْفُو عَنِ الْجَانِي وَيُوسِعُ بِرُّهُ
 مِنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ وَنَارِ قِرَاهِ قَدْ
 يَا جَامِعًا شَمَلَ النَّدَى وَمَقَرَّقًا
 قَدْ عَمَّ نَائِلَكَ الْوَرَى إِلَّا أَلَا
 حَتَّى إِذَا مَا الذَّهْرُ جَادَ بِفُرْصَةٍ
 أَعْرَضْتَ عَنْ زَادِي وَعَفَتْ مَطِيئَتِي
 وَرَكِبْتَ ظَهَرَ الْبَيْدِ أَعْتَسِفَ الرَّيَى^(١)
 حَتَّى أَنْخَسْتُ مَطِيَّ أَمَالِي بِكُمْ
 يَا مَنْ إِذَا مَا أُمُّهُ الرَّاجِي انْتَنَى
 فَضَحَ الْكِرَامَ نَدَى يَذْنِيكَ فَدَحَ لَهُمْ

ماضِي ظُهَاهِ وَرَأْيِهِ الْخَدَّانِ
 عِنْدَ الْعَطَا وَالطُّغْنِ فِي الْعِيدَانِ
 يُزْرِي بِأَوْطَافِ هَامِرٍ هَتَّانِ^(٢)
 لَمْ يُرْضِهِ الْسَفْ وَلَا الْفَنَانِ
 الضُّدَّيْنِ قَبْلَ الْيَوْمِ يَجْتَمِعَانِ
 وَالْمَجْدُ بَاتَ مُسْهَدُ الْبُنْيَانِ
 أَخْطَاتَ لَيْسَ الْبَحْرُ كَالْخَلْجَانِ
 وَمَنْ السُّمُوعُ فِي عُلُوِّ الشَّانِ
 وَوَفَائِهِ شَهِدَ الْعَدُوُّ الشَّانِي
 حَتَّى وَدِدْتُ بَأْنَ أَكُونَ الْجَانِي
 شَبَّتَ لِطُلَّابِ الْقِرَى نَسَارَانِ
 جَمَعَ الْعِدَى صَالُوا بِكُلِّ يَمَانٍ
 عَاقَبْتِي عَنْهُ نَوَائِبُ الْأَزْمَانِ
 وَالذَّهْرُ قَدْ يَحْضُو عَلَى الْإِنْسَانِ
 وَسَلَّلْتُ نَفْسِي مِنْ يَدِ الْخَدَّانِ
 وَأَجُوبُ سَتَسْبِيهَا بِغَيْرِ تَوَانِ^(٣)
 وَأَرِخْتُ نَفْسِي مِنْ أَدَى الْأَشْجَانِ
 يَتَنَّى عَلَيْهِ بِخَاطِرٍ وَلِسَانِ
 شَطْرًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ

(١) أي مطر مخصب كثير الخير.

(٢) العسف: السير بغير هداية.

(٣) السبب: الأرض المستوية البعيدة، وقيل: الأرض القفر.

جاوزت الجودَ حَسْبَكَ فَسَاتَتْهُ بِالْبَذْلِ وَأَقْصِدَ فِي قَرَى الضَّيْفَانِ^(١)

<٣٧ب>

قد لَجَّ من طول النداء إلى القرى	الداعي وكلت السن النيران
يكفيك فخراً أن دهرك لم يزل	يومين يوم عطا ويوم طعان
يا معشر الشعراء راج نظامكم	بعد الكساد وشدة الهجران
قد كان بعد مديح أحمد مدحكم	في غيره لفظاً بغير معاني
هَبُّوا إليه فهذه أمواله	وقفاً على الوفاء كل أوان
يا مَنْ يرى فضل السَّماع لحاتم	والعدل في كمنرى أنو شروان
دَع ما ترى وانزل حماء مجرباً	تعلم فليس السمع مثل عيان
إن السَّماع نزيل ساحة أحمد	والعدل في بغداد لا الإيوان ^(٢)
الله اكبر يا له من مَفْخَر	ضربت سرادقه على كيوان
يا قادمأ من بعد نزل مُراد	بسعادة وسلامة وأمان
بك أخصبت أرض العراق وامحلت	مذ غابت عنها سائر البلدان
بغداد لم تصلح لغيرك منصباً	فيطيب فيها العيش للسكان
ألقي أزمئها إليك السعد مُذ	نيطت عليك تمائم الصبيان
بقدمكم عزت وعز نزيلها	من بعد طول مثلة وقوان
وافيئها بعد الفساد فصننتها	عن كل رجس مارِد شيطان
لو حثت الأوطان قبلك فارساً	حيثك منها السن الجدران
وورنت دجلة بعد أن فارقتها	وشربت منها فاللقى البخران
لكن بحر نذاك أطيب مَورداً	منها وأروى للفتى الظمان
أكسبتّها يا بحر جودك فاغتدت	منها المياهُ تجود بالطوفان

(١) الضيفان: جمع ضيف.

(٢) يريد به إيوان كمري.

قَسَمًا بِمَا أَوْلَيْتَهُ مِنْ عَزْمَةٍ مَا أَبْصَرَتْهَا الْعَيْنُ فِي إِنْسَانٍ
لَوْلَاكَ عَقْدُ الصِّلَحِ لَمْ يُعْقَدْ وَلَمْ تَبْتَ الْأَنَامُ بِرَاحَةٍ وَأَمَانٍ

<١١٣٨>

خَمُنْتَ نَارَ الْحَرْبِ بَعْدَ وَقُودِهَا بِشَبَا الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الْمِرْأَانِ
دَبَّرْتَ أَمْرَ الدَّوْلَتَيْنِ وَذَلِكَ مَا تَسْطِيعُ تَدْبِيرًا لَهُ التَّقْلَانِ
وَبِحُسْنِ رَأْيِكَ كَانَ ذَا حَتَّى لَقَدْ شَهِدْتَ بِجَسَدَةٍ رَأْيِكَ الْفِتْنَانِ
لَا غَرَوْا إِنْ حَزَّتْ النَّهْيُ كَهَلًا فَقَدْ فُتَّتِ الْكُهُولُ وَأَنْتَ فِي الشُّبَّانِ
أَلَفْتَ بَيْنَ مَلُوكِهَا وَأَرْخَتَ مِنْ طُولِ الْحُرُوبِ عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ
يَا عَيْنُ هَذَا الدَّهْرِ يَا بَحْرَ النُّدَى تَعْدَادُ حُسْنِ صِفَاتِكُمْ أَعْيَانِي
فَالْيَكْهَا بِكَرًا عَرُوسًا غَادَةً مِاسَةً فَضْطَحْتَ غُصُونِ الْبِيَانِ
أَلْبَسْتُهَا حُلَّ الْبَهَا مِنْ مَذْحَكِ الْأَلَى سَنَى فَفَازَتْ فِيكَ بِالرِّضْوَانِ
قَلَّدْتُ مِنْ بَحْرِ الْمَعَانِي جِيدَهَا لَا مِنْ حَصَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتَّ فِي تَجْهِيزِهَا أَرَعَى النُّجُومُ بِنَاطِرٍ يَقْظَانِ
حَتَّى إِذَا زُفَّتْ إِلَيْكَ حَسْبُ بَيْتِهَا حَوَازٍ فَرَّتْ مِنْ رَيْدِي رِضْوَانِ
فَاسْعِدْ بِهَا بِدَوِيَّةٍ تَرْتَاحُ مِنْ ذَكَرِ اللَّوَا وَالْجَزَعِ وَالْكَثْبَانِ
وَيَشُوقُهَا ذِكْرُ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ وَمَلَاعِبِ الْأَرَامِ مِنْ نَعْمَانِ
تَصْبُو لِنَشْرِ الرِّيحِ مَا هَبَّتْ صَبَا وَتَحْنُ بِالْقَيْصُومِ وَالْخُسُودَانِ
وَيَهْجُهَا نَفْحُ الْخَزَامَى غَنَوَةٌ فَكَانَهَا رَتَعَتْ مَعَ الْغَزْلَانِ
كَمْ رَاغِبٍ فِيهَا أَتَاهُ خَاطِبِيًّا فِيهَا فَابَّ بِأَعْظَمِ الْخُسْرَانِ
لَا تَرْتَضِي لَا تَبْتَغِي لَا تَهْتَوِي كَفُّوا سَوَاكَ وَلَوْ أَتَى التَّقْلَانِ
لَأَنْتَ مُخْتَالٌ بِشُوبِ الْعِزِّ مَا هَبَّ النَّسِيمُ مُعْطَّرَ الْأُرْدَانِ

وأنشده المُنلا عبد الله الحريري الكردي^(١) قوله [من الكامل]:

طوبَ الزمان بأشجع الأمراء مستأصل الجبار والأعداء
طارَت قلوبُ المعدي فكأنما جاءت إليهم ملكة الشعواء^(٢)

<٣٨١ب>

ولئن نظرت إلى امرئ فكأنما غشيتَه منك حميئة العوزاء
وكان نجم السعد قد طلعت على كل الوري في طالع الجوزاء
ما زال كل الخلق منذ قدمتهم ظهرت عليهم مثلة اللأواء
بل أنت حادي عشرة لعقولهم لو صحَّ ذا في حكمة الحكماء
يأء ونون كآفكم لتملُّك جاءت ككن في مشهد السوداء
وتجلت الأنفات فينا منكم عادت بها الأنقاط كالبرصاء
ما كان فرد للوري متحملاً للظلم طساخت لفنة التأساء
كالأنس كان الجن قبل بُؤوكم في الأرض مشتاتين بالأرجاء^(٣)
وبدت كما بعد الوجود سماتكم قبل الوجود وجودك الدماء
فلربما سألوكَ زيقاً زخرفاً وأجبتهم بالناقصة الكوماء
لما طلبنا الله غيثاً واسيعاً ظهرت لنا الأغيام في الزوراء^(٤)
لم نغن بالأغيام غير جنابكم فطلولكم تريو على البيداء
إحسانكم عم العسراق وغيره قطرات وبِل الجود في الأحياء
ما كان ذلك الجود غير سجية لكم وللأجداد والأبواء

(١) لم تتحدد لنا هويته.

(٢) شعواء: فاشية متفرقة.

(٣) مشتاتين: متفرقين.

(٤) جمع غمامة غيم وغمائم، فلا يعرف هذا الجمع.

من كان مظلوماً عليه حَرارةٌ للظُّلم أنتم أحسن الأبياء
 ولخمسة الأشياء مُذْ بُلَّغْتُمْ مازال نجمُ النصرِ يزهر على الأنواء^(١)
 أفزَعْتُمْ قلوبَ الأعادي حين صا رت بُهمكم بطلاً على الهِجاء
 أهزمتَ أجنادَ الضلالِ وحزبِهِ إهزامَ جيشِ الشُّركِ بالحصْباءِ
 شَرَدْتُمُكُمْ رَضُ الصُّفوفِ فإنهم لسديد عزمٍ خَلَقَ الفُتُوءَ
 قنطوا من العزِّ الضَّجيجِ قنوطٌ من من بعده التَّابوتِ في الفُتُوءِ
 ما كان عيبٌ فسي العِدَى بِسَيُوفِهِمْ غيرَ أنَّها مُسَوِّدَةٌ بِدِمَاءِ
 إن كُنْتَ في وَعْدِ فَإِنَّكَ مُنْجِزٌ كالصَّادِقِ المَصْدُوقِ في الإيفاءِ
 ما كان مِنْكُمْ من وعْدٍ أنكم اختَرْتُمُ الرُّجْعَى على الإمْضاءِ
 قد كان فيك الحِلمُ حيث قد استوى الرضوانُ فيكم حالةُ البغضاءِ
 لستُ إلا أن أراك بمظهرِ العدلِ العدلِ العزيزِ العالمِ الأسماءِ
 نرجو ونطلبُ من إلهِ العالمين دَوامَ نَوَلَتِكُمْ مَدَى الشُّحْناءِ

مركز تحقيق التراث
١١٣٩ هـ

فصل

[القضاء على فتن الينكجارية]

وفي ثاني يوم الدخول، ضُربَ طَبْلٌ ورَنَمٌ مِزمارِ الحُبُور، وأخذتْ
 بالوزير المَقْخَم، والخليفة المعظَّم، أرباب المناصب، ووجوه الجنود من كلِّ
 جانب، فالبَسَهم الحُللُ الفاخرة، وجلَّلَهم بالفِرا الغامرة، وجلس على نَسِبتِ
 الخلافة، ووطئ بنَعْلِهِ بِساطَ القِيافة والعِرافة، وشرع في التَفْحُصِ عن
 أصحابِ الفُتَنِ، والتَفَتُّشِ عن أرباب الفساد وسائر المِحنِ، إذ كما قَدَّمنا

(١) البيت مختل الوزن.

بغية هذا الإمام، حصلت المعارك في دار السلام، والقتل والرهج، ودفع عن تعدي حدود الله الحرج، فأظفرو برؤساء الينكجيرية فخلق منهم الجبابرة المتمردين، وقتل منهم العتاة المنتهكين، حرمة هذا الدين، ونفى بعضهم عن البلد^(١)، وحصل بذلك الفرح والسرور لكل أحد، ولم يترك منهم إلا القليل، ولم يترك منهم إلا الضعيف الرذيل، فذلت أولاد الحاج بكتاش^(٢) بعد شمسهم، وأقلت بعد اشراق نيران شمسهم، فله نره من

(١) ذكر ياسين العمري في الدر المكنون (الورقة ٢٩٢) أنه في سنة ١١٤٢ تفي أحمد باشا والي بغداد فرقة الأوتزير (الحادية والثلاثين) من الينكجيرية فقدموا الموصل، فأنزلهم محمد أفندي بن علي أفندي وأكرمهم، فنصبوا لهم خيمة على عادتهم، وجعلوا يعملون صفة (أي عرض عسكري) على عادتهم لأهل باب العراق.

(٢) يريد بهم الينكجيرية، فإنهم كانوا منضوين، منذ عهد تأسيس جيشهم، تحست لواء الطريقة البكتاشية، التي أسسها الحاج بكتاش بن إبراهيم بن موسى الولي الخراساني النيسابوري (٦٤٦-٧٣٨هـ/١٢٤٨-١٣٣٧م) أحد كبار الصوفية في عصره، وكان هذا قد قدم إلى الأناضول سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، فذاع صيته، وعرفت كراماته، وانتشرت طريقته، مما دفع بالسلطان أورخان مؤسس الينكجيرية إلى أن يطلب منه الدعاء لجيشه الجديد، ففعل، ومنذ ذلك الحين اتخذ الينكجيرية الحاج بكتاش شفيعاً لهم، وخصصوا لكل فوج من أفواجهم شيخاً (يسمى: بابا) بكتاشياً يقيم معهم في التكية لارشادهم، وكان هذا الشيخ يتقدم الفوج شاهراً سيفه عند السفر للحرب، وقيل أن الحاج بكتاش هو الذي أعطى الينكجيرية علمهم، وهو أحمر يتوسطه هلال أبيض، وهو نفسه العلم العثماني فالتركي فيما بعد. وعند إلغاء للسلطان محمود الثاني الينكجيرية، أمر باغلاق تكايا البكتاشية بوصفها تمثل الغطاء الروحي لذلك الجيش الملغى. كامل باشا: تاريخ سياسي دولت عثمانية ج ١ ص ١٣ ودائرة المعارف الإسلامية، مادة بكتاش.

شجاع بلغ في الشجاعة غايتها، وحصل من الفراسة نهايتها، حيث أذل هؤلاء الينكجريّة بعد قوتهم، وأوهن أصحاب الحميّة <١٣٩ب> الجاهليّة بعد شدّتهم، وهم إذ ذاك آلاف متعدّدة، وجنود مُجنّدة.

[استطراد]

وقد أخبرنا الكهول: أن هؤلاء بأيديهم حكم البلد في أيام العُمّال الأول، لا يقدر على إذلالهم كل عامل بطل، غير هذا الوزير وأبيه، فقد ضرب في هذا الشأن بهما المثل، وتقرّدا في هذا الآن بهذا الأمر الأفضل، وإلا فقد شاهدنا أفعال هؤلاء أيام إسماعيل باشا^(١)، ومحمد باشا^(٢) - كما قدّمنا^(٣) - بل شاهدنا أفعالهم بعد موت هذا الأسد، والبطل الأشد، إذ قد ولّي بعد موته الوزير الحاج أحمد باشا^(٤) المعروف بـ.....^(٥) فأخرجوه من البلد مكرهاً مجبوراً، ونفّوه عنها مقهوراً.

(١) تقدم التعريف به.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) لم يقدم شيئاً من أخبار الينكجريّة في عهد هذين الواليين، ولكن يامين العمري ذكر أن إسماعيل باشا والي بغداد نفى فرقة اليكرمي يدي، يعني السابعة والعشرين، الينكجريّة، فقدموا الموصل، وأكرمهم إبراهيم آغا بن مصطفى الجليلي، وجعلوا يعملون صفة للناس على عاندنهم* (الدر المكنون الورقة ٢٩٤).

(٤) هو أحمد باشا الصدر الأسبق، وقد تولى بغداد من ٢٤ شوال ١١٦٠ إلى أواسط ذي القعدة من السنة نفسها. الأسر الحاكمة، ص ٦٣.

(٥) كلمة غير واضحة في الأصل وغير موجودة في ب.

وقصة ذلك باختصار: أنه لما دخل بغداد (طلبب الينكجريئة منه وظائفهم^(١))، فاعتذر بأنه يرسل إلى السلطان، ويأتي لهم بوظائف، فلم يقبلوا ذلك منه، فنارت الفتنة بينه وبينهم، فصار يوء بالبناق والأطواب، وحاصروه في دار الإمارة^(٢)، وهو أيضاً يضاربهم بجنوده من الصبح إلى المساء، فوقع الصلح بينه وبينهم أنه يرسل إلى الدولة لتعين وظائفهم، فلما صار وقت العشاء الآخرة، دخل المنافقون في البين، فقال بعضهم للوزير الموما إليه: إياك أن تأمن هؤلاء الينكجريئة، فإن صلحهم على وضن^(٣)، ومزادهم أن يهجموا عليك في الليل، فالصواب أن تملأ الجامع المقابل للسراي^(٤) بعسكرك وجنودك حتى تأمن غائلتهم. ففعل الوزير بما أشير عليه.



(١) الوظائف هنا: الرواتب.

(٢) يريد السراي، حيث مقر الوالي والدوائر المهمة التابعة لإدارته. وقد تقدم التعريف به.

(٣) في الأصل: دخن، ولم نر لها وجهاً، وفي ب: وضن وهو ما يوصف بالخفة وقلة الثبات، فأثبتناه لأنه أقرب للسياق.

(٤) هو جامع السراي الذي جده حسن باشا أبو أحمد باشا، في أثناء ولايته، فسمي بجديد حسن باشا، تمييزاً له عن جامع آخر، بناءً وال سابق، اسمه حسن باشا أيضاً في مفتتح القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)، وكان هذا الجامع يعرف قبل ذلك بالجامع السليماني نسبة إلى السلطان سليمان القانوني الذي أمر بتجديده عند دخوله بغداد سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م، وسماه المؤلف في كتابه (تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص ٩١) بجامع للبasha مطلقاً، ونرجح أن يكون هذا الجامع هو نفسه مسجد السلطان الذي أنشأه الخليفة الناصر العباسي في أواخر القرن السادس للهجرة (١٢م) واستمر توارده أخباره حتى نهاية القرن السابع للهجرة (١٣م). وكانت للجامع أهمية خاصة بين جوامع بغداد ومساجدها، نظراً لموقعه المقابل للسراي، فهو مصلى كبارها وأمرائها وباشواتها طيلة العصر العثماني، وشهد - لذلك - تعميرات مختلفة قام بها ولاية عديدون، منهم -

وأما الينكجريّة فقال لهم بعض أهل النفاق: إن هذا الوزير لا نأمنه على أنفسنا، فينبغي أن نحذر منه كلانا، فلما أصبح الصباح رأى الينكجريّة الجامع مملوءاً بالعسكر، فتحققوا أنه يريد المكر بهم، فذهب بعضهم إلى بعض للمشورة وضبط حصون الحذر منه، فعند ذلك قيل للوزير: انظر هؤلاء الينكجريّة! يريدون الهجوم عليك، فارسل من يأتي بصيحة الخبر. فأخبره [أنهم مجتمعون متحزون، فتحقق عند الوزير ما قاله أولئك المنافقون، فثارت الفتنة ثانياً].

ولم يزل يضربون الأطواب، حتى هدموا دار الإمارة، ولم يزل الشر قائماً إلى اليوم الثالث، فأرسل إليهم الوزير: ماذا تريدون حتى أفعله؟ فقالوا بأجمعهم: لا نريدك، وأخرج من البلد! فخرج منها. هذا هو القول الصحيح. وبعض الناس افتروا وكذبوا وأشاعوا أشياء كثيرة لا أصل لها. وعلى كل حال فالباشا والينكجريّة [لا عهد لهم في ذلك، وإنما هو مراد الله تعالى إنفاذه، فسلط المنافقين عليهم، فارجفوا] بالمكر والخديعة^(١).

إبراهيم باشا سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م ونامق باشا الصغير سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م وغيرهم، وما زال الجامع قائماً، وقد عمرته وزارة الأوقاف سنة ١٩٧٣ تعميراً شاملاً. كتابنا: مساجد بغداد ج ١ ص ٢٢٠-٢٧٠ (مخطوط)

(١) ما بين قوسين نقلناه من حاشية الأصل، إلا ما بين عضادات فهو من بأكملنا بسبب نقص في حواشي النسخة المصورة من الأصل، وقد كتب عليه في هذا الأصل (كسف على هذا الاستطراد) وقوله أنه استطراد، يقوم على أساس أنه يخرج عن سياق الأحداث كما هو ظاهر للقارئ، وفي المتن من الأصل كلام طويل ضرب عليه، هذا نصه: (انتسب إليه من أهلها بعض الناس فامتثل قولهم وبقى أفعالهم وأنهم تعهدوا له أن يعرّفوه بسيرة المرحوم، وأنهم يجرون على سنن ذلك المرسوم، للحكم كحكمه، وليتعين بعدله لا بظلمه، فقالوا: إن أردت أن تحكم في الرعية فاكسر أولاً شوكة-

-الينكجرية! فشرع في أذاهم، وبألف في إضرارهم، حتى نَسَبَهُم إلى الرفض والعصيان، وأنهم قوم كفار لا يصلحون لخدمة السلطان. فلما شاهدوا أفعاله، وسمِعوا مقالَه، نر في أصاغرهم عرق الغيرة، وحصل لأكابِرهم من ذلك حيرة، وقالوا: نحن أولو قوة وشدة، وشجاعة وحِدة، مَنْ هذا حتى يتعرّض لنا بضرر، أو يشوب صافي مشرعنا بكتر، وكأنه يريد أن يتخلق <١٤٢> بأخلاق المرحوم، تربت بسداه! إن لم ينزجر قطعنا منه الحلقوم، إذ المرحوم مع قوة مساعدته، وكثرة مساعدته، فله علينا اليد الطولى لا نقدر نجازيه، والنعمة الوافية لا أحد في تلك يجاربه، حيث كان السبب في خلاصنا وخلّص عيالنا من يد العجم ثلاث مرات، والعلّة التامة في إنقاذنا من هلاّتيك المهلكات، ونحن وإن كنا نوي شجاعة ومثانة في هذه الصناعة، فلا نقدر لولاه نحفظ بلدنا، ولا كان لولا تدبيره يسلم منا أحد، فنحن وإن كنا في الحقيقة جند الخنكار، لكننا والحالة هذه عبيد تلك الأسد المغوار، وأرقاء أخلاقه الزاكية، وأسراء مجايده الوافية، فلو قتل جميعنا أو نفى أكثرنا لا نقدر نحاربه، ولا نطيق نحاصره ونضاربه، إذ مع شجاعته التامة له هذه الحقوق علينا وعلى العامة، فمن يكون هذا حتى يروم أن يتخلق بأخلاق ذلك الباسل، أو يسير بسيرة ذلك الكامل؟ فحملت الأصاغر على دار الحكومة، وقامت بينهم الحرب وزدانت الخصومة، وبقي القتال من الصبح إلى الظهر، فأرسل إليهم القرايين كما هو العادة بينهم عند إرادة الصلح، فأبوا وقالوا: لا بد لنا من إخراجِه، وعدم إقراره في لجاجه، فعاد الحرب بينهم ميجال، ثم كسرهم وفرقهم حتى صالحوها عن ذلة، وسالموا حينئذ من أول وهلة. هذا وأما الأكابر منهم فلا رضى لهم بأفعالهم، ولم يصنّفوا قبل إلى مقالهم، لكنه لما كسر شوكة الأصاغر، قال في مجلسه: لا ذنب إلا <١٤٢ب> من الأكابر، فأريد أن أقتلهم أولاً وأبيدهم رجلاً رجلاً، ونلك كان بتزوير بعض أهل النفاق، كذبوا على رؤساء الينكجرية، وتركوهم في هذه الحمية، فبلغهم الخبر مغرب ذلك اليوم، فحرضوا بقية القوم، وأخبروا بحيله وشره، وأنذروا بغائلة مكره. وقيل لهم: إن السلم لا يجديكم بعد إضرار نار المصادمة، والصلح لا يقيكم بعد هذه المحاربة والمقاومة. ثم أنهم عاونوا وتعاضدوا وأقسموا وتعاهدوا على أنهم لا ينفكون عن قتاله حتى يخرجوه، ولا ينفكون عن مضاربتِه ونزاله حتى ينفوه. فسمع الوزير الوالي مشاورتهم، وما تعاهدوا عليه من معاضدتهم ومناصرتهم، ويُلغ بأنهم رجال شجعان، وأبطال فرسان، وأن عندهم ريث الحصى، يعجز عنه الحشد في الاحصاء، وأخبر بأن الذين قاتلوه بالأمس لم يكونوا معشارهم،-

سركان بعض السفلة ولم يكونوا أخيارهم، فجمع في تلك الليلة أعوانه، وأحضر أصحابه وإخوانه، وجعلهم من تحت الظلام فسي دار الحكومة، وأعدّهم للجدال والخصومة. ثم أن الإنكجيرية قالوا: لا نتعرض له بضرر حتى يبادتنا فيه، ولا نشوب صاقيه كدر حتى يبادر إلى تلافيه، لكننا نكون منه على حذر. فلما أصبح الصباح، تاهب الباشا للكفاح، فأشار عليه بعض الناس بأن يأخذ من أيديهم إيج قلعة، وهي حصن محكم داخل البلد، بها الأطواب وسائر ما يصلح للحرب من آلاف البنادق والحراب، وهي مقر سلطان الإنكجيرية، ومغرس شوكتهم القوية. فقبل له: إن ضبطتها حكمت عليهم، ولك الخيار حينئذ بين قتلهم وبين نفيهم بذراريهم. <١٤٢> فقال الباشا: كيف السبيل إلى ذلك وهؤلاء الخدم يخبرون بأنهم قد أصبحوا مجتمعين، واضحوا شاكي السلاح أجمعين؟ فقبل له: ترسل مقدار مائتي رجل منا ندلسهم بزيهم، فإذا دخلوا القلعة سكرؤا بابها، ومسكوا سداتها وأعتابها، وأفنوا من يسكنها ويحطسها، ولا يمكنهم أن يأتيهم المدد من خارج لتسكير الأبواب، ولا يطيق أن يتداركهم العسدد لوجود الأصحاب، فإذا فعل أصحابنا المرسلون ما ذكرنا، ونبر خدامنا المتداركون ما نبرنا، يبقوا في القلعة، ونحن نخرج حينئذ من مكاننا، ونشك أفئدة أولئك الأعداء بطرف سناننا، وليس لهم حصن يأوون إليه، ولا ملجأ يعولون عند الضيق عليه. قال الفقير: لعمري كان رأي هذا القاتل مفساقاً، وما حدث كان أحاديث ضعافاً، بل كان مثله مثل الباحث عن حقه بظلمه، وماله مثال من قطع ندامة إيهام كفه، إذ لما أرسل الوزير المذكور أولئك المتدلسين إلى القلعة، عرّفوا في الأسواق والأزقة وأغلق في وجوهم الباب، ورنوا بالبنادق والحراب، واشتعلت من حينئذ نار الهيجاء، وسُفِكت من الجانبين الدماء، وقامت ليوث أولاد بكداش قيام مضرة، قائلين: ما كل مرة تكسر الجرة! ولم يكن ذلك اليوم منهم أحد إلا وقد تاهب للحرب، واستعد للطنع والضرب، فكسر عسكر الباشا وانحجز الجميع في دار الحكومة، وحاصروا ودامت بينهم الخصومة. ثم أن الإنكجيرية أخذوا <١٤٣ب> سطوح الأسواق والبيوت التي تقرب من دار الحكومة، وشرعوا يضاربون الباشا بالتفأك والطوب الكبير، وركبوا عليه الأطواب من أعالي إيج قلعة، وطفقوا يضربون يحاولون خروجه من البلد وقلعه، وقطعوا عنه كل مأكل، ووصلوه بحبل عن النجاة مبتول، ولم يزالوا يضاربونه حتى هدموا غالب جدران القصر، [و] رموه في ليلة واحدة نحو مائتي طوب. ولما أصبح الصباح ضرب بأضعافها، حتى لم يبق في القصر جدار إلا وقد بقره الطسوب، ولا-

فصل (١)

[عزل وتولية بعض الولاة]

وقد عاضدَ هذا الوزير في حصاره عضدَ الوزير المنصور، وساعد النَّدب الجَسور، الأمير محمد باشا، والأمير سليمان باشا^(٢)، فبذلاً جُهدهما في الواقعة الأولى، ولكنهما في الثانية حَصَرُوهُمَا^(٣) الينكجَرِيَّة في

-حجرة إلا وقد أوهنها هذا. وأما الباشا فيبدي الجلد، ويخفي الكمد، ولم يزل يضاربهم، ولم يبرح يحاربهم، إلى قبيل ظهر [اليوم الثالث من حصاره، فلاح عليه خوف انحصاره، فأرسل إليهم بعض خواصه يطلب منهم الصلح على شرط أن ينقصاد لأوامرهم، ويحكم على مقتضى ما يجري على خواطرهم، فأبوا إلا إخراجهم، وقالوا: إن بقي اليوم، قطعنا منهم الحلقوم، وأخلينا رأسه من العمامة، وأقمنا عليه القيامة، فرجع رسوله إليه، وخبره بما عولوا عليه، فأرجعه إليهم بأنني أجيبكم على الخروج، لكن أعطوني نعاماً على أنكم لا تؤذوني إذا خرجت في طريقي. لكن أرسلوا إليه أن لا يخرج من طرفهم، بل يجعل نفسه في زورق ويذهب إلى بستان الباشا، وكان نازلاً بها ذلك اليوم الحاج أحمد باشا الإيلجي والتي بغداد الآن، وتعهد له بإرسال أثاثه وخيله ورجاله وسائر عساكره <١٤٤> من على الجسر. قال الفقير: كنت وأنا عمي (كذا ولعله: أنا وعمي) ذلك الوقت على شاطئ من ناحية الجانب الغربي تتفرج كما يتفرج الناس، فأبصرناه قد نزل في الزورق، وسير محانياً شاطئ الجانب الغربي خوفاً من الينكجرية حتى وصل إلى البستان المذكورة، فأضافه الوزير إيلجي باشا، وآواه إليه هو وجرمه، حتى اجتمعت عساكره لديه فعبر بهم من الشريعة البيضاء إلى الجانب الشرقي، وتأنى بعض الأيام يرجو أن يصلحوه، وأن يسالموه، فيرجعوه، فأبوا ووضعوا مكانه رجب باشا، وكان تابعاً إيلجي باشا في الذهاب إلى المعجم، إلى أن يأتي الخبر من الخنكار، حيث كتبوا إليه هذه القضية، وأخبروه بهذه الواقعة الجليلة).

(١) هذا الفصل داخل في نطاق الاستطراد، كما سماه في هامش الأصل، لأنه يخرج عن السياق الزمني للأحداث.

(٢) وصفه كل منهما بالأمير يريد به أنهما كان يحوزان رتبة (مير ميران).

(٣) يريد: حصرهما، أو حصرتهما.

بيوتهما، وغلّقوا عليهم الأبواب، ووضعوا عليهم الحُجَّاب، ولم يُمكنوهم من الخروج حتى رحل هذا الوزير من بغداد.

فبعد أيام ورد البريد من السلطان بتولية منصب بغداد لإيلجي أحمد باشا^(١)، ورحيل رجب باشا^(٢) إلى الدولة. وقد كان - كما قدّمنا - صُحبة الوزير المذكور رسولاً إلى العجم، فلما <٤٤ اب> دخلا بغداد وتوجها إلى أراضي فارس، مات النادرشاه^(٣)، فرجعا إلى بغداد، وأرسلا إلى الدولة بخبر وفاته، وإنهما ما يعلنان بالهدايا التي معهما وقد صادف قدومهما إلى بغداد قدوم رسول من نادر شاه إلى الدولة معه هدايا أيضاً. فأرسل الوزير المذكور المرحوم بخبره، فأتى الخبر بأبقيتهما في بغداد، وإبقاء رسول العجم إلى أن ينتظم أمر الفرس ويُصبوا شاهاً، فنقبَل هديتهم، ونُرسل إليهم هديتنا.

فحصل بعد موت الشاه المذكور اختلال عظيم في بلاد العجم، ولم يستقر شاه منهم على كرسي الحكم، حتى تُرسل الهدايا، فبقي الأمر كذلك

(١) هو الوزير الحاج أحمد باشا الكسريه لي، تولى البصرة أولاً ثم تولى بغداد في أول سنة ١١٦١هـ وعزل عنها في ١١ ذي الحجة من السنة نفسها. وكان يتصف بالمقدرة العلمية ورجحان العقل، إلا أن عهده اتسم بتمرد الينكجيرية، على ما وصفه المؤلف. وقد صدر فرمان نقله بعد ذلك إلى مرعش، لكنه توفي في بغداد قبل سفره سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م. عرف بإيلجي، بجيم فارسية مثلثة، وهي كلمة تركية بمعنى سفير مفوض، أو مبعوث فوق العادة. وينظر دوحة الوزراء ص ٩٩.

(٢) سيعرف به المؤلف فيما يأتي.

(٣) كذا كتبها، والصحيح: نادر شاه. وكانت وفاته في ١١ جمادى الآخرة سنة ١١٦٠هـ/١٩ حزيران ١٧٤٧م.

حتى مات هذا الوزير العظيم، وحصل هذا الاختلال المذكور، فحصل ما
قدمنا ذكره.

ثم بعد أيام ورد البريد من السلطان بتولية الأمير محمد باشا منصب
شهرزور، وقد هنا الفقير بأبيات، قولي^(١) [من الطويل]:

لك البشر في فخر وعز وسود	ومجد على العيوق سام مؤطد
لك البشر هذا طالع السعد قد بدا	يلوح بأفق المجد كالمؤقد
لك البشر هذا الدهر وإفالك طامعاً	واقبل منقاداً بفخر مجدد
وجاد بما قد كنت ترجو وقوعه	وافصح فيما جاد عن كل مقصد
ونلت رضا الخنكار من حيث لم تزل	تفوق كمالاً سيّداً بعد سيّد
فوليت كركوكاً ولو كنت والياً	على الشام أو مصر العزيز وثهمد
لكان حقيراً جنب قذرك إذ له	منصة مجد وطئت فوق فرقد
ولكن بشري إنها الطليعة لـ	وزارة فحقاً ستأتيك في غد

مرزوقية شهرزوري

وتلبس منها حلة الفخر مارجاً ^(٢)	وتسكن منها محتداً أي محتد
لقد أمنت كركوك صولة غابر	بكم وغدت منكم بحصن مشيد
وصينت عن الأرجاس مذ حل عدلكم	[كان] اعترتها نشوة المتعربد
وتاهت فخاراً حيث باهت وقد غدت	كبغداد في أمن بأيسام أحمد
فأمست ونور العدل يجلو ظلامها	ويقضي على ظلم السورى بالتبذد
فغرّد قمري السرور لدى الهنا	على فن الأفراس أنهى تغرّد
وصار على الأفاق يتلو مغرّداً	لبي شهرزور مجد عدل محمد

(١) ديوانه ص ٧٧.

(٢) كذا في الأصل، وفي الديوان (صادحاً).

وهنا أيضاً أخي الشيخ محمد سعيد^(١) بأبيات هي مذكورة في ديوانه، وقد ذهب إلى الحج، فلم تحضرني.
ثم بعد أيام، أتى البريد من السلطان أيضاً بتولية منصب البصرة للوزير سليمان باشا^(٢).

رجع

[وفود القبائل]

ثم أن الوزير الأكبر، والشهير الأشهر، بعد استيلائه على بغداد، وفدت عليه الوفود من الأعراب والأكراد، فأجزل لهم العطية، واخلسع^(٣) عليهم الخلع البهية، لكن الخائن من أكابر الأعراب لم يفد عليه، بل تعذر بأعذار، فمنهم من أرسل ولده، ومنهم من أرسل أخاه، ومنهم من لم يرسل شيئاً.

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

(١) هو أخو المؤلف الأوسط، ولد سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨م، وأخذ العلم عن والده الشيخ عبد الله السويدي وغيره من أعلام عصره، ثم قصد الشام ومصر، فاستجاز بعض علمائها، ومنهم السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، وكان حافظاً للحديث، له شعر، وكتب. توفي سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م. تنظر ترجمته في محمود شكري الألويسي: المعك الأنفس ص ٧١-٧٣ والبغدادي: هدية العارفين ج ٢ ص ٣٥٢ وعبد الحميد عبادة: العقد اللامع في المساجد والجوامع، الورقة ١١٧، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأمر العلمية في بغداد ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) في دوحة الوزراء ص ٣٩: المير ميران سليمان باشا، ومير ميران رتبة عسكرية إقطاعية مأخوذة من العربية ومعناها أمير الأمراء، وبالتركية بكربكي، أي بك البكوات.

(٣) في الأصل: أخلع.

فمن جملة من وقَّد عليه مَوْح بن شيخ عبد القادر شيخ بنسي لام مقدماً عذْرَه في عدم مجيء والده بأنه مريض لا يستطيع الركوب على ظهر الفرس. فقال الوزير: أما إنه مريض القلب فنعم! وأما أنه مريض الجسد فلا. وألبس مَوْحاً حُلَّة فاخرة، وقال: اذهب إلى أبيك، دعه يأخذ جذْرَه! وسبب ذلك أن هؤلاء العشيرة بعد عزْل الوزير المذكور، لم ينقُذ أحد منهم إلى طاعة، ولم يسلك على صراط أهل السنة والجماعة، بل أبوا إلا العصيان <٤٥٤ ب>، ومعاملة أهل القرى بالهوان، حتى إن أهل القرى التي في الجانب الشرقي من دجلة سلّموا إليهم زروعهم كي يسلموا على بعضها، من قبيل استيْداع المتاع عند اللص خشية أن يسرقه.

ولم يزل يسمّع الوزير بهم هناك، حتى أنه ليود أن تطوى له الأرض حتى يكسر شوكتهم، ويردّ عن المسلمين صولتهم، فركب عليهم بخميسه المشهور، وقصدهم بحزبه المنصور، مضيفاً إليه بعض عشائر الأكراد، وبعض الحلفاء من أطراف بغداد، وهم إذ ذاك نزول في مكان يقال له علي الظاهر^(١)، سُمي باسم صالح قُبر فيه قريباً من البصرة، أو بينها وبين بغداد، وكانت البصرة تحت حكمه ذلك اليوم.

(١) هكذا ضبطه المؤلف، ويرى المرحوم عباس العزاوي أنه المرقد المسمى دفينه اليوم بعلي الغربي، (تاريخ العراق بين الاحتلالين ج ٥ ص ٢٥١). ويقع هذا المرقد في مقاطعة الهورة والشمريات على ضفة نهر دجلة الغربية، ويبعد عن مركز مدينة علي الغربي، التي نسبت إليه، بمسافة كيلومترين، وقد شهيد مرقده عام ١٩٥٧م، وقيل أنه علي الغراب بن يحيى بن علي بن محمد من ذرية زيد الشهيد بن علي للمجاد بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). ينظر: عقيل عبد الحسين المالكي: ميسان وعشائرها، بغداد ١٩٩٢م، ص ٤٧.

وقد أُخْبِرَ بأن أمير السُّفُن موسى باشا المُعَبَّر عنه بِقَبْدان باشا^(١)، حصلت منه بعض الخيانة، فأراد عزَّله^(٢)، ولكن خَشِيَ أن يَعصي بالسفن والمراكب، ويهرب إلى البحر، فأرسل إليه كتاباً مضمونه يشكره على حُسن تدبيره أمر السُّفُن، ويحمد جميع صنيعه بعده، وأنه يأتي بالسفن التي في البصرة يُقابل الوزير، والوزير بها لحَمَل الأمتعة وآلات الحرب. فلما بلغ ذلك الخَبَر، فرح بذلك الكتاب واستبشر، وسار بالفلك على عَجَلَة مائلاً

(١) قبودان تركية معربها: قبطان، يقصد به قائد الأسطول، وقد ذكر الرحالة نيبور الذي زار البصرة سنة ١٧٦٦ أن القبودان كان يعين من السلطان مباشرة، وهو من ذوي الرتب الكبيرة، ولديه ما يتراوح بين ٥٠ إلى ٦٠ تكنة، وهي سفن عسكرية، وأن واردات المقاطعات الكبيرة في كل من بغداد والبصرة تخصص له لتأمين نفقات هذا الأسطول وما يلزمه من الأفراد، ولكنه أصبح فيما بعد تابعاً لوالي بغداد مباشرة، وسياق ما ذكره المؤلف هنا يدل على أن القبودان أصبح في عهده تابعاً بصفة مطلقة للولي أحمد باشا، فهو الذي يعينه ويعزله في الوقت نفسه. ينظر مشاهدات نيبور من البصرة إلى الحلة، ترجمة معاد هادي العمري، بغداد ١٩٥٥، ص ١٣. وتضيف الوثائق الرسمية العثمانية المعاصرة إليه لقب (باشبوغ) وهي لفظة تركية تعني رئيس العسكر (معجم الدراري اللامعات ص ١٠١) وفي دوحه الوزراء أن موسى باشا كان والي البصرة، والصحيح ما ذكره المؤلف.

(٢) لم يذكر وجه خيانتته، وفي الواقع فإن أمر القبض عليه لم يكن لأحمد باشا، كما ذكر المؤلف، وإنما كان صادراً عن الدولة مباشرة، ففي الأمر الموجه إلى أحمد باشا المؤرخ في أواسط شعبان ١١٥٠ هـ نقرأ أنه يتوجب عليه إرسال موسى المذكور، الموجود آنذاك في بغداد، إلى الترسانة العامرة باستانبول (دفتر مهمة ١٤٣ ص ٢١٠). وكان موسى هذا قد أبلى البلاء الحسن مما استحق أن يقره السلطان غير مرة في منصبه، وأن يُلطفه بسبب "حسن تقديره بأعباء مهمته" (دفتر مهمة ١٤٠ ص ١٢٣ في أوائل ربيع الأول ١١٤٧ هـ).

واسيع دجلة. فلما أتى إلى الوزير قبض عليه وسحبته، وعزله من منصبه، ووضع مكانه القيدان إبراهيم باشا. <١٤٦>

ثم أنه سار في البر، والسفن تجري على سبيله في البحر، لتكون حاضرة عند الحاجة إليها للعبور، وحمل الأمتعة والذخيرة والأسلحة. وهذه السفن ليست كغيرها، بل هي على هيئة مركب صغير فيها الأطواب والتفك وسائر آلات الحرب، ولها إناس معينون يقال لهم الفرقنجية^(١)، ولكل سفينة كبيرة موظفة لهم الوظائف من الخنكار، مهياة للحرب لكنها ربما تحمل التجار بإذن الوالي. فلما سمع بنو لام بسير الوزير، وأنه قوب وكاد أن يبلغ أخبيتهم، وقارب أن يصل أنديتهم، أبعادوا عيالهم وأموالهم، وقصدوه على ظهور الخيل، وقابلوه بسواد يقوف على سواد الليل، قائلين: إن عيالنا قد بعثت في البداء، فنحن مخيرون بين الفرار وبين الثبات في وطيس الهيجاء، فقابلوه راجعين إليه عن مكانهم مقدار ثلاثة أيام.

فلما تقابل الجمعان، وقارب أن يبرز من الجانبين الشجعان، ابتدرهم الوزير بالنزال، وقابلهم في المجال، وهو إذ ذاك متلثم بلامته، متقلد عقبه، معتقل بصعدته، فكر وقر وثبت وما قر، وقابله كما هي العادة فارس في الدلاص غاطس، فجال معه جولة، ثم حمل عليه حملة، فطعنه بليقة، وقضى عليه بالموت من ساعته. ثم نزل إليه آخر، فهرب من بين يديه هرب ابن أوى من بين يدي الأسد. ثم حمل عليه اثنان فارسان على

(١) جمع فرقنجي، وهو البحار، لفظ تركي مركب من (فرقته - سفينة ذات ثلاثة صوار، أو بارجة) وأداة النسبة (جي).

استعداد للطعان، فجال معهما وصال، وحاول أن يَحُول بينهما وبين
الآجال، فقتل أحدهما، وطعن الآخر، فرجع هارباً وأدبر.

هذا، والعسكر صفوف ينظرون، والجنود وقوف يُبصرون. ثم بعده
حمل من العدو الميمنة، فقابلتها إعانة للأسد الميمنة أيضاً. ودام قلق
البيض في الجماجم، وطعن اللدان اللهازم، حتى جالت من <٤٦ ب>
العدو الميسرة، فقابلتها من العسكر الميسرة أيضاً. ثم صال من العدو
القلب، وصال من العسكر القلب أيضاً. ثم صالت من العدو الساقة،
فقابلتها من المسلمين الساقة. ثم التحمت الجموع، واحتكم في الهام البارق
اللموع، وحمي الوطيس، على ليوث العريس، وبطل عمل الأسمر للتقارب
والإتصال، واشتغل إذ ذاك الخنجر، وكسرت من الجانبين النصال والنبال،
فحف جند الوزير بنصره، فهرب الأعداء من بين أيديهم، بعد أن قُتل منهم
الجمع الكثير، والجَم الغفير.

ثم أن الوزير تبعهم بجنوده، وقصدهم بضياغمه وأسوده، حتى بلغ
الخيام، فأحسوا بالبوار أولئك اللثام، وأرسلوا إليه رجالاً يسترحمونه،
ويبذون التوبة ويستعطفونه، ويرجون منه أن يرجع عن عيالهم، ويثوب
عن أموالهم، وهم يؤثون الخراج أجمع، والمصرف الذي صرقه على
العسكر من يوم خروجه إلى أن يؤوب إلى بغداد. فأجابهم الوزير إلى
ذلك، ووضع عندهم كاتب الخزانة، ومقداراً من العسكر يتسلمون الخواج،
والذي شرطوه على أنفسهم.

وَرَجَعَ بِالْبَقِيَّةِ مِنَ الْجُنُودِ إِلَى بَغْدَادَ، وَقَدْ بَرَّدَ بِمَا فَعَلَ بِهِمْ غَلَّةَ
 الْفُزَادِ. وَكَانَ رَجُوعُهُ عَنْهُمْ غُرَّةَ الْمِئَةِ الْخَمْسِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(١)، وَقَدْ
 هَنَأَ الْمُسَيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ^(٢) بِقَصِيدَةٍ فِيهَا تَارِيخُ الرَّجُوعِ، وَهِيَ قَوْلُهُ [مِنْ
 الْخَفِيفِ]:

فَرَحَ الْكَوْنُ وَاسْتَفَاضَ سُورُوا وَغَدَا لَهُمْ مَبْعَدًا مَقْهُورَا

<١٤٧>

حَلَّ قَطْرَ الْعِرَاقِ بِشَرٍّ وَلَمْ يَنْ تَرَكَ الْبَرَّ مُخَصَّبًا مَعْمُورَا
 بَعْدَ أَنْ كَانَ بِالْكَاتِبَةِ وَالْحُزْنِ وَبِالْخَوْفِ وَالْجَقَا مَغْمُورَا
 مِنْ حَقَاةِ غُرَاةِ أَغْرَابٍ سَوْءٍ قَاطِعِينَ الطَّرِيقَ قَهْرًا وَزُورَا
 نَاهِبِينَ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ مُرْهِقِي نَفْسٍ مِنْ يَرُومٍ مُرُورَا
 هَوْلَاهُ الْأَعْرَابُ أَعْظَمَ كُفْرًا وَنَفَاقًا مِنْ غَيْرِهِمْ وَشُرُورَا
 هَمَّ لَيْلَامُ بَنُو لَيْلَامٍ وَلَكِنْ كَفَرَهُمْ ثَابِتٌ شَهِيرٌ دُهِورَا
 هَمَّ طُغَاةُ بُغَاةِ أَهْلِ أَرْبَعَادٍ مَا تَرَى مُسْلِمًا لَهُمْ بَلْ كَفُورَا
 رَكِبَ الْفَاتِحُ الْمُغَازِي عَلَيْهِمْ جُنْدُهُ الْعِزُّ لَمْ يَزَلْ مَنْصُورَا
 كَاسِرُ الْفُرسِ قَامِعُ الرُّقُصِ قَهْرًا صَيْتُهُ فِي الْأَقْطَارِ أَنْشَا قُصُورَا
 الْوَزِيرُ الْهَزْبَرُ لَيْثٌ عَرَبِيٍّ جُودُ كَفَيْهِ قَدْ غَدَا مَشْهُورَا
 عَالِمٌ فَاضِلٌ خَبِيرٌ بِصِيرٍ نِكَرُهُ قَدْ مَلَأَ الْفَلَاحَ وَالْبُحُورَا
 فَرَمَاهُمْ بِالْكَتْخَدَاءِ سَلِيمَانٍ شَجَاعًا مُدَبِّرًا وَغِيُورَا
 فَجَاءَ الْقَوْمُ بَخْتَةً وَأَتَاهُمْ بِجُنُودٍ تَرَى الْغَزَاءَ سُورَا

(١) الموافق الأول من أيار سنة ١٧٣٧م.

(٢) هو عبد الله أمين الفتوى، وقد تقدمت بعض قصائده.

فأحاطوا بالقوم من كل فج
وسقاهم كأس المنيا فاضنحوا
تركوهم في الأرض صرعى فكانوا
نزل الغيث إثر ذا بعد حبس
لم يصابوا بمثلها منذ دهر
هات مثل الوزير أحمد مولى
فمحمد أتى بفبي سليمان
دام في دولة تسامي الثريا
منعواهم إلى النجاة عبورا
لم ينالوا من الأراجي قبورا
بعد ذاك الطغيان قوما بورا
زفت الأرض منه أبدت زهورا
لم تشف الولاة منهم صدورا
حاكما حاسما شجاعا جسورا
كان حقاً في ذا الغزا ماجورا
وعدها في الأرض تدعوا ثورا

<٤٧٠ ب>

كان غوثاً ربّي له ومعيناً
لينال الوري بطل جمّاه
قال حسّانه القديم ومبطل الشيخ
جاء في ذا الغزا والفتح بشري
وحيّاه عمراً طويلاً دهوراً
خفيض عيش وراحة وحبوراً
قطب الوري غدا مشهوراً
حيث تاريخه: أمانا شرورا^(١)

فصل

[توطيد الأمن]

ثم إنه بعد رجوعه إلى بغداد، دلت جميع العرب، وقلب كل من
سَطَوته وهيبته وجب، فرعى الذئب مع الشاة، حيث أمن الناس بحلوله
صولة الإعراب والشاه، ووقف الشعراء على بابه، ومشى الدهر بركابه،

(١) مجموع أقيام العبارة: ١١٥٠ هـ.

فامتدحه مَتَرَقُداً إِيَّاهُ، راجِياً الِاتِّفَاتِ إِلَيْهِ - وقد كان مُعْرِضاً عَنْهُ - بعض
الشعراء بقوله [من البسيط]:

يا مَنْ أتى غُرَّةً في الأعْصَرِ للذُّهَمِ وفاقَ أهلِ النُّهى في الحُكْمِ والحُكَمِ
يا أحمدَ الجُودِ والإحْسانِ يا أُملي يا كعبةَ الفضْلِ والإفضالِ والنَّعمِ
يا عِقدَ جُودٍ وجودِ الخَيْرِ أجمعه يا قُطبَ دائرةِ الحاجاتِ للأُممِ
يا والياً عَمَّ بالألطفِ قاطِبَةً الخاصَّ والعامَّ ثمَّ العُربَ معَ عَجمِ
يا بحرَ جُودٍ تَغَارُ المِزْنَ مِنْهُ وَمَنْ يَسْتَرْفِدُ الجودَ مِنْهُ الجودَ معَ كَرَمِ
يا طَرْفَ طَرْفٍ ذَوِي الإحْسانِ مَعَ نَسَبِ يا ناصِحَ الخَلْقِ في الأفعالِ والكَلِمِ
يا مَنْ إذا السُّحبُ لَمْ تَسْمَحْ بِدَرَّتْها فاضَتْ أناملُهُ أُنْدَى مِنَ الدَّيَمِ
انْخَلَفَ النُّوءُ لَمْ تَخْلُفْ نوائِلُهُ يا مَنْ إشارَتُهُ تُشفي مِنَ اللَّيَمِ
يا جَهَنِّداً مَدَّ مِنْ إحْسانِهِ كَرَمًا ظِلًّا على مَقَرِّ الأَيامِ والأُممِ
مَنْ حاتمُ الجُودِ مَنْ مَعَنُ بَنُ زائدةً؟ أَنْتَ الجَسَّادُ وبِساقي القُومِ كالعَدَمِ
يا أحلمَ الناسِ ما حَلِمَ ابنُ سِجادةٍ يا زاكِي الأَصْلِ والأفعالِ والمُسَيِّمِ

<٤٨١>

يا مَنْ سَجِيئَتُهُ بِالْجودِ قَدْ جُبِلَتْ في صُلْبِ آدمَ بِلَ في عِلْمِ ذِي القَدَمِ
إِنِّي تُجَرَّعْتُ مَرَّةً الصَّدُّ مَعَ غُصَصِ المَوْتِ أَهْوَنُ مِنْها يا جِلا الظُّلَمِ
وقَدْ أَوَيْتُ إِلَيَّ الرُّكْنَ المَنِيعَ وَلَنْ يَخِيبَ مَنْ يَقْصِدُ الإحْسانَ مِنْ عِلْمِ
ما لِي إِلَيْكَ شَفِيعَ اسْتَعِينْ بِهِ إِلَّا الشَّفِيعَ وَحُسْنَ الوَجْهِ مَعَ رَحْمِ
وقَدْ تَوَسَّلْتُ بِالمَخْتارِ مِنْ مُضَرٍّ ثُمَّ ابْنِهِ سَيِّدِ الأَقْطابِ والأُمَمِ
فامْنَنْ عَلَيَّ بِما عَوَّدْتَ مِنْ سَلَفِي فَإِنَّ نَلِّي غَطَّى نَلِّكَ الصَّنَمِ
هَبْنِي اسْتَرْفَتْ نُنُوباً لا عِدَادَ لَهَا فَقَدْ أَتَيْتُ جَواداً عَمَّ بِالنَّعَمِ
يُعْطِي المَوْمِلَ ما يَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ سَخاً وراحتَهُ أُنْدَى مِنَ الدَّيَمِ

فاسأل الله أن يختصه كرمًا بما يؤمله من فضله الغيم
 من كل لطف وخير غم نعمهما على البرية من غريب ومن عجم
 ثم الصلاة على أصل الخلق من نور العرش والكرسي مع القلم
 والآل والصحاب والأتباع قاطبة أهل النقي والنفس والجود والكرم

وامتدحه شاعر سر من رأى^(١)، وقد وفد عليه يستمنحه فرساً، بقوله

[من البسيط]:

طاب امتدحي بمن جئت مكارمها ومنهل منزع عذب مطاعمه
 مميّز بولكار زاله نظره وفضله عجزت عنه تراجمه
 في كل أفعاله يسمو أماله ونيله غامر من جاء قائمه
 أنى أشرف مدحي في حماء كما يشرف السدر زهراً حل ناظمه
 سخي طبع يحسن الخلق متصيف إذا جريح أتى جانت مراهمه
 قد كان حلق في عصر له ومضى وعصرتنا غير شك أنت حاتمته
 وصبح وجه بهي منك مبتلجاً يشفي برويته من كان يالمه

<٤٨٨>

متهم الإعالة مع نكد الزمان اذا تاجع الطبيب نفحاً فهو ناسمه
 يكفك شاور على العلياء فاقتها بحسن رأي وتبشير ملازمه
 وفي الحزنية فتاك له همم وكل حزب قوي فهو ثالمه
 حتى أطاع له من خوف مسطوته ونل من بعد عز كان راغمه

(١) سيأتي في قصيدته أن اسمه هو (مصطفى)، وأنه كان يعمل خالماً للحضرة العسكرية في سامراء. ولم نقف على ترجمته.

قُرْتُ بِهِ عَيْنَ بَغْدَادٍ وَسَاكِنَهَا
جَمَلْتُ قَدْرَ مَدِيحِي فِيهِ مُرْتَجِيَاً
هَذَا ذَلِيلٌ أَتَى وَفَدَاً إِلَيْكَ وَقَدْ
فَمُصْطَفَى خَادِمِ الْأَطْهَارِ مِنْ صِغَرٍ
فِي حَالَةِ الْكَيْزِ رَاجِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِ
إِلَى وَزِيرٍ جَلِيلٍ زَادَ مُرْتَقِيَاً
فَاخْمَدُ اللَّهِ شُكْرًا فِي وَلَاهُ لَنَا
يَا رَبُّ بِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَالْأَلِ وَالصُّحْبِ جَمْعاً هُمْ وَسَيِلَتْنَا
تَقِيهِ مِنْ غَدَرَاتِ الدَّهْرِ فِي دَعَاةٍ
وَتَلْقَاهُ فِي مَقَامِ عَامِرٍ رَجَبٍ
ثُمَّ الصَّلَاةُ بِمَحْمُودِ السَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَا تُخْصِي مَعَالِمَهُ

مركز تحقيق كتب التراث

وَلَمْ يَزَلْ - بَقِيَّةُ هَذِهِ السَّنَةِ - مَغْمُوراً بِالْمَسَرَّاتِ، مَعْمُوراً قَصْرَهُ
بِالْخَيْرَاتِ. وَلَطِيبَ خَاطِرُهُ، يَخْرُجُ لِيَسْرَحَ نَاضِرُهُ، كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ،
بِجَمْعِيَةِ الْخَمِيسِ إِلَى صَحَارَى بَغْدَادَ، ذَاتَ الْكَلَأِ الْأَخْضَرِ، وَالنُّورِ الْأَصْفَرِ،
وَالرَّبِيعِ الْمُرْبِعِ، وَالْمَاءِ الصَّافِي النَّمِيرِ مِنْ أَتْهَارٍ، وَغَدِيرٍ فَيَنْصَبُ لَهُ خِيْمَةٌ
وَيَلْعَبُ أَمَامَهُ تَارَةً عَلَى الْخَيْلِ وَتَارَةً بِالنَّبْلِ وَتَارَةً بِالْبِنَادِقِ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ
فَيَعُودُ إِلَى مَكَانِهِ وَيَرْجِعُ مَعَ أَصْحَابِهِ وَأَخْدَانِهِ.

فصل

[تبادل أسرى الجانبين]

وفي هذه السنة، قَدِمَ عليه من طَرَفِ النادرِ شاهِ رسول^(١) إلى الدولة العثمانية، صُحْبَتَهُ كِتَابٌ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ، وَكِتَابٌ إِلَى السُّلْطَانِ، مَضْمُونُهُمَا أَنَّ الصِّلَحَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - قَدْ تَمَّ نِظَامُهُ، وَأُحْكِمَ التَّنَاقُصُ، وَلَكِنْ بَقِيَ فِينَا وَفِيكُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ، إِنْ رُفِعَ مِنَّا وَمِنْكُمْ كُنَّا إِخْوَانًا، لِكُلِّ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا لِلْآخَرِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِ، أَلَا وَهُوَ إِطْلَاقُ الْأَسَارَى مِنَّا وَمِنْكُمْ، لِنَتَمَّ الْأَلْفَةَ وَالصُّحْبَةَ، وَتُحْكَمَ الْمَوَدَّةُ وَالْمَحَبَّةُ، فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ إِلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ، خَرَجَ الْوَزِيرُ إِلَى اسْتِقْبَالِهِ، وَنَصَبَ لَهُ الْخِيَامَ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَعَبَّرَهُ إِلَيْهِ بِالسُّفُنِ وَالْمَآخِرِ^(٢)، وَعَمِلَ لَهُ الضِّيَافَةَ، وَدَخَلَ بِهِ بَغْدَادَ ظَهْرَ يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمٍ هَذِهِ السَّنَةِ^(٣).

فصل

[ثورة البلباص]

وفي هذه السنة، ظَهَرَ - كَمَا قِيلَ - مِنَ الْبَلْبَاصِ^(٤) الْعِصْيَانُ. وَأَخْبَرَ الْوَزِيرَ بِأَنَّهُمْ تَحَصَّنُوا بِالْجِبَالِ الشَّامِخَةِ، وَاعْتَقَلُوا فِي كُلِّ قُنَّةٍ^(٥) بِأَذْحَةِ، وَأَنَّ

(١) فِي الْأَصْلِ: رَسُولًا، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ.

(٢) يَرِيدُ الْمَوَاقِرَ، وَهِيَ السُّفُنُ الَّتِي تَمُخِرُ عِبَابَ الْمَاءِ.

(٣) وَيُؤَافِقُ ٩ أَيْلَارَ ١٧٣٧ م.

(٤) الْبَلْبَاصُ عَشِيرَةٌ كُرْدِيَّةٌ بِمَنْطَقَةِ أَوْشَنُو - رَوَانْدُوز - رَانِيَّةٍ. يَنْظُرُ مُحَمَّدٌ أَمِينُ زَكِي:

خِلَاصَةُ تَارِيخِ الْكُرْدِ وَكُردِستَانِ ص ٣٧٠.

(٥) قُنَّةُ الْجِبَلِ: قِمَّةُ.

خيلهم ورجالهم ينهبون القوافل، ويقطعون السبل في المراحل، مع قتلهم
النفس، وأخذهم النفيس. قشق هذا الفعل النحس على الملك الرئيس. هكذا
نقل.

والصواب: أن الوزير غزاها لأمر أداه إليه اجتهاده، وإلا فهم
رجال شافعية <٤٩١ ب>، ذوو غيرة في الدين وحمية، أكثرهم طلبة علم
وأصحاب جوامع ومدارس، وأماكن أعدوها للضيفان، وكل تلك أخينة
تحمل معهم حيث ساروا، ولكن كما قال أهل التصوف: في الحاكم سر من
أسرار الله لا يعترض عليه بشيء، لعدم الاطلاع على حقيقة الأمر.

ثم أنه سار إليهم بخميس مرعب، وجعل مرهب. ولما بلغهم خبر
قدومه، أحكموا حصنهم، وقابلهم الفرسان منهم للجهاد، فلم يلبثوا إلا شيئاً
قليلاً وهربوا. وحاصر الباقين^(١) في قلل الجبال، يضربون العسكر بالبندق
والنبال، لكن الوزير معود على هذه الأمور، لم تزدعه الحصون، ولم
تمنعه دون مقصوده قصور، بل أغار عليهم خيلاً ورجلاً، ولم يهب بندقاً
ونبلاً، وصعد بعسكره الجبل، وقصم منهم كل بطل. ويقال: أن النساء
قاتلن قتلاً شديداً بضرب البندق والنبال، بحيث حموا أنفسهم من غائلة
العسكر.

ثم أنه حين دخل بغداد، أخبر بأن عرب الجانب الغربي شرعت في
الفساد، لكنهم متفرقون في الضياع والقرى، وفي الليل يخرجون فينهبون
قوافل الوري، وقد حالفوا أهل الضياع على أن يشركوهم بما يغتيمونه من

(١) في الأصل: الباقون.

المتاع، فوجه سرية أمر عليها كتحذاه سليمان باشا، فقتل من ظفر به، ونهب القرى أجمع. وأغار على زبيد^(١)، فهربوا منه في البيد.

فصل

[ثورة بني لام]

وفي السنة الحادية والخمسين < ١٥٠ > بعد المائة والألف^(٢)، ظهر من بني لام بعض الشقاق، وبدا منهم النفاق، فأراد الوزير أن يفاجئهم بخيله ورجله، ويبتغتهم، فلم يشعروا إلا بالماء قد أدركهم في سبيله. فورى بخروجه، وأظهر أنه خارج إلى الصيد، ولم يخبر أحداً من جنوده بأنه ذاهب بهم إلى غنيمة وفيء كئلا يقطن بذلك من يرسل لهم الخبر تحت الظلام، من الملحدن المنافقين الطغام. لكن الخائن خائف، والخائف للهرب والخذر مؤلف، فمذ أحسوا بخروجه من بغداد، تفرقوا على الرُبى والوهاد، وذهبت كل فرقة منهم إلى مقصد، وهربت كل عشيرة منهم إلى بر، والكل في هربه مبعّد، مع إظهارهم الانقياد، وتذرّعهم بدرع العبودية لا العناد.

فلما وصل الدستور إلى الجوازِر، وضع معيئة ضابطها^(٣)

(١) كذا شكلها في الأصل: بفتح الزاي، بخلاف ما هو معهود أنها بضمها.

(٢) أولها ٢١ نيسان ١٧٣٨ م.

(٣) الضابط في المصطلح العثماني، قبل عهد التنظيمات، هو قائد الحامية العسكرية الموجودة في مدينة أو ناحية ما.

باش آقا^(١)، ووضع معه بعض العسكر، على أن يأخذوا من قبيلة ربيعة الخراج الذي رُسم عليهم. فلما شرعوا في إحصاء الخراج، عصى على الأداء رجل من أكابرهم يقال له أبو سؤده، فسجنه أميرهم علي بيك. ثم أن عشيرة ذلك الرجل هجموا على أميرهم ليلاً وقتلوه، وأخرجوا أبا سؤده من سجنه، وهربوا في ذلك الليل إلى بطون الأهوار، وتبعهم بقيّة الفرق، إذ من كان مجبولاً على الفساد، وناشئاً على ارتضاع ثذي العناد، يميل إلى البغي الميل الكلّي، وينسى عاقبته، ويشتاق <١٥٠ب> إلى الفساد، ولا يردّ عنه التولي، ويستروح مدى الزمان رائحته. ويدلّك على ذلك قضية النفس في انجبالها على حبّ الشهوات، وبيان سرّ قوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢) فقد ذكر الفاضل الجاربردي^(٣) في هذا المقام بحثاً عريض الذيل، مديد السيل، لا يسعنا ذكره في هذا الكتاب، إذ هو غير محلّه.

مركز تحقيق كتب علوم اسلامی

(١) مصطلح عسكري تركي، من باش: رئيسي، وآقا: مقدّم، أمر. اسم يطلق على بعض القادة في القوات الإنكجيرية، وينكجيري آغاسي، هو قائد قوات اللينكجيرية في مدينة مثل بغداد، وهو يتولى فوق عمله العسكري، أمر الشرطة وحفظ النظام أيضاً. ينظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة آغا، وإنكشارية.

(٢) البقرة، من الآية ٢٨٦.

(٣) هو أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، مفسر، فقيه، نحوي، له مؤلفات عدة، منها حواش على تفسير الكشاف في عشر مجلدات، وتوفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. ينظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٢ وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٨.

ثم أن الجند الذين كانوا هناك أرسلوا إلى الوزير يُخبرونه بهذه القضية، فلما ورد عليه الخبر، أرسل جنده على الأثر. وأمر عليهم كَتَّخْدَاه سليمان باشا، فساروا مَرْمَغِلِينَ، واندفعوا متفرقين مُشْمَعِلِينَ، حتى [إذا] وافوا مكان حُلُولِهِمْ، أُخْبِرُوا بِهَرَبِ الْجَمِيعِ وَقُولِهِمْ، فَضَمَّ ذَلِكَ الْعَسْكَرُ إِلَيْهِمْ، واندفع الكُلُّ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ مَتَحَصِّنُونَ بِجَزِيرَةٍ مُحِيطٌ بِهَا الْمَاءُ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِمُ الْمُسَالِمُ وَلَا الْمُحَارِبُ، إِلَّا أَنْ الْمَاءَ مِنْ بَعْضِهَا قَلِيلُ الْعَرَضِ، سَائِحٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَكِنْ فِيهِ مِنَ الطَّيْسِ مَا يَسُوخُ فِيهِ الْفَارِسُ بِجَوَادِهِ، وَيَبْتَلِغُ عَوْجاً إِلَى فَوَادِهِ. فَوَضَعُوا عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ بِنَادِقَهُمْ، وَوَضَعَ الْعَسْكَرُ الْبِنَادِقِيَّةَ أَمَامَهُمْ، وَوَضَعُوا تَجَاهَهُمْ خِيَامَهُمْ، وَحَاصَرُوا الْأَعْدَاءَ فِي وَسْطِ ذَلِكَ الْمَاءِ، وَطَفَقَا يُضَارِبُونَ الْجَنْدَ، وَهُمْ يُضَارِبُونَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ كُلَّهُ.

ثم لما صار الليل، وَاسْتَبَلَّ عَلَى الْجَانِبِينَ الذِّلُّ، أَبْقَى جَنْدَ الْوَزِيرِ الْبِنَادِقِيَّةَ مَكَانَهُمْ، وَسَارُوا حَتَّى صَارُوا وَرَاءَ الْأَعْدَاءِ، فَعَبَرُوا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْبَحْرَ الزَّاخِرَ، وَطَلَبُوا <١٥١> الْأَعْدَاءَ بِكُلِّ قَاتِلٍ وَجَازِرٍ. وَهَذَا الْمَاءُ مَاءٌ عَظِيمٌ، وَبَحْرٌ عَمِيمٌ، لَا يُدْرِكُ غَوْرُهُ، وَلَا يُذْرَى لِلْغَوَّاصِ قَعْرُهُ، أَمْوَاجُهُ مَتَلَاظِمَةٌ كَالْجِبَالِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُخَيَّلَ الذَّهْنُ عُبُورَهُ بِالْمَرَاكِبِ، فَضْلاً عَنْ قَطْعِهِ بِأُولَئِكَ الْمَوَاكِبِ. وَلَكِنَّ الْوَزِيرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَدْ عَوَّدَ عَسْكَرَهُ عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَهَالِكِ مِرَاراً، وَمَرَّتَهُمْ عَلَى قَطْعِهِمْ أَنْهَاراً وَأَهْوَاراً، حَتَّى غَدَوْا لَا يَسْتَلِمُ مِنْ بِأَسْهَمٍ أَحَدٌ، وَلَوْ صَعَدَ إِلَى الْعَيُوقِ هَرَباً، أَوْ جَعَلَ قَعُو الْأَرْضِ لَخَلَاصِيهِ سَيِّباً، وَلَا يَزْدَعُهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ عَدَدٌ، وَلَا يَمْنَعُهُمْ عَنْ مَقْصِدِهِمْ

تواصل مدد، فلذلك قطعوا ذلك المئيل، على ظهور الخيل، فلم يشعر
الأعداء إلا والعسكر معهم في الجزيرة، وأبقوا أجمعهم في حيرة.
وربيعة هذه قبيلة معروفة بالشجاعة، مشهورة بأنها أقوى وأجلد
جماعة، ذات [ثبات في القتال، ودراية بمقارعة الأبطال^(١)].

ثم أن قوم ربيعة لم يكن لهم حينئذ بد من القتال إذ الهرب والفرار
من الجند - ذلك الوقت - عين المحال، فقاتلوا ذلك الليل قتال من أيس من
الحياة، وثبتوا ثبات من لم يتيقن السلامة والرجوع إلى حياه، فاشتبك القنا
في ذلك المكان الحرج، وشاهدوا من الجند ما لم يكن قبل في صدورهم
يختلج، حيث أبصروا جبلاً راسية، لا يوهنها نطح وعل، وشاهدوا أساداً
ضارية لا يقابلها كمي ولا بطل، ونظروا إلى عياد الله في ثبات وحده،
وكثرة وشدة، فندموا على ما عولوا <٥١ب>، وتلاوموا على ما فعلوا،
ولكن لم ينفع اللوم بعد وقوع المحدث، ولم يجدهم العذل نفعا بعد عبور
النسور، فحققوا أن لا نجاة إلا بالقتال، ولا سلامة حينئذ إلا بالنزال، فجثوا
في القتال، وحرصوا في هذا المجال، ونشبت بينهم حرب عوان، وعلا
من الجانبين ضرب اليمان، وكلما حاولوا الحملة على العسكر بأجمعهم
تردعهم السيوف البارقة، وكلما أرادوا الالتحام بهم تمنعهم البنادق
الحارقة، فلم يزالوا في ذلك المعترك في ازدياد الذلة وقلّة العدد، ولم
يبرحوا في ذلك المزدحم في تكاثر القلة وعدم المدد.

(١) حدد محمد بن حمد البسام منازل ربيعة بأنها من واسط إلى بغداد. وذكر أن
'سقماتهم (حملة البنادق) ألفان، وفرسانهم مائة وعشرون'. ينظر الدرر المفخر
ص ٧٠.

ولما أصبح الصباح، وميّزت اللدان من بيض الصقّاح، هرب من هرب سابحاً، ونجا من نجا بنفسه وأنفاسه رابحاً، وذلك أقلّ قليل، إذ من سلم من القتل لم يستلم من الماء، ومن حاولوا الهرب لم يطق لعدم اليئداء. واغتنم العسكر خيولهم النجائب، واقتبس نساءهم الكواعب. ثم رجع أمير السرية بعسكره المديد، وجحّقه العديد، إلى ناحية الحسكة، بأمر من الوزير، يصلح منها بعض الشؤون، حيث في أطرافها بعض أهل الفساد مقيمون.

ولما ورد الحسكة، وأمن طرقاتها، وحصّنها من جميع جهاتها، وانقادت إليهم عشائر البدو من كل فج، وقصدهم الأعراب يطلبون الأمان كما يقصد البيت للنسك وللحج. وكان من جملة من قديم عليه أمير المنتفق سعدون^(١) الذي له في الحيلة والدهاء فنون، بجملة من أحزابه وشيوخه من أعوانه وأصحابه <٥٢٠ أ>، لكن أمير السرية وسائر العسكر يعلمون قدومه خوفاً من صولة الأسود، وأنه إن حصلت له فرصة إلى عصيانه يعود، إذ في دعواه أنه سلطان العرب، وأنه لا يطيع الولاة إلا لأمر وسبب. فقبض عليه وعلى رجاله، وأنقله أمير السرية بأداهمه وأغلاله،

(١) هو سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب، تولى زعامة اتحاد قبائل المنتفق بعد عمه مغامس بن مانع، وإليه نسبت أسرته من بعده فقل لها آل سعدون، وهو الاسم الذي اشتهرت به في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة (١٩ و ٢٠م) وما زالت تعرف به حتى اليوم، وكانت قبله تعرف بآل شبيب، نسبة إلى جده شبيب الذي عاش في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م). الأسر الحاكمة ص ٤٢٣.

وجاء به إلى بغداد قهراً، ووضع في إيّج قلعة^(١) ليموت صبراً، ويتأدّب من تأمر بعده، ولا يتجاوز في الفساد حدّه. لكن بعد بقائه في إيّج قلعة زمناً، ومفارقته على هذا الحال الحرج أهلاً ووطناً، وكاد أن يقضي نحبّه، وقارب أن يفارق من أحبّه، وأوشك أنه يضاجع تربّه، وحقّق عدم إنقلاذه من هذه المويقات، وأيقن بعنم خلاصه من هذه المهلكات، أرسل إلى الوزير المذكور يستعقيه، ويستجده بما حلّ فيه، فرقّ الوزير الشفيق لحاله، وعفا عن أفعاله، وجعله رئيساً كما كان، بشرط أن لا يعود إلى عصيان، وألبسه حلّة الرضاء، وميّره في اللّقاء.

فصل [أماديح الشعراء]

وفي هذه السنة امتكحه بعض الشعراء، يسترفده، بقوله [من الطويل]:

صفا وقتنا بالله فمنذ أمثنا^(٢) بأحمد ذي الرأي الشديد وعرفان
وزير رئيس للعساكر كلّهم طويل نجاد، شامخ المجد نوراني
لقد فاق أقران المعالي بأسرهم وجاء بنصر الله مفتاح بلدان
وزين أحكام الوزارة جسوده رزين شديدّ اللّباس في كلّ ميدان
ويدعونه حين الوطيس إذا حمى فبرعب من ذكر اسمه كلّ شأن

<١٥٢ب>

(١) أي القلعة الداخلية، ويقصد بها قلعة بغداد التي شغلت أرضها مباني وزارة الدفاع.

(٢) في الأصل: فمن، والصواب، ما أثبتناه.

لَيْسَ أَدِيبٌ ذُو وَقَارٍ وَهَيْبَةٍ وَإِقْبَالِهِ سَعْدُ الْمُعُودِ يَرْجَحُ سَانِ
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ إِمَامِنَا إِمَامَ نَظَامِ يَأْلَهُ فَضْلُ سُلْطَانِ
 بَانَ الْحَقُّ الزُّورُ بِأَحْمَدٍ وَالْيَا عَلَيْهَا فَصَارَتْ كَالْعُرُوسِ بِهَا بَانِي
 وَمَهْدَهَا قَسْرًا بِتَدْبِيرِ رَأْسِهِ وَأَكْثَرُ سَفْكَاً فِي الدَّمَاءِ بِعُربَانِ
 هُمُ الْعَرَبُ الْأَعْرَابُ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ كَفَاراً بِتَشْدِيدِ قُرْآنِ
 وَأَتْنَى عِلَانَ الصَّافِنَاتِ مُجَاهِداً وَجَرَّدَ صَمَامَ الْفِقَارِ بِهَمْدَانِ
 فَأَخَذَ كَفَرَ الْمُحْدِثِينَ بِسَبَبِهِمْ وَفَرَّقَ مِثْوَاهُ كَمَا فِي ابْنِ قُحْطَانِ
 وَأَخَذَهُمْ قَتْلًا وَشَدَّ وَثَاقَهُمْ وَلِلْمَنِّ وَالْإِفْدَاءِ أَفْنَى بِحِرْمَانِ
 حَوَى فَضْلُ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا إِلَى الْعُلَى عَفِيفٌ بِسَلَا رَبِّ بِالطَّافِ رَحْمَنِ
 سَمُوحٌ بِشَوْشِ الْوَجْهِ لَمْ يُرَ عَابِسَا مُجِيبُ الْمُضْطَرِّ مُغِيثُ لَظْمَانِ
 لَهُ مَبْسَمٌ قَدْ زَيْنَ فِي نَظْمِ لَوْلَا فَرِيدٌ نَضِيدٌ بَلْ كَنْظَمِ ابْنِ وَهْبَانِ
 وَمَنْطِقُهُ عَذْبٌ رَحِيقٌ وَأَنَّهُ بَلِغٌ كَلَامٍ فِي فَصَاحَةِ سَحْبَانِ
 وَنُوْ مَنْظَرٍ بِسَبِي الْعُقُولِ جَمَالِهِ فَسُبْحَانَ خَلْقٍ فَسُبْحَانَ مَنُشَانِ
 رَفِيعٌ تَرَى الْجُوزَاءَ مِنْطَقَةً لَهُ وَذُو قَامَةٍ حَسَنًا تَمِيسُ كَأَغْصَانِ
 وَتَوَجَّهَ لِلرَّحْمَنِ تَسَاجُ مَهَابَةٍ بِإِكْلِيلِ بَسْطَرِ التَّمِّ فِي أَوْجِ مِيزَانِ
 رَوْفٌ لَهُ نَبْلٌ عَظُوفٌ لَقَاصِيدِ وَيَصْفَحُ عَنْ جِلْمٍ لِمَنْ جَاءَهُ جَانِي
 مُقِيمٌ عَلَى مَرِّ الْجَنِيدِينَ بِالْعَطَا وَأَضْحَى لَمَعْنٍ فِي الْأَنَامِ لَهُ ثَانِي
 وَلَمْ أَبْغِ فِي نَظْمِ امْتِدَاحِي لَكُمْ سِوَى يَكُونُ لَنَا ذِكْرٌ بِمَجْمُوعِ دِيَوَانِ
 وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ تَحَرُّسَ أَحْمَدَا بِأَحْمَدِ الْمُخْتَارِ مِنْ نَسْلِ عَدْنَانِ
 وَبَلَّغْهُ أَمَالاً يَرُومُ نَجَاحَهَا وَوَفِّقْهُ لِلْخُسْنَى وَصَحْبَةِ رِضْوَانِ
 وَلَمْ أَنْسَ ذَا الْخَيْرَاتِ وَاللَّكَمِ لَهُ جَزَاءً مِنَ الرَّحْمَنِ جُنَاتِ عَدْنَانِ
 وَبَعْدَ فَائِي فِي الدُّعَاءِ لَكُمْ عَلَى دَوَامِ بِتَوْفِيقِ مَنْ اللَّهُ رَبُّ سَانِي

عَبَّيْذُكُمْ فِي الشَّعَرِ وَاهِ كَحَالِهِ ثَمَانُونَ مِنْ عَمْرِي انْقَضَى ثُمَّ حَوْلَانِ خَتَامِي لَهَا صَلَّى إِلَهِهِ عَلَى أَحْمَدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ

فصل

[تجدد ثورة المنتفق]

وفي هذه السنة، أُخْبِرَ الوزير المذكور بأن سعدون قد جمع عليه مقدار عشرة آلاف مقاتل، وأنه ما بين الكوفة والنجف نازل، وأنه تَغَلَّبَ على بعض القرى، وأنه منع من الانتفاع الزُّراع وسائر الورى، قائلاً: أنا السلطان الثاني في هذه الديار، وما أحمد باشا وما الخنكار! وإني إن شاء الله أخذ بغداد، وأحكم بالعدل بين العباد. وأنه حاصر الحلة وبقية الضياع، وأنه نصب بيوت الحلة للفساد في تلك البقاع. وأنه حاصر البصرة قائلاً: إنها ملكنا معاشر المنتفق، ليس للروم فيها شيء، وإنا في كل عام كنا نأخذ من أهلها الغنيمة والفَيْء. وقد صدق هذا...، فإن هؤلاء المنتفق هم أعصاب البصرة، وأنهم أكثر العرب مَضَرَّة، قد عَجَزَت الباشات العثمانية عن كسر حميتهم، وذلت الوزراء الخاقانية عن درء أذيتهم.

وحدثني والدي - حفظه الله - أنه قال:

كانت (قبل)^(١) تولية المرحوم حسن باشا في بغداد تأتي من قبل الدولة العساكر الكثيرة، والوزراء الغزيرة، ويخيّمون في الكرخ عندنا، ويأخذون صُحبَتهم والي بغداد إلى قتال هؤلاء رؤساء الفساد، فيرجعون

(١) وردت في هامش الأصل.

خائبين، ويؤوبون نادمين، من فتك أولئك الأرجاس، وقوة أولئك الأنحلس.
وإن أهل البصرة يؤدون الخراج إليهم، وإن واليها لا يسلم <١٥٣ب> من
ضررهم، حتى يفوض الأمر إليهم. ولكن منذ حل والد هذا الضرغام، في
بلد السلام - كما تقدم - كسر شوكتهم، وردَّ عن أهل البصرة صولتسهم.
وبعدَه هذا الأسد جرى جرنى أبيه، وسار سيرة أهل النجدة كمالك^(١) أيها
الناظر نبثه ونرويه.

رجع

فحين طرَّق سَمع الوزير هذا الخبر، عَجَلَ بالسَّير وما استقر، وسار
إلى عَدُوّه تخفُّق بين يديه أعلام النصر والبُتود، وصُحبته الأكراد، وسائر
إيالة بغداد. فحين سَمع الخبيث بقدوم الوزير عليه، قَفَلَ إلى ناحية
البصرة، ونَدِم على ما استند إليه، فَبَعَثَ الوزير تَبَعَ الليث الإنسان، وقصده
قَصْد الفرسان، ولكن الخبيث احتَجَب في بطون الأهوار، وكَسَرَ السَّد من
جميع الجهات، حتى غدا ذلك البَر كالبحر الزُّخَّار.

ولما قَدِمَ هذا الأسد، كانت طليعة عسكره الأكراد، وكان رئيسهم
عثمان باشا الكردي^(٢)، وهو رجلٌ موصوفٌ بالشجاعة، معروفٌ بالفراسة

(١) كذا في الأصل.

(٢) ذكر العزاوي في فهرس تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٥٧ أنه عثمان باشا
الباباني، وفي وثيقة عثمانية تاريخها سنة ١١٤٧هـ إشارة إلى متصرف باباني
لمنطقة كوي، إحدى قواعد الإمارة البابانية، اسمه عثمان، قلعه هو (الأرشييف
العثماني، دفتر مهمة ١٤٠، ص ١٤٠).

من بين الجماعة، فعبرت عليهم من خيول المنتفق الشجعان، وقصدت منهم الفرسان، فالتقوا على وشل^(١)، واضترکوا على طين وعجل، وتكاثر عليهم خيول المنتفق حتى صاروا أضعافهم، وازدحم عليهم الممد حتى فاقهم ونافهم، فقاتل ذلك اليوم عثمان باشا قتالاً يصغر لديه قتال عنتر، ونظم في طعناته رجالاً يحقر عنده نظم رستم فلا يذكر، حتى ظن أولئك الأكالب، أن هذا الرجل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فتعجبوا من قوة جنانه <١٥٤> وانذهلوا لقلق يمانه، وولّوا الأدبار، مقرونين بالنحوس والعار، وانحدروا في أهوارهم، وبأدروا إلى حصارهم.

ولما قديم الأسد الغضنفر، وشاهد تخصّصهم وأبصر، علم أن الوصول إليهم محال، وأن قتالهم صعب القتال، فنزل أمامهم يضاربهم بالأطواب، قائلاً: لا أبرح حتى أقتل جوعاً هؤلاء الكلاب. فاستمر هذا الحال أياماً، ووقع بين أولئك الأعراب الجذب والجوع، ونذموا على ما فعلوا، وودوا القتال والنزال، ولكن لا تمكنهم من العبور هاتيك الجموع. ولم يزالوا في حال عسير، وزمان كدير، حتى كثر بكاء ولّد سعدون، وكان صغيراً، من الجوع، فأرسله إلى الدستور، وقال: اذهب إلى عمك، فإنه سيُشبعك! فحين قديم ولّد سعدون على الوزير، قال: له يا عمّاه! إني جائع فأشبعني، وإن أهلي وأقاربي كادوا أن يموتوا جوعاً، فإن عفوَتَ فلك الفضل، وإن لم

(١) الوشل: الماء القليل.

تَعَفُ فَلَا تُرْجِعْنِي إِلَى أَهْلِي فَأَهْلِكَ مَعَهُمْ. فضحك الوزير لذلك، وعفا عن سعدون، ورجع عنه.

ولما آب الوزير إلى بغداد، كان الشقيُّ إلى فساده - على الأثر - عاد، فأرسل إليه سرِّيَّة، وأمر عليها كَتَّخْدَاهُ سليمان باشا. ولما وصلوا البصرة، أبصروه بالمرصاد، ينتظر قدوم العسكر من بغداد. وإن الشيطان سؤل له أنه لو كان يُقَاتِلُ في الواقعة الأولى لكان رابحاً، ولو يُنَازِلُ لكان جازراً ذابحاً. وخيَّلَ له إبليس كَثْرَةَ أعوانه، وزوَّقَ له فِكْرَهُ الفاسد، وقوَّى له عزمه البارد. فحين التَقَّتِ الْفِئَتَانِ صُبْحاً، وظَهَرَ الْجَمْعَانِ عَلَى الْعَادِيَاتِ صُبْحاً، واشتعل بينهما <٥٤١ب> الوطيس، وطَفِقَ لِلطَّرَادِ لِيُوْثِ الْعَرِيسِ، وقامت الحرب بينهم قِيَامَ الْجُمُوعِ، وَأَنْتِ الْأَوْتَارُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَنْيْنَ مِنْ وَقَعِ بَعْدَ الْفِرَاقِ عَلَى الرَّبُوعِ، وَغَنَّتِ الصِّقَالُ طَرِيّاً بِاللَّحُومِ، وَصَفَّقَ الْعَسَالُ عَلَى ظُهُورِ الْكُمَاةِ الْقُرُومِ، وَابْتَدَرَتْ جُنُودُ اللَّهِ الْقِتَالَ كَالْجِبَالِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى النِّزَالِ مِنْهُمْ الْكُمَاةُ وَالْأَبْطَالُ.

وَلَمْ يَزَلِ السِّيفُ فِي بَرِيقٍ، وَالْبُنْدُوقُ فِي تَحْرِيقٍ، حَتَّى حَفَّ اللَّهُ جُنْدَ الْوَزِيرِ بِإِعَانَتِهِ، وَزَفَّهُمْ بِإِغَاثَتِهِ وَحِمَايَتِهِ، فَحَكَمُوا الْأَبْيَضَ وَالْأَسْمَرَ، فِي مَفْرَقِ كُلِّ بَطْلٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ قَسُورٍ. وَنَثَرُوا الْهَامَ بِنَظْمِهِمُ الْأَبْطَالُ، وَأَيَّدُوا الْإِسْلَامَ بِالْبَيْضِ الْفَوَالِقِ وَالسُّمْرِ الْعَوَالِ، فَالْبَسُوا الْغِبْرَاءَ مِنْ حُلْلِ النِّجَاسِ الْقَانِ، وَلَمْ يَبْزَحُوا حَتَّى تَرَكَوا الْأَعْدَاءَ فَلَاناً غَانِثاً بَفْلَانِ، فَلَمْ تَنْقَشِعْ سَحَابَةُ الْقِتَامِ، حَتَّى وَلَّى الْعَدُوُّ الْأَدْبَارَ وَتَرَكَ الْخِيَامَ، وَأَخْلَى لِلْمُسْلِمِينَ الدَّارَ.

وَقَبِضَ عَلَى سَعْدُونَ وَقَتَ الْمُعْتَرَكِ فَأُخْمِدَتْ أَنْفَاسُهُ، وَطُفِئَ نِيرَاسُهُ،
وَأُرْسِلَ إِلَى الْوَزِيرِ رَأْسُهُ^(١).

ولما قَدِمَ البشير على الوزير بالرأس، وضعه في المجلس بين
الجلّاس، وأنعم عليه وأجزل، واستترَ لذلك فكبرَ وهلل. ثم أنه أكرم قاتله
غاية الإكرام، وأنعم عليه الإنعام العام. وسلخ جلد رأس سعدون، وعبّأه
تينا، وجعله في صندوق، وأرسله إلى الدولة لما شاع عندهم وذاع، من قوة
هذا الخبيث وفساده في تلك البقاع.

مُهْمَةٌ

ما ثَبَتَ في هذا الكتاب، هو رواية الأكثر.
وحَدَّثَنِي بعض الجند - وهو الأصح عندي - أن غزوة سعدون كانت
بعد غزوة البلباس، وأن نائب الوزير في بغداد حين سَمِعَ بفساد سعدون
خاف <١٥٥> أن تَمْتَنَ شوكتَه إذا أهمل أمره، فأرسل إلى الوزير - وهو
في البلباس - بريدًا يُخبره بذلك، فحين سَمِعَ بذلك ألوى عِنان العزم، وسار
إليه، فصار ما قَدُمْنَا.

وحَدَّثَنِي أيضًا: أن غزوة ربيعة، وقضية قبض سعدون كانت

(١) هذا ما يؤكدُه ياسين العمري، قال "وظفر بأمرهم سعدون وقتله" (زبدة الآثار
الجلية، ص ٢٢٩) وأوردته روايات أخرى ذكرها حميد حمد المعدون (إمارة
المنتفق، عمان ١٩٩٩، ص ١٠٢) لكن رسول الكركوكلي يذكر أن الجيش قبض
على الشيخ سعدون، ثم سفره مقيداً إلى بغداد (نوحة الوزراء ص ٤٤).

قَبْلَ الْبَلْبَاسِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدِي^(١)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

فصل

[ثورة عشائر قشعم وأحلافها]

وفي السنة الثانية والخمسين بعد المائة والألف^(٢)، عَصَتْ عَشِيرَةُ الْقَشْعَمِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهَا عَشِيرَةُ السَّرْحَانِ وَعَشَائِرُ أَسْلَمَ، وَبَعْضُ بَنِي صَخْرٍ، وَقَدْ تَحَصَّنُوا فِي أَرْضِ سَبْرُوتٍ^(٣) مَهْمَةً قَفَرٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبْتَ، وَذَلِكَ فَوْقَ شِفَائِي بِمَرَا حِلٍّ، فَعَزَّمَ الْوَزِيرُ الْمَنْصُورُ عَلَى غَزْوِهِمْ، وَجَعَلَ عَسْكَرَهُ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً أَمَرَ عَلَيْهَا كَتَّخْدَاهُ سَلِيمَانُ بَاشَا، وَأَرْسَلَهَا مِنْ طَرَفِ هَيْتٍ، تَحْذُو بِسَيْرِهَا شَاطِئَ الْفَرَاتِ مِنْ جَانِبِ الشَّامِيَّةِ، وَفِرْقَةً مَارَ هُوَ بِهَا مِنْ طَرَفِ قَصَبَةِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

(١) أرخ ياسين العمري في كتابه زبدة الآثار الجلية، بتحقيقنا، النجف ١٩٧٤، ص ٢٢٨ حادثة غزو المنتفق وقتل معدون سنة ١١٤٢هـ بينما أرخها في كتابه الآخر عمدة البيان في تصارييف الزمان، مخطوط، سنة ١١٥٣هـ. ويؤيد التاريخ الأخير ما ورد في مجموعة عمر رمضان. تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٥٨. وكان المؤلف قد تكلم على حادثة غزو البلباس في حوادث سنة ١١٥٠هـ.

(٢) أولها ١٠ نيسان سنة ١٧٣٩م.

(٣) في دوحة الوزراء ص ٤٥ أن سبروت اسم علم لمكان بذاته قرب شفاعة، وواضح من النص الذي أورده المؤلف هنا أن سبروت صفة لمكان، لا اسم له، وهي الأرض القفر.

فسار إليهم في وقت بُجْران^(١) القَيْظ، والصَّيف قد شَبَّ ضيرامه،
والحر قد نُشِرَتْ أعلامه، والسُّموم تَرَكْتَ النَّبَات هَشِيمًا، والفَلَاة جَحِيمًا،
وأورث الحر نارًا، وأَقْلَقْتَ الضَّيْبَ أوارًا، ومَقَطْتَ^(٢) جِلْدَ الحَرْبَاء،
وسَجَرْتَ عَصَبَ المِعْزَاء، وأثارت النُّعَامَة من أراجيها نافرة، وأخْرَجْتَ
الظُّبَى من كُنَيْسِهَا^(٣) حائرة، ونَضَبْتَ النِّقَاع فلا يَرى فِيهَا أثر الماء،
وأَعَمَّتِ الجَنَادِبَ فلا تُبْصِرُ إِلَّا بِالْعِشَاء. فالأَصِيل من احتدام الجو هَجِير،
والمَقِيل سَعِير، والسائر حَرَصَ بِرِيقِهِ، والمسافر غَمٌّ عن طريقه، والأَرْض
من سَنَاء الشَّمْس تَتَوَقَّدُ وَهْجًا، والحَرُور تَلْفَحُ الوجوه فتَحِيلُ الروم زُنْجَا،
والنفوس تكاد تسيل من ضَعْفِهَا وَفُتُورِهَا، <١٥٥ب> والأنفاس من وَهَجِ
القَيْظ تَخْتَبِي في صدورِهَا.

فَشَنَ - رحمه الله - الإغارة، وأمامه الشُّهْبَاء، ألا وهي البادية البَيْدَاء،
التي تُضِلُّ فِيهَا الرِّيح، وتذهب دُونَهَا الأرواح، وَيَسْقُطُ الطَّيْرُ قَبْلَ
اخْتِرَامِهَا قَوَائِمُهَا وَخَوَافِهَا، وتَفْزَعُ قُلُوبُ السُّعَالَى من المَقَامِ فِيهَا، وَيَرْتَدُّ
طَرَفُ الدَّلِيلِ عَنْهَا كَلِيلًا، ويكون أكبر حِدَانِهِ فِيهَا تَسِيحًا وَتَهْلِيلًا. مَسَالِكُهَا
مَهَالِكُ، وَمَنَاهِلُهَا مَجَاهِلُ، وَسُبُلُهَا عَوَاطِلُ. فلو رَأَاهَا امْرؤُ القَيْسِ لَمَا
اسْتَصْعَبَ عَرْعَرُ، ولو سَكَنَهَا ابنُ مَقِيلٍ لَمَا اسْتَوَعَرَ سَرُوحَ حَمِيرٍ. وقد
دَخَلَتْهَا الأعراب، واستَحَقَرَتْ أَرْضَ وَبَارٍ^(٤). وقد جَاوَرَتْهَا الأَحْزَابُ، حيثُ

(١) البحر خروج السرة ونقوها وغلظ أصلها، يريد اشتداد الحر.

(٢) مقط هنا: هزل هزالاً شديداً.

(٣) الأصح: للكناس، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تمتكن فيه من الحر.

(٤) وبار: أرض كانت لعاد غلبت عليها الجن، فلا يتقربها أحد من الناس.

أبصرت أنها من الضُرغام جوار. لكن الأسد المَقْدَام لم يردعه دون مقصوده حرّ، ولم يمنع عن مُرادِه سِعةً برّ، بل شَنَّ الإغارة من غير تأويب ولا تعريس، مقدار أربعة وأربعين فرسخاً^(١) بذلك الخميس، حتّى وافاهم ضحى في يومٍ وليلتين، وقد هلك من الجند الخلق الكثير، ومن الجياد الرّعال^(٢) الغزير، لكثرة الحرّ هنالك، ولَفَح السُموم في ذلك. لكن الأسد الضُرغام كان مُتقدماً على العسكر بِخدمه مقدار فرسخين^(٣).

ولكثرة النَّصَب من هذه الإغارة، عَرَسَ^(٤) العسكر في الطريق، ولما أبصرهم قد انقطعوا عَرَس هو أيضاً، ولم يكن معه من الجند غير حشده - كما تقدّم - فنام الجميع ولم يَنْتبه منهم أحد، حتّى لَحِقَتْ بهم الأتقال، ومن العادة أنها تسير أمام الجنود، ولكن لكثرة جَرَي الوزير تركها خلفه، كما ترك العسكر. <١٥٦> فانتبه الوزير لِذُنْدَةِ الأجراس، وقد بَزَغَت الشمس وارتفعت مقدار رَمَحَيْن عن الأرض، فأبصر الوزير لا جند ولا عسكر ولا خيام ولا مُعسكر، فأخبر بأنهم إلى الآن لم يَلحقوا به، والظاهر أنهم إلى الآن نائمون.

فلما ركب جواده وعزم على المسير أبصر جموع الأعداء بالعير والنفير، وأنهم كانوا نائمين قُرْبَهُم لم يكن بينهم وبينه إلا رُبَّة تَحْجِزُهُم من الرؤية. فحين أبصر الوزير ذلك السّواد، صَفَّ الجِمال بأنقالها، والبغال

(١) في دوحة الوزراء: ٤٤ ساعة.

(٢) جمع رَعلة وهي القطيع من الخيل.

(٣) في دوحة الوزراء: مسافة ساعتين.

(٤) عرس: نزل في السفر في آخر الليل.

بأحمالها، صفوفاً متوالية، بحيث ترى سواداً عظيماً، وتُبصر شبحاً هائلاً جسيماً. ثم أغار على الأعداء بِخَدَمِهِ، وقَصَدَهُم بِحَشْدِهِ وحَشَمِهِ، وهذه عادة لأبيه أيضاً، فإنه قُلْ مَقْدِمَةُ زَيْدٍ بأربعة فوارس، وذلك كما حدثتْهُ والدي عن أبي عبد الله بيك شاوي^(١) أنه قال: كنتُ مع الوزير الحسن في غزوته زَيْدٍ، وكان معنا أيضاً فارسان آخران مع الوزير، نسير أمام العسكر، فاشتغلتُ بالصُّحْبَةِ، وأملينا أحاديثَ المَحَبَّةِ، حتَّى بَعَدْنَا عن العسكر، بحيث لا يُدركنا البصر. ولم نزل سائرين حتَّى أشرَفْنَا على كَثِيبٍ من رَمَلٍ مُمتدٍّ أمامنا، فلما صيرنا فوقه أبصرنا مَقْدَمَهُ الأعداء خلفه جائئاً، وجُمُوعَهُم وراءها عادية، فألويت عِنانَ فَرَسِي، فزَجَرَنِي الوزير. وأغرَنا على المَقْدَمَةِ إغارة من يُظنُّ به أن قومه قريب منه، فشتَّنا جمعية المقدمة، بعد أن كانت مجموعة مُلتَمَّة، واشتغل بيننا الأسمر، وجَرى منهم الدَّمُ الأحمر. ولم <١٥٦ب> تتلام الأعداء بعضها على بعض إلا والعسكر أدركهم، ففرَّق شملهم بعد الاجتماع، وتركهم صرعى في تلك البقاع. ثم قال لي: أوصيك وصيةً فاحفظها! إذا أبصرتَ عدوك وأبصرَكَ، فأسرع إلى قتاله، وعَجِّلْ لِنِزاله، ولا تُبدي الذَّلَّةَ فيطمع فيكَ. انتهى.

رجع: ثم أن الوزير المذكور حين إغارتَه على آل قَشْعَمَ ومن حالفهم، أضرم للحرب ناراً، وأظهر من حُسامه لدى الضرب شراراً.

(١) هو شاوي بن نصيف بن شاهر بن حمد بن مشهد بن حازم. شيخ قبيلة العبيد في العراق. وابنه عبد الله بك، تولى زعامة قبيلته، وتوفي سنة ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م. ينظر دوحة الوزراء ١٤١ أوعباس العزاوي: آل الشاوي، مجلة لغة العرب ج ٨ ص ٦٧٩.

وقامت الحرب من الجانبين على ساق، وحمى الوطيس وكان ضرامه أوداج الأعناق. لكن آل قشعم حين أبصروا سواد الأتقال، لم يشكوا في أنها كُماة وأبطال، فبدأ فيهم الخوف، وهربوا بعد أن قُتل أكثرهم، ومن جملة من قُتل منهم ابن عم كبيرهم صقر^(١) المسمى بسعد، وكانت إحدى عينيه عمياء. وقد أشار الوالد - حفظه الله - إلى ذلك في قصيدته الآتية.

ثم أن الوزير استولى على أخبيتهم، وعلى نسايتهم في أنديتهم، لكنه - رحمه الله - من على النساء فأطلقهن، وأعطاهن مالا كثيرا، ولاسيما زوجة الشيخ صقر (المسماة بنورة)^(٢)، فإنه غمرها بالعطاء، وهذه منه - كما تقدم - سجية في كل وقعة، يحفظ النساء ويصونهن ويخمين ويُسيرهن إلى مآمنهن.

ثم أمر بالخيام فنصبت، ولم يأت العسكر إلى وقت الظهر، فأبصروا العسكر، ونظروا إلى العدو قد انكسر، ورأوا القتلى في طريقهم كالفراش، وأبصروا الأعداء تراوغ في البئداء هربا مراوغة الخفاش، فتعجبوا من ذلك، وقالوا: ما هذه إلا بإعانة الملائكة أو الجن <١٥٧> إذ كسر هؤلاء الصعاب لا يمكن بهذه الشرذمة القليلة، وقل أولئك الأحزاب لا يطاق بمجرّد حيله.

(١) هو صقر بن حمود. ينظر عنه دوحة الوزراء ٤٧ ومؤلفات يامين العمري: غاية المرام ١٨١ وزبدة الآثار الجليلة ٩٣ والدر المكنون الورقة ٥٤١.

(٢) ما بين قوسين ضرب عليه في الأصل، ولم يثبتته ناسخ ب.

هذا، وأما العسكر الذي وجَّهه من ناحية هيت، فلم يظفر بما رام، ولكنه ظفر بغيره من الأعداء فشتتهم في البوادي^(١).

ثم أن الوزير المنصور، عاد إلى بغداد بالحزب المذكور، وقد هنأه الوالد بقصيدة فيها تاريخ الواقعة وقد أجاد، حيث قال^(٢) [من الرمل]:

للمعالي عند أهل المجد مهزُ لا يُوقى حقها من فيه دُعرُ
إنما خوض المتايها مهزها وارتكاب الصعيب والأخطار بُجرُ
مثل فعل الماجد القرم الذي زانه بين الورى مجد وفخرُ
لا يمس الطيب في الهتجاء بل عنده نفع الوغى طيب وعطرُ
ما صليل السيف إلا عنده نعمة لم يحكمها عود وزمرُ
ليس يصبو نحو غيد خرد إنما يصبو لعضب فيه بترُ
لم يتم إن حل خطب حابث في الرعايا أن يمس الناس ضرُ
طالما يلقي حروباً أججت نارها كي يكتفي زيد وعمرو
ما تراه حين ألقى نفسه في عباب الهول لم يرذعه أمرُ
حين مالت نحو بغى قشع غرها في مكره الخوان صقرُ
سار والأعداء أعداد الحصى في جنود جمعتها إذ ذاك نزرُ
فوق طرف سابع لم يثبه عذل عذال ولا يلويسه عذرُ
فارتدى للحرب عزمأ باتراً ما حكته في الوغى بيض وسمرُ
همة لم يجرهما نو سطورة غيرة بل دونها يا قوم دهرُ

(١) وهذا ما ذكره ياسين العمري في الدر المكنون الورقة ٢٩٥، ولكنه ذكر في كتابه الآخر الآثار الجلية أن الذي ظفر بسمعون وقتله هو سليمان باشا. زبدة الآثار الجلية ص ٢٢٩.

(٢) ديوان عبد الله السويدي، الورقة ١١-١٢.

داسَ أرضاً لم تُذمِّثْها خُطى لم يدسها قبله ليث ونمر

<٥٧ب>

يا له من مَهْمَةٍ في فَجْهِهِ طاميس الأعلام لم يوضحه فُكْرُ
خَيْرَ الخَرَبِيتِ في عِرْفَانِهِ والقَطَا لم يَذْرِ ما سَهْلٌ ووَعْرُ
ما سَمِعْنَا غَارَةَ مِلْحَاحَةٍ في سُومٍ بُونِهِ في الحَرِّ جَمْرُ
يا له يوماً عَبُوساً صَائِفاً هَيْقَهُ قد ذاب من أدناء صَخْرُ
يومَ لا تَضْحَى حَرَابِيهِ ضَحَى^(١) بل تَسودُّ الحَتَفَ والغِيرَانَ قَبْرُ^(٢)
هَانَ لَفْحُ الرِّيحِ في مَطْلُوبِهِ والرَّيْسُ الحُرُّ لا يَتَّبِعُهُ حَرُّ
غَيْرِ بِذَعِ كَوْنِهَا نَزْاعَةً للشَّوَى من بعد ما قد عَمَّ قَشْرُ
مُسْتَحِيلٍ في سُومٍ عَسَادَةٍ غَارَةٍ فِيهَا على الأعداءِ نَصْرُ
كل هذا لم يَجِدْ فِيهِ عَنَاباً بل يَرى الإقْدَامَ عَذِيباً وهو مُرُّ
عنده هَيْفُ الفِلا رِيحُ الصَّبَا أو نَسِيمٌ فَاخٍ في مَسْرَاهُ تَشْرُ
خَاضٍ في غَمَرَاتٍ نَقَعَ مَطْلَمُ لَيْسَ للمَعْوَارِ في مَجْرَاهُ خُبْرُ
يَنْظِمُ الأَبْطَالَ في طَعْنَاتِهِ وانْبِرِى للهِامِ في البِيدَاءِ نَثْرُ
يا له نظماً ونَثْراً في العِدَى والذي يَجْرِيهِمَا سَجْعٌ وشِعْرُ
من عَجِيبٍ يَأْكُلُ السَّرْحَانَ جِيفَةُ السَّرْحَانِ هذا مِنْهُ نَكْرُ
أَرْهَبَتْ شُجْعَانَهُمْ صَوْلَاتُهُ واستَبَاهُمْ في الثَّرَى كَرٌّ وفَرُّ
فَاعْتَدُوا هَزْمِي بِدَاداً في الفِلا ما لَهم ان يَثْبِتُوا طَوْقَ وصَبْرُ
أَذَعَنْتُ عُربَ البَوَادِي رَهْبَةً منذ لَأَنْتَ من شَعِيمِ القَتْلِكَ صَخْرُ^(٣)

(١) الحرابي: لحم المتن.

(٢) كذا في الأصل، وفي ب: النيران.

(٣) الشعم الدنو من العدو، وفي الديوان: شيم.

لم يُحامُوا عن عيال ساعةً حينما مَسَّ البَنَاتُ الغِيدَ أَسْرُ
وارتضوا عاراً شنيعاً فاضِحاً هل نَرَوْا يَحْمِي ذَوَاتِ الخِذْرِ خِذْرُ
كيف يحميها وهذا سَعْدُهُم عَيْتُهُ مَطْمُوسَةٌ وَالطَّمْسُ كَسْرُ
جَدٌّ فِي حِفْظِ النِّسَاءِ اللَّاتِ فِي أَسْرِهِ وَالْحِفْظُ لِلْمَكْسُورِ جَسْرُ

<١٥٨>

مَنْ جُوداً شَبِهَ غَيْثٍ هَامِجٍ مِنْ نَوَالٍ مَالِهِ عَدٌّ وَحَصْرُ
أحمد الأفعال والمحمود في كُلِّ وَصْفٍ جُودُهُ غَيْثٌ وَبَخْرُ
شَيْمَةٌ خُصَّتْ بِهِ دُونَ الْأُولَى هُمْ مَلُوكٌ نَعَتْهَا أَسْرُ وَبِرُ
يَلْنُ بِالْإِذْلَالِ عِزّاً شَامِخاً رَبُّ رَبِّحٍ أَصْلُهُ ذُلٌّ وَخُسْرُ
كَانَتِ الشَّامِيَّةُ السَّيْبَرِيَّةُ فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ حِصْناً فِيهِ خَجْرُ
فَاغْتَدَى غَيْرَ حَصِينٍ حِصْنُهَا لَا يَقِي مِنْهَا مِنَ الْكَرَّارِ قَفْرُ
مَا وَقَّتَهُمْ مِنْ خُطُوبٍ وَقَعَهَا يَجْعَلُ الْوَلْدَانِ شَيْباً وَهِيَ غَبْرُ
حَانَرُوا إِذَا بَعَدُوا فِي دُوْنِهَا ^(١) حَيْثُ لَا يُغْنِي مَنِ الْفَتَاكَ حِذْرُ ^(٢)
إِنْ يَضُقُ رَحْبُ الصَّحَارَى أَرْخُوا هَلْ لِيَصْقِرَ فِي صَحَارَى الْهَوْلِ وَكْرُ ^(٣)

وهنا أيضاً السيد عبد الله، المعروف بفخري زاده ^(٤)، فقال [من

الطويل]:

(١) في الديوان: دوحا.

(٢) في الديوان: حيث لا يغني عنها لفتاك حذر.

(٣) حساب الشطر: ١١٥٢ هـ.

(٤) هو السيد عبد الله بن فخر الدين، المعروف بالفخري، من الأسرة الأعرجية التتسي تولت النقابة والإفتاء والقضاء في الموصل حيناً من الدهر، ولد في الموصل، -

أَغْرَتَ مَغَاراً فِيهِ أَكْرَمُ مَغْنَمٍ وَحَزَنَتْ فَخَاراً فِيهِ كُلُّ التَّكْرَمِ
عَلَوَتْ مَتُونُ السَّابِحَاتِ عَلَى الْوَنَا وَخَضَتْ غَمَاراً دُونَهَا عِطْرُ مَنَشِمِ
وَكَمْ حَاوَلُوا رَدّاً لَمَّا كُنْتَ عَازِماً فَلَمْ تَنْتَهِ وَالْعَزْمُ أَكْرَمُ مَلْزِمِ
فَجَرَّدْتَ غَضَباً مِنْ غَلَاتِكَ مَاضِياً بِعَزْمٍ كَبِيضٍ الْهِنْدُ لَمْ يَنْتَلِمِ
سَبَقَتْ إِلَى الْهَيْجَاءِ جَيْشاً تَعَوَّتْ قِرَاعُ الْعِدَى مِنْ كُلِّ قَرَمٍ مَلْتَمِ
إِذَا مَا نَجَى لَيْلٌ مِنَ الْخَطْبِ دَامِسٍ فِيهِ الْبَدْرُ مَغْنَى عَنْ مَسَارِجِ أَنْجَمِ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ لَاقَيْتَ قَرِداً فَإِنَّمَا وَجُودُكَ يُغْنِي عَنْ خَمِيسٍ عَرَمَرَمِ
أَتَيْتَ وَبِيضَ السُّمْرِ تَقَرَّعَ بَعْضُهَا فَطَاحُوا حَيَارَى لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَكَحَلْتَ جَفْناً بِالسُّهَى مُجَالِداً وَأَوَابْتَ جَسماً لَمْ يَزَلْ فِي تَعَمِ
وَمِثْلَكَ مَنْ يَبْغِي فَخَاراً وَسُودِداً بَيْتٌ وَيَضْحِي فَوْقَ أَشْهَبِ شَيْظَمٍ^(١)
نَعْمَ! هَكَذَا نَزَلَ الْعُلَا وَاکْتَسَابُهَا فَإِنَّ الْعَمَالِي لَا تَبَاعُ بِدِرْهَمِ

سوتلقى العلم على كبار علمائها، اتصل بخدمة والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي، ثم ارتحل إلى بغداد حيث نال حظوة لدى واليها أحمد باشا، ثم لدى خلفه سليمان باشا أبي ليلة، وصار كاتب الإنشاء في عهده، وكانت له الوجاهة والكلمة المسموعة لدى الولاة القالين، حتى وفاته سنة ١١٨٨هـ، وكان أديباً منشئاً شاعراً رقيقاً، عالماً بالفلك ومؤرخاً، وله تاريخ نشاطي (مخطوط) ورسالة في شرح رسالة البهاء العاملي (طبع). قال محمد أمين العمري: وكثرت الخيرات عنده، فقصده الفضلاء، ومدحه الشعراء، فكانت داره مأوى أرباب المقاصد، ومحط رجالهم، ومرسى مآربهم. منهل الأولياء ج ١ ص ٢٤١. وينظر عصام الدين عثمان العمري: الروض النضر ج ١ ص ٢٦٢، وياسين العمري: غاية المرام ص ٣٥٥، وزبدة الآثار الجلية ص ٩٣، وديوان العشاري ص ٩١، وعباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٣٦ وتاريخ علم الفلك في العراق ص ٣٦١، وكتابتنا: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني ص ١٢٣.

^(١) الشَيْظَم: الطويل الجسيم الفتي من الناس والخيول والإبل.

قَطَعَتْ إِلَيْهِمْ كُلَّ بَهْمَاءٍ مَقْتُولٍ وَجُبَّتْ فَلَاةٌ بِالْمَعَاطِيبِ تَرْتَمِي
 فَلَاةٌ يَذِيبُ الصُّخْرَ وَقَدْ هَجِيرَهَا وَحَرُّهُ بِهِ نَارُ الْغَضَا فِي تَضَرُّمٍ
 بَرَارٍ بِهَا أَلَّ يَمُوجُ تَلَامَعًا^(١) يَحَارُ بِهَا السَّارِي كَبَحْرِ غَطْمَظٍ^(٢)
 حَرُورٍ كَنَارِ الْوَجْدِ يعلو اضْطِرَامُهُ بِقَلْبٍ مُجِبِّ مُسْتَهَامٍ مَتَّيْمٍ
 فَصَبَّحَتْهُمْ كَالْمَوْتِ يَنْزِلُ خَافِيًا فَضَلُّوا حَيَارَى بَيْنَ نَصْلِ وَلِهْذَمٍ
 وَشَامُوا بُرُوقًا مِنْ سَيْفِكَ أَمْطَسَرَتْ سَيُولُ الْمَنَايَا مِنْ رَوَاعِدِ مَخْذَمٍ
 عَقَابُ الْوَعْيِ لَمَّا بَدَأَ طَارَ صَقْرُهُمْ "إِلَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعَمٌ"^(٣)
 فَخَلُّوا لَكَ الْأَمْوَالَ مِنْ كُلِّ تَالِدٍ وَمُكْتَسَبٍ مِنْ كُلِّ شَاءٍ وَمِنْسَمٍ^(٤)
 تَرَكْتَهُمْ رَهْنَ الْهَسَوَانِ بِقَسَائِمٍ شَدِيدَ الثَّوَى فِي شَرِّ عَيْشٍ مُعْتَسَمٍ^(٥)
 وَلَمْ تَتْرَكْ شَيْئًا غَيْرَ بِهَا أَنْفُسٍ تَسِيلُ عَلَى أَمَاقِهِمْ مِثْلَ عُنْدَمٍ
 أَتَيْتَ بِمَا يُؤَلِّي السَّمِيعَ تَعَجُّبًا وَيَدْمِشُّ عَقْلَ الْفَارِسِ الْمُتَقَدِّمِ
 فَلَا زِلْتَ مِنْصُورَ اللَّوَاءِ مُظْفَرًا تَدِينُ لَكَ الدُّنْيَا بِعُزْبٍ وَأَعْجَمٍ

(١) جمع الآله وهي الحربة العظيمة النصل.

(٢) أي عظيم كثير الأمواج.

(٣) أم قشعم ناقة أَلَقْتَ رَحْلَهَا فِي النَّارِ فَصَارَتْ مِثْلًا. وَعَلِقَ يَاسِينَ الْعَمْرِي عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْإِتْفَاقِ، لِأَن صَقْرًا هُوَ أَمِيرُ قَشْعَمٍ، وَأَم قَشْعَمٌ هِيَ الْحِمَارَةُ. زَبْدَةُ الْأَثَارِ الْجُلِيَّةِ ص ٩٤، وَالْدُرُّ الْمَكْنُونُ، الْوَرَقَةُ ٢٩٥.

(٤) المنسم: خف البعير.

(٥) المسخم: المسود.

فصل

[ورود المقرّر]

في السنة الثالثة وخمسين بعد المائة والألف^(١)، إمتدحه السيد عبـد
الله أمين الفتوى في بغداد، ويهنيـه بعيد النحر، وورود المقرّر^(٢)، والسّلامة
حين سقط البناء من تحته^(٣)، بقوله [من الطويل]:

أرى النصر مجنوباً بطلعتك الغرأ فسير حيثما إن شئت بحرأ وإن برأ
فتوفيق مولانا لديك مصاحب لذاتك فاحكم ما تشاء تمل أجرا
وأنت بهذا العصر لا زلت سالماً رئيساً حقيق أنك الآية الكبرى
أدامك ربّي حامياً لعباده تحوطهم من كل من يقصد الشرأ
محاسنك العليسا وإن رامها إمرو قرين لكم في الحكم لم يبلغ العشرأ

<١٥٩>

فسبحان من أعطاك نصراً تهابه ملوك لهم بأس شديد ولا فخرأ
لأنك أخلصت الضمير لواحد فكافاك مجداً أثمر العز والنصرأ
وقاك إلهي أمس إذ سقط البناء فكان وقى للناس كي يكثروا الشكرا
حياتك فيها للأنام حياتهم تزيدهم طولا وتفضلهم عمرا
تأدب أعراب العراق لهم فلا يرى لهم عاص وطوئعتهم قسرا
سلكت بتأديب العصاة طريقة إذا رمت منهم فرقة فرئت الأخرى
فقر إلهي بالمقرّر أعينأ وافرغ في عيني معاديكم قطرا

(١) أولها ٢٩ آذار سنة ١٧٤٠م.

(٢) يريد ورود الفرمان الخاص بتجديد ولايته.

(٣) هذه إشارة إلى حادثة تعرض لها أحمد باشا، ولم تتوضح لنا تفاصيلها لسكوت المصادر الأخرى عنها.

وأعقبه عيد الضحايا نقالاً بأن الذي عاداك يستوجب النحر
عبيدك عبد الله حسناك الذي به نال عزاً بين أقرانه طراً
مقيم على صديق المحبة قائم على قدم الإخلاص داع لكم جهراً
فدُم بالهنا والعز والنصر سرمداً أمينا قرير العين منشرحاً صدرا
وأعداؤك الحساد لم يبق منهم بقايا ولا أعلا الإله لهم ذكرا

فصل

[ثورة اللزك على نادرشاه]

وفي هذه السنة، استعمل الخييث الشاه نادر التقيّة، فأرسل إلى
حضرة الإمام الأعظم أبي حنيفة الهديّة، ألا وهي دراهم كثيرة، ودنانير
غزيرة، مع رسول من خاناته، وسفير من أصحابه وأقواته. وأرسل أيضاً
إلى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وولده الحسين، وإلى موسى
الكاظم - رضي الله عنهم - دراهم لا تعد ولا تحصى.

وسبب هذه التقيّة، هو أن اللزك، وهم كردّ من أكراد العجم^(١) في
ناحية من أرضهم على حدة، أهل سنة وجماعة، وقد عصّوه، فأوهنوا
قواه، وفتنوا غيظاً أحشاه، إذ لم يطيعوا أمره حين رجّع من أزروم

(١) الصحيح أنهم من الأقوام التركية الأولى التي استوطنت القفقاس من داغستان،
اضطروا تحت ظروف اقتصادية إلى هجرة مواطنهم الأولى جات شروان
وجورجيا وإيران، لغتهم التركية، وقد عرفوا بالشجاعة والميل إلى الاستقلال
والحرية. يرى بعض المؤرخين أنهم يمتون بصلة القربى إلى الأقوام التتارية التي
غزت أوروبا في العصور الوسطى ينظر سامي: قاموس الأعلام ص ٣٩٩٠.

<١٥٩ب> إلى صحراء موغان، وبايعه الناس على أنه الشاه على الحق. وكان تاريخ البيعة حينئذٍ (الخير فيما وقع)، ومن لم يرض بها قلب التاريخ، وقال: (لا خير فيما وقع)^(١). هكذا رأيته في الرحلة المكيّة والنفحة المسكية^(٢) للوالد - حفظه الله.

وهؤلاء الأكراد لم يبايعوه على ذلك، ولم يرضوا بكونه شاهاً عليهم، فمن حينئذٍ اشتعلت بينه وبينهم نار حرب. ولم يزل يحاربهم ويحاربوه، وهم متحصّنون خلف جبال وعرة المسالك، لا يمكن فيها السير للمسالك، غير طريق واحد حرسوه بالسلاح، من النبال وبيض الصقاح، إلا أنهم هذه السنة كانت الغلبة لهم، حيث أنهم دهموه ليلاً، فقتلوا أكثر رجاله، ونهبوا جلّ أمواله، فخشي أن تسمع بذلك آل عثمان، فربّما ينقضون منهم ما كان، فأرسل ما ذكرنا. وأظهر في مكانه أنه صار سنّياً، وأمر في بلاد العجم أن لا ينادي بحيّ على خير العمل في الأذان، واحتال على علماء العجم بأن أرسل إلى كل بلد رسولاً يحصي العلماء، ويأتي بهم إلى بلد ملكه، ليبذل لهم الصدقة. فجاءوا إليه من كل فجّ يهزّعون، وقصدوا دياره يتسارعون.

ولما قدّموا بأجمعهم إليه، وصاروا بجميعهم لديه، جعلهم في دار واسعة، وكتب أسماءهم وأعطى كل واحد ورقة مكتوب فيها عدد مخصوص من الدراهم، وإن هذا العدد يؤدّيه ذلك العالم. وجعل مع كل

(١) كلا العبارتين مجموع أقيام حروفها ١١٤٨ هـ.

(٢) الورقة ١٣ من نسخة المتحف البريطاني.

واحداً من أولئك العلماء واحد من أعوانه على تحصيل ما كتب له في الورقة من النقود. وكانت الدعوة لسعادتهم فاقبلت لشقائهم، فابتاعوا جميع كتبهم ومُدَّخَرهم من كل < ١٦٠ > نفيس، وأدَّوه لذلك العليج الخنيس^(١)، فكثُرَت كتبهم في العراق، حتَّى ملأت المدارس وحوانيت الأسواق، من نحو وصرف ومعاني وبيان ولغة وتفسير وعروض وحكمة وهنئة وهندسة واسطرلاب ونحوها.

فصل

[إكمال بستان الوزير]

وفي هذه السنة، كملت في الوجود بستان الوزير المذكور، الكائنة على غربي شاطئ دجلة^(٢)، غربي قصر الخلد^(٣). فكمَّل بناؤها، وأنتجت

(١) الخنيس القريب من القطس وهو لصوق قصبه الأنف بالوجنة وضخم الأرنبة.

(٢) هي البستان الذي عرف فيما بعد ببستان المتولية، وتقع في الجانب الغربي (العطيفية الثانية حالياً)، آلت إلى ابنته عاذلة خاتون فوقفتها على جامعيهما للذين أنشأتهما في الجاني الشرقي من بغداد، وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ١٩ ربيع الآخر سنة ١١٧١ هـ/ ٣٠ كانون الثاني ١٧٥٧ م، ثم أصاب الإهمال هذه البستان، مما دفع بأحد المتولين على وقف عاذلة خاتون إلى استبدالها ببستانين عامرين في قضاء مندلي. ينظر كتابنا: عاذلة خاتون ص ٥٣.

(٣) قصر الخلد أمر ببنائه الخليفة العباسي المنصور سنة ١٥٧ وأتمه سنة ١٥٨ هـ، واتخذهُ للرَّشيد مقرأً له، ثم أصابه الخراب بسبب النزاع المملح الذي جرى بين الأمين والمأمون، ولَبِثَ أطلاله ماثلة حتَّى أواخر القرن الثالث للهجرة، وقربه شيد عضد الدولة المارستان العضدي، أحد أكبر مستشفيات بغداد في العصور العباسية. وكان هذا القصر يقع عند مصب نهر الصراة في دجلة، وإذ ذكر المؤرخون أن-

أزهارها، حتى غَدَت جَنَّةُ الدُّنْيَا فِي الْبِلَادِ، تَفُوقُ بِزُخْرُفِهَا إِرْمَ ذَاتِ الْعِمْلَادِ،
 مُحْفُوفَةً بِمَغَانٍ عَامِرَةٍ، وَمَبَانٍ زَاهِيَةٍ زَاهِرَةٍ، مَعَ أَنْهَارٍ مُتَدَقِّقَةٍ مِنَ السَّرُّالِ،
 وَجَدَاوِلٍ مُنْهَمِرَةٍ أَصْفَى مِنَ الْجِرْيَالِ، تَجْرِي عَلَى حَصْبَاءٍ كَثْرٌ مُنْثُورٍ
 وَمَنْظُومٍ، وَلَا سِيْمَا إِذَا جَرَى عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ ذَهَبُ الْأَصِيلِ الَّذِي هُوَ
 بِالْإِشْرَاقِ مَوْسُومٌ. وَقَدْ نَثَرَتْ الصَّبَا عَلَيْهِ دَنَائِيرَ الْأَوْرَاقِ، فَلَوْلَا صَفَرَتُهَا
 لَخَالَتْهَا نُجُومًا سَاقِطَةُ النَّوَاطِرِ وَالْأَحْدَاقِ، فَإِذَا لَعِبَ الرِّيحُ، وَتَحَرَّكَتْ
 عِيدَانُهَا، صَفَّقَتْ لِلْأَفْرَاحِ بِأَوْرَاقِهَا أَغْصَانُهَا، وَرَقَصَتْ أَشْجَارُهَا، وَمَالَتْ
 عَلَيْهَا طَرَبًا أَطْيَارُهَا، وَتَسَاقَطَ نِثَارُ لَالِي الطَّلِّ الْمُنْثُورَةِ، عَلَى بَسَاطِ حَدِيقَةٍ
 هِيَ بِالْأَفْرَاحِ مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ حَوَتْ مِنْ أَصْنَافِ الرِّيحَاحِينَ مَا لَا يُحِيطُ
 بِوَصْفِهِ كِتَابٌ، وَلَا تُطِيقُ لَضَبْطِ مَدَانِحِهِ كُتَّابٌ.

وَبَشَّرَ الْوَالِدُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - حَيْثُ يَقُولُ فِي مَقَامَتِهِ: فَالْوَرْدُ قَدْ بَرَزَ
 مِنْ أَكْمَامِهِ، مِنْ حَرِّ الْغَرَامِ، وَأَوَامِهِ^(١)، قَدْ شَقَّ حُلَّتَهُ الْفَاخِرَةَ، وَكَادَتْ تَذْبُلُ
 مِنَ الْوَجْدِ ذَاتَهُ النَّاضِرَةَ، وَدُمَّةٌ عَلَى أَثْوَابِهِ مَطْلُولٌ، وَجَنِينُهُ مِمَّا بِهِ مَحْلُولٌ،

«مشهد العتيقة، وهو مشهد المنطقة اليوم، كان يقع عند هذا النهر، تؤكد لنا أن
 القصر كان يقع في نطاق مقتربات جسر الصرافية الحالي، وربما احتل أرض
 المارستان العضدي مستشفى الكرخ الجمهوري اليوم. ومن المؤكد أن هذا القصر
 زال تماماً في العصور التالية، وقد أطلق المؤلف، أو أهل عصره، اسمه على
 أطلال أحد القصور القديمة التي كانت ماثلة حتى عصره، ولكننا لا نعلم أي قصر
 أراد، وعلى أية حال، فإن كون بستان الوزير بموقعه الذي حددناه يقع على غربه،
 يفيد بأنه كان يقع في جنوبي محلة العطيفية، على شاطئ دجلة، وهي الأرض التي
 تشغلها مقتربات جسر الأعظمية الحالي، الواصل بين الأعظمية وشارع ١٤
 رمضان.

(١) الأوام: الحر والعطش الشديد.

فلم تُفِدْهُ شَوْكَتُهُ القوية، ولم تُسَعِدْهُ <٦٠ اب> رائحته الزكية، والنرجس من لواعيج أشواقه ساهرٌ لم يَسْتَطِيعَ غَمَضَ أهداقه، مُنْكَسِ الرأس من السهاد، مشدود الوَسَطَ للخدمة لينال المراد، والياسمين قد علل نفسه بالوصال، وأطمعها جهلاً منه بالمُحال، ونسي الصدود والإعراض، فكسبي لذلك حُلَّةَ البياض، والبان يميل من ألم الوجد، فيظنه الجاهل اهتزاز قد، وترمد وجهه كلون السُجَاب، واقشعر جلده كأنه سنانير رأيت بعض الكلاب، فنفتت الأذنان. والنسر ين قد خضب بصفرة التحول بنانه، واختار على عزه ذلّه وهوانه. والبنفسج من الجوى تلوح عليه زُرْقَةٌ كزُرْقَةِ الغضبان، أو كأعناق الفواخت إذا ناحت على أهل الهوان، قد احترق من الكآبات والأشجان، فكانه أطراف كبريت اشتعلت بأوائل النيران. والاس لم يحل بسلوان عن أسياده، بل هو باقٍ على وفائه ووداده. والريحان حاسر الرأس حزناً على أيام الوصال، وشوقاً إلى عود هاتيك الليال، لم يزل رفيق موثيق وعهود، ولذا لم أعرف اسمه، ولا أتحقّق حدّه ورسمه.

وفيه من أشجار الفواكه والثمار ما يدهش بنضرتها الناظر، ولم يجد في وصفها إلا المثل السائر، فهي ذات ثمار مختلفة الغرابة، وتربة منتجة وما كل تربة توصف بالنجابة، ففيها المِشمِش الذي يسبق غيره بقُدمه، ويقذف أيدي الجانبين بنجومه، فهو يسمو بطيب الفرع والنجار، ولو نُظِمَ في جيد الحسناء <٦١ أ> لاشتبه بقلادة من نضار. وفيها التفاح الذي رقّ جلده، وتورّد حدّه، وعظم قدّه، وطابت أنفاسه، فلا يان الوادي

وَرَنْدَه^(١). وإذا نُظِرَ إليه وَجِدَ من حظ الشمِّ والنَّظَرِ. ونِسْبَتَه إلى سَرَوِ
الغِزْلانِ أولى من منابِتِ الشَّجَرِ، وفيها العِنَبُ الذي هو أكرم الثمار طَيِّنةً،
وأكثرها ألوانَ زينة، فَقَطْفُه يُمِيلُ يَدًا قَاطِفِسه، ويُغْشِيهِ بِالْوُصْفِ لِسَانُ
وَاصِفِه. وفيها الرمان الذي هو طعام وشراب، وبه شُبُهَت نُهود الكِعَابِ،
ومن فَضْلِه أَنه لا نوى له فَيُرْمَى نَوَاهُ، ولا يُخْرِجُ اللُّؤلؤَ والمَرْجانَ من
فاكهةٍ سِوَاهُ.

وفيها التين الذي أقسم الله به تتويهاً بذكره، واستتر آدم إذ كَشَفَتْ
المَغْصِيَّةُ عن سِرِّه، وَخُصَّ بطول الأعناق، فما يَرى بها من مِثْلِ فِذَاكَ من
نَشْوَةِ سُكْرِهِ، وقد وَصِفَ بأنه راقٍ طَعْمًا، ونَعْمَ جِسْمًا، وهو كُنَيْفٌ مُلَأَ
شَهْدًا، لا كُنَيْفٌ مَلَأَ عِلْمًا. وفيها من ثمرات النخيل ما يزهر بلونه وشكله،
ويَشْغَلُ بِلَذَّةٍ مَنْظَرَهُ عن لَذَّةِ أَكْلِهِ، وهو الذي فَضَّلَ ذوات الأَفْئانِ بِعِرْجُوْنِهِ،
ولا تَمَاقُلُ بَيْنَهُ وبين الحَلَوَاءِ، فيقال: هذا خلق الله فأرني ماذا خلق الذين^(٢)
من دُونِهِ؟ وفيها غير ذلك من أشكال الفاكهة وأصنافها، وكلها معدودة من
أوساطها لا من أطرافها.

وقد دَخَلَتْها أيام ارتحال الوزير عنها إلى قصر الخِلافة^(٣)، فرأيتُ
قصوراً ما فيها قُصُور، بل تَقْصُرُ دون وَصْفِها أَلْسِنَةً واصِفِها. أرفع من
رَضْوَى وثَهْلان، ودونها الخَوَرَنَقُ وَغَمْدان، فيها أوَاوِينَ <١٦١ب>
كَسْرَوِيَّة، ومقاصير قَيْصَرِيَّة، نمارقها من أرفع الديباج، وزرابيها منسوجة

(١) الرند: الأس.

(٢) في الأصل: ماذا خلق الله، ولا يستقيم بها المعنى.

(٣) يريد السراي، وقد سبق أن سماه قصر الإمارة. وتقدم التعريف به.

بالنضار الوهاج، وأرائكها مصفوفة موضوعة، وسُرُرُها من اللؤلؤ
 الرطب، على قوائم الياقوت، مرفوعة مزخرفة الجدران، مموّهة الأركان،
 والجدول في رحابها، كأنها الأفاعي في انسيابها. وفيها من أنواع الزينة
 ما لا عين رأت، ومن أوصاف نغمات الأطيّار ما لا أذن سمعت، كما قال
 الوالد في المقامة، فالشحرور خطيب على منابر الأفنان، يعيظ ذوات
 الجناح ويحث على الأشجان. والعنديل مؤنن على العذبات، يُنادي حبي
 على الصبابات. والببليل يُغرّد بالألحان والنغم، ويبلبل بالبلبال بال أولى
 السقم. والحمائم على يانع الأغصان، تصدح بالنوح على ذوي الأحزان،
 انتهى. فهي مكان الوزير أيام الربيع، وداره أوقات الكلأ المريع.

ومن لطائف ما اتفق له فيها، أنه حين كمل بناؤها، جلس فوق قصر
 من قصورها، مشرف على جهات الأربع، بحيث يرى منه من هو في
 هوز عترقوف. وكانت في يده منظرّة - ويقال لها في اللغة التركيّة:
 الدربين^(١) - فأبصر رجلاً وامرأة فوق رأس كل منهما إناء من لبن، قد
 خرّجا من هوز عترقوف يريدان بغداد، المرأة أمام الرجل، وهما يسيران
 في ذلك البرّ الأفقر، فأبصر الرجل أوقف المرأة، وأنزل الإناء من على
 رأسها، وواقعها، ثم سارا غير قليل ففعل ما فعل، ثم سارا <١١٦٢> كذلك
 ففعل ما فعل ثلاث مرّات.

(١) كذا كتبها في الأصل، وصوابها - كما كان يكتبها الترك - دوربين، وهي لفظة
 فارسية الأصل، اسم فاعل من (دور) أي البعيد، فيكون معناها الناظر بعيداً،
 واصطلاحاً: آلة فيها عدسات تقرب البعيد وقد لبثت هذه اللفظة مستخدمة في
 العامية العراقية إلى وقت قريب.

فقال الوزير لأخدانه: إني رأيتُ كذا وكذا! وإني مُرسِلٌ لهما رسولاَ يأتيني بهما، فأسألُ كلاَ منهما على حِده، فإن لم يتَوافقَ كلامهما، وتلَعَثَما، علمتُ أن معهما خيانة، أما الرجلُ فاقْتُلْهُ، وأما المرأةُ فألقِها من فوق هذا القصر. وإن أجابا بما يَقْبَلُهُ العقلُ من أنهما زَوْجان، أسألهما عن السبب الداعي لذلك وأُخْلِ سبيلها.

فأرسل رجلاً من خُدامه فأتى بهما جميعاً، فلما شَخَصا بين يديه، أمر بإبعاد الرجل فأبعد، وأبقى المرأة فسأَلها: من هذا الرجل؟ فقالت: هو ابن عمِّي وزَوْجِي، فأرسلها ودعا بالرجل، فقال له: من هذه المرأة التي كانت معك؟ فقال: هي ابنة عمي وزوجتي. فقال له: تَرَبَّتْ يَدَاكَ! ما يُقال لما فعلت؟ فقال: أطال الله بقاء خليفة أمير المؤمنين، إني قريب عهد بها، وكانت تسير أمامي، فأبصرتُ منها كَفْلاً^(١) مَتَرَجِجاً كالكتيب، وساقاً غضاً خدلجاً وقدَّ كالقضييب، ففعلت ما فعلت، ولم أملك نفسي إلى الرجوع!، فضحك الوزير ومن معه، وأعطاه دنائير. وقال له: اذهب، لا تَبِعِ اللين، وابقَ مع ابنة عمِّكَ حتى تَرويَ منها وتَرويَ منك.

(١) الكفل: العجز.

فصل

[وصول هدايا من نادرشاه]

وفي هذه السنة^(١)، قَدِمَ من طَرَفِ الشاه نادر رسول^(٢) إلى الدولة العلية، صُحْبَتَهُ هدايا عظيمة، لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ومن جُمَلَتِها اثنا^(٣) عشر فيلاً، واحد للوزير المذكور، وأحد عشر فيلاً للسلطان، ومعه من الأعوان <٦٢ أب> ألف وخمسمائة فارس^(٤).

(١) يريد سنة ١١٥٣ هـ.

(٢) كذا، والصواب: رسول.

(٣) في الأصل: اثني عشر.

(٤) الخبر تؤكدُه الوثائق الرسمية العثمانية المعاصرة، ففي الأمر الموجه إلى أحمد باشا بتاريخ أوائل ربيع الآخر (دفتر مهمة ١٢٤٧ ص ١٦٥) أن عليه استقبال السفير الإيراني حاجي خان لدى وصوله بغداد "بالحفاوة وكرم الضيافة حيث أرسله نادرشاه الجالس على كرسي الأكاسرة في إيران، أتم الله مقاصده ومناه. وقد شمل الحكم على تعليمات خاصة بالاهتمام به وتأمين أمنه وراحته خلال طريقه إلى استانبول". وينظر دوحة الوزراء ص ٤٧، وفي الدر المكنون، الورقة ٢٩٦ وزبدة الآثار الجلية، ص ٩٩، أن وصول هدية نادرشاه كان سنة ١١٥٥ هـ وليس بصواب، ولكنه ذكر أن عدد الأفيال كان عشرة أخذهم من بلاد الهند، فقدموا بهم إلى الموصل، وعبروا نهر دجلة فغرق واحد منهم ومات، وسلم منهم التسعة، ورحلوا بهم إلى اسلامبول، فإذا طرحنا فيلاً واحداً من العدد الكلي للأفيال، وهو المخصص لأحمد باشا، يبقى ثمة نقص فيل آخر به تمام العدد. ومما يؤيد رواية العمري بشأن عدد الفيلة، ما نقله المرادي في ترجمة يعقوب باشا الوزير بحلب، قال: وفي أيامه وصل سفير طهماسب قولي المدعو نادرشاه من مملكة إيران لحلب مجتازاً لدار السلطنة، واحتفلت له الدولة العلية، وإظهاراً لأبهة السلطنة، ومعه تسعة من الفيلة على ظهورهم التخوت، وهم أمام السفير كل هنيأة يقفون لسلامه، =

فخرج الوزير إلى استقباله من قصر الخلافة إلى نهر ذيال^(١)،
 لباساً من ملابس العزّ أفخره وأعلاه، ومن نفائس الجواهر أزهّره وأغسله،
 في طبقات الأولياء، ووجوه الأشراف والأمراء، والأعيان والعبيد والقواد،
 وأصناف العسكر والأجناد، ومواكب حسدت السماء الأرض لزيّنتها وعظم
 أقدارها، وغبّطت النجوم الثّرب لجلالة أخطارها. فزيّن البرّ بأنواع الخلي
 والحلل، وبدائع الديباج والوشى والثياب المذهبة، والأنماط اللطيفة
 المستغربة، حتى لم يبق من الأرض شبر إلا وهو مزّين، ولا فتر إلا وهو
 مُستبدع مُستحسن. ووقع الإجماع على أن هذا اليوم المنكور أجّل يوم
 أرخت بمثله الأيام، وعجز عن وصفه الأنام، وتزيّنت بجماله بطون
 الدفاتر، وتشرّفت بذكره رؤوس المنابر. وقد عمل له الوزير غداءً في
 صحراء الكرخ الشرقي^(٢) من بغداد.

ثم عاد إلى قصر الإمامة، ومقرّ العز والكرامة، مؤيداً منصوراً،
 سالماً موفوراً، مخصوصاً بصنيع الله وإقباله، محفوظاً بالملائكة من على

سويامرهم الفيال فيطأطئون خرطومهم، وكان وصولهم لحلب ثامن ثوال سنة
 ١١٥٣، وكان يوماً مشهوداً حضر أهل القرى كلها لمشاهدة الفيلة، واسم هذا
 السفير حاجي خان* (سلك الدرر ج ٢ ص ٢٣٧).

(١) كذا كتبه المؤلف، ومثله في كتابه الآخر (تاريخ حوادث بغداد والبصرة)، والمشهور:
 ديالى، بدال مهمة، على ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩٥) وهو النهر
 المعروف في شرقي دجلة، ومصبه في جنوب بغداد.

(٢) يريد الفضاء الذي كان في جنوبي محلات الكرخ عهد ذاك، وكان باب الحلة (حيث
 علاوي الحلة) وباب الكريمتا يقعان في القسم الجنوبي من ذلك السوق، فلعله قصد ما
 وراءهما جنوباً من الأرضيين.

يَنْدِيهِ وَشِمَالَهُ. وَقَدْ أَنْزَلَ الرَّسُولَ، إِكْرَاماً لَهُ، فِي تِلْكَ الْبُسْتَانِ، وَأَنْزَلَ
عَسْكَرَهُ فِي بِيوتِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ. ثُمَّ ارْتَحَلَ وَقَصَدَ إِسْلَامْبُولَ،
مَحْفُوفاً مِنَ الْوُزِيرِ بِالْمَنْحِ الْجَزِيلَةِ، وَالْعَطَاءِ الْمَحْمُودِ الْمَقْبُولِ.

قَدْ التَّمَسَّ مِنِّي بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ [أَنْ أَنْظِمَ عَلَى] لِسَانِهِ قَصِيدَةً إِلَى
الْوَزِيرِ [فِي] صَدَاقِ امْرَأَةٍ هَوَاهَا، وَأَنْ تَكُونَ أَلْفَظُهَا فَصِيحَةً مَنْطِقَةً،
لَا عَيْتَاقَهُ أَنْ الْبَلَاغَةَ فِي الْأَلْفَافِ الْمُتَنَافِرَةِ، لَا جَزَاةَ الْمَعَانِي الْبَاهِرَةِ، فَأَجَبْتُهُ
إِلَى سُؤَالِهِ، فَشَرَعْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِالْإِنْشَادِ لِمُشْرِحِ حَالِهِ، فَقُلْتُ [مِنْ
الرَّمْلِ] ^(١):

بُضَّةٌ كَحَلَاءٍ أَزْرَتْ بِالْغَزَالِ قَدْ هَا كَالْغَصْنِ لِيناً وَاعْتِدَالِ
لَا تَضَاهِيهَا مَهَاءٌ بِالسَّفَالِ وَكَذَا فِي الْحَضَرِ رَبَّاتِ الدَّلَالِ
إِذْ لَهَا وَجْهٌ كَثُرَ لَا تَجِ وَلَهَا شَعْرٌ كَمُسْنُودِ اللَّيَالِ
صَارَ يَحْكِي طَوْلَهُ عَنْ جِيدِهَا وَعَنِ الْقُرْطَيْنِ مَصْحُوبِ النَّعَالِ
وَلَهَا خَدٌّ أَسِيلٌ مِثْلُ مَاوِهِ لَوْ تَخْلِيهِ يَدُ الْوَجْتَاتِ سَالِ
وَلَهَا خَالٌ عَلَى وَجْتَتِهَا عَنْ جَمِيعِ النَّقْصِ فِي الْأَوْصَافِ خَلِ
فَهِ كَالْمِجْمَرِ وَالْخَالِ الْبُخُورِ أَوْ كَزُنْجِي عَلَى النَّيْرَانِ صَالِ
أَوْ كَلِصِّ فَوْقَ نَطْعَاءِ الدَّمَاءِ وَالْعَيُونِ الدَّعْجِ تَرْمِيهِ النَّبَالِ
كَاعْبٍ هَيْفَاءُ، أَمَا رِنْفُهَا جَلُّ عَنْ دِغْصِ عَظِيمِ فِي الْمِثَالِ
أَبْصَرْتُنِي يَوْمَ عِيدِ عَصْرِهِ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ مِنْهَا فِي وَبَالِ
فَرَنْتُ نَحْوِي بِطَرَفِ سَاحِرٍ جَاوَزَ الْحَدَّ بِتَعْذِيبِ الرِّجَالِ

(١) القصيدة في ديوان عبد الرحمن السويدي، ص ٦٨-٧٠، عدا الأبيات العشرة الأولى منها.

ثم قالت: رُحْ سليماً لا تكن
مَعْشَرُ الْغَيْدِ غَسَدَتْ عَادَتُهَا
ثم سارت كغزالٍ نافرٍ
فاقتفى قلبُ الْمُعْنَى إثرها
وجرت من عَيْنِي الْيُمْنَى عِيُونُ
وزمانٍ فيه قد قلَّ الظَّهِيرُ
لم يكن لي فيه خلٌّ صادقٌ
كالذي مات بحسرات الوصال
كلها هَجَرَ وَعَنَّا لَا تَسْأَلُ
من يدُ الصِّيَادِ مَفْلُولَ الْحِيَالِ^(١)
وتسلى الكفُّ في نَتْفِ السُّبَالِ
ومن اليسرى سَحَابٌ مُتَوَالٍ
وأنا البائسُ معدومُ النُّوَالِ
وصديقُ لُودَادٍ مَا أَقَالِ^(٢)

<١١٦٣>

وكريمٍ أرتجى مِنْهُ الْغِنَى
غيرَ رَبِّ الْمَجْدِ مِعْطَاءِ النُّوَالِ
حاتمٌ في الجودِ بَحْرٌ فِي الْكُرْمِ
كم فقيرٍ باتَ مِنْهُ حَامِداً
كيف لا وهو الْجَوَادُ اللَّذِي حَكَى
وحكى الْعَبْسِيُّ وَاللَّائِي غَدَا
فهو في الْهَيْجَاءِ مُسَعَّرُ حَرْبِهَا^(٣)
سَلَّ عَنْ الضَّرْغَامِ إِيْرَانَ فَكَمْ
يومَ حَرْبِ الشَّاهِ تَلْقَى ضَيِّغَمًا
شَزْرَةَ الْأَذْنَيْنِ أَمَا نَسَرَهَا
كَيْ أُرُومَ الرِّيمِ أَخْذاً بِالْحَلَالِ^(٤)
أحمدُ الْأَفْعَالِ مُحَمَّدُ الْخِصَالِ
مَلْجَأُ الْوَقْدِ إِذَا مَا الْخَطْبُ جَالٍ
مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ مَسْرُورِ الْعِيَالِ
حاتمُ الطَّائِي فِي حُسْنِ الْفِعَالِ
مِثْلُهُ فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِتَالِ
كم على الرَّمْضاءِ أَلْقَى مِنْ جِبَالِ
جَرَّعتَ مِنْ بَاسِهِ كَأْسَ الزَّوَالِ
منه يَسْطُو بِسِلَاحٍ فَوْقَ رَأْسِ^(٥)
فهو دَامَ مِنْ قِتَالِ الرَّرْعَالِ

(١) في الديوان: مغلول.

(٢) أقال: فسخ.

(٣) لم نشرح معاني ألفاظ هذه القصيدة لأن الشاعر سيقوم بذلك فيما يأتي.

(٤) صدر البيت فيه خلل عروضي.

(٥) الرأل: ولد النعامة.

قُبَّةُ الأَيْطَلِ مِنْ خَيْلِ الْعِرَابِ لَا تَرَى الرِّكْلَ كَوَرَقَاءِ الزُّجَالِ
 فِي خَمِيسٍ أَرْهَبَتْ رَايَاتُهُ وَجُنُودَ عُدَّهَا رِيثَ الرِّمَالِ
 دَأْبُهُمْ فِي الْحَرْبِ كَرٌّ دَائِمًا لَا مَقَرَّ بَلْ مَقَرٌّ لَا مَحَالِ
 مَرْمَغَانُونَ إِذَا اشْتَدَّ الْوُغَى لِلْأَعَادِي فِي سَيُوفٍ وَنِيَالِ
 فَهَنَّاكَ السُّمْرُ يُوفِي حَقَّهَا مِنْهُمْ وَالْبَيْضُ مِنْهُمْ فِي اشْتِغَالِ
 يَا لَهُمْ كَمْ جَنَدَلُوا مِنْ فَارِسٍ كَاشِرٍ عَنْ نَابِهِ مِمَّا يَنْبَالِ
 شِلْوُهُ فِيمَا يُرَى كَالزَّنْدِيلِ أَوْ كَطَوْدٍ مِنْ عَلَى الْغُبَرَاءِ مَالِ
 فِي نَجِيعِ الْحَتَفِ مَطْرُوحًا وَدِينَ هَكَذَا دِينَ الَّذِي عَادَى الرُّجَالِ
 لَا يَرُونَ الرَّدْعَ عَنْ حِزْبِ الْعَدَى بَلْ يَرُونَ الرُّصْنَغَ بِالسُّمْرِ الْعَوَالِ
 مُشْمَعِلُونَ إِذَا حُلَّ الْعَدَى بِشَمْعٍ مِمَّا يَلَاقُوا مِنْ نِصَالِ
 كَيْفَ لَا وَالسَّجْلُ أَضْحَى رُبُّهُمْ وَهُوَ فِي الْهَتَجَاءِ مَحْمُودُ الشَّمَالِ
 كَاشَفَ الصَّبْبِلَ إِنْ حَلَّ النُّورُ يَوْمَ فِيهِ الرُّوعُ فِي الرُّوعِ اسْتَحَالِ
 كَعْبَةِ الْقَصَادِ أَضْحَتْ دَارُهُ مَنْزِلُ الْوَقْدِ بِهَا حَطُّ الرُّحَالِ
 يَا أَبَا عَدَلٍ أَبَا عَادِلٍ لَا تَرْدِدِ الْكَفَّ مِنَ الْأَصْفَرِ خَالِ
 وَأَشْبِلَنْ يَا شَبْلَ إِنِّي مُرْمِلٌ وَكُنِ الْمِزْدَعُ فِي بَذْلِ النِّوَالِ
 دُمْتُ فِي خَيْرٍ وَعِزٌّ وَهَنَّا وَعِلَاءٌ وَسُرُورٌ وَاعْتِدَالٌ^(١)

<٦٣١ب>

ثُمَّ أَنَّ الْكُتَيْبَ نَهَكَتْهُ الْحُمَّى عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَاحْتَرَقَ وَجَدُهُ وَعَشَقَهُ،
 فَتَسَلَّى بِمَحَبَّتِهَا عَنْهَا، وَلَمْ يَعْطِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلْوَزِيرِ.

(١) فِي الدِّيْوَانِ: وَسُرُورٌ وَعِلَاءٌ وَاعْتِدَالٌ.

فصل

في بيان ما تضمنته هذه القصيدة من الألفاظ الخفية المعاني

الدَّخْص بكسر الدال المهملة فسكون العين: كئيب الرُّمل

السُّبَال بكسر السين وتُفْتَح: الشارب

الظُّهَيْر: الناصير

أقال البيع: فسَّخه

اللَّذ بسكون الذال المُعْجَمَة: لغة في الذي

الضَّيِّغَم: الأسد

الرَّئال: ولد النِّعَام

الشُّزْر: المُرْتَفِع من كل شيء

النُّسْر لَحْمَة تكون في حافر الفرس

الرَّعَال بكسر الراء: القطيع من الخَيْل

الرَّكَل: ضربك الفرس بالركاب

ورَقاء الزُّجَال، والزَّاجِل: والزَّجَال الورقاء الطير ذات الألوان،

والزاجل الذي يرسلها من مكان إلى آخر، ولهذا الفعل زِجَال

الرَّيْش: القَدَر

الخميس: العسكر. سُمِّي بذلك لكونه خمس فرق، مقدِّمة وجناحان وقلب

وساقَة

أرمغلَّ الرجل: أسرع

الزَنْدَبِيل: الفيل

ودين، المنقوع الدين: الجَزَاء

الرُّدْعُ الكَفَّ

الرُّضْع: تغيب السنان في المطعون

إشْمَعَل القوم في الطلب: بادروا فيه وتفرقوا <أ١٦٤> والغارة في عدو

انتشرت

الشْمَعَل: التفرق

السَّجَل: بكسر السين المهملة: الرُّجُل الجَوَاد

الرُّدْع بفتح الراء: الخوف، وبضمنها القلب

الضئيل، كزَبْرَج، وتَضَم الباء: الداهية

أشبل عليه: عطف

الشبل: ولد الأسد

الزُّدْع: السريع الماضي في الأمر



مركز تحقيقات علوم إسلامي
فصل

[قمع قطاع الطرق]

وفي السنة الرابعة والخمسين بعد المائة والألف^(١)، وعُمرت
أمسالك، وخوف منها السالك، وذلك أن رجالاً تغصّب من المارة أنقالهم،
وتأخذ أحمالهم، ولم يعرفوهم من أي قبيلة، فيشكونهم إلى الوزير فيعاملهم
بسوء الكيلة.

(١) أولها ١٩ آذار ١٧٤١م.

ولما كثر هذا الاختلال، ودامت الطرق على هذا الحال، أخبر
الوزير بذلك، فأرسل عيوناً، وفرّقهم في البوادي والقرى، كي يستخبروا
عن أولئك الأرجاس فيريح بإبادتهم الوري. فبعد أيام قلائل، جاءته
العيون، وأخبروه بأن هؤلاء الذين يقطعون السبل من عشائر متفرقة،
وقبائل غير متفقة، قد حالفوا أهل القرى على أن يعطوهم مما ينهبونه،
ويؤاسوهم فيما يأخذونه، على أن يؤوؤهم نهاراً، ولا يذيعوا لهم أسراراً.

فحين سمع الدستور الغيور، والشجاع الجسور، بفعل أهل المخاليف
والضياع، من إيوانهم أهل الفساد، ومشاركتهم لهم في نهب المياع، أرسل
سرية سرية، وكتيبة عنترية، مؤمراً عليها كتخداة سليمان باشا، إلى أولئك
الأرجاس، على شرط أن يخمدوا منهم الأنفاس، ويأخذون الأموال
<٦٤ ب>، ويتركونهم في أسوأ حال.

ولما خرج العسكر من بغداد، فرقه أمير السرية في الأغوار
والأنجاد، وأرسل كل فرقة منهم إلى قرية، وأوصى كلأ منهم أن يرى في
القتل والنهب رأيته، فنهبوا جميع القرى التي في الجانب الغربي، ما عدا
الحلة والغري وكربلاء، ولكنهم نهبوا ما حولها من أخبية الأعراب،
وشفوا صدور الوري بما فعلوه في أحزاب الخراب.

ثم اجتمعوا في الحلة الميزيدية، وتضامنوا مع رئيس السرية، فأغار
بهم على زبيد، حيث فسقوا في هاتيك البيد، فلم يذركهم الطلب، ولم
يقضوا منهم الأرب، بل حين سمعت زبيد بخلولهم في الحلة، شد كل منهم

لِلهَرَبِ رَحْلَهُ، وَامْتَطَوْا الْأَيْنُقَ^(١) الذَّوَابِلَ، وَحَمَلُوا مِنْهُمْ عَلَى مَتُونِ
الْيَعْمَلَاتِ^(٢) الْكَلَّ وَالرَّاجِلَ. وَفَرَّوْا بَطُونِ الْبِرَارِيِّ وَالْقِفَارِ، وَشَقُّوا قُلُوبَ
الْبَوَادِي نَائِثِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ.

ولما رجع أمير السَّريَّةِ، نَهَبَ الْقَرْىَ فِي طَرِيقِهِ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى
جَعَلَهَا كَمَدَائِنَ عَادَ وَثَمُودَ، كَيْلًا يَكُونُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى هَذِهِ الْمَفَاسِدِ
يَعُودُ^(٣).

فصل

[الحملة على بني لام]

وفي هذه السنة، تَحَصَّنَ بَنُو لَامَ فِي الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ الشَّامِخَةِ،
وَاعْتَقَلُوا فِي الْأَطْوَادِ الْعَاصِيَةِ الْبَانِخَةَ، وَشَنُّوا غَارَاتِ الْفَسَادِ، وَنَشَرُوا
رَايَاتِ الْبَغْيِ وَالْعِنَادِ. وَلَمَّا سَمِعَ الْوَزِيرُ بِمَكْرِهُمْ، وَأَحْسَسَ بَخْيَانَتِهِمْ
وَعَدْرَهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ فَرَّقُوا أَهْلَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ، وَأَنَّهُمْ أَخَذَهُمْ وَنَهَبَهُمْ مُحَلِّلِينَ، إِذْ
هُمْ عَلَى ظُهُورِ خَيُْولِ سَوَابِقٍ، وَنَجَبِ <١٦٥> لَوَاحِقٍ، يَنْتَهِزُونَ الْفُرْصَةَ،
وَيَجْرَعُونَ الرَّعِيَّةَ مِنْ مَاءِ الْهَوَانِ كُلِّ كَاسٍ ذَا غَصَّةٍ، وَإِنَّهُ إِنْ سَارَ إِلَيْهِمْ
هَرَبُوا فِي الْبَيْدِ، وَنَفَرُوا كَمَا يَنْفِرُ الضَّبِّيُّ عَنْ مَنْ يَصِيدُ، فَأَعْرَضَ عَنْ
فِعْلِهِمْ، فَكَانَ لَمْ يَسْمَعْ بِمَا أَدَّاهُ سَيِّئُ جَهْلِهِمْ، لَكِنَّهُ احْتَالَ بِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ

(١) جمع ناقة.

(٢) جمع يعملة وهي الناقة السريعة.

(٣) ينظر دوحة الوزراء ص ٤٨.

الشيخ ثامر^(١) يستجدهم في غزو المنتفق، وصحبته كتاب الوزير، يحثهم على الإتيان إليه، ويخبرهم بأنه قد جمع سائر القبائل والعشائر، وحاز عنده من الأعراب الأمراء والأكابر، فأعمى الله بصيرتهم، وطمس على العقول، وخذل الله عشيرتهم، والخائن - كما قيل - مخذول، وقدموا مع الشيخ ثامر عليه قدوم الفريسة على أسد غرثان، وصاروا كلهم لديه بين الجدران والعمران، وغدا كل منهم لرأي مفسيده عن القدوم مسفاه، وغدوا - كما قيل - كالباحث عن حنفيه بظلفه.

فحين حل الجميع في دار واسعة، قريبة من مرقد الإمام محمد أبي الفضل^(٢)، أخذ خيولهم غصناً، وجرد لأكابرهم عصباً، وفر كل منهم راجلاً، وصار إلى رعي شيا به راحلاً، فافتقروا بعد الغنى، وعقب الراحة

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

(١) هو الشيخ ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع، وقد تولى زعامة اتحاد المنتفق في تاريخ غير محدد لنا، بعد سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، وقتل في واقعة الخزاغل سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م. ينظر دوحة الوزراء ص ١٤١، ١٦٧.

(٢) من المراقدة المعروفة ببغداد، وإليه تنسب محلة الفضل من محلات الجانب الشرقي، ولا تعرف هوية محمد الفضل هذا على سبيل اليقين، والمرجح أنه الفضل بن سهل بن بشر الأسفرائيني الواعظ البغدادي المشهور (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) إذ جاء في ترجمته أنه دفن في مقبرة باب أبرز، وهي المقبرة القديمة الواسعة التي تعد محلة الفضل الحالية جزءاً من أرضها. ترددت الإشارة إلى جامع الفضل في القرن الحادي عشر، إذ وقف عليه بعض المحسنين مزارع في قرية خرنابات من أعمال ديالى، وعمره سليمان باشا الكبير، وأضاف إليه مدرسة سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م. وما زال الجامع عامراً.

والسرور النَّصَب والعنا. وقد استمنح الوزير السيد عبد الله^(١) قرساً من أفراسهم مُشْكراً له على إرساله الثلج إليه وهو في الحمى، بقوله [من البسيط]:

مولاي أحمد يُهنِّيك الفُتوح فُدمُ برِفعةٍ وبنصر يَفلق الحَجَرا
والله لولاك كان الشرُّ مُنتصباً لولا وجودك شَبَّت نارهُ وسرى

<١٦٥ب>

أقامك الله حصناً للورى فلماذا تَدُبُّ عن ديننا ما ضُرَّ أو خطرا
مولاي هذا فتوح لم يَقع أبداً نعم! أقول فُتُوح شبه بَدرا
لو نال هذا الأعداي فُرصةً لَنَبَوا وأفسدوا وأبادوا الجُنَّ والبَشرا
هم شرُّ قوم من الأعراب قاتَلهم ربُّ العباد ولا أبقى لهم أثرا
بنو لئام غُلاة الرِفَض أدبهم ربِّي بصنصامك الماضي لمن فَجَرا
إنعم لعبدك سلمان الزمان أجل فحل شُجاع تهابُ الأُسُند إن زارا
فَسَعَدَكَ العال إن أحلتَه رجلاً يسمو ويعلو فهذا السعد منك يُرى
أنت الشُّجاع الذي ذَلَّتْ لهيبتك الأقطار فارتاح من بالمُن بل وقُرى
أنت المؤيَّد والله العظيم على هذا اعتقادي ولا ألوي ولن أنرا
ألسنت صالب شِبلٍ ثُمَّ متبعه بذنن الخُبث أطغى فاجر كَفرا
ألسنت مانع جَمع العَرَب حين طَغوا واستجمعوا ظنُّ أن السد قد كسرا
ألسنت كاسر كسرى في تجمعه ألسنت حامي حمى بغداد إذ خَصِرا
ألسنت مُصلِح هذا القطر أجمعه أليس صيبك^(٢) في أقطاره غَمرا

(١) هو عبد الله أمين الفتوى، وقد تقدمت بعض قصائده.

(٢) لعلها: صيبك.

هذي المناقب لا تنسى محاسنها من ينس ذا الفضل والإحسان ما شكرا
لا أستطيع سجاياك الجسام بأن أحصي محاسنها هل أنزح البحرا
أعلمك الزاخر التيسار زدت ذكرا أم جودك أغنى البذو والحضرا
العجز عن ذلك عين المدح زدت علأ لو أحصر الفضل أعياء كل من زبرا
حسن مدحك عبد الله من قدم يدعو لحضرتكم ليلاً كذا مسحرا
بأن يمن عليه في سلامكم وأن بقي ذاتكم من كل ما كذرا
كان اعتمادي بأن لو ميت من مرضي على مروءتك العظمى بغير مرا
إن تجبر الآل والأولاد مكرمة وإن أكن في الدراى لم أخز ذكرا

<١٦٦>

لكن مذ حل جوفي الثلج أذهب ما أشكو وإن كان ذا قد صانف القدرا
أريد من فيء ذا الكفار لي فرسا حسناً ذلولا تفوق الريح إن خطرا
أعلو على ظهرها أدعو لأحمد من صميم قلب بأن يقيه لي دهر
مولاي قد قلت هذا لست قاصدا لا أبتغي إيلا لا ابتغي بقرا
لا زلت بالعز والإقبال مرتقيا تسمو وتعلو على الأعيان والوزرا

كذا قيل، والظاهر أنه قالها في غزوة بني لام الأولى^(١).

(١) يريد تلك التي حدثت في سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٨م وقد سبق أن أورد المؤلف أخبارها.

فصل

[خروج الوزير للصيد]

وفي هذه السنة، خرَج - كما هو هَجِيرَاه القديمة، وعادته وشنشَنته المستقيمة، إلى الاصطياد في بعض نواحي بغداد، لكنه خرج بجميع عساكره وجنوده، وكل حشده وحملة بنوده، أخذاً معه أهبة الحرب والكفاح، مستعداً بالسمر والبيض الصقاح.

وكان خروجه إلى ناحية مَهْرُوت^(١) من العراق، الشرقي من بغداد، فظن الناس أن هذا الخروج إنما هو للجهاد، لأنه خلاف المعتاد، إذ لم يخرج إلى الصيد قبل على هذا الاستعداد، وإنما الوزير أعجبه ذلك، إذ الوقت - كما قيل - وقت ربيع، والزمان إذ ذاك زمان غيث مريع، والرياض متأنقة الأشجار والأزهار، والغياض متدفقة الجداول والأنهار، قد سقى مراتبها الغمام، من غصون بانها وأصول البشام، وتأودت فيها أغصان النقي، وتصافحت فيها أفنان الشقيق مصافحة محب بمن أحب التقي، وحكت أرضها السماء في نجومها، وغدت منها الأنواء أصول شيعها ورندها في غيومها، وكثرت خلال أزهارها الأطيوار المغردة، وسكنت خلف أشجارها ضباؤها اللاتي للذة محدثه مجده. <١٦٦ب>

(١) بلدة قديمة ورد اسمها في كتب الفتوح الإسلامية بلفظ مهرور، ثم عرفت باسم مهرود، فمهروت، وأبدل اسمها رسمياً إلى كنعان، يخرقها نهر مهروت الأخذ من دبالى، وتبعد عن مدينة بعقوبا بنحو ١٥ كم. وتتميز أراضي هذه الناحية بخصوبتها وخلوها من الأهوار والمستنقعات والأملاح إلا نادراً، مما يجعلها صالحة لاتخاذها مجالاً للصيد.

وَحَسُنَ إِذْ ذَاكَ الاصطِيَادُ بَيْنَ هَاتِيكَ الرَّبِّي وَالْوَهَادِ، فَاشْتَهَى الْوَزِيرُ
أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهَا بِوُجُوهِ أَكَابِرِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ، كَيْ يَنَالُ الْكُلَّ هَذِهِ
اللَّذَّةَ، وَيَغْتَنِمُوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ، بَيْنَ تِلْكَ الْوُدَيَانِ، وَيَنْفُوا عَنْ خَوَاطِرِهِمْ
جَمِيعَ الْأَحْزَانِ.

فَحِينَ أَبْصَرَتْ خُرُوجَهُ عَيُونُ الْعَجَمِ، حَقَّقُوا أَنَّهُ إِلَى بِلَادِهِمْ قَدْ عَزَمَ،
إِذْ لَا عَدُوَّ لَهُ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ، إِلَّا تِلْكَ الْفَتَّةُ الْبَاغِيَّةُ، فَذَهَبُوا إِلَى كَرْمَانَ
شَاهَانَ، وَأَخْبَرُوا أَهْلَهَا بِمَا قَدْ كَانَ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْاضْطِرَابُ وَالْخَوْفُ
الْعَظِيمُ، وَكَثُرَتْ الْأَرَاجِيفُ فِي تِلْكَ الْإِقْلِيمِ. وَهَرَبُوا إِلَى أَصْفَهَانَ لِمَا
شَاهَدُوا مِنْ فَتْكَ هَذَا الضَّرْغَامِ، وَأَبْصَرُوا فِعْلَ هَذَا الْهَمَامِ، وَقَتَّ
الاصْطِدَامَ، وَأَنْ حُصُونَهُمْ لَيْسَتْ وَاقِيَةً مِنْ صَوْلَتِهِ، وَأَنْ مَعَاقِلَهُمْ لَيْسَتْ
حَامِيَةً مِنْ حَمَلَتِهِ. فَبَقِيَتْ كَرْمَانُ شَاهَانَ وَهَمْدَانُ خَالِيَتَيْنِ عَنِ الْأُنَيْسِ،
مُجَرَّدَتَيْنِ عَنِ الْمَتَاعِ النَّفْسِ، تَحْتَ كَيْدِ الْعَدُوِّ.

ثُمَّ أَنَّ الْوَزِيرَ، بِرَجُوعِهِ إِلَى بَغْدَادَ، بَعْدَ قَضَاءِ وَطَرِهِ مِنَ الْاصْطِيَادِ،
حَصَلَ فِيهَا الْاضْطِرَابُ، وَشَاعَ بَيْنَ أَهْلِهَا مَجِيءُ نَادِرِشَاهِ الْمُرْتَابِ،
فَارْتَفَعَتِ الْأَسْعَارُ، وَبَادَرَ الْكُلُّ إِلَى الْأَنْخَارِ، وَالْأَهْبَةُ لِلْحَصَارِ، حَتَّى أَنَّ
الْوَزِيرَ غَلِبَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ لِاضْطِرَابِ الْقَوْمِ، فَادْخَرَ لَجُنُودِهِ فِي إِيجِ قَلْعَةٍ^(١)
إِحْقَاقًا مِنَ الْبُرِّ^(٢) وَالشَّعِيرِ، وَأَلْفًا مِنْ أَمْنَانَ الْأَرْزِ وَالسُّنَنِ بِلَاتَوَانِ
وَتَأْخِيرِ. وَفَرَّقَ جُنُودَهُ عَلَى الْقُرَى خَشْيَةَ احْتِلَالِ الْأَعْرَابِ، إِذْ لَمْ يَزَالُوا

(١) هي قلعة بغداد، وقد تقدم التعريف بها.

(٢) البر: الحنطة.

يَنْتَهِزُونَ فَرَصَ الْخَرَابِ. وَأَرْسَلَ عِيُونًا إِلَى الْعَجْمِ تُخْبِرُهُ عَنْ هَذَا الْخَطْبِ الْأَدْهَمِ. فَرَجَعَتِ الْعِيُونُ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا <١١٦٧> كَانَ.

وَذَلِكَ أَنَّ النَّادِرْشَاهَ حِينَ بَلَغَهُ قَدُومُ الْوَزِيرِ عَلَى بِلْدَانِهِ، وَأَخْبِرَ بِنَقْضِ عَهْدِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ مَكَانِهِ، لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا الْخَبَرَ، لَمَّا عَلِمَ مِنْ وَثَاقَةِ عَهْدِ هَذَا الْقُسُورِ، وَلَكِنَّهُ احْتَاطَ وَعَبَّأَ كَرِّمَانَ شَاهَانَ وَهَمْدَانَ جُنُودًا وَافِرَةً، وَعَسَاكِرَ مُتَكَاثِرَةً، وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا إِلَى حِمَى بَغْدَادَ، بِشَيْءٍ مِنَ الْفَسَادِ، بَلْ يَكُونُونَ هُنَاكَ حُرَاسًا، وَيَبْقُونَ فِي مَكَانِهِمْ لِأَهْلِ الْبِلَادِ إِيْنَاسًا، وَلَكِنْ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ حِينَ بَلَغَهُ هَذَا الْخَبَرُ، أَشَاعَ فِي بَغْدَادَ مَا قَدْ كَثُرَ.

فصل [اسلم وسرور]

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْخَمْسِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(١)، عَمَّ أَهْلُ بَغْدَادَ السَّرُورَ، حَيْثُ أَمِنُوا صَوْتَةَ ذَلِكَ الْفَاجِرِ الْكَفُورِ.

وَقَدْ خَتَنَ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورَ، ابْنَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدَ بَاشَا، حَيْثُ كَانَ ابْنُ بِنْتِ أُخْتِهِ صَفِيَّةَ خَانِمَ، أَلَا وَهُوَ الْوَلَدُ السَّعِيدُ، وَالشَّابُّ الْمَجِيدُ الْحَمِيدُ، أَبُو الْمَحَاسَنِ حُسَيْنَ بِيكَ، قَدْ حَوَى مَا حَوَاهُ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الشُّبْرَفِ وَالْفَخَارِ، وَحَازَ مَا قَدْ حَازَهُ مِنَ الْأُبْهَةِ وَالْوِقَارِ. قَدْ نَشَأَ فِي بَيْتِ أَهْلِهِ الْمَعْمُورِ، مُنْذُ وَلادَتْهُ، الْهَنَاءُ، وَشَبَّ مَعَ شَبَابِهِ السَّرُورَ، وَزَالَ بِوُجُودِهِ الْعَنَاءُ، فَهُوَ النُّجْمُ الَّذِي تَوَلَّدَ مِنْ نَيِّرَيْنِ، فَوْهَبَا الْمُنَاءِ. وَهُوَ الْغُصْنُ الَّذِي فَرَعَ بَيْنَ دَوْحَتَيْنِ،

(١) أولها ٨ آذار سنة ١٧٤٢م.

فأكسبناه البهاء منذ خلَعَ القِمَاط، فازَ في خِلَعِ العلاء، ومنذ دَبَّ وسعى أدرك غايةَ العُقلاء، رِيحانةَ النادي، وشمعةَ الندماء، ومَغناطيسِ الأنس، وسُلوانةَ الجُلُساء. فيا الله ما أكرمَ شَمائله، وأجملَ خِصائله، وأحسنَ سِيرته، وأسلمَ سريره. <٦٧ اب> وتَجَبَّبَ بِنَجَابَةِ هذا الحَسِيبِ الحميد، وتَشَرَّفَ بِشَرَفِ هذا المجيد، فقد أُوتِيَ بالمَهْدِ الكمال. وإنما غَلَبَتْ عليه عادةُ الأطفال، ويلوح عليه نور المجد وهو عَهْدُه، وقد تراعت منه علامات الشَّرَفِ الدَّالَّة على كَماله في حَدِّه. وكيف لا؟ وقد حَمَلَتْه من قَمَرِ الدُّجَى شَمْسُ الضُّحَى، فَأَتَتْ به نَجْمًا فاقَ أَقمارَ التَّم في الجمال والبهاء، فطَهَّرَه الطاهر بالخِتان، وأَنَّى يُطَهَّرُ صَبِيٌّ قوم، هم ماء السَّماء، وأَنَّى يُشَرَّفَ بالتطهير طفلُ أناسٍ يُشَرَفُ بهم من إليهم قد انتمى. قد شَهِدَ لهم الفضل بأنهم مُطَهَّرُونَ منذ الولاد، مُنَزَّهُون عن الأرجاس، فائقون سائر العياد. فَعَسَى أبوه وأُمُّه أن يَظْهَرَ أولاده، وأن يَبْقِيَا مَدَى الدَّهْرِ من المكارم على الزيادة.

وقد عَمِلَ له هذا الشَّهْمُ البَهِلُول^(١)، عُرْساً يَخْرُسُ اللِّسان عن وصفه، ويعجز البيان عن بيانه في صِنْفِه، أسال فيه جداول النُّضار على الشُّعراء وأهل الطَّرَب، ونَثَرَ فيه كل دينار على أهل الخلاعة وأرباب اللَّعِب. وقد زَفَّه يوم الخِتان بوجوه أمرائه، وأعيان عساكره، ورؤساء كُبرائه، وأجلاء أكابره، وقد ألبسهم للزينة العُدَدُ الفاخرة، وكَساهم البُرْدُ الفارِهة، وأركبهم النُّجُبُ المُسَوِّمة، والخيول المُلأمة. وأحدق بهم رجاله اليَنكَجَرِيسة شاكيي السلاح، فطاقوا به بغداد، وساروا به مَثْنَى مَثْنَى وأحاد أحاد. وقد خَتَنَ

(١) البهلُول: العزيز الجامع لكل خير.

معه من أطفال أهل بغداد من لا يُطِيقُ يَضْبُطُهُمْ رَقْمٌ حَاسِبٌ، <١١٦٨>
ولا يُحْصِيهِمْ قَلَمٌ كَاتِبٌ، مع كِسْوةٍ تَامَةٍ لْجَمِيعِهِمْ، ونُقُودٍ لِأَجْرَةِ الْجَرَّاحَةِ
لصغيرهم وكبيرهم، وقد أَرَخَ الوالد - حَفْظُهُ اللهُ - خِتَانَهُ بِقَوْلِهِ [مَنْ
البسيط]:

بشائرُ السَّعدِ تُبَيِّنُنا بِهِ زَمَناً واليومُ أَبَدَتْ لِنَسا أَسْرارَها عَلَناً
وَأُنْجِزَتْ لَا بِمَظَلٍ بِالَّذِي وَعَدَتْ فَاسْتَوَجَبَتْ كُلَّ حَمْدٍ إِثْرَ ذَا وَثَنًا
وَالْكُونُ مِنْ نَشْوَةِ الْأَفْرَاحِ ذُو طَوْبٍ عَمَّتْ مَسْرُوتُهُ الْأَقْطَارُ وَالْمُدُنَا
لَهُ دَرُ خِتَانٍ جَسَلٌ مَوْقَعُهُ أَبَدَى بِشُهرَتِهِ لِلْمُصْطَفَى سُنَنًا
ورائدُ الْخَيْرِ نَادَى: ابْشِرُوا فَلَقَدْ أَضْحَى حَسِينٌ بِهَذَا الْعَصْرِ مُخْتَبِتًا
وَشَيْدُ الْمَجْدِ وَالْإِقْبَالِ فابْتَهِجُوا وَجَالِبُ الْأَمْنِ مِنْ دَارِ السَّلَامِ دَنَا
وَقَائِدُ الشَّرِّ وَلَى فامْرَحُوا فَرَحًا فَهَا حَسِينٌ بَذَا التَّارِيخِ قَدْ خُتِنَا

مركز تحقيق كتب التراث

وفي هذه السنة أيضاً، شَفِعَ هَذَا الْبَدْرُ الْأَنْوَرُ، بِمَوْلِدِ شَقِيقِهِ الْأَصْغَرِ،
أَبِي الْمَكَارِمِ عَلِيِّ بِيكٍ، فَبَدَأَ لِلْوُجُودِ قَمَرٌ تَمَّ، لَا يَزَالُ سَاطِعُ النُّورِ، وَنَجْمٌ
سَعَدَ لَا يَبْرَحُ مُحَالِفاً السُّرُورِ، قَدْ عَلَّقَ الْعُلَا فِي ذِيُولِ أَقْمَاطِهِ الْفَاخِرَةِ،
وَنَشَأَ السَّمَاحُ بِخُجُورِ تَمَائِمِهِ الطَّاهِرَةِ. نَجْمٌ أَفْقُ السُّهْدَى، وَقَمَرٌ غَسَقَ
الْأَحْزَانِ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى.

وقد عم بغداد بمولده الهنا، وزال عنها بقدمه العنا، فقد غدا هو
وأخوه كَالسَّمْطَيْنِ فِي جِيدِ الْعُلَا، بَلْ كَالْقَرَطَيْنِ وَالشَّقَيْنِ لِعُرُوسِ أَفْرَاحِ
الْمَلَا، بَلْ كَمَوْضِعِ الْعَيْنَيْنِ لِلْإِنْسَانِ، بَلْ كَالْقَبْسَيْنِ مِنْ نُورَيْنِ لَجَلَاءِ ظَلَمِ
الزَّمَانِ، بَلْ كَالْفَرَقْدَيْنِ تَلَابَسَا وَتَشَاكَلَا، بَلْ كَالنَّيِّرَيْنِ تَجَانَسَا وَتَمَثَّلَا. وَقَدْ

أرّخ ميلاده الوالد- حفظه [الله]- بعشرة أبيات، كل ثاني شطر تاريخ، فقال <٦٨ اب> (١) [من الطويل]:

لَكَ الْخَيْرُ يَا مَنْ خَصَّ بِالْجُودِ وَالسَّيْرِ
عَنَادِلَ دَوَّحِ السَّعْدِ يَسْجَعْنَ بِالْهَنَاءِ
لَكَ الْحَسَبُ الْعَالِي عَلَى النُّجْمِ شَامِخٌ
بِنِسْبَتِهِ لِلْفِزْدِ نِلَسَتْ كَرَامَةٌ
فَبَشَّرِي بِهِ يَا ذَا الْمَفَاخِرِ أَنَّهُ
وَمَنْ عَدُوَّ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ
وَتَاهَتْ عَلَى الْأَيَّامِ لَيْلَةٌ وَضَعَهُ
وَلَا غَرَوْ أَنْ دَامَ السَّرُورُ عَلَى الْوَرَى
وَلَا زَالَ مَرُّ الْعَصْرِ يَخْدُمُهُ الْمُتَنِي
فَخَذُ ثَانِي الْأَشْطَارِ تَلَفَ مَوْرخاً
تَهَنُّ بِمَوْلُودِ حَوَى سَرْمَدِ النَّجْرِ
وَوُرُقُ الْمُئِي يَصْدَحْنَ دَوَّماً بِلَا نُكْرِ
بِهِ الْمَجْدُ يَسْمُو قَارِناً طَيِّبَ النَّشْرِ
وَكُنْتَ عَلَى أَوْجِ السُّمَّاكِينِ وَالنُّسْرِ
حَوَى سَوْدُداً يَنْمُو مَدَى مُنْتَهَى الْعَصْرِ
بِمِيلَادِهِ جُهْدٌ بِمَا حُلُّ مَنْ فخر
وَبَاقَتْ بِهِ الزُّورَاءُ مَجْداً عَلَى مِصْرٍ
فَفِي طَالِعِ الْإِسْعَادِ وَفِي عَلَى الْبِشْرِ
وَيَقْدِمُهُ الْإِقْبَالُ تَهْنِئَةَ الدَّهْرِ
عَلَيَّاءُ عَلَى مِيلَادِهِ بَهْرَةَ الْبَدْرِ

وقال الفقير مؤرخاً أيضاً (٢) [من الكامل]:

بِشْرَاكَ يَا مِفْضَالَ يَا ذَا الرَّقْعَةِ
يَا مَنْ سَمَى أَقْرَانَهُ فَعْدَا عَلَى
أَفْرَدَتْ بِالنَّصْرِ الْعَمِيمِ وَرَبِّمَا
وَمُنِّحَتْ مِنْ رَبِّ الْعِيَادِ بِمَنْحِهِ
بِمَجِيءِ مَوْلُودِ بِهِ زَالَ الْعَنَاءُ
يَا شَهْمُ يَا مِعْطَاءَ يَا ذَا الْهَمَةِ
دَسَتْ الْإِمَارَةَ ضَيْغَمًا ذَا الْيَدَةِ
خَصَّ الْمُؤَيَّدَ وَهُوَ عَيْنُ النَّصْرَةِ
مَقْبُولَةٌ أَكْرَمَ بِهَا مَنْ مَنَحَتْ
عَنَّا فَفِيهِ عَصْرُنَا بِمَسْرَرَةٍ

(١) ديوان عبد الله السويدي الورقة ١٧.

(٢) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٣٨.

قَدْ جَاءَ فِي أَحَدٍ لِيُؤْنِ أَنَّهُ أَحَدٌ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَمَدِيحَةٍ
تَاهَتْ بِهِ بَغْدَادُ إِذْ صَارَتْ بِهِ جَنَّتْ عَيْنٌ بِالْمَكَارِمِ حَقَّتْ
أَمِنَتْ بِمَوْلَدِهِ نِكَالَةَ غَادِرٍ قَذَرَ الْعَقِيدَةَ نَحْسَهَا ذِي نَكْبَةٍ
لَا غَرَوْ فِي ذَا إِذْ إِلَى الْمَلِكِ انْتَمَى تَاجَ الْمُلُوكِ فَيَا لَهَا مِنْ نِسْبَةٍ
يَا شَهْرَ مَوْلَدِهِ حَوَّيْتُ فَضِيلَةً كُلَّ الشُّهُورِ لِمَا حَوَّيْتُ تَمَنُّتْ

<١١٦٩>

وَجُمِعَتْ فِي ذَا الشَّانِ عِزًّا مَقْرَدًا بُشْرَاكَ فِي التَّارِيخِ (يَا ذَا الْحِجَّةِ) ^(١)

١١٥٥هـ

فصل

وَقَدْ أَنَشَدَهُ مُسْتَرْفِدًا السَّيِّدَ سَعْدِي الْمَوْصِلِي ^(٢) حِينَ وَفُوْدَهُ عَلَيْهِ، قَوْلُهُ

[مِنَ الْكَامِلِ]:

شَمْسُ الْمَعَالِي فِي سَمَاءِ الزُّورَاءِ بَزَغَتْ فَزَالَ ظِلَامُهَا بِضِيَاءِ
وَتَنَوَّرَتْ أَفْقُ الْعِرَاقِ بِأَحْمَدٍ بِدَرِ الْكَمَالِ وَسَيِّدِ الْوُزَرَاءِ

(١) مجموع أقيام الحروف: ١١٥٥هـ .

(٢) هو سعدى بن أحمد بن الشيخ مصطفى البصير الموصلي، ترجم له ياسين العمري (غاية المرام ص ٣٨٣) وأثنى عليه، فذكر أنه أخذ علم القراءات عن أبيه، وكان شيخ القراء في مدينته، وله اليد الطولى في قراءة المولد الشريف، حسن الصوت، عارفاً بالموسيقى، جيد الغناء، سافر إلى بغداد وحظي عند أهلها إلى أن حدث فيها الطاعون سنة ١٢١٧ فقدم إلى الموصل. وذكر أن له أشعاراً على وزن الموشح تسميه العامة تنزيلة. وسكت عن تاريخ وفاته، مما دل على أنه كان حياً سنة تأليفه كتابه.

وأرى زَمَانَ الْجَوْرِ أَصْبَحَ مُنْصَفًا
 وأرى الْقُصُورَ بِلا قُصُورٍ شُيِّدَتْ
 وأرى حِمَى الزُّوراءِ مَحْمِيًا وَقَدْ
 وأرى طيُورَ السَّعْدِ تُنْشِدُ فَرَحَهُ
 فَتَبَاشَّرَتْ أَحْزَابُهُ فِي فَتْحِهِ
 نَصَبَ الْقَضَا جَرْمًا بَرَقَعَ مَفَاسِدُ
 السَّيِّدِ السَّنْدِ الَّذِي نَلَّتْ لَهُ
 فِيمِنَهُ يَمَنٌ لِمَنْ خَافَ الرَّدَى
 مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ الْفَرِيدُ بِقُصْرِهِ
 إِنْ حُلَّ مَجْدَبَةٌ تَخَصَّبَ عَيْشُهَا
 هُوَ عَيْنُ أَعْيَانِ الزَّمَانِ وَقُضْرُهُ
 بَحْرُ النُّوَالِ وَكَعْبَةُ الْأَمَالِ بَلْ
 قَطَرٌ هَمَى بَحْرٌ طَمَى بَدْرٌ سَمَا
 خَضَعَتْ لَهُ أَرْقَابُ أَرْيَابِ الْعُلَا
 لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى الْعَقَافَةِ وَالتَّقَى
 أَكْرَمَ بِهِ يَرَعَى الذَّمَّامَ وَلَمْ يَحْنِ
 قَالُوا شَدِيدُ الْبَاسِ! قُلْتُ عَلَى الْعِدَى
 قَرَمٌ يُجَنِّدُ كُلَّ لَيْثٍ كَاسِرٍ
 بَحْرٌ إِذَا مَا مَاجَ يَقْدَفُ جَوْهَرًا
 يَتَبَدَّلُ الضَّرَاءُ بِالسَّرَاءِ^(١)
 وَبِهَا السَّرُورُ مُؤَانِسُ الْجُلَسَاءِ
 أَمِنَتْ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَعْدَاءِ
 وَكَذَا الدُّوَاءُ يَكُونُ بَعْدَ الدَّاءِ
 وَتَفَاخَرَتْ فَقَرَاؤُهَا بِجَزَاءِ
 عَنَا فَجَابِرُ كَسْرِنَا بِعَطَاءِ
 فِي عِزِّهَا الْأَبْطَالُ فِي السَّهْجَاءِ
 وَيَسَارُهُ يُسَرُّ بِغَيْرِ مَرَاءِ
 ذُو هِمَّةٍ وَنَجَابَةٍ عَلَيْهِاءِ
 فَالْكَفُّ مِنْهُ سَحَابَةُ السَّلَالِ
 عَالٍ عَلَى الْوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ
 لَيْثُ الرِّجَالِ وَقُدُوةُ الْكُرَمَاءِ
 وَإِذَا حَمَى مَا الْأَسَدُ فِي الْأَجْمَاءِ
 إِذْ لَاحَ أَكْمَلُهُمْ بِعَيْنِ الرَّائِي
 وَالْإِبْتِهَاجِ بِصُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ
 رَغَى الذِّمَامَ سَجِيَّةَ الْفَضْلَاءِ
 قَالُوا: وَيَخْضَعُ! قُلْتُ: لِلصُّلَحَاءِ
 إِنْ خَاضَ عَثِيرَ غَارَةِ شَعْوَاءِ
 عَذَبُ الْوُرُودِ فَمَا زُلَالُ الْمَاءِ

(١) الصحيح السراء بالضراء، لأن الباء تدخل على المتروك بالتبديل.

أَمْجَنْدِلَ الْأَبْطَالِ يَا بَحْرَ النَّدَى
وَافِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَضُرَّ بِهِ السُّرَى
يَحْدُو بِهِ ذِكْرُكُمْ وَدَلِيلُهُ
مَوْلَايَ قَدْ وَافَتْ رِكَابِي قَبْلَ ذَا
وَأَتَيْتُ ثَانِيَةَ أُخْتُ رِكَابِي
يَا مُنْقِذًا مُهْجَ الْأَنَامِ مِنَ الرَّدَى
بِكَ أَسْتَجِيرُ مِنْ اقْتِصَارِي لِلْوَرَى
إِنْ لَمْ أَلْذِ بِجَنَابِكُمْ فَمَنْ السَّيِّ
سَبَقَتْ هِبَاتُكَ لِلْعَفَاةِ فَمَا لَهُمْ
أَنْقِذْ قَدَيْتُكَ مُهْجَتِي مِنْ فَقْرِهَا
لَكَ فِي الْمَكَارِمِ رُتْبَةٌ عَلَوِيَّةٌ
وَشَجَاعَةٌ وَبِرَاعَةٌ وَفَصَاحِشَةٌ
أَنْتَ الْفَرِيدُ عَلَى الزَّمَانِ بِهَيْمَةٍ
هَا قَدْ أَتَيْتُكَ سَيِّدِي يَا مَنْ رَأَى
أَرْجُو نَدَاكَ وَأَنْتَ بَحْرٌ طَافِحٌ
لَا زِلْتَ مُتَدَحِ الْأَنَامِ مُوَفَّقًا
مَنْ كَانَ أَحْمَدُ فِي الْأَنَامِ مُعِينُهُ
سَعْدِي يَوْمُكَ مِنْ حِمَى الْحَدَبَاءِ
حَتَّى أَعَارَ الشُّقْمَ لِلْمُسْقَمَاءِ
أَرْجُ النَّسِيمَ سَرَى مِنَ الزُّورَاءِ
وَحَطَّطْتُ عِنْدَ ذُرَاكَ رَحْلَ رَجَائِي
لَأَفُوزَ مِنْكُمْ بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
يَا حَامِلًا لِلنَّصْرِ خَيْرَ لَوَاءِ
بِكَ أَحْتَمِي مِنَ سَطْوَةِ الْبُخْلَاءِ
أَرْجُوهُ يُنْقِذْنِي مِنَ الْبَلَاءِ
دَابُّ سِوَى مَسَدٍ وَحُسْنُ ثَنَاءِ
أَنْتَ الْمُؤَمِّلُ سَاعَةَ الضَّرَاءِ
خَفَضْتَ مَحَلَّ كَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ
وَصَبَاحَةٌ تَبْدُو بِغَيْرِ خَفَاءِ
شَهِدْتَ بِذَلِكَ أَلْسُنَ الْأَعْدَاءِ
هَ الْحَاسِدُونَ بِمَقْلَةٍ عَمِيَاءِ
يَا بَحْرَ تَمْ خُفَّ بِالْآلَاءِ
بِمُحَمَّدٍ وَبِصَحْبِهِ النَّجَبَاءِ
لَا شَكَّ ذَلِكَ أَسْعَدُ السُّعْدَاءِ

فصل

[أعمال نادر شاه ومطالبه]

وفي السنة السادسة والخمسين بعد المائة <١٧٠> والألف^(١)، فرَغ النادرشاه الخييث من قتال اللّزك^(٢)، حيثُ قاتَلهم أربعَ سنين ولم يحصل على طائل، ولم تُجدِ معهم كثرة الجحافل، ولم يُطِعه منهم أحد، فعَجَزَ عن قتالهم، وتركهم بحالهم.

وفي مدة إقامته هذه لم تنقطع سفراؤه ورُسُلُه عن الدولة العثمانية. فتارةً يطلب منهم من حدّ الرُّها إلى ما وراء عبّادان، وإن هذه ملكه إرثاً وقانوناً وشرعاً وعرفاً، قائلاً: إنها قد ضبّطها تيمور^(٣)، وأنا وارثه! وتارةً يطلب منهم التصديق بأن هذا المذهب الذي نتعبُ عليه هو مذهب جعفر الصادق، وأنه حق، ويقولون مذاهب الإسلام خمسة لا أربعة. وتارةً يطلب منهم أن يكون له ركنٌ خامسٌ في الكعبة تُصلي فيه الشيعة. وتارةً يطلب منهم أن يكون هو الذي يباشر طريق الحج الذي سنّته زبيدة^(٤)، فيُصلِح البرك والآبار وغير ذلك. وتارةً يطلب أن يكون أمير الحاج إذا ذهب من

(١) أولها ٢٥ شباط سنة ١٧٤٣م.

(٢) تقدم التعريف بهم.

(٣) استولى تيمور، المعروف بتيمور لنگ، في أواخر القرن الثامن للهجرة، على شمال إيران وعلى أرمينية ثم على بغداد وبلاد الجزيرة وديار بكر ومنطقة وان، ثم على بلاد الأناضول جميعاً، وتوفي سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م.

(٤) هي السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد، وكان المؤلف قد أشار فيما تقدم من كتابه إلى قيام والي بغداد حسن باشا بتعمير هذا الطريق والإنفاق عليه سنة ١١٣١هـ.

طريق العراق واحداً من طرقه يخج بالناس ويرجع. وتارة يرجع عن بعض ويطلب بعضاً.

ولم يزل - لعنه الله - هذا دأبه ودينه وشأنه، وهو يسعى في الأرض فساداً، قد خرب الهند وسخر ممالكها إلى أن وصل إلى جهان آباد، كرسي مملكة الهند^(١)، فضبطها بعد قتال كثير. ثم أنه صالح سلطانها شاه محمد^(٢)، وأخذ من الهند أموالاً كثيرة لا تعد ولا تحصى، ورتب على شاه محمد كل عام أن يرسل له خزينة من الأموال، معلومة الأجناس والعند^(٣) <١٧٠ب>

وارتحل عنها، وتوجه نحو التركستان، واستولى على بلخ وبخارى، فأطاعه جميع الأفغان في تركستان، وأهل إيران. وتزعج العجم: أن الهنود - حتى شاههم شاه محمد - ياتعوه، وأن الشاه محمد وكيل عنه، ولأجل ذلك لقب نفسه بشاهنشاه، وأمر - لعنه الله - أن لا يسمى إلا بهذا الاسم، وأوعد من يطلق عليه غيره.

(١) الصحيح أن كرسي المملكة كان دلهي، ولم يكن (جهان آباد) غير اسم القصر الخاص بمحمد شاه.

(٢) هو محمد ناصر الدين روشن اختر، آخر الأباطرة المغول المستقلين في الهند، تولى العرش سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، وفقد استقلال بلاده اثر غزو نادرشاه سنة ١١٥٢هـ، ولكنه لبث متمتعاً بمظاهر الحكم حتى سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، القاهرة ١٩٥١، ص ٤٤٢.

(٣) أفاض المؤرخون في وصف المجزرة البشرية الهائلة التي ارتكبها نادرشاه في السكان المدنيين في دلهي، بعد أن كان محمد شاه قد أعلن خضوعه الكامل له. ينظر مثلاً ما كتبه لوكهارت: Lockhart, Nadir Shah.

ثم تَوَجَّهَ إلى دَاغِسْتَان، ففَعَلَ مع اللِّزَك ما فَعَلَ^(١).

[حصار نادرشاه لمدن العراق]

ثم قَصَدَ الروم، لكنه - قَبَّحَهُ اللهُ - يُظْهِرُ لَوَالِينَا الصَّدَاقَةَ والصُّحْبَةَ، والأَلْفَةَ والمَحَبَّةَ، فأرسلَ إِلَيْهِ بِأَنِّي قَدْ قَصَدْتُ الروم، وكان القَصْدُ بِغَدَاد، ولكن لِكُونِكَ فِيهَا لم أَكْذُرْ خَاطِرَكَ، ولم أَقْدُمُ عَلَيْهَا، ولكنِّي ذَاهِبٌ إِلَى تَسْخِيرِ مَمَالِكِ الروم. وهذه مَلْعَنَةٌ مِنْهُ - لعنه الله - يَعْلَمُ أَن جُلُوسَهُ عَلَى بَغْدَاد لَا يُجْدِيهِ نَفْعاً مَا دَامَ فِيهَا هَذَا الْحَارِسُ، وَأَنَّ الْمُدَاهَنَةَ خَيْرٌ مِنَ الْمُضَاغَنَةِ.

ثم أَرْسَلَ إِلَى الدُّسْتُورِ الْمَذْكُورِ يَسْتَمْتِحُهُ جَمِيعَ مَزَارِعِ بَغْدَاد، فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ إِلَى ذَلِكَ بِحُكْمٍ "إِذَا كُنْتُ مَأْكُولِ الطَّعَامِ فَرَحَّبْتُ". فَأَرْسَلَ - لعنه الله - إِلَى تَخْصِيلِ مَا ذَكَرَ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا. لكنه مِنْهُ - قَبَّحَهُ اللهُ - دَهَاءٌ، وَمَا قَصَدَهُ إِلَّا حِصَارَ بَغْدَاد، لكنه لَيْسَ كَمَا نَعَهْدُ، بَلْ مَنَعًا لَوَالِينَا - رَحِمَهُ اللهُ - مِنَ الْخُرُوجِ، إِذْ رُبَّمَا يَخْرُجُ إِعَانَةً لِلْمَوْصِلِ وَنَحْوِهَا. فَأَرْسَلَ هَذِهِ الْفَيْسَاتِ وَأَحْدَقُوا بِبَغْدَادِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، لكنهم عَنْ بَغْدَادِ مِقْدَارَ فَرَسٍ سَخٍ. وَأَمَّا الْوَزِيرُ وَأَهْلُ بَغْدَادِ، فَقَدْ تَأَهَّبُوا لِلْحِصَارِ، وَاحْتَاطُوا لَهُ، فَانْزَلُوا بِأَجْمَعِهِمُ الْأَسْوَارَ.

وَارْتَحَلْنَا مَعَاشِيرَ أَهْلِ [الـ]جَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، وَأَخْلَيْنَا الْبُيُوتَ وَالْعِمْرَانَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْأَوْطَانَ، وَتَأَهَّبْنَا لِلْحِصَارِ، وَبَقِينَا فِي

(١) لم تَوَدَّ أَعْمَالُ نَادِرْشَاهِ فِي دَاغِسْتَانِ إِلَّا إِلَى هَزِيمَتِهِ، وَهُوَ مَا أَثَرَ فِي سَمْعَتِهِ الْقِتَالِيَّةِ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ.

هذه < ١٧١ > المدة نَعَانِي كُرْبَ الْفِرَاقِ، وَنُقَاسِي شِدَائِدَ الْمَشَاقِ، وَنَتَعَهَّدُ
الدُّورَ فِي النَّهَارِ، وَنَحْنُ إِلَى الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ حَنِينَ التَّكَلَّى بِإِجْرَاءِ الدَّمْعِ،
وَنَنْتَ عَلَى الْأَوْطَانِ الْخَالِيَةِ أَنْيْنَ الْحُبْلَى وَقَتَ الْوَضْعِ.

وقد انتبَهْتُ سَحَرَ بَعْضِ اللَّيَالِ، فَاسْتَقَتْتُ إِلَى الْكَرْخِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ
بَيْنَ هَاتِيكَ الْأَطْلَالِ، فَجَرَى دَمْعِي تَوَآمًا، وَكَادَ أَنْ يَكُونَ دَمًا، فَأَنْشَدْتُ بِدِيهَا
قَوْلِي ^(١) [مِنَ الْبَسِيطِ]:

عَرَّجْ عَلَى الْكَرْخِ وَانْزِلْ فِي مَغَانِيهِ وَاسْأَلْهُ: كَيْفَ خَلَّتْ مِنْهُ غَوَانِيهِ؟
عَهْدِي بِهِ وَهُوَ مَعْمُورٌ بِسَادَتِهِ وَجُمْلَةُ الصَّخْبِ كَانُوا فِي نَوَادِيهِ
عَهْدِي بِهِ وَهُوَ مَحْفُوفٌ بِكُلِّ هُنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ وَالسُّعْدُ ثَاوِيهِ
وَالنُّورُ وَالنُّورُ فِي أَرْجَائِهِ سَطَعَا وَالْوَرْدُ وَالْآسُ تَاهَا فِي نَوَاحِيهِ
وَاللِّصْبَا أَرْجَ تَحْيِي النَّفْسُ بِهِ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ عِطْرٌ كَامِنٌ فِيهِ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ أَصُولِ الْبَانِ فِي طُوبِ وَالْغُصْنُ بِالْخُودِ يُزْرِي فِي تَنْبِيهِ
فَمَا لَهُ ذَهَبَتْ أَصْحَابُهُ وَعَفَّتْ أَنَارُهُ وَهُوتَ مِنْهُ أَعَالِيهِ
لَهَقِي عَلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ أَجْمَعِهِ فَجَانِبِ الشَّرْقِ طَيِّبًا لَا يُدَانِيهِ
بِاللَّهِ قِفْ بِذَلِكَ فِيهِ كَسَارِيَةٌ وَلَمْ تَزَلْ مِنْ صَدَى التَّفْرِيقِ تَرْوِيهِ
وَقِفْ وَقُوفِي بِهِ يَوْمَ الرُّحِيلِ ضُحَى حَيْثُ الْعَقِيقُ عَلَى الْخَدَّيْنِ أَجْرِيهِ

وَقَدْ كُنْتُ أُرِيدُ الْهَرَبَ، مَعَ بَعْضِ تَلَامِيذَتِي إِلَى حَلَبَ، لَشِدَّةِ
اضْطِرَابِ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَعَمُومِ الْأَكْدَارِ فِيهِمْ وَالْأَنْكَادَ، حَيْثُ حَقَّقُوا أَنَّهُ إِنْ
جَاءَ لِحِصَارِهَا بِأَخْذِهَا عَنُوةً، وَلَا يَدْعُ فِيهَا وَهْدَةً وَلَا رَبُوةً، لَكثْرَةِ أَطْوَابِهَا

(١) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٣٤-٣٥.

وقنابره، ووفور جنوده وعساكره. لكن الغيرة على الأهل والأخوة والأخوات <١٧١ب> قَيَّدَتْنِي بأداهم، وأوثَقَتْنِي بِقَيْدٍ مُحْكَمٍ لَازِمٍ. وَفَكَّرْتُ أَنْ قَتْلِي فِي الْإِزْدِجَامِ، أَوْلَى مِنْ حَيَاتِي وَأَهْلِي وَأَقَارِبِي فِي أَيْدِي الْأَعْجَامِ. وَصَمَّمْتُ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ، وَوَطَّنْتُ النَّفْسَ عَلَى هَذِهِ الْمُصِيبَةِ وَالرَّزِيَّةِ. وَلَشِدَّةِ الْحَصْرِ وَالِإِشْتِيَاقِ، شَطَّرْتُ وَعَجَّزْتُ أَيْبَاتاً رَأَيْتُهَا مَكْتُوبَةً عَلَى ظَهْرِ ثَمَرَاتِ الْأُورَاقِ^(١) [من البسيط]:

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا مهتف أبلج قد زانه خفر
بدر المحيا به يحيا مواصله ضبي تنفره عن وصلنا نقر
ضفيرته على قتلي تضافركا وكم بعيني من أجفانه سهر
وقد تهولت من ظفر الضفائر بي يا من رأى شاعراً أودى به الشعر

وقد جلستُ في هذه المدة في حُجْرة إمام جامع العاقولية^(٢)، مع أخي الأوسط الشيخ محمد سعيد، فأخذنا بأطراف الحديث، وجرى بيننا قول بعضهم في ذمِّ الدَّهْرِ شِعْراً [من مجزوء الرجز]:

(١) كتاب من تأليف تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م.
(٢) جامع ينسب إلى دفينه الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي العاقولي، مدرس المدرسة المستنصرية ببغداد، المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وكان الجامع في أصله داراً له فوقه على عشرة صبيان يقرأون القرآن، فتحولت الدار، مع مرور الزمن إلى مسجد جامع، ومن قام بتعميره سليمان باشا كتحدا أحمد باشا في مفتح ولايته سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م. وما زال الجامع عامراً حتى اليوم، وتنسب إليه محلة العاقولية التي حوله، وكانت تعرف في عهد الواقف المذكور بدرب الخبازين. ينظر محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص ٤٦-٤٨.

تَبَّتْ يَدَاكَ مِثْلَمَا تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ

فَارَدْنَا أَنْ نَضْمَنَهُ مِنْ كُلِّ شَطْرِ، فقال الفقير^(١) [من مجزوء الرجز]:

وَذَاتَ طَرْفٍ نَاعِسٍ	فَقَالَ أَخِي	يَرْمِي بَنِيْلٍ مِنْ لَهَبٍ	فَقُلْتُ
كَأَنَّهُ سَـيِّفٌ إِذَا	فَقَالَ	مَا سَلُّ أَرَاكَ الْعَطَبِ ^(٢)	فَقُلْتُ
مِنْ ذَاتِ ثَغْرِ بِاسْمٍ	فَقَالَ	قَدْ زَانَهُ ذَاكَ الشَّنْبُ	فَقُلْتُ
وَيَلِي فِكْمٍ أَغْرَتُ بِنَا	فَقَالَ	وَكَمْ رَمْتَنَا مِنْ عَطَبٍ	فَقُلْتُ
وَكَمْ لَهْجَرٍ أَظْهَرَتْ	فَقَالَ	فَكَمْ لَهَا فِيهِ أَرْبُ	فَقُلْتُ
يَا وَيْحَ دَهْرٍ كَمْ لَهُ	فَقَالَ	مِنْ حَدَثَانٍ وَنُوبٍ	فَقُلْتُ
كُنَا بَعِيْشٍ رَاغِدٍ	فَقَالَ	فَهَلْ لِنَفْرِيْقٍ سَبَبٍ	فَقُلْتُ
أَهْ لَا يَأْمَامَ مَضْنَتِ	فَقَالَ	فِي الْكَرْخِ فِي تِيكَ الصُّحْبِ	فَقُلْتُ

<١٧٢>

وَكَمْ قَضَيْنَا مَارِبَاً	فَقَالَ	وَكَمْ نَفَيْنَا مِنْ كُرْبٍ	فَقُلْتُ
تَبَّأَ لَدَهْرٍ خَانِنَا	فَقَالَ	قَدْ نَالْنَا مِنْهُ الْقَعَبُ	فَقُلْتُ
كَأَنَّهُ فِي غَفْلَةٍ	فَقَالَ	مَذْ نَحْنُ كُنَا فِي طَرْبٍ	فَقُلْتُ
يَا دَهْرُ يَكْفِيكَ الَّذِي	فَقَالَ	أَرَيْنَا مِنْهُ الْعَجَبُ	فَقُلْتُ
تَبَّتْ يَدَاكَ مِثْلَمَا		تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ	

(١) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ١٨٢.

(٢) في ديوانه (العجب).

ثم أن أولئك الأعجام سَخَرُوا جميع قُرَى بغداد، وأطاعهم جميع الأعراب أهل الفساد. وقد أرسل الخبيث إلى البصرة نحو تسعين ألفاً^(١)، فحاصروها، مع إضرام نار الحرب بين اليّن، واشتعال الأطواب والقناير من الجانبين^(٢).

وأما الخبيث فقد تَوَجَّهَ بِبَقِيَّةِ عسكره إلى شَهْرَزُور، فأطاعه أهلها، وكذلك أطاعه عشائر الأكراد. ثم تَوَجَّهَ إلى قلعة كركوك، فحاصرها ثمانية أيام، ضَرَبَ عليها في هذه المدة عشرين ألف طَوْب، ومثلها قناير، فماتَ فيها خَلْقٌ كثير، وخُرِبَت أكثر البُنْيَان، ولم يكن لأهلها بُدٌّ من التسليم، فسَلَّمُوا وأطاعوا، ولكنهم نَدِمُوا على ما فعلوا، حيث آذاهم أذِيَّةٌ عظيمة،

(١) هذا الرقم لا يخلو من مبالغة، لأن معظم المصادر الإيرانية تهمل الإشارة إلى حملة البصرة عند تفصيلها بشأن حملات نادرشاه الأخرى، مما يدل على عدم مكافأة هذه الحملة من حيث الأهمية والحجم لتلك الحملات. كما أن السائح اوتر Otter الذي مرر بالبصرة آنذاك، قدم لنا تقديراً أقل، حيث نص على أن القوات المهاجمة كانت تبلغ نحو ٣٠,٠٠٠ جندي.

Voyage en Turquie et en Perse, Paris 1743, Tome II, P. 330.

في حين تذهب يوميات معاصرة، كتبت في أثناء الحصار، إلى أن عدد تلك القوات

كان يتراوح بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي. Lokhart, Nadir Shah. P. 236.

ويظهر أن سبب الاختلاف في تقدير عدد القوات المذكورة متأت من عدم تمييز المعاصرين بين القوات النظامية فيها، والقوات القبلية التابعة لها، أو الموالية، إذ يبدو أن معظم تلك القوات كان يغلب عليه الطابع القبلي. وكان قائدها العام (السردار) من قوات نادرشاه البارزين، هو فوجه خان شيغانلو من عشيرة جمشكزك الكردية، وكان نادرشاه يعتمد على هذه العشيرة في عملياته العسكرية.

(٢) تفاصيل هذا الحصار في بحثنا: صمود البصرة في أثناء حصار نادرشاه سنة ١٧٤٣،

مجلة الأستاذ، تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد، العدد ١، ١٩٧٨.

وَأَسَرَ مِنْهُمْ نِسَاءً عَمِيمَةً. وَقَبِضَ عَلَى عِلْمَائِهَا، وَأَخَذَ مِنْهُمْ دِرَاهِمَ كَثِيرَةً،
حَتَّى بَاعُوا دُورَهُمْ وَأَثَانَهُمْ وَجَمِيعَ مَا عِنْدَهُمْ، وَوَفُّوا مَا أَرَادَ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنَّ
ابْنَ الْمُفْتِي، وَبَعْضَ أَهْلِ كَرْكُوكَ، لَمْ يَقُوا بِمَا طَلَبَ، لَكثْرَةِ مَا أَرَادَ مِنْهُمْ،
فَأَسَرَهُمْ وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ. وَبِذَهَابِ الْوَالِدِ إِلَيْهِ -كَمَا يَأْتِي- تَشَفَّعَ لَهُمْ،
وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى الْبَلَدِ.

ثُمَّ أَنَّ الْوَالِدَ -حَفَظَهُ اللَّهُ- حِينَ سَمِعَ بِفِعْلِ هَذَا الْخِيَاثِ <١٧٢ب>
مَعَ أَهْلِ كَرْكُوكَ اضْطَرَبَ كَثِيرًا، وَقَالَ: أَخْشَى أَنْ يَأْخُذَ بَغْدَادَ، وَيَفْعَلَ بِنَا
مَعَاشِيرَ الْعُلَمَاءِ مَا فَعَلَ بِأَوْلَئِكَ الْفَضْلَاءِ الصُّلَحَاءِ، مِنَ الضَّرْبِ بِالسُّيَاطِ
وَالْحَبْسِ الْمُؤَبَّدِ. وَلَمْ يَزَلْ إِذَا تَذَكَّرَ هَذَا، يَقُولُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ،
عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى إِرْبِلَ، فَسَلَّمَ أَهْلَهَا وَأَطَاعُوا (وَفَعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَ بِأَهْلِ
كَرْكُوكَ) ^(١).

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَوْصِلِ، وَكَانَ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ نَحْوُ مِائَتِي أَلْفٍ
مُقَاتِلٍ. وَنَصَبَ عَلَى دِجْلَةِ جِسْرَيْنَ، وَعَبَّرَ عَسْكَرَهُ وَحَاصِرَ الْمَوْصِلَ نَحْوَ
أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لَكِنْ فِي ظَرْفِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ رَمَى عَلَيْهِمْ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ أَلْفَ
طَوْبِ، وَمِثْلَهَا قَنَابِرَ، فَتَبَتُّوا وَأَسْلَمُوا الْأُمُورَ لِمُدَبِّرِهَا، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ
حَفَرَ لَقُومًا، وَمَلَأَهَا بِأَرُودًا وَرَصَاصًا، وَأَشْعَلَهَا بِالنَّارِ، فَكَانَتْ وَبَالًا عَلَيْهِ.
وَأَغَارَ عَلَى السُّورِ بِالسَّلَالِمِ، فَرَدَّعَهُ مِنَ الْارْتِقَاءِ الضِّيَاعِمِ، وَقُتِلَ مِنْهُ كُلُّ

(١) مَا بَيْنَ قَوْمَيْنِ مِنْ هَامِشِ الْأَصْلِ.

مقاوم^(١). فلما علم أنه لم يحصل من الموصل على طائل، ارتحل عنها، وتوجه بعسكره إلى بغداد.

ثم أن الفقير أرسل إلى أهل الموصل كتاباً، وقصيدة، يهنئهم بالسلامة. أما الكتاب فلم تبقَ بالبال ألفاظه ومعانيه، إلا أنه كهذه الألفاظ

(١) تقدمت جيوش نادرشاه على ثلاثة محاور لاحتلال مدن الموصل وبغداد والبصرة، وكان هو على رأس القسم الأعظم من جيشه الذي استهدف الموصل، وقد ضرب الحصار في منتصف تموز من تلك السنة، وبدأت مدفعيته بقصف الموصل في ٦ شعبان ١١٥٦ هـ ٢٥ أيلول ١٧٤٣ م، واستمر القصف من كل الجهات ٨ أيام كاملة، ألقي خلالها - بحسب الروايات المحلية - ما بين ٤٠ و ٥٠ ألف اطلاقه مدفع، وبعد أن فشل نادرشاه في حمل أهل الموصل على الاستسلام، نقل مدفعيته إلى شمال المدينة لضرب مقر القيادة الموصلية، التي كان يتولاها والي الشجاع الحاج حسين باشا الجليلي، وبعد قصف مدفعي عنيف فشل الجيش المهاجم في اقتحام المقر، كما فشلت محاولات لتسيف السور بواسطة البارود، ومحاولة لمنع سكان المدينة من الشرب بتحويل إحدى شعبي نهر دجلة، وتمثلت الصفحة الثالثة من الحصار بما عرف بمعركة السلاط، إذ هجم الجنود الإيرانيون، وهم يحملون نحو ألف سلم، على أسوار المدينة، لاقتحامها، ولكن نتائج المعركة جاءت وبالاً عليهم، واضطر نادرشاه، بعد مفاوضات قصيرة لم تسفر عن شيء، إلى الانسحاب. وأخبار هذا الحصار مستفيضة في المصادر التاريخية، منها التقرير الرسمي العثماني، والوثائق العثمانية، والتواريخ الرسمية العثمانية، والمصادر المحلية، وأراجيز الشعراء، والمصادر الأوروبية، وتقل المصادر الإيرانية من حجم فشل نادرشاه. وقد جمع سعيد الديوه جي ما ورد في المصادر المحلية، والتقرير الرسمي، في ملاحق كتاب (منية الألباء)، الموصل ١٩٥٥، ص ٢٢٣-٢٩١ وألف أولسون دراسة مستقلة عن هذا الحصار، ودوافعه، ونتائجه، في كتابه Olson, The Siege of Mousul and Ottoman Persian Relations 1718-1743, 1975. وثمة بحوث منشورة في مجلات عديدة لا مجال لذكرها هنا.

والمعاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١).

أما بعد، فإن أحق الرعايا بأن تفاض عليه ملابس الإنعام، وتُضاف <١٧٣> إليه نفائس الإحسان والإكرام، ويميّز من بين أمثالهم بالإدناء والإزلاف، ويُخصّوا بين أشكالهم بالارعاء والاكفاف، ويؤثروا لجميل الأثرة والإقتفاء، ويُسهرُوا بجليل الحبوة والاصطفاء، ويَقْبِض عنهم أيدي التوائب والنوازل، ويرقع إلى أجل المراتب والمنازل، رعية حسنت في الإخلاص أسرارهم وسرائرهم، وسَلِمَت من الانتقاص أبصارهم وبصائرهم، وأُخِمَّت في المشايعة والولاء عقودهم وعقائدهم، وشَهِدَت بالنقّة والوفاء عهودهم ومعاهدتهم، وثَبَّت على مواقف الحق أقدامهم، وأنبأ عن صحائف الصدق إقدامهم، مثلكم يا أهل الموصول، سلّمكم الله تعالى، فإنكم صقوتم حين الموارد تكدّرت، واشتدّتم حين المعاقِد تفتّرت، وأخلصتم في اعتقادكم حين القلوب تغيّرت، وحرصتم على الجهاد إذا الخطوب توعّرت، واستمسكتم - فيما أصابكم - بعري الاضطيار، وسلكتم فيما نابكم سبل المهاجرين والأنصار، وصنتم حرمكم بأيدي متناصرة، وربطتم نِعَمكم بقلوب متظافرة، وعرفتم ما في التسليم من العار، فعدلتكم

(١) الأحزاب، الآيات ٩-١١.

عن طُرُقِهِ، وَتَحَقَّقْتُمْ مَا فِي الثَّبَاتِ مِنَ الْفَخَارِ، فَتَسَابَقْتُمْ إِلَى لَحْقِهِ، وَتَنَاصَرْتُمْ عَلَى الْمَحَامَاةِ عَنْ دِيَارِكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَتَوَازَرْتُمْ عَلَى الْمُنَاضِلَةِ بِنَفُوسٍ مُرَّةً، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ الْبَاغِيَّ حَيْثُمَا قَصَدَ مَخْذُولٌ، وَإِنْ اتَّقَلَّصَتْ لَهُ جَوْلَةٌ، وَالْمَبْغِيُّ عَلَيْهِ أَيْنَمَا أُمُّ وَالْتَمَ مَنْصُورٌ، وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ صَوْلَةٌ، وَأَنْفَقْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فِي الْقِتَالِ مِنْ قَلَقٍ مُسْتَعِثٍ الصَّارِخِ، وَأَرْفَعْتُمْ عِنْدَ السُّنْزَالِ كَالْجِبَالِ الرُّوَاسِيخَ، وَكَسَبْتُمْ - بِمَا أَبْدَيْتُمُوهُ مِنَ الشَّجَاعَةِ - ثَوَابَ أَهْلِ الطَّاعَةِ، وَكَسَبْتُمْ مِنَ الصِّرَامَةِ مَلَابِيسَ <١٧٣ب> السَّلَامَةِ، وَنَشَرْتُمْ مِنْ حَمِيدِ أَخْبَارِكُمْ مَا يَخْلُدُ جَمَالَهُ فِي الْأَعْقَابِ، وَشَهَرْتُمْ مِنْ سَدِيدِ أَثَارِكُمْ مَا يَرُدُّ أَقْوَالَ الْخُسَادِ عَلَى الْأَعْقَابِ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ بِبِعْثِهِ إِخْوَانًا، وَلَأُولِيَاءَ الدَّوْلَةِ الْمَنْصُورَةِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنْلُوكَ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^(١) فَجَزَاكُمْ اللَّهُ عَنْ رِضَى أَعْمَالِكُمْ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ، وَأَثَابَكُمْ عَنْ جَمِيلِ أَعْمَالِكُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ، وَرِضَى عَنْ مَسَاعِيِكُمْ الْحَمِيدَةِ فِي الطَّاعَةِ، وَمَنَاحِيِكُمْ الرَّشِيدَةِ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ، وَوَفَّقَكُمْ لَشُكْرِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اكْتَسَبْتُمْ مِنْ اخْتِمَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَقَلَّلْتُمْ مَعَهُ كُلَّ كَثِيرٍ، وَاجْتَلَبْتُمْ مِنْ رِضَاهُ مَا اسْتَصْغَرْتُمْ مِنْ اعْتِدَادِهِ بِكُمْ كُلِّ كَبِيرٍ، مَا يَخْلُ عَاجِلًا، وَفِي أَفْوَاهِكُمْ ثَمَرَتُهُ، وَيَلُوحُ عَلَى صَفَحَاتِ أَحْوَالِكُمْ قَرِيبًا بِمِنْهَ وَبَرَكَتِهِ، وَيَجْبُرُ مَا كَسَرْتَهُ أَيْدِي أَشْيَاعِ الْبَاطِلِ مِنْ أَحْوَالِكُمْ، وَيُبَلِّغُكُمْ نَهَايَةَ مَا تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاصِي أَمَالِكُمْ، وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ تَصَوَّرَ بِحَضْرَتِهِ مَا دَهَمَكُمْ مِنَ الْمِحْنَةِ الَّتِي هَدَمَتْ بِنَاكُمْ، وَفَصَمَّتْ

(١) الأحزاب، الآية ٢٥.

عُرَاكُم، وَأَضْعَفَتْ قُورَاكُم، وَعَظَّمَتْ بُلُورَاكُم، وَحَلَّتْ حِمَاكُم. وَكَأَنِّي بِهِ عَلِيمٌ
 عِلْمًا يَقِينًا لَا يَتَعَرَّضُ الرَّيْبُ لِيَقِينِهِ، وَلَا يَفْرَضُ النِّقْصُ عَلَى بَرَاهِينِهِ، مَا
 جَرَى عَلَيْكُمْ مِنْ مُنَازَعِي الْحَقِّ وَأَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ، وَمُنَابِذِيهِ وَمُخَالِفِي الْمِلَّةِ،
 حِينَ تَحَالَفُوا عَلَى مُنَازَلَتِكُمْ، وَتَوَافَقُوا عَلَى مَقَاتَلَتِكُمْ، وَمَا اسْتَحْلَوْهُ مِنْ
 تَخْرِيبِ الضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ، وَقَطْعِ الْأَشْجَارِ وَقَلْعِ الثَّمَارِ، وَإِخْلَاءِ الضُّعَفَاءِ مِنْ
 مَسَاكِنِهِمْ <١٧٤> وَمَنَازِلِهِمْ وَأَمَاكِنِهِمْ، فَحَاقَ اللَّهُ بِهِمْ حَتَّى تَكْثُرَتْ
 حَوَاسِيهِمْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ نَفُوسُهُمْ وَأَنْفَاسُهُمْ، وَدَفَعَكُمْ فِي نُحُورِهِمْ حَتَّى
 انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ، وَهَرَبُوا حَائِرِينَ، وَطَارُوا شُعَاعًا حَصَائِدِ السِّيُوفِ،
 وَحَارُوا وَزَاعًا طَرَائِدِ الْحَتُوفِ، وَوَلُّوا مُؤَلِّينَ عَلَى الْأَذْنَابِ، وَرَضُوا مِنْ
 الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ، ﴿فَإَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١) فَيَجِبُ عَلَّيْكُمْ أَنْ تُعْظُمُوا قَدْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فِيمَا
 كَشَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ مِنْ سَحَابِ الظُّلْمِ وَالظُّلْمَةِ، وَأَرَاخَ قُلُوبَكُمْ مِنْ نَوَائِبِ الْغَمِّ
 وَالْغَمَّةِ، وَتَدَارَكَ جَمَاعَتَكُمْ بِهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَأَمَّا الْقَصِيدَةُ فَهِيَ هَذِهِ [مِنْ الْكَامِلِ]^(٢):

بَشْرَاكُم بِسَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ	يَا أَهْلَ تِلْكَ الْمَوْصِلِ الْخَذْبَاءِ
بَشْرَاكُم يَا أَهْلَ مَوْصِلِ إِنْكُمْ	نَلْتُمُ مِنَ الرَّحْمَنِ خَيْرَ جَزَاءِ
مَنْ حَيٍّ مِنْكُمْ فِي الْغَزَاةِ نَصِيْبُهُ	وَنَصِيْبُ مَنْ قَدْ مَاتَ فِي الشُّهَادِ
جَاهِدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ	وَصَبَرْتُمْ لِخَوَائِدِ الْأَنْوَاءِ

(١) الزمر، آية ٢٦.

(٢) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٣٩-٤٤.

وَدَفَعْتُمْ عَنْ بَيْضِكُمْ بِلْ سُمْرِكُمْ وَحَمَيْتُمْ الْعِرْضَ الْمَصُونِ عَنِ الْأَذَى
تَاللّهِ إِنَّكُمْ فَوَارِسَ كَهْمَسٍ^(٢) تَاللّهِ أَنْتُمْ عُذَّةُ الْهَزْجَاءِ
لِلّهِ دَرَكُكُمْ وَدَرُّ رُئُوسِكُمْ مَلِكٌ تَوَلَّى قُنَّةَ الْعِلْيَاءِ^(٣)
بَطْلٌ إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسَ رَأَيْتَهُ وَرَدَّ الدَّمَاءَ مَكَانَ وَرْدِ الْمَاءِ
قَرْمٌ، إِذَا اغْبَرَّ السَّمَاءُ بِمَهْمِهِ قَدْ أَلْبَسَ الْغَبْرَاءَ ثَوْبَ دَمَاءِ
شَاكِي السِّلَاحِ مَقْذُفٌ فَكَأَنَّهُ لَيْثُ الشَّرَى يَسْطُو عَلَى الْأَعْدَاءِ
يَا صَاحِبَ، إِنْ هَزَّ الْقَنَا لِحْدَاتِهِ تَلْقَاهُمْ سَجَدُوا عَلَى الْغَبْرَاءِ

(١) الصعدة: القناة تثبت مستوية فلا تحتاج إلى تنقيف،

(٢) هو كهمس بن طلق الصريمي، أبو حي من العرب، شبههم بأصحابه في قوتهم وشدتهم ونصرتهم.

(٣) يريد والي الموصل آنذاك الحاج حسين باشا بن إسماعيل باشا الجليلي، وكان أحد أبرز القادة العسكريين الذين أنجبهم العراق إبان القرون المتأخرة، وإليه يعزى الفضل في قيادة المدينة بحكمة وشجاعة بالغتين في أثناء تلك الظروف الصعبة. ولد في الموصل سنة ١١٠٧ وقيل ١١٠٦، وفيها تعلم، وحج شاباً، وتولى الموصل أول مرة سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠، ومنحته الدولة العثمانية رتبة وزير، لما أبداه من عون في أثناء الحرب العثمانية- الإيرانية سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م، ثم تولاها بعد ذلك سبع مرات، منها الخامسة في المدة ١١٥٤-١١٥٩هـ/١٧٤١-١٧٤٦م وفيها أبلى البلاء الحسن في أثناء الحصار الذي فرضه نادرشاه، على ما يذكر المؤلف، وله أعمال ومآثر إدارية وعمرانية كثيرة، وتوفي سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م. ننظر ترجمته في عصام الدين عثمان العمري: الروض النضر ج ١ ص ٥٠٥-٥٣٦، ومحمد أمين العمري: منهل الأولياء ج ١ ص ١٤٤-١٤٩ ويامين العمري: منية الأدباء ص ٨١-١٨٥ و ٢٠٧-٢٠٩، وغاية المرام ص ٣٢٢-٣٢٤، وزبدة الآثار الجلية ص ٨٨، ٩٣-٩٩، ١٠٢-١٠٣، ص ١١٥.

يَا كَمْ لَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ فِيهِمْ فَسَهُمْ إِذْنٌ مِنْهُ بِكُلِّ عَنَاءٍ
لَا يَرْعَوِي عَنْهُمْ لِحَتْفِ نَفْسِهِمْ حَتَّى تَفِيضَ بَقَاعَةُ الْوَعْسَاءِ^(١)
عَرَبِيٌّ أَصْلُ فَإِنَّكَ ذُو نَجْدَةٍ ذُو شَيْمَةٍ مَحْمُودَةٍ وَسَخَاءٍ
مَنْ كَفَّهُ الْحَتْفَ الْمُبِينُ لَدَى الْوَعْسَى وَبِكَفِّهِ الْإِحْيَاءُ عِنْدَ عَطَاءٍ
تَاللَّهِ قَدْ ضَنَّ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِذْ جَادَ بِالصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ
لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ تَقْشُودَهُ مَقْبُوضَةً بِأَنَامِلِ الْفُقَرَاءِ
تَلْقَى دَنَائِيرَ الْمَلَاتِ بِكَفِّهِ^(٢) مِنْ خَزَائِهَا فِي خَلْسَةِ صَفَرَاءِ
مَا حَاتَمَ الطَّائِي عِنْدَ عَطَائِهِ إِلَّا كَقَطْرِ وَهُوَ كُلُّ الْمَاءِ
لَيْتَ لِأَعْبَاءِ الْوَزَارَةِ حَامِلٌ فَلَقَدْ سَمَا قَسْذَرًا عَلَى الْجَوَرَاءِ
قَدْ جَادَ فِي حِفْظِ النِّسَاءِ بِجَدِّهِ وَبِحِفْظِ أَطْفَالٍ وَحِفْظِ إِمَاءِ
لَوْلَاهُ مَا (طَوَّبَ) الْحَدِيثَا نَافِعٌ^(٣) كَلَّا كَذَلِكَ قَنَابِرُ الْحَدِيثَاءِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ نَارُ الْبَنَادِقِ لَمْ تَكُنْ تَحْمِي الدِّيَارَ صِيَالَةَ الْأَعْدَاءِ^(٤)
لَوْلَاهُ كَانَتْ فِي الْوَحُوشِ قُبُورُكُمْ وَنَسَاؤُكُمْ يُدْعَوْنَ بِالْأَسْرَاءِ^(٥)
لَوْلَاهُ كَادَ الدِّينُ يُمَحَى رُبْعُهُ وَتَزُولُ عَنْكُمْ نِسْبَةُ الْغُرَاءِ^(٦)

(١) القاعة: الأرض المطمئنة عما يحيط بها من الجبال والأكام والوعساء: صفة للأرض اللينة.

(٢) في النسختين: الصلاة، والصواب ما أثبتناه.

(٣) الحديثاء، تصغير الحديثاء، من أسماء مدينة الموصل.

(٤) الصيالة: المسطو والقهر.

(٥) من هنا إلى آخر القصيدة، لم ترد في أصل الديوان، وقد أثبتناها هناك من حديقة الزوراء.

(٦) يريد: نسبة الشريعة الغراء.

لولا ما ذُكِرَ الصَّحَابَةُ شَائِعٌ فِي حَيْكَمِ إِلَّا عَلَى اسْتِهْزَاءٍ
أَبَا مَرَادٍ قَدْ مَدَحْتُكَ حِسْبَةً (١)
أَبَا مَرَادٍ إِنْ جَهِلْتَ حَقِيقَتِي
مِنْ غَيْرِ مَا مَيَّلَ إِلَيَّ إعْطَاءٍ
خَذَهَا فَرِيدَةً عَصَرَهَا مِنْ خِذْرِهَا
فَاعْلَمْ بِأَنِّي شَاعِرُ الزُّورَاءِ
يَا رَاكِبَ الْوَجْتَاءِ يَمَّمُ مَوْصِلًا
بِكُرِّ الْمَعْسَانِي لَمْ تَزَلْ بِخِيَاءِ
وَإِنْزِلْ بِهَا يَا رَاكِبَ الْوَجْتَاءِ (٢)
وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى الْأَلَى قَدْ جَلَّهَدُوا
فِي اللَّهِ لَا عَنْ سُمْعَةٍ وَرِيَاءِ
وَقُلْ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٣) وَدَلَّوْا أَنَّهُ
مَعَكُمْ بِتِلْكَ الْوَقْعَةِ الدَّهْمَاءِ
وَلَكُمْ بِأَحْمَدَ (٤) أَسْوَةٌ مَحْمُودَةٌ
أَكْرَمَ بِهَا مِنْ أَسْوَةٍ حَسَنَاءِ
فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ غَزْوَةِ خَنْدَقِ (٥)
قَصَدَتْ أَعَادِيكُمْ بَلُوغَ مُرَادِهِمْ
حَيْثُ الْعَدُوُّ أَحَاطَ بِالْأَحْيَاءِ
مَنْكُمُ بَأَنَّ يَرْمُوكُمْ بِذَهَاءِ

(١) أبو مراد كنية الحاج حسين بن أبي الجليلي.

(٢) الوجناء: صفة الناقة الشديدة، أو العظيمة الوجنتين.

(٣) يريد نفسه.

(٤) يريد والي بغداد أحمد باشا.

(٥) إشارة إلى المعركة التي دارت عند أسوار الموصل في آخر صفحات الحصار، ففي يوم الخميس ١٦ شعبان سنة ١١٥٦ هـ زحف الجيش الإيراني بنحو ألف سلم محمول فوضعوها على أسوار المدينة بهدف اقتحامها عنوة، إلا أن المدافعين ردوهم وأزاحوا سلالهم، ثم انقضوا عليهم، حيث دارت عند خندق المدينة معاركة ضارية، قتل فيها من المهاجمين عدد كبير، وتزامن ذلك مع فشل خطة نادرشاه في نصف السور بالمتفجرات، على ما سيشير إليه الشاعر، فأدت تلك المعركة إلى أن يجنح نادرشاه إلى السلم والانسحاب إلى بلاده. وقد شبه الشاعر هذه المعركة بوقعة الأحزاب، أو الخندق، التي فشل فيها المشركون في احتلال مدينة الرسول (ص) في السنة الخامسة للهجرة.

رَفَعُوا قَنَابِرَهُمْ لِخَفَضِ نُسُورِكُمْ
بَقَرُوا بِأَرْضِكُمُ اللَّقُومَ^(١) لِضَيِّرِكُمْ
أَوْنَتَ بِهِمْ كَسِيُوفَكُمْ إِذْ جُرِدَتْ
فَقَرَيْتُمْ طَيْرَ الْفَلَاةِ وَوَحْشَهَا
أَنْجَبْتُمْ يَا قَوْمُ حَيْثُ جَعَلْتُمْ
اللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ هَذَا مِنْكُمْ
لَمْ يَنْفِقْ فِي الْكَوْنِ مِثْلَ نَبَاتِكُمْ
وَلَكُمْ يَنْزِرُ أَسْنُوءَ، بَشَرَاكُمْ
تَبَا لَكَرْكُوكِ وَتَبَّتْ أَهْلُهَا
إِذْ لَمْ يَحَامُوا عَنْ عِيَالِ سَاعَةٍ^(٢) مَعَ أَنْ حِصْنَهُمْ لَخِيرُ بِنَاءٍ^(٣)

(١) الإغراء هنا: التحريض على القتال.

(٢) اللقوم: الألغام. وكان نادر شاه قد أمر بحفر أربعة أنفاق أرضية تلتقي بأسس سور الموصل بغية نفيه بكميات من البارود، هي التي يسميها الشاعر ألغاماً، إلا أن أبار الخنادق بددت قوة تأثير البارود، وانفجر لغمان فأذا المهاجمين أكثر من المدافعين، وتعطل أخران فلم ينفجرا.

(٣) رداء: بفتح الراء: الردى، جعلها الشاعر ممدودة.

(٤) دافع أهل مدينة كركوك عن مدينتهم ما وسعهم الدفاع، إلا أن افتقدوا في دفاعهم هذا دور القائد المحنك، فكان واليها حسين باشا حمال أوغلي، ومحافظها أحمد باشا الحلبي، لا يتمتعان بما تمتع به والي الموصل الجليلي من عزيمة وقدرة على الكفاح، قال محمد أمين العمري قلما تحققوا بأنه (نادرشاه) قد أتاهاهم بجنود لا قبل لهم بها، فما قدروا على الثبات، ولا أمنوا على التترار لمقابلته، فهربوا من كركوك إلى الموصل، ومنها إلى بلاد الروم، فلما وصل اللعين القلعة المذكورة حاصرها يومين، ولزعج أهلها بكثرة ضرب المدافع، وأحرقها بنار القنبرات، بحيث ما-

يا أهل موصل فاخروا من شئتم فلانتم أخرى بكلّ غلاء
لا زلتكم بسعادة أبدية يا أهل تلك الموصل الحدياء

وفي هذه الأوقات وردت من الحافظ البصير الموصلي^(١) أرجوزة

بقي لأهلها خلاص، من صعوبة ما هالهم وما قابلهم به إلا التسليم وطلب الأمان، وسلموه القلعة وما يليها، فأخذها عنوة وقتل من قتل فيها، وأسر أكابرها، وضبط أموالها، وأخذ رجالهم وجعلهم جنوداً معه، وازداد غروره، وتوجه إلى الموصل (منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٠). وكان المؤلف قد أشار سابقاً إلى أن نادرشاه حاصر كركوك ثمانية أيام، ضرب عليها في هذه المدة عشرين ألف طوب، ومثلها قنابل، فمات فيها خلق كثير، وخربت أكثر البيوت، ولم يكن لأهلها بد من التسليم... وفي الأمر الموجه إلى أحمد باشا في أواسط صفر سنة ١١٥٢ ما يوجب عليه تأديب بعض الطوائف العسكرية العاملة في حراسة كل من قلعة كركوك وأربيل وترتيب جزائهم، وذلك لخيانتهم للدين الحنيف والدولة العلية أثناء هجمات قوات نادرشاه على الاقطار العراقية (دفتر مهمة ١٥٠ ص ٢٢٥).

^(١) هو السيد خليل بن علي بن إسماعيل الأعرجي، المعروف بالبصير، من أشهر شعراء الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة (١١٨م)، ولد فيها سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م ونشأ كفيف العينين، لكنه أوتي من الذكاء ما أمكنه من الأخذ من علماء عصره وأدبائه، فكان ينظم باللغات الثلاث الشائعة في عهده، وهي العربية والتركية والفارسية، وكانت له مع أدباء العراق مراسلات نثرية وشعرية تتم عن أدب رائق، وأخلاق رفيعة، وربطت الصداقة بينه وبين محمد راغب باشا الصدر الأعظم، فأهداه أرجوزته المطولة في أحوال حروف الجر وسماها "الدرر المنظومة والصرر المختومة" (حققناها، ونشرناها في مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٥) وكانت وفاته في الموصل سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م. ينظر عصام الدين العمري: الروض النضر ج ١ ص ٢٤٧-٣٥٥، ومحمد بن مصطفى-

إلى السيد عبد الله الموصلي المعروف بفخري زاده^(١)، فيها تفصيل
الوقعة المذكورة^(٢)، وهي:

الحمد لله السلام المؤمن الملك المقدر المهيمن
وهو الذي أئذنا بنصره على العدو منقذاً من حصره
ثم الصلوة والسلام الدائم مؤيد الحق نبي الملحمة
محمد الماحي ظلام المظلمة

<١٧٥ب>

وهو الذي أباد جيش الكفر قلده المولى بسيف النصر
والآل والصحاب الذين جاهدوا في الله والجمال منه شاهدوا
ما أسرج الذهم وجمال الغر وجرد البيض ومال السمر
وبعد فالأنمي من السلام يهدي إلى ابن سيد الأنعام
الفاضل المحقق العلامة والكامل المدقق الفهامة
أخي ومؤنسي بلا اشتباه السيد النحرير عبد الله
لا زال خافضاً أولي الضلال بنصيبه الويعة الكمال
يا من هداه الله للفواضل وخصه بالعلم والفضائل
وحقه بالرشد والقياسة والفهم والوطنية والفراسة

=الغلامي: شامة العنبر ص ١٢٥-١٣٣، ومحمد خليل المرادي: ملك الدرر ج ٢
ص ١٠٢، وعبد القادر الشهرستاني: تذكرة الشعراء، بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠٢،
ص ٧٣، ومختصره، بتحقيق الأب أنستاس الكرمل، بغداد ١٩٣٦، ص ٢٣.

(١) تقدم التعريف به.

(٢) نشر هذه الأرجوزة الأستاذ سعيد الديوه جي في مجلة المجمع العلمي العراقي،
المجلد ١٣ (بغداد ١٩٦٥) ص ٢٤٧-٢٦٤.

كَيْفَ طِبَاعُكُمْ وَمَا حَالُكُمْ
إِنِّي إِلَيَّ جَمَالِكُمْ مُشْتَاقٌ
بَحِيثٌ لَوْ قُسِّمَ غُرُضُ الشُّعْرَةِ
وَاللَّهِ أَسْأَلُ الْمَلَاقَاةَ الَّتِي
فَإِنْ تُجِيزُوا الْفَصْحَ عَنْ حَالِ الْبَلَدِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعَيِّنِ الضُّعْفَا
عَلَى انْكِشَافِ الضُّرِّ وَالْآلَامِ
إِذْ دَخَلُوا الْقَرْيَ وَأَفْسَدُوهَا
وَأَسْتَهِلَكُوا الشُّبَانَ وَالْفَتَيَانَ
وَعَادِرُوا الشُّيُوخَ وَالْأَطْفَالَ
ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِيَخْضَرُونَنَا
جَاؤَا (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) (١)

بِأَيِّ شَيْءٍ تَنْقُضِي أَوْقَاتَكُمْ؟
أُنْخَلِّنِي الْفِرَاقَ وَالْأَشْوَاقَ
عَشْرَةَ أَقْسَامٍ حَكَتْهُ بَقَّتِي
تَشْفِي مِنَ الْغَرَامِ كُلِّ عِلَّتِي
وَمَا مِنَ الشَّدَّةِ وَالضِّيقِ وَجَدَ
مَقَرَّجَ الْكَرْبِ مُعْجِلَ الشُّفَا
وَصَوْنٍ عَرِضْنَا عَنْ الْأَعْجَامِ
أَذُوا وَمَزَقُوا وَشَسَّرُوهَا
وَاسْتَأْسَرُوا النُّسَوَانَ وَالصَّبِيَّانَا
وَحَمَلُوا الْأَحْمَالَ وَالْأَتْفَالَ
وَيَسْتَفْزُونَنَا وَيَكْسِرُونَنَا
فَحَاصَرُوا (فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) (٢)

<١١٧٦>

أَخْبَرَنَا مَقَاتِيهِمْ (٣) أَنَّ الْفَنَاءَ
وَإِنَّمَا تَمَيِّزُ ذَا الْأَعْدَادِ
خَمْسٌ وَسَبْعُونَ تَلِيَهُمَا مَائَةٌ (٤)
أَلْفٌ بِلَا نَقْصٍ وَلَا أَزْدَادٍ

(١) القمر، من الآية ٧.

(٢) القمر، من الآية ١٩.

(٣) هو مفتي كركوك السابق حسن أفندي بن رضا الكركوكلي. وقد عثرنا على نص هذه الرسالة بخطه في مجموع مخطوط في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل، وللدكتور محمود الجليلي الفضل في إرشادنا إلى هذه الوثيقة، ومن الجدير بالذكر أن الرسالة المذكورة وردت في مصادر أخرى، ولكن مع اختلافات طفيفة في بعض الألفاظ بسبب النسخ. وقد حققناها ونشرناها كاملة في ملاحق كتابنا: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ص ٥١١-٥١٣.

(٤) هذا هو عدد جند جيش نادرشاه المتوجه إلى الموصل لحصارها.

نَبَّأُوا فَأَمْطَرُوا عَلَيْنَا نَارًا لَمْ يَهْجَعُوا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا
 فَبَانَ بَيْنَنَا سِمَاتُ الْقَحْطِ حَتَّى حُرِمْنَا شُرْبَ مَاءِ الشَّطِّ
 وَكُلُّنَا نَرْتَقِبُ الْقِتَالَ مُمْتَنِلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) لِنَتَصَرَّوْا^(١)
 سَطَا خَمِيسَهُمْ عَلَيْنَا الْجُمُعَةَ بِنِصْفِ شَعْبَانِ بِفَرْطِ الْمَنَعَةِ
 فَخَادَعُونَا خُدْعَةً لَمْ تُكْتَسَمْ^(٢) كَحَقْرِ الْقِيَامِ وَنَصَبِ سُلْمِ
 فَضَرُّهُمْ مَا صَنَعُوا مِنَ اللَّقَمِ إِذْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَصَّصَ
 خِفْنَا احْتِيَالَهُمْ وَسُوءَ مَكْرِهِمْ فَلَمْ يَحِقْ مَكْرُهُمْ إِلَّا بِهِمْ
 فَقَارَبُوا الشُّورَ الْمُبَارِزُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ
 لَمَّا رَأَوْنَا حَاقِظِينَ الشُّورَا (وَلَوْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورَا)^(٣)
 وَالْجُهْدَ فِي كِفَاحِهِمْ بَذَلْنَا مَا قَتَلُوا مِغْشَارَ مَا قَتَلْنَا
 فَأَصْبَحُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَسِيرِ (كَأَنَّهُمْ أَغْجَازُ نَخْلٍ مُتَقَعِرِ)^(٤)
 لَمَّا أَرِيقَتْ مِنْهُمْ حُمُرُ الدِّمَاسِ بِيَضِّهَا، أَلْقَوْا إِلَيْنَا السُّلْمَا
 فَارْسَلْنَا النَّادِرَ سُلْطَانَ الْعِجَمِ يُحَاوِلُ الصِّلْحَ وَيَتَغَيِّ السَّلْمَ

(١) آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٢) هذه إشارة مهمة إلى أنه كان للقيادة الموصلية علم بما أعد الجيش الإيراني من خطة معركة السلاكم، وينفرد طه الكردي الباليستاني (في رحلته التي دونها بعد الحرب بسنة واحدة) بالقول أن أفراداً من داخل جيش نادرشاه أرسلوا خفية إلى أهل الموصل الخبر أن طهماس (يريد نادرشاه) مراده غداً وفي وقت كذا يأتيكم كذا، اصحوا واعملوا جهدكم (رحلة طه الكردي الباليستاني، بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠٢، ص ١٤).

(٣) الإسراء، الآية ٤٥.

(٤) القمر، الآية ٢٠.

إِذْ كُلَّمَا أَوْقَدَ نَارَ الْخَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ بِغَيْثِ الْغَرَبِ
فَصَالَحَ الصُّدْرَ أَمِيرَ الْمُوصِلِ أَعْنَى حُسَيْنًا صَاحِبَ الْقَدْرِ الْعَلِيِّ
بِالسِّنِّ الرُّسُلِ عَلَى أَنْ يُرْسِلَا مِنْ خَيْلِهِ إِلَيْهِ عَشْرًا كَمَلًا^(١)
فَجَادَ وَالْيَنَّا بِضِعْفِ مَا طَلَّبَ وَمِثْلَهُ أَتَخَفَ حَاكِمَ الْحَلَبِ^(٢)
فَكَفَّ عَنَّا أَيْدِي الْأَعْدَاءِ مُحَافِظًا الْخَدَبَاءَ وَالشُّهَبَاءَ^(٣)

<١٧٦ب>

بِقُوَّةِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ
لَكِنْ تَجَلَّدَ الْوَزِيرَ الْمُوصِلِي الْبَاسِلَ الشُّهْمَ الشَّجِيعَ الْمُقْبِلَ
تَبْيَانَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَا اللَّهُ ذَرُّهُ جَرِيئًا أَجْسَرَا
إِذْ لَمْ تَرُعْهُ كَثْرَةُ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ تَأَسَّيَا بِقَوْلِ الْقَبَائِلِ
(لَا أَقْعُدُ الْجَبْنَ عَنْ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَّتْ زُمَرُ الْأَعْدَاءِ)^(٤)
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَزَّزَنَا بِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنََا
قَلْبُ لَه فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَصِيدَةُ جِيدَةِ تُرْكِيَّةِ^(٥)

(١) إشارة إلى أن نادرشاه طلب أن يهدي عشرة خيول. ينظر منهل الأولياء ج ١ ص ١٦٠ ومنية الأدباء ص ١٨٢.

(٢) هو حسين باشا القازوقجي، والي حلب، الذي عينته الدولة العثمانية محافظاً للموصل للمشاركة في الدفاع عنها في أثناء الحصار.

(٣) المحافظ هنا وظيفة عسكرية بحتة، بمعنى قائد الموقع العسكري للمدينة بحسب مصطلح هذه الأيام.

(٤) البيت من ألفية ابن مالك.

(٥) يشير إلى قصيدة أخرى له، بالتركية، في وصف حصار الموصل هذا، قدمها إليّ الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل.

وَفَصَّلَ الْوَقْعَةَ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ ابْن أَخِي الْمَرْحُومِ دَاعِيكُمْ حَسَن^(١)
 أَحَاطَ بِالْخُطُوبِ عِلْماً وَكَتَبَ اتَّخَفَهَا إِلَى الْوَزِيرِ الْمُتَجَسِّبِ
 فَاسْتَحْسَنَ الصِّدْرَ مُحَسِّنَاتِهَا وَمَا قَدْ اسْتَشْهَدَ مِنْ أَيْتَانِهَا
 لَأَنْهَاهَا فَاتَّقِةَ الْمَبِـلَانِي رَائِقَةَ الْأَلْفَاطِ وَالْمَعَالَانِي
 [أَمَّا الشَّقِيُّ الْخَارِجِيُّ نَابِرُ] الْمَعْتَدِي الْبَاغِي الظَّلُومِ الْغَادِرِ^(٢)
 فَكَانَ يُنْدِي الْوُدَّ وَالْمُخَادَنَةَ^(٣) غِيباً انْعِقَادَ الصِّلَاحِ وَالْمُهَادَنَةِ
 مَعَاهِداً شَخْصاً إِلَيْهِ أَرْسَلَا مِنْ صَوْنٍ وَالْيَنَا عَلَى أَنْ يَرْخَلَا
 وَنَحْنُ طَائِفُونَ عَاكِفُونَا فِي السُّورِ حَاضِرُونَ حَازِرُونَا
 إِذْ لَمْ نَكُنْ نَأْمَنُ بِالْمُعَاهِدَةِ بِطَشَقَةِ مَخَافَةِ الْمُعَاوِدَةِ
 أَقَامَ فِي دِيَارِنَا أَيَّامَا ثُمَّ نَوَى النُّهْضَةَ وَالْقِيَامَا
 فَغَابَ مَعَ عَسْكَرِهِ الْمَشْهُورِ وَأَصْبَحَ النَّابِرُ كَالْمَعْدُومِ
 وَخَابَ الْأَعْجَمُونَ أَجْمَعُونَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يُسَارِعُونَ
 صَالُوا فَصَالَحُوا فَوَلُّوا الدُّبُرَ^(٤) (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ)^(٥)
 هَذَا وَلِلَّهِ جَزِيلُ الشُّكْرِ عَلَى النُّجَاةِ وَانْدِفَاعِ الشُّرِّ

^(١) هو السيد حسن النقيب الأعرجي الموصلّي، ترجم له محمد أمين العمري (منهل الأولياء ج ١ ص ٢٤٣) بقوله "عالم ماهر، أخذ العلم عن الشيخ عبد الله، ورحل إلى بغداد وإلى القسطنطينية، وجمع علوماً جمة، وفضائل شتى، وناظر وباحث، وقرأ على شيخ الوقت صبغة الله الحيدري، وتضلع بأنواع الفنون، وولي منصب الفتوى بعد ابن عمه عبيد (عبد الله) بن فخر الدين، فانتفع به الخاص والعام" وذكر له نماذج من شعر رقيق، لكنه لم يشر إلى أرجوزته التاريخية التي نوه بها عمه.

^(٢) هذا البيت لم يرد في النسختين، وورد في النص الذي نشره سعيد الديوه جي.

^(٣) المخادنة: المصاحبة.

^(٤) القمر، الآية ٥٢.

ثم من الصلاة أزكاها على جدّ الذين حوصروا في كربلا
 محمد وآله الدعاة إلى الهدى وصحبه الغزاة
 ما اشتدت الفتن والمخاصمة وامتدت الهذنة والمسالمة
 إني أنا المقر بالتقصير المستهام الحافظ البصيري^(١)

<١١٧٧>

قال الفقير: أحببت أن أعارضها بأرجوزة مشتملة على حكاية الواقعة
 أيضاً. وقد ضمنتها جلّ شُطور الألفية^(٢)، لتحصل لها بها المزية، وتزيّن
 بها الطروس، وتكون كالعطر للعروس، مُصدّرها ببيت هو للوالد - حفظه
 الله - امتثالاً لأمره، فقلت^(٣):

(الحمد لله المعزّ الخافيض إذ بات ذو التقوى بعيش خافيض)
 المؤمنين المهين السائر والمليك المقتدر القهار
 أحمدّه وهو حرّ بكل ما^(٤) يحمّده العبد على ما أنعمّا
 فهو^(٥) الذي أنقذنا من كل شرّ ومن ظلوم بأسه قد انتشر
 ثم الصلاة والسلام الأسنى على النبي ربّي عليه أثنى

(١) البصيري: تخلص الشاعر، وهو الاسم الأدبي الذي كان يتخذه في شعره، أخذه ممّا
 عرف به من لقب، وكان شعراء عصره يتخذون لهم أسماء أدبية يوقعون بها
 أعمالهم من منظوم خاصة، عرفت باسم (مخلص) أو (تخلص)، مثل: حلمي،
 ذهني، وهبي... الخ.

(٢) هي الأرجوزة المشهورة في علم النحو، التي نظمها محمد بن مالك النحوي
 (المتوفى سنة ٦٧٢هـ).

(٣) ديوانه ص ٤٤-٥٤.

(٤) حر: خليق وجدير.

(٥) في الديوان (فهو).

مَنْ بِالْعَطَايَا قَدْ غَدَا مَحْبُورًا مِنْ رَبِّهِ وَبِالصُّبَا مَنْصُورًا
كَذَاكَ بِالرُّعْبِ إِذَا الْخَطْبُ هَجَمَ وَعَثِيرُ الْوَعْيِ عَلَا ثَمَّ أَرْدَحَمَ
مُحَمَّدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْوَفَا (وَأَلَهُ الْمُسَيِّكَمَاتِينَ الشُّرْقَا) ^(١)
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَضَّلَهُمْ أَتَى (فِي النِّظَمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مَثْبَتَا)
قَدْ جَاهَدُوا لِنَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَدَافَعُوا عَنْهُ بِبَلَا أَشْتَبَاهُ
فِي وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ^(٢) كَمْ تَرَكُوا عَدُوَّهُمْ فِي حَقِّ
وَهُوَ إِذَا بِكُلِّ بَلَوٍ قَدْ بَلَى (مُرْوَعِ الْقَلْبِ قَلِيلَ الْحَيْلِ)
كَمْ حَافَظُوا وَشَسِيدُوا الثُّغُورَا فَالْدِينُ لَمْ يَبْزَحْ بِهِمْ مَنْصُورَا
وَسَهَّرُوا الْأَعْيُنَ فِي الْحَنَادِسِ حَتَّى أَبَانُوا قَبْسًا عَنْ قَابَسِ ^(٣)

<١٧٧> ب

فَعَمَّ فَضْلُهُمْ عَلَى السَّرْتِيبِ وَنَافَى قَدْرُهُمْ عَلَى الْقَرِيبِ
فَلَمْ يَكُنْ فِي الْخَلْقِ مِنْ رَفِيقٍ أَوْلَى بِهِ الْفَضْلُ مِنَ الصَّدِيقِ
وَفَضْلُهُ لِمَنْ تَصَدَّى لِلْإِيَا (مَيَّزَ، كَأَكْرَمِ بَأَبِي بَكْرٍ أَبَا)
كَذَلِكَ الْفَارُوقُ ذُو الشَّجَاعَةِ وَالْمَنْطِقُ الْعَدْلُ وَذُو الْبِرَاعَةِ
فَاقَ عَلَى أَمْثَالِهِ إِفْضَالُهُ وَقَدْ مَضَتْ مَحْمُودَةُ أَعْمَالُهُ
إِنْ كُنْتَ تَرْجُو يَا فَتَى أَنْ تَغْنَمَا (فَلَهُمَا كُنْ أَبَدًا مُقَدِّمَا)
كَذَاكَ ذُو النُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانِ زَاكِي النَّجَارِ جَامِعُ الْقُرْآنِ
وَكُلُّ لَفْظٍ صَبِغَ لِلْمَفَاخِرِ كَطَاهَرِ الْقَلْبِ جَمِيلِ الظَّاهِرِ

(١) الشُّطْرُ تَضْمِينُ مِنَ الْغِيَةِ ابْنُ مَالِكٍ، وَاسِيرُ فِي الْقَصِيدَةِ تَضْمِينُ لِأَشْطَارٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْأَفْغِيَةِ.

(٢) تَقْدِمُ التَّعْرِيفُ بِهَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

(٣) الْحَنَادِسُ: اللَّيَالِي الْمَظْلَمَةُ، وَالْقَبَسُ: النَّارُ، أَوْ شَعْلَةٌ مِنْهَا.

فهو به يا صاح أولى وأحق كما لسان فضله بهذا نطق
كذلك ابن عم خير الرُّسل الباسل الصنديد مولانا علي
أثبت في الهيجاء يا ذا من أحد أردى كُماة الكفر كابن عبد ود^(١)
فكن على غيرهم مفضلاً (وزكته تزكيةً وأجملًا^(٢))
كذاك باقي الصُّحب والقرابة أهل الثبات صاحبي الإصابة
ففضلهم لقد أتى وهو العلي (في الخبر المثبت والأمر الجلي)
ما بقي الإسلام في ظهور كذا مدى الأحقاب والدهور
بعد السلام الوافر الغزير على النجيب الحافظ البصيري
أشعر أهل العصر والأوان أفصح من (قس) ومن (سحبان)^(٣)
إني قد اشتقت إلى لقاء وقد وددت أنني أراه
حتى بدت لفضله أوصاف يعجز عن إحصائها الوصاف
وقائل: تسمع بك المعدي خير من الرؤية يا سويدي
فقلت: ما تعني بهذا؟ وفضله محقق عندي وهذا قوله

<١٧٨>

قد صرت أنهي مدحه مفصلاً للمح ما قد كان عنه نقلاً
يا أيها البارِع يا مَنْ قد سَمَا وقد حوى الأفضال والتقدُّما
ما هذه الأرجوزة السُّننية؟ ما هذه الرائقة البهئية؟^(٤)

(١) هو عمرو بن عبد ود العامري، قتله الإمام علي عليه السلام يوم الخندق.

(٢) أصلها: وأجملن، وقد خففها الشاعر بحذف النون.

(٣) هما: قس بن ساعدة الأيادي، وسحبان وائل، وهما من كبار خطباء العرب
وفصحانهم.

(٤) في الديوان: الشهية.

تَكَادُ أَنْ تَكُونَ فِي ذَا الرُّبُطِ (فَاتَّقِ الْفِتْنَةَ ابْنَ مُعْطَى)
 نَافَتْ عَلَى أَشْعَارِ مَصْقَاعِ الْعَرَبِ كَذَا عَلَى أَنْشَارِ أَصْحَابِ الْأَدَبِ
 وَالْحَشْوِ فِي بَيَانِهَا لَمْ تُحَرَّرْ (تَقَرَّبِ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزِ)
 فَكُلُّ لَفْظٍ مُفْرَدٍ مَعْنَاهُ عَمٌّ (وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدْ يَوْمُ)
 وَهِيَ لَدَى بَيَانِ ذِي الْقَضِيَّةِ (مَقَاصِدِ النُّحُوِّ بِهَا مَحْوِيَّةُ)
 فَهِيَ إِذَا عَنِ فَضْلِهَا لَمْ تُفْرَدِ يَحِقُّ أَنْ نَكْتُبَهَا بِالْعَنْجِدِ
 ذُكِرَتْ فِيهَا وَقَعَةُ الْأَحْزَابِ فَهِيَ تُحَاكِمُهَا بِلَا ارْتِيَابِ
 وَأَنْتَ فِيمَا قُلْتَهُ مُصَدِّقٌ فَذَاكَ عِنْدِي مَا هُوَ الْمُحَقِّقُ
 نَعَمْ أَنْتَكُمُ الْجُنُودُ الْبَاغِيَّةُ وَيَمْتَكُمُ الْفُتَاتُ الطَّاغِيَّةُ
 وَدَخَلُوا بِعِزِّهِمْ قُرَاكُمُ وَأَسْرَوْا نِسَاءَ مَنْ وَالَاكُمُ
 لَمْ يَتْرَكُوا مِنْ آخِرٍ وَسَابِقِ (وَشَدَقُمْ وَهَيْلَةً وَوَاشِقُ) ^(١)
 وَحَاصِرُكُمْ حِصَارًا أَشْبَهَ (نَاوِينَ مَعْنَى كَانِينَ أَوْ اسْتَقَرَّ)
 وَدَامَ ضَرْبُ الطُّوبِ ^(٢) وَالْمَدَافِعِ بَيْنَكُمْ مِنْ غَيْرِ ^(٣) مَا مُدَافِعِ
 وَأَرْسَلُوا قُنْبُرَهُمْ مِثْلَ الْمَطَرِ وَلَمْ يَكُنْ عَدَدُهُ قَدْ انْحَصَرَ
 تَصَدَّقْ إِذْ أَخْبَرْتَنَا جِهَارًا (دَنَوْا فَأَمْطَرُوا عَلَيْنَا نَارًا) ^(٤)
 وَبَقَرُوا بِأَرْضِكُمْ لِقَوْمًا ^(٥) لِيَهْتَكُوا عِرْضَكُمْ الْمَكْتُومًا

(١) شَدَقَ اسم فاعل من فحول إيل العرب، كان للنعمان بن المنذر، وهيلة، عنز كانت لامرأة في الجاهلية، وواشق اسم رجل، واسم كلب.

(٢) الطوب هنا: القنابل والقذائف.

(٣) في الديوان (بغير).

(٤) الماطر تضمين من أرجوزة البصري.

(٥) اللقوم جمع لقم، وقد تقدم التعريف به.

ورفعوا إليكم السُّلَّالِمَا^(١) ووجَّهوا إليكم الضُّيَاغِمَا
ورطَّنوا ما بينهم وحصَّصوا وبالذُّلَّاصِ الْمِسْرَدَاتِ غاصَّو^(٢)

<١٧٨ب>

ثُمَّ دَنُّوا مِنْكُمْ لِيَبْتَغُوا الظَّفَرَ^(٣) وَكَانَتْ (السَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرٌ)^(٤)
وَأَنْتُمْ أَثْبَتُ مِنْ ثَهْلَانِ^(٥) مُرَابِطِينَ ذِرْوَةَ الْجُـدْرَانِ
قَدْ حَرَضْتُمْ غِيْدَكُمْ عَلَى الْمَقَرِّ (فِي يَا ابْنَ أُمِّ يَا ابْنَ عَمٍّ لَا مَقَرَّ)
فَقُمْتُمْ كَالْأَسَدِ مِنْ شَرَاهَا تَالله أَنْتُمْ كَهَيَّ فِي حِمَاهَا^(٦)
وَدَامَ فَلَقُ الْبَيْضِ فِي الْجِمَاجِمِ وَهَامَ كُلُّ كَافِرٍ مَقَامِمْ
(وَأَشْتَدَّتْ الْحَرْبُ عَلَى أَرْبَابِهَا وَأَنْتُمْ دُونَ السُّورَى أَنْزَى بِهَا)^(٧)
أَزَلْتُمْ الْكُفَّارَ بِالرُّوَاصِعِ^(٨) وَبِالْمُهَنْدِ الصَّقِيلِ الْقَسَارِعِ
أَزَلْتُمْ الْهَامَ عَنِ الْجُنْمَانِ مِنْ الْعِدَى فِي لُجَّةِ الْمَيْدَانِ
فِي قَاعَةٍ جَرَّتْ بِهَا الدُّمَاءُ جَدَاوِلًا عَيُونُهَا الْأَعْدَاءُ
(وَمَهْمُهُ مَغْشَرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَانَ لَوْنُ أَرْضِهِ سَمَؤُهُ)^(٩)
وَاللهُ قَدْ حَفَّكُمْ بِالنَّصْرِ فَزَالَ عَنْكُمْ جَمِيعُ الضُّرِّ

(١) إشارة إلى معركة العِلالِمِ وقد تقدم التعريف بها.

(٢) الْمِسْرَدَاتِ: الدروع.

(٣) ثَهْلَانِ: جبل في أرض العرب.

(٤) الْقَمَرُ، من الآية ٤٦.

(٥) كَهَيَّ: مثلها.

(٦) هذا البيت لم يرد في الأصل، وورد في الديوان.

(٧) الرُّوَاصِعُ: الرماح. وفي الديوان (صرعتم).

(٨) الْبَيْتُ لِلرَّاجِزِ رُؤْيَا بَنِ الْعِجَاجِ.

فَوَلَّوْا الْأَعْدَاءُ عَنْكُمْ هَرَبًا
وَأَشْتَدَّ حُزْنُ الشَّاهِ عَنْ قَلِيلٍ
قَدْ كَانَ قَبْلًا فِي الْحُرُوبِ حَقًّا
وَالْآنَ أَهْلُ الدِّينِ وَالْأَغْرَفُ بِهِ
ظَنُّ الْخُشُوعِ الْغَادِرِ اللَّئِيمِ
أَنْ يَغْلِبَ السُّلْطَانُ قَدْرًا وَعَلَى
وَيَأْسِرَ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَانَا
قَدْ خَسِبَ ظَنُّهُ مَدَى الزَّمَانِ
يَا أَيُّهَا الْأَعَاجِمُ الزُّعَانِفُ
هَلْ أَنْتُمْ مِثْلُ بَنِي عُثْمَانَ
وَمَا قَضَوْا مِنَ الدُّنْيَا أَرْبَا
وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَتِرًا بِالسَّافِلِ
يَغْلِبُ لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَحَقًّا
(بِعَكْسِ ذَلِكَ اسْتَعْمَلُوهُ فَاغْتَبَاهُ)
الْفَاجِرُ الْمُحَارِبُ الظَّلْمُومُ
وَيَأْخُذُ الْبِلَادَ حَتَّى الْمَوْصِلَا
وَيَقْتُلُ الرُّجَالَ وَالشُّبَّانَا
مَا دَلَّهُ إِلَّا عَلَى خُسْرَانِ
وَالْمُعْتَدُونَ الْأَرْدَلُونَ أَنْصِفُوا
أَوْ تَعْرِفُونَ الضَّرْبَ وَالطَّعَانَا

<١٧٩>

حَتَّى تَرَوْمُوا مِنْهُمْ الْمِبَارِزَةَ
تَحَكُّكْتَ عَقْرُكُمْ بِالْأَفْعَى
هَذَا وَأَهْلُ الْمَوْصِلِ الْحَذَبَاءِ
وَسَكَنَ الْأَكْثَرُ مِنْكُمْ فِي الْحُفَرِ
فَكَيْفَ لَوْ جَاءَتْكُمْ الْجَحَاقِلُ
كَأَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ وَالْمُصَادِمَةِ
خَمِيسُهُمْ يَوْمَ الْوَعْصَى لَا يُغْلِبُ
فِي لَجَبَةِ الْهَيْجَاءِ وَالْمُتَسَاوِرَةِ
وَأَسْتَلَّتْ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى^(١)
قَدْ جَلَبُوا لَكُمْ جَمِيعَ الدَّاءِ
أَكْتَعُ وَ(النَّادِرُ) مِنْكُمْ فِي ضَرَرٍ^(٢)
كَأَنَّهَا الْأَطْوَادُ وَالْمَعَاقِلُ
لُيُوثُ غَابَ خَرَجَتْ لِمَغْنَمَةٍ
وَجَمْعُهُمْ مِنْهُ الْأَعَادِي تَهْرَبُ

(١) الفصيل: ولد الناقة، والقرعى: جمع قريع، وهو الذي به قرع، مثل يضرب للذي يفعل شيئاً ليس بأهل لفعله.

(٢) كتع: أجمع.

أولئكم قومٌ لدى الهَيْجاء كم سَفَكُوا من أحمرِ الدماءِ
أَيدهم ربَّ العبادِ بِالظَفَرِ ولم يزل حافِظُهُم من كلِّ شَرٍّ
فالسيفُ إنْ تَسَالَهُ فضْلُهُمْ نَطَقَ (والغَرَضُ الآنَ بَيَانُ ما سَبَقَ)
أَحْسَنْتُمْ يا أَهْلَ تلكَ الموصِلِ في قِصَّتكم جناحَ هذا الأَخِيلِ
قَرَيْتُم الطيرَ بأَسْلَاءِ العِدَى والوحشُ لم يَسْبِرْ شُكُوراً أبداً
أَحْسَنْتُمْ في جَعَلِكُم قُبُوراً لهم وحوشُ الأرضِ والطُيُورا
حَفَظْتُم طَهارةَ الصَحراءِ عن جُنُثِ البُغاةِ والأَعْداءِ
بُشْرَاكم قَدْ نِلْتُم من رَبِّكم جزاءَ أَخْبَارٍ بهذا فَعَلَكُم
حَمَيْتُم الإسلامَ بِالْإِسْلَامِ^(١) بل بِالرُّدَيْنِيَّ وبالْحُسَامِ
وَصَنْتُم عِرْضَكُم عَنِ الأَذَى فلم يزل مِنْزَهاً عَنِ القَذَى
حَفَظْتُم بِالرُّمَحِ وَالصَّقِيلِ نَخْرَ^(٢) فَتاةٍ أَوْ فَتًى كَحِيلِ
للهِ دَرَكُكم وَدَرَ قَرْمِكُكم رَئِيسَكُم أَبِي مَرادٍ شَهْمَكُم
كُم جِرْعُ الأَعْداءِ كَأْسُ الحَتَفِ حينَ دَنُوا مِنْكُم بِلا تَخْفِي
ولم تَرْعُه الحادِثاتِ والنُوبِ بل لم يزل جَلَسَداً مُكابِدَ الكَرْبِ

<١٧٩ب>

كَذاكَ تَرَبُّسُهُ الوَزيزِ الكامِلُ الفاتِكُ اللَّيْثُ الجَسُورُ الباسِلُ^(٣)
تَوافَقا شِجَاعُهُ بِلِ أَسَما وَحَسَباً مِنَ النُجُومِ أَسَما
وَأَقْتَرنا فِي الحِفْظِ والحِراسَةِ والجَدِّ والحِزْمِ كذا السِياسَةِ

(١) الإسلام الثانية: الكومة من الحجارة، يشير إلى أسوار الموصل.

(٢) بالأصل: نحو. والصواب ما أثبتناه.

(٣) يريد الوزير حسين باشا القازوقجي.

فلا يزالان مجاهدين
 جدًا بحفظ الغانيات الهيف
 فما هما إلا كَلَيْتٌ ذي لبَد
 ولا يزالان على الطعان
 وبالبنادق الشداد الحارقة
 إلى أن اشتد الوغى وامتدًا
 توليا الميدان، والأعداء
 خصهما بالفضل والمباهلة
 فضلهما ذكرت يا أبا النظر
 بشراكم قد حيدت عقباكم
 وافتخروا فخرًا مدى الزمان
 إلا علينا يا أولي الشجاعة
 لأنكم منا لقد علمتم
 نحن فتحنا لكم ذا البابا
 وقد يخص في أناس لم تجد
 حزننا الفخار بل جميع الشيم
 ثباتنا يوم الحصار الأكبر
 حيث العدو قد أحاط بالبلد
 (ويعملان الخفض مصدريين)
 بكل بئار صقيل مرهف
 محافظاً شسراه عن كل أحد
 بالسهمري الأسمر السنان
 وبالسيوف الفالقات البارقة
 (وقائل واعبد يا واعبدا)
 قد هربوا إذ سفيك الدماء
 (وما سواهما فوسطة صيلة)
 لكن ما ذكرت عشر ما اشتهر^(١)
 وقد أزيلت عنكم أسواكم
 على جميع المذن والبلدان
 لا تفخروا في هذه الصناعة
 حسن الثبات بل قد استقدمتم
 لا شك في هذا ولا ارتبابا
 (ذا الباب وهو عند قوم يطرد)
 لأن كل الفضل للتقدم
 أريتم أمثاله في الأعصر^(٢)
 وطوبه حاص علينا ورعد

<١٨٠>

(١) يخاطبه يا أبا النظر لكونه كفيلاً وعجل البيت مختل الوزن.

(٢) أصلها: أريتم، وقد أخذ الشاعر بتسهيل الهمزة.

فصَدْرَتِهِ سُمِرْنَا عَنْ بَيْضِنَا
وَالطُّوبَى وَالْقَنْبُرُ مَنْ لَمْ يَزَلْ
وَكُلُّ يَوْمٍ نَحْنُ فِي قِتَالٍ
وَنَحْنُ فِي الْهَيْجَاءِ تَحْتَ الْعِثِيرِ
وَنَحْنُ فِي هَذَا الْحِصَارِ الْأَعْسَرِ
وَنَقْدُ الزَّادِ وَمَاتَ الْأَكْثَرُ
وَقَدْ عَدِمْنَا حَفَنَتَيْنِ بُرَا
فَاكُنُنَا لِلْخَيْلِ وَالْجِمَالِ
هَذَا وَأَمَّا فِي الْحِصَارِ الْأَصْفَرِ
وَلَمْ نَرَ الْخُمُولَ وَالْفَتُورَا
وَكَيْفَ نَخْشَى صَوْلَةَ الْأَعَادِي
وَكَيْفَ نَخْشَى مِرْبَهُمْ وَإِنْ دَنَا
وَكَمْ بِأَقْوَالِ نَفَاخِرِ الْعِدَا
ثَبَاتِكُمْ فِي ذَا الْحِصَارِ السَّهَائِلِ
سَنَةَ خَيْرِ الْوُزَرَاءِ أَحْمَدَا
وَشَهْمَكُمْ فِي فَعْلِهِ الْفَعْلُ الْحَسَنُ
لِأَحْمَدِ الْأَفْعَالِ فِيمَا أُسْـسَا
قَدْ فَاقَ كُلُّ مُلِكٍ وَزِيرٍ
لِذَلِكَ السُّلْطَانِ رَاعَى فَضْلَهُ

وَرَدَّعَتْهُ الْبَيْضُ عَنْ حَضِيضِنَا
يَقْصِمُ مَنْ أَعْدَانُنَا كُلَّ بَطْلٍ
مَعَهُمْ بِفَارَسَيْنِ أَوْ رِجَالٍ
فِي عَزْمَةِ الْهَرَقِلِ وَالْإِسْكَانْدَرِ
مَحَافِظُونَ السُّورِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ
جَوْعًا وَلَمْ نَكُذِلْ بَلْ لَا نَضْجُرُ
(وَمُنَوِّينَ عَسَلًا وَتَمْرًا)
كَذَاكَ لِلْحَمِيرِ وَالْبِغَالِ
فَقَدْ رَأَيْنَا فِيهِ كُلَّ الْكَدْرِ
بَلْ دَائِمًا مَحَافِظُونَ السُّورَا
وَعِنْدُنَا الشَّجَاعُ ذُو الْأَيْدِي
(وَرَجُلٌ مِنَ الْكِرَامِ عِنْدُنَا^(١))
فَمَا^(٢) لَنَا إِلَّا أَتْبَاعُ أَحْمَدَا
وَحَرْبُكُمْ لَجْمَلَةِ الْقَبَائِلِ
وَكُلُّ قَرْمٍ بِخِصَالِهِ اقْتَدَى
رَاعَى فِي الْإِتْبَاعِ الْمَحَلُّ فَحَسَنُ
فَهُوَ بِهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ ذُو إِتْسَا
فِي حُسْنِ سِيرَةٍ وَفِي تَدْبِيرِ
وَفَوْضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ كُلُّهُ

(١) يقصد والي بغداد أحمد باشا.

(٢) في الأصل (كما) وما أثبتناه من الديوان وهو الصواب.

واختار ما يختاره ابن الحسن أحمدُ أفعال، فريدُ الزمن
من سليم أو حربٍ على الذي يجب (وكونه أصلاً لهذهين انتخب)

<١٨٠ب>

حوى ثلاثَ شيمٍ لا توجَدُ في غيره فهو بها منفرد
السيفَ والتدبيرَ والمكارِمَسا (ثلاثهنَّ تقضي حكماً لازماً)
فكنَّ له في فضله موحداً (وثمنٌ واجمع غيره وأفراداً)
وإن عَدَدَتَ الصيدَ في حُسْنِ الشيمِ والحسبِ العاليِ الرفيعِ والكرمِ
فابدأ بذكر الملك المفضالِ (وقَدِّمِ الأخصَّ في اتصالِ)
فهو الذي بنفسه حمانا قديماً، وعادى كلَّ من عادانا
وهو بحفظه لنا عن الأذى لقد سَمَا على العدى مُستَحِوذاً
فاقبل حديثي قد أتاك مُثَبِّتاً (وما رَوَوْا من نحو رُبُّهُ فتى)
سطا على أعدائه في جَحَقْلٍ وشُغْلَتِ يمينه بالأسلِ
في يوم حربِ الشاهِ غزوة العَجَمِ فكم أبداً بطلاً وكم قَصَمِ
وقامت الحربُ على ساقِ حُسَيْرٍ (لا تَقَسْ على الذي منه أثيرُ)
فكم له نظمٌ ونثرٌ في العدى وكم سَقاهم كأسَ حتفٍ وردى
كم راعَهُم حينَ أتاهم يُرْعَدُ (في نحو خيرِ القولِ إني أحمدُ)
إذ وَلَجَ الميدانَ كالطُودِ انْغَرَسَ ولَّوا وظلَّ الشاهِ يحمى بالفرسِ
وهَرَبَ الكلُّ بلا تَوَانِي (كالفضلِ والحارثِ والنعمانِ)
كم غزوة غزا الطُّغَاةَ فَنَصِيرُ^(١) وكم سَرية بها الباغِي قهرُ

(١) في الديوان: البغاة.

حكى أباه في الوغى وفي الكرم^(١) (ومن يشابهه أبه فما ظلم)^(٢)
 تاهت به إذ أمّنت ببغداد
 إن كنت تبغي وصف ذا الإمام
 فعشر عشر فضله ما حصلّت
 لكن أردت دون أظهاره النعم
 (وإن نعوت كثرت وقد تلت)
 (وتبينني الحق منوطاً بالحكم)

<١٨١>

فكلّ مالك وكلّ أصلد
 ونادر ونو اضطرار غير ما
 لا زال محفوظاً مدى الزمان
 ثم من الصلاة والسلام
 محمد المحبور بالسكينة
 وتابعيهم على التوالي
 راجي ثواب الملك المنان
 ما قامت الفرسان للمجادلة
 لنصر دين الله في المبالغة
 (قدّمته أو لأناس أنتمّا)
 من شرّ كل حاسد معين^(٣)
 أركاهما على النبي الإمام
 وكل من حاصر في المدينة
 كذا على ناظم ذي اللآلي
 نجل السويدي عابد الرحمن
 بنسبة إليه هم كالحشد

(١) يريد بأبيه: والي بغداد حسن باشا، وقد سبق أن قاد جيشه في إيران فافتتح كرمنشاه
 ووصل إلى أسوار همدان، حيث توفي هناك، وخاض في أثناء ذلك معارك كثيرة.
 (٢) الشطر لرؤية بن المعراج. وأوله (بابه اقتدى عدي في الكرم).
 (٣) المعين: شديد الإصابة بالعين.

ثم رأيت، بعد ان عارضتها بأيام^(١)، السيد عبد الله^(٢) المذكور قد عارضها بقوله [من الرجز]:

الحمْدُ لله العزيزِ الغالبِ	الناصرِ المُسدِّ ذي المواهبِ
المانحِ الجَزَلِ، العميمِ الطُّولِ	الدافعِ الضُّرِّ الشَّدِيدِ الحَوْلِ
تبارك الله تعالى شأنه	وعزُّ جارا، وعلا سُلطانَه
سبحانه! يفعل ما يشاء	هَيَّاهُتْ أَنْ يُحْصِيَ لَهُ ثَناءُ
هو اللطيف في البرايا سرمدًا	حاشاهُ أَنْ يَتَرَكَ أَمْرَهُمْ سُدَى
يختصُّ بالرحمة من عباده	من شاءَ فضلًا منه في إسماعده
ثم من الصلاة ما قد كَمَلَا	على نبي السيف سيّد المَلَا
الهاشمي، هازِمِ الأحزابِ	محمّدٌ مقسَمُ الأسلابِ
وآله فرسانِ مضمارِ الوغى	وصحبه سُبُوقُ حَلَبَةِ الهُدَى
ما قامتِ الحربُ وثارَ الرَّهَجُ	وسُئِلَتِ الضُّبَا وسالت مُهَجُ

﴿١٨١ب﴾

ثم السلام من مُجِبِّ نائي	وأكملُ الثَّنَاءِ والدُّعَاءِ
إلى النَّقَابِ الفاضلِ الهُمَامِ	العالمِ الحَبِزِ الرُّضَا القُمَقَامِ ^(٣)
عَفَّ الإزار طاهرِ الأثوابِ	سُلالةِ الأطهارِ والأطيابِ
السَّيِّدِ السُّمَيَّدِ الجَلِيلِ	خَلِيٍّ وخِذْنِي صاحبي خَلِيلِي ^(٤)

(١) أعيدت (رأيت) هاهنا في الأصل.

(٢) هو السيد عبد الله الفخري الموصلي، وقد تقدم التعريف به.

(٣) النقاب: العلامة البحاثة الفطن.

(٤) السميّد: السيد الكريم المخي، والخدن: الصديق.

علامة الدنيا قريع دهره من لا يُبارى من وحيد عصره^(١)
 لا زال قارعاً نرى الكمال مقتعداً غوارب الآمال^(٢)
 وبعد عرض صورة الأشواق وبّت بّت الين والفرار
 فالعرض الأصلي فخص الحال والبحث عن كيفية الأحوال
 فكيف ذاك العنصر اللطيف الطيب المطهر الشريف؟
 لا زال في حفظ الإله دائماً وفي مقام الفضل طوداً قائماً
 ثم أيا من بعده أودى بي ومن حوى أقصى مدى الآداب^(٣)
 فان تعطف الجناب السامي بالفحص عن أحوال ذي الهيام
 فإنه في غمرة لا تتجلي إلا إذا شاء المهين العلي
 وكيف لا؟ والوجد قد عاني يثني كما يريد من عنائي^(٤)
 وفرقة الأحباب والذيار أختت على جسمي واصطباري
 والله مأمول لجمع الشمل فإنه ولي كل فضيل
 وبينما أفحص عن آثار وأتلقى جلب الأخبار^(٥)
 إذ ورد الكتاب أسمى الكتب من سيد حوى فخار العرب

(١) القريع: السيد، وفلان قريع دهره: سيد دهره؛ وقريع الكتبية: رئيسها.

(٢) استصوب الشيخ الأثري أن تكون: فارعاً من فرع الشيء يفرعه فرعاً وفروعاً، إذا علاه.

(٣) أودى بي: أهلكني.

(٤) عنائي الأولى: أمني. والعنان الثانية: سير اللجام الذي تمسك به الفرس.

(٥) الجلب: ما جلب من شيء والبغداديون يطلقون (الجلب) على المتاع الرديء.

أَيُّ كِتَابٍ عَقْدٌ دُرٌّ نَظَمَا وروضُ آدابٍ غدا مُنَمَّمَا^(١)
 أَيُّ كِتَابٍ عَقْلُهُ الْمُسْتَوْفِزُ قُرَّةُ عَيْنٍ، عِدَّةُ الْمُسْتَجِزِ^(٢)
 يحكي الهواءَ رِقَّةً والماءُ لطافةً، وقد سما سناء
 <١١٨٢>

مضمونه يُعَرِّبُ عَنْ خَفَضِ الْعِدَى وما اصابوا من عواميل الردى
 وما أتاحَ اللهُ مَنْ تَأَيَّدَ والظَّفَرِ الْبَاهِرِ والتسديدِ
 فهزُّ من عِطْفِ النِّشَاطِ والجِذْلِ وفرح القلبِ الْكُنُيبِ الْمُخْتَبِلِ^(٣)
 فصارَ لِلْأَنَامِ عَيْدًا آخِرًا كلا تراه حامدًا وشاكرا
 على اتِّجَلَاءِ غُمَّةِ الْبَلَاءِ بفضلِ ذِي الْأَلْطَافِ وَالْأَلَاءِ
 وذلكَ أَنْ صَاحِبَ الْأَعْجَامِ حاصِرَهم بجيشه اللَّهَامِ
 بِاللَّجِبِ الْعَرْمَرَمِ الْكُمَامِ يَطْلُبُ بِالذَّحُولِ وَالتُّرَاتِ^(٤)
 فَأَعْضَلَ الْأَمْرَ وَأَعْيَا الرَّاقِيَا وبلغتَ مِنْ غَمِّهَا التُّرَاقِيَا^(٥)
 جاؤهم من فوقهم والأسفلِ بجَحْقَلٍ كَظِلِّ لَيْلِ الْيَلِ^(٦)

(١) العقد: القلادة. منمنما: مزخرفا مرقشا.

(٢) عقله المستوفز: قيد العجلان الجالس على هياة كانه يريد القيام. المستجز: طالب الانجاز، أي قضاء الشيء.

(٣) العطف: الجانب الجذل: الفرع. المختبل: الذي فسد عقله وجن.

(٤) الذحول: جمع الذحل، وهو الثَّار. الترات: جمع الترة، وهي الظلم في الذحل وقيل: هي الذحل عامة.

(٥) التراقي: جمع الترقوة، وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان وبلغت الروح التراقي: كناية عن مشاركة الموت.

(٦) ليل أليل: شيد الظلمة.

شَبُّوا ضِرَامَ الْبَاسِ وَالْكَفَاحِ ما غَادَرُوا ضَرْباً مِنَ النَّفَاحِ^(١)
 رَمَوْهُمْ بِنَارِهِمْ أَسْبُوعاً وهَجَمُوا عَلَيْهِمْ جُمُوعاً
 نَارٌ، وَمَا أَدْرَاكَ صَاحَ مَا هِيَ؟ نَارٌ لَظَى تَضَرَّمْ، نَارٌ حَامِيَةٌ
 صَوَاعِقُ قَوَارِعَ قَوَاصِيْفُ رَوَاعِدُ طَوَارِقُ رَوَاجِفُ
 فَاضْطَرَبَ الْحَبْلُ وَجَلَّ الْخَطْبُ واستَفْحَل الذَّاءُ وَحَلَّ الْكَرْبُ
 وَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَلَّاهَا إِنَّ (إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا)^(٢)
 رَدُّوا بَغِيْظٌ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا نَعَمْ! أَصَابُوا ضَرَرًا وَضَيْرًا
 إِذْ بَادَ بِاللَّغَمِ لَهُمُ السُّوفُ^(٣) وَذَا سَبَّوْهُ مَا نَالَتْ السُّيُوفُ
 وَكَانَتْ النَّيِّرَانُ مِثْلَهَا عَلَى الْـ خَلِيلٍ بَرْدًا وَسَلَامًا لَمْ تَزَلْ^(٤)
 كَفَاهُمْ سَبَّحَانَهُ الْقِتْلَالَا وَكَفَّ عَنْهُمْ مَا دَهَى تَعَالَى
 هَذَا، وَمَا قَدْ دَفَعَ اللَّهُ مِنَ الْـ بَلَاءٍ قَدْ كَانَ عَظِيْمًا وَأَجَلْ
 وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النُّعْمَةَ مِنْ طَوْلِهِ، وَدَفَعَ كُلَّ نِقْمَةٍ

<١٨٢ب>

فَهُوَ وَلِيُّ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ نُو الْعِزِّ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ

(١) الضرام: لهب النار. النفاح: الدفاع والمكافحة.

(٢) جلاها: كشفها. منتهاها: انتهاء علمها.

(٣) اللغم، كذا في الأصل، وفي ب: اللقم، وقد تقدم القول في شرحه بلفظيه.

(٤) الخليل: إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام. يشير إلى خبر النار التي أوقدت لإحراقه، فأطفأها الله تعالى كما في الآية الكريمة: (قلنا: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) (الأنبيا ٦٩).

والحق إن هذه إحدى الكُبرِ وأبدع البدع، وأم للعبر^(١)
 فيها لها من وقعة لم تسبق إلا بأحزاب بيوم الخندق
 وكان رمي تلك بالأحجار وصار رمي هذه بالنار
 لله قومي من رجال صُبر على المضاض في البلاء الأكبر^(٢)
 ما ريع منهم أحد كلاً، ولا عرثهم الفشة من بأس العدى
 كل يقول: حبذا يوم اللقا ونعم ما يوم لنا يوم الوغى
 تُلقيه مُشداً لدى البراز^(٣) أبلغ ما قيل في الارتجاز:
 (أنا) (أبو برزة)، إذ جدّ الوهل وليس فينا زمل ولا وكل^(٤)
 (نحن) بنو الموت إذا الموت نزل والموت أحلى عندنا من العسل

(١) الكبر: جمع الكبرة، وهي الائم العظيم. البدع: الأمر الذي يفعل أولاً.

(٢) المضاض، بكسر الميم: الملاحاة والملاحة.

(٣) البراز: المبارزة.

(٤) أبو برزة: قال الشيخ الأثري - رحمه الله - في تعليقه له على هذا الموضع من مقتبساته: لم أعرفه - الوهل: الفزع - المزمل: الضعيف يعرف به غير واحد، والظاهر والله أعلم أنه نضلة بين عبيد بن الحارث الأسلمي: صحابي، غلبت عليه كنيته. شهد قتال الأزارقة، ومات بخراسان سنة خمس وستين. له ستة وأربعون حديثاً. وهذا الرجز بلفظ لم يذكره الطبري في حوادث وقعة الجمل، وإنما ذكر شبيهها به، ينسب إلى وسيم بن عمرو بن ضرار الضبي تارة، وإلى عمرو بن ضرار الضبي تارة، وغير معزو تارة أخرى، ولجمع رواياته.

نحن (بنو ضبة) أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
 والموت أحلى عندنا من العسل ننمى (لبن عفان) باطراف الأسفل
 ردوا علينا شيخنا، ثم بجل

وبعض هذا الرجز في (لسان العرب) وغيره، غير منسوب.

إِذْ وَطَنُوا الْأَنْفُسَ لِلْحَتُوفِ (١) وَأَخَذُوا قَوَائِمَ السَّيُوفِ (١)
يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْبَيْضِ وَأَطْرَافِ الْأَسْلِ
مَحَازِرِينَ خِطَّةَ الْهَوَانِ وَتَوَمَّ خَسْفٍ مِنْ ذَوِي الْعُدُونِ
حَتَّى قَضَى اللَّهُ لَهُم بِالْفَرَجِ وَعَاجِلَ الْفُلْجِ وَدَفَعَ الْحَرَجَ (٢)
رَبُّوْا وَجُوهَهُمْ بِحَرِّ الضَّرْبِ وَأَرْتُوا لَهُمْ سَعِيرَ الْحَرْبِ (٣)
فَقَهَقُوا نَكْصاً عَلَى الْأَعْقَابِ عَلَى احْتِذَاءِ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ
بِصَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ وَيَسَّاسِ وَحْنِيَّةٍ مِنْ ظَفَرِ بِيَّاسِ
إِذْ رَتَعُوا فِي مَرْتَعٍ وَبَيَّلَ وَطَمَعُوا فِي مَطْمَعٍ ثَقِيلِ
غَرَّتْهُمْ الْأُمُوسَالُ وَالْأُمَانِي إِذْ جَعَلُوا الْقَاصِي مِثْلَ الدَانِي
مَا كُلُّ سُودَاءَ بَقْمَرَةٍ، وَلَا جَمْرَاءَ جَمْرَةٍ، إِذَا جَدَّ الْبَلَاءُ (٤)

<١٨٣>

لَهُ دَرُهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا! وَأَيُّ مَجْدٍ وَطَدُوا وَأَثَّلُوا (٥)
نَاهِيكَ مِنْ نَخْرِ أَتَمِّ الذُّخْرِ! وَحَسْبُهُمْ ذَا الْفَخْرِ أُنْمَى الْفَخْرِ

(١) قوائِم السيف: مقابضها، الواحدة قائمة

(٢) الفلج: الظفر.

(٣) حر الضرب: شدته. ارتوا: اوقدوا.

(٤) قال الشيخ الأثري: في أمثال العرب: (ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرّة) يضرب في اختلاف لخلق الناس وطباعهم، ويضرب في موضع التهمة، قاله قيس بن ثعلبة في خبر طويل في (فرائد اللال) (٢/٢٤٤).

(٥) وطدوا: أثبتوا وقوا- أثلوا: اصلوا.

لاسيما قائدَهُمَ حَسِينُ ذاك الذي ما فيه قَطُّ شَيْنٌ^(١)
 ذاك الوزير الأصيل المشيع البطل الضربُ الهَزْبُ الأشجع
 الرابط الجاش لدى اللقواء عند اشتجار السمرِ في الهِجاءِ^(٢)
 فإنه الأصلُ لهذي المقخرة بل تنتهي إليه هذي المأثرة
 لأنه رئيسها ورأسها ونجمها الوضّاح بل نبراسها
 لله درّه! يَهُونُ الحَنَفُ عليه إن لآح عليه خَسَفُ
 بجَدّه أنقذَ أهلَ الموصلِ من فتكِ ذي ضغائنِ مُستأصِلِ
 قَلَمَ عنهم ظَفَرَ الأعداءِ وقلّ عنهم غَرَبَ ذاك الداءِ^(٣)
 عليه عينُ الله من أمير صاحبِ رأي صائبِ خبير
 ذو غيرِ يحمي الذّمَارَ كالعَرَبِ يسطو بعضنب قاضبِ بلا رَهَبِ
 فيا له من ذي غَناءٍ كَافِلٍ! أخلق به قرناً بقولِ اللقائلِ: ^(٤)
 (نفسُ عصامِ سوّدتَ عصاماً وعلمته الكَرُّ والإقداماً)^(٥)
 رَعياً له! إذ جدُّ في دفعِ الأذى وقد سَمَا على العدى مُستحوذاً
 فهو - لعمري! - حائزٌ تفضيلاً (مُستوجبٌ تُسائي الجميلاً)

(١) يريد حسين باشا الجليلي والي الموصل في أثناء حصار نادرشاه، ومراد: ابنه. وسيأتي التعريف به فيما يأتي في هذه القصيدة.

(٢) اشتجار السمر: تداخل الرماح بعضها في بعض. الهيجاء: الحرب.

(٣) غروب الداء: حقيقته.

(٤) الغناء، بفتح أوله: النفع والكفاية.

(٥) نفس عصام: مثل يضرب في نبأه الرجل من غير قديم له، وعصام: هو ابن شهير لحاجب النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

فركه تركية، واجملاً (اجمال من تجملاً تجملاً)
 من له الدعا بنفس صاغرة (الله يقضي بهبات وافرة)
 وهكذا سليله (مُراد) من مثله لمثله يُراد^(١)
 شمر عن ساعدٍ جدّ، وسطاً يحمي الحمى لسيفه مُخرطاً
 (به قد اقتدى (عدي) في الكرم ومن يُشابه أبه فما ظلم)^(٢)

(١) هو مراد باشا الجليلي، استبسل مع ابيه في قتال جيش نادر طهماسب قلى دفاعاً عن (الموصل): وتوفي قبل ابيه.

(٢) قال الشيخ الأثري: البيت من شواهد النحو واللغة. وقد نسبته محمود العيني في (شرح الشواهد الكبرى) (١٢٩/١) هامش خزانة البغدادي إلى رؤية بن العجاج، وليس في ديوانه المطبوع في ليبسغ ١٩٠٣م. ولكن ناشر الديوان - وهو وليم بن الورد البروسي - اورده في ملحقة (ص ١٨٢) في جملة ابيات. وجملة ملحقة هي ما وجده منسوباً إلى رؤية والى ابنة العجاج في كتب مخطوطة واخرى مطبوعة. من غير عزو صريح يعين القائل، وارى ان نسبته إلى رؤية لا تصح. لان الممدوح به - وهو عدي بن حاتم الطائي فيما راي العيني - توفي قبل رؤية بسبع وسبعين سنة. توفي عدي في سنة ثمان وستين للهجرة، وتوفي رؤية في سنة خمس واربعين ومئة، وعلى هذا يمكن ان يكون البيت لابنه العجاج المتوفى في نحو سنة تسعين. غير انه لم يذكر في ديوانه بطبعتيه الالمانية والبيروتية. وعدي بن حاتم الطائي الجواد المضروب به المثل في الجود: صحابي جليل، وفد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة تسع او عشر فاسلم، وكان نصرانياً. ولما التحق النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى، قدم على ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - في وقت الردة بصدقة قومه وثبت على إسلامه وشهد فتح (العراق) ووقعة (القادسية) ووقعة (مهران) ويوم (الجسر) مع ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (والصحيح: ابي عبيد بن مسعود الثقفي)، ومار مع سيف الإسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى (الشام). وشهد معه بعض الفتوح. وأخبره في كتب الصحابة والتواريخ المفصلة.

كذا الوزير صاحب الشهباء ذو الحزم والآراء والدهاء^(١)
فإنه لم يُلَفْ ذا تقصير أصاب في الرأي وفي التدبير
جوزي بالخير عن الأنعام لبذل المجهود في الإسلام
بشرى بذي الفتح المبين والنصر إذ جاء من المهيمين
بشراكم أيتها الدهماء أيتها الخمساء والكمساء
بشراكم، يا أهل ذاك الحمى على احتياز الفوز من رب السما
فمن لنا بشكره والحمد؟ إذ فضله جاوز حد العمد
يا ليتني كنت مع الأصحاب ففزت بالنصرة والثواب
وإن تسأل عن هذه الأرجاء وما تعاني من عضال الداء
فإنها منذ شهور لم تسأل محصورة، ضاقت بأهلها الحيل
حسبك من شر سماعه، كما قد قيل في الغابر مما قدما^(٢)
وذلك أن الشاه شاه العجم أم ديار الروم في تهجم^(٣)
فدلفت من جنده سـوالف رواجيف تتبعها روافد^(٤)

(١) الوزير صاحب الشهباء: هو حسين باشا القازوقجي (ت/١٥٧، ١٥٨، ٢٠٣).

(٢) حسبك من شر سماعه: مثل يضرب عند العار والمقالة السيئة وما يخاف منها،
قالت فاطمة بنت الخرشب الانمارية أم الربيع بن زياد العبسي لما أراد قيس بن
زهير أخذها براحتيها ليرتئنها بدرع كان ابنها أخذها منه.

(٣) ديار الروم: بلاد الأناضول.

(٤) دلفت: مشتت رويداً، سـوالف: اراد بها الجماعة المتقدمين، من قولهم: سلف يسلف
سلوفاً، أي تقدم ومسبق.

جَحَافِلُ تُطَاوِلُ الْجِبَالَ
تَمُوجُ مَوْجَ زَاخِرِ الْبَحَارِ
دُكَّتْ لَهَا شَوَاهِقُ الْأَطْوَادِ
جَاسُوا خِلَالَ هَذِهِ الدِّيَارِ
فَعَجَّلَ الْعَرَبَانُ وَالْأَكْرَادُ
أَهْلُ الْقُرَى كَذَاكَ وَالضِّيَاعِ
لَمْ يَسْتَرِثْ أَحَدٌ فِي الطَّاعَةِ
وَذَاكَ أَبْقَاءٌ عَلَى الْعِيَالِ
قَنَابِلُ تُكَاثِرُ الرَّمَالَ (١)
غَصَّ بِهَا الْقِفَارُ وَالْبِرَارِ
وَبَسَّ مِنْهَا هَضْبُ الْأَعْضَادِ (٢)
يَبْغُونَ ضَبْطَهَا عَلَى اقْتِسَارِ
فِي طَاعَةِ الْأَمْرِ لَهُمْ وَانْقَادُوا
نَعَمْ، وَأَهْلُ سَائِرِ الرَّبَاعِ
بَادَرُوا فِي شَقِّ عَصَا الْجَمَاعَةِ
وَالْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأَطْفَالِ

<١٨٤>

وَلَا يَلَامُونَ لَدَى الْإِنْصَافِ
إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي طَاقَةِ الْأَغْنَامِ
فَمَلَكُوا مَا كَانَ مِنْ ضِيَاعِ
فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْحِصَارِ
فَاقْتَصَرَ الِهَمُّ عَلَى التَّحْصِينِ
وَعَرَّبَ الشَّاهُ يَرُومَ الرُّومَا
فَأَوَّلًا انْصَاخٌ فِي كَرْكُوكِ
وَأَخْذَا كَالْقَسَابِيسِ الْعَجَلَانِ
بِمَا أَتَوْا إِلَّا عَلَى اعْتِسَافِ
دَفَعُ أَسْوَدِ الْغَابِ وَالْأَجَامِ
مَا تَرَكُوا فِتْرًا مِنْ الْأَصْقَاعِ
لِقَلَّةِ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ
وَحِفْظِ نَفْسِ الْحِصْنِ فِي تَمَتُّينِ
وَيَنْتَحِي الْأَطْلَالَ وَالرُّسُومَا
غَادَرَهَا كَالْقَتَبِ الْمَقْكُوكِ (٣)
لَمْ يَتْلُومْ قَرَبَ الْأَزْمَانِ (٤)

(١) القنابل: الطوائف من الناس ومن الخيل، واحدها قنبل وقنبلة.

(٢) بس: فتت وفرق.

(٣) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير.

(٤) لم يتلوم: لم يتمكث وينتظر.

ومثل كركوك غدت أربيل ووطؤه عليهما تقيـل
ثم غدا يسير نحو الموصل بذلك الجيش الثقيل الكلـل
وكان ما كان من أمر شجرا ما بينهم ثمة مما سـطرا
و الشاه إذ عن له أن يرجعا وذاك لابد لأمر وقعا
عاد من الموصل بالجيش اللـجب يقصد بغداد ببحر مضطرب
جاء يقود الجحفل الجرارا بالطم والرم يروم ثارا^(١)
بالقض والقضيض من أوشابه بجند الجـلاد من أنيابـه^(٢)
خيل، وما خيل صـلاد صـم منقذـة من الجبال الشـم^(٣)
أبناء مـوت يحرقون الأرمـا إذا رأوا يوم الهـياج البـهما^(٤)
بنو كرائه فحول حـرب أسود هـيـج ورجال ضـرب^(٥)
حتوف قرن يقضمون الزبرا من الحديد قاحمين الخطرا^(٦)

مركز تحقيق مكتبة علوم اسلامی

- (١) جاء بالطم والرم: اتاهم بالشيء الكثير والقليل.
(٢) القـض: الحصى الكبار، والقضيض: الحصى الصغار. يريد انهم لم يتخلف منهم احد. الاوشاب: الاخلاط من الناس والاوباش، الأنياب: جمع الناب، وهو سيد القوم وكبيرهم..
(٣) صـلاد: جمع صلد، وهو الصلب الاملس الشديد.
(٤) يقال: حرق نابه يحرقه ويحرقه، اذا سحقه حتى يسمع له صريف، أي صوت والارم: الاضراس، كانتا جمع ارم، وفلان يحرق عليك الارم: تغـيظ فـحك اضراسه بعضها ببعض. البهم: جمع البهـمة، وهو الشجاع.
(٥) جمع: كـريهة، وهي الحرب.
(٦) القرن للإنسان: مثله في الشجاعة والقتال. الزبر: القطع الضخام من الحديد الواحدة زبرة قـحـم الخطر: رمى بنفسه فيه.

أَيُّ رَجَالٍ تَكَلَّتْهُمْ أُمُّهُمْ وَمِثْلُهُ، وَيَلِ أُمُّهُ، يُؤْمَهُمْ
فَسَارَتْ جُتِ الْجِبَالِ أَيُّ رَجُلَةٍ وَمَادَتْ الْأَرْضُ لِثَقَلِ الْوَطْأَةِ

<١٨٤ب>

وَالنَّاسُ حَيْثُ شَاهَدُوا ذَا الْحَالَا تَضَعُضَعُوا وَزُلْزِلُوا زِلْزَالَا
تَوَجَّسُوا وَزَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَارْتَاعَتْ النُّفُوسُ وَالْأَسْحَارُ
وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ الْقُلُوبِ شَقٌّ لَهَا كَمَا نِمُّ الْجِيُوبِ
وَهُمْ عَلَى الْقَنُوطِ مِنْ حَيَاةٍ يَغْتَبِطُونَ رَاحَةَ الْأَمْوَاتِ
وَحَقٌّ لِلْقُلُوبِ أَنْ تَرْتَاعَا وَلِلْحَشَا مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَلْتَاعَا
إِلَّا الرُّضَا حَامِي حِمَى الزُّورَاءِ ذُو الْفَتَكَةِ الْبِكْرِ لَدَى الْقَاءِ^(١)
السَّهْزَبِيِّ الصَّاحِبِ الْمُعْظَمِ الْمَاجِدُ الْقَرْمُ الْوَزِيرُ الْأَفْخَمُ
مُنْتَشِرُ الصَّيْتَةِ فِي الْآفَاقِ مَقْدَمُ الْكُلِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ
ذُو الْجَذِّ وَالْجَذِّ الْمُعِمُّ الْمَخُولُ ذُو الْغَمَرَاتِ الْأَوْحَدِيُّ الْمُقْبِلُ^(٢)
السَّابِقُ الْأَنَامُ وَهُوَ قَاعِدُ مَنْ هُمَةُ الْفَخَارُ وَالْمَحَامِدُ
رَبُّ الْعِتَاقِ وَالرِّقَاقِ وَالْقَنَا الْمَقْلِقُ الْهَامُ إِذَا الْقَرْمُ دَنَا^(٣)
تَرَبُّبُ الْمُصَارِعِ ضَارِعُ الشُّجْعَانِ إِذَا تَلَاكَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ^(٤)

(١) هو الوزير أحمد باشا بن حسن باشا. فتكة بكر: لا مثيل لها.

(٢) المعمم المخول: ذو الأعمام والأخوال الغمرات: الشدائد.

(٣) العتاق، من الخيل: النجائب. الرقاق: السيوف المرققة.

(٤) المصارع: المجالدة بالسيف ونحوه. البطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير مشدوداً بالقتب، ويقال: التقت حلقتا البطان، للامر إذا اشتد.

ذو الهَبَّاتِ السُّودِ والحروبِ مُجْتَمِعِ الرَّأْيِ لَدَى الْخُطُوبِ^(١)
 كَافِي الْكُفَاةِ حَارِسُ الْعِرَاقِ الطَّيِّبِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ
 غَيِظُ الْعِدَى مُقْتَضِمُ الْأَمْوَالِ لَيْثُ الشَّسْرِ مُجَنِّدُ الْأَبْطَالِ
 مُضِرُّسُ الْخُطُوبِ وَالنَّوَائِبِ ذُو دُرْبَةٍ مُحَنِّكِ التَّجَارِبِ^(٢)
 بِكُلِّ خَيْرٍ مَبْتَدِ مُعَوِّدُ وَعَوِّدُهُ، مِثْلُ مُنْمَاءٍ، أَحْمَدُ
 لَمْ يَتَتَعَّعْ فِي مَوَارِدِ الرَّدَى وَلَمْ يَكُنْ يَرْتَاعُ مِنْ خِيَلِ الْعِدَا^(٣)
 مَا رَاعَهُ تَكَاثُفُ الْأَعْدَاءِ وَلَمْ يَهْلُ مِنْ صَخَّةِ الْبِلَاءِ^(٤)
 فَوَاطِئَ الرَّأْيِ عَلَى الْقَرَارِ وَوَطْنَ النَّفْسِ عَلَى الثَّمَارِ^(٥)

<١١٨٥>

مُحَارِساً مُحَافِظاً مُجَاهِداً مُصَابِراً مُرَابِطاً مُجَالِداً
 يَرْمُقُهُ الْمَوْتُ بِلَمَحٍ شَرِّرٍ وَالْحَتَفُ قَدْ أَتَاخَ حَوْلَ الْأَمْرِ
 لَمْ يَتَضَعُضَعْ مِنْ مَضَاضِ الْهَوْلِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ النُّعْلِ
 تَمْثُلُ الذَّمَارُ وَالصَّنْفَارَا خَارَ عَلَى صِغَارِهِ الذَّمَارَا^(٦)
 يَزَارُ زَارَ الْأَسَدِ الْهَاصُورِ لَمْ يَسْتَكَنِ لِلْجَلَلِ الْمَحْظُورِ^(٧)

(١) الهبة: الغيرة.

(٢) ضرسته الخطوب: جريته واحكمته. النوائب: النوازل.

(٣) لم يتتفع: لم يتردد.

(٤) لم يهل: لم يفزعه الهول. الصخة: الصيحة تصم الأذن لشدها.

(٥) في الأصل: فواطئ.

(٦) الصغار بالفتح: الذل والضعفة.

(٧) استرجح الأثري أن تكون: المحذور.

وكان ذا الشأ له مُختَسِراً مجرباً أحوالهُ مُستَبِراً^(١)
 جرِّبه في خَلِّهِ وخَمَرِهِ وذاقه في خَلْوِهِ ومُمرِّهِ
 وكان قد حاصرَ مرتَّينِ وفيهما آبٌ باصِدرينِ^(٢)
 فظنَّ أن لا نافعَ ثم عَمَلْ وشَرُّ ما رامَ امرؤُ ما لم يَنَلْ
 فما رأى إلا الجُنوحَ للسَلَمِ ودَفَعَ ضَغْنُ كان في البَيْنِ أَلَمِ^(٣)
 واختارَ كونَ الصِّلحِ وهو يَطْمَعُ وانكفَّ وهو يشتهي ويجزَعُ
 أرسلَ مَسَنَ لَدُنْه يبغي سَلَمًا وسدَّ ما قد كان قبلَ أثَلَمَا^(٤)
 يقول: قصدي راحة الأنام والصِّلحُ خيرٌ سيد الأحكام
 (ورغبة في الخيرِ خيرٌ، وعَمَلٌ برٌّ يزينُ، وليقس ما لم يَقلْ)
 ومالٌ، حتَّى أَنه تَنَزَّلَا عن الذي كَلَّفَ كان أوْلا
 من الذي لم يكُ يُستطاعُ كالأبْلَقِ العَقوق لا يُطاعُ
 وقبلُ قد كان على الرُّؤاسِ يعطس من زهوٍ بأنفٍ شامخِ
 وحيثُ كان الصاحبُ المُقْخَمُ الحازِمُ الاسْبَهْذُ المُعْظَمُ^(٥)
 من طَرَفِ الدولةِ ذا اختِيارِ خَيْرٌ في الإيرادِ والاصْدارِ

(١) مستبّر: مختبر، يقال: سبره واسبره واستبره: أي خبره ليعرف ما عنده.

(٢) آب باصدرين: أراد رجع خائباً خاسراً.

(٣) ضغن: حقد. ألم: نزل.

(٤) أثلما: يقال: ثلم الجدار غيره، وثلمه بتشديد اللام: أحدث فيه شقاً ولا يقال أثلمه.

(٥) شرح الشيخ الأثري هذه اللفظة بقوله: الاسبهبذ: صوابه (اصبهبذ) ويقال (الصبهبذ)

قال الجواليقي: فارسي معرب وهو في الديلم كالامير في العسرب، وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة: ان (اسبهبذ) بالفارسية معناه قائد العسكر، وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان.

مُرْخَصاً فِي الصُّلَحِ وَالْقِتَالِ مَفْوضاً فِي جُمْلَةِ الْأَحْوَالِ

<١٨٥ب>

قِيلَ لَهُ: افْعَلْ مَا تَرَى فِيَمَا صُلَحَ وَمَا أُبَيِّحُ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبَيِّحْ
فَفَكَّرَ الْأَمْرَ بِرَأْيِ صَائِبٍ وَكَرَّرَ الْفِكْرَ بِفَهْمِ ثَائِبٍ
قَدَّمَ رَجُلًا تَارَةً وَأَخْرَى مَدْبِرًا مَقْتَضِيَاتِ الْحَالِ
مُفَكِّرًا مَفْهُومِ قَوْلِ الشَّاعِرِ (أَلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا)^(١)
وَبَعْدَهَا اسْتَشَارَ وَاسْتَخَارَا وَاجْتَهَدَ الْأَصْلَ افْتِكَارَا
أَلْهِمَهُ اللَّهُ صِلَاحَ النَّاسِ وَبَفَعِ عَاجِلَ الْبَلَاءِ وَالْبَاسِ
فَاخْتَارَ لِلشَّقَاقِ أَنْ يَمُوصَ بِهِ إِنْ دَوَاءَ الشَّقِّ أَنْ تَحُوصَ بِهِ^(٢)
وَإِذْ رَأَى الصُّلَاحَ فِي الْمُسَالَمَةِ أَرْسَلَ مِنْ لَدُنْهِ لِلْمُكَالَمَةِ
ثَلَاثَةً مِنَ الرِّجَالِ الْكَمِيلِ عَلَيْهِمُ اقْصَى مَدَى الْمُغْوُولِ:
الْكَتَّخْدَا يَوْمئِذٍ، وَالسَّابِقَا، وَكَاتِبَ الدِّيْوَانِ يَتْلُو لِاحِقَا،^(٣)
فَأَبْرَمُوا الْأَمْرَ بِضَرْبٍ لَازِبٍ وَشَيَّدُوا الصُّلَحَ بِرَأْيِ ثَائِبٍ^(٤)
وَأَسَّسُوا مَبَانِي الْمُهَادَنَةِ وَمَهَّدُوا قَوَاعِدَ الْمُخَادَنَةِ
فَأَغْمَدَتْ صِوَارِمُ الْكُفَّاحِ فَتَحَا لِبَابَ الصُّلَحِ وَالصِّلَاحِ
وَجُمْلَةُ الشُّرُوطِ وَالْأَرْكَانِ أَنْ يَرْجِعَ الشَّاهُ إِلَى إِسْرَانِ

(١) اللبوس: ما يلبس، والبيت لبهس الفزازي الملقب بـ (نعامة).

(٢) يموصه: أراد يزيله، والموص: غسل الثوب غسلا ليئا، تحوصه: تخططه.

(٣) ككتخدا: تقدم شرحه.

(٤) ضرب لازب: ثابت.

يَمُكُثُ ثُمَّ يَرْقُبُ الْأَخْبَارَا مِنْ طَرَفِ الدَّوْلَةِ إِنْتَظَارَا^(١)
 وَذَاكَ بَعْدَ الْعِزِّ وَالْإِثَابِ مِنْ الْغَرِيِّ مَغْهَدِ الْأَحْبَابِ
 مُشْهَدِ مَوْلَانَا الْفَتَى عَلِي أَخِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الزُّكِّي
 ثُمَّ إِلَى الزِّيَارَةِ السَّبْطِ الْأَجَلِ رِيحَانَةِ الرَّسُولِ ذِي الْقَدْرِ الْجَلِ^(٢)
 وَكَلِمَا كَانَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ تَتَكَّفُ مِنْ هَذَا الْبِلَادِ سَائِرَةِ^(٣)

<١١٨٦>

وَتَرْجَعِ الرَّقَاعُ وَالْأَصْقَاعُ وَتُسَلِّمِ الْبِلَادُ وَالْقِلَاعُ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ! عَفَى الْغَوَائِلُ وَانْدَفَعَ الشُّرُورُ وَالطَّوَائِلُ^(٤)
 وَانْقَمَعَ الْبِئْسُ وَحُلُّ الْفَرْجِ وَانْشَعَبَ الصَّدْعُ وَزَالَ الْخَرْجُ^(٥)
 لَهُ تَعَالَى الْمِنَّةُ الْغَرَامُ عَلَى الْعِبَادِ مِثْلَ مَا يَشَاءُ
 وَبَعْدَ ذَلِكَ لِلْوَزِيرِ الْحَارِمِ ذِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمَكَارِمِ
 فَإِنَّهُ شَادَ أَسَاسَ الصَّلَاحِ بِرَأْيِهِ مُجَاهِدًا لِلنَّجَاحِ
 فَقَدْ غَدَا ذَا مِنَّةٍ عَلَى الْمَلَا لِدَفْعِهِ بِأَلْتِي مِثْلَ ذَا الْبَلَا

(١) انتظاراً: همزته همزة وصل، صيرها همزة قطع لإقامة الوزن.

(٢) كذا في الأصل، وفي ب: زيارة، وهو الصواب

(٣) الامسورة: جمع الامسوار، بضم اوله وكسره، وهو قائد (الفرس) وقيل: هو الجيد الرمي بالمسهم وقيل: الجيد الثبات على ظهر الفرس ويجمع على اساور ايضاً.

(٤) عفى: قال الأثري: وصوابه: عفا اراد عفت الغوائل أي زالت وامحلت، فلم يسعفه الوزن. والغوائل: الدواهي. الطوائل: العداوات والثارات.

(٥) انشعب الصدع: يقال شعب الصدع، إذا لمه واصلحه فانشعب.

فيا له من ذي دهاءٍ مُتَجَبِّةٍ من واضعِ الهناءِ موضعِ النُّقَبِ^(١)
 لله دره ! أصابَ المَقْصَصَ لا وَقَطَعَ المَحْزُ فِيمَا فَعَلَا^(٢)
 فأولُه المديحِ أيا كانَ، لا (تَعْدِلُ بِهِ فَهُوَ يُضَاهِي المَثَلَا)^(٣)
 والحمد لله على نَوَالِهِ على خَفِي اللُّطْفِ من أَفضالِهِ
 مواهبٌ منه تَوَالَت زائِدَةٌ (فَالله بَرٌّ، والأَيَادِي شَاهِدَةٌ)^(٤)
 ثم صِلَاةٌ وَسَلَامٌ كُمُتِلَا على الذي على السَّمَوَاتِ عَلَا
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ الوَرَى الرُّوُفِ السَّيِّدِ الطُّهْرِ الرُّضَا العَطُوفِ
 وآلِهِ الغُرُّ مصَابِيحُ الِهُدَى وَصَحْبِهِ لَيْسُوثُ حَوْمَةِ الرَّدَى
 مَا أَغْمَدَتْ قَوَاضِي الكِفَاحِ بَيْنَ الوَرَى فِي السَّلَامِ وَالصَّلَاحِ
 مِنَ المَحَبِّ المَخْلِصِ المُبَاهِي بِخُصْبِ أَهْلِ الفَضْلِ: عِبْدُ اللهِ

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

(١) الهناء، بكسر الهاء: القطران، النقب: جمع النقبة، وهي الجرب، أو أول ما يبدو منه، والمعنى أنه ماهر مصيب.

(٢) المفصل: كل ملتقى عظمين من الجسد. المحز: موضع الحز، أي القطع ويقال تكلم فأصاب المحز، إذا تكلم فلقنع.

(٣) يضاهي: يشابه.

(٤) البر: المحسن. الأيادي. النعم.

فصل

[تكليف عبد الله السويدي بمناظرة العجم]

وبعد أن ارتحل عن الموصل خائباً، رَجَعَ إلى بغداد - كما قَدَّمنا -
آيماً، فزُلْزِلَت الأقدام، وارتاعت لِقُومَه الأنام، وحَقَّقُوا أَنَّهُ سَيُحَاصِرُهُم
كأهل الموصل.

ولما بَلَغَ قُرْبَ قِصْبَةِ <١٨٦ب> سيدنا الإمام أبي حنيفة نعمان بن
ثابت - رضي الله عنه - أرسلَ رسولاً إلى الوزير، يُريد الصِّلْحَ من آل
عثمان بلا شرط من شروطه المَتَقَدِّمَةِ، وأنه راغِبٌ فيه عَظِيمٌ، وذلك لِما
شاهدَ من ثبات أهل بُلْدان الإسلام وقُوَّةِ عَزْمِهِم، وتَصَلُّدِ أَكْبَادِ أَتْصَارِهِ
وتوقُّدِ حَزْمِهِم، فأجابَه الوزير إلى ذلك، وأرسل إليه عَضُدِيْنِهِ وساعِدِيْنِهِ،
الأمير محمد باشا والأمير سليمان باشا، وعزَّزَهُما بكتّاب الديوان وُلِّي
أفندي، فَعَقَدُوا الصِّلْحَ وشرَطُوا عليه أن يرحل إلى أرضه، ويُرسِلون بذلك
إلى الدولة، فإن رَضُوا بهذا الصِّلْح فَبِهَا، وإلَّا فقد عادَ الحَرْبَ ورَضِيَّ
بذلك^(١).

(١) جنوح نادرشاه للسلم بعد حروبه المتكررة، على ما يصفه المؤلف هنا، جرى سنة
١١٥٨هـ/١٧٤٥م فهو تال على طلبه من أحمد باشا إرسال عالم من طرفه
للتفاوض بشأن الأمور الدينية في مؤتمر النجف، وإيفاد الشيخ عبد الله السويدي
لهذا الغرض سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م لا متقدم عليه. يذكر الكركوكلي (دوحة
الوزراء ص ٧١-٨٩) أن نادرشاه لما أيقن عجزه عن حرب الدولة العثمانية، أعلن
رغبته في الصلح وإحلال السلام، وأوفد القائم مقام اعتماد دولته فرزند شاه رخ
إلى الصدر الأعظم، كما أوفد رئيس علماء إيران الملا علي أكبر إلى شيخ
الإسلام، وسافرت هذه الوفود إلى الأستانة عن طريق بغداد، وأرسل رسالة=

ثم ذهب^(١) إلى زيارة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،
وليرى قبته، حيث أمر أن تُبنى بالذهب^(٢)، وإلى زيارة ولده الشهيد
الحسين رضي الله عنهما. وفي هذا الأثناء أظهر نفسه سنياً، وأرسل إلى
الوزير يريد منه عالماً من علماء السنة، ففهم منه ظاهراً أنه يريد
للمناظرة مع علماء العجم.

خاصة بيد سفيره فتح علي بك التركمان إلى والي بغداد أحمد باشا ليساعده،
وليكون إلى جانبه واسطة خير وصلاح، وقد استجابت الدولة العثمانية للطلب،
فأرسلت وفداً إلى بغداد على رأسه نظيف مصطفى أفندي، وفتح علي بك السفير
الإيراني، فقام الوزير أحمد باشا من ناحيته بانتخاب كاتب الديوان ولي أفندي
ليكون بمعية الوفد المذكور، ثم أصل الوفد سفره نحو إيران، حيث جرت
المفاوضات مع نادرشاه وجرى توقيع وثيقة الصلح بموجب شروط الدولة العثمانية
على أن يوقع الوثيقة أحمد باشا أيضاً. وفي التقرير الذي أرسله مدير البريد محمد
لوالى بغداد أحمد باشا (خط همايون ١٢٢، بتاريخ ٢٨ رمضان ١١٥٨) أنه رافق
ولي أفندي حتى وصوله منزل قره تبة، كان خروجه من بغداد قد جرى قبل ١٧
يوماً.

^(١) يريد نادرشاه، وهذا يؤكد تقديم سفر الوفد العثماني برئاسة نظيف مصطفى أفندي،
على مؤتمر النجف وإيفاد أبيه عبد الله إليه، والصحيح أن الحادثة الأخيرة تتقدم
على الأولى بنحو سنة.

^(٢) وكانت القبة قبل ذلك مكسوة بالأجر المزجج، وقد أمر نادرشاه بقلعه عنها، وعن
الإيوان والمنبتين، وتذهيبها، وبلغ ما أنفق على ذلك نحو ٥٠٠٠٠ تومان، عدا
قيمة الذهب والنحاس، وقام بالتذهيب أكثر من مائتي صانع ونحاس، كتبت أسماء
أكثرهم على الطابق النحاسي وراء الذهب، وقد طليت كل قطعة بمنقوشين من
الذهب. ينظر جعفر محبوبه: ماضي النجف وحاضرها ج ١، ص ٦٤-٦٧.

قال الوالد - حفظه الله - في النِّفحة المِسْكِيَّة والرحلة المَكِّيَّة^(١) ما
مَصْنَرُهُ:

بيناً أنا جالسٌ قبيل مغرب يوم الأحد، الحادي والعشرين من
شَوَّال^(٢)، إذ جاء رسول الوزير أحمد باشا يدعوني إليه، فذهبتُ بعد صلاة
المغرب، ودخلتُ دار الحُكْم، فخرج إليَّ بعضُ نَدَمائِهِ وسُمَّارِهِ، أحمد آقا،
فقال: أتدري لما طُلبتُ؟ فقلتُ: لا، فقال: إن الباشا يريد أن يُرْسِلَكَ إلى
الشاه نادر، فقلتُ: لِمَ ذلك؟ فقال: إنه <١٨٧>أ يريد عالماً يبحث مع علماء
العجم في شأن مذهب الشيعة، .. فلما قرع سَمْعِي هذا الكلام وقَفْتُ
شُعْرِي، وارتعدتُ فرائصي، وقلتُ: يا أحمد آغا.. أرجو من جناب الوزير
أن يرفع هذه المِحْنَةَ عَنِّي، وليُرْسِلِ المَقْتِي الحنفي والمَقْتِي الشافعي، فإنهما
الأنسب في مثل هذه الحادثة، فقال: هذا أمرٌ لا يُمكن! وجناب الباشا
اختارك لذلك، فما يَسَعُكَ سِوَى الامْتِثال، فلا تُحرِّك لِسَانَكَ بخلاف مُرادِهِ.

ثم اجتمعتُ بالوزير أحمد باشا صبيحة تلك الليلة، فتذَكَّرَ معي
بخصوص هذا الأمر كثيراً، وقال: أسأل الله تعالى أن يَقْوِيَ حُجَّتَكَ،
ويُطْلِقَ بالصواب لِسَانَكَ، لكن أنتَ مُخَيَّر بين المباحثة وعدمِها، فإن رأيتَ
منهم العِناد وعدم الإنصاف، فقل: إني لستُ بِأَمُورٍ بالمباحثة من طَرَفِ
الباشا، لكن لا تترك البحثَ بالكُلِّيَّة، بل أورد بعض الأبحاث في خلال

(١) عنوان الرحلة كما سماها مؤلفها (النفحة المسكية في الرحلة المكية) وما نقله يشغل

الأوراق ١١٥ - ١٣٤ من نسخة المتحف البريطاني ذات العدد ٢٣٣٨٥.

(٢) ويوافق ٨ كانون الأول سنة ١٧٤٣م.

الصُّحْبَة بِالْمُنَاسِبَةِ لِيَعْلَمَ الْعَجَمُ أَنَّكَ نُو عِلْمٍ، وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمْ الْإِنْصَافَ،
وإِنْهُمْ يَرِيدُونَ أَظْهَارَ الصَّوَابِ، فَابْحَثْ مَعَهُمْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُسَلِّمَ لَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: إِنْ الشَّاهُ فِي النَّجْفِ، وَأُرِيدَكَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَكُونُ
عِنْدَهُ. فَأَتَيْتُ لِي بِكُسْوَةٍ فَاخِرَةٍ، وَدَابَّةٍ، وَخَادِمٍ. وَأَرْسَلَ الْبَاشَا مَعِيَ بَعْضَ
خُدَّامِ رِكَابِهِ، وَوَجَّهَنَا مَعَ الْعَجَمِ الَّذِينَ جَاءُوا فِي طَلَبِنَا، فَخَرَجْنَا يَوْمَ
الْاِثْنَيْنِ، قُبَيْلَ الْعَصْرِ، الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ، فَلَمْ أَزَلْ فِي الطَّرِيقِ
أَصُورَ الدَّلَائِلِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَأَخِيلُ الْأَجُوبَةِ إِذَا وَقَعَ اعْتِرَاضٌ فِي الْيَمِينِ.
وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَائِبِي وَدَيْنَتِي، لَا فِكْرَ لِي إِلَّا فِي تَصْوِيرِ الدَّلَائِلِ وَدَفْعِ الشُّبُهَةِ،
حَتَّى أَنِّي صَوَّرْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ دَلِيلٍ خَيَّلْتُ جَوَاباً أَوْ جَوَابَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ
عَلَى حَسَبِ الشُّبُهَةِ وَمُظَنَّتُهَا.

وَحَصَلَ لِي فِي الطَّرِيقِ ضَيْقٌ وَخَصْرٌ، حَتَّى أَنْ <١٨٨> بَوَّلِي
كَانَ دُمّاً عَيْبِطاً، فَدَخَلْنَا حِلَّةَ نَبِيِّ بْنِ مَرْزُوقٍ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ فِي يَدِ الْأَعْجَامِ،
فَلَقِيتُ فِيهَا بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ الشَّاهَ جَمَعَ لِهَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ كُلِّ مَقْتِي فِي بِلَادِهِ، وَقَدْ بَلَغُوا الْآنَ سَبْعِينَ مَقْتِياً، . فَلَمَّا طَرَقَ
سَمْعِي ذَلِكَ حَوَّلْتُ وَاسْتَرْجَعْتُ، وَزَوَّرْتُ فِي نَفْسِي كَلَاماً، وَقُلْتُ: إِنْ قُلْتُ
لَسْتُ بِمَأْمُورٍ فِي الْمُبَاحَثَةِ فَأَجِدُ نَفْسِي لَا تَطِيبُ بِذَلِكَ، وَإِنْ بَاحَثْتُهُمْ أَخْشَى
أَنْ يَنْقَلُوا لِلشَّاهِ خِلَافَ مَا وَقَعَ، فَعَزَمَ رَأْيِي، وَجَزَمَ فِكْرِي، بِأَنِّي لَا أَبَاحَثُهُمْ
إِلَّا بِحُضُورِ الشَّاهِ. وَأَقُولُ إِنْ مَبَاحَثَتِي مَعَ هَؤُلَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى حَكْمٍ عَالِمٍ لَا
يَكُونُ سُنِّيًّا لَثَلَا يَتَّهِمُ فِي أَنَّهُ يَرِيدُ مَنَاصِرَتِي، وَلَا يَكُونُ شَيْعِيًّا لَثَلَا يَتَّهِمُ أَنَّهُ
يَرِيدُ مَنَاصِرَتَهُمْ، فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى عَالِمٍ أَمَّا يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ أَوْ غَيْرُ
ذَلِكَ مِمَّنْ لَا يَكُونُ سُنِّيًّا وَلَا شَيْعِيًّا، وَأَنْتَى بِذَلِكَ! فَأَنْتَ الْحَكَمُ بَيْنَنَا، وَاللَّهُ

سألتك يوم القيامة، فاسمع مقالتي ومقالاتهم لكي يظهر لك الحق. ثم إنسي خيَّلتُ أنه لو مالَ رأيُه إليهم أخاصِبه وأكالمه ولو أدَّى ذلك إلى قتلي. هذا كُلُّه أجريته في مُخيَّلتِي. فخرَجنا من الحِلَّة المذكورة العشاء الآخرة ليلة الأربعاء، الرابعة والعشرين من شوال. وكانت ليلة كثيرة الدُّث^(١) والضباب لا يبصر الإنسان فيها يده، بل هي أشدُّ وأبرد من الليلة التي قلل فيها الشاعر وهي [من البسيط]:

في ليلة من جمادى ذات أُنْدِيَّةٍ لا يُبْصِرُ الكَلْبُ في أرجائها الطَّنْبَا^(٢)

فلم نزل نسير تلك الليلة، إلى أن جئنا المشهد المنسوب <١٨٨ب> إلى ذي الكفل - على نبينا وعليه الصلوة والسلام - وهو نصف الطريق الذي بين الحِلَّة والنجف. فنزلنا خارج البناء واسترحنا قليلاً، وسيرنا، وصلينا الفجر عند بئر دندان، فلم نشعر إلا بالبريد يعدو عذواً شديداً، فقال لي: أسرع فإن الشاه يذعوك هذا الوقت! وكانت المسافة بيني وبين مخيم الشاه فرسخين، فقلت للبريد: كيف عادة الشاه إذا أرسل إليه رسول من طرف بعض الملوك يطلبه كطلبي هذا من الطريق، أم يبقى مدة ثم يطلبه؟ فقال: ما يطلب أحداً من الطريق، ولا طلب سيواك! فتحرَّكت السوداء، فقلت في نفسي: ما طلبك الشاه مُستعجلاً إلا ليلجئك على الإقرار والتصديق بمذهب الإمامية، فأقلُّ يرغيبك في الأموال، فإن أحبَّته وإلا أكرهك على الإقرار والتصديق، فما رأيك؟ فجزمتُ على أني أقول الحق

(١) الدث: أضعف المطر وأخفه.

(٢) الطنب حبل الخباء والسرايق ونحوهما.

ولو كان فيه تَلَفٌ نَفْسِي، ولا يُمِيلُنِي ترغيب، ولا يُزَعِجُنِي ترهيب..
 وقلت: إن الإسلام وَقَفَ يومُ تَوْفِي النبي - صلى الله عليه وسلم - فمَشَى
 بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وَوَقَفَ ثانياً في مِحْنَةِ القول بخلق
 القرآن، فَدَرَجَ بسبب أحمد بن حنبل رحمه الله. وفي هذا اليوم وَقَفَ
 الإسلام ثالثاً، فَإِنْ تَوَقَّفْتُ وَقَفَ وَقُوفاً أبدياً - نعوذ بالله من ذلك - وَإِنْ
 دَرَجْتُ دَرَجَ دَرَجاً سرمدياً، وَوَقُوفُهُ وَدَرَجُهُ بسبب وقوف أهله وَدَرَجِهِمْ.
 ولا رَيْبَ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْأَطْرَافِ لَهُمْ بِهَذَا الْفَقِيرِ حُسْنُ ظَنٍّ فَيَقْتَدُونَ بِي إِنْ
 خيراً فَخَيْرٌ <١٨٩> وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ. فَجَزَمْتُ نِيَّتِي وَحَسُنَتْ طَوَيَّتِي،
 وَوُطِّئْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَسْهَلْتُهُ، وَقُلْتُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
 وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، أَشْهَدُ أَنَّ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَسَقِيتُ دَابَّتِي وَأَنَا أَكْرَرُ الشَّهَادَتَيْنِ. فَنَظَرْتُ لِسِي عِلْمَانِ كَبِيرَانِ
 رَفِيعَانِ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ^(١)، فَسَالَتْ عَنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُمَا عِلْمَا الشَّاهِ،
 يَغْرَزُهُمَا لِيَعْلَمَ أَكْبَارُ الْجُنُودِ كَيْفِيَّةَ نَزُولِهِمْ فِي الْمُخَيَّمِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ عَنْ
 يَمِينِ الْعَلَمَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْزِلُ عَنْ شِمَالِهِمَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ.

فَسَرْنَا حَتَّى رَأَيْنَا الْخِيَامَ، وَخَيَّمْتُهُ عَلَى سَبْعَةِ أَعْمِدَةٍ كِبَارٍ دَقِيقَةٍ،
 فَجِئْنَا إِلَى مَحَلٍّ يُعْبَرُ [عنه] عِنْدَهُمْ بِالْكُشْكِ خَانَةٍ، وَهِيَ عِيَارَةٌ عَنْ خِيَامِ
 مُتَقَابِلَاتٍ فِي كُلِّ طَرَفٍ خَمْسَ عَشْرَةِ خَيْمَةٍ، عَلَى هَيْئَةِ الْقُبَّةِ الَّتِي لَهَا
 إِيوَانٌ، لَكِنْ ذَلِكَ بِلَا عَمُودٍ. وَبَيْنَ رَأْسِ الْخِيَامِ مِمَّا يَلِي خَيْمَةَ الشَّاهِ رِوَاقٌ

(١) السحوق: الطويلة.

مُتَّصِل، وفي وَسْطِهِ بابٌ عليها سَجَافٌ^(١)، ففي الخيام التي على اليمين نحو أربعة آلاف بِنَادِقِي، يَحْرُسُون لَيْلاً وَنَهَاراً، والتي على الشمال فَارِغَةٌ فيها كِرَاسِي لَا غَيْرَ. فلما دَنَوْتُ إِلَى الكُشْكُ خَانَةِ نَزَلْتُ، فَخَرَجَ لاسْتِقْبَالِي رَجُلٌ، فَرَحَّبَ بِي وَأَكْرَمَنِي، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُنِي عَنِ الْبَاشَا وَعَنِ خَوَاصِّ أَتْبَاعِهِ، وَأَنَا أَتَعَجَّبُ مِنْ كَثْرَةِ مَعْرِفَتِهِ بِأَتْبَاعِ الْبَاشَا، فلما شَعَرَ ذَلِكَ مِنِّي قَالَ: كَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُنِي؟ فَقُلْتُ: لَا أَعْرِفُكَ! فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بِكَ، خَدَمْتُ فِي بَابِ <١٨٩ب> أَحْمَدُ بَاشَا مُدَّةً، وَفِي هَذِهِ الْيَامِ أُرْسِلْتُ مِنْ طَرَفِ الدَّوْلَةِ الْإِيرَانِيَّةِ (إِلَى الدَّوْلَةِ)^(٢) الْعُثْمَانِيَّةِ ائِلْجِيَا^(٣).

فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُنِي، فَإِذَا نَحْوُ تِسْعَةِ رِجَالٍ أَقْبَلُوا، فَلَمَّا وَقَعَ نَظْرُهُ عَلَيْهِمْ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ، فَسَلَّمُوا عَلَيَّ، فَزِدْتُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَأَنَا جَالِسٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، فَشَرَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بِكَ يُعَرِّفُهُمْ وَاحِداً وَاحِداً، فَقَالَ: هَذَا مِيعْيَارُ الْمَمَالِكِ حَسَنُ خَانَ، وَهَذَا مُصْطَفَى خَانَ، وَهَذَا نَظِيرُ عَلِي خَانَ، وَهَذَا مِيرْزَا زَكِي، وَهَذَا مِيرْزَا كَافِي، فَلَمَّا سَمِعْتُ بِذِكْرِ مِيعْيَارِ الْمَمَالِكِ قُمْتُ عَلَى قَدَمَيْ وَصَافِحَتِي هُوَ وَمَنْ مَعَهُ وَرَحَّبُوا بِي. وَمِيعْيَارُ الْمَمَالِكِ هَذَا هُوَ وَزِيرُ الشَّاهِ، كُرْجِي الْأَصْلُ مِنْ مَوَالِي الشَّاهِ حَسِين.

ثُمَّ قَالُوا لِي: تَفَضَّلْ لِمُلَاقَاةِ الشَّاهِ. فَزَعَمُوا السَّجْفَ الَّذِي فِي وَسْطِ الرِّوَاقِ، فَبَانَ وَرَاءَهُ رِوَاقٌ آخَرٌ بَيْنَهُمَا فَسْحَةٌ ثَلَاثَةُ أَذْرَعٍ، فَأَوْقَفُونِي هُنَاكَ، وَقَالُوا: إِذَا وَقَفْنَا تَقَفْ، وَإِذَا مَشِينَا تَمَشَّى. فَأَخَذْنَا ذَاتَ الْيَسَارِ فَاثْنَيْهِ

(١) السجف: الستر.

(٢) وردت في الهامش.

(٣) تقدم التعريف بهذا اللفظ.

الرِّواق، وإذا بَرَّ أُنْفِجَ واسِعٌ يُحِيطُ بِهِ رِواقٌ يُرَى مِنَ البُعد، وفيه خِيَامٌ كثيرةٌ لِنِسائِهِ وَحَرَمِهِ، في صدرها خيمةُ الشَّاه، وإذا هو عَنِّي بِمِقْدَارِ غَلْوَةٍ سَهْمٍ، جالسٌ على كُرسي عالٍ، فلما وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيَّ صاحَ بِأعلى صوتٍ: مَرَحَباً بَعْدَ اللَّهِ أَفندي! أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ خانَ باشا يَقول: إِنِّي أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ عِبدَ اللَّهِ أَفندي.

ثم قال: تَقَدَّمْتُ. فتَقَدَّمْتُ نَحْوَ عَشْرِ خُطَى، وَعَنْ يَمِينِي جَمِيعُ الْخانات، وَعَنْ يَسَارِي عِبدُ الْكَرِيمِ بك. ثم قال: تَقَدَّمْتُ، وَأَنَا أَتَقَدَّمُ خُطَى صِغاراً مِثْلَ الْأَوَّلِ، وَوَقَفْنَا. وَلَمْ يَزَلْ يَقولُ لِي تَقَدَّمْ، وَأَنَا أَتَقَدَّمُ خُطَى صِغاراً حَتَّى صِرْتُ مِنْهُ <١٩٠> قَرِيباً نَحْوَ خَمْسَةِ أَذْرُعَ فَوَقَفْنَا، فَرَأَيْتُهُ رَجُلًا طَوِيلًا كَمَا يُعْلَمُ مِنْ جُلُوسَتِهِ، عَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوءَةٌ مُرَبَّعَةٌ بَيضاء كَقَلَانِسِ الْعِجَمِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ مِنَ الْمِرْعَازِيِّ (١) مُكَلَّلَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَواقِيتِ وَالْأَلْماسِ وَسائِرِ نَفائِسِ الْجَواهِرِ، وَفِي عُنُقِهِ قَلَانْدُ الذَّرِّ وَالْجَوْهَرِ، وَعَلَى عِضُدَيْهِ كَذَلِكَ الذَّرُّ وَالْأَلْماسُ وَالْيَواقِيتُ مُحِيطَةٌ عَلَى رُقْعَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِعِضُدِهِ، وَيَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْكَبَرِ وَتَقَدُّمُ السِّنِّ، حَتَّى أَنَّ أَسْنانَهُ الْمُتَقَدِّمَةَ ساقِطَةٌ، فَهُوَ تَقَرِيباً ابْنُ ثَمَانِينَ عَاماً (٢)، وَلِحْيَتُهُ سَوْداءُ مَصْبُوغَةٌ بِالْوَسْمَةِ لَكِنَّا حَسَنَةً، وَلَهُ

(١) المرعزي، صفة عني بها اللين من الصوف، وقيل: المرعزي الصوف يخلص من بين شعر العنز، أو هو الزغب الذي تحت شعر العنز.

(٢) هذا التقدير انفراد به المؤلف، لأن أكثر التواريخ الإيرانية تذكر أن نادر ولد سنة ١٠٩٩ هـ/١٦٨٧ م، ومعنى هذا أن عمره كان، حينما رآه الشيخ عبد الله الموسوي، يناهز السابعة والخمسين سنة قمرية (أو ٥٦ سنة شمسية).

حاجبان مقوسان مقروقان، وعينان تميلان إلى الصغر قليلاً إلا أنهما حسنتان. والحاصل أن صورته جميلة.

فحينما وقع نظري عليه زالت هيئته عن قلبي، وذهب عني الرعب، فخاطبني باللغة التركمانية كخطابه الأول، وقال لي: كيف حال أحمد خان؟ فقلت: بخير وعافية. فقال: أتدري لم أردتك؟ فقلت: لا. فقال: إن في مملكتي فرقتين: تركستان وأفغان يقولون للإيرانيين أنتم كفار، فالكفر قبيح ولا يليق أن يكون في مملكتي قوم يكفر بعضهم بعضاً، فالآن أنت وكيل من قبلي ترفع جميع المكفرات، وتشهد على الفرق الثلاث بما يلتزمونه، وكل ما رأيت أو سمعت تخبرني وتنقله لأحمد خان.

ثم رخص لي بالخروج، وأمر أن يكون دار ضيافتي عند اعتماد الدولة، وأن أجمع بعد الظهر مع الملا باشي علي الأكبر. فخرجت وأنا في غاية الفرح والسرور، ^{١٠٥٩} لأن حكم العجم صار بيدي. وأتيت دار الضيافة، فجلست قليلاً، فجاء الاعتماد إلى خيمته فدعاني إلى الطعام، وكان المهنّدار ^(١) نظر علي خان وفي صحبته عبد الكريم بك وأبو ذر بك كانوا هؤلاء في خدمتي. فلما أقبلت على الاعتماد سلمت عليه، فرد علي السلام وهو جالس، فأنفعلت ووجدت في نفسي حيث لم يقم علي قدميه، فقلت في نفسي: إذا استقر بي الجلوس أقول للاعتماد إن شاء أمر برفع المكفرات ووكّلتني على ذلك، فأول كفر أرفعه الكفر الصادر منك حيث قصدت تحقير العلماء وإهانتهم، ولا أرضى برفعه إلا أن يكون بقّتك! ثم

(١) لفظة فارسية بمعنى: المضيف، ومهمة صاحبها استقبال السفراء والترحيب بوفادتهم، وتيسير الأمر الذي قدموا من أجله. واستعملها العثمانيون بالمعنى نفسه.

أقوم من مَجْلِسِهِ فَأَذْهَبُ إِلَى الشَّاهِ أَخْبِرُهُ بِالْوَاقِعَةِ. هَذَا كُلُّهُ صَوْرَتُهُ فِي
نَفْسِي فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِي الْجُلُوسُ نَهَضَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَرَحَّبَ بِي، وَإِذَا
هُوَ رَجُلٌ طَوِيلٌ جَدًّا، أَبْيَضُ الْوَجْهِ، كَبِيرُ الْعَيْنَيْنِ، لِحْيَتُهُ مَصْبُوغَةٌ
بِالْوَسْمَةِ، إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ يَفْهَمُ الْمَحَاوِرَاتِ وَيَعْقِلُ الْمَذَاكِرَاتِ، فِي طَبْعِهِ
لِينٌ وَمَيْلٌ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَلَمَّا قَامَ عَلِمْتُ أَنَّ هَذِهِ عَادَتُهُمْ، يَقُومُونَ
بَعْدَ جُلُوسِ الْقَادِمِ. فَأَكَلْتُ عِنْدَهُ الْغَدَاءَ.

فَجَاءَ الْأَمْرُ بِاجْتِمَاعِنَا مَعَ الْمُلَا بَاشِي، فَرَكِبْتُ دَابَّتِي، وَالْجَمَاعَةُ
الْمَهْمَنْدَارِيَّةُ يَمْشُونَ أَمَامِي، فَعَارَضَنِي فِي الطَّرِيقِ رَجُلٌ زِيَّةُ زِي الْأَفْغَانِ،
فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ وَمَنْ تَكُونُ؟ فَقَالَ: أَنَا الْمُلَا حَمْزَةُ
الصَّحَابِيِّ مَقْتِي الْأَفْغَانِ. فَقُلْتُ: يَا حَمْزَةُ اتَّخِذْ الْعَرَبِيَّةَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقُلْتُ:
إِنَّ الشَّاهَ أَمَرَ بِرَفْعِ كُلِّ كُفْرٍ عِنْدَ <١١٩١> الْإِيرَانِيِّينَ، فَرُبَّمَا يُنَازِعُونَ فِي
شَيْءٍ مِنَ الْمُكْفَرَاتِ، أَوْ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ بَعْضَ الْمُكْفَرَاتِ، وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ
أَحْوَالَهُمْ وَلَا عِبَادَتَهُمْ، فَكَلَّمَا اطَّلَعْتُ عَلَى مُكْفَرٍ فَاذْكُرْهُ حَتَّى أُرْفَعَهُ. فَقَالَ:
يَا سَيِّدِي! إِنَّكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِقَوْلِ الشَّاهِ، وَإِنَّمَا أُرْسَلْتُ إِلَى الْمُلَا بَاشِي لِيُبَلِّغُكَ
فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ وَفِي خِلَالِ الْمُحَادَثَةِ فَاحْتَرِزْ مِنْهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخْشَى عَدَمَ
إِنْصَافِهِمْ. فَقَالَ: كُنْ أَمِينًا مِنْ هَذَا، فَإِنَّ الشَّاهَ جَعَلَ عَلَيَّ هَذَا الْمَجْلِسَ
نَاضِرًا، وَعَلَى النَّاضِرِ نَاضِرٌ آخَرُ، ثُمَّ عَلَى الْآخِرِ آخَرُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ لَمْ يَذَرِ
بِحَالِ صَاحِبِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْقَلَ لِلشَّاهِ خِلَافُ الْوَاقِعِ.

فَلَمَّا قَرَّبْتُ مِنْ خِيْمَةِ الْمُلَا بَاشِي خَرَجَ لِمُسْتَقْبَالِي رَاجِلًا، فَإِذَا هُوَ
رَجُلٌ قَصِيرٌ أَسْمَرٌ، لَهُ أَصْدَاغٌ إِلَى نِصْفِ رَأْسِهِ، فَنَزَلْتُ مِنْ دَابَّتِي، فَرَحَّبَ
بِي، وَأَجْلَسَنِي فَوْقَهُ عَلَى الْمَنْصَةِ، وَجَلَسَ كَهَيْئَةِ التَّلْمِيزِ، فَدَارَ الْكَلَامَ

بيننا^(١).. ثم أن الشاه أخبر بهذه المباحثة طيقاً ما وقّعت، فأمر أن يجتمع علماء إيران وعلماء الأفغان وعلماء ما وراء النهر، ويرفعوا جميع المكفّرات كلها، وأكون ناظراً عليهم، وكيلاً من الشاه، وشاهداً على الفرق الثلاث بما يتفقون عليه.

فخرَجنا نَشَقُ الخيام حتى خيام الشاه، والأفغان والأزبَك والعجم يشيرون إليّ بالأصابع، وكان يوماً مشهوداً. فاجتمع في المسقف الذي وراء ضريح الإمام علي - رضي الله عنه - علماء إيران، وهم نحو سبعين عالماً ما فيهم سنّي إلا مفتي أردلان، فطلبت دواة وقرطاساً <١١٩٥> وكتبت المشهورين منهم، وهم:

المُلا باشي علي الأكبر

مفتي الرّكاب آقا حسين

الملا محمد إمام لاهيجان

آقا شريف مفتي مشهد الرضا

ميرزا برهان القاضي بشيروان

(١) أقحم المؤلف هنا رسالة قائمة برأسها كان قد وضعها أبوه عبد الله السويدي، فهي وصف ما دار من محاورات عقائدية فقهية دارت بينه وبين علماء الإيرانيين في المؤتمر المذكور، وقد نقلها، إي عبد الله، إلى كتاب رحلته (النفحة المسكية في الرحلة المكية)، ونشرت مستقلة بعنوان (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية) وطُبعت مراراً وترجمت إلى اللغة التركية، فلم نر وجه فائدة تاريخية من ادراج هذه المحاور، فهي مقحمة أصلاً على سياق الحوادث التي يرويها الكتاب، ومع ذلك أبقينا على الجانب التاريخي منها، ويمكن لطالبيها أن يرجع إليها في الأصل، الورقة ١٩١أ-١٩٤.

الشيخ حسين المفتي بأورمئة

ميرزا أبو الفضل المفتي بقم

الحاج صادق المفتي بجام

السيد محمد مهدي إمام أصفهان

الحاج محمد زكي المفتي بكرمان شاه

الشيخ محمد التمامي المفتي بشيراز

ميرزا أسد الله المفتي بتبريز

الملا طالب المفتي بمارندران

محمد مهدي نائب الصدارة بمشهد الرضا



الملا محمد صادق المفتي بخلخال

محمد مؤمن المفتي بأستراياد

السيد محمد تقى المفتي بقزوین

الملا محمد حسين المفتي بمتبروار

السيد بهاء الدين المفتي بكرمان

والسيد أحمد أفندي المفتي بأردلان الشافعي

وغيرهم من العلماء

ثم جملة من علماء الأفغان فكتبت أسماءهم، وهم:

الشيخ الفاضل الملا حمزة الغلجائي الحنفي مفتي الأفغان

الملا أمين الأفغاني الغلجائي بن ملا سليمان قاضي الأفغان الحنفي

الملا عبد الرزاق الأفغاني الغلجائي الحنفي

الملا إدريس الأفغاني الأبدالي الحنفي <٩٥٠ ب>

ثم بعد زمان، جاء علماء ما وراء النهر، وهم سبعة، يقدمهم شيخ جليل عليه المهابة والوقار، عليه عمة كبيرة مدورة، فخيّل للناظر أنه أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة - رحمهما الله تعالى. فسلم وأجلسوه جهة يميني، إلا أن بينه وبينه خمسة عشر رجلاً. وأجلسوا الأفغان جهة شمالي، بينهم وبينني نحو خمسة عشر رجلاً، وذلك من مكر العجم ودهائهم، خافوا أن ألقنهم بعض الكلمات أو أشير إليهم، فكتبت أسماءهم وهم:

العلامة هادي خواجه الملقب ببحر العلم ابن علاء الدين البخاري

القاضي بخاري الحنفي

مير عبد الله صدور البخاري الحنفي

قلندر خواجه البخاري الحنفي

ملا أميد صدور البخاري الحنفي

بادشاه مير خواجه البخاري الحنفي

ميرزا خواجه البخاري الحنفي

الملا إبراهيم البخاري الحنفي

...

ولما جاء الاعتماد من الشاه، وكان قد مضى من الليل أربع ساعات كما هي العادة، قال لي: إن الشاه شكر فعلك، ودعا لك، وهو يسلم عليك، [و] أرجو منك أن تحضر معهم غداً في المكان الأول، لأنني أمرتهم أن يكتبوا جميع ما قرأوه والتزموه في رقعة، ويضع كل منهم خاتمه تحت اسمه، وأرجو منك أن تكتب شهادتك فوق الرقعة في صدرها بأنك شهدت

على الفرق الثلاث بما التزموه وقرروه، وتضع خاتمك تحت اسمك.
فقلت: حباً وكرامة.

فقبل ظهر يوم الخميس، الخامس والعشرين من الشهر المذكور،
جاء الأمر بأن نحضر كلنا في المكان الأول، فاجتمعنا كلنا في مكاننا
الأول، والعجم متصلة من خارج القرية إلى باب الضريح على القدم، أقدم
كثيرة بازدهام عظيم يبلغ عددهم نحو الستين ألفاً.

فلما جلسنا أتوا بجريدة طولها أكثر من سبعة أشبار، سطورها إلى
ثلثيها طوال، والثلث الثالث مقسم أربعة أقسام، بين كل قسم بياض نحو
أربع أصابع أو أكثر، لكن السطور أقصر من السطور الأول بكثير. فأمر
الملا باشي مفتي الركاب آقا حسين أن يقرأها قائماً على رؤوس الأشهاد،
وكان رجلاً طويلاً بائناً، فأخذ الجريدة وهي مكتوبة باللغة الفارسية، فكان
مضمونها: إن الله تعالى اقتضت حكمته إرسال الرسل، فلم يزل يرسل
رسولاً بعد رسول حتى جاء نوبة نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه
وسلم. ولما توفي، وكان خاتم الأنبياء والمرسلين، اتفق الأصحاب - رضي
الله عنهم - على أفضلهم وخيرهم وأعلمهم أبي بكر الصديق بن أبي
قحافة - رضي الله عنه - فاجمعوا واتفقوا على بيعته، فبايعوه كلهم حتى
الإمام علي بن أبي طالب بطويعه واختياره من غير جبر ولا إكراه، فتمت
له البيعة والخلافة وإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - حجة قطعية. وقد
مدحهم الله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(١) الآية

(١) الواقعة، الآية ١٠.

وقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١) الآية، وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي كلهم حضروا بيعة الصديق. وقال صلى الله عليه وسلم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. ثم عهد أبو بكر الصديق بالخلافة لعمر بن الخطاب، فبايعه الصحابة كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب، فكانت يبعته بالنصب والإجماع، ثم أن عمر جعل الخلافة شورى بين ستة أحدهم علي بن أبي طالب، فاتفق رأيهم على عثمان بن عفان. ثم أنه استشهد في الدار ولم يعهد، فبقيت الخلافة شاغرة، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن أبي طالب. وقد كان هؤلاء الأربعة في مكان واحد، في عصر واحد، فلم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ولا نزاع، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه، حتى أن علياً سئل عن الشيخين، فقال: هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه. وإن أبا بكر لما ولي^(١٩٨) الخلافة قال: أتبايعوني وفيكم علي بن أبي طالب. فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب، فمن سبهم أو انتقصهم فإنه وولده وعياله ودمه حلال للشاه، وعليه لعنة الله وملائكته وكتبه ورسله والملائكة أجمعين. وقد كنت شرطت عليكم حين بايعتموني في صحراء مغان، عام ثمانية وأربعين ومائة وألف، فشرطت عليكم رفع السب، فالآن رفعت، فمن سب قتلته وأسرت أولاده وعياله وأخذت أمواله، ولم يكن في نواحي إيران ولا في أطرافها سب، ولا شيء من هذه الأمور الفظيعة، وإنما حدثت أيام الخبيث

(١) الفتح، الآية ١٨.

الشاه إسماعيل الصفوي، ولم تزل أولاده بعده ينفقوا أثره، حتى كثر السب، وانتشرت البدع، واتسع الخرق، وذلك عام ثمانمائة وسبعة وخمسين^(١)، فيكون لظهور هذه القبائح ثلاثمائة سنة. ثم أنه تكلم كثيراً في هذه الجريمة لا دخل لذكره هنا. إلى هنا انتهت السطور الأولى.

أقول: قد اعترضت على بعض ألفاظ هذه الرقعة، منها إنني قلت للملا باشي: لفظة النصب المذكورة في خلافة سيدنا عمر، صنع بدلتها لفظة العهد، لأن في لفظة النصب شائبة أنهم ناصية، وأنتم تفسرون الناصية بمن نصب نفسه لبغض علي، فعارضني بعض الحاضرين، وهو السيد نصر الله^(٢)، وقال: هذا خلاف ظاهر اللفظ، والمعنى الذي ذكرته لم يخطر



(١) الموافقة لسنة ١٤٥٣ م.

(٢) هو السيد نصر الله بن الحسين بن علي بن يونس بن جميل بن علم الدين بسن طعمة الفانزي الحائري، أديب فقيه، عاش في كربلاء، وإليها نسب، وأخذ العلم عن علمائها، ثم تولى التدريس في مدارسها، وكان ولوعاً باقتناء الكتب، ترجم له عصام الدين العمري وأثنى على أدبه (الروض النضر ج ٢ ص ١٣٠) ونوه الخوانساري بحادثة قتله، فقال ولما دخل النادر (يريد: نادرشاه) المشاهد المشرفة في النوبة الثانية (سنة ١١٥٦ هـ/ ١٧٤٣ م) وتقرب إليه السيد (يريد نصر الله) أرسله بهدايا وتحف جلييلة إلى الكعبة المعظمة، فأتى البصرة ومشى إليها من طريق نجد ووصل إليها، فأتى عليه الأمر بالشخص سفيراً إلى سلطان الروم (يريد السلطان العثماني) لمصالح تتعلق بأمور الممالك والملة، فلما وصل إلى قسطنطينية وشي به إلى السلطان ونكر أنه قتل هناك، ولم يحدد تاريخ قتله، ولكنه ذكر أنها تقع فيما بين ١١٥٠ و ١١٦٠ (روضات الجنات، طبع حجر إيران، ص ٧٣٤) وفي مصادر ترجمته الأخرى أنها حدثت سنة ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ م (سلمان هادي طعمة: شعراء من كربلاء، النجف ١٩٦٦، ج ١ ص ٣٢)، وله ديوان مطبوع، نشره عباس الكرماني (النجف ١٩٥٤) ورسالة في تحريم التتن، وسلام الذهب، وغير ذلك.

ببال أحد، ولا أحد يقصده وأخشى عليك أن تثور الفتنة بسببك، ووافقته
 الملا باشي <١٩٨ب> على ذلك فسكت. ومنها إني قلت للملا باشي: إن
 قول علي في مدح الشيخين: هما إمامان، إلى آخره، أنتم تحملونه على
 معانٍ لا تليق بحق الشيخين، فعارضني في ذلك الرجل الأول مثل ما مر.
 ومنها إني قلت له: إن قول أبي بكر في حق علي حين المبايعة لم يثبت
 عندنا، بل هو موضوع، فأنا أذكر لكم قول علي في مدح الشيخين غير ما
 ذكرتموه مما هو صريح في تعظيمهما، وأذكر لكم مدح أبي بكر بعلي
 غير ما ذكرتموه مما هو ثابت، فعارضني الرجل بمثل ما تقدم، ووافقته
 الملا باشي على ذلك.

هذا والسطور القصار التي تلي كلام الشاه مضمونها عن لسان
 الإيرانيين وهو: إنا قد التزمنا رفع السب، وإن الصحابة فضلهم وخلافتهم
 على هذا الترتيب الذي هو في هذه الرقعة، فمن سب منا أو قال خلاف
 ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وعلينا غضب نادرشاه،
 ومالنا ودمائنا وأولادنا حلال.

ثم أنهم وضعوا خواتيمهم في البياض الذي تحت كلامهم.
 والسطور القصار التي تلي هذه عن لسان أهل النجف وكربلاء
 والحسكة والجوازير، ومضمونها عين الأول، ثم وضعوا خواتيمهم تحت
 ذلك في البياض المذكور، ومنهم السيد نصر الله المعروف بابن قطة، وهو

الذي أكثر في المعارضة في نصر مذهب الشيعة، والشيخ جواد النجفي الكوفي^(١) وغيرهم.

وفي السطور القصار التي تلي ذلك عن لسان الأفغانيين، ومضمونها إن الإيرانيين إذا التزموا ما قرروه، ولم يصدر عنهم خلاف ذلك فهم من الفرق الإسلامية لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. ثم <١١٩٩> وضعوا خواتيمهم في البياض الذي تحت.

وفي السطور التي تلي ذلك عن لسان علماء ما وراء النهر، ومضمونها عين ما قاله الأفغانيون، ووضعوا خواتيمهم تحت أسمائهم. ثم أن هذا الفقير كتبَ شهادته فوق في صدر القيمة^(٢) بأني شهدتُ على الفرق الثلاث بما قرروه والتزموه، وأشهدوني عليهم، ووضعَت خاتمي تحت اسمي فوق.

وكان هذا الوقت وقتاً مشهوداً من عجائب الدنيا، وصار لأهل السنة فرح وسرور لم يقع مثله في هذه العصور، لا تشبهه أعراس ولا أعياد

(١) هو الحاج محمد جواد بن عبد الرضا آل عواد البغدادي الحائري، شاعر، له ديوان فيه قصائد منها في مدح الوزير حسن باشا لما أجراه من إصلاحات عديدة في حضرة الإمام علي (ع)، ومنها وضع الشباك الفضلي على مرقده سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م، ومنها قصيدة في مدحه عند تعميره معنأة جسر بغداد سنة ١١٣٨هـ/١٧٣٥م، وله مراسلات مع السيد نصر الله الحائري المذكور، وكان حياً سنة ١١٦٣هـ/١٧٤٩م. ينظر: سلمان هادي آل طعمة: شعراء من كربلاء، النجف ١٩٦٦، ج ١، ص ٢٤-٣١.

(٢) كذا في الأصل، ولعله يريد القائمة التي أودع فيها أسماء العلماء المذكورين.

والحمد لله على ذلك. ثم أن الشاه بعثَ حَلَوِيَّاتٍ في الصُّوَانِي والخَنَاجَاتِ^(١)،
ومع ذلك مَبْخَرَةٌ من الذهب الخالص مَرْصُوعَةٌ بجميع نفائس الجواهر مما
لا يَتَقَوَّمُ، وفيها من العَنَبَرِ ما هو قَدَرُ الفِهْرِ^(٢)، فَتَبَخَّرْنَا وَأَكَلْنَا. ثم أن الشاه
وَقَفَ تلك المَبْخَرَةَ على حضرة سيدنا علي، فخرَجْنَا وإذا الناس من العجم
والعرب والتركستان والأفغان ما لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى. وكان
خروجنا بعد الظهر، يوم الخميس، بساعة.

ثم أَتَيْتُ بي إلى الشاه مرةً أخرى، فَدَخَلْتُ عليه على تلك الحالة
الأولى، ولم يَزَلْ يأمرني بالتَقَدُّمِ حَتَّى قَرَبْتُ منه أكثر من الموقِفِ الأول،
فقال لي: جَزَاكَ الله خيراً، وَجَزَى أحمد خان خيراً، فوالله إنه ما قصر في
إصلاح ذات البين، وإطفاء الفِتْنَةِ وَحَقَّنَ دماء المسلمين، لكننا لا نُصَدِّقُهُ
وآل عثمان لا يُصَدِّقُونَهُ، فهو مَتَّهَمٌ بين الفريقين، جَعَلَ الله عزَّه ورفَعْتَهُ
أكثر من ذلك. ثم قال لي: يا عبد الله أفندي! لا تَظُنْ أن الشاهنشاه يفتخر
بمثل ذلك، وإنما هذا أمرٌ يَسْرُهُ الله ووفقني له، حيثُ كان رَفَعُ سَبِّ
الصَّحَابَةِ على يدي مع أن آل عثمان، منذ سُلْطَانِ سليم^(٣) إلى يومنا هذا كم
جَهَّزُوا عساكر وجُنُوداً، وصَرَفُوا أموالاً، وتَلَفُوا أنفُساً، ليرفعوا السَّبَّ فما
تَهَيَّأَ لهم، وأنا بحمد الله وعونه رفَعْتُهُ بسهولة، وهذه القَبَائِحُ نَشَأَتْ من

(١) الخَنَاجَاتُ جمع خَنَجَةٍ، بجيم فارسية مثناة، قال الشيخ الأثري: هي صينية من
خشب.

(٢) الفِهْر: الحجر.

(٣) يريد السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م).

الخبِيثُ الشَّاهُ إِسْمَاعِيلُ^(١)، أَغْوَاهُ أَهْلُ لَا هِجَانَ^(٢)، وَلَمْ تَزَلْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، تَرُدُّ الْعَجْمَ كُلَّهُمْ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنْ كَوْنِهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، لَكِنْ عَلَى التَّدْرِيجِ أَوَّلًا. ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَفْنَدِي! أَنَا لَوْ أَفْتَخِرُ لَأَفْتَخَرْتُ بِأَنِّي فِي مَجْلِسِي هَذَا عِيَارَةٌ عَنْ سُلَاطِينَ أَرْبَعَةٍ، فَأَنَا سُلْطَانُ إِيرَانَ، وَسُلْطَانُ تُرْكِسْتَانَ، وَسُلْطَانُ الْهِنْدِ، وَسُلْطَانُ الْأَفْغَانِ، لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَنَا لِي مِثْلَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ إِنِّي رَفَعْتُ السُّبَّ عَنْ الصَّحَابَةِ، وَأَرْجُو أَنْ يَشْفَعُوا لِي. ثُمَّ قَالَ: كُنْتُ أُرْسِلُكَ لِعِلْمِي أَنَّ أَحْمَدَ خَانَ بَانْتِظَارِكْ، لَكِنْ أَرْجُو أَنْ تَبْقَى عِنْدَنَا فَإِنِّي أَمَرْتُ أَنْ نُصَلِّيَ الْجُمُعَةَ فِي جَامِعِ الْكُوفَةِ، وَأَمَرْتُ بِأَنْ تُذَكَّرَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَيُدْعَى لِأَخِي الْكَبِيرِ حَضْرَةَ الْخُنْكَارِ^(٣) سُلْطَانَ آلِ عُثْمَانَ قَبْلِي، وَيُذَكَّرُ بِجَمِيعِ الْأَلْقَابِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ يُدْعَى لِلْأَخِ الْأَصْغَرِ - يَعْنِي نَفْسَهُ - لَكِنْ يُدْعَى لِي أَقْلَ مِنْ دُعَاءِ الْخُنْكَارِ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْأَخِ الْأَصْغَرِ أَنْ يُوقِّرَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ. ثُمَّ قَالَ: وَفِي الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ هُوَ أَكْبَرُ وَأَجَلُ مِنِّي لِأَنَّهُ سُلْطَانُ بَنِ سُلْطَانَ، وَأَنَا جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَبَ لِي سُلْطَانٌ وَلَا جَدٌ.

(١) الشَّاهُ إِسْمَاعِيلُ الصَّفْوِيُّ، مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الصَّفْوِيَّةِ (٩٠٧-٩٣٠هـ/١٥٠٢-١٥٢٤م)

(٢) ١٥٢٤م

(٣) مَدِينَةُ مِنْ أَكْبَرِ مَدَنِ كِيلَانَ فِي شِمَالِي إِيرَانَ، تَقَعُ فِي شَرْقِ مَصَبِ سَفِيدِ رُودِ، جَنُوبَ بَحْرِ قَزْوِينَ.

(٣) تَقْدِمُ التَّعْرِيفَ بِهَذَا اللَّفْظِ.

ثم أذن لي بالخروج، فخرجت من عنده، فصار ذكرُ الصحابة ومناقبتهم ومفاخرهم في كل خيمة، وعلى لسان الأعاجم كلهم بحيث يذكرون لأبي بكر وعمر وعثمان <٢٠٠>- رضي الله عنهم- مناقب وفضائل يستبطنونها من الآيات والأحاديث ما يعجز عنه فحول أهل السنة، ومع ذلك يستفهمون رأي العجم والشاه إسماعيل في سبهم.

وصبيحة الجمعة ارتحل إلى الكوفة وهي عن النجف مقدار فرسخ وشيء، فلما قرب الظهر أمر مؤذنيه فأعلنوا بأذان الجمعة، وجاءني الأمر بحضورها، فقلت لاعتماد الدولة: إن صلاة الجمعة لا تصيح عندنا في جامع الكوفة، أما عند أبي حنيفة فليعدم المصنر، وأما عند الشافعي فليقدم الأربعين من أهل البلد^(١). فقال: المراد حضورك هناك حتى تسمع الخطبة، فإن شئت صليت وإن شئت لا. فذهبت إلى الجامع فرأيت غاصاً في الناس، فيه نحو الخمسة آلاف رجل، وجميع علماء إيران والخانات حاضرون. وكان على المنبر إمام الشاه علي مدد، فصارت مشورة بين الملا باشي وبين بعض علماء كربلاء، وهو السيد نصر الله الذي أكثر من المعارضة، فأمر الملا باشي بإنزال علي مدد، وصعد الكربلائي على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وعلى الخليفة من بعده علي التحقيق سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وعلى الخليفة الثاني، الناطق بالصدق والصواب، سيدنا عمر بن

(١) خربت الكوفة منذ القرن الثامن للهجرة، ولم يعد منها إلا مسجدُها الجامع قائماً وحده وسط البرية، ولم تنشأ حولها المساكن والأسواق إلا في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد).

الخطاب- رضي الله عنه- لِكِنَّهُ كَسَرَ الرَّاءَ مِنْ عَمْرٍ، مَعَ أَنَّ الْخَطِيبَ إِمَامٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، قَصَدَ دَسِيسَةً لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا إِلَّا الْفُحُولُ، وَهِيَ أَنْ مَنَعَ صَرْفَ عَمْرٍ لِلْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَصَرَفَهُ هَذَا الْخَطِيبُ قَصْداً إِلَى أَنَّهُ لَا عَدْلَ فِيهِ وَلَا مَعْرِفَةَ.. ثُمَّ قَالَ: وَعَلَى الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ، جَامِعِ الْقُرْآنَ، سَيِّدِنَا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ <٢٠٠ب>- رضي الله عنه- وَعَلَى الْخَلِيفَةِ الرَّابِعِ، لَيْثُ بْنُ غَالِبٍ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلَى وَلَدَيْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَعَلَى بَاقِي الصَّحَابَةِ وَالْقُرَّابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ إِدِمْ دَوْلَةَ ظَلَّ اللَّهُ فِي الْعَالَمِ، سُلْطَانَ سُلَاطِينَ بَنِي آدَمَ، رَفَعْتَ وَمَرَّيْخَ جَلَدْتَ، ثَانِي أَسْكَندَرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، سُلْطَانَ الْبَرِّينِ، وَخَاقَانَ الْبَحْرَيْنِ، خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ خَانَ بْنِ السُّلْطَانِ مُصْطَفَى خَانَ، أَيَّدَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ وَخَلَّدَ سُلْطَنَتَهُ، وَنَصَرَ جُيُوشَ الْمُؤَحِّدِينَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِحُرْمَةِ الْفَاتِحَةِ. ثُمَّ دَعَا لِنَادِرِشَاهِ دَعَاءً أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ، بَعْضُهُ بِاللُّغَةِ الْفَارْسِيَّةِ، وَبَعْضُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَمُضْمُونُ الْفَارْسِيِّ: اللَّهُمَّ إِدِمْ دَوْلَةَ مَنْ أَضَاءَتْ بِهِ الشَّجَرَةُ التُّرْكُمَانِيَّةُ، قَاآنَ الرِّيَّاسَةِ، وَجَنَكِيزَ السِّيَاسَةِ، هَذَا مَعْنَى الْفَارْسِيَّةِ، وَأَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ: مَلَأْذِ السُّلَاطِينَ، وَمَلْجَأَ الْخَوَاقِينِ، ظَلَّ اللَّهُ فِي الْعَالَمِينَ، صَاحِبِ قُرْآنِ نَادِرِ دُورَانَ. ثُمَّ نَزَلَ وَأَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ الْخَطِيبُ وَهُوَ مُسَبِّلٌ يَدَيْهِ، وَجَمِيعٌ مِنْ وَرَاءِهِ مِنْ خَوَانِينَ وَعُلَمَاءٍ وَاضِيعُونَ أَيْمَانَهُمْ عَلَى شِمَائِلِهِمْ. فَقَرَأَ الْخَطِيبُ الْفَاتِحَةَ وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ، فَقَبَّلَ الرُّكُوعَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَنَّتْ جَهْرًا، ثُمَّ رَكَعَ وَجَهَرَ بِتَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ قَائِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ، بَلَا قَدْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَرَبُّنَا لَكَ الْحَمْدُ. فَقَنَّتْ فِي اعْتِدَالِهِ ثَانِيًا جَهْرًا، ثُمَّ سَجَدَ فَقَرَأَ تَسْبِيحَاتِ السُّجُودِ وَمَعَهَا شَيْءٌ آخَرَ جَهْرًا بِأَعْلَى

صوته في كُلِّ ما يَجْهَرُ به. ثم رَفَعَ رأسه وَجَهَرَ بين السُّجْدَتَيْنِ، ثم سَجَدَ ثانياً وَجَهَرَ بتسييحات السُّجود مع ما ضَمَّ إليها من الأدعية. ثم قَامَ إلى الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَقَرَأَ الفاتحة وسورة المُنَافِقِينَ، وفَعَلَ كَفْعِلِهِ الأول، وَجَلَسَ <١٢، ١> لِلتَّشَهُدِ فَقَرَأَ شَيْئاً كَثِيراً ما فيه من تَشَهُدٍ إِلَّا السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وهذا أيضاً جَهَرَ به، ثم سَلَّمَ على اليمين فَقَطَّ وَاضِعاً يَدَيْهِ على رَأْسِهِ.

ثم جاءت من طَرَفِ الشَّاهِ حُلُوتَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَحَصَلَتْ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهِ غَلْبَةٌ وَازْدِحَامٌ بِحَيْثُ وَقَعَتْ عِمَامَةُ الْمَلَأِ بِأَشْيٍ مِنْ رَأْسِهِ، وَجُرِحَتْ سَبَابَتُهُ، فَسَأَلْتُ لِمَ هَذَا الازدحام والمُغَالَبَةُ؟ فَقِيلَ لِي: إِنَّ الشَّاهَ إِذَا سَمِعَ بِأَنْ زِحَامَهُمْ وَمُغَالَبَتَهُمْ يَحْصُلُ لَهُ انبِساطٌ وَسُرُورٌ، فَلِهَذَا تَرَى الْخَوَانِيزَ وَالْعُلَمَاءَ يَتَزَاحَمُونَ وَيَتَغَالَبُونَ. ثُمَّ خَرَجْنَا، فَقَالَ الْإِعْتِمَادُ: كَيْفَ رَأَيْتَ الْخُطْبَةَ وَالصَّلَاةَ؟ فَقُلْتُ: أَمَّا الْخُطْبَةُ فَلَا كَلَامَ فِيهَا، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى غَيْرِ مَا شَرِطَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنَّهُمْ لَا يَتَعَاطُونَ أَمراً خَارِجاً عَنِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، فَيَنْبَغِي لِلشَّاهِ أَنْ يُؤَدِّبَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَخْبِرَ الشَّاهَ وَغَضِبَ وَأَرْسَلَ مَعَ الْإِعْتِمَادِ يَقُولُ لِي: أَخْبِرْ أَحْمَدَ خَانَ إِنْسِي أَرْفَعُ جَمِيعَ الْخِلَافِيَّاتِ حَتَّى السُّجُودَ عَلَى التُّرْبَةِ..

ثم أَنَّنِي لِي بِالْعُودِ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَرْسَلَ مَعِيَ صُورَةَ الْجَرِيدَةِ وَصُورَةَ الْخُطْبَةِ، فَلَأَجَلَ هَذَا الَّذِي حَدَّثَ عَزَمْتُ عَلَى الْحَجِّ، اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي الْمَقْصُودَ فَأَقُولُ:

كَانَ اسْتِئْذَانُنَا لِأَجْلِ الْحَجِّ مِنَ الْوَزِيرِ الْمُحْتَرَمِ، وَالْدُسْتُورِ الْمُكْرَمِ،
حَضْرَةِ أَحْمَدَ بَاشَا - أَدَامَ اللَّهُ نَصْرَهُ - يَوْمَ السَّبْتِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ

الأول عام سبعة^(١) وخمسين ومائة وألف من الهجرة. وإنما احتجّت إلى الاستئذان لأن العادة في بغداد إذا كان لأحد جهة تدريس أو خطابة أو إمامة لا بدّ له من أن يستأن من والي بغداد.

وقدّمت في صدر الاستئذان <١٢٠٢> قصيدة دالية وهي [من

البسيط]:

كَمْ لِلهَوَى من رِياقٍ فوقَ أجِدادٍ	شَوْقاً إلى ساكني أكنافِ أجِدادٍ
وَاللَّجْفُونِ إِنْهَمَالٌ لَا يُشَابِهُهُ ^(٢)	من السَّواري هُتُونٌ رَائِحٌ غادي
صَبَّ بَيْتٌ عَلَى فُرْشِ الضُّئَى وَلَهُ	قَلْبٌ ثَوَى بَيْنَ أَعْوَادٍ وَعُودٍ
يَهيمُ وَجْداً إِذَا سارَ الْحَجِيجُ ضَحَى	وَتَسْتَحْثُّ قِوَاهُ نَغْمَةُ الْحادي
تَرْبِذُهُ شَجْناً وَرَقَاءً إِنْ صَنَحَتْ ^(٣)	وَذَكَرَ تَغَنَّمَاتِ الشَّابِنِ الشَّادي ^(٤)
إِذَا تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تُهَيِّجُ جَوَى	مَهَابِطِ الْوَحْيِ شَبَّتْ نَارُ إِنْكَادي
من لي بَكْوَمَاءِ مِرْسَالٍ تُبَلِّغُنِي	أَرْضَ الْحِجَازِ لَتُطْفِئَ نَارَ أَكْبَادِي
مُوافياً مَكَّةَ الْغُرَاءِ ذَا جَنْدَلٍ	بُشْرَايَ إِذَا ذَاكَ فِي عُرْسٍ وَأَعْيَادِ
مَتَى أَرَانِي لِلْأَكْوَارِ مُنْتَظِياً	أَفْرِي فَيَا فَيَا أَغْوَارٍ وَأَنْجَادِ
وَكَلِمَا نَهَضَتْ آمَالٌ مُكْتَتِبٌ	فَالْعَجَزُ يَقْعُدُهَا قَهراً بِأَقْيَادِ
وَكَيْفَ يَبْزُدُ قَلْبٌ بَاتَ مُضْطَرِماً	وَجَذْوَةٌ فِي حَشَاهُ ذَاتَ إِيقَادِ
وَكَيْفَ يَهْدَأُ طَرْفٌ ظَلَّ مُنْسَجِماً	وَالْقَلْبُ ظِلْمَانٌ وَجَدَ شَيْقَ صَادِي
يَسْتُ لَوْلَا رَجَائِي بِالَّذِي سَطَعَتْ	بِهِ وَسَائِرُ أَبَاءِ وَأَجْدَادِ

(١) في الأصل سبع.

(٢) في الديوان (يشابههما).

(٣) في النسخة للمسكية (وجداً).

(٤) في الديوان (تذكرت).

هو الوزير الذي عمت مواهبه
هو الغيث إذا ما أزمّة فذحت
كهف العفاة ملاذ المستجير به
مجنّدل الشؤس والهتجاء في سحر
يدبر الأمر والأخطار مفضلة^(١)
بحر ولكنما غيب مذاقته
داني الخواضر والقاصي من البادي
وهو المرام لقصد ووراد
غوث الصريح به غيث لمرّاد
مردى الكماة ببتار ومداد
جداً فيليبسها أثواب إرصاد
يولي الوري غرّفه من قبل ميعاد

<٢٠٣ب>

ذلت لسطوته صنم العفاة وقد
له التدابير أغنت عن مضاعفة
لا سيما ثالث الوقعات حين أتى
في محفل كالحصى والرمل عدته
توهم الشاه أن الجند كثرت بها
ظن القناير والأطواب تفرّعه
فمال للسلم إذعائاً وذا نادر^(٢)
واختار من بعد رفض رفض مذهبهم
وشدد النهي عن سب الصحابة بل
ورتب الخلفاء الراشدين على
كان الجميع ألباً غير منقاد
من العساكر قد مدت بأجناد^(٣)
ديارنا الشاه ينبغي ضبط بغداد^(٤)
تكل عن جمعه أرقام أعداد
تروع أحمد أو تقضي بأنكاد
أو من صواعقها يخشى وإرصاد
لما رآه ثبوتاً طود أطواد
فصار في الحال سنياً بأشهاد
قد شاب هذا بتهديد وإبعاد
عقائد السنة الأولى بإرصاد

(١) في الديوان (مدبر).

(٢) في الديوان (بأجساد).

(٣) يريد بثلاثة الوقعات حصار نادر شاه لبغداد سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م، والوقعتان

السابقتان هما حصاره لها سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م وسنة ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م.

(٤) في الديوان (بلا جدل).

فكم خلاف^(١) وكم كفر وكم بدع
وحتم الأمر أن يدعو خطيئهم
وقد علمنا يقيناً إنما فعل
والله والله أيماناً مغلظة
لكان أطفالنا أسرى الأعاجم بل
فإن الله يكلؤه والسعد يخدمه
فيا أبا عدلة لا زلت ذا ظفر
أزال وهو على كل بمرصاد
على المنابر للخنكار في النادي
الذي ذكرنا حذار الضنغم العادي
لولا أبو عدلة والمقخر البادي
كنار هائن أجداث وأحساد
والنصر يقدمه فوزاً بإسعاد
إننا ومنأ بإحسان وإرفاد

والاستئذان الذي كانت هذه القصيدة في صدره هو هذا:

اللهم يا ذا المن الذي لا ينقد إمكانه، والإحسان الذي لا يحد إحسانه،
إنا نتوسل إليك بجلال ذاتك، وكمال صفاتك، أن تديم على الأنام، ولا سيما
مكان مدينة <١٢٠٤> السلام، ظل الوزير الذي ألبسته الهيبة والجلالة،
ومنطقته السوود والعدالة، وقصمت بسطوته ظهور القساء المتمركبين،
وأحييت برأفته العفاة المقلين، ونشرت بأوامره أعلام العدل والأمان،
وطويت بزواجه كل بغى وعدوان، آمين. فالمعروض على السدة التي
سمت على السماكين قدراً، ونمت على النيرين رفعة وفخراً، لا زالت
لجباة الأمراء الأفاجم مساجد، ولا برحت مقبلة بشيفاء الأعاضم الأماجد.
بقيت بقاء الدهر بأكف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

(١) في الديوان (خلق).

هو أنه من الأمور المقررة، والأحكام المحررة، مما هو معلوم لديكم، وغير خفي عليكم، أن النطف أجابت من كل فج سيدنا إبراهيم حين أذن بالحج، فصممت نفس هذا الداعي على أن تتبع القول بالعمل، وتجمع بين جوابي الأرواح والأشباح، ليُطابق الحال في الأزل، فنزعت نزوع الطفل بعد فطامه إلى الرضاع، إلى أن تُغفر مُحيّاها مهابط الوحي من تيك البقاع، لترمي من أشواقها جمرات، وترضع من ثدي زمزم رضعات، وتقف على عرفات الغفران، وتسعى بحط الأوزار باستلام الأركان، وتطوف حول حِمى الملك الغفار، قائلة: هذا مقام العائذ بك من النار. ولمّا تيقنت أن العمر قد ذهب أطيئه، وغبر أعذبه، وأن الجسم قد وهى ورق، والعظم قد وهن ودق، والبدن كس^(١) بالية، <٢٠٤ب> وعما يصلحها عارية خالية، وتذكرت حديثاً سمعته من الثقات الجهابذة الأثبات، أنه صلى الله عليه وسلم قال، أو كما قال: اغتيم خمساً قبل خمس، شبابتك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلِكَ، الحديث. سارعت بالاستئذان مُستدراً عوائد الإحسان:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

ولله عليّ إذا شاهدت تلك المشاهد، وتعهدت هاتيك المعاهد، أن تكون هجيراي المستمرة، وشنشنتي الدائمة المستقرة، خير الدعاء لكم في

(١) الشن: القربة الخلقة اليابسة.

تلك الأماكن الشريفة، والبقاع السامية المنيفة، فلا زلت مغموراً
بالنعم، مدفوعاً عنك النقم، آمين. انتهى.

ثم إنه رجع من الزيارة، وتوجه إلى أرضه، وانقشعت سحابته
وبعدت عن العراق عصابته.

فصل

[منظومة في مقاومة أهل البصرة]

وحين سمع أهل البصرة بمذحي لأهل الموصل، حنقوا لذلك، وعمل
بعضهم قصيدة هجاني في آخرها، فكتبت إليهم لجلب خواطرهم، وعتاب
من هجاني بقولي^(١) [من الوافر]:

ألا بشرى على رغم الأعداء ولا زال السُعود على أرباب
لأهل البصرة الفتيحاء من قد قضوا بشائهم فرض الجهاد
بني الفتيحاء أنجبتم وسُدت على أهل المدائن والبلاد
بني الفتيحاء قد نلتهم جزاء من الرحمن في يوم المعاد
فأجر الحي منكم في غزاة وأجر الميت في الشهداء غادي
ألا بشرى بأسوتكم بيادر وغزوة خندق وبخير هادي

<١٢٠٥>

إذ الأعداء قد قصدت حماكم فجاءتكم سراعاً في أساد
وقد حقوا بسُوركم جميعاً وهم إذ ذاك أكثر من جراد
فقتمتم كالأسود لدى سُراها بكل مُقذِف ماضي الفؤاد

(١) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٥٤-٥٧.

وقد حمي الوطيس وحن حين
ولم تزل القنابر طائرات
فأرسلتم بنادقكم عليهم
كان البنق الزعاج عيس
ولا برحت بنادقكم عليهم
إلى أن قام (رستم) ^(١) في رجال
لديهم عثرا السهجا عبير
قضوا حق الرماح إذا ارمعلوا ^(٢)
فالسهندي تغليق بسهام
ولالأبطال في الأعداء نظم
بيوم حارت الأبصار فيهم
فيا للناس من يوم عيوس به أضحي الكمي بلون جاد ^(٤)

(١) رستم أغا، أحد رجال أحمد باشا والي بغداد، ولعله من مماليكه تسلم البصرة نائباً عن أحمد باشا، وبرز دوره في تعبئة أهل البصرة والدفاع عنها في حصار نادر شاه سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣، وورد اسمه في الرسائل المتبادلة بين الجانبين البصري والإيراني، وقد عثرنا على شاهد من الرخام لقبر نمب إلى حماد الدبلس، وهو في الحقيقة قبر الخليفة المستعصم بالله، ملقى في صندوق الضريح في مشهد (أبي رابعة) في الأعظمية، نقش فيه اسم (رستم أغا) كتحدا سليمان باشا (والسي بغداد) سنة ١١٦٦هـ.

(٢) هساد: الأسد.

(٣) ارمعلوا: بالعين المهملة وبالغين المعجمة: تقابعوا.

(٤) الكمي: لابس السلاح، والجادي: الزعران، أي اصفرت وجوههم وجلاً.

وَرَبُّ الْعَرْشِ يُدْكِمُ بِنَصْرِ
فِيَا لَهْ دَرُكُم وَدَرُ الْ—
شَجَاعَ بَاسِلٍ غَوِثٌ هَزْبِرِ
لَهُ التَّدْبِيرُ يَغْنِي عَنْ جَمُوعِ
فَلَوْلَا (رُسْتُمْ) الْمَغَوَارُ كُنْتُمْ
وَرَبُّ الدِّينِ عَنْكُمْ كَادَ يَمْحَى

يَسُرُّ الْقَلْبَ كَالْمَطَرِ الْعِشَادِ^(١)
رَيْسَ الْقَرَمِ (رُسْتُمْ) ذِي الْأَيْدِي
لَدَى الْهَيْجَاءِ مِثْلَ الطُّودِ طَادِ^(٢)
وَعَنْ جَنْدٍ مَضَاعِفَةِ الْعِدَادِ
أَسَارَى مِيرِبٍ شَدَّادِ بْنِ عَادِ
وَتَخْفَى عَنْكُمْ سُبُلُ الرُّشَادِ

<٢٠٥ب>

فَلَا تَفْخَرُ بَنُو الْحَذْبَا عَلَيْكُمْ
وَذَلِكَ لَا عِضَادَهُمْ بِأَهْلِ الْ—
وَأَهْلُ قِرَاكُم طَرَأَ عَصَتُكُمْ
بَنِي الْفِيحَا مَدَحَتْكُمْ احْتِسَابًا
بَنِي الْفِيحَاءِ عُذْرًا فِي مَدِيحِي
مَجَانِي شَاعِرٍ مِنْكُمْ بِمَدِيحِي
وَهَلْ يُهْجَى فِتْنَى مِثْلِي أَبُوهُ
فَصِيحٌ لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ قُوسٌ
وَأَنِّي يَا كِرَامَ لِمَنْ سَسْرَاةُ
لِيُوْثُ الْحَرْبِ أَنْ تُدْبُوا إِلَيْهَا
يَزُوعُونَ الْكُمَاةَ إِذَا اسْتَقْلَوْا
بِضَرْبِ تَفَلُّقِ السَّهَامَاتِ مِنْهُ

وَأِنْ فَخَرُوا عَلَى بَعْضِ الْعِبَادِ
قَرَى وَبِسُورِهِمْ وَأَبِي مُرَادِ^(٣)
وَدَانَتْ لِلطُّغَاةِ ذَوِي الْفَسَادِ
وَلَيْسَ سِوَاهُ قَصْدِي أَوْ مُرَادِي
فَمَا الْمَرْئِيُّ كَالْخَبْرِ الْمَفَادِ
بَنِي الْحَذْبَاءِ أَصْحَابُ الْعِدَادِ
أَبِي وَفَوَادِهِ الْمَاضِي فَوَادِي
كَرِيمِ النَّجَرِ نُو حَشْدٍ وَنَادِي
لَهُمْ دَانَ الْمَسَالِمِ وَالْمَعَادِي
بَنُو الزُّورَاءِ فَرَسَانِ الطُّرَادِ
عَلَى النُّجُبِ الْمَسْئُومَةِ الْجِيَادِ
وَطَعْنِ بِالْمُنَقَّصَةِ الصَّنَعَادِ

(١) العهاد: مطر أول السنة.

(٢) طاد: مستقر وثابت.

(٣) أبو مراد: هو الحاج حسين باثما الجليلي.

وعندهم^(١) التضمخ في دماء الـ
وفي دار الحفاظ لسدّ ثغري
ولا نخشى المنايا بل منانا
سألوا عنا الأعاجم أن جهلتم
ففي يوم الكسيرة كم كسرنا
وفي أخد به كان اتسنانا
فإن أهجى فهل أهجى بقومي الـ
فأنى مثلهم في الكون يلقى
فلا زالوا بإعزاز ونصر
أعادي في الوغى مثل الشيا^(٢)
أقمنا دونـه خرط القتاد
يكون لقا الكماة بلا تمادي
حقيقة عزمنا يوم الجهاد
لجبر الدين شوكة كل عادي
فيا بشرى لنا يوم المعاد
أفاضل أم بجدي واجتهادي
وفضلهم كنور الشمس بادي
وإجلال إلى يوم التنا^(٣)

<١٢٠٦>



مهمة

لم يبق في هذه المدة عند الوزير جواد ولا مال ولا عدة مذهبة، بل
أهدى الكل للشاه وأتباعه. وأضاف وزيره المسمى عندهم بمغيار المملكة
ضيافة حسنة، وأعطاه العطايا المستحسنة.

(١) في الديوان: التضمخ

(٢) الشيا: ما يطلى به الحائط من حص أو طين ونحوه ويطلق على الطيب أيضاً.

فصل [مقامة]

وفي أواخر هذه السنة، توجّه الوالد - حفظه الله - إلى الحج، وبعد ذهابه تغلب علينا ضابط قصبة سيدنا الحسين، فمتّعنا ما رسم الوزير للوالد من إقرار ميري جوق^(١) من الزرع هناك، نأخذه كل سنة، فأنشأت مقامة للوزير في إرجاع ما رسم لنا، وقصيدة دالية^(٢).

أما المقامة فهي هذه:

قال الفقير: حدّثني عام السنة السابعة والخمسين بعد المائة والألف، الذهن ابن سيّال، ونحن في أعلا حصن الدّباغ، قال: حدّثنا أبو الزّناد الشّهاب، وإقدي الأفكار، ونحن في حصن القوة المفكّرة، قال: حدّثنا الحافظ الجامع أبو الحسن عطاء الله الخيال ابن طارق بأعلى قلعة القوة الحافظة ح.

مركز تحقيق كتب التراث

وحدّثنا أبو يراعة فضل الله الإنشاء، قال أخبرنا أبو الإعجاز الإيجاز، قال: حدّثني أبو المعاني المهذب الطّراز المجاز، قال: أنبأنا ذو الجناب الرّقيق الجمال البديع، <٦، ٢ب> قال: كنّا في مجلس أدب منسّعب الفنون، والحديث كما قد قيل ذو شجون، يفوح أرج التحقيق من أرجائه، ويضوع نشر التدقيق في نواحي فنائه، نتعاطى من كل علم أحسن ما فيه وأعذب، ونكرّع من حمى المذاكرة بكؤوس الأدب، فلم تكن فريدة

(١) ميري جوق ضريبة زراعية تستوفى من الأراضي الأميرية

(٢) والصواب أنها رائية كما سيأتي.

إلا وعَرَضْنَاهَا للمَحَاوَرَة، وَلَا مُعْضَلَة إِلَّا فَكَّكْنَا خِتَامَهَا بِأَبْحَاثِ
المُحَاضِرَة، وَكَانَتْ شَنْشَنَتَنَا وَهَجِيرَانَا نَجْتِي مِنْ كُلِّ نَوْعِ أَعْذِبِهِ، وَنَقْطِفُ
مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَطْيَبِهِ، فَقُلْنَا: لَوْ كَانَ مَعَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ أَبُو الْفَضْلِ عَنَايَة اللَّهِ
الْبَيَانِ لَتَمَّ سُرُورُنَا، وَتَضَاعَفَ حُبُّورُنَا، وَقَدْ غَابَ عَنَّا غَيَّةُ الْقَارِظِينَ^(١)،
وَانْقَطَعَ خَبْرُهُ مِنَ الْبَيْنِ.

وَلَمْ نَزَلْ نَنَاشِدُ عَنْهُ الرَّائِحَ وَالْغَادِي، وَالْحَاضِرَ وَالْبَادِي، وَنَجُوبَ
الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ، وَالرَّوَابِي وَالْوَهَادِ، فَلَمْ نَعْتَرَّ لَهُ عَلَى خَبَرٍ، وَلَمْ نَقِفْ لَهُ
عَلَى رِسْمٍ وَلَا أَثَرٍ، وَنَحْنُ نَحْنُ إِلَيْهِ حَنِينُ الْإِبِلِ لِلْحَادِي، وَنَشْتَاقُ إِلَيْهِ شَوْقَ
الزُّلَالِ لِلصَّادِي. فَبَيَّنَّا نَحْنُ فِي هَذَا الْكَلَامِ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا طُلُوعُ الْبَدْرِ مِنْ
الْغَمَامِ، فَزَادَتْ لَنَا بِهِ الْأَفْرَاحُ، وَزَالَتْ بِقُدُومِهِ عَنَا الْأَتْرَاحُ، وَصَارَ عَيْشُنَا
غَضًّا رَطِيْبًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ هَشِيمًا قَشِيْبًا. وَأَخَذْنَا ثَارَنَا مِنَ الْبَيْنِ، وَقَرَّرْتُ بِهِ
لِكُلِّ مَنَا كُلِّ عَيْنٍ فَكَانَتْ لَيْلَةً مَا تَضَاهِيهَا لَيْلَةُ السَّفْحِ عِنْدَ الشَّرِيفِ، وَلَا
تُحَاكِهَا فِي وَفُورِ الْأَفْرَاحِ لَيْالِي الْأَعْيَادِ وَالتَّعْرِيفِ، فَهِيَ الْمُشَارُ إِلَيْهَا
بِالْمَثَلِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، خَيْرُ لَيْلَةٍ بِالْأَبَدِ، لَيْلَةُ بَيْنِ^(٢) <١٢٠٧> (لَيْلَةُ بَيْنِ
الزُّبَانِي^(٣) وَالْأَسَدِ.

(١) الْقَارِظَانِ: رَجُلَانِ خَرَجَا يَطْلُبَانِ الْقَرْظَ (شَجَرٌ يَدْبَغُ بِهِ) فَلَمْ يَرْجِعَا.

(٢) إِلَى هُنَا تَنْتَهِي الْوَرَقَةُ ٢٠٦ب، وَلَا تَتِمَّةٌ لِلْكَلَامِ فِي الْوَرَقَةِ التَّالِيَةِ، وَذَلِكَ لِلْخَلَلِ الَّذِي
أَحْدَثَهُ مَجْلَدُ النُّسخَةِ الْأَصْلِي فِي تَرْتِيبِ أَوْرَاقِهَا، وَقَدْ أَتَمَمْنَا النُّصْحَ، وَهُوَ الَّذِي
حَصَرْنَاهُ بَيْنَ قَوْسَيْنِ، مِنْ نُسْخَةِ ب، الْوَرَقَةُ ١٢٢٩أ، فَيُظْهِرُ أَنَّ نَاسِخَ الْآخِرَةِ قَدْ أَتَمَّ
عَمَلَهُ فِي نُسْخَتِهَا قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى مَجْلَدُ النُّسخَةِ الْأَصْلِي تَجْلِيدَهَا عَلَى النُّحْوِ الَّذِي فَعَلَ.

(٣) الزُّبَانِي قُرُونُ الْعُقَارِبِ.

ولما قضينا من لُتْيَاهُ^(١) لذة الوَطَرِ^(٢)، وأدينا بالتَمَلِّي بِمُحَيَّاهِ من
النظر، قلنا له: إيه يا أبا الفضل! جئت بالضح والريح^(٣)، أم جئت على
غيراء الظهر، أخليت أم أملت؟ فاخبرني بعَجْرِكَ وبجَرِكَ وشَقُورِكَ
وسَقُورِكَ^(٤). فقال: اعلموا يا إخوان الصفا وأرباب الوفا، الحق أبلج،
والباطل لجلج^(٥)، والحمد مغنم، والمذمة مَغْرَم، أما أنه لا تخضل^(٦)
روضة إلا وأنا لها عندليب، ولا تَرُهر دوحة إلا وأنا فضها^(٧) الرطيب،
ولا تعصى عويصة إلا وأنا جذيلها المَحْكَكُ^(٨)، وغديقتها^(٩) المَرْجَب، ولا
تعرض نادرة إلا وأنا ابن بَجْدَتِهَا^(١٠)، وأبو عذرتها، وجهينة أخبارها،
وعَيَّة^(١١) أسرارها، ولم يزل ذلك دأبي ودينني، ولهوي وددني^(١٢)، حتى



(١) اللتيا الداهية الصغيرة

(٢) الوطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة.

(٣) من أمثال العرب: جاء بالضح والريح، ز لضح هنا: ضوء الشمس على الأرض.

(٤) يث شقوره وسقوره أي شكاه عليه حاله.

(٥) للجلج المختلط غير المستقيم والابلج المضيق المستقيم

(٦) تخضل: تبطل.

(٧) الفض: يريد الفم، وإلا فالفض الكسر، وقيل: لا فض الله فاك، أي لا كسر الله أسنان فيك.

(٨) في الأصل: المحنك، والصحيح: الجذيل المحنك: الأصل من الشجرة تحنك به الإبل فتشفى به.

(٩) الغديق: المطر. العظيم.

(١٠) أي العالم بالشيء المتقن له المميز له.

(١١) العيبة: وعاء من آدم.

(١٢) الديدين والددن: اللهو واللعب.

طرق سمعي قصائد رائقة، وقوافي فائقة، دلائل الإعجاز تفوح من تراكيبها، ومحال الإيجاز تضوع من أساليبها، أسرار البلاغة في تلخيص مبانيها، ونتاج الفصاحة في إيضاح معانيها، خطوط البيان بالإضافة إليها مختصر، لا تبقى من بديع اللطائف ولا تذر، تشهد لناظمها بأنهم البلغاء المصاقع، وإن كلاً نسيج وحده من غير مدافع، وإن عنوانها قد طرز بنفائس المديح، ووشي بفرائد التوشيح، تعرب عن مدح وزير لا تفرع صفاته، ولا تدرك صفاته، وإنه تفرع من روضة الوزارة، وترعرع في روضة الإمارة، فشب في مهاد المناسيب، واستوى على صهوات المراتب، فكان صدر الصدور الأعظم، وخلاصة الوزراء الأكارم، <٢٠٧ب> وإنه المتفرد بين أفاض الزمان، وأنه المخصوص بفتح أقاليم إيران، وإنه عضد الدولة العثمانية، وركن الخلافة الخاقانية، بل أنها جسد وهو لها روح، وأنه أول ما دعيت ظل الله بأبي الفتوح، وإنه يدعى بالوزير، وإنه العلم الممنون، إلى غير ذلك من المناقب التي لا يضبطها قلم ولا يجمعها في الحساب رقم حاسب، فكان يدور في خلد ذهني، ويجول في معارف ظني، أن هذا الممدوح من الملوك المتقدمين، وإنما انفرد عنهم بهذا المجد الرصين، وإن أرباب هاتيك القصائد لشعرائه الأماجد، فأقول: يا الله! ما أكثر مادحيه، وأوفر مستمنحيه، حيث ملأت أمداحه أقطار الآفاق، فيا للعجب! كيف تسعها بطون الأوراق، وكنيت وأواني في زمانه الباهر، أتملى بمحيّاه الزاهر، وأحط رحالي ببابه الذي يسمو على النيرين، ويعلو على أوج السماكين، فيتم لي شرف المأوى، وسعادة المثوى، وأتوق عند ذاك منشداً ما هنالك، هذه دولة المكارم

والرافة والمجد والندى والأيادي. فلم أزل للأمانى حليفاً، وللتخيلات أليفاً، حتى حدثني بعض النقا، من الحفاظ الأثبات، ممن جاب البلاد حديثاً صحيح الإسناد، قد سئلت رواته بتمام الضبط فسي الرواية، وتعتنت رجاله بالحديث عن أهل الدراية، فلذلك الأمر والسبب، تُرجم بسلسلة الذهب، قال: إن مدينة السلام هي الآن محط رحال الأعلام، <١٢٠٨> تضرب إليها أكباد الإبل من الأقطار القاصية، وتشد إليها الرُحال من الأصقاع النائية، فهي مشحونة بالجهاذة النحارير، والفضلاء المشاهير، ممن جمع بين المعقول والمنقول، والفرع والأصول، ودرس فأفاد، وألف فأجاد، فهم المشار إليهم في التحقيق بالبنان، والحائزون في التدقيق قصب الرُهان، فقلت بنفسي بعد^(١) استبعاد لهذه الأخبار، ويليكَ جنت بالضلال ابن السيهل، وليضربن بك في وضع الأحاديث المثل، فهل لبغداد فضل مشهور، بعد وقعة تيمور^(٢)، فإني رأيتها منذ أحقاب عديدة وأعوام مديدة، ليس فيها من يعرف الحو من اللو^(٣)، ولا الهز من البز^(٤)، وإن العلم فيها اندرست رسوم مدارس، واستوصلت أصول مغارسه، وصيرت وطابه^(٥)، ودكت أكامه وهضابه، خلقت به عنقاء مغرب فلم يلف من ينحو نحو

(١) في الأصل: تيسي جعاد.

(٢) يريد تيمور لنگ، الذي تكرر احتلاله لبغداد غير مرة في مقبَل القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٣) الحو: الحق، واللو: الباطل.

(٤) الهز: تحريك الشيء، والبز: الثياب، والسلب.

(٥) أي: فرغت وخلت.

قواعده، فيعرب تركت ربوعه على مثل ليلة القدر، فلا عين له إذ ذاك ولا أثر، كأن لم يكونوا حمى نبتغي، إذا الناس إذ ذاك من تمربنوا الوصل^(١)، ثكلتك الجئل^(٢)، ومن أين حل فيها طالع السعود في الحمل، وصار سماكها رامحاً بعد أن كان أعزل، وعهدي بها متداعية البنيان، منقوضة الأركان، فالعلم اسم بلا مُسمًى، والطريق <٢٠٨ب> إليه كالألغاز والمُعَمًى، وأما البدل والأباز^(٣) فهما لم يخطرا على بال إنسان، فقال: اعلم أيها البيان، إنه نبغ في دوحة آل عثمان، الوزير ابن الوزير، عديم المثل والنظير، فإن ذكرت الوزارة فله القدح المُعلًى، أو عُذ الوزراء كان التاج المُحَلًى، عضد الدولة، وسند ركن الصولة، ذو الشجاعة التي لا تجارى، والبراعة التي لا تُمارى، آراؤه صائبة، وأفكاره ثاقبة، وهامة هيمته فوق السماكين، وغوماته^(٤) تسمو على النيرين، كما وصفه شاعره السويدي أبو البركات^(٥) بهذه الصفات الجلية، من قصيدة غراء طنانة طويلة، حيث قال:

له الحسبُ العالي على الناسِ شلمخٌ	تَحَلًى به الشُعْرى العَبُور وقرقذٌ
له الهمةُ العليا شسامخة السُذرى	وعزمٌ على كيوان سامٍ مشيدٌ
له الرأي أمضى من مواض شبلتها	يتد بها الصخر الأصم وجلَمَد
ولو باسمه الداعي يثوب ضارعا	لولت كُماة شُوس في البيد تشرد

(١) كذا في الأصل.

(٢) الجئل هنا: الأم، وقيل: الزوجة.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) يريد الشيخ عبد الله السويدي والد المؤلف وقد تقدم التعريف به.

يُدَبِّرُ خُطْبَ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقْعِهِ كَأَن كَانَ يَدْرِي مَا يَجِيءُ بِهِ غَدٌ

كَيْفَ! وَهُوَ الْفَاتِحُ لِلْبِلَادِ، الْمُعَوِّدُ عَلَى الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، نَشَأَ بَيْنَ أَسْنَةِ
الْعَوَالِي، وَتَرَبَّى بَيْنَ بَوَارِقِ الْمَوَاضِي لِلْجِدَالِ، فَكَمَ حِصْنٌ حَصِينٌ لِلْعَدَى
هَدَمَ بُنْيَانَهُ، وَكَمَ سُرٌّ مَتِينٌ قَوَّضَ أَرْكَانَهُ، وَكَمَ كَتِيبَةٌ فَرَّقَهَا، وَجَمَعِيَّةٌ
مَزَقَهَا، وَلَقَدْ أَنْصَفَ السُّوَيْدِيُّ شَاعِرُهُ حَيْثُ يَقُولُ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

هُوَ الْغَوْتُ إِنْ عَزَّتْ أَغَاثَةُ صُلْرِخٍ هُوَ الْغَيْثُ لَكِنْ بِالدَّنَانِيرِ هَامِغٍ

<١٢٠٩>

سَلَ الْحَرْبَ عَنْهُ يَوْمَ مَلْحَمَةِ الْوُغَى فَهَلْ صَادَقَتْ مِثْلَ الْوَزِيرِ مَعَامِغُ
وَسَلَ فَتْحَهُ إِيْرَانَ بِالسَّيْفِ عَنُودُ فَكَمْ أَضْرَمَتْ مِنْهُ عَلَيْهَا وَقَائِعُ
وَسَلَ عَنْهُ لُورِسْتَانَ مَاذَا تَجَرَّعَتْ مِنَ الْحَرْبِ هَوْنًا وَالذِّيَارُ بِلَاقِعُ
وَسَلَ فَتْحَهُ الْأَهْوَاذَ إِذْ قَادَ حَقَقْلَا مِنَ الشُّوشِ أَبْطَالَ كُمَاةَ زَعَاذِعُ
وَسَلَ وَقْعَةَ الْأَحْزَابِ عَنْهُ وَنَفْرًا إِذَا الْبَطْلُ الْمِغْوَارُ بِالذُّعْرِ سَاكِعُ
وَكَمْ غَزْوَةً يَغْزُو الْعِدَى وَسَرِيَّةً بِهَا الْمَوْتُ يَقْضَى وَالدَّمَاءُ تَجَائِعُ
هُوَ الْفَاتِحُ الصَّنْدِيدُ ذُو الْبِاسِ سَطْوَةٌ هُوَ الْفَارِسُ الْمِقْدَامُ مَذْهُهُ يَافِغُ

وَكَانَ مِنْ شَنْشَنَتِهِ الْمُسْتَقَرَّةِ، وَهَجِيرَاهِ الْمُسْتَمِرَّةِ، أَنْ أَفْنَانَ الْعُلُومِ فِي
نَادِيهِ مُورِقَةً، وَشُمُوسِ الْفَنُونِ فِي حَضْرَتِهِ مُشْرِقَةً. لَمْ يَزَلْ مَجْلِسُهُ لِلْعُلَمَاءِ
مَأْوًى، وَلِلْفُضَلَاءِ مَتْوًى، تُعْرَضُ فِيهِ الْمُعْضَلَاتُ عَلَى الْأَذْهَانِ، وَتُقَيَّدُ أَوَائِدُ
الْمُشْكِلَاتِ بِالْإِتْقَانِ، فَيَغْمُرُ أَرْبَابَ الْعُلُومِ بِهَبَاتِهِ، وَيَقْضِي عَلَى مُتَعَاظِي

المنظوم سحائب صلاته، فاشتهر العلم في تلك الأقطار، وظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار. واقتفى العامة أثره في سلوكهم، والناس - كما قيل - على دين ملوكهم، فقلت، وهذه الأبيات التي أنشدتها، وعلى حسب ما رويت سرديتها، أهي منظومة في سلك مدائح، مفصحة عن عظيم منائح. فقال: أي ومن خص الإنسان بمزايا البيان، إن هذا حديث متفق عليه، لا يتطرق الوضع إليه، فحين تحققت صحة روايته، وصدق مقالته، وأن حديثه مرفوع، متصل الإسناد عن نقل عدل ضابط القواد، لا شذوذ فيه ولا <٢٠٩ب> اضطراب، ولا هو مرسل عن ذكر الأصحاب، بينته وبين الوضع والتدليس بون بائن، كيف وكل من رواه غير كاذب ولا مائن، [ف]كدت أطير من الأفراح، بغير جناح، وقلت: هذه طلبتي، وهي دون غيرها بغيتي، لأن هذه الأبيات الحسان، طرقت مسامعي فهم بها الجنان.

مركز تحقيق كتب التراث

ولم أزل منها في فكرة، إذ لم يكن لي بها خيرة، وأظهرت له ما جنته الطوية، وحدثته الحديث المسلسل بالأولية. وجلست معه ريثما استقصيت أخباره، واستظهرت أسرار، حثت مطية العزم والترحال، إلى كعبة الآمال، وحسنت إليها عرق القرينة، واستسهلت مشقة الغربة، وجربت كالمقابس العجلان، أسرع من حذاجة في غابر الأزمان، لا ألوي إلى تغريس وتأويب، ولا انفك عن تصعيد وتصويب، أقطع الروابي والوهاد، والأغوار والأنجاد، إذا قطعت علماً بدا علم، وإذا هبطت وادياً ترى إلى أكم، إلى أن بدت أعلامها المأنوسة، وصارت بمرأى مني آكامها محسوسة. فدخلت تلك المغاني، ولجت هاتيك المباني، وشملتني السعادة

إِذْ صَادَفْتُ الْمَلِكَ بِجَحَافِلِ كَالسَّيْلِ، يَقْصِدُ مَلَاعِبَ الْخَيْلِ، وَهُوَ فِي جَلَالَةٍ لَا يَصِفُهَا اللُّسَانُ، وَهَيْبَةٍ تَرْعُدُ مِنْهَا لُبُوثُ خَفَّانٍ، تَلُوحُ الرِّيَاسَةُ عَلَى أَسَارِيرِ مُحْيَاهِ، وَيَنْبُتُكَ عَنْ مَخْبَرِهِ حُسْنُ مَرَاهِ، فَسَبْحَانَ الَّذِي أَوْدَعَهُ مَحَاسِنَ الْأَوْصَافِ، وَحَبَاهُ رِيَّاسَتِي الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، فَإِذَا هُوَ فَوْقَ مَا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ بِكَثِيرٍ:

وَإِنْ قَمِصًا حَيْكَ مِنْ نَسِجٍ تِسْعَةٍ وَعَشْرِينَ حَرْفًا فِي عِلَالَةٍ قَصِيرٍ

<٢١٠> ثُمَّ بَعْدَ أَنْ اسْتَوَقَّتِ النَّفْسُ مِنْ أَوطَارِهَا، وَزَالَ عَنْهَا مَا أَشْجَاهَا مِنْ أَكْدَارِهَا، رَأَيْتُ مَدِينَةَ السَّلَامِ، شَامَخَةَ الْأَعْلَامِ، فَإِذَا هِيَ أَحْسَنُ مِنْ بَيْضَةٍ فِي بَحْبُوحَةٍ، رَوْضَةٌ تَزْهُو بِسُكَّانِهَا، وَتَسْمُو بِأَوْطَانِهَا، مُحْتَوِيَةٌ عَلَى أَكْبَرِ أَجْوَادِ، وَفُضْلَاءِ أَمْجَادِ، وَمَشَايِخِ زُهَادِ، وَكُمَاهِ أَسَادِ، تَتَجَلَّى بِزِينَةِ الْأَوْصَافِ، كَالْعُرُوسِ الْحَسَنَاءِ لَيْلَةَ الزَّوَافِ. اِكْتَنَفَتْ شَاطِئُ دَجَلَةٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَلَهَا بِذَلِكَ الْمُنَافَرَةُ عَلَى مَدَائِنِ الْخَافِقَيْنِ، زَانَهَا السُّعْدَانِ، الْعَدْلُ وَالْأَمَانُ، فَهَمَا ثَاوِيَانِ فِي سَاحَاتِهَا، مَقِيمَانِ فِي بَاحَاتِهَا.

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ مِنْ بَغْدَادِ أَرْبِي، وَنَفَيْتُ بِرُؤْيَايَ هَذَا الْمَلِكِ لُغُوبِي وَنَصْبِي، وَشَفَيْتُ الْفُؤَادَ بِمُذَاكَرَتِي مَعَ أَوْلَئِكَ الْأَعْلَامِ، وَبَلَلْتُ الصَّدَى بِمُبَاحَثَتِي مَعَ كُلِّ فَاضِلٍ إِمَامٍ، خَرَجْتُ أَطُوفُ قُرَاهَا، وَأَجُولُ حِمَاهَا، فِيمَا صَمَّمْتُ عَلَيْهِ النَّيَّةَ، زِيَارَةَ أَكْبَرِ آلِ سَيِّدِ الْبَرِّيَّةِ، إِلَّا وَهُمْ الْإِمَامُ الرَّابِعُ، سَيِّفُ اللَّهِ الْقَاطِعِ، مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَوَلَدَاهُ الشَّهِيدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ، وَالشَّهِيدُ أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ، فَشَدَّدْتُ الرُّحَالَ، وَقَدَّمْتُ مَطِيَّةَ التَّرْحَالِ، وَطَفَّقْتُ أَشَقَّ الْبَيْدَاءِ، قَاصِدًا أَرْضَ كَرْبَلَاءَ. فَلَمَّا قَارَبْتُ

القَصْبَةُ وصَارَتْ بِمَرَأَى مَنِي قِيَابِهَا، وَقَرُبَتْ فِي النَّظَرِ لِلنَّاضِرِ أَفْنِيَّتِهَا
 وَرِحَابِهَا، أَشْرَقَتْ عَلَى نَهْرٍ أَصْفَى مِنَ الْجُرْيَالِ، وَأَلْذُّ لِلصَّادِي مِنَ الزُّلَالِ،
 غَرِيقُهُ سَابِحٌ، وَعَنْدَلِيْبُهُ صَادِحٌ، وَيَلْبَلُهُ غَادٍ وَرَائِحٌ، وَحَمَامُهُ شَادٍ وَنَائِحٌ، قَدْ
 شَقَّ زَرْعاً حَلِيَّ بِالْأَثْوَابِ السُّنْدُسِيَّةِ، وَكُسِي مِنَ الطُّرَاوَةِ الْخُلَلِ الْبَهِيَّةِ،
 <٢١٠ب> وَحَقَّ لَهُ الْفَخْرُ وَالْبَهَاءُ، حَيْثُ كَانَ ابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ، قَدْ شَقَّ
 الثَّوْرَ حَرْثَ أُمِّهِ، وَارْتَضَعَ تَذْيَ الدَّلْوِ قَبْلَ فَطْمِهِ. حَلِيَّ بِالسُّنْبُلَةِ رَأْسَهُ، فَعْدَا
 يَتَأَوَّدُ طَرَباً، وَكَمَلَتْ فِي النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ حَوَاسُهُ، فَازْدَادَ تَيْهاً وَعَجَباً، وَكَيْفَ
 لَا يَحَقُّ لَهُ الْفِخَارُ، وَقَدْ هَيَّئَ لِحِدْمَتِهِ مِيكَائِيلُ فِي عُلُوِّ شَأْنِهِ، وَأَجَابَهُ الْغَيْثُ
 طَوْعاً لَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَخَدَمَهُ الرَّعْدُ بِزَنْبِيرِهِ وَهَدِيرِهِ، وَأَجَابَهُ الرِّيحُ لِإِثَارَةِ
 السَّحَابِ فِي جَرْنِهِ وَمَسِيرِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَلَاحٍ وَبَانٍ وَسَاقِي وَنَاطِرٍ،
 حَتَّى غَدَا قُوْتاً لِبْنِي آدَمَ بِلِ لَجْمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَإِنَّهُ فِي هَذَا الْأَلَمِ أَجْدَى
 وَأَنْفَعُ نَبَاتٍ، وَقَدْ أَبْصَرَتْهُ يَتَأَوَّدُ تَأَوَّدَ الْعَاشِقِ، وَرَأَيْتُهُ فِي نُحْصُولِ الْكُنُيبِ
 الْمُقَارِقِ، وَإِنَّهُ يَنْشُدُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسَدَادٍ تَغْرِ^(١)

فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ، وَعَمَّا نَابَهُ دُونَ أُمْتَالِهِ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ فِي غَابِرِ
 الزَّمَانِ مَمْلُوكاً لِلْوَزِيرِ الْمُعْظَمِ، وَالْخَلِيفَةِ الْمُقَحَّمِ، حَامِي الْعِرَاقِ بِالْإِتْفَاقِ،
 فَأَنْعَمَ عَلَيَّ السُّوَيْدِيُّ أَبِي الْبَرَكَاتِ بِأَنْ جَعَلَنِي لَهُ قُوْتاً بِي يَفْتَاتِ، فَبَقِيْتُ
 بَرَهَةً مِنَ الزَّمَنِ، أَدْفَعُ سَغْبَهُ، وَأُنْفِي نَصْبَهُ وَوَصْبَهُ. وَالْآنَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى

(١) البيت لعبد الله بن عمر العرجي المتوفى سنة ١٢٠هـ.

بيت الله الحرام، وقد تركني قوتاً لصبيته، وقوة للضعيف من عيَّته، وقد تغلب على أولاده ضابط هذه القصة، فمتنعهم عني، وأنا أعلم أن ملكي لا يسترد العطية، ولا يمين بالنعيم ولو كانت جليلة جليَّة، وعار علي أن أرد بعد خروجي إليه، وأن أكون لا أقيم بالخدمة لما عول عليه. على أنه لا علم له بإرجاعي، ولا رضى له بخلوي من أماكني وبقاسي، وكيف لا أحزن والسويدي قد اعتمد على الله ثم علي، ووكل أمر أهله إلى الله ثم إلي، <٢١١> فليس من المروءة أن أخيب ظنه، وأوقعه، وهو في غربته - إذا سمع - في محنة، فتعجبت من وفاته العهود، واستغربت من طبعه المحمود، وقلت له: طيب نفساً! أنا أخبر الوزير إذا رجعت إلى بغداد، وأنا الزعيم بأن أرفع عنك عن هذه الأنكاد، وأما القصيدة فهي [من البسيط]:

إلام أمزج صفو العيش بالقدر وحاشاك زماني خالطت عمري
وفيم أكرع من عين المصاب في كأس الهموم بدا في راحة القدر
كأنني وصروف الدهر ترتبني فريسة بين حد القاب والظفر
من للمعنى وقد قل النصير وخا ب المستجير، فلا واق من الضرر
من مسعدي من معيني اليوم من سنة أخذت علي فلم تبق ولم تذر
لا مال لا ثروة عندي أحار بها إلا أبا عادل ذا النصر والظفر^(١)
غوث الصريخ ملاذ المستجير به غيث المساكين من أنثى ومن ذكر
مغني الوفود إذا حلوا بساحته بكثرة الجود من خيل ومن بدر
لو أن في البر مما حل راحته عسراً لأغناه عن سنيح وعن مطر

(١) يريد أبا عادل خاتون، وهي الابنة الكبرى لأحمد باشا، على ما تقدم.

وكان زهر رُباه دائماً نضراً^(١) وظلّت الطيرُ تنثيه على الشجر
 فاقت أنامله البحر المحيط كما حُسُنُ الشمائل منه غير مُنْخَصِر
 لم تلقه الدهر إلا بأدلاً صلبةً موصولة الحمد من بادي ومن حَضَوِي
 كأنما هو مجبول على كرمٍ إذ لا تطيق عطاه عادة البشر
 قد ساد أباه الغر الكرام فإن سادوا الورى فيه سادوا بلا نُكْر
 في قنّة النجم معقود منصّبته إذ قدره كان فوق الشمس والقمر
 تاهت به بلدة الزوراء إذ أمنت به من البؤس والأنحاس والكدر
 من آل عثمان أضى ساق شوكتها لولاه ما فضلها العالي بمشهر

<٢١١ب>

له الوزارة إذ قد حازها قدر^(٢) (كما أتى ربّه موسى على قدر)^(٣)
 شهم هزير شجاع باسل ملك في جفيل حين تلقاه وفي نقر
 في السلم خاطره نو رقة أبداً وفي الحروب هو الأقسى من الحجر
 سل الأعاجم والأعراب ما لقيا من حربه فهما أولى بهذا الخبر
 كم غزوة قد غزا والليل مُعْتَكِر فأورد الحتف أعداه مع السحر
 في فتية لجة الهيجاء تطربهم من رنة السيف أو من نغمة الوتر
 لن يرغوا عن قتال في الوغى أبداً حتى يسيلوا دم الأعداء على العفر
 كأنهم حين يلقاهم مبارزهم في قوة الجبل الراسي وفي العجر^(٣)
 شم الأنوف مصاليت إذا نزلوا الهيجاء وفوا حقوق الصارم الذكّر

(١) بالأصل: نظراً، والصواب بالضاد كما أثبتناه.

(٢) البيت للشاعر جرير بن عطية وأوله: (نال الخلافة إذ كانت له قدراً). نظر شرح

ديوان جرير، للصابي ص ٢٧٥ طبعة بيروت.

(٣) المعجزة: بفتح العين والجيم، الحجم (للشاعر).

تحت العجاجة فوق الخيل قد ردعوا بالبيض والسمر عن بيض وعن سمر
فمن مواضيهم بل من أسنتهم من العدى كل منظوم ومُنشَر
غُر الوجوه ميامين بهم أمنت بغداد من كل ذي شرٍ وذي ضرر
ففاخرت بهم كل المدائن من نحو المدائن من مصر ومن زغر^(١)
حازوا جميع معاني العز من صغر فأكدوا حوزها في حالة الكبير
فاقوا جميع السورى طراً بخدمتهم تاج الملوك سليل السادة الغرر
حامي الدمار حسام مصلت ذمر^(٢) ذو مرقب في الوغي أمضى من القدر
محافظة رام في دار الحفاظ على سد الثغور مستوجب الشكر^(٣)
ما قلته صاح عشر من فضائله وليس مديحي عن لغو وعن كدر
أنى أحوز سجاياه وأجمعها ولو بذلت على تحصيلها عمري
خذا أبا عادل من عند شاعركم بكرة ترف إليكم وابنة الفكر
فاجعل قديك (ميري الجوق) جلتزي أو الثلاثين من هاتيك الصقر^(٤)

مرثية كوي

فالدهر أكثر أعساري وقد تربت يداي فاغسلهما بالأصفر النضر
وإنني ذو عيال مسهم سغب وصيبة لم يزالوا منه في ضجر
فأمنن عليهم بما يشفي غليلهم وحلهم بالعطا فالعدم كالصبر
لا زالت السبعة الأفلاك تغبطكم على العلى فعيون النجم في سهر
ولا برحكم بأمن والسرور لكم ودام أعداؤكم منكم على حذر

(١) زغر: بلدة بالشام (للشاعر).

(٢) الذمر: الشجاع.

(٣) عجز البيت مختل الوزن.

(٤) قوله في عجز البيت: أو الثلاثين.. الصفر، يوضح مقدار حصته من تلك الضريبة.

فصل

[معاقبة شيخ زبيد]

وفي السنة السابعة والخمسين بعد المائة والألف^(١)، إحتال الوزير بشيخ زبيد غصيبة فصلته في حلة ابن ديبس، وصلب معه رؤساء عشيرته. وسبب ذلك أنه قد حالف العجم في هذا الحصار، فأذى الناس كثيراً، فلما ذهب الخارجي المذكور أراد أن يأخذ منه الانتقام، فلم يتفق له ذلك، لعدم قراره في مكان من البادية، فأرسل إليه كتاباً لين له في المقال، فغره بالباطل والمحال، وأنه يأتي إلى حلة ابن ديبس بجميع فرسانه، وأكثر شجعانه، ليسير مع العسكر إلى قتال شمر، فقدم الحلة المذكورة. ووجه الوزير إلى الحلة سرية أمر عليها كتحذاه سليمان باشا، فلما صار الجميع فيها قبض على غصيبة ومن معه من أكابر العشيرة، فصلوا عند رأس الجسر، وأخذت خيول من معه أجمع، وخارج أعوانه منها رجالة كبهيم رت^(٢).

[مسألة في الأدب]

وفي هذه السنة قلت حين وقع السؤال بحضرة الوزير الكبير الرئيس الشهير أحمد باشا - أيده الله - عن قول الشاعر: كم ترك الأول للآخر؟ فرد القاضي على المفتي قوله: ترك معلوماً، وصحح ترك

(١) أولها ١٥ شباط ١٧٤٤م.

(٢) الخبر في دوحه الوزراء ص ٦٣-٦٤.

مَجْهُولاً. وَصَنَّفَ عَلَى تِلْكَ رِسَالَةَ تَوْيِّدَ دَعْوَاهُ، وَتَتَفَى قَوْلٌ مِنْ سِوَاهُ. فَلَمَرِ
الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ، وَالِدِي الْمَشْهُورَ، أَنْ يَنْظُرَ فِي هَذَا الْبَابِ، <٢١٢ب>
وَيُمَيِّزَ خَطَأَ الْقَوْلَيْنِ مِنَ الصَّوَابِ. فَعَمَلَ الْوَالِدُ رِسَالَةً فِي الرَّدِّ عَلَى
الْقَاضِي فِي قَوْلِهِ الْمَاضِي، فَأَحْبَبْتُ، حِينَ كِتَابَةِ الْوَالِدِ الرِّسَالَةَ، أَنْ أَخَاطِبَ
ذَا الْجَلَالََةَ وَالْبَسَالََةَ، بِتَشْطِيرٍ وَتَعْجِيزٍ، أَيْبَاتِ هَذَا الشُّطْرِ، تَكَرُّماً بِمَدْحِ ذَلِكَ
الصدر، وَهِيَ [مِنَ السَّرِيعِ] ^(١):

(لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي نِعْمَةٍ) مَغْبُوطَةُ الْبَادِي مَعَ الْحَاضِرِ
وَلَا عَدَاكَ الْحَمْدُ عَنْ خُلَّةٍ (لَا يَسْهَى نَوْ سَلْبٍ فَاخِرٍ)
(يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعَهُ) مَا مِثْلُ هَذَا الْمَقْخَرِ النَّاضِرِ
لَا غَرَوْا إِذْ قَالَ مَنْ قَبْلُنَا: (كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ)

مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كِتَابَةِ السُّوَيْدِي

[سُجْنُ رَيْسِ بَنِي لَامِ]

وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالْخَمْسِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ ^(٢)، سُجِنَ عَبْدُ الْقَادِرِ
رَيْسُ بَنِي لَامٍ وَابْنُهُ فِي الْقَلْعَةِ، فَمَاتَ عَبْدُ الْقَادِرِ فِيهَا صَبْرًا. وَسَبَبُ ذَلِكَ
أَنَّ الْوَزِيرَ قَدْ أَقْطَعَهُ قَصَبَةَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَطَفِقَ بَنُو لَامٍ فِي
الْفَسَادِ. فَاسْتَخْبَرَ الْوَزِيرَ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِإِغْوَاءٍ وَإِغْرَاءٍ

(١) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) أولها ٣ شباط ١٧٤٥ م.

عبد القادر. فأرسل إليه يأمره بالقدوم لأجل المحاسبة من طرف الميري الذي أقطعه إياه، فلما قديم بغداد، سجنه في القلعة مع ابنه، فكان فيها أجله. وفي هذه السنة امتدح الوزير أخى الأوسط الشيخ محمد سعيد، بقصيدة بليغة من لسان بعض الأصدقاء، يستمنح الوزير بها، حين أخنى عليه الدهر بكنكله، وسطاً عليه بخيله ورجله، والتمس منه أن يضمن فيها قول الشاعر:

ولابد من شكوى إلى ذي مروءة فيواسيك أو يسليك أو يتوجع

فأجابه أخى إلى ذلك، فقال <٢١٣> [من الطويل]:

إلام خطوب الدهر للقلب تصنع وفيهم فؤادي للحوادث موقع
فهل زمن قد كنت فيه منعماً يعوّد وأوقات المسرة ترجع
زمان به قد عشت في روضة الهنا وورق المنى بالسعد تشدو وتسجع
زمان إذا ما إن دعوت به فتى أتاني مطيعاً للإجابة يسرع
زمان به أدعى كريماً وسيداً وأبناؤه لي طوع وهو أطوع
زمان به صحتي يؤمون منزلي وكفي لهم منها الدنانير تهمع
عليه سلام الله ما زار في العنا وما دام خطب البين للقلب يقجع
وقد حل بي من بعد غيبته التي زمان لقلبي بالنوائب يقلع
ولم أر فيه طيب عيش ولذة ولا أخذ للخطب عنى يدفع
ولم أر صخباً غير أن وفيهم إذا مرّ نكري عنده فهو يجزع
ولما رأيت الناس ملؤا مكائتي تيقنت أن العز بالفقر يدفع
ذهتني خطوب بيت منها على لظى يسامرنى هم وكرب وأدمع
وأصبح جسمي للحوادث منزلاً وقلبي من كأس المصائب يكرع

وجاءت إلى الفارسية تشبثي
 تق الله ما هذا التواني فما ترى
 فلا بد من أمر تدبّر حالنا
 ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة
 فقلت لها إن الشكاية دونها
 فمن يشتري ماء الوجوه ومن له
 إلى من ترومي يا ابنة الفرس إنني
 أجابت إلى بحر المكارم ذي الندى
 حلول الردى والعين تسهمي وتذمغ
 وعندك أطفال فطام ورضع
 به وتزيل الكرب عنا وترقع
 يواسيك أو يسليك أو يتوجع
 خطوب دهنني فهي للقلب أصدع
 حقيق ومن للقول يصغي يسمع
 أثبت له الشكوى فيولي ويثقع
 فالجود إلا عن سيواه ممنع

<٢١٣ب>

إلى من تنال المكرمات برفده
 يأمونه الراجون من جهد فاقه
 أخو همم ذو نجدة غوث صارخ
 كريم يد تخشى الدنانير بذلتها
 تجمع في يمناه جود وسطة
 هو البحر يوم الجود يعذب وردة
 همام تهاب الأسد صولة عزمه
 بوارقه من لجة النجع ترتوي
 سل السيف عنه والقنا في لظى الوغى
 وسل عنه إيراناً وسل شاهها وسل
 له الجود طبع والنزال سجية
 حسيب له مجد رقى ذروة العلا
 به شرفت بغداد إذ شمس مجده
 أبي عادل للعسر بالأسر يتقع
 فيلقون غيتاً بالدنانير يهمع
 معين ضعيف بالنوال مؤلّع
 وبأبي نكدها منع من فيه يطمع
 فأنأ به يرضي وأنا يزغزع
 ويوم الوغى نار من الحزم تسفع
 وبالسمر والبيض البوارق يردع
 وسمر عواليه من الحنف تفرع
 فكم بهما فيها يبيد ويقمع
 كماء بأكناف الصعيد تصنرع
 وللغدير جهد فيهما وتطبع
 فأنواره فوق السماكين تسطع
 على سوحها من قنة السعد تطلع

به باهت الدنيا ولا غرو أنه له همّة من رتبة الشمس أرفع
إلى جودك الفياض وجّهت وجهتي أبا عادل داري من الفقر بَلَقِع
فهل أنا أخشى الفقر والندب مقصدي وهل أنا أظمي والندى لي مطمع
ولا زالت الأيَّام تَخْذِمُ سَعْدَهُ ودامتْ لعلَّياه الأساطين تَخْضَعُ
ولا انفكُّ عنا جُوده منتهى البقا ولا بَرِحَتْ حُسْنَاهُ للكرب ترفع

وفي هذه السنة، التَّمَسَ مني بعض الأصدقاء، ممَّن هو من أولاد
الأكابر، يَسْتَمْنِحُ الوزير ويستعطفه حين افتقر بعد غناه، فلم تتم القصيدة
لحصول المُرَاد قبل التَّمام، وقد كان عملتُ منها هذه الأبيات، وهي:
<٢١٤> [من الكامل]:

أكذا يكون جزاء صَّابٍ مُوجِدٍ

أم هكذا شَيْمُ الحسان الخُرْدِ
أسعادُ حسبي ذا البعاد وذا الذوى

أسعادُ عهداً بالرصافة جَدِّدي
أسعاد إن كان الزمان مغيري

عن حالةٍ غيري به لم يعهد
فلطالما صرّفت آمالي إلى

أربي ومقوده وثيق في يدي
والناس أطوع من شراك النعل لي

إذ كنتُ سيِّدَهم وغسير مسوِّدٍ

والعيش غضٌ غصنه وغديره
صافٍ عن الأكدار عذب المورد
والسعد يخدم سدتي والجسد يعــ
ضد شدتي والوفد يبغي منحتي والمجتدي^(١)
والآن دهري بالشَّماس معاملي^(٢)
عاصٍ عليّ أطاع أمر الحُسَـدِ
فأتى عليّ بخيله وبرجله
هدماً لركنٍ بالجميل مشـرُودِ
وأحاط بي يرمي بكل ملئـة
من كل داهية وصرف منكـد
فأباح مني ما استباح معوضـي
ذلّ العديم مكان عز الأصـيدِ
حتى ضعفت فلا فتى أقوى به
لخصامه فيعضضدي أو ينجـدي^(٣)
قلّ الظهير فلا نصير صادق
غير الوزير أبي الفتوح الأحـمد
غوث الوري كهف الضعيف لدى الردى
سمّ العدى فيه هلاك المعتـدي

(١) البيت مختل الوزن فيه زيادة تفعيلـة.

(٢) الشَّماس: العناد.

(٣) حذف الشاعر نون الوقاية في (يعاضضني أو ينجذني) وهي ضرورة غير سائغة.

الباسلُ المقدام ماضي الفاصل آلـ

صمام يوم كربةسة ذو مشهد

ندب إذا السهيجاء هاج فطامها

أسدٌ يصول على جوادٍ جيد

فالسهمري اللدن يرعد متته

في كفهِ والسيف يبرق في اليد

هذا يصفق في الظهور وذا لسه

أبدأ على الهامات نغمة منشد

وهنَ الكتائبُ عند قسوة عزمه

وثباته في حزمه المتصلد

كسالمود جاد لا يزول لدى القفا

في خاطرٍ إذ ذاك قطعة جلمد

<٢١٤ب>

فأكم كمي بالدماء مسربل

منه وأخر بالنجيع ممدد

سل عنه يوم الشاه ليلة أخمدت^(١)

نيران فارس بعد جسم توقد

وسل الأعراب فالمحارب منهم

ينبئك عن حملاته في المطرد

(١) لعله يريد بيوم الشاه إحدى المعارك الفاصلة التي جرت بين أحمد باشا ونادر شاه في أثناء الحملة العثمانية على إيران، أو في أثناء محاصرة نادر شاه بغداد.

فالفرس والأعراب قد نرى شجا
 عنه لما لقيا بجزء مفسد
 أغنى له التدبير عند تفاقم الـ
 خطب الخطير من الخميس المتجد
 قرئت عيون الدين فيه ولم تزل
 مكحولة منه بأحسن إثم
 ملك تتوج بالجلالة والبرها
 فحطه فوق السهى والفرقد
 فاق الملوك عدالة وشجاعة
 وله على كل شهامة سيد
 ذو همة علية يقصر دونها
 تهلل شامة الذرى والمحتد
 شهم على متن الوزارة قد ربي
 فيه الوزارة لم تزل في سؤدد
 فهو الوزير ولا وجود لمثله
 الأوحـد ابن الأوحـد ابن الأوحـد

فصل

[إهداء فرس إلى والد المؤلف]

وفي السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف^(١)، أعطى الوزير
والدي فرساً، فأراد أن يتشكره بأبيات، فلم يتيسر له النظم لأمر ما،
فأمرني، وأمر أخي الشيخ محمد سعيد، أن نهئي له قصيدة عن لسانه،
فأخذت أنا في وصف الفرس، وأخذ أخي في وصف الوزير، لكن البيت
الذي هو مطلع القصيدة للوالد - حفظه الله تعالى - هو [من الطويل]^(٢):
مطالع آمالي أنرن على حالي وميزنني فضلاً على كل أمثالي

فما نظمته أنا، وهي:

ولي البشر أن سوّدت غير مسود ولي الفخر إذ قد نلت غاية آمالي

<٢١٥>

مركز تحقيق كتب ومؤلفات
السيد

ونلك إذ جاد الوزير أخو الندي علي بما أولاه من جمّ أفضال
بطرف سبوح يسبق الطرف جريها فلا الريح تحكيها، كورقاء زجال
ضمور هصور شزرة الأذن قبة الـ أياطل مطواع لها خلق غال
تُحار عيون الناس فيها لحسنها ويذهب بالأبصار رونقها العالي
معوّدة تحت الأسنة والطبّا (ومسنونة زرق كانياب أغوال)^(٣)

(١) أولها ٢٤ كانون الثاني سنة ١٧٤٦م.

(٢) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٦٠-٦١.

(٣) الشطر لامرئ القيس وأوله: (أيقنتني والمشرقي مضاجعي) ديوان امرئ القيس،

تحقيق حسن السندوبي (القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) ص ١٠٩.

من الغاديات الناجحات لدى الوغى بل العاديات الضابحات لإقبال
 إذا طَلَبْتُ وافَت وإن طَلَيْتُ نَحَتَ ولا للركل تدرسه على أَيْمًا حال
 وأن سابقت فهي المجلّي ورُبُّها يحوز ثنائها لا المصلّي ولا التالي
 مَقْدَفَةٌ دهماء كل خصالها جميل فلا تحتاج وصفي وأمثالي
 فلا عيبَ فيها غير كثرة أكلها وأن دام هذا الحال يا خيبة الحال
 كأن حشاها والشعر تنبيهه سَعِيرٌ لَذاك التَّنُّ في قمره صالي
 فشكرًا لمن أعطى (سَكاب) وإنها^(١) لمن بدرٍ أحرى لديّ وأولى لي
 رفعتَ مقامي إذ خَفَضْتَ معيشي وأحسنْتَ حالي بالكرائم والمال
 وتوجّنتني بالمجد فالمجد عَمَّتِي وحلّيتني بالفضل فالفضل سِرْبالي
 وأشهرتَ ذكري بين عُرب وأعجم وأوليتني فخري على كل أمثالي
 فلا زِلْتُ رُكن الدين كَهَقًا لأهلِهِ ولا زِلْتُ محفوفًا بنصرٍ وإقبال

وما نظمه أخي:  مركز تحيية كويت وعلوم إسلامية

وزيرٌ له الجودُ الغزيرُ سَجِيَّةٌ فليسَ بمحتاجٍ إلى قولِ سؤالٍ
 جَوَادٌ أَذلَّ البيضَ والصُّقْرَ بالعَطَا فلم يَنْتَه عن جِوده عَذلُ عُدَالٍ
 إذا رامَ حرباً أو أرادَ عطِيَّةً فيا خَيبةَ الأبطالِ أو خَيبةَ المالِ
 تُسابقُ يَمناه الشمالُ إلى النَّدَى فلم يُعرفِ المتلو جُوداً من التالي

<٢١٥ب>

وحازتَ يَداه سَطوَةٌ وسماحةٌ ففي الحربِ تسطو بالْخُسامِ وعَسَلِ
 وفي الجودِ للمستَمَنِّحين تَعْمُهم وتمنّهم من جُودها سحب أموالٍ

(١) سَكاب: اسمُ الفرس.

شجاعٌ هزبر باسل ذو شهامةٍ وعزٌّ ومجدٌ وامتنانٍ وافضالٍ
أخوهم ذو نجدة غوث صارخٍ معينٌ ضعيف القلب والعزم والحالِ
نُبات العدا منه بخوفٍ ورهبةٍ ويصبح راجي حفظه خالي البالِ
ومن بحماه ليس في الأرض ظالمٌ له والذي يعصيه ليس له والي
ومن في مقام القرب منه مقربٌ لدى الخلق مرفوع له شرفٌ عالي
أبا عادلٍ أكرمتهني ورفعتهني على جلِّ أقراني وأخيار أمثالي
وذاك بما أوليتهني ومنحتني وخصصتهني من بين تُربي بإقبالِ

وكيفية جمع النظمين، أن أبيات أخي وضعت بين قولي: وذلك إذ
جاد الوزير، إلى آخره، وبين قولي بطرف، إلى آخره.

مركز تحقيق التراث
فصل

[الغارة على شمر]

وفي هذه السنة، خرج - كما هو عادته - إلى الصنيد نخو هوز
عقرقوف، وكان معه جميع أتباعه، وكان معه بكر آل حمام شيخ شمر.
فحصل من شمر في هذا الاثناء بعض تعدي، فأراد أن يقبض على
شيخهم، ويشن الإغارة عليهم. فبلغ بكر هذا الخبر، فهرب من بين
العسكر.

[كتاب في أسماء الطيور]

وقد أنشأتُ كتاباً عن لسان الوالد، إلى الأمير محمد باشا^(١)، وهو مع الوزير، يتضمن غالب أسماء الطيور وبعض الوحوش، لمناسبة الصيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أجدى ما تَقَنَصْتَهُ الأُفهام في المصابِر والمَوارِد، وأجل ما تَقَحَّصْتَهُ بلبَل الكلام من كل طريف وتالِد، وأجدر ما افترَسَه شاهين البراعة في صَحارى <٢١٦> الدفاتر، وأحرى ما اختلَّسه بازي البراعة على أعالي المنابر، تحيَّات طارت بمضاهيها عنقواء مغرب، وحلَّقت بموازيها بين مشرق ومغرب، وتسليمات سالمة من الرياء في الطويَّة والمقال، فهي في الصقاء كعين الديك في المثال، مُمتطيَّة قدامى النسرين الطائر والواقع، مزرية نجوا في مزايا القصرين على الحقيقة والواقع، ودعوات تحفها ملائكة الإجابة، وتحفها كرُوبي^(٢) الإنابة، فحققت راياتها على رأس النسر، وحققت آياتها انتظام الأمر، ودوام النصير لمن سَجَّعت له عنادل الثناء على فروع المحامد، وغرَّدت له بلابل النعماء على أصول الأماجد، فعلا طائر فخره في الآفاق، وزهى بطاووس ذكره في رياض الدفاتر والأوراق.

(١) تقدّم التعريف به.

(٢) جنس من الملائكة.

كيف لا؟ وهو الأعز من عِقَابِ الْجَوِّ على الحقيقة، ولم يَزَلْ بِأَزِي
السُّعْدِ أَلَيْفَهُ وَرَفِيقَهُ. فطائر مجده الأجدل، لا طَيْرُ الْعِرَاقِيبِ وَالْأَخْيَلِ،
فاستخدم الأماثل والأفاضل، وجمع الفضائل والفواضِل، فهو الحائز
للشجاعة والقرى، والصَّيْدُ كل الصَّيْدِ في جَوْفِ الْفِرَاءِ، فَفَضِّلَ الْأَنَامَ فِي
الحال والمال، ونافَ الْأُمَاجِدَ الْأَعْلَامَ فِي كل الأحوال.
شعراً:

فَإِنْ تَقَّقَ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

أقامت شمائله دلائل الإعجاز، فاعترفَ مباهله بأنه على شفا جُرْفِ
المَجَازِ. شعراً:

وَكَمْ طَيْبٍ يَقُوحُ وَلَا كَمِيسِكَ وَكَمْ طَيْرٍ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِ

مركز تحقيق كتب علوم اسلامی

<٢١٦ب> فأذعن له حاتم الجود، بأنه محمود، وأقرَّ له عُنْتَرَةً
الشجاعة بأنه أميرُ نُسُورِ هذه الصَّنَاعَةِ، فقرئت لكثرة نداء أنواع الطير في
أوكارها، وسرَّت لجميل قِراء أصناف الوَحْشِ في آجامها بزوارها، فضلاً
عن تزايد حُبُور الْأَنَامِ، وابتهاج نور الأيام، فالحمد يحمده، والراعي
والحَجَل يشكره على هذه المَسَاعِي، وَذَلَّ بِثَنَائِهِ لِسَانَ الشَّقَرِ وَالشُّمُغَوَّاءِ،
وَحَدَّثَ بِمَحَاسِنِ أَنْبَاءِهِ الطُّوْطِيِّ وَالسُّغَوِيِّ، وَأَتَى الْهَدْدُ بِخَبَرِ أَفْضَالِهِ،
مُسْتَوْفِياً مَحَاسِنَ كَمَالِهِ. وصار من محاسنه الحَوَصِلُ مُمْتَلِئُ الْحَوَاصِلِ،
وَأَحْسَتْ أُمُّ حَسِيمٍ بِأَحَاسِنِ هَاتِيكَ الشَّمَائِلِ، فَخُبِرَتْ بِهِ الْخُبَارَى، وَازْدَادَ
لَهَا الْحُبُورُ، وَأَيْسَ بِهِ النَّهَارُ فِي الظَّلامِ، وَأَمِنَ بِهِ الظُّلُمُ ظَلَامَةَ النُّسُورِ،

فالكل به آمن من ظبي الحرم وحمامه، وإن جاد الكل بحنقه وجمامه،
فدرج الدراج إلى تقبيل أيديه، وهزول القطا النهاج إلى نأديه، وودوا أن
يكونوا لغدائه وعشائه، وأن تهراق دماؤهم في فئائه، علماً منهم بأن
الاستسلام أسلم، والإنقياد أحزم، وأنه خير من النجاة إذ كان فيه بعض
المكافآت، فاقبلت نحو شواهينه منقادة، وصارت تحت برائتها مصطادة.
وفي ذلك أقول شعراً [من الطويل]:

وما قصدتك الطير من كبد السماء خماساً ولا جهلاً بما أنت قاصده
ولكنها رامت مكافأة بعض ما عليها استقرت بالذي أنت صائده

لا زالت حضركه تستسير البغاث على سديها، وتستحمر <٢١٧>
الأتن في فناء رخبها، ولا برحت محطاً لرجال الأفاضل، وملجأ لكل
ماجد فاضل، ولا زال بلبل الأفراح بها مقيماً، ولا انفك شحور الفلاح لها
نديماً، آمين.

أما بعد هذا الثناء الوافر، والدعاء المتكاثر، فالمملوك يقبل الأرض،
مؤبياً من شرف الخدمة بعض القرض. ثم إنه إليكم أشوق، ويقول المتقدم
أحرى واليق. شعراً:

يا من له بين الضلوع مراع أنا شيق أنا شيق أنا شيق

طارَ خاطِفَ ظِلِّهِ بِصَبْرِهِ، وأُطلِعَهُ غُرَابُ الْبَيْنِ عَلَى خُلُوهِ وَمُرِّهِ،
فمَقَامِي بَعْدَكُمْ مَقَامَ الْحَرْبَاءِ بَعْدَ الشَّمْسِ، وَتَذَكَّرُ الْجَرْبَاءُ صِيْحَةَ الْأَمْسِ،
شِعْرًا^(١):

فِيمَ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكَنِي فِيهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفَرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٍ كَالسَّيْفِ عُرَى مَتْنَاهُ عَنِ الْخَلَلِ

فَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْمَعَنَا اجْتِمَاعَ الْعُثْمَانِي وَالْوَرْثَانِ، وَأَنْ يَضُمَّنَا ضَمَّ
الْمِفْحَصِ الْقَطَاةِ مَكَانَ، إِنَّهُ وَلِيَّ كُلِّ أَفْضَالٍ وَإِحْسَانٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



[فِي تَزْوِيجِ عَائِشَةَ خَاتَمِ]

وَفِي رَأْسِ السِّتِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْأَلْفِ^(٢)، زَوْجَ ابْنَتِهِ الدُّرَّةِ الْمَصُونَةِ،
وَالْجَوْهَرَةِ الْمَكُونَةِ، عَيْشَةَ خَاتَمِ^(٣)، مِنَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ، وَالْهَمَامِ الْبَاسِلِ،

(١) الْبَيْتَانِ لِلطُّغْرَانِي، مِنْ قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ الْمَشْهُورَةِ بِلَامِيَةِ الْعَجَمِ.
(٢) أَوَّلُهَا ١٣ كَانُونُ الثَّانِي سَنَةِ ١٧٤٧م. وَفِي تَارِيخِ نَشَاطِي (كَمَا فِي الْعَزَاوِي: تَلْرِخِ
الْعِرَاقِ بَيْنَ احْتِلَالَيْنِ ج ٥ ص ٢٧٨) أَنَّ تَارِيخَ الْعَقْدِ هُوَ فِي ٢ رَبِيعِ الْأَوَّلِ/ ١٣ آذَارِ
١٧٤٧م، بَيْنَمَا وَقَعَ الزَّفَافُ فِي ١٢ مِنْهُ.
(٣) هِيَ الْأَخْتُ الصَّغْرَى لِعَادِلَةَ خَاتُونٍ، تَزَوَّجَتْ أَوَّلًا مِنْ أَحْمَدَ آغَا، عَلَى مَا ذَكَرَ
الْمَوْلَفُ، وَبَعْدَ إِعْدَامِهِ، تَزَوَّجَتْ مِنْ وَالِي بَغْدَادِ عَلِي بَاشَا (١١٧٦-
١١٧٧هـ/ ١٧٦٢-١٧٦٣م)، ثُمَّ مِنْ خَلْفِهِ عَمْرَ بَاشَا (١١٧٧-١١٨٩هـ/ ١٧٦٣-
١٧٧٥م) وَمِنْ مَآثِرِهَا أَنَّهَا جَدَّدَتْ جَامِعَ قَمْرِيَةِ الْوَاقِعِ عَلَى شَاطِئِ بَغْلَتِ، فِي-

أحمد آقا. وقد عملَ لهما عُرْساً يَعْجَزُ اللُّسَانُ عَنْ وصفه، ولا يقدر البيان
بإحاطة ثلثه أو نصفه^(١).

وقد هنا الرجل المذكور بذلك الشعراء بالقصائد الرائعة، والتواريخ
الفائقة، فممن هنا مؤرخا الفقير، حيث قلت^(٢) [من البسيط]: <٢١٧ب>

بُشْرَاكَ هُنَيْتَ يَا ذَا الْمَجْدِ وَالظَّفَرِ

وَلَا بَرَحْتَ بِإِقْبَالِ مَدَى الْعُمُرِ

بُشْرَاكَ هُنَيْتَ فَالْأَيَّامَ مَقْبَلَةً

وَالدَّهْرَ وَافَاكَ طَوْعاً غَيْرَ ذِي عَذْرِ

وَعَنْدَلَيْبِ الْهَنَاءِ غَلَى لَنَيْلِ مَنْبَى

عَلَى غُصُونِ مِنَ الْأَفْرَاحِ وَالْبِشْرِ

وَطَالَعِ النَّصْرَ مَعْقُودَ مَنْصُتَةٍ

مَرْفُوعِ الْمَجْرَةِ مَرْفُوعِ بِلَا نُكُورِ

بُشْرَاكَ قَدْ نِلْتَ فِي ذِي الشَّانِ مَكْرَمَةً

مَضْبُوطَةً الْفَضْلِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ حَضَرِ

سَبَقَتْ أَقْرَانُكَ الْغَرَ الْكَرَامَ وَقَدْ

خَطَبْتَ بِالْمَجْدِ شَمْسَ الْفَخْرِ فَافْتَحِرِ

الجانب الغربي من بغداد، سنة ١١٧٩ هـ/١٧٦٥م. وأضافت إليه ميسأة. وقد
أرخ المؤلف هذه الأعمال في أبيات كتبت على الأجر المزجج ثبتت على جدران
الجامع، ينظر ديوانه ص ١٤٦-١٤٧ ومحمود شكري الألويسي: مساجد بغداد
وأثارها ص ١١٤.

(١) الخبر في دوحه الوزراء ص ٩٣.

(٢) ديوان عبد الرحمن السويدي ص ٧٥-٧٦.

واختارك الليث صيهاً حيث كنت له
 دون الوري في محلّ الناب والظفر
 وصِلْتَ بالشرف العالي وصرت على
 متن المكارم مخدوماً بكل سري
 أكرم بها لُحْمَةً منسوجة بيد الـ
 إقبال موصولة بالعز والظفر
 واغتم بعرس عظيم جلّ موقعه
 أبان عن حكمة عظمى لمفتكر
 قد زَيْنَ الكون فازداد الوري فرحاً
 وعمّ البشر منه جملة البشر
 أمست به بلدة الزوراء فائقة
 على المدائن في كبر وفي فخر
 كأن غبراءها الخضراء إذ نقشت
 بأحسن الشكل من تبر ومن درر
 يا طيب عرس به الأرجاء نيّرة
 لم يتفق مثله في سالف العصر
 سرّت به السبعة الأفلاك فانبعثت
 عليه دائرة في أحسن الدّور
 والسعد يرقص تحت النجم في طرب
 والقطب إذ ذاك ساهي الطرف في سهر
 والمشتري قال للمريخ حين رأى الـ
 شعري العبور مع العيوق في سمر

إذهباً فلمست رفيقي إنني جدلٌ
ولم أجد مثل ذي الأفراح في عمري
فسار تحت السُّهى يرجو القران به
فاصطاده النسر بين السبعة الزُّهر
وسائر النجم أمسى وهو في شغلٍ
من المسترة لم يُنقِ ولم يسذرٍ
فيآلها ليلة جاد الزمان بها
كانت من العمر بل من أحسن العُمرِ
<٢١٨>

إذ كان ما حار فيه ذو النهى ولقد
أرخت روم ازواج الشمس في القَمَر^(١)

مركز تحقيقات كويتية للعلوم والآداب

ومِمَّنْ هنأه، مؤرخاً أيضاً، أخي الشيخ محمد سعيد حيث قال [من

البسيط]:

بُشْرَى فَقَدْ نَلَتْ فِي ذَا الْعُرْسِ كُلُّ هُنَا	وَزَالَ عَنْكَ بِمَا أُولَيْتَ كُلُّ عُنَا
بُشْرَى فَعُرْسُكَ مَحْمُودٌ وَإِنَّكَ مِنْ	بِهَاءِ أَحْمَدٍ إِذْ قَدْ نَلْتَ كُلُّ مَنْى
عُرْسٌ بِهِ الْكَوْنُ أَضْحَى زَاهِيًا فَرِحًا	وَالْأَرْضُ قَدْ مَلَّتْ مِنْ نَشْوِهِ دَنَا
وَبَلْبَلِ الْمَجْدِ فَوْقَ الدُّوْحِ غَرْدٌ فِي	رَوْضِ السَّعُودِ وَغُصْنُ السَّعْدِ قَدْ زَفْنَا
وَالْوُرْقُ تَصْدَحُ فِي الْأَسْمَاءِ مِنْ طَوْبِ	وَالْوَرْدُ أَزْهَرَ وَالنَّسْرِينَ قَدْ حَسْنَا
وَعَطَّرَ الْأَفَقَ عَطَرٌ مِنْهُ مُنْتَشِرٌ	فِيهِ وَنُورٌ لَهُ مِنْ نَيْرِهِ سَنَا

(١) حساب حروف العبارة: ١١٦٠

والأرض تاهت وعمت بالبشارة إذ
ومن سنا نوره الأسنى قد ابتهجت
وحل فيها وفي سكانها فرح
بشرى لبغداد فيما شرقت فلقد
فالخلق تحمداً والخبراء تمدح والـ
والنجم يرقص والمريخ ينشده
بربة المجد ذات المسعد والحسب
عقيلة الفضل تررب الأكرمين لذا
حبيبة ذات عقل عمها أدب
زفت إلى أحمد الأفعال فاتفقا
بشراه نال السذي قد كان يطلبه
زفت إليه فوافى رفعة ومنا
وقت الزفاف بهذا العصر حين بدا
ونوره في سماء العز قد علنا

<٢١٨>

نجم السعود بافق المجد أرخه بذر زهى وبشمس المجد قد قرنا

فصل

[في تبادل الهدايا بين العثمانيين ونادر شاه، ومصرع نادرشاه]

وفي هذه السنة، قديم من الشاه نادر رسول إلى الدولة العلية، ومعه
هدايا إلى الخنكار، من جملتها فيلان يجيدان المصارعة واللعب العجيب،
وخيمة من الديباج محبرة بالذهب، أعمدتها بعضها فضة وبعضها ذهب،

وأوتأدها فضة، وأطناها من الإبريسم المحلى بالذهب، وطرازها محبوك بالؤلؤ الجيد.

وفي هذه السنة، قديم الدولة العلية رسول إلى النادر شاه كيرلي حاج أحمد باشا- والي بغداد الآن^(١)- ومعه هدايا عظيمة أيضاً، من جملتها نحو المائة حصان برخوتها^(٢) وحليها، فاجتمع الرسولان في بغداد. ثم أن رسول الخنكار توجه إلى إيران، فلما وصل إلى كرمان شاه أخير بموت الشاه نادر، وبكثرة الإختلال في بلاد العجم، فأرسل إلى الوزير المذكور يخبره بذلك، وأنه لا يطيق الرجوع ولا الذهاب خوفاً من أهل الفساد، فأرسل الوزير إليه سرية أنقذته من تلك المهالك، وسيرته على أوضاع المسالك، وأنت به إلى بغداد. وقد قدّمنا بعض هذه القضية في الاستطراد^(٣)، فتفطن!



مركز تحقيقات كهنوت وعلوم اسلامی

(١) تولاهما من أول ١١٦١ إلى ١١ ذي الحجة من العام نفسه (١٧٤٨م).

(٢) الرخوت جمع رخت، وهو ما يوضع على الفرس من مرج ونحوه.

(٣) أشار إليها في حوادث سنة ١١٤٨هـ.

فصل

[فتح قمجوغه]

وفي هذه السنة أرسل سرية إلى كرد العمادية، حين بدا منهم الخلف، وظهر بينهم شق عصا الائتلاف^(١)، فأمر عليها كتخده سليمان باشا.

وبعد أن أرسل هذه السرية جاءه خبر سليم بيك الكردي^(٢)، وقد كان متابعاً للعجم أحقاباً عديدة وسنين مديدة.

(١) كانت العمادية عهد ذلك عاصمة إمارة بهدينان التي اسمها وتولى حكمها الامراء العباسيون من ذرية الامير المبارك، الابن الاصغر للخليفة الشهيد المستعصم بالله، ومن اعمالها دهوك وعقره وزاخو، وجليه ما يشير إليه المؤلف هنا هو ان أحمد باشا اراد ضم هذه الإمارة إلى سلطته المتنامية، واضطر في سبيل ذلك إلى ان يخوض صراعاً ضد اميرها بهرام (أو بايرام) باشا الثاني بن زبير باشا العباسي (في أثناء إمارته الثانية من ١١٣٠ إلى ١١٨٢ هـ/١٧١٧-١٧٦٨ م)، وحرص أحد أبناء الامير وهو عالي خان بك على مناوئته، واعدأ اياه بالتوسط لدى الدولة العثمانية لتعيينه أميراً، واخذ يمدّه بأسباب القوة، ومن ذلك انه ارسل كتخده سليمان باشا لمناصرة الثائر المذكور بحجة ان بهرام باشا يسعى للاستقلال عن الدولة العثمانية، ولكن بهرام باشا صمد ازاء الحصار، فاضطر كتخده إلى مفاوضته بالصلح، على ان يعين عالي خان حاكماً على دهوك. ينظر: انور المائي: الاكراد في بهدينان، الموصل ١٩٦٠، ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) هو سليم باشا بن بكر بك بن سليمان بيه (الباباني) أحد أمراء البيت الحاكم في الإمارة البابانية في شمالي العراق، وكان قد تمكن من الحكم في قاعدة الإمارة (قلا جولان) منتهزاً فرصة انشغال أحمد باشا والي بغداد بحرب نادرشاه، ثم صدر حكم سنة ١١٤٧ هـ باعفائه من منصبه والإقامة الجبرية في لواء (كانغري)، دفتر مهمة ١٤٠ ص ٣٥٥ في أواسط ذي القعدة ١١٤٧) والظاهر أن ذلك الأمر لم-

وكان من خبره أنه لما سَمِعَ بِمَوْتِ الشَّاهِ نادر، أرسل إلى العجم أن أمِدُونِي بِعَسَاكِرٍ وَأَخِذْ لَكُمْ بِغَدَادٍ، فَحِينَ سَمِعَ الْوَزِيرُ هَذَا الْخَبَرَ، <٢١٩> أخرج إلى قتاله وما استَقَرَّ، وأرسل إلى كَتَّخْدَاهُ سُلَيْمَانَ بَاشَا أَنْ إِغْدِلْ بِمَنْ مَعَكَ نَحْوَ سُلَيْمٍ. وَلَمَّا بَلَغَ سُلَيْمٌ خَبَرَ قَدُومِ اللَّيْثِ عَلَيْهِ، هَرَبَ وَتَحَصَّنَ، هُوَ وَأَخُوهُ شِيرٌ^(١)، فِي حِصْنَيْنِ بَيْنَ جِبَالٍ شَاهِقَةٍ، أُعِدُّهُمَا لِلتَّحَصُّنِ عِنْدَ الْغَلْبَةِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا قَمْجُوعَةٌ، وَلِلْآخَرِ سَرُوجَق.

أما شِيرٌ فَقَدْ تَحَصَّنَ فِي الْأَوَّلِ، وَأَمَّا سُلَيْمٌ فَقَدْ تَحَصَّنَ فِي الثَّانِي. فَلَمَّا قَدِمَ اللَّيْثُ إِلَى قَمْجُوعَةٍ، أَبْصَرَهَا شَاهِقَةً فِي النِّجْمِ، رَاسِيخَةً فِي التَّخُومِ، مُفَعَّمَةً بِالْجُنُودِ الضَّارِيَةِ، مَحْفُوفَةً بِالْبُنُودِ الْبَادِيَةِ، فَأَحْدَقَهَا بِعَسَاكِرِهِ، وَحَقَّقَهَا بِأَكَابِرِهِ. وَلَمْ تَرُعْهُ كَثْرَةُ أَطْوَابِهَا، وَلَمْ يَهَبْ بِسَادِقِ أَصْحَابِهَا، فَافْتَضَّهَا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ لَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ، وَهَرَبَ شِيرٌ مَتَخَفِيًّا، وَاحْتَرَّ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِهِ، وَطَفِئَتْ بِمَاءِ الصُّوَارِمِ فَاتِرَةٌ حِرَابِهِ.

سَجِدَ طَرِيقَهُ إِلَى التَّنْفِيزِ، لِأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَتْ صَفْحَةُ هَذِهِ الْحَرْبِ، قَادَ أَحْمَدُ بَاشَا حَمْلَةً عَسْكَرِيَّةً عَلَى سُلَيْمٍ الْمَذْكُورِ، فَاضْطُرَّ هَذَا إِلَى أَنْ يَتَحَصَّنَ فِي قَلْعَةٍ (سَرُوجَق). وَازْأَاءَ فَرَضَ أَحْمَدُ بَاشَا الْحَصَارَ عَلَيْهِ، لَمْ يَجِدْ بَدْءًا مِنَ التَّسْلِيمِ، فَسَأَوْفَدَ ابْنَهُ إِلَى الْوَالِيِّ الْمَذْكُورِ، طَالِبًا الْعَفْوَ وَالْأَمَانَ، وَقَدْ أَمَنَهُ أَحْمَدُ بَاشَا بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمَوَاقِيقَ بِعَدَمِ الْعُودَةِ إِلَى أَعْمَالِهِ السَّابِقَةِ.

(١) كَانَ شِيرٌ بَكْ بَنَ بَكْرِ بَكِ الْبَابَانِيِّ، قَدْ عَاضَدَ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ بَاشَا فِي حَرَكَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ أَحْمَدُ بَاشَا لِلْقَضَاءِ عَلَيْهَا، اضْطُرَّ هُوَ إِلَى الْإِلْتِجَاءِ إِلَى حِصْنِ (قَمْجُوعَةٍ) الْحَصِينِ، قَرِبَ (سَرُوجَقِ)، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَصَانَتِهِ، فَإِنْ قَوَاتِهِ لَمْ تَكُ عَلَى الثَّبَاتِ إِزَاءَ هُجُومِ جَيْشِ أَحْمَدَ بَاشَا، فَاسْتَسَلِمَتْ لَهُ، أَمَّا شِيرٌ بَكٌّ فَقَدْ فَرَّ بِنَفْسِهِ بِطَرِيقَةٍ غَامِضَةٍ. وَقَدْ أُورِدَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَيْضًا الْكَرْكُوكَلِيُّ: دُوْحَةُ الْوُزَرَاءِ ص ٩٣-

وقد أرسل عبد الله بيك^(١) إلى الوالد كتاباً يُخبره بهذه القضية، فكتب له الوالد كتاباً هو إنشائي، صورته:

سلام زاه زاهر، وثناء باد باهر، على من تحلى بالصفات الجميلة، وتجلّى بالسّمات الجليّة، واتّسم بالخلال الحسنة، ووسم بالطباع المستحسنة. أكرم من في البیداء طنباً، وأفخر من جرّ في الصحراء سيباً، حائز المكارم السنية، جامع المغايم السميّة. النذب الذي لمحاسن الأفعال حاوي، الأكرم الأمجد عبد الله بيك بن شاوي، حفظه الله من طواري الزّمن، وكلاه من بوائق الميحن.

أما بعد، فقد ورد علينا كتابكم في أترك ساعة، فتأملناه فإذا هو مشحون بأنفس بضاعة، ألا وهي قضية فتح القلعة التي هي بالعصيان



مركز تحيية كميتر علوم رسيدي

(١) هو عبد الله بك بن نصيف بن شاوي، أمير قبيلة العبيد في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) ورأس أسرة آل الشاوي التي تمت بنسبها إلى فخذ آل شاهر من قبيلة العبيد. وصفه المؤرخون بأنه كان بعيد النظر، ذكياً غيوراً عربياً قحاً شجاعاً صنديداً ديناً زاهداً، وقد منحه ولاية بغداد لقب (أمير) بصفة رسمية، ثم ولاء سليمان باشا أبو ليلة منصب (باب العرب) أي أنه جعله وسيلة الحكومة للاتصال بالعشائر العربية آنذاك. ولكن سعة نفوذه، أثارت حسد عمر باشا والي بغداد، فأمر بقتله، فقتل في مكان يسمى (أم الحنطة) سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م. وساق المؤلف بعض أخباره المهمة في بغداد في كتابه الآخر، الذي عنوانه (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) ص ٨٧، وينظر الكركوكلي: دوحه الوزراء ص ١٤١-١٤٢ وياسين العمري: زبدة الآثار الجلية ص ٢٢٣، وإبراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد ص ٨٩ وغير ذلك.

<٢١٩ب> مَرْدُوغَةٌ^(١)، المشهورة المعروفة بين الناس بِقَمَجُوغَةٍ، وما وَقَعَ لأَفَنْدِينَا - حفظه الله - من الثَّباتِ العظيم، والتَّثبيتِ القويم، وأنه تَرَجَّلَ أمامَ الجُنْدِ كَاللَّيْثِ الْمُقْتَرِسِ، والهَزْبِ الْمُخْتَلِسِ، وثَبَّتَ على مَضَضِ نارِ البَنَادِقِ، وأَقَامَ تَخْفِيقَ على رأسه البَنودِ واليَّارِقِ.

وأَحْدَقَ الجُنْدَ بِالْقَلْعَةِ إِحْدَاقَ الضِّيُوفِ بِالْوَلِيمَةِ، وأَحَاطُوا بِهَا إِحَاطَةً الْمَلْهُوفِ على النَّفْلِ والغَنِيمَةِ، وتَدَرَّعُوا الحَزْمَ لا الحَدِيدَ، وحمى الوَطِيسَ على كلِّ بطلٍ صِنْدِيدٍ، فَاَرْمَغْلُوا نَحْوَهَا رِجَالاً، واشْمَعْلُوا إِلَيْهَا أَبْطالاً، فَتَسَنَّمُوا غَابِهَا، وَقَصَمُوا مُحَارِبَهَا. ولم تَرُدُّعِهِمُ البَنَادِقُ الْمُخْرِقَةُ، ولم تَمْنَعِهِمُ البَوَارِقُ الْمُقْلَقَةُ، بل حَمَلُوا عَلَيْهَا حَمْلَةَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، واحْتَمَلُوا لَدَيْهَا هَذِهِ الْأَخْطَارَ الشَّدَائِدَ، فَاَفْتَضُوا بُكَارَتَهَا، وَاَفْتَضُوا عَذَارَتَهَا. ودَخَلُوا الْمَدِينَةَ لا على حِينِ غَفَلَةٍ، وَأَيَّدُوا بِالنَّصْرِ وَالسَّكِينَةِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ. هذا وَمَوْلَانَا الْهُمَامَ، وَمَوْلَانَا الْأَنْعَامَ، وَإِمَامَ الْإِسْلَامِ، وَهُمَامَ الْإِسْلَامِ، وَمَلِكَ الْأَنْامِ، وَخَلِيفَةَ الْخُنُكَارِ فِي دَارِ السَّلَامِ، يَقْدُمُهُمْ إِقْدَامُ الْأَسَدِ الْأَشْبَالِ، وَيُثَبِّتُهُمْ على الْمُجَاهِدَةِ وَالْقِتَالِ، ولم تَرُعه حِيَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ، ولم يَرُدُّعِهِ عَاتِيَتُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ، بل كَرَّ وَفَرَّ، وَحَمَلَ فَأَفْرَ. شعراً:

يَلْقَى الرَّمَّاحُ بِنَخْرِهِ وَبِصَنْدَرِهِ وَيَقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْخَفَرِ

(١) مردوغة: موحلة.

ثابت الجأش وافر الانتعاش، ولم يزل أمام الخميس ذا رَوْغسان،
يَتَلَقَّى شَرَرَ النيران بالأبدان، حتى أظهر الله الإسلام وأعلاه، وقمع كَيْدَ
الطَّغَامِ وَأَفْنَاهُ <١٢٢٠>.

هذا وقَمْجُوغَةٌ راسِخَةٌ في التُّخُومِ، شامخة إلى النجوم، وتسَامَت
على السحاب المرتفعة بعلوِّها، يَحَارُ فيها الناظر، ويعجز عن وصول
أبراجها العُقاب الكاسِر.

هذا وإنه لما جاء خَبَرُ هذا الفتح السَّارِ، عَمَّتِ الأفراح جميع
الأقطار، وصَدَحَتْ بلابل البشائر على أفنان السُّرُورِ، وَسَجَّعَتْ عَنَادِلُ
الهنا على أغصان الحُبُورِ، فكَتْنَا في عيدٍ أعظم الأعياد، وفرح لا يَشُوبُه
أكدار ولا أنكاد. فالحمد لله الذي شَدَّ به أزار الإسلام، وأضحت بِقُدُومِهِ
عروساً مدينة السلام. فرفع أهلها أكف الدعاء والابتهال، وبَسَطُوا راحات
التضرع إلى ذي الجلال، بأن يُدِيمَ عليهم هذا الوزير حصناً للإسلام،
وكَهْفاً للأنام، ومَعْقِلاً للشريعة المحمدية، والمِلَّةَ الأحمدية، ويقصم به
ظهور المفسدين، ويروِّع به صَوْلَةُ المعتدين، ويرغم معاطيس البُغَاة،
ويكسر شوكة الطُّغَاة.

[تحرك بني لام]

وكان قبل وصول هذا الخبر المنيف، أَرْجَفَ البدو، ولا سيما بنو
لام، بعض الأراجيف مما لا يجري به لسان، ولا يَمُرُّ على أوهَمِ إنسان،
فَعَشَّ الشيطان في هامتهم وباض، وتحركت في قلوبهم غُروِق

الأمراض، ونَجَمَ نِفَاقُهُمْ، وَتَحَرَّكَ شِقَاقُهُمْ، وَرَامُوا لِإِزَالَةِ غَصَّتِهِمْ انْتِهَازَ
فُرْصَتِهِمْ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ الْمُشْنِيعَةِ، وَالطَّوِيَةِ الْخَبِيثَةِ الْفَظِيحَةِ، إِذْ جَاءَ
الْبَرِيدُ بِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْجَسِيمِ، فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُ فَسَادِهِمْ،
وَأُخْمِدَتْ نِيرَانُ عِنَادِهِمْ، وَأُطْفِئَ اللَّهُ ثَائِرَةَ شُرُورِهِمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِي
نُحُورِهِمْ، وَالْحَمْدُ <٢٢٠ب> لِلَّهِ لَا نُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، هُوَ كَمَا أَتَى عَلَى
نَفْسِهِ.

فصل

[تهنئة المؤلف بفتح قمجوة وسروجق]

وبعد أن أخذَ قَمَجُوعَةً، سَارَ إِلَى تَسْخِيرِ سَرُوجَقٍ، فَأَدْرَكَهُ الْمَرَضُ
هَنَّاكَ، وَاعْتَرَى جَمِيعَ الْعَسْكَرِ الْمَرَضُ، وَمَاتَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِعَفْوَنَةِ تِلْكَ
الْمِيَاهِ وَتَقْلُّهَا، وَعَدِمَ طَيِّبُ هَوَاءِ تِلْكَ الْأَرْضِ، فَأَرْسَلَ سَلِيمٌ وَلَدَهُ إِلَى الْوَزِيرِ
يُرِيدُ مِنْهُ الصَّلَاحَ، عَلَى أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْوَزِيرِ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً، وَيَتُوبُ عَنْ
فِعْلِهِ، فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ إِلَى ذَلِكَ، لِكَثْرَةِ مَرَضِهِ وَمَرَضِ غَالِبِ الْجُنْدِ.

وَلَمَّا بَلَّغْنَا خَبَرَ فَتْحِ قَمَجُوعَةٍ، وَذِهَابِهِ إِلَى سَرُوجَقٍ، وَمُحَاصَرَّتِهِ
سَلِيمَ، عَمِلْتُ لَهُ قَصِيدَةً تَهْنِئَةً، وَعَمَلَ أَخِي الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ كَذَلِكَ لِتَكُونَ
حَاضِرَةً عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْنَا. فَأَمَّا قَصِيدَتِي فَهِيَ هَذِهِ، ذَاتُ تَارِيخِينَ، وَاحِدٍ
لِقَمَجُوعَةٍ وَالْآخِرُ لِسَرُوجَقٍ [من البسيط]^(١):

(١) ديوان عبد الرحمن المويدي ص ٦٤-٦٧.

لَكَ الْبَشَارَةُ فَاغْنِمْ غَايَةَ الْأَمَلِ
 فَشَانَ شَأُوكَ قَدْ أَرَبَى عَلَى الْحَمَلِ
 وَالْيَوْمَ أَضْحَتْ لَكَ الْأَيَّامُ طَائِعَةً
 وَالْأَهْرُ وَأَفَاكَ مُنْقَاداً عَلَى وَجَلِ
 وَالْيَوْمَ حُزْتُ مَكَاناً لَا يَحِلُّ بِهِ
 إِلَّا الَّذِي كَانَ فَوْقَ الشَّمْسِ أَوْ زُحَلِ
 وَالْيَوْمَ نَلْتُ فَخَاراً بِأَذْخَاءَ وَعَلَا
 ءُ شَامِخاً لَمْ تَتْلُهُ الصَّيْدُ فِي الْأَزَلِ
 وَالْيَوْمَ أَفْرَدْتُ حَقّاً لَا اسْتِعَارَةَ بَلِ
 وَلَا كِنَايَةَ بِالْإِقْبَالِ وَالْقَبْلِ
 وَالْيَوْمَ قَرَّتْ عَيُونُ الدِّينِ فَسَاكَنَتْ
 بِإِئْتَامِ النَّصْرِ فَازْدَانَتْ عَلَى الْمُقْلِ
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْإِسْلَامَ فِي شُكْلِ
 مِنْ الْهَنَا وَأَخُو الْإِسْلَامِ فِي جَذَلِ
 فَابْشُرْ فَذَيْتُكَ أَنْ لَا عِزٌّ بَعْدُ وَلَا
 قَبْلُ لِمَنْ كَانَ قَبْلُ أَغْصُرَ الْأَوَّلِ
 هَلْ بَعْدَ رَدْعِكَ إِخْوَانُ الْخِلَافِ لِمَنْ
 نَاوَاكَ مِنْ شَرَفٍ بَادٍ وَمِنْ نُبْلِ
 وَهَلْ تَرَكْتَ لَوَرَادِ الْمَكَارِمِ مَنْ
 مَجْدٍ سِوَى الْآلِ أَوْ ضَخْضَاخَةِ الْوَشْلِ
 تَعُومُ فِي أَبْحَرِ بِالْمَجْدِ مُقْعَمَةً
 وَشَانُوكَ ارْتَضَوْا مِنْهُمْ بِالْبَلِّ

<٢٢١>

فَسِرْتُ وَالنَّصْرُ يَسْرِي حَيْثُ سَرْتُ وَلِئِـ

سَاقِبَالٍ جَرِيٍّ لَسَدَى حَلٍّ وَمُرْتَحَلٍ

تَوْمٌ جَيْشاً لَهُ الرَايَاتُ خَافِقَةً

كَطَائِرِ الْقَلْبِ عَنْ سُكْنَاهِ فِي شُغْلٍ

فِيَالِهِ مِنْ خَمِيسٍ جَامِعٍ أَسْدًا

تُرْدِي وَتَرْدَعُ أَسَدَ الْغَيْلِ وَالذَّغَلِ

مَنْ فُسُوقٍ مَتْنِ الْجِيَادِ الصَّافِيَّاتِ لَهُمْ

تَحْتَ الْعَجَاجَةِ طَعْنُ الْبَهْمَةِ الرَّجَلِ

فَكَمْ لَهُمْ طَعْنَةً نَجْلَاءَ غَابَ بِهَا

نَصْلُ السَّهَامِ (فَبَلَّة) الْزَيْتِ وَالْقَتْلِ

قَوْمٌ مِنَ التُّرْكِ فِي الْهَيْجَاءِ عَادَتُهُمْ

تُرْكُ الْمُضَالِمِ دَامِي الظُّهْرِ ذَا خَجَلٍ^(١)

لَا يَزْعَوُونَ وَلَمْ يَلُوءُوا أَسْبَنَّتْهُمْ^(٢)

عَنْ نَيْلٍ مَا أَمَلُوا فِي الْحَرْبِ مِنْ أَمَلٍ

بَلْ دَابُّهُمْ فِي الْوَعْصَى كَسَرٌ يَقْسِرُ

مَنْ الْوَرَى كُلَّ ذِي صَمَامَةٍ بَطْلٍ

وَلَيْسَ يُلْهِهِمْ عَنْ خَصْمِهِمْ سَلْبٌ

بَلْ دَابُّهُمْ طَلَبُ أَنْفَاسِ ذِي نَكَلٍ

(١) بالأصل: ذِي خَجَلٍ، والصواب ما أثبتناه، منصوبة على الحال.

(٢) بالأصل: وَلَا يَلُوءُوا، ويجب إثبات النون، وما أثبتناه أولى بالصواب.

كَانَهُمْ وَإِلَهُ الْعَرْشِ يَكْلُوهُمْ
 مَلَائِكَةُ جِنَّةٍ هَذَا الْحَيْنِ بِالْأَجْلِ
 فَقَدَّتْهُمْ جَحْفَلًا سَالَتْ بِمَدْرَسِهِ
 أَبَاطِحُ الْكُرْدِ ذَاتِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 وَرُمْتَ حِصْنِي بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ لَمَّا
 عَصَوْكَ وَاسْتَعْصَمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ
 فَلَمْ تُفِدْهُمْ غَدَاةَ الرُّوعِ كَثَرَتِهِمْ
 مَذْأَبُ الرُّوعِ مَخْلُوعًا مِنَ الْوَجَلِ^(١)
 بَلْ اهْرَعُوا هَرَبًا نَحْوَ الْحَصُونِ لَكِي
 يَنْجُوا بِهِنَّ حِذَارِ السَّيْفِ وَالْأَسَلِ
 وَظَنَّ زَعْمًا بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ بِأَنْ
 يَنْجُوا (بِقَمْجُوعَةٍ) مِنْ حَادِثِ جَلَلِ
 إِذْ حَصَّنَهَا مُحْكَمُ الْبُنْيَانِ مُرْتَفِعُ الْـ
 أَرْكَانِ شَاهِقٍ أَرَبَى فَوْقَ كُلِّ عَلِيٍّ
 خَرَقَاءُ رَامِيخَةٍ فِي الْأَرْضِ شَامِيخَةٍ
 فِي الْجَوِّ، نَاجَمَتِ الْعَيَاقُ فِي الْحَمَلِ
 كَانَهَا الْبُرْجُ إِذْ حَقَّتْ بِهَا شَهْبَةٌ
 تَرْمِي بِذِي ذَنْبٍ كَالْقَصْرِ فِي الْمَثَلِ
 قَدْ أَصْبَحَتْ وَهِيَ فِي سَوَرَيْنِ مُحَدَّقَةٍ
 أَقْوَاهُمَا الْبُنْدُوقُ النَّارِيَّ ذُو الشُّعْلِ

(١) الروع: بفتح الراء، الرعب والخوف، وبضم الراء: النفس والقلب.

فَعَالَجَتْهَا جَنُودُ اللَّهِ بِقُدُمِهَا
 لَيْثُ الْعَرِينِ فَوَافَوْهَا عَلَى عَجَلٍ
 وَأُمُّهَا اللَّيْثُ وَالْأَشْبَالُ تَتَّبَعُهُ
 وَافْتَضَّهَا غَيْرُ هَيَابٍ وَلَا نَكَلٍ
 <٢٢١ب>

وَقَدْ شَدَا السَّيْفُ فِي السَّهَامَاتِ مِنْ طَرَبٍ
 وَاللَّدُنْ يَرْقُصُ فَوْقَ الظُّهْرِ مِنْ جَذَلٍ
 وَالنَّبْلُ رَنَّمَ تَرْنِيمَ الْمَشُوقِ إِلَى الْـ
 أَوْطَانِ وَالطُّوبَى أَمْسَى وَهُوَ فِي زَجَلٍ
 وَشَارَ (شِير) عَلَى أَعْوَانٍ نَجَدْتَسِهِ
 بَأَن نَعَجَلُ سَسِيرًا لَا عِلْسِي مَهْلٍ
 فَلَيْسَ يَجْدِي إِذْنٌ غَيْرَ الْفِرَارِ فَمَا
 لَجُنْدِ أَحْمَدَ فِي ذَا الْيَوْمِ مِنْ قَيْلٍ
 وَلَمْ يَزِدْهُمْ سِوَى ضَرْبٍ يَبِيدُ وَفِي الْـ
 تَارِيخِ (قَدْ زَادَ شِيرًا حِينَ الْأَجَلِ)
 ١١٦٠هـ

يَا يَوْمَ قَمْجُوغَةَ أَنْسَيْتَ مَا سَلَفَتْ
 مِنَ الْفَتْوحِ الْأَلَى فِي الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
 قَدْ شَيَّدَ اللَّهُ رُكْنَ الدِّينِ فِيكَ كَمَا
 أَوْ هِيَ مَعَالِقُ أَهْلِ النُّوْكِ وَالنُّكَسَلِ
 وَقَدْ عَلَتْ شَوْكَةُ الْإِسْلَامِ إِذْ خُفِضَتْ
 قَمْجُوغَةَ بِأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْخَبَلِ

أُمسِتَ خِلاءَ بَقِيدِ الْأَسِيرِ مُتَقَلَّةً

(١).....

وَالْعِزَّ فَارَقَهَا وَالذِّلَّ قَارَنَهَا

وَالْبُؤْسَ يَنْدِبُ فَوْقَ الرَّسْمِ وَالطَّلِيلَ

فَقُمْتُ عَنْهَا قِيَامَ اللَّيْلِ عَنْ رِشَاءٍ

لَمْ تَبْقَ فِيهَا لِمَنْ يَتْلُوكَ مِنْ أَكُلِ

وَسِيرَتِ وَالسَّعْدُ حَفَّ الْجَنْدُ فِي ظَفَرِ

وَزَفَّكَ النَّجْحُ وَالْإِقْبَالُ فَمِی رَسُولِ

وَأَنْتَ تَرَقَّلُ فِي ثَوْبَيْنِ قَدْ نَسِجَا

مِمَّا بَيَّنَّ دَفَّتِي الْإِقْبَالُ وَالْقَبِيلُ

تَبَغْيِي (سَرُوجِق) إِذْ كَانَتْ شَقِيقَتَهَا

فِي الْبَغْيِ وَالْجَوْرِ فِي فِعْلٍ وَفِي عَمَلٍ

أَخْتَانُ قَدْ رَضَعَا الْعَصِيَّانِ فِي نَهْلٍ

وَعُذِّيَا بِلَبَّانِ الظُّلُمِ فِي عَلَلٍ

وَقَدْ تَحَصَّنَ فِيهَا خَوْفُ صَوْلَتِكُمْ

(سَلِيم) إِذْ لَمْ يَزَلْ مِنْكُمْ عَلَى وَجَلٍ

عَضُدُ الْخَوَارِجِ بِلِ سَاقٍ لَشَوَّكَتَهَا

رَأْسُ الْخِلَافِ قِوَامُ الْبَغْيِ وَالْجَدَلِ

لَقَدْ أَدْبَقَتْ بِمَاءِ الْغَدْرِ طِينَتُهُ

مَنْ أَنْ خَلَقْتَهُ وَالْمَكْرَ وَالْحِيلَ

(١) لم يرد هذا الشطر في الأصل، وأثبتناه من الديوان.

يا ويحه أين ينجو من مصادمة السـ

مغوار في كل هادي لبدة خدل^(١)

وهل (مـروجق) تتجيه معاقلها

وعزم أحمد يوهي الصخر في القل

وهل يظن بأن ينجو بمعاقلها

من صولة الليث أو من جولة البطل

كلا فلم ينج من ليث العرين ولو

قد غاب في سرب في الأرض أو دخل

<٢٢٢>

واما قصيدة أخي فهي: [من الطويل]

لك البشر إذ وافتاك نصر مؤيد	وقارنه بالسعد فتح مخلص
فبشرى بفتح عثا البشر والها	به فغدا مما يجلس ويحمس
وما هو إلا فتح فمجوغة التي	علا حصنها فوق السماك مشيد
مسورة الأرجاء شاهقة الذرى	ممنعة عمن يسروم ويقصد
لقد ظننت الأعداء أن سموها	يدافع سطو الليث عنها ويطرده
وظن بنو ماء السماء بزعمهم	بأنك تشيك القنا والمهند
وما علموا أن الوزير إذا بدا	لهيبته الطود المشيد يسجد
وقد جهلوا أن الهزبر إذا سطا	تخر له الأبطال خوفا وترعد
فما قتلهم إلا كطريقة مقلبة	لديك إذا البيض الصفاح تجرد

(١) في حاشية الديوان الخدل: الممتلى الضخم.

وما فتَّخَكَ الْأَمْصَارَ إِلَّا مَجِيَّةً فإنتَ عَلَى قَهْرِ الْعَدُوِّ مُعَوِّدٌ
وما شِيرَ إِلَّا شِيرُ فِي حَفِّ حَصْنِهِ يدافع عنه من له فيه مَقْصِدٌ
ولما أتى بَذْرُ الْعَلَا نَجْمَهُ هَسَوَى فطالعه نَحْسٌ إِذِ الْبَدْرِ أَسْعَدُ
وأصبح مهزوماً وَقَرُّ وإِنَّهُ من الرعبِ في قَيْدِ الْفِرَارِ مَقِيدٌ
سَرَيْتَ إِلَيْهِمْ فِي أَسُودِ تَقَلُّدُوا صِفَاحاً وَمِنْ سُمْرِ الْقَنَا قَدْ تَزَوَّدُوا
كِرَامَ مَصَالِيَتٍ شِدَادِ ضَرَاغِمِ لَقَتِ الْعِدَا فِي الْحَرْبِ قَهْرًا تَعَوَّدُوا
يَرُونَ صَلِيلَ السَّيْفِ أَحْسَنَ نَغْمَةٍ لَهُمْ وَطَنَيْنِ الرَّمَحِ صَوْتُ يُغَرِّدُ
وَرَنَةَ قَوْسِ النَّبْلِ الْطَفِّ مُطَرِبِ يناديهم طَوْرًا وَطَوْرًا يُرَدِّدُ

<٢٢٢ب>

إِذَا نَزَلُوا حَرْبًا يَوْدُ عَدُوَّهُمْ تُسَوَّى بِهِ الْغَبْرَاءُ خَسْفًا وَيُفْقَدُ
هَمُّ الْأَسَدِ لَوْلَا بِيضُهُمْ فَرَمَاحُهُمْ وَأَنَّهُم الْأَطْوَادُ لَوْلَا التَّمَوْدُ
قَدْ اتَّخَذُوا قَتْلَ الْعَصَاةِ تَعَبُّدًا فَبَشِّرْ لِهِمْ فِيهِ وَنِعْمَ التَّعَبُّدُ
بِنُجْدَةِ طَوْدِ الْمَجْدِ أَحْمَدُ اسْتَعْدُوا وَبِالْحَزَمِ مِنْهُ وَالشَّجَاعَةُ أُيَّدُوا
سَرَيْتَ بِهِمِ وَالنَّصْرَ أَرْخَى سُدُولُهُ عَلَيْكَ بِذَا رَبِّ السُّورِ لَكَ مَنْجَدُ
سَرَيْتَ إِلَى قَمْجُوغَةٍ فَفَتَحَتْهَا وَأَوْقَعْتَ قَتْلًا بِالَّذِي كَانَ يُقْسِدُ
وَأَيْتَمَّتْ أَطْفَالًا وَأَيْتَمَّتْ نِسْوَةٌ وَدَمَّرْتَ أَبْطَالَاً فَهَمُّ مِنْكَ سُجْدُ
وَقَرَيْتَ وَحُشَّ الطَّيْرِ وَالطَّيْرِ مِنْهُمْ فَكُلُّهُمْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَيَحْمِيدُ
لَقَدْ نَلَتْهَا بِالسَّيْفِ فَاِبْشِيرْ بِأَخْتِهَا فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَتْلِحِ سُمْرِكَ مُسْنَدُ
فَلَوْ رُمَتْ كُلُّ الْأَرْضِ قَهْرًا فَتَحَتْهَا فَإِنَّكَ بِالنَّصْرِ الْمُؤَيَّدِ مُوَعَّدُ
وَإِنَّكَ فِي الْخَضِرَاءِ مَلِكٌ مُؤَيَّدُ وَإِنَّكَ فِي الْغَبْرَاءِ قَيْلٌ مُسَهَّدُ
وَطَالَعُ مَنْ عَادَاكَ نَحْسٌ وَذُلَّةُ وَطَالَعُ مَنْ وَالَاكَ سَعْدٌ وَسُودُّدُ

وفتحك محمود وإنك أحمد
 وبأنت بذا الفتح البسيطة إذ غنت
 وسرت به الخضراء فالنجم راقص
 وبغداد عمت بالسرور كأنه
 وعم جميع العالمين سروره
 ودولة صيد آل عثمان أيدت
 وذلك إذ لم تحكه فتح عكة
 ولا فتح ما نباعت^(١) عمورية ولا
 فطالعه في قنة السعد طالع
 وإنك بالمجد المؤئل مفرد
 عليها مصابيح السهنا تتوقد
 وبدر الدجى بالسعد يشدو ويُنشد
 إلى شهما ذا الفخر يسدى ويسند
 وحل بهم فيه أمان مؤبد
 بأحمد فيه فهو فيها مؤيد
 ولا سائر الأمصار إذ هو أحمد
 برلغاد^(٢) إذ ذا الفتح أسنى وأجد
 وذابحه فوق المجرة مصعد

<٢٢٣>

ومصباحه لا انفك بالعز ساطع
 وشيدت ركن العدل والأمن للورى
 واغلقت باب الشر بالخير مذللتها
 واطفأت في ذا الفتح نار الذين هم
 لقد نلتها قهراً لكل معانيد
 ونلت اختها الكبرى سر وجق طاعة
 لما قد رأوا ما قد فعلت بأختها
 وقد علموا أن ليس يغني قتالهم
 ونيراسه لا زال بالنصر يؤقد
 بهتك ما فيها من الجور شيدوا
 فتحت ففيتها زال ما كان يوجد
 على ظلم أهل الأرض بغياً تعوّدوا
 وأوليتها رغباً لمن لك يحسد
 وأربابها قد سلموا لسك واهتدوا
 وما حل في حال الذين تمرّدوا
 وليس لها عن فتح عزمك مسند

(١) كذا هي في الأصل، وفي ب: ما شاعت.

(٢) كذا في الأصل، وفي ب: بزلنادا ولعلها: بلغراد.

[وفاة الوزير أحمد باشا]

ولكن الوزير لما بلغ بِسَيره راجعاً إلى بغداد، أرض كُبرى عباس^(١)، تَوَقَّاه الله برحمته، وأسكنه بَخْبُوحة جَنَّتِه، فأدمى بوفاته جروحاً لا تَلْتَمُ فُطُورها، وأماتَ بموته قُلُوباً لا يَرْجى نُشورها. فبِا لها من مَصِيبَةٍ عَمَّتْ وَخَصَّصَتْ، وكَدَّرَتْ على الرُّعية وَنَغَّصَتْ، وَفَتَحَتْ للأحزان أبواباً، وصارت بين الرُّعية والسلوان حِجاباً، فقد وَجَبَ أن نَتَجَرَّعَ لِفَقْدِهِ كاساً من الحزن صِبرَفاً، وَنَعْتَبَ على الدهر فلا نَقْبِلُ منه عَذْلاً ولا صَرَفَفاً، فلقد أخذ من كان مُحْتَشِماً في المجالس فلم يُوقَفْ منه على زَلٍّ، ومُحْتَمِلاً للمصاعب فلم يَبْتَ منها على وَجَلٍّ.

فبِا لَهْجاءه على بغداد، ووالسقاء على فَقْدِهِ، وما أعظم المصيبة فيمن كان سَيِّقاً للدولة العثمانية فانتَلَمَ، وَرُكَّناً من أركان الصُّولة الخاقانية فانْهَدَمَ، وبِدرأ استنضاء المؤمنون بنور هِدايَتِهِ، فَتَبَدَّرَ كُسُوفاً، وَسَمَاءٌ فَزَعُ الْمُخالِفون من عاديَتِهِ، فَتَجَرَّعَ حَتُوفاً، وَغَرِيباً في شِجاعتِهِ، فماتَ غَرِيباً ومُتَعَصِّباً <٢٢٣ب> في ولائِهِ وولايَتِهِ، فلاقى يوماً عَصِيباً، فقد نَقَّلَهُ الله إلى جِوارِهِ، واختار له الدار الآخرة فيطْهَرُهُ من أوزارِهِ، فمَضَى وطَعَمَ الموت في فَمِهِ أحلى من الشَّهْدِ مَذاقاً، ورأى إنفاقَ عُمَرِهِ في طاعة مولاِهِ نفاقاً، واعتَدَ ورودَ المَنِيِّ في ابتِغاءِ مَرْضاتِهِ عِزّاً، وبلوغَ الأُمْنِيَةِ في مخالفتِهِ أمرَهُ عَجْزاً، فَلَقِيَ الحِمامَ بِعِزِّهِ غيرَ مُنْتَشِرٍ، وَجَأَشَ غيرَ مُنْكَسِرٍ،

(١) بلدة من أعمال الخالص، وتعد ادارياً ناحية من نواحيها، وتسمى اليوم (ناحية المنصورية).

وعقيدة بحسن الموالاة معقودة، وسريرة في ذات الله محمودة، ففارق دُنياه
مُستاقاً إلى ربّه، لما تحقّق في عَقْباه من السعادة في قُربه، وبإذلاً روحه
في الخِدمة ليؤدي بها حقوق النعمة، وساعياً في مصالح الدين، سعي
الناصح الأمين، فرَضِي الله عنه رضا يُعلَى درَجته، ويُقَبَل منه حُجَّته،
وغفّر له مغفيرة يُسكِّنه بها جنّاته، ويرفع فيها مكانه، ورَحِمه رَحمة بَقْدُس
بها روحه، ويُفَسِّح عليه ضريحه، آمين.

فغُسِلَ وكُفِّنَ، وجيء به إلى قَصْبَةِ سيدنا الإمام الأعظم نعمان بن
ثابت - رضي الله عنه - فقُبِرَ قُرْبَ مَرَقَدِ أبيه - رحمهما الله رحمة الأبرار،
وأُسْكِنَهما الجنة دار القرار - وذلك يوم الجمعة قبل الظهر، من شَوَّال هذه
السنة^(١)، فرثيته مؤرخاً بقولي [من المتقارب]:

إلى الله أشكو مُصابَ السورى فزَئِدَ النُّوابِ فيهم ورى
وقد حلَّ خطباً جسيماً عَظيماً يَزَعُزَعُ رَضوى ويُوهِى جرى
فيا دهرُ قد نلتَ ما تَرتَجى ظفرت - لعمري - بكنز السورى
فعَهْدِي وقد كنتَ من حَشْدِهِ فِيمُ العُقُوقُ وماذا جَـرى؟
وكيفَ لكَ الويلُ حَجَرْتَهُ وقد كان يَنْهَرُ من حَجْدِرا
وقد كانَ في الأَمْسِ ذا قوّةٍ مُقاوِمُ تَهْلانِ بِل عَسْكَرا

<٢٢٤>

(١) توفي في اليوم الرابع عشر من شوال، ويوافق ١٨ تشرين الأول سنة ١٧٤٧م،
ودفن في اليوم التالي، وعين الحاج وليد الأعظمي مكان دفنه بأنه "في الممر
المؤدي من رواق المسجد إلى حجرة ضريح الإمام الأعظم" (أعيان الزمان
وجيران النعمان في مقبرة الخيزران ص ٩١).

عليه تَشَحَّبَ وجهه الغلا
فحق علينا نَشُقُّ القلوب
فقد قَبَحَ الصبر والإتساء
ويا عين إن غاضَ بحرُ الدموع
ويا مُهْجَةَ القلبِ ذُوبِي أَسَى
ويا ظُلْمَةَ الليلِ لا تَبْرَحِي
فمن ذا يُخْبِرُ عَنِّي جَرِيرًا
بأن القريضَ وهي سُوقَه
وإن المديحَ غدا كاسِداً
وإن البيسانَ عَفَت دَارَه
فقد ماتَ من كان يُوَوِّي النظامَ
وغُيِّبَ من كان يُولِي البايغَ
فقوما لِنَنعِساهِ فِي مِنى
بأن الكريمَ أخا حاتمِ
وتاج الملوكِ أبَا عادِلِ
ونادته طُوبى إلى وصلها
وعانقَ في الخلدِ حُور الجنانِ
ونال من الله احسانه
فما صارَ حقاً إلى حُفْرَةٍ
ولكنه مُنْذُ تاريخه

وعَيْنُ المراتِبِ لَن تُبْصِرَا
مكانَ الجُيُوبِ وأنْ نَضْجِرَا
ومن ذا يُطِيقُ لأنْ يَصْبِرَا
فسيحِّي عليه دَمًا أحْمَرَا
ويا قلبُ قد آن أن تَفْطِرَا
فقد غُيِّبَ الفَجْرُ تحتِ الثرى
ويُنْبئُ الفَرَزْدَقُ والشُّنْفَرِي
فليس يُبَاعَ ولا يُشْتَرَى
فلن يُنْظَمَ اليَوْمَ أو يُنْثَرَا
وبابَ البلاغةِ قد سُكِرَا
ويَهْوَى المديحَ ولن يَضْجُرَا
مكانَ مدائحهِ الجَوْهَرَا
وعبسَ ونَبَكِيهَ فِي حُمَيْرَا
وعنْثَرَةَ الحَرْبِ والأجْسَرَا
دَعَتْهُ المَنُونُ فلنْ يُذْبِرَا
فلبى النِّدَا وإليها سَرَى
وبالمكرَماتِ لَقَدْ بُشِّرَا
وخيرَ الجزاءِ وحُسنَ القِرَى
ولا حِلَّ فِيهَا ولا أَقْسَرَا
إلى رَحْمَةِ الله قد صُورَا

<٢٢٥> ورثاه أخى الشيخ محمد سعيد مؤرخاً بقوله [من الكامل]:

يا دهرُ حَسْبَكَ من عَظِيمِ المَكْرِ	ومن الرزايَا في شَدِيدِ الضَّرِّ
ما قد غَدَرْتَ بنا بِفَقْدِ ما يَكُنَا	يكفيناك ما نِلناه في ذا الغَدْرِ
فالمجدُ أَمسى بَعْدَ أَحمدَ كَأَمْنًا	في التُّربِ لِمَ نَسْمَعُ له ذِكرَ
والجودُ غُيِّبَ في جِوانِبِ لَحْدِهِ	وكذا الشجاعةُ في زوايا القَبْرِ
والعدلُ كَفَّنَ مَعَهُ في أَكفانِهِ	والفضلُ مَعَهُ مَخْتَفٍ في الأَزْرِ
ماتَ المِسخاءُ بِمَوْتِهِ وَفَتَتْ بِهِ	العلواءُ واندَرسَت رِبعَ الخَيرِ
وَتَكَدَّرَتْ لُجَجُ الفُضائلِ بَعْدَهُ	ويذُ العَلَى من بَعْدِهِ في صَيفِ
حَقٍّ على أَهلِ البِلادِ وراكِبِي	السَّبعِ البِجارِ وَمَن يَقرعُ البَحرَ
أَن يَسْكُبوا ماءَ العِيونِ وَيُكَثِّروا	ما قَلَّ مِنْهُ بِالدِّماءِ الحُمَرِ
أَسَفًا على حاميِ حِمَى الإسلامِ مِن	أهلِ الفِسادِ وَمَن جَنودِ الكُفرِ
وعلى المَعالي أَن تَشُقَّ جِيوبُها	حَزْنًا على المَولى الرَفيعِ القَدْرِ
قَد كانَ ماوَى للعَفاءِ وَمَلجأً	لِلْمُسْتَغِيثِ وَكَاشَفًا لِلضُّرِّ
فعلِيةُ يُثْنِي كلَّ صاحِبِ نِعمَةٍ	وعليه يَبْكي كلُّ مَن في عُسَرِ
أَلَيْتُ لا أَثْنِي على مَلِكٍ أَتى	بِعدِ الوَزيزِ وَلِم أَفْهَ من شِعَرِ
إِذ لا أَرى شِيبًا لَه كِلا ولا	يَحلُو سِواءَ دائِمًا من مِصرِ
بل أَنظِمُ الأَشجانَ في قَلْبِي وَمَن	دَمَعِي أَجودُ لَه بِقِنَاصِ النَثرِ
وأودُّ لو كُنْتُ الفِداءَ مَكانَهُ	والعَبْدُ لا يُجْزِي مَكانَ الحُرِّ
يا قَلْبُ صَبِرًا لا تُؤمِلُ راحَةً	إِنَّ الزَمانَ مُولِعٌ بِـالغَدْرِ
أَشكو إلى اللهِ القَدِيرِ زَمانَنا	قَد خانَنا في كَشفِ هذا البَدْرِ
فلقد أَخلَ بنا بِتَاريخِ الرُدى	ولقد رَمانا في العَناءِ والضَّيرِ

وأصابَ منا في الوفاة برميهِ
وعنا فامضى حكمه في أحمدٍ
تبّاً لجورك يا زمانُ عليه مُذ
ما كان ضرك لو مَنّنتَ على الورى
أترى هل استحييتَ منه حينَ ما
كيفَ استطعتَ إلى الهجومِ عليه أم
بإله فافعل ما استطعتَ من الردى
قد مات من كان الحدا عليه من
ولقد تُوقى من يؤمل في الردى
ولقد مضى خلفَ الكرامِ ومجدهم
حاوي الفضائل تاج أربابِ النبى
حامي الذمارِ ملاذ من يشكو الودى
بحرُ الندى كهف الورى بذر العُلا
قد حل في حصنِ الحفيظ وجرزِه
وحظي بما بهوى لدى رب الورى
فعليه رحمةُ ربّه تتلى إلى
ولدى الجزاءِ من الكريمِ مؤرخاً

ما رام فأنهدمت مباني الظُهر
ورمى فأشعل ناره في صدري
غُيبتَ طلعةُ مجده في القبر
فمنحته طويلاً لقصر العُمر
قابلتَ بغياً عدلّه بالجور
كيفَ افترتَ على نفاذِ الأمر
من بعده ومن الأذى والشُر
أسبابِ رزئِكَ والعنا والمُكر
ومزيل عسر أمورنا باليسر
رب الشجاعة والندى والبر
طوق الجلالة والعلى والفخر
من جائرٍ أو حادثٍ أو فقر
ليث الوغى مجلى الأذى والضُر
يُجلى عليه من نور البشر
وحبّاه مولاة جزيل الأجر
وقت النُشورِ وبعد يوم الحُشر
وماواه عدن لاحقاً بالخير

خاتمة

مات - رحمه الله - عن بنتين تقدم ذكرهما، وعن جنين جاءت به أمه بعد موته بأيام، فسُمي أحمد، رجاء أن يخلف أباه في سيرته الحمسة، وأخلاقه المستحسنة <٢٢٦>، والله أسأل أن يحقق ذلك.

ثم اعلم أيها الناظر، أن ما ذكرته هو عشر عشر الثمن من شمائل هذين الوزيرين، وفضائل هذين الهمامين الكبيرين، وإلا فلو جمعت قراطيس الدنيا لم أطق أحوز نصف شمائلهما، ولا ثلث خصالهما، ولا كل غزواتهما، وجل سريّاتهما، ولكن ما ذكرته هو كأنة مصدر، ونفثة مقهور، حيث شاهدنا العراق بعدهما ذهب أمانه، واندرست من الهناء ربوعه وأوطانه، ويغنيك عن الاستشهاد، ما قدّمناه في الاستطراد، فرحمهما الله رحمة تدفقت حياضها، وتأنقت رياضها، آمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهارس الكتاب

- ١- فهرس الأعلام
- ٢- فهرس الأمكنة والمواقع
- ٣- فهرس الأسر والقبائل
- ٤- فهرس بالمصطلحات والألفاظ
- ٥- فهرس الموضوعات

مركز بحوث ودراسات إسلامية

فهرس الأعلام

- ٤٠٤ إبراهيم آغا بن مصطفى الجليلي
 ٥٣٨ إبراهيم البخاري
 ٤١٥ إبراهيم باشا القبدان
 ٤٠٦ إبراهيم باشا، والي بغداد
 ٣٣٧ إبراهيم متفرقة
 ٤٩ إشير مصطفى، الصدر الأعظم
 ١٦٠، ١٦١ أبو بكر الصديق
 ٢٠٣ أبو تمام
 ٥٣٤ أبو زر بك
 ٤٢٥ أبو سوده، من أكابر ربيعة
 ١٩٦ أحمد أبو السعود العمادي، شيخ
 الإسلام
 ٥٨٤ أحمد آغا
 ٥٣٧ أحمد أفندي المفتي بأردلان
 ٣١٢ أحمد الثالث، السلطان
 ٥٣ أحمد الثاني، السلطان
 ٢٩٨ أحمد الرفاعي
 ٤٩١ أحمد باشا الحلبي، محافظ كركوك
 ٥٨٩، ٤١٠ أحمد باشا الكسريه لي، والي بغداد
 ٣٤٠ أحمد باشا حمال أوغلي
 ٣، ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ أحمد باشا والي بغداد

١٧، ٢١، ٢٣، ١٤١، ٢١٢،
 ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٦،
 ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦٨، ٢٧٣،
 ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤،
 ٢٩٧، ٣١٢، ٣١٨، ٣٢٠،
 ٣٣١، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٤،
 ٣٥٥، ٣٧٤، ٣٨٣، ٣٩٣،
 ٤٠٣، ٤١٤، ٤٥٥، ٥٠٦،
 ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٦، ٥٢٧،
 ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٤٨،
 ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٦، ٦٠٤

٦٠٩

٤٣٥

٥٢

٦٧

٥٣٧

٢١٧

٥٤٥، ٥٤١

٤٠٤، ٣٨٧

٧، ٢٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠،

٢٩٨

٥٣٦

٥٣٦

أحمد بن أحمد باشا

أحمد بن حسن الجابري

أحمد عبد الرحيم مصطفى

أحمد عثمان أبو بكر

إبريس الأفغاني الأبدالي

أسماء بنت عبد الله العذرية

إسماعيل الصفوي

إسماعيل باشا، والي بغداد

أشرف خان الأفغاني

آقا حسين، مفتي الركاب

آقا شريف مفتي مشهد الرضا

٥٣٨	أمید صدور البخاري
٥٣٧	أمين الأفغاني الغلجائي بن ملا
	سليمان
٤٩٣	أنستاس ماري الكرملی
٥٩٠	أنور المائي
٤٨٢	أوتر، السائح
٤٠٣، ١٢٣	أورخان، السلطان
٢٥٩	أولجايتو خان محمد خداينده
٤٨٤	أولسون
١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٢	أويس الأفغاني
٤٢٥	ابن حجر العسقلاني
٥٤٦، ٥٣٤	اعتماد الدولة
٣٦٧	بابا خان جابشلو، أمير لورستان
٥٣٨	بادشاه مير خواجه البخاري
٨١	بج، والس
٥٤	بشير فرنسيس
٤٠٣، ١٢٢	بكتاش بن إبراهيم الخراساني،
	مؤسس الطريقة البكتاشية
٥٨٠، ٢٧٣	بكر الحمام، من شيوخ شمر
١٥١، ١٣٧، ١٣٦	بكر بيك بن الفقيه أحمد الباباني
١١٥	بكنكهام
٢٥٩	بنيامين التطيلي
٥٣٧	بهاء الدين المفتي بكرمان

٥٩٠	بهرام باشا الثاني بن زبير آغا
	العباسي، أمير العمادية
٢٥٤	بهرام جوبين
٨١	بيدرو تكسيرا، الرحالة
٤٨٠	نقي الدين ابن حجة الحموي
٣٨٣	تيمور باشا
٢٠٨، ٢٠٢، ١٩٠	تيمور، متمرّد
٤٧٦	تيمورلنك
٤٦٤	ثامر بن سعدون، أمير المنتفق
٢٩٩	جاسم حسن شبر
٥٢٧، ٨١	جعفر آل محبوبة
٢٣٧	جعفر خياط
٥٩	جلال الدين الرومي
٤٤	جودت باشا
٤٩٤	حسن أفندي بن رضا الكركوكلي
٨٨	حسن العسكري
٤٩٧	حسن النقيب الأعرجي الموصلّي
٣، ٦، ٩، ١٠، ١٤، ١٧، ١٨،	حسن باشا والي بغداد
١٩، ٢١، ٤١، ١٣٦، ١٤٣،	
١٤٥، ١٧٠، ١٧١، ١٨٨،	
٢١٢، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٥،	
٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٦، ٣٨٩،	
٤٠٥، ٤٣١، ٥٠٦،	

١٣٠، ١٢١	حسن باشا والي كوتاهية
٥٣٢	حسن خان، معيار الممالك
١٧٢، ١٤٥	حسين الأول بن صفي سليمان بن
	عباس الثاني الصفوي، الشاه
٥٣٧	حسين المفتي بأورمية
٥١٥، ٥٠٤، ٤٨٤	حسين باشا الجليلي
٥١٧، ٤٩٦	حسين باشا القازوقجي
٤٩١	حسين باشا حمال أوغلي
٨١	حسين بن علي العشاري، الشاعر
١٥٥، ١٧٤، ١٩٢، ٢٠٢	حسين بن عمر الراوي
٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٧٠	
٢٧١، ٢٧٤، ٣٠٦، ٣٠٨	
٣٩٦	حسين بن مير رشيد المرتضوي
٤٦٩، ٢٢٢	حسين بيك بن محمد باشا
٤٨	حسين مجيب المصري
٥٣٧	حمزة الغلجائي الحنفي، مفتي
	الأفغان
٥٣٥	حمزة، ملا، مفتي الأفغان
٩١، ٨٨	حمود الساعدي
٤٣٥	حميد حمد السعدون
٨٤	حميد حمد السعدون
١٣٩	حيدر بن أحمد، الملا
١٨٠	حيدر بن جنيد

١٣٩	حيدر بن محمد، الملا
٣٨٨	خالد النقشبندی
٣٨٨	خالد بن عبد الله الأزهری
٣، ٦، ٩، ١٤، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٩٢	خديجة خانم بنت قره مصطفى باشا
١٤٣	خليل باشا الألباني
٩٥	خليل باشا والي البصرة
٤٩٢	خليل بن علي البصري
٥٩	داود باشا، والي بغداد
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٩٥	دندل
٥٦	دوزي
٣٥٦	راغب أفندي، الدفتردار
١٢١	رجب باشا والي ديار بكر
٤١٠، ٤٠٩	رجب باشا، والي بغداد
٥٥٤	رستم آغا، كتخدا سليمان باشا
٤١	رستم بن دستان
٢١، ١٧٧، ٣٣٠	رسول حاوي الكركوكلي
٤٧٧	زامباور
١٦٨، ١٦٩، ٤٧٦	زبيدة زوج الرشيد
١٦٩	زمرّد خاتون زوج المستضيئ
٣٢٩	سحبان بن زفر الوائلي
٥٠٠	سحبان بن وائل
٤١٤	سعاد هادي العمري

٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦	سعدون بن محمد بن مانع بن شبيب
٤٧٣	سعد بن أحمد الموصلي
٢٠٦ ، ٤٨٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧	سعيد الديوه جي
٢٣٠	سلمان البصري، الملا
٧٨	سلمان الفارسي، الصحابي
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣	سلمان بن عباس الخزعلي
٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٨	
١١٣ ، ١٥٢	
١٥	سليم أفندي
٥٦	سليم النعيمي
٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٥	سليم باشا بن بكر بك الباباني
٨١ ، ١١٥	سليم طه التكريتي
٥٣	سليمان الثاني، السلطان
٢٣	سليمان السويدي
٤٠٥	سليمان القانوني، السلطان
٢٧٥ ، ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٦	سليمان الكردي، المنلا
١٥ ، ٢٣٩ ، ٣٣٠ ، ٣٩٠ ، ٤٠٩	سليمان باشا أبو ليلة والي بغداد
٤١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٤١	
٤٤٤ ، ٤٨٠ ، ٥٢٦	
٢٣ ، ٤٦٤	سليمان باشا الكبير والي بغداد
٣١٥	سليمان عزي شمعداني زاده
٢١ ، ٢٠٧	سليمان فائق
٥٤٣	سليمان هادي آل طعمة

١١٠	سيف الدولة صدقة بن منصور
	الأسدي
٣٢٨ ، ٢٦٤	سيف بن ذي يزن
٤٣٩	شاوي بن نصيف بن شاهر، جد آل
	الشاوي
٣٠٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢	شيلي
١٠٩	شبيب شيخ القشعم
٤٢٨	شبيب، جد آل السعدون
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣	شبيب
٣٩٥ ، ٣٠٥	
١٣٦	شرفخان البديسي
٣٦١	شمس الدين سامي
٥٩١	شير بك بن بكر بك الباباني
٥٣٧	صادق المفتي بجام
٣٤٠	صاري مصطفى باشا
٤٩٧	صبغة الله الحيدري
٢٢٢ ، ٢٥	صفاء خلوصي، الدكتور
٨١	صفي، الشاه
٢٢٢ ، ٢١١ ، ٣	صفية خانم بنت حسن باشا
٤٤٠	صقر بن حمود، من قشعم
٣٢٨	صهبان بن سعد بن مالك
١٠٨	طارق الحمداني، الدكتور
٥٣٧	طالب المفتي بمارندران

- ٤٩٥ طه الكردي الباليستاني، الرحالة
١٢، ٢٤١، ٣١٠، ٣١٧، ٣٣٦، طهماسب مبرز
٣٦٨، ٣٣٧
١٤، ٥٨٤ عائشة خانم بنت أحمد باشا
١٦٩ عائشة خانم بنت مصطفى باشا
١٥، ١٤٤، ٢١١، ٣٢٩، ٤٤٩، عادلة خانم بنت أحمد باشا
٥٨٤
٢٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٤٧، عباس العزاوي المحامي
٢٥٩، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٧٨
٤٣٢، ٤١٣، ٣٨٨، ٣٧٩
٥٤١ عباس الكرمانلي
٢٣٦، ٢٢١، ١٤٤، ١٤٣ عبد الرحمن باشا، والي شهرزور
٢٠٧، ١٤٢ عبد الرحمن شرف
٢٣ عبد الرحيم بن محمد السويدي
٥٣٧ عبد الرزاق الأفغاني الغلجاني
١٦٥ عبد الرسول الطريحي النجفي
٣٨٣ عبد السلام المفتي المارديني
١٥٠ عبد السيد بن بلاسم شيخ بني لام
١٥٣، ١٤٨ عبد العال، شيخ بني لام
٤٤ عبد القادر الدنا
٤٩٣ عبد القادر الشهراباني
١٩٥ عبد القادر الكيلاني، السيد الشيخ
٢١١ عبد القادر بن السيد عبد الله النائب

٥٧١ ، ٤١٣ ، ١٥٣	عبد القادر شيخ بني لام
٣٠٩	عبد القادر ، الشاعر
١٧٤	عبد الكريم السندي
١٥١	عبد الكريم الندوي
٥٣٤ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢	عبد الكريم بك
٢٨٣	عبد الله أفندي وصاف
١٨٩	عبد الله أفندي يكيشهري
٢١١ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦	عبد الله أمين الفتوى
٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨١	
٣٢٣ ، ٣٩٤ ، ٤١٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٥	
٤٠١	عبد الله الحريري الكردي ، المنلا
٣ ، ٤ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٥	عبد الله السويدي
٢٦٣ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥	
٣٦٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤٣١	
٤٣٩ ، ٤٥٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢	
٤٨٣ ، ٤٩٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣	
٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٥٠٩	عبد الله الفخري نشاطي
٢٤٨ ، ٢٠٨	عبد الله باشا بن مصطفى باشا
	الكوبريلي
١٥	عبد الله باشا والي بغداد
٥٩٢ ، ٤٣٩	عبد الله بن شاوي ، أمير العبيد
٤٨٠	عبد الله بن محمد ، جمال الدين
	العاقولي

١٦٤	عبد الله بن يوسف ابن هشام
١٦٢، ١٥٥، ١٦١، ١٤٩، ١٣٨	عبد الله خان المشعشعي أمير الحويزة
٥٣٨	عبد الله صدور البخاري
٢٠٣	عثمان آغا، السفير
٤٢٢	عثمان باشا الباباني
٢٠١، ١٣٤	عثمان باشا والي البصرة
٣٥١، ٣٦١، ٣٦٠	عثمان باشا، طوبال
١٤٤	عثمان بيك باجلان
٢٠٨، ٣٩٦، ٤٩٢، ٥٤١	عثمان عصام الدين العمري
٢٧٣	عدي بن ربيعة التغلبي
٢٥٩	عزرا حداد
٤١٢	عقيل عبد الحسين المالكي
١٤٢	علي باشا الداماد، الصدر الأعظم
٣٤٣، ٣٣٩	علي باشا حكيم أوغلي
٢٣، ٤	علي بدري السويدي، المحامي
١٦٠، ١٥٩، ١٤٧	علي بن أبي طالب
٣٩٠	علي بن الحسن البغدادي، صدر
٤٢٥	علي بيك، أمير ربيعة
١٥٦	علي جلبي هزيم زاده
١٣٨	علي نعمة الحلو
٢٣٩	عمر باشا، والي بغداد
٢٧٣، ١٠١، ١٠٠	غانم الحسان، من شيوخ شمر

٥٧٠	غصيبة، شيخ زبيد
٨٢	فؤاد جميل
١٥٠	فارس شيخ بني لام
٢٢٠	فاطمة بنت حسن باشا
٤٥	فاطمة بنت مصطفى باشا
٢٤١	فالتر هنتس
٢٠٦	فتح الله القادري
٥٢٧	فتح علي تركمان
٥	فصيح الدين الهندي
٤٦٤	فضل بن سهل الأسفرائيني
١٧٦	قاسم خان الأفغاني
٣٣٩، ٣١٦، ٢٢٠	قره مصطفى باشا
٤٩	قره مصطفى مرزونلي، المصدر
	الأعظم
٥٠٠	قس بن ساعدة الايادي
٥٣٨	قلندر خواجه البخاري
٤٨٢	قوجه بك شيخانلو
١٣٤	قوجه حسن باشا
٢٥٥	قيس بن عاصم المنقري
٥٩	كارا دي فو
٤	كاظم الدجيلي
٢٤١	كامل العسلي
١٢٢	كليمان ايوار

٥٤	كوركيس عواد
١٧٤	كوركين خان الكرجي، أمير قندهار
٤٧٧	لوكهارت
٢٣٧	لونكريك
٣٨٤ ، ٨٣ ، ٥٤	ليسترنج
٥٩٠ ، ٣٧٨	المبارك بن المستعصم بالله العباسي
٤٠٣	محمد أفندي بن علي أفندي
	الموصللي
٥٣٦	محمد إمام لاهجان
٤٤٤	محمد أمين بن خير الله العمري
٤٢٢ ، ٣٨٠ ، ٣٧٨ ، ١٨١ ، ٦٧	محمد أمين زكي، المؤرخ
٥٣٧	محمد التمامي المفتي بشيراز
٥٠ ، ٤٩	محمد الرابع ، السلطان
٩٥	محمد الشاه زاده
١٢١	محمد باشا الشهمسوار والي الموصل
٤٠٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧	محمد باشا، والي بغداد
١١ ، ٢٠١ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٣٥٦	محمد باشا، والي شهرزور
٣٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٥٢٦	
٥٨١	
١٥١	محمد باقر الجلاي
٣٨٨	محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي
١١٧	محمد بن أحمد العميدي
٥	محمد بن أحمد بن سعيد بن عقيلة

١٦١	محمد بن الحنفية
٢٩٩	محمد بن المولى عبد الله المشعشي
٤٢٧، ٣٧٩	محمد بن حمد البسام
٢٠٣	محمد بن حميد الطوسي
١٥٦	محمد بن سليمان الجزولي
٤٩٨، ١٦٦	محمد بن عبد الله ابن مالك
٣٣٥	محمد بن عقيلة المكي
٧٩	محمد بن محمد ابن لنكك البصري
٤٩٢	محمد بن مصطفى الغلامي
٢٦، ٣٤١، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤	محمد بهجة الأثري
٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٤٤	
٣٦١، ١٣٠	محمد ثريا
٥٤٣	محمد جواد بن عبد الرضا البغدادي
	الحائري
٣٦٧، ٣٣٧	محمد حسين قدوسي
٣٦٨	محمد خان بلوج
٢٩٩	محمد خان واخشتو خان
٤٩٣	محمد خليل المرادي
٤٩٢	محمد راغب باشا، الصدر الأعظم
٥٣٧	محمد زكي مفتي كرمشاه
٤١٢، ٣٠٨، ٣٠٢، ٢٧١، ١٣٩	محمد سعيد الراوي
٤١٢، ٤٨٠، ٥٧٢، ٥٧٨	محمد سعيد بن عبد الله السويدي
٦٠٧، ٥٨٧، ٥٩٥، ٥٨٠	

٥٣٧	محمد صادق المفتي بخلخال
١٧٧	محمد صادق خان
١٤٤	محمد صالح بك بن حسن باشا
٢٣٤	محمد طارق الكاتب
٣٧٨	محمد علي عوني
١٤٢	محمد فريد
٥٣٧	محمد مؤمن المفتي باستراباد
٥٣٧	محمد مهدي مفتي أصفهان
٥٣٧	محمد مهدي نائب الصدارة
٤٧٧	محمد ناصر الدين روشن أختر، الشاه
٥٣٧	محمد نقى المفتي بسبزوار
٥٣٧	محمود أفندي
٣١٢، ٥٤٧	محمود الأول، السلطان
١٢٢، ٣١٢، ٤٠٣	محمود الثاني، السلطان
٤٩٤	محمود الجليلي، الدكتور
١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧	محمود بن أويس الأفغاني
٢٨٢، ٢٠٢، ١٨٨	
١٦٩، ٢١٧، ٤١٢، ٥٨٥	محمود شكري الألوسي
٨٣، ١٦	مدحت باشا والي بغداد
٥١٦	مراد باشا الجليلي
٤١٢	مرتضى الزبيدي، شارح القاموس
٦٧، ٦٨، ٨٦، ١٠١	مرتضى نظمي زاده

٢٩١	المسترشد بالله العباسي
٢٩١	المستظهر بالله العباسي
٥٥٤	المستعصم بالله العباسي
١٢١	مسعود بن سديد الدولة
١٥٠	مشعل بن جساس شيخ بني لام
١٢٣	مصطفى آغا
٥٣	مصطفى الثاني، السلطان
٢٠٧	مصطفى باشا محافظ أرضروم
٤٣	مصطفى بيك والد حسن باشا
٥٣٢	مصطفى خان
٤٢١، ٤٢٠	مصطفى، شاعر سامراء
١١٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤	مغامس بن مانع شيخ المنتفق
٤٢٨، ١٣٥	ملا باشي علي أكبر
٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٤١، ٥٤٢	ممش باشا، والي الموصل
٣٦١	منصور جرداق
٣١٢	موسى باشا قبدان باشا
٤١٤	موسى كاظم نورمن
٦٧	ميرزا أبو الفضل المفتي بقم
٥٣٧	ميرزا أسد الله المفتي بتبريز
٥٣٧	ميرزا آقا مير
٢٠٠	ميرزا خواجه البخاري
٥٣٨	ميرزا زكي
٥٣٢	

٢٠٠	ميرزا محمد باقر
٢٠١	ميرزا محمد حسن
٣٣٧	ميرزا مهدي خان
٢٦٤	النايعة الجعدي
٦٠	النايعة الديباني
٥، ٧، ١٢، ١٣، ١٤، ٣١٠	نادرشاه
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩	
٣٥٥، ٣٦١، ٣٨٣، ٤١٠	
٤٢٢، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٦٩	
٤٧٦، ٤٧٨، ٤٩٠، ٤٩٤	
٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥١٦	
٥٢٦، ٥٤١، ٥٥٠، ٥٧٦	
٥٨٨، ٥٨٩	
٢٩١، ٢١٧	الناصر لدين الله العباسي
٤٠٦	نامق باشا الصغير، والي بغداد
٢٩	نزار عبد اللطيف الحديثي، الدكتور
٥٤٦، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤١	نصر الله بن حسين بن علي الفلنزي
	الحائري
٥٣٤	نظر علي خان
٥٢٧	نظيف مصطفى أفندي
٤٤٠	نورة، زوجة صقر من قشعم
٣٣١، ٣٣٠	نيبور
٥٣٨	هادي خواجه، بحر العلم البخاري

١٠٠	وداي العطية
٥٢٧	ولي أفندي
٢٩، ٣١٠، ٦٠٥	وليد عبد الكريم الأعظمي
٣٨٠، ٥	ياسين الهيّتي، ابن البصير
٦٨، ٧١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٣٥،	ياسين بن خير الله الخطيب العمري
٤٤٠، ٤٤١، ٤٧٣	
٢٨٥	ياسين بن محمود المفتي
٢٨٥	ياسين، الشيخ
٨٤، ١٢٣	يعقوب سر كيس
١٢١	يوسف باشا والي كركوك
١١٩	يوسف عزيز المولوي



مركز تحقيقات كچويز علوم اسلامی

فهرس الأمكنة والمواقع

٢٣٤ ، ٤٦	أبله البصرة
٣٦٩ ، ١٤٩ ، ١٣٨ ، ٨٣	الأحوار (الأهواز)
١٤٤ ، ١٤٣	أدرنه
٣٣٩	أنريجان
٥١٩ ، ٤٩٢ ، ٤٨٣	إربل
١٨٠	أردبيل
٥٣٦ ، ١٣٨	أردلان
٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٦١ ، ٢٠٧	أرض روم
٣٨٦ ، ٣٨٥	
٣٣٧	أرمستان
٥٣٧	أستراياد
١٧٢ ، ١٦٨ ، ٢٢٦ ، ٥٦ ، ٥٤	إسلامبول (استانبول)
٣١٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٤١٤	
٥٢٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٥	
٤٢٢	أشنو
١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٢	أصبهان
٣١٤ ، ٢١٣ ، ٣١١ ، ٢٨٢	
٣٣٨ ، ٣٣٦	
٥٤٥ ، ١٧٢	أفغانستان
٣٦١	آق دربند، مضيق
٣٦٠	آق صو

١٤٥	الطون صوبي، قنطرة
٥٩٢	أم الحنطة
٢٩١ ، ٦٦	آمد
٥١٧ ، ٣٨٤ ، ٣٣٩	أناضول
٣٣٩ ، ٢٢١	أناتولي
٤٤٧	أوريا
	أورفة = الرها
٥٣٧	أورمية
	ايچ قلعة - قلعة بغداد
٥٧	أيدين
٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٤١ ، ١٤٤ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٣٦٨ ، ٤٧٧ ، ٥٠٨ ، ٥٢٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٧٦	إيران
٨١	بئر النصف
٣٥١	باب الإمام الأعظم (باب المعظم)
٤٥٦	باب الحلة
٢٩١	باب الشجرة (وهو باب المعظم)
٣٥٠	باب الشط
٤٠٣	باب العراق، من أبواب الموصل
٤٥٦	باب الكريّمات
٢٩١	باب المعظم

۲۲۰ ، ۵۷	بابا داغ
۳۴۰	باجلان
۱۱۵	باشیة
۵۳۸ ، ۴۷۷	بخاری
۸۳	بدرة (بادرایا)
۳۴۸	برائا
۲۴۶	بروجرد
۴۴۹ ، ۴۰۹ ، ۳۶۷	بستان الباشا
	بستان المتولية = بستان الوزير
	بستان الوزير = بستان الباش
۱۳۶	بشدر
۱ ، ۱۲ ، ۱۵ ، ۲۳ ، ۴۶ ، ۸۴	بصرة
۱۲۰ ، ۱۱۳ ، ۱۱۱ ، ۹۴ ، ۹۱	
۱۲۳ ، ۱۳۰ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳	
۱۳۴ ، ۱۳۵ ، ۱۴۹ ، ۲۲۰	
۲۲۹ ، ۲۳۰ ، ۲۳۴ ، ۲۳۵	
۲۳۶ ، ۳۵۹ ، ۴۱۲ ، ۴۱۳	
۴۱۴ ، ۴۳۱ ، ۴۸۴ ، ۵۵۳	
۴۶۷ ، ۸۳	بعقوبا
۴۷۷ ، ۵۹	بلخ
۱۴۲	بلغراد
	بندنیجین = مندلی
۵۳۷ ، ۳۶۱ ، ۳۳۹ ، ۳۳۷ ، ۲۰۸	تبریز

٤١٤	الترسانة العامرة في استانبول
٥٤٥ ، ٤٧٧	تركستان
٣٦١ ، ٢٠٧	تفليس
٣٤٣	تكریت
٣٨٩	التكية الخالدية
٢٤٦	توسكران
٣٧٨	جاغجاغ، جبل
٥٣٧	جام
٢٩١	جامع الأزبك
٣٥٠ ، ١٤٦ ، ٥٩	جامع الأصفية
١٤٢	جامع السلطان سليمان في بلغراد
٢١٧	جامع الشيخ سراج الدين
٣٥٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ١٩٥	جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني
٤٨٠	جامع العاقولية
٥٤٦	جامع الكوفة
٣٥٧ ، ٢١٧	جامع الوزير
٣٨٧	جامع الوفائية
٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٢١٧	جامع جديد حسن باشا
٥٨٥ ، ٥٨٤	جامع قمرية
	الجبايش - الجوازر
	الجزائر - الجوازر
١٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٤٧٦	الجزيرة
٤٥٠	جسر الأعظمية

٥٧٠ ، ١٠٦	جسر الحلة
١٠١	جسر الرضوانية
٤٥٠	جسر الصرافية
٤٠٩ ، ٣٥٠ ، ١٤٦	جسر بغداد
١٤٩ ، ١٤٦ ، ٨٣	جصان
٢٢٦	جفلكة
١٨٠	جلون آباد
٤٧٧	جهان آباد
٨٣ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣	الجوازر
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٤٢٤ ، ٥٤٢	
٤٤٧	جورجيا
٩١ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ٤٢٨ ، ٥٤٢	الحسكة
١٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩	حلب
٣٣٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٤٧٩	
٨١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥	الحلة
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٠	
١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٦٥ ، ١٧٥	
٣٦٥ ، ٤٣١ ، ٤٦٢ ، ٥٣٠ ، ٥٧٠	
٣٤٠	حلوان
٨٣ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ٢٩٧	الحويزة
٢٩٨	
١٤٠	الخاتونية
٦٠٤ ، ٢٥١	الخالص

٨١	خان أورطمه
١١٥	خان الإسكندرية
٨١	خان يونس
٧١	خائوقه
٣٣٦	خراسان
٢٤٦	خرماوات
٤٦٤	خرنابات
٤	خضر إلياس، محلة
٥٣٧	خلخال
١٧١	خندق بغداد
١٣٦	داريشمانه
٤٧٨ ، ٤٤٧ ، ٣٣٧	داغستان
٣٦٠	دافوق
٤٤	دبره
٣٤٤	دجيل
٤٨٠	درب الخبازين
٣٤٠	درتلك
٣٤٠	درنه
٥٧	دكزلي
٤٥٥ ، ٤٧٧ ، ٣٦٩	دلهي
٥٩٠	دهوك
٤	الدور
٨٢	الدورة

ديار العجم = ايران

ديار بكر

٦٦ ، ٦٧ ، ١٢١ ، ٣٣٨ ، ٣٨٣ ،

٤٧٦

ديالى

١٤

الدير

١١١

الديوانية

١٠٠ ، ١٠٨

راس القرية

٣٨٩

رائية

٤٢٢

الرضوانية

١٠١

الرماحية

١٠٨ ، ١٣١

الرها

٦١ ، ٦٢ ، ٢٢١ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ،

٣٨٤ ، ٤٧٦

رواندوز

٤٢٢

روسيا

٢٠٧

روملي

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦

زاخو

٥٩٠

زنكاه سلطان

٢٤٦

زهاب

٣٨٦

سامراء

٨٧ ، ١٧٠ ، ٣٦٠ ، ٤٢٠

ساوجبلاغ

٣٣٧

سبزوار

٥٣٧

سر من رأى = سامراء

سرائي بغداد

٨ ، ١٦ ، ٤٠٥ ، ٤٥٢

٣٤٠	سربل زهاب
٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٥ ، ٥٩١	سروجق
٤٦	سغد سمرقند
٤٣	سلانيك
٥٧١ ، ١٣٢ ، ١٠٥ ، ٩١	السماءة
١٣٩	سنجار
٢٤٦	سنفور
٢٤٦ ، ١٤٤	سنه
٩٩ ، ٧	سور الكرخ
٣٧٠ ، ٣٥٦ ، ١٤٦	سور بغداد الشرقية
٢١٧	سوق العميد
٣٨٧	سوق الكبابجية
١١٥	سوق الهرج - سوق العميد
١٢١	السيب
٣٧٩ ، ٣٣٥	شارع مطار المثنى
٤٤٣ ، ١٠٠	الشام
٢٧٢	الشامية
٥٣٦ ، ٤٤٧ ، ٣٣٧	الشبيكة
٢٣٤	شروان
٣٦٦	شط العرب
١٧٦	شفائة
١٨٨ ، ١٤٣ ، ١٤١ ، ١٣٦	شماخي
	شهرزور

٢٢٦ ، ٢٨٤ ، ٣٣٨ ، ٣٨٧

٤١١ ، ٤٨٢

٥٣٧

شيراز

٢٠٦

صاوق بولاق

٣٥٠

صوقاقي

١٧٦

طاغستان

٦١

طبرستان

٣٨٧

طرايزون

٤٧٦

طريق السيدة زبيدة إلى مكة

٦٧

طور عابدين

١١١ ، ٣٨٠

عانة

٤٧٦

عبادان

١٢٣ ، ١٣٠

العرجا، قلعة

٢٣٤

العشار

٤٥٠

العظيفية

٣٦١

العظيم، سهل

٥٩٠

عقرة

٤٥٦

علاوي الحلة

٤١٣

علي الغربي

٥٩٠

العمادية

٨٢

العمارة

٣٣٧

فارس

١٨١

فرح آباد

٤٩	فيينا
٣٣٩	قارص
٢٩٠	قاعة الشعب
٣٨٨	قبر الشيخ محمد الأحساني
٤٦ ، ٤٤ ، ٤٣	قترين
٣٧٨	قره جه داغ، جبل
	قره حميد = آمد
٣٥٠	قره قابي، باب
٥٤	قره مان
	قسطنطينية = اسلامبول
٣٥٧ ، ٢١٧	قشلة بغداد
٣٨٩	قشلة أوننجي سيمان
٢٩٠ ، ٣٤١ ، ٥٢٦ ، ٦٠٥	قصبة الإمام الأعظم
٤٥٢	قصر الخلافة
٤٤٩	قصر الخلد
١٣ ، ١٢	قصر الولاية ببغداد (حرم دائرة سي)
٣٤٠	قصر شيرين
٢٠٧	القفقاس
٧١	قلعة الشرقاط
٨٩ ، ١٤٧ ، ١٧١ ، ٤٠٨ ، ٤٢٩	قلعة بغداد
٥٧١ ، ٤٦٨	
٥٣٧	قم
٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤	قمجوخة

٦٠١، ٥٩٩، ٥٩٨، ٥٩٥	
١٨٢، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٢	قندھار
٥٩، ٥٤	قونية
٥٩٠	كانغري، لواء
٦٠٤	كبري عباس
١٢١	كتاھية
٢٥	كتبخانة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة
٧٩، ٨٠، ٣٦٥، ٣٩٦، ٥٤١	كربلاء
٥٦٥، ٥٤٢	
٣٣٧، ٢٠٧	كرجستان
٣٣٧، ١٣٨	کردستان
٦٩، ١٢١، ١٤٦، ١٥١، ٢٢٠	كرکوك
٤٨٣، ٤٨٢، ٤١١، ٣٦٥	
٥١٩، ٥١٨، ٤٩٤، ٤٩٢، ٤٩١	
٥٣٧، ١٧٦	كرمان
	كرمان شاهان - كرمناشاہ
٦، ١٠، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٢	كرمنشاہ
٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٠	
٢١١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠	
٢٨٣، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٨	
٥٨٩، ٥٣٧، ٥٠٨، ٤٦٩	
٢٤٦	كرنت

٢٤٦	كرهوت
٢٤٦	كزاز
	كنعان - مهروث
٨٢	الكوت
٨٣	كوت الإمارة
١٣٠	كوتاهية
٣١٤	كورجان
٥٤٦ ، ٩١ ، ٨٤	الكوفة
٤٣٢ ، ١٤٢ ، ١٣٦	كوي
٢٣	الكويت
٥٤٥	كيلان
٥٣٦	لاهبجان
٢٤٦	لهوند
٣٦٩ ، ٣٣٧ ، ٢٤٧ ، ١٨١	لورستان
٣١٤	لولو كرد
٢٥٩	مئذنة ذي الكفل
٣٩٠ ، ٣٨٣ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٦٧	ماربين
٤٤٩	المارستان العضدي
٥٣٧	مازندران
١١٥	المحاويل
٢٤٤	مختران، محلة
٧٨	المدائن
٣٨٨ ، ٥	المدرسة الأحسانية

٣٠٨	مدرسة الإمام أبي حنيفة
١٩٥	مدرسة القاضي المخرمي
٤٨٠ ، ١٤٦ ، ٥٩	المدرسة المستنصرية
٥	مدرسة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني
٤٦٤	مدرسة جامع الفضل
١٧٠ ، ١٦٩	مدرسة حسن باشا
١٦٩	مدرسة زمرد خاتون
١٦	مديرية الشرطة العامة
٢٥	المدينة المنورة
٣٣٧	مراغة
٣٣٨	مرعش
٦٠٥ ، ٢١٠ ، ٩٥	مرقد الإمام أبي حنيفة
٨٨	مرقد الإمام الحسن العسكري
٨٧	مرقد الإمام علي الهادي
٥٦٥ ، ٥٣٦ ، ٤٤٧	مرقد الإمام علي بن أبي طالب (ع)
٤٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٧	مرقد الإمام موسى الكاظم
٧٩ ، ٨٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٢	مرقد الحسين بن علي (ع)
٥٦٥ ، ٤٤٧	
٥٦٥	مرقد العباس بن علي
٥٥٤	مرقد المستعصم بالله العباسي
٥٥٤	مرقد حماد النحاس
٨١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٥٣٠	مرقد ذي الكفل

١٦٩	مرقد زبيدة (منسوب إليها)
١٦٩	مرقد زمرد خاتون
٧٨	مرقد سلمان الفارسي
٤١٣	مرقد علي الظاهر (علي الغربي)
١٤٧، ١١٠، ٨٠	مرقد علي بن أبي طالب (ع)
٤٦٤	مرقد محمد الفضل
٤٥٠	مستشفى الكرخ الجمهوري
	مسجد الإسماعيلية = جامع الوفائية
٤٠٥	مسجد السلطان
٨١	مسجد الكوفة
٤٥٠، ٣٤٨	مسجد المنطقة
٣٤٨	مسجد براتنا
٢١٧	مسجد سوق السلطان
٣٣٦	مشهد
٥٥٤	مشهد أبي رابعة
٥٣٦	مشهد الرضا
	مشهد العتيقة = مشهد المنطقة
١٠٢	مشهد
٣٣٩	مصر
٢٧	مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٤	مقبرة الإمام أبي حنيفة
١٦٩	مقبرة الشيخ معروف الكرخي
٤٦٤	مقبرة باب أبرز

١٥٦	مكتبة الأوقاف المركزية
٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٠، ٣١، ٣٢	مكتبة المتحف البريطاني
٣٣، ٣٤	
٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٦، ٣٧	مكتبة المتحف العراقي
٢٤	مكتبة المجمع العلمي العراقي
٣٣٧، ٣١٦	مكتبة جامعة القاهرة
٣٣٧	مكري
٤٤	مناستر
٨٣، ٤٤٩	مندلي
٦٠٤	المنصورية
٤٦٧	مهروت
١٤٢، ٣٦١	مهروز = مهروت
٦٨، ٦٧، ٧١، ١٤٦، ١٣٩	الموره، جزيرة
٢٨٤، ٣٣٨، ٣٦٦، ٣٧٧	الموصل
٣٨٧، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٤٣	
٤٤٤، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٨٣	
٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٨	
٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢	
٤٩٤، ٤٩٦، ٥١٥، ٥١٦	
٥١٩، ٥٢٦، ٥٥٣	
٤٤٨	موغان
٢٢٧	مياندوب

النجف	٨٠، ٨١، ١٦٥، ٣٦٥، ٣٩٦
نصيبين	٥٢٧، ٥٣٠، ٥٤٢، ٥٤٣
نمسا	٣٧٨
نهاوند	٤٩
نهر الخابور	٢٤٧، ٢٤٦
نهر الزاب	٣٧٨
نهر الشاه	١٤٥
نهر الصراة	١٣٢، ٨١
نهر الكرخا	٤٤٩
نهر المسعودي = نهر المسعود	١٤٩
نهر خاصة	٣٦٠
نهر ديالى	٨٢
نهر ذياب	١٠٨
نهر سفيد رود	٥٤٥
نهر عنتر	١٢٤
نهر مسعود	١٢١
هراة	٣٣٦، ١٧٦
همدان	٦، ١٤٤، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠
	٢٠١، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣٦
	٢٤١-٢٤٦، ٢٤٧، ٣١٠
	٣١٣، ٣١٨، ٣٦٨، ٤٦٩، ٥٠٨
الهند	٢٩١، ٣٩٦، ٤٥٥، ٤٧٧، ٥٤٥

١٢١	هور الصقلاوية
٥٨٠ ، ٤٥٣ ، ٣٣١	هور عقرقوف
١٠٩	هور نجم
٤٤١ ، ٣٨٠	هيت
٤٧٦	وان
١٦	وزارة التربية ببغداد
٣٥٠	وزارة الدفاع ببغداد
١٧٦	يزد
١٤٢	اليونان



مركز تحقيقات كميپوتر علوم اسدي

فهرس الأسر والقبائل

١٣٩	آل الحيدري
٢٣ ، ٤	آل السويدي
٥٩٢ ، ٤	آل الشاوي
١٤٤	آل المميز
١١٠	آل جحيش
١٠٥	آل حميد
١١٠	آل خالد
١١١	آل دليم
١٠٥	آل رفيع
١٠٥	آل ساعدة
١١٠	آل سعيد
٣٧٥ ، ٦٨	آل شهبان
١١٠	آل عامر
٣٧٥ ، ٦٨	آل غريب
١٠٥	آل غزية
١١١	آل نوفل
٦٩	آل بو حمدان
٤	آل بو مدلل
٤	آل لوسيون
	البابانيون - الببه
٣٤٠ ، ١٤٤	الباجلان

١٣٦، ١٥١، ٤٣٢، ٥٩٠، ٥٩١	الببه
١٨١	بشكوه
٣٧٩	بقارة
١٣٥، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٥	البلباس
٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٥	بنو جميل
٨٢، ٩٢، ١٣٨، ١٤٨، ١٤٩	بنو لام
١٥٠، ١٥٣، ٢٥٩، ٤٢٤	
٤٦٣، ٥٧١، ٥٩٤	
١٨١	بيشكوه
١٤٤	الجاف
١١١	الجنابيون
٣٧٨	الجيجية
٨٨، ٨٩، ١٥٢، ٤٦٤	خزاعل
٤٣٥، ٤٢٧	ربيعة
١١٢، ٢٧٢، ٤٢٤، ٤٣٩	زبيد
٥٤	السلامة
١٠٠، ١١٢، ٢٥٩، ٢٦٨، ٥٨٠	شمر
١٥٢	صاجلية
	عزيزان = قوجه عز الدين
٤	العشاريون
١١١	العقيدات
١٨١	الفيلية

قشعم	١٠٥ ، ١٠٩ ، ٣٧٢ ، ٤٣٩ ،
	٤٤٠ ، ٤٤٥
قوجه عز الدين	٣٨٠
الكيفية - جيجية	
اللزك	٤٤٧ ، ٤٤٨
اللور	١٨٨
المشعشعيون	١٣٨ ، ٢٩٩
المعدان	١٠٩
ملية - الميلية	
المنتفق	٩٤ ، ١٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،
	٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥
الميلية	٦٧
اليزيدية	١٥٢ ، ١٣٩

فهرس بالمصطلحات والألفاظ

أغا الينكجریة	١٢٢
أقوات، جمع آقا (بمعنى أغوات)	٢٢٠، ١٠٦
أوردو، أوردی (بمعنى الجيش)	١٩٢
أورطه	١٢٢
أولاد بكتاش = البكتاشية	
إيلجي	٥٣٢، ٤١٠
الباج، ضريبة	١٤٦
الطمغة، ضريبة	١٤٧
باش آقا، رتبة عسكرية	٤٢٥
بطخات، وهو حطب منسوج بقوة	١٢٤
البكتاشية، الطريقة	٤٠٣
بنادق الزنبورك	٣٤١
بنادق	٢٤٥، ٢٦٤، ٣١٦، ٤٢٧
	٥٨٩، ٥٠٥، ٥٣٢، ٥٩١، ٥٩٣
بنادقية	٣٦٢، ٣٤٧
بنق	٥٦، ٧٦، ٢٤٠، ٣٤٢، ٣٦٣
	٤٢١
بنق التفك	١٤١
تفك، تفكة	٨٥، ٣٦٢، ٤٠٨
جارجي باشي	٥٢

جرخ فلك (نوع من الاستمكان في	٣٦٢، ٣٦٣
الحروب)	
جسار (الموكل بالجسر)	٨٦
جيفرجي باشي	٥٢
خانة، ضريبة	٨٩
خراج	٤٢٥، ٤٣٢
خلعة سراسرية	٦٥
خلعة سمور	١٥٠، ٣٨٤
خنكار، بمعنى السلطان	٤٤، ١٣٣، ١٤٢، ٢٢٥، ٢٩٠
خوانين، جمع خان	٣١١، ٣٧٠، ٤٠٩، ٥٨٨، ٥٨٩
دساكر: جمع دسكرة، وهي التذكرة	٤٨
الدفترخانه	٣٥٧
الدفتردار	٣٥٦
ذراع الكرباس	٢٤١، ٣٤٤
رئيس البوابين	٤٨، ٥٣
السباهية	٤٤
السردار	١٥٠، ٢٧٤
سكمان، سكيان	٣٨٩
سنجق (بمعنى اللواء، والمقاطعة)	١٥١
سنجق (بمعنى الراية واللواء)	٥٠

٤٢٥	الضابط
٧٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ،	طوب، أطواب
٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ،	
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٨٢ ،	
٤٨٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ،	
٥٥٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٩ ،	
٤١٥	فرقدجية
٢٨٥	فرمان
٦٥ ، ٩٦ ، ٣٣٢	فروة سمورية
٤٨	قبوجيلر باشي
٤٨	قبوجيلر كهيه سي
٣٤٠ ، ٤١٤	قبودان
١٨٠	القرلباش
٣١٦ ، ٣٦٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،	قنبر، قنابر
٤٩١ ، ٥٠١ ، ٥٥٠ ،	
٥٢٦	كاتب الديوان
٢٠٣	كاربان سراي (كروان سراي)
١٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٤٣٤ ،	كتخدا
٤٦٢ ، ٥٧٠ ،	
٥٣١	كشك خانه
٦٨ ، ١٤٧	كلك، كلاك

٣٤١	كونكرة بمعنى التل
٥١٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٣ ، ٢٤٢	لقم، جمعها: لقوم ولقام وألقام (بمعنى اللغم والألغام)
٨٧	لك، وهو اسم عدد
٥٠١	المدافع
١٤٨	المسافر خانة
٥٣٩ ، ٥٣٦	مفتي الركاب
٥٣٤	المهندار
٥٦٩ ، ٥٥٧	ميري جوق، ضريبة
٨٨	النقود النقرة
١٢٢ ، ٣٦١ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣	الينكجرية
٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣	
٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧	
٤٢٥ ، ٤٠٨	

فهرس الموضوعات

٣	مقدمة التحقيق
	النص - التحقيق
٣٩	مقدمة المؤلف
٤٣	باب في ذكر ولادته [حسن باشا] وسبب سعادته
٤٦	فصل في بيان قصبة قنرين
٤٩	فصل في شجاعته وارتقاؤه المناصب
٥٢	فصل في مناصبه في دار السلطنة
٥٤	فصل في توليه ولاية قونية
٥٩	فصل في توليته حلب الشهباء
٦١	فصل في توليته منصب الرهي
٦٦	فصل في توليه آمد
٦٧	فصل في توليه بغداد
٧٥	فصل في مراسلته الأعراب
٧٨	فصل في بيان زيارته مشاهد الصلحاء ومراقدة الشهداء الأولياء
٨٢	فصل في بيان غزوة بني لام
٨٦	فصل في العثور على ماسة ثمينة
٨٧	زيارته سامراء
٨٨	فصل في ذكر سلمان الخزعلي
٩٥	فصل في ولادة محمد بن السلطان أحمد الثالث
٩٧	فصل في حصول البرد والتلج في بغداد
٩٩	فصل في قمع قبيلة شمر

١١٠	فصل في بيان غزوة زبيد
١١٩	فصل في بيان وقائع البصرة
١٣١	فصل في غارات مغامس
١٣٣	حركات الجوازر
١٣٤	فصل في تعيين والي البصرة
١٣٥	فصل في حركات البلباس
١٣٦	فصل في حركات أكراد البيه
١٤١	تولية أحمد باشا ولاية شهرزور
١٣٢	استرجاع جزيرة مورة
١٤٥	في اصلاحات وتعميرات شتى
١٤٨	فصل في حوادث بني لام
١٥٠	في بيان اختلاف بني لام
١٥١	في عصيان بكر بيك
١٥٢	في غزوة الوزير الصاجلية
١٥٢	في وفود سلمان الخزعلي بعد هزيمته
١٥٣	في وفود شيخ بني لام بعد هربه
١٥٣	في التجاء والي الحويزة بالوزير
١٥٦	في بيان كلام الشيخ عبد الله السويدي في شرح الدلائل
١٦٢	في بيان مناظرة الشيخ المذكور
١٦٥	في مباحثة الشيخ المذكور بعض أمور النحو
١٦٨	فصل في بيان تعمير الوزير طريق الحاج
١٦٨	وفاة عائشة خاتم زوجة الوزير حسن باشا
١٧٠	فصل في بيان وقوع الطاعون في بغداد

١٧١	فصل في بيان حفر الوزير خندق بغداد
١٧٢	في بيان سبب انقراض دولة العجم
١٧٤	في بيان استيلاء أويس الأفغاني على قندهار
١٧٦	في بيان حصار الأمير محمود بن أويس لأصفهان
١٧٦	في بيان أخذ الأمير محمود أصفهان
١٧٧	في بيان كتاب الوزير إلى الأمير محمود
١٧٢	في بيان كتاب وزير الأمير محمود إلى الوزير
١٨٨	في بيان غزو الوزير ديار العجم
١٨٩	في بيان فتوى شيخ الإسلام بطل سبي العجم
١٩٠	في بيان إرسال الوزير سرية إلى نواحي همدان
١٩٠	في بيان نهب تلك السرية قافلة العجم
١٩٢	في بيان مضمون كتاب أهل همدان
١٩٢	في بيان كتاب الوزير إلى همدان
٢٠١	ما كتب على ظهر كتاب سادن همدان
٢٠٢	مطلب تهمة تيمور
٢٠٢	مطلب كتاب الوزير للأمير محمود
٣١٠	مطلب في بيان وفاة الوزير رحمه الله
٢١١	المقامة الحسنية في رثاء ذي السجايا المرضية
٢٢٠	خاتمة
٢٢٣	باب في بيان سيرة الوزير .. أحمد باشا بن المرحوم المذكور
٢٢٦	فصل في بيان ميلاده ويزوغ طالع إسماعله
٢٢٦	توليه شهرزور
٢٢٧	توليه قونية

٢٢٨	توليه حلب
٢٢٩	توليه البصرة
٢٥٠	غزوة بني جميل
٢٥٩	فصل في وقعة ذي الكفل
٢٦٨	فصل في غزو شمر
٢٧٨	فصل في تعمير جامع الشيخ عبد القادر
٢٨٠	في إثباته النبيل
٢٨٢	فصل في حرب الأفغان
٢٨٦	فصل في الحملة على الأفغان
٢٩٠	فصل في ورود هدايا من أشرف خان
٢٩٢	فصل في تزويج خديجة خانم بنت الوزير
٢٩٣	فصل في عودة الوزير إلى بغداد
٢٩٧	فصل في غزو الحويزة
٣٠٢	فصل في القبض على شبيل وشبلي ودنكل
٣٠٧	فصل في هدوء الأحوال
٣١٠	فصل في استرجاع الشاه طهماسب لهمدان
٣١٧	فصل في خسائر الإيرانيين
٣١٨	فصل في الصلح بين الدولتين
٣٢٩	فصل في تزويج عاتلة خانم بنت الوزير أحمد باشا
٣٣٠	فصل في الخروج إلى الصيد
٣٣٥	فصل في وفود الشيخ ابن عقيلة
٣٣٦	ظهور نادرشاه
٣٤٣	فصل في مقاومة أهل الجانب الغربي

٣٥٥	مفاوضات مبعوث نادرشاه
٣٦٠	حملة طوبال عثمان باشا
٣٧١	فصل في تحالف عرب الجزيرة
٣٧٧	تولييه أورفه
٣٨٣	فصل في تهديدات نادرشاه وصلحه
٣٩٠	تولييه بغداد
٤٠٢	فصل في القضاء على قتن الينكجارية
٤٠٤	استطراد
٤٠٩	فصل في عزل وتولية بعض الولاة
٤١٢	وفود القبائل
٤١٨	فصل في توطيد الأمن
٤٢٢	فصل في تبادل أسرى الجانبين
٤٢٢	فصل في ثورة البلباص
٤٢٤	فصل في ثورة بني لام
٤٢٩	فصل في أماديح الشعراء
٤٣١	فصل في تجدد ثورة المنتفق
٤٤٦	فصل في ورود المقرر
٤٤٧	فصل في ثورة اللزك على نادرشاه
٤٤٩	فصل في إكمال بستان الوزير
٤٥٥	فصل في وصول هدايا من نادرشاه
٤٦١	فصل في قمع قطاع الطرق
٤٦٣	فصل في الحملة على بني لام
٤٦٧	فصل في خروج الوزير للصيد

٤٦٩	فصل في سلم وسرور
٤٧٦	فصل في أعمال نادرشاه ومطالبه
٤٧٨	فصل في حصار نادرشاه لمدن العراق
٥٢٦	فصل في تكليف عبد الله السويدي بمناظرة العجم
٥٥٣	فصل في منظومة في مقاومة أهل الصرة
٥٥٧	فصل مقامة من إنشاء المؤلف
٥٧٠	فصل في معاقبة شيخ زبيد
٥٧٠	مسألة في الأدب
٥٧١	فصل في سجن رئيس بني لام
٥٧٨	فصل في إهداء فرس إلى والد المؤلف
٥٨٠	فصل في الغارة على شمر
٥٨١	كتاب في أسماء الطيور
٥٨٤	فصل في تزويج عائشة خانم زنتية كوتور علوم رسيدي
٥٨٨	فصل في تبادل الهدايا بين العثمانيين ونادرشاه ومصرع نادرشاه
٥٩٠	فصل في فتح قمجوة
٥٩٤	تحرك بني لام
٥٩٥	فصل تهنئة المؤلف بفتح قمجوة وسروج
٦٠٤	وفاة الوزير أحمد باشا
٦٠٩	خاتمة

٩٢٣ر٢

س ٩٩٤

السويدي ، عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي
حديقة الزوراء في سيرة الوزراء /
عبد الرحمن بن عبد الله السويدي البغدادي ، حققه
عماد عبد السلام رؤوف . بغداد - مطبعة المجمع

العلمي ، ٢٠٠٣ .

ص ، ٢٤ سم

م ٠ و

١- الوزراء - تراجم أ. عماد عبد السلام

٢٠٠٣ / ١٧٩

رؤوف (محقق) ب : العنوان

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٩) لسنة ٢٠٠٣

١٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



۱۳۱۰۰۱۰۳۲۹۲۰